

فوق

المركز الأفريقي للترجمة

الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية

ترجمة وتقديم وتعليق

محمد الجوهرى

2319



هذا كتاب غير تقليدي يأخذ القارئ في رحلة - يوجه فيها هذا القارئ نفسه بنفسه - خلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية، التي تمثل الأبواب الخمسة لهذا الكتاب. إذ يستطيع كل قارئ أن يتخذ لنفسه المسار الذي يناسبه. ورغم أننا نوصي بأن تستهل عملك - فعلًا - ببداية هذا الكتاب، فإنه من المحتمل أن ينتهي بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التي ينتهي بها الآخرون، وهو الأمر الذي يتوقف على متطلبات مشروعك البحثي.

ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافيًا في عرضه، ونافعًا لك في عملك. ونأمل أن يقول بك الأمر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعي، وأن توفييه قدره، وأن تستمتع بممارسته.

**الدليل العملي لمناهج البحث
في العلوم الاجتماعية**

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغith

- العدد: 2319
- الدليل العملى لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية
- بوب ماتيوز ، وليز روس
- محمد الجوهرى
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

RESEARCH METHODS: A Practical Guide for the Social Sciences

By: Bob Mathews and Liz Ross

Copyright © Pearson Education Limited 2010

Arabic Translation © 2016, National Center for Translation

**This translation of RESEARCH METHODS: A Practical Guide for the
Social Sciences 01 Edition is published by arrangement with Pearson
Education Limited
All Rights Reserved**

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الدليل العملى لناهج البحث في العلوم الاجتماعية

تأليف: بوب ماتيوز

ليز روس

ترجمة وتقديم وتعليق

محمد الجوهري



2016



دار الكتب المصرية
نماذج لكتابات المؤلفين
فهرسة أنشاء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ماتيوز، بوب.

الدليل العملى لمنهج البحث فى العلوم الاجتماعية / بوب ماتيوز، ليز روس،
ترجمة وتقديم وتعليق محمد الجوهرى - القاهرة: المركز القومى للترجمة،
.٢٠١٦

المقاس: ٢٤ × ١٧ سم.

عدد الصفحات: ٨٧٢ صفحة.

٩٧٨ ٩٧٧ ٩٢٠ ٧٤٦ ٩ تدمك

١ - العلوم - البحوث - أدلة.

أ - روس، ليز (مؤلف مشارك)

ب - الجوهرى، محمد (مترجم ومقدم وتعليق)

ج - العنوان.

٥٠٧, ٢٠٢٥

رقم الإيداع

٢٠١٦ / ١٥١٨٣

مطبع الأهرام التجارية - قلوب

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هي اتجهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبّر بالضرورة عن رأى المركز.

محتويات المجلد الأول

17	مقدمة الترجمة العربية
31	تنوية هام للقارئ
33	شكر وتقدير
35	مقدمة الكتاب

الباب الأول التفكير في البحث

45	الفصل الأول: ما هو البحث؟
46	● ماهية البحث.
47	● تعاريفات البحث.
50	● أسباب إجراء البحث.
51	● الخصائص المميزة للبحث.
53	● جودة البحث.
58	● من هم الباحثون الاجتماعيون؟
59	● الطريق نحو الأمام.
61	● المراجع وقراءات للاستزادة.
63	الفصل الثاني : المعرفة، والنظريات، والتماذج، والتوجهات الفكرية.
64	● من أين نبدأ؟
68	● ما هي طبيعة موضوع البحث الاجتماعي .. ما هو «العالم الاجتماعي»؟ ..
70	● بوصفنا جزءاً من العالم الاجتماعي: ما الذي نعرفه عنه، وما الذي يمكننا أن نعرفه عنه؟
79	● ما الذي يوجد في العالم الاجتماعي مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟
83	● ما هي الطرق المتأصلة «للنظر» إلى العالم الاجتماعي ويمكن أن تساعدنا على التفكير فيما نريد دراسته، وكيفية عمل ذلك؟

• ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟	92
• كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعى؟	94
• ما الذى يعنينا ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟	106
• المراجع وقراءات للاستزادة.	117
الفصل الثالث : طبيعة البيانات .	119
• خواص البيانات.	121
• استخدام البيانات بوصفها تصويراً للواقع الاجتماعى.	138
• هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟	139
• ما هو نوع البيانات التى ستجمعها و تعالجها؟	141
• المراجع وقراءات للاستزادة.	144
الفصل الرابع : أسئلة البحث، وفرضه، وتعريفاته الإجرائية.	145
• ما هي تساؤلات البحث؟	146
• تحديد وتصميم تساؤلات البحث.	146
• أنواع تساؤلات البحث.	147
• تطوير أسئلة البحث والتعرifات الإجرائية.	153
• وضع أسئلة بحثك.	163
• المراجع وقراءات للاستزادة.	167
الفصل الخامس : البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية.	169
• القبول الأخلاقى.	173
• الموافقة عن علم.	175
• علاقات القوة.	182
• حماية المبحوث من الضرر.	182
• الجماعات الهشة (الضعيفة والمعرضة للأخطار).	187
• ملكية البيانات التى تم جمعها.	188
• السلوكيات غير القانونية .	189
• الاعتبارات الأخلاقية والتنوع فى البحوث.	191
• حماية الباحث من الضرر.	196

196	• الأخلاق ومشروعك البحثي.....
200	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
	الباب الثاني
	الإعداد للبحث
203	الفصل الأول : التخطيط لمشروع البحث.....
204	• التعريف.....
206	• الإجراءات العملية.....
207	• أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث).....
209	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
211	الفصل الثاني : مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.
212	• لماذا تعد مراجعة التراث المنصور عن الموضوع جزءاً من عملية الإعداد للبحث؟.....
214	• ما المقصود بالتراث المنصور عن الموضوع؟.....
225	• التقييم النقدي للتراث المنصور عن الموضوع.....
230	• البحث عن التراث المنصور عن الموضوع.....
237	• الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمي.....
242	• عملية مراجعة التراث المنصور عن الموضوع.....
245	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
247	الفصل الثالث : تصميم البحث.
249	• أوجه التشابه والاختلاف
250	• العلاقات.....
251	• كيفي أم كمي؟.....
252	• مستوى الدراسة ووحدة الدراسة.....
253	• اختبارات جودة البحث.....
254	• تصميمات البحث.....
283	• استراتيجيات البحث.....
300	• أي التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟.....
302	• المراجع وقراءات للاستزادة.....

303	الفصل الرابع: اختيار طرق البحث.
304	• اختيار الطرق.
304	• قضية الكيفي في مقابل الكمى.
310	• الطرق المختلطة.
316	• اختيار الطرق.
322	• المراجع وقراءات للاستزادة.
323	الفصل الخامس: اختيار العينة.
326	• طرق اختيار العينة.
358	• اختيار طريقة المعاينة.
362	• المراجع وقراءات للاستزادة.
363	الفصل السادس: مقتراح مشروع البحث.
363	• ما هو مقتراح مشروع البحث وما هي وظيفته؟
364	• بنية مقتراح البحث.
369	• ملخص.
371	• المراجع وقراءات للاستزادة.

الباب الثالث

جمع البيانات

375	الفصل الأول : عملية جمع البيانات.
376	• عملية جمع البيانات نشاط عملى.
377	• أ - البيانات المقننة وشبه المقننة وغير المقننة.
382	• ب- الباحث الحاضر والباحث الغائب.
385	• ج- الباحث الإيجابي والباحث السلبي.
389	• استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة في تصميم أدوات البحث.
392	• المراجع وقراءات للاستزادة.
393	الفصل الثاني: مهارات جمع البيانات.
396	• الاحتفاظ بالسجلات.
397	• ابتكار أشكال النماذج.
398	• تدوين الملاحظات.

402	• الاتصال.....
403	• المقابلات.....
406	• التسجيل الصوتي، وعلى أشرطة الفيديو.....
409	• مهارات التأمل.....
413	الفصل الثالث: الاستبيانات.
416	• ما هو الاستبيان؟.....
419	• استخدام الاستبيانات في البحث الاجتماعي.....
422	• اختيار المشاركين في مسوح الاستبيانات.....
424	• الاستبيانات والقضايا الأخلاقية.....
425	• الاعتبارات العملية.....
444	• طبيعة بيانات الاستبيانات وأسلوب تحليلها.....
444	• جودة البحث.....
448	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
449	الفصل الرابع: المقابلات شبه المقننة.
451	• ما هي المقابلة؟.....
455	• استخدام المقابلات شبه المقننة في جمع بيانات البحث الاجتماعي.....
462	• الأماكن والظروف التي يمكن استخدام المقابلات فيها.....
463	• اختيار العينة.....
463	• القضايا الأخلاقية المتعلقة بالم مقابلات شبه المقننة.....
465	• الباحث بوصفه «الأداة الرئيسية» للبحث.....
466	• تصميم دليل المقابلة واستخدامه.....
473	• تنفيذ المقابلة شبه المقننة.....
475	• المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه).....
476	• طبيعة البيانات المجموعة وتاثيرها على التحليل.....
478	• المراجع وقراءات للاستزادة.....

محتويات المجلد الثاني

الفصل الخامس : جماعات المناقشة (البوريه).	479
● ما هي جماعة المناقشة (البوريه)؟	480
● استخدام جماعات المناقشة في البحث الاجتماعي.	481
● موقع عقد جماعات المناقشة.	491
● حجم جماعات المناقشة و اختيار المشاركين فيها.	492
● جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية.	494
● الجوانب العملية.	495
● طبيعة بيانات جماعات المناقشة.	507
● المراجع وقراءات للاستزادة.	510
الفصل السادس: الملاحظة .	511
● ما الذي يجب أن تلاحظه؟	512
● أنواع الملاحظة.	515
● تأثيرات الملاحظ (تأثير هوتون).	519
● الجوانب العملية.	520
● طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل.	523
● المراجع وقراءات للاستزادة.	525
الفصل السابع: البيانات السردية.	527
● ما هي السردية؟	528
● كيف يختلف البحث السردي عن غيره من البحوث الكيفية؟	529
● أساليب السرد.	532
● لماذا ترغب في استعمال السرد؟	533
● الجوانب العملية.	533
● البيانات السردية.	536
● معايير البحث السردي «الجيد».	537
مزايا وعيوب البحث السردي.	537

540	النتائج غير المتوقعة.....
544	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
545	الفصل الثامن : الوثائق.
547	• مجالات البحث الاجتماعي التي يناسبها استخدام الوثائق.....
548	• أنواع الوثائق.....
551	• استدامة الوثيقة وطول عمرها.....
552	• الوصول إلى الوثائق.....
553	• السياق.....
557	• طرق التفسير والتحليل.....
559	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
561	الفصل التاسع: المصادر الثانوية للبيانات.
562	• طبيعة البيانات الثانوية.....
566	• الإحصائيات الرسمية.....
567	• استخدام البيانات الثانوية.....
568	• الجمع بين البيانات الأولية والثانوية.....
569	• طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل.....
571	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
573	الفصل العاشر: جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلي.
577	• الاتصال بواسطة الحاسوب الآلي.....
581	• استخدام الحاسوب في جمع البيانات.....
583	• لماذا نختار استخدام الاتصال عبر الحاسوب في جمع البيانات؟.....
586	• الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسوب.....
591	• المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسوب.....
593	• جماعات المناقشة التي تستخدم الاتصال عبر الحاسوب.....
596	• الملاحظة على الإنترنت.....
597	• اختيار العينات وتجميع المشاركين في: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة الإلكترونية.....

• القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسوب في البحث الاجتماعي.....

600

• المراجع وقراءات للاستزادة.....

607

الباب الرابع
تحليل البيانات

الفصل الأول: بدء التحليل

611

• ملامح التحليل.....

612

• فكرة موجزة عن النتائج.....

614

• المراجع وقراءات للاستزادة.....

616

الفصل الثاني: معالجة البيانات

617

• طبيعة البيانات ومعالجة البيانات.....

618

• الإعداد لتحليل البيانات.....

620

• المراجع وقراءات للاستزادة.....

650

الفصل الثالث: التحليل الإحصائي

651

• تحليل البيانات الكمية.....

655

• استعمال التحليل الإحصائي لتلخيص ووصف بياناتك.....

660

• تطوير التحليل.....

675

• استخدام التحليل الإحصائي في الإجابة على أسئلة البحث.....

679

• اختبار العلاقات: اختبار كاي تربيع.....

681

• اختبار العلاقات: معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون.....

688

• التحليل الإحصائي كعملية.....

690

• عرض نتائج التحليل الإحصائي.....

692

• المراجع وقراءات للاستزادة.....

694

الفصل الرابع: تحليل الموضوعات

695

• الاشتغال بالبيانات الكيفية.....

695

• ما هو تحليل الموضوعات؟.....

697

698	• عملية التحليل.....
713	• عرض تحليل الموضوعات.....
716	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
717	الفصل الخامس: تحليل السرد.....
718	• النسخ (أى: النقل من وسيلة إلى أخرى).....
719	• التحليل.....
722	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
723	الفصل السادس: تحليل الخطاب.....
723	• ما هو الخطاب؟.....
724	• الخلفية النظرية.....
725	• ما هو تحليل الخطاب؟.....
726	• استخدامات تحليل الخطاب.....
728	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
729	الفصل السابع: تحليل المضمون.....
729	• ما هو تحليل المضمون؟.....
731	• كيف يستخدم تحليل المضمون؟.....
734	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
735	الفصل الثامن: النظرية المؤثمة.....
737	• كف تختلف النظرية المؤثمة عن غيرها من طرق التحليل؟.....
737	• تنفيذ التحليل باستعمال النظرية المؤثمة.....
742	• التصنيف والكتابة.....
743	• الملخص.....
744	• المراجع وقراءات للاستزادة.....
745	الفصل التاسع: استخدام الحواسب في تحليل البيانات.....
746	• ما الذي يمكنك عمله بالحواسب.....
747	• التحليل الإحصائي.....
748	• تحديد المتغيرات وإدخال البيانات باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).....

• إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال (SPSS).	750
• استخدام (SPSS) في عرض النتائج في قوالب وأشكال مختلفة.	752
• برامج التحليل الكيفي.	758
• مصادر البيانات وبرنامج «إن فيفو» NVivo	761
• التكود وبرنامج «إن فيفو» NVivo	761
• استخدام المذكرات الموجزة في برنامج NVivo	763
• المراجع وقراءات للاستزادة.	768
الفصل العاشر: ثم ماذا بعد؟ استخلاص النتائج	769
• محتويات الخاتمة.	772

الباب الخامس عرض البيانات والتقارير

الفصل الأول: أهمية الجمهور المتلقى للبحث	777
• الجمهور والوضوح.	780
• المراجع وقراءات للاستزادة.	782
الفصل الثاني: كتابة البحث: التقارير والرسائل العلمية	783
• لماذا نكتب؟	784
• ما الذى تفعله الكتابة؟	784
• عملية الكتابة.	785
• التخطيط والبنية.	785
• بعض «قواعد» الكتابة.	788
• حدود الكلمات.	793
• كتابة المسؤدة.	794
• عندما تكون الكتابة عسيرة.	796
• التقارير.	798
• الرسائل العلمية الجامعية	805
• تحذير آخر: اتحال أعمال الآخرين وأرائهم.	812

• المراجع وقراءات للاستزادة.	815
الفصل الثالث : عرض البيانات	817
• ما هو عرض البيانات؟	818
• لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟	818
• تجهيز البيانات للعرض.	819
• الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستويات.	824
• اعتبارات عامة.	828
• طرق أخرى للعرض.	829
• أشكال عرض الملصقات (أو البوستر).	830
• أشكال العرض الشفاهية.	832
• المراجع وقراءات للاستزادة.	838
الفصل الرابع: النشر والبحوث المستقبلية	839
• ما هو النشر؟	839
• لماذا ننشر؟	840
• القضايا الأخلاقية.	840
• اتخاذ القرار في عملية النشر.	841
• البحوث المستقبلية.	842
• المراجع وقراءات للاستزادة.	842

ملحق الكتاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية

الواردة في الكتاب مرتبة أبجدياً ومشروحة	843
• تعريف بالمؤلفين	869
• تعريف بالمترجم	871

تقديم الترجمة العربية

هذا الكتاب إسهام بارز في نهضة البحث الاجتماعي العربي

محمد الجوهرى

الكتابة الجادة في علم الاجتماع باللغة العربية في مصر تقترب الآن من تسعين عاماً، أما التخصص الأكاديمي في تدريس علم الاجتماع فقد بدأ مبكراً جداً، حيث تخرجت أول دفعة من دارسي علم الاجتماع في كلية الآداب - جامعة القاهرة عام 1929. وقد سبق أن كتبنا - وكتب غيرنا - عن تشخيص العوامل والملابسات المسئولة عن تخلف البناء التنظيمي لعلم الاجتماع المصري والعربي^(*).

ولعل من أبرز العوامل التي اتفقت الكتابات السابقة على تحملها مسؤولية هذا الوضع المتعثر للبحث السوسيولوجي النقل غير النقدي عن التراث النظري الأجنبي. ويتساوى في الأهمية مع هذا العامل تقصير علم الاجتماع المصري في دراسة واقع المجتمع المصري. وهو تقصير ناجم عن إهمال تخصص البحث الاجتماعي وظرفه وعملياته. هذا فضلاً عن تقصير المجتمع في توفير الاعتمادات المالية والإمكانيات الضرورية لإنجاز بحوث ميدانية ومكتبة رصينة في ميدان علم الاجتماع. ومن فضول القول أن ننبه إلى أن اضطراد حركة البحث الاجتماعي العلمي وتراكم مخرجه كان يمكن أن يتکفل بإثراء الرؤية النظرية الوطنية الأصلية لعلم الاجتماع المصري. كما كان سيساعد - بالتأكيد - على الحوار الخصب (النقدي الإيجابي) مع التراث النظري السوسيولوجي في الغرب والشرق، بما يثير حرکتی التّنظير والبحث في حقل علم الاجتماع في بلادنا.

(*) انظر على سبيل المثال ما كتبه عزت حجازى، و محمد سعيد فرج ، وكاتب هذه السطور، وغيرهم. راجع : محمد الجوهرى ، قراءة نقدية في تاريخ علم الاجتماع في مصر ، المجلة العلمية لجامعة القاهرة ، العدد الأول ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٧-٥٦.

أزمة البحث الاجتماعي العربي في مصر

ولو ألقينا نظرة مقربة على أزمة البحث الاجتماعي المصري والعربي فسوف نتمكن - بلا شك - من وضع أيدينا على بعض الحقائق / المشكلات التي تغذى هذه الأزمة وتعمل على استدامتها، والتي يمكن أن نجملها فيما يلى:

1 - كان تدريس مواد طرق البحث على امتداد التاريخ الأكاديمي لعلم الاجتماع المصري والعربي يمثل أحجية أو لغزا تعجيزياً . والسبب بسيط واضح كل الوضوح . فالكتابة الرصينة في البحث الاجتماعي - فلسفة وتقنيات - تستلزم أن يتتوفر لصاحبيها خبرة بحثية ميدانية عريضة . ولما كان هذا الأمر عسيرة التحقق في المراحل الأولى من عمر علم الاجتماع الأكاديمي ، كان طبيعياً أن تأتي غالبية الكتابات في هذا التخصص مدرسية ونظرية وقليلة الجاذبية للطلاب . وبذلك كانت بعض الكتب الدراسية في البحث الاجتماعي ، خاصة في خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن العشرين عاماً أساسياً من عوامل تخلف البحث الاجتماعي العربي . وهو الأمر الذي سبز داد اتضاحاً فيما بعد .

2 - لا بد أن نزيد نظرتنا تقريباً وتركيزنا الذي نتعرف على القائمين بتدريس هذا التخصص المهم: البحث الاجتماعي في ذلك التاريخ الباكر . يلفت النظر للوهلة الأولى أن الخبرات البحثية للمعلم الذي يتولى تدريس تخصص البحث الاجتماعي كانت محدودة كما ومتواضعة كيما . بذلك تدعم التسطيح والشكليّة في تدريس طرق البحث الاجتماعي للطلاب المتخصصين في علم الاجتماع . والسبب هنا واضح وبسيط: فقد الشيء لا يعطيه .

3 - وتزداد أزمة البحث الاجتماعي حدة بسبب عامل أكاديمي ، ليس ناجماً في نظرى عن جهل من المسؤولين بقدر ما هو راجع إلى تقصير وإهمال المسؤولين عن تخطيط التعليم الجامعي في توفير الشروط الالازمة التي كان يتعين تضمينها اللوائح الجامعية لأقسام الاجتماع .

لقد تحقّق كاتب هذه السطور بقسم الاجتماع في كلية آداب القاهرة في منتصف خمسينيات القرن الماضي ، وكانت لائحة الدراسة في القسم وقتها تشرط أن ينجز

الطالب في السنة الرابعة دراسة ميدانية (بشكل منفرد أو مع مجموعة صغيرة من زملائه)، تتم مناقشتها - الامتحان فيها - شفويًا. وكان الطالب لا يحصل على درجة الليسانس إلا بعد النجاح في هذه المادة، حتى ولو نجح بتفوق في جميع المواد الأخرى.

ولكن مع التوسيع في التعليم الجامعي، وتقديمه مجاناً لكل راغب فيه (وليس لكل قادر عليه) أصبح مثل هذا الشرط عسير التنفيذ، وتدریجياً، عند أول تعديل للائحة بعد ثورة 1952، تم غض الطرف عنه. وبات تدريس الاجتماع يتم على صعيد نظرى مدرسى جاف لا يلامس الواقع إلا نادراً، إذ من المؤكد أن الظروف لم تدخل علينا ولا على تلاميذنا - ببعض المعلمين «الأساتذة» أصحاب الأفق النظري الواسع، والفكر النقدي، والإحساس بالمسؤولية والدور الوطنى للعلم الاجتماعى، وأخيراً - وليس آخرًا - أصحاب خبرات ميدانية عريضة في البحث الاجتماعى. ولكن لأن أمثل هؤلاء قلة أو استثناء، فإنهم لا يكذبون القاعدة العامة، بل يؤكدونها.

وبسبب تراكم الخبرات البحثية الميدانية لدى ذلك الجيل، ورغم النقص الشديد في التمويل آنذاك، جرت عادة قسم الاجتماع في آداب القاهرة على إجراء دراسة ميدانية كبرى مرة كل سنة. يشرف عليها طاقم من هيئة التدريس ويشارك فيها أعداد كبيرة نسبياً من الطلاب (الجميع كان يعمل متظوعاً). وأذكر من تلك البحوث دراسة مسحية عن بعض قرى محافظة الجيزة المحبوطة في الجامعة (أم خنان، كفر طهرمس، زنين) (إشراف طلعت عيسى، 1957)، وأول دراسة أنتropolوجية ميدانية يجريها فريق بحث كبير (25 طالباً + المشرف والمعدين) على مجتمع قرية «غرب أسوان» التوابية (إشراف محمد الجوهرى، 1975)، وأول دراسة سوسنولوجية مصرية عن سكان المقابر (إشراف محمود الكردى ومحمد الجوهرى، 1979). والمقصود بجماعية هذه البحوث أن الطلاب والمعدين كانوا شركاء للمشرف في تصميم البحث، وجمع البيانات، والراجحات الميدانية، وتفریغ البيانات وإعدادها، وإعداد التقرير النهائي.

إننى أؤكد أن اشتراط إعداد الدارس لهذا التخصص لبحث (أو رسالة مصغرة) يطبق فيها ما تعلمه من تقنيات البحث الاجتماعى، وتكون فرصة نادرة لتدريب من يرغب لاحقاً في إعداد رسالة ماجستير أو دكتوراه في تخصص علم الاجتماع .. أؤكد أن هذا الشرط هو عامل فعال في النهوض بهذا التخصص على الصعيد الأكاديمى،

ومنه إلى الصعيد الاجتماعي العام ، لأن خريجي أقسام الاجتماع هم الذين سيمارسون رسالـة البحـث العـلمـي الاجـتمـاعـي في شـتـى مـراـكـز الـبـحـث الـاجـتمـاعـيـة والإـدـارـات الـحـكـومـيـة والـمـؤـسـسـات الـخـاصـة.

4 - هناك عامل تكميلي ، ولكنه جوهري ، لابد من أخذـه في الاعتـبار إذا أردـنا النـهـوض بـهـذا التـخصـص تـأـلـيفاً وـتـدـرـيسـاً وـتـطـبـيقـاً ، وأـعـنـى بـهـ عـنـصـر التـموـيل . وـيمـكـنـيـ أنـأـقـولـ منـ وـاقـعـ خـبـرـةـ عـرـيـضـةـ بـالـإـدـارـةـ الـجـامـعـيـةـ إنـ مـيزـانـيـاتـ الجـامـعـاتـ (ـوـبـالـتـالـىـ كـلـيـاتـ الـآـدـابـ وـأـقـاسـمـ الـاجـتمـاعـ)ـ تـكـادـ تـخلـوـ بلـ هـىـ تـخلـوـ فـعـلاـ أـحـيـاناـ منـ أـىـ مـخـصـصـاتـ لـتـموـيلـ بـحـوثـ الطـلـابـ الـمـيدـانـيـةـ أوـ الـبـحـوثـ الـتـيـ يـمـكـنـ أنـ تـجـرـيـهاـ الـأـقـاسـمـ أوـ الـجـامـعـاتـ(*).ـ وـمـنـ الإـنـصـافـ القـولـ إنـ بـعـضـ عـمـلـيـاتـ التـطـوـيرـ الـحـدـيـثـةـ لـلـوـائـحـ الـجـامـعـيـةـ قدـ نـصـتـ عـلـىـ ضـرـورـةـ تـنـظـيمـ رـحـلـاتـ مـيدـانـيـةـ أوـ بـرـامـجـ تـدـرـيبـ عـمـلـيـ أوـ مـعـمـلـيـ لـطـلـابـ بـعـضـ أـقـاسـمـ كـلـيـاتـ الـآـدـابـ:ـ كـالـجـغـرـافـياـ،ـ وـالتـارـيخـ،ـ وـالـمـكـتبـاتـ،ـ وـعـلـمـ الـنـفـسـ،ـ وـعـلـمـ الـاجـتمـاعـ...ـ إـلـخـ.ـ وـلـكـنـ هـذـهـ الـبـرـامـجـ مـاـ زـالـتـ تـقـنـقـرـ إـلـىـ التـموـيلـ الـمـنـاسـبـ،ـ وـإـلـىـ تـحـدـيدـ وـزـنـهـ الـنـسـبـيـ فـيـ إـنـجـاحـ الـطـلـابـ وـمـنـهـ رـخـصـةـ مـزاـولـهـ هـذـاـ التـخصـصـ.ـ أـيـنـ هـذـاـ الـوـضـعـ -ـ الرـمـزـيـ -ـ مـنـ وـضـعـ الـبـحـثـ الـمـيدـانـيـ فـيـ الـخـمـسـيـنـيـاتـ وـأـوـاـئـلـ الـسـيـنـيـاتـ كـشـرـطـ حـاـكـمـ للـنـجـاحـ فـيـ لـيـسـانـسـ الـاجـتمـاعـ؟ـ

5 - يمكن أن تطول قائمة العوامل المسئولة عن البحث الاجتماعي بوصفـهـ تـخصـصـاـ علمـيـاـ وـمـهـنـيـةـ يـحـتـاجـ الـجـمـعـ إـلـيـهاـ ،ـ وـلـكـنـنـاـ نـرـىـ مـنـ الـلـازـمـ الـإـشـارـةـ إـلـىـ ظـاهـرـةـ اـسـتـجـدـتـ خـلـالـ ثـمـانـيـنـيـاتـ الـقـرنـ الـمـاضـيـ ،ـ وـلـكـنـهاـ اـزـدـهـرـتـ وـمـاـ زـالـتـ فـيـ آـخـرـ عـقـودـ الـقـرنـ الـعـشـرـينـ وـأـوـلـ عـقـودـ هـذـاـ الـقـرنـ ،ـ وـهـىـ الـمـاـكـتـبـ الـتـخـصـصـةـ (ـالـخـاصـةـ)ـ فـيـ إـجـراءـ الـبـحـوثـ

(*) يمكن للقارئ أن يقدر ذلك إذا استعرضـناـ بـنـوـدـ مـيزـانـيـةـ السـلـفـةـ الـتـىـ قـدـمـتـهاـ الـكـلـيـةـ الـصـرـفـ عـلـىـ رـحـلـةـ غـربـ أـسـوانـ ،ـ وـالـتـىـ يـتـحـتـمـ الـلـتـزـامـ بـهـاـ .ـ وـكـانـتـ إـبـرـادـاتـ الرـحـلـةـ فـيـ مـجـمـوعـهـاـ كـاـلـآـتـىـ :ـ أـولاـ :ـ سـلـفـةـ كـلـيـةـ الـآـدـابـ -ـ جـامـعـةـ الـقـاهـرـةـ (ـ300ـ جـنـيـهـ)ـ مـسـمـعـةـ عـلـىـ الـبـنـوـدـ الـتـالـيـةـ :ـ الـاـنـقـالـ بـالـمـسـكـكـ الـحـدـيـدـيـةـ (ـ85ـ جـنـيـهـ)ـ ،ـ الـاـنـقـالـاتـ الـدـاخـلـيـةـ (ـ90ـ جـنـيـهـ)ـ ،ـ التـنـذـيـةـ (ـ100ـ جـنـيـهـ)ـ ،ـ الـمـبيـتـ (ـ25ـ جـنـيـهـ)ـ .ـ ثـانـيـاـ :ـ سـلـفـةـ اـتـحـادـ طـلـابـ الـكـلـيـةـ (ـ50ـ جـنـيـهـ)ـ دـوـنـ تـحـدـيدـ بـنـدـ الـإـنـقـاقـ .ـ ثـالـثـاـ :ـ مـسـاعـدـةـ صـنـدـوقـ خـدـمـةـ طـلـابـ بـالـكـلـيـةـ (ـ25ـ جـنـيـهـ)ـ .ـ رـابـعاـ :ـ اـشـتـراكـاتـ طـلـابـ وـالـمـشـرـقـينـ (ـبـوـاقـعـ جـنـيـهـيـنـ لـلـشـخـصـ الـواـحـدـ ،ـ بـلـغـتـ 46ـ جـنـيـهـ)ـ ،ـ بـسـبـبـ إـعـفـاءـ طـالـبـيـنـ مـنـ دـفـعـ الـاشـتـراكـ)ـ .ـ

الاجتماعية. وواضح أن سنوات هذين العقود هي التي شهدت تدفق الاستثمارات والقروض الدولية لتنفيذ بعض المشروعات الكبرى. ويعرف كل من له دراية بهذا العالم أن أي مشروع من هذا المستوى يجب أن يحصل على شهادة اجتماعية، تقوم بكل دقة الآثار الاجتماعية التي يمكن أن تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع، والفتات التي قد تتضرر من تلك الآثار السلبية، والإجراءات والسياسات التي يتبعها لمواجهة ذلك.

هذا الموضوع يبدو من الظاهر طيباً لا ضرر منه، بل قد يراه البعض تطوراً صحياً لمسار البحث الاجتماعي ودفعه قوية لدعمه وازدهاره. ولكن المزيد من التدقيق سوف يكشف لنا بوضوح أن العكس هو الصحيح على طول الخط. فكثير من تلك المكاتب لا تضم أصلاً باحثين محنكين على مستوى رفيع في البحث الاجتماعي. بل إن غالبيتها مكاتب هندسية - أو حتى مكاتب تعمل في أي مجال - «تسأجر» متخصصاً لأداء المهمة بموجب عقد خاص محدود. هذا المكتب - بلا مواربة - هو في هذه الحالة يجري البحث بنظام «المقاولة». وهذا «الخبير» الذي تعاقد بدوره إلى «مقاول من الباطن»، يستعين بعدد من الشباب الذين ليسوا في الحقيقة باحثين، بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنهم مجرد جامعي بيانات. ففي هذه الحالة يكون «مقاول البحث» هو المسئول وحده عن رسم خطة البحث ووضع إطارها، وصياغة فروضها، وتحديد المفاهيم الإجرائية، وتصميم أدوات البحث ... إلخ. إننا لسنا بصدد إدانة مثل هذا الأسلوب في العمل، أو هذه النوعية من البحوث، لأنه من المؤكد أن هناك قلة من الأسماء التي يعرفها أهل المهنة ومن يمارسون بحوث تقويم المشروعات هذه بناءً على خبرة، وفي ظل التزام علمي ووطني صارم. ولكن للأسف هذه قلة استثنائية لا تتفق الحكم العام، بل هي التي توكلها، وهي التي تثبت لنا أنه ليس من المستحيل إنجاز بحوث تقويم محترمة، حتى ولو كانت بنظام المقاولة ولحساب صاحب عمل لهدف شكلي، هو في النهاية الوفاء بشرط من شروط هيئات التمويل الدولية.

6 - كنت أؤمن دائماً أن تخصص ومهنة البحث الاجتماعي لن ترتقي وتكتسب دفعـة حقيقة إلى الأـمام إلا بجهـد مؤسسـات البحث الاجتماعي، كالـمركز القومي للبحـوث الاجتماعية والجـانـانية، وأـكـادـيمـية الـبحـث الـعلـمي، والـمـالـسـات الـقومـية المتـخصـصة وغـيرـها. كما تعانـى كـثـيرـ من تلكـ الجـهـاتـ من قـلةـ التـموـيلـ رغمـ ثـرـانـهاـ بالـكـفاءـاتـ. وـمنـ انـصرـافـ

جهد باحثيها إلى إنجاز البحوث الالزمة للترقية، أو التدريس ... إلخ دون التركيز بالقدر الكافى على البحوث الميدانية والتطبيقية.

7 - أشرت فى كتابات سابقة إلى أهمية وخطورة مشكلات التأليف والنشر فى مجال العلم الاجتماعى فى التأثير على كيان ذلك العلم وعلى مساره فى المستقبل. وقد خلصنا من ذلك العرض - الذى رصدنا فيه وضع هذه المشكلة منذ عشرين عاماً، والذى ما زال ماثلاً، بل إنه ينقام - خلصنا إلى أن وضع قضية النشر فى نطاق علم الاجتماع المصرى يختلف عن وضع نفس القضية فى حقل علم الاجتماع فى البلاد الأكثر تقدماً. فالمؤلف الأمريكى أو الأوروبي ينشر إنتاجه وتقارير بحوثه وتأملاته النظرية وسائر إسهاماته العلمية فى صورة مقالات فى الدوريات العلمية أساساً، بينما يتطلب تأليف الكتب الدراسية تمويلاً وإمكانيات ليست متاحة للجميع.

ولكن الفقر الشديد للساحة الثقافية المصرية فى المجالات الثقافية والعلمية المتخصصة، علاوة على الإغراء المادى لنشر الكتب قد خلق عندنا صورة معاكسة لما يحدث فى الخارج.

وكان من الطبيعي أن يؤدى ذلك إلى سير علم الاجتماع فى حلقة مفرغة، فالتلخيص والترجمة وإخراج الكتب يدفع صاحبها بعيداً عن مشقة العمل الميدانى (وهو دارس مجتمع !!)، ثم إن نقص الخبرة الميدانية - بل وانعدامها كلية فى أحيان كثيرة - يدفع صاحبه إلى الانكباب على تأليف الكتب الدراسية ... وهذا بدوره يزيده بعضاً عن البحث. وهكذا تكمل الدائرة وتحكم حصارها حول أصحاب هذا العلم.

ولو أن هذا حدث فى ميدان منعزل من ميادين المعرفة، أو فى تخصص بعيد عن اهتمام الناس، أو فى موضوع من الموضوعات التى أبلغاها الكتاب، لجاز أن يمر دون أن يحدث أثراً، أو يخلق مشكلة. ولكن المأساة أن هذا التطور المؤلم قد حدث فى حقل من أكثر حقول المعرفة الإنسانية حيوية وأشدتها اتصالاً بحياة الناس اليومية وألزمها لكل نظام مستدير وعصري من نظم الحكم.

أما البحوث الميدانية فظلت أمداً طويلاً على تخلفها، بل تعرضت فى بعض الأحيان للمسخ والتلوين، حيث اندفعت بعض رسائل الماجستير والدكتوراه إلى استخدام تقنيات

البحث الميداني دون تدقيق أو إتقان. وعجزت في أغلب الأحوال عن الربط الناجح والكافء بين النظرية والبحث. إذ كان الباحث ينطلق إلى موضوعه دون رؤية نظرية مسبقة، ثم ينغمس خلال البحث في «مفردات» موضوعه وجزئياته، ولا يرى الغابة التي يمشي وسطها من كثرة الأشجار حوله. فيخرج في النهاية بنتائج جزئية لا تسهم في بلورة أي إطار، ولا تقدم إضافة لبناء العلم، ولا ترفع علم الاجتماع أو أهله درجة إلى أعلى.

خطوات على طريق النهوض بتخصص

البحث الاجتماعي

سارت أبرز تلك الخطوات في اتجاهين:

الأول هو تصدى بعض الأساتذة لإعداد كتب دراسية في تخصص طرق البحث الاجتماعي. طبعي أنها تتفاوت من حيث درجة الجودة ومستوى الإهاطة والشمول وكثافة الشواهد الميدانية والنماذج التي تحتويها من بحوث اجتماعية أجريت بالفعل أو يمكن أن يجريها الدارس قارئ تلك الكتب. وعلى الرغم من كل هذا استطاعت تلك الأعمال أن تطور تخصص البحث الاجتماعي وشرعيه وتفتح أمامه آفاقاً جديدة. ذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - كتب عبد الباسط حسن، ومحمد علي محمد (رحمه الله)، وعلى جلبي، وغريب سيد أحمد، والسيد خيري، وفتحي أبو راضى، وعبد الحميد عبد اللطيف، وأحمد زايد، وكاتب هذه السطور، وغيرهم.

وقد صدرت تلك الأعمال على امتداد نحو أربعين عاماً، وما زال بعضها يطبع - بنفس نصه أو بعد تحريره - حتى اليوم. ويمكن القول إنها جميئاً تعانى - بما فيها مؤلف كاتب هذه السطور - من نواحي قصور تنوع وتتفاوت جسامته من عمل آخر. وأشار في هذا الصدد إلى نموذجين اثنين من نواحي القصور هذه:

1 - أن النسبة الغالبة من بحوث العلوم الاجتماعية أصبحت تجرى اليوم اعتماداً على بيانات ثانوية. والسبب في ذلك نقدم أنشطة جمع البيانات بصفة دورية، أو بشكل إلزامي (كما في التعدادات) في دول العالم المتقدم وإتاحتها للباحثين بكل سهولة وبشكل مجاني تقريباً. فلم يعد الباحث مطالباً بأن يجمع - في كل مرة - بياناته بنفسه، نظراً

لوجود ذلك الكم الهائل الذى تتيحه الإدارات الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة. وكثير منها - كما سنطالع فى الكتاب الذى بين أيدينا - متاح على شبكة الإنترنت. وهذا النوع الجديد من البيانات الثانوية كان ثمرة من ثمار تقدم نظم الإحصاء والاهتمام المعاصر بجمع البيانات الرسمية المنظمة، والتطور الهائل فى نظم رسم السياسات الاجتماعية، واستقرار نظم الحكم الديمقراطي التى تقوم على الشفافية، والمتابعة والتقويم المستمر، وأخيرا الانفجار المعلوماتى الذى حققه شبكة المعلومات الدولية.

2- برزت مؤخرًا بعض الاتجاهات الجديدة في البحث الاجتماعي التي تأخذ بمبدأ ديمقراطية البحث، أي ضرورة مراعاة بعد القوة بين الباحث والمحبوث في عملية البحث. فلم يعد الباحث هو الطرف الأقوى الأكثر علما وخبرة وحكمة، وليس المحوث مجرد «مصدر معلومات» ليس عليه سوى أن يدلّى بما يسأل عنه من بيانات. المحوث لم يعد يسمى بهذا الاسم، وإنما أصبح يسمى «شريك البحث»، وهي ليست اعترافاً لفظياً بدوره فحسب، وإنما تعنى أنه يجب أن يعرف - قبل أن يقرر المشاركة بالإدلاء بالبيانات - كل شيء عن موضوع البحث، وخطته، وعن مصير البيانات التي ستجمع منه . . . إلخ^(*).

هذه الرؤية الجديدة لديمقراطية العملية البحثية أثمرت اهتمامًا معاصرًا بالبحث الكيفي، فتغيرت النظرة إليه ولم يعد البحث الاجتماعي «استماره» لجمع البيانات، وعمل عدد من الجداول، والكشف عن الرابطة بين بعض التغيرات، وبلورة بعض النتائج. وقد يحدث كل هذا - بل هو يحدث أحياناً - دون أن يقودنا إلى فهم حقيقي لكل أبعاد الظاهرة المدرستة.

الثاني أن نهضة البحث الكيفي قد فتحت مجالات جديدة وقدمت أدوات جديدة مهمة وحاصلة للبحوث الاجتماعية، كفلت للباحثين المعاصرين فهم الدلالات الاجتماعية لتلك البحوث. ويأتي في مقدمة تلك المجالات والأدوات بحوث الوثائق والبحوث التي تعتمد على السرد، أو دراسة المواد الشفافية التي يدلّى بها المشاركون (المحوتون)، أو الحالات . . . إلخ، وجميعها تقنيات جديدة تكفل لنا الفهم المكتمل للظواهر والمشكلات المدرستة.

(*) انظر مثلاً: هن - بيرر وليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقدير: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، (الكتاب الثالث من سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين).

سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين

نافذة للدارس العربي على التقدم العلمي

هذه السلسلة مشروع كبير لترجمة أمهات الكتب العلمية الأساسية في مجالات فروع العلوم الاجتماعية، وهو المشروع الذي يجري تنفيذه في رحاب المركز القومي للترجمة بالقاهرة، منذ أكثر من ثلاثة سنوات. وقد انتهى العمل فعلاً في نحو عشرة كتب من هذه السلسلة، ساهم كاتب هذه السطور في ستة منها (ثلاثة صدرت فعلاً وثلاثة أخرى في المطبعة الآن).

ويتبني المشرفون على متابعة المشروع نظرة حدايثية تؤمن بوحدة وتضاد العلوم الاجتماعية، التي كانت تتصارع حتى عهد قريب دفاعاً عن الحدود الفاصلة بين بعضها البعض.

وعلى هذا الأساس تم تشكيل اللجنة الاستشارية القائمة على متابعة المشروع (برئاسة الدكتور فيصل يونس) وتضم أعضاء من تخصصات علم النفس، والتاريخ، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا. وهم لا يمثلون تخصصاتهم وحدها، ولكنهم يتبعون تلك النظرة التكاملية إلى العلوم الاجتماعية. ويؤكّد ذلك ويدلل عليه اختيارهم للأعمال التي تقرر فعلاً ترجمتها في إطار هذا المشروع.

والحقيقة أن مشروعنا كهذا قد تأخر كثيراً؛ لأن الوطن كان يحتاج إليه أشد الاحتياج على الصعيدين الأكاديمي والاجتماعي السياسي العام. فالكتب المقرر ترجمتها يشترط فيها أن تخدم الباحثين في تلك التخصصات وكذلك طلاب الدراسات العليا فيها. فهو لا يمارسون البحث العلمي - بحكم موقعهم - وعليهم أن يكونوا متابعين لأحدث تيارات البحث في مجالهم، ولكن إمكانياتهم اللغوية الأجنبية قد لا تساعفهم، كما أن عملية إيفاد البعثات الدراسية إلى الخارج قد تراجعت بشكل حاد، الأمر الذي يعني أن تمثل كتب هذا المشروع نافذة لأولئك الباحثين والطلاب على اتجاهات العلم الحديث في العالم. ولكن كل ذلك لا ينفي أو يتعارض مع أن توجه تلك الأعمال المترجمة - في الوقت نفسه - للجمهور المثقف العام المتتابع لثقافة العلم العولى المعاصر.

أما عن رسالة هذا المشروع فقد عرضها فيصل يونس (المشرف على المشروع) موضحاً أنها تخدم عدداً من الأهداف:

- 1 - تقديم مجموعة من الكتب الأساسية في العلوم الاجتماعية ترتكز على النظريات والمناهج المعاصرة في العلوم الاجتماعية المختلفة.
- 2 - تمكين القراء من فهم هذه التوجهات النظرية والمنهجية واستيعابها، ومعرفة مصطلحاتها باللغة العربية للدارسين، الأمر الذي يساعدهم على التقدم ، في مراحل لاحقة، إلى قراءة النصوص الأجنبية في التخصص مسلحين بفهم أعمق للمصطلح والنظرية والمنهج، مما ييسر عليهم استيعابها وفهمها.
- 3 - أن تناح هذه الترجمات بأسعار في متناول شرائح الدارسين الأقل دخلاً بما يسهل عليهم الحصول على أكبر عدد منها.

هذا الكتاب

من الصعب أن أتحدث في هذا الحيز المحدود عن نقاط القوة التي يتميز بها هذا الكتاب ، والتي يتتفوق بها على سائر مداخل البحث الاجتماعي . ولذلك أدعو القارئ الكريم أن يبدأ التعرف على هذا الكتاب من المقدمة الممتازة لمؤلفيه العظيمين . وألفت النظر إلى عدد من الأدوات المساعدة التي استعان بها المؤلفان لتوصيل رسالتهم . فسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلى :

- أمثلة من الحياة الواقعية لمساعدة القارئ على فهم القضايا التي يجري طرحها في كل موضع .
- أمثلة من «بحوث أجريت فعلاً» (البحث الواقعى)، أي أمثلة من البحوث التي نفذها الباحثون الاجتماعيون بالفعل في تشكيلاً عريضة ومتعددة من فروع العلم الاجتماعي .
- مربعاً أو «براويز» مخصصة لمزيد من التأمل في الموضوع (فكرة في هذا الموضوع)، وهي أمثلة وأفكار من شأنها أن تحمل القارئ الدارس على التفكير بمزيد من العمق في هذا الموضوع .

• بحثك الذى تقوم به ، ويشمل ذلك: الأسئلة ، والأنشطة ، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثى الذى تجريه .

• ما هو ... أو ما هي... : وهى ت Saulات تقدم تعريفات لصطلاحات البحث الاجتماعى .

دليل عملى للباحثين

يتناول هذا الكتاب موضوع إجراء البحث الاجتماعى ، وهو موضوع نشرت فيه مئات المؤلفات الجيدة . ولكن ما يتسم به هذا الكتاب من طبيعة عملية هي التى تمثل نقطة قوته الكبرى (سواء فى لغته الأصلية أو فى ترجمته العربية) . ويؤكد مؤلفاه على طابع الكتاب كدليل عملى يستهدف توجيه عمل الباحثين: «ورغم أنه موجه خصيصاً لمن يقومون بالبحث الاجتماعى للمرة الأولى ، فإننا نتصور أن الباحثين الأكثر خبرة وتمرساً بالبحث قد يجدون فيه دليلاً مثالياً لتنفيذ البحوث الأكثر تقدماً والأعلى مستوى».

ويطلب المؤلفان من القارئ أن ينظر إلى هذا الكتاب بوصفه مجموعة متكاملة من الأدلة التى تخدم المراحل الخمس المحددة لأى بحث ، وهى: 1 - التفكير فى موضوع البحث ، 2 - الإعداد لإجراء البحث ، 3 - جمع البيانات ، 4 - تحليل البيانات ، 5 - عرض البيانات وكتابه تقرير البحث (وهذه المراحل الأساسية هى نفسها أبواب هذا الكتاب) .

البناء المحكم للموضوع والكتاب

هذا كتاب ضخم - بالنظر إلى وظيفته دليلاً عملياً - ولكنه عمل متamasك شديد الإحكام . فهو يتكون من خمسة وثلاثين فصلاً موزعة على خمسة أبواب . وهو أمر يbedo شديد التشعيّب والتفرّيع ، ويؤوّحى بالإغرار فى عرض تفاصيل ودقائق كل موضوعات طرق البحث وما قد تثيره من مشكلات أو صعوبات فى وجه الباحث .

ولكن اللافت أن البناء الموضوعى للكتاب قد جاء مذهلاً ، بسبب إحكامه وترتبط

فصوله. فأول فصول الكتاب يبني على بقية الفصول والأبواب ويشير إليها وينبه إلى دورها، بل إن كل فصل يحتوى عشرات الإحالات إلى بقية فصول الكتاب . وهكذا الأمر فى كل حالة لأن المؤلفين يتبنىان «نظرة كليلة» إلى مشروع البحث (راجع مثلا الفصل الأول من الباب الثاني، وعشرات المواقع الأخرى).

هذا كتاب لعصر الإنترنٌت والحواسيب

تضطلع شبكة الإنترنٌت بدور حيوى في دعم قارئ الكتاب بتوفير مادته العلمية في موقع خاص على الشبكة، وعدة مواقع لتلقي الأسئلة والتکليفات الدراسية، واقتراح موضوعات للبحوث . . . إلخ. كما يتلقى الموقع ردود الباحثين والطلاب على الأسئلة وكتاباتهم التي أجابوا فيها عن مختلف التکليفات («الواجبات») العلمية . . . إلخ. كل ذلك يتم بشكل تفاعلى لا ينقطع على مدار الساعة، ويخدم كل سكان العالم من يهتمون بالبحث الاجتماعي.

فضلا عن ذلك أفاد المؤلفان في الحديث عن طرق جمع المعلومات من المبحوثين عبر الحاسوب (بواسطة : الاستبيان ، وال مقابلة ، وجماعات المناقشة . . . إلخ). والأهم من ذلك الوصف المسهب لاستخدام إمکانيات الحاسوب ، والحرص على الاستفادة القصوى من تلك الإمکانيات (خاصة تلك التي تتبعها حزم البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية مثل SPSS وإن فيفو Nvivo وغيرهما).

وقد حرص المؤلفان على دعم شرحهما لأى فكرة أو قاعدة، أو خطوة علمية بشواهد من البحوث والخبرات البحثية. هذا فضلا عن توجيه القارئ بشكل مستمر إلى مصادر المعلومات . وبديهي أن يحيل الكتاب القارئ إلى الواقع الإلكتروني الذي يمكن أن تفيده على امتداد الفصول.

وإنى أرى أن مثل هذا التوجه نحو الشبكة ونحو الاستعانة بالحاسوب ليس جديدا على الكتابات العربية في علم الاجتماع فحسب ، ولكنه جديد وغير مسبوق - في هذا القدر من التفصيل ودقة التوجيه - في الكتابات الأجنبية نفسها . ومن فضول القول أن أشير إلى الجهد الذى بذل فى ترجمة مصطلحات هذا الميدان الجديد الذى تتغير مفاهيمه وعملياته كل صباح . وأرجو أن تكون النتيجة التى تحقق نافعة للقارئ ويسيرة عليه.

وبعد

إنتى أنظر بغير قليل من الأسى إلى أطفال وشباب هذه الأيام وهم يمضون الساعات الطوال في الإبحار - ليلاً ونهاراً - في موقع الانترنت، بحثاً عن طرائف، ومشاهدة الأفلام والكليبات، وانغماساً على مدار اليوم في "الدردشة" مع من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم . . . إلخ. إنتا لا نطالب أحداً بالإقلال عن ذلك، خاصة إذا كان لا يسمع ولن يفعل (فهو حرفياً : حاضر أمامك يسمع صوتك ولا يسمع كلماتك ، وبالتالي فالاتصال من طرف واحد). كل ما نريده من خلال هذا الكتاب وأمثاله أن يقنع الشاب اليوم أن هناك إلى جوار الاستخدامات الحالية للإنترنت ، والتي تتمحور حول شتى أشكال التسلية والاستمتاع وقتل الوقت؛ هناك وظائف وخدمات مفيدة - وذات طابع علمي لا يخلو من المتعة - يمكن لكل دارس وباحث ، أو حتى هاو ، أن يفيد منها في الارتفاع بمستواه العلمي وتنمية قدراته الفكرية.

والله الموفق

محمد الجوهرى

القاهرة أول سبتمبر 2012

تنويه مهم للقارئ

يمكنك أن تزور موقع هذا الكتاب على شبكة الإنترنت www.pearsoned.co.uk/Mathews حيث تجد مادة تعليمية قيمة لمساعدة الطالب الذي يدرس هذا الكتاب، وتشمل:

- فيديو لاثنين من جماعات المناقشة المركزية، تجسد أمامك هذه الطريقة المثيرة في جمع المادة.
- فيديوهات مقابلات ، مع نص الحوار الذي دار فيها ، وذلك لتدريلك على عمليات تصنيف وتحليل البيانات المستخلصة من المقابلات.
- بعض العمليات الحسابية الروتينية التي تُعرض بصورة متحركة لكي تطلعك على بعض أساسيات عمليات جمع وتفسير البيانات.
- قوائم وتمارين من الكتاب ، طبعت بصورة مستقلة ، وذلك لكي تقوم باستيفائها ، بحيث ينتهي بك الأمر إلى رؤية مشروعك بصورة مكتملة.
- تمارين على عمليات اتخاذ القرار بصورة تفاعلية تستهدف مساعدتك على اختيار أنساب طرق البحث لتنفيذ مشروعك.
- نماذج لبعض الاستبيانات الحقيقة (التي استخدمت فعلاً في بحوث سابقة) ، وعينة من قاعدة بيانات بالنتائج بنظام Excel ، بحيث تتيح لك التمرن على عملية وضع الأسئلة وعلى مهارات التحليل.
- روابط مفصلة لواقع على الإنترنت خاصة ببعض الهيئات التي يمكن أن تقدم لك العون للتقدم في مشروعك البحثي.
- مسرداً إلكترونياً (قاموساً مصغرًا) لشرح بعض المصطلحات الأساسية.
- بطاقات خاطفة تحوى أسئلة لاختبار مدى فهمك للمصطلحات الأساسية.

شكر وتقدير

نقدم بكل الشكر والتقدير للسادة الآتية أسماؤهم الذين تفضلوا بقراءة مخطوط الكتاب ولما قدموه من تعليقات متعمقة وبناءة ، وهو الأمر الذى أسهم فى تشكيل مضمون هذا الكتاب بالصورة التى خرج بها .

Ann-Katrin Backlund, Lund University

Fred Cartmel, University of Glasgow

Pauline Dooley, University of Gloucestershire

Jonas Edlund, Umea University

Robert Evans, Cardiff University

Alice Feldman, University College Dublin

John Gelissen, University of Tilburg

Sheila Gilford, Staffordshire University

Jeni Harden, Edinburgh Napier University

Emma Head, Keele University

Adam Hedgecoe, University of Sussex

Monica Magadi, City University

Julian Matthews, University of Leicester

David Orr, University of Central Lancashire

Faiza Qureshi, Anglia Ruskin University

Emma Uprichard, University of York

Jon Warren, Durham University

مقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوع إجراء البحث الاجتماعي، وهو أمر جذاب ومثير ويشرى المعرفة، وينير العقل. وقد يستغرق القيام بالبحث الاجتماعي وقتاً طويلاً، وقد يمثل تحدياً للباحث، كما قد يؤدى - في بعض الأحيان - إلى الإحباط أيضاً. وهو الطريقة التي بها نكتشف كيف يعمل العالم الاجتماعي.

وهناك كثرة من الكتب التي تدعى أنها تعلمك كيفية إجراء البحوث في العلوم الاجتماعية. ويزعم هذا الكتاب أيضاً أنه يسعى لتحقيق نفس الهدف ، فهو دليل علمي - بحق - لتجيئه عمل الباحثين ، ورغم أنه موجه خصيصاً لمن يقومون بالبحث الاجتماعي للمرة الأولى ، فإننا نتصور أن الباحثين الأكثر خبرة وتمرساً بالبحث قد يجدون فيه دليلاً مثالياً لتنفيذ البحوث الأكثر تقدماً والأعلى مستوى .

ويقوم المؤلفان كلاهما بتدريس تخصص طرق البحث في كلية العلوم الاجتماعية جامعة برمجهايم ، كما أنهما وظفاً خبرتهما التي جمعاها كمدرسین وباحثین ودارسین في ابتكار كتاب يسير الفهم بأخذ بيده مباشرة خلال العملية البحثية ابتداءً من الأفكار الأولية التي تراودك عن البحث وانتهاءً باستكمال تنفيذ المشروع ، سواءً أكان هذا المشروع رسالة علمية مجازة أو كان عملاً منشوراً ، في صورة كتاب أو مقال علمي أو نحو ذلك . وعلى امتداد هذا الطريق ستتجدد أمثلة مستمدّة من عدد كبير من مختلف مجالات العلم الاجتماعي التي توضح كيفية استخدام البحث في «العالم الواقعي» ، وتستعرض الفرص المتاحة لك لتزكي كيف يمكنك الانتفاع بهذه التقنيات (الأساليب الفنية) في مشروعك البحثي .

وليس هذا الكتاب مصمماً ليقرأ من الغلاف للغلاف في جلسة واحدة . فالآخرى أن تتصوره باعتباره مجموعة متكاملة من الأدلة (جمع دليل) التي تخدم خمس مراحل محددة للبحث هي :

- التفكير في موضوع البحث .
- الإعداد لإجراء البحث .
- جمع البيانات .

• تحليل البيانات.

• عرض البيانات وكتابه تقرير البحث.

ويضم كل باب من أبواب الكتاب عدداً من الفصول المتراطبة. وعلى امتداد الكتاب كله ستجد إحالات إلى فصول أخرى في الكتاب (مثلاً: الفصل 2 من الباب 1، والفصل 3 من الباب 2، والفصل 4 من الباب 3 . . . وهكذا)، ومن شأن ذلك أن يساعدك على تحقيق أفضل استفادة ممكنة من دراستك لهذا الكتاب.

وسوف تتبين على امتداد هذا الكتاب أننا ننظر إلى البحث باعتباره عملية، أي مهمة مستمرة (رغم أنها مولفة من مراحل متراطبة قليلة العدد) ومتواصلة مع بعضها. ومن شأن ذلك أن يساعد القارئ على أن يدرك - مثلاً - أن من الحال الاكتفاء بجمع البيانات «قط». فلا بد أن يفهم الباحث أن هذه المعلومات وهذا البحث لا يوجدان في فراغ، بل يعتبران جزءاً من كل أكبر حجماً يندرج فيه أسلوب تفكيرنا في أنفسنا وفي عالمنا الاجتماعي، وفي أفكارنا وأرائنا النظرية، كما تدرج فيه القضايا العملية ذات الطبيعة الأكثر مباشرة، مثل قضية تصميم الاستبيان أو تحليل البيانات الإحصائية. ويتم التأكيد طوال الكتاب على أهمية هذه الصلات وعلاقات الارتباط بأسلوب يساعد القارئ على أن يستوعب كلًا من الدلالات الفردية لكل جزئية والطريقة التي بها ترابط هذه الجزئيات بعضها ببعض.

ويمكن القول - على وجه العموم - إن ما يتم به هذا الكتاب من طبيعة عملية هي التي تمثل نقطة قوته الكبرى ، إذ إنه قادر على إدراك كيف تستخدم الكتب الأخرى مختلف النظريات والتقييمات (وكيف تعمل تلك النظريات والتقييمات معاً) لزيادة فهمنا لطريقة عمل العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه ، ولتغيير ذلك العالم بطبيعة الأمر ، جنباً إلى جنب التفكير في الطريقة التي بها تستطيع القيام ببحثك الخاص بك.

وسوف يجد الطلبة الجامعيون الذين يكتبون البحث العلمي الخاص بسنة التخرج أن هذا الكتاب سوف يفيدهم فعلاً. ولا تقصر هذه الفائدة على كونه دليلاً توجيهياً لطريقة إجراء البحث ، وإنما يضم - فوق هذا - ذلك الباب الخاص بعرض نتائج بحثك بعدة طرق وأساليب مفيدة ، ويدعم بشكل عام مجلل عملية كتابة تقرير الرسالة العلمية وعرض ما انتهت إليه من نتائج .

هذا الكتاب

هذا كتاب غير تقليدي إلى حد ما ، لأنه لم يكتب ، كما هو شائع في كتابة الكتب ، إما في صورة عدد كبير من الفصول المتراكبة ترابطا ملماوسا ، وإما في صورة قائمة بالأساليب المختلفة لجمع البيانات . بل إن هذا الكتاب يأخذ القارئ في رحلة - يوجه فيها هذا القارئ نفسه بنفسه - خلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية . إذ يستطيع كل قارئ أن يتخذ لنفسه المسار الذي يناسبه ويختاره هو . ورغم أننا نوصي بأن تستهل عملك - فعلا - ببداية هذا الكتاب ، فإن من المحتمل أن ينتهي بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التي ينتهي عنها الآخرون ، وهو الأمر الذي يتوقف على متطلبات مشروعك البحثي .

الباب الأول: التفكير في موضوع البحث

هذا الباب معنى بسلسلة من القضايا المتراكبة ، التي تدور بالأساس حول طبيعة العملية البحثية ، حيث تناقش - في أول الأمر - طبيعة البحث مع إبراز أهمية ضمان إنجاز البحث بمستوى عال من الجودة . ويعقب هذا فصل يتناول النظريات والنماذج والتوجهات الفكرية ، ثم يربط هذه الأمور غير الملموسة بالعالم الواقعى للممارسة البحثية . بعد ذلك نحوان إمعان النظر في الطبيعة المعقّدة للبيانات جنبا إلى جنب النظر في أساليب استخدام هذه البيانات في إثراء فهمنا أو تصور انتها للحياة الاجتماعية . ويدور الفصل التالي عليه - وهو في الفصل الرابع من الباب الأول - حول البحث في الأساليب التي بها يمكننا طرح الأسئلة ذات المغزى وصياغة التعريفات الإجرائية الواضحة التي يتعمّن بلوّرتها إذا تقرر لعملنا هذا أن يكون موضع اعتناد الآخرين وأن يكون مفهوما لهم . ويقوم الفصل الأخير من هذا الباب بتأمل القضايا الأخلاقية والثقافية الواردة في البحث ، وفحص الأساليب التي يتعمّن اتباعها في معالجة هذه القضايا لضمان الالتزام بالإجراءات السليمة في معاملة المشاركين في البحث (أى المبحوثين) بالتفصير والاحترام ، ولضمان عدم تعريض الأفراد ذوى الظروف الحساسة أو الخاصة لأى خطر ، ولضمان ألا يلحقنا - كباحثين - أو يلحق الآخرين أى أذى .

الباب الثاني : الإعداد لإجراء البحث

هذا الباب يصحب القارئ خلال أولى مراحل «الشغل» في البحث ، حيث يبدأ بمعالجة كيف تخطط مشروعك وينتقل إلى عملية استعراض التراث العلمي المنشور حول موضوع البحث ، وهو جزء من أهم أجزاء عملية إجراء أي بحث . ويناقش هذا الفصل عملية ابتكار نوع من المراجعة النقدية للتراث العلمي حول الموضوع ، محاولاً أن يغطي كل القضايا الخاصة بكيفية العثور على المعلومات ، وكيف تقييمها ، وكيف نضمن تقرير البحث فصلاً مفيداً لاستعراض التراث العلمي المنشور حول الموضوع . وتقوم بقية فصول هذا الباب بإلقاء الضوء على مختلف تصميمات البحث ، حيث تبحث هذه الفصول كيف يمكنك توظيف هذه التصميمات لصالح بحثك ، كما تقوم بتقليب أوجه النظر في موضوع كيفية اختيار طرق البحث التي تتلاءم مع مشروعك البحثي . كما أنه من الطبيعي أن تتناول هذه الفصول المعركة الفكرية المتواصلة بين «المناهج الكيفية في مواجهة المنهج الكمي» ، وكذلك مناهج البحث المختلطة التي تجمع بين الكيفي والكمي . وينتهي هذا الباب من الكتاب بفصول تتناول موضوع اختيار العينة ، وهو الأمر الذي تكون الإهاطة به ذات أهمية خاصة إذا كنت تريده أن تستخرج بعض التصميمات من بحثك ، كما تتناول هذه الفصول موضوع كيف تكتب خطة البحث .

الباب الثالث: جمع البيانات

يتحدث الباب الثالث عن عمليات جمع البيانات ويناقش مسألة المهارات المطلوبة لهذا الجزء ذى الطابع العلمى الشديد من أجزاء العملية البحثية . ثم ينتقل بعد ذلك إلى بحث أهم أساليب جمع البيانات ، والتى تضم استخدام الاستبيانات ، وجماعات المناقشة المركزية ، والمقابلات ، واللاحظة ، والوثائق ، والصور القلمية الموجزة vignettes ، والبيانات الثانوية ، وجمع البيانات السردية . ويحتوى كل فصل من فصول هذا الباب على تفصيلات عن العمليات المذكورة فيه ، وعلى نماذج من البحوث الواقعية ، وعلى مزايا ومثالب (عيوب) كل أداة من هذه الأدوات . وقد عرضنا كل فصل من هذه الفصول على نحو يسمح لكل قارئ أن يختار الأسلوب الأكثر ملائمة لبحثه . وتتضمن

هذه الفصول تمريرات تفاعلية وتمريرات تأملية مجتمعة معاً بجانب أمثلة متعددة مستمدّة من الحياة الواقعية لمساعدتك على فهم هذه القضايا المعقّدة وعلى تحديد الاختيارات المناسبة لعملك. ينتهي هذا الباب بفصل عن جمع البيانات إلكترونياً (أى: عبر استعمال الكمبيوتر) وهو مجال يتّنامى بوتيرة متّسّارة.

الباب الرابع: تحليل البيانات

نعتقد أنّ هذا الباب الرابع من الكتاب هو أشدّ أجزاء الكتاب تعقيداً. ولا يقتصر هدف هذا الباب على وصف الإجراءات الضروريّة لتحليل البيانات ، بل يشمل كذلك على ضممان أن يكون لهذا التحليل هدف معين يسعى إليه . وهكذا ينتهي الباب بفصل (الفصل العاشر من الباب الرابع) يتناول موضوع استخلاص النتائج ويُكفل ألا يتّسّاءل الناس قائلين «وماذا بعد؟» عندما يطّلعون على نتائج أحد المشروعات البحثيّة .

ومع ذلك فإنّ مستهل هذا الباب يتطرق إلى الحديث عن الأسباب الداعية للتحليل (إذ يبدو أنّ كثيراً من الباحثين يتّصوّرون أنه يكفي جمع البيانات وعرضها . ولكن الأمر ليس كذلك أبداً). كما يستعرض الأسس التي تقوم عليها هذه العملية . ويتّنقل هذا الباب ليتناول في فصل مستقل كيفية التعامل مع البيانات التي نجمّعها ، وهو الفصل الذي يولي اهتماماً خاصاً للفروق والاختلافات بين البيانات المقتننة والبيانات غير المقتننة ، كما يتناول كيفية التصرّف في بياناتك . ويتّنقل بعد ذلك - من خلال مجموعة من الفصول - إلى تناول الأساليب والإجراءات المختلفة للتحليل . وال المجالات الرئيسيّة التي عرضنا لها هي: مجال التحليل الإحصائي (الفصل الثالث) ومجال تحليل الفكر المورّية لموضوع البحث (في الفصل الرابع) ، حيث إنّ هذين النوعين من التحليل هما أكثر الأساليب شيوعاً لدى الباحثين . وثمة فصول أخرى تتناول أساليب التحليل الأخرى التي تشمل - من بين ما تشمل - : أسلوب التحليل السردي ، وتحليل الخطاب ، وتحليل المضمون ، والنظرية المونقة . ويُضطّلّع فصل مستقل بمهمة تأمل موضوع استخدام الكمبيوتر في كل من التحليل الكمي والتحليل الكيفي .

الباب الخامس: عرض البيانات وكتابة تقرير البحث

يتحدث هذا الباب الأخير من الكتاب عما يتعين أن يحدث بعد أن يتم استكمال البحث نفسه، أعني بذلك ما يتعين عمله بالنتائج، بدءاً بمناقشة أهمية الجمهور الموجه إليه البحث، وهي خطوة أولى وحاسمة في كيفية عرض بياناتك داخل إطار مختلفة وبيانات مختلفة، وكيفية تقديمها لأفراد مختلفين.

يتناول الفصل الثاني من هذا الباب موضوع الكتابة والبحث. وهو يولي اهتماماً خاصاً بالتقنيات العملية ويقدم نصائح وتوجيهات فيما يتصل بكتابة تقارير البحث والرسائل العلمية الجامعية. كما يعالج أسباب قيامنا بهذه المهام والأنشطة المختلفة، وكيفية تنظيمك وتخطيطك لهذا النوع من العمل. ويمكن للأمثلة والدروس المستمدة من هذا الفصل أن تطبق بطريقة مفيدة على معظم ما يقوم به الدارسون من كتابة التقارير والحكم على قيمتها العلمية والعملية.

ويعني الفصل الثالث من هذا الباب بالنظر في التقنيات الخاصة بعرض البيانات مع تأكيد خاص على الممارسات التي تشهد حالياً مزيداً من الرواج والانتشار، والتي تضم: أشكال العرض الشفاهي، وأشكال العرض باستعمال المصفقات. ويتناول الفصل الأخير من هذا الباب موضوع نشر بحثك بين جمهور أوسع نطاقاً، كما يلفت النظر إلى أن المشروع البحثي لا يمكن في الواقع أن يكون كاملاً ونهائياً أبداً، إذ يوجد على الدوام مجال لإجراء مزيد من البحث في المستقبل.

وسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلى:

- أمثلة من الحياة الواقعية لمساعدتك على فهم القضايا التي يجري طرحها في كل موضوع.
- أمثلة من "بحوث أجريت فعلاً" (البحث الواقع)، أي أمثلة من البحوث التي نفذها الباحثون الاجتماعيون بالفعل في شكلية عريضة متنوعة من فروع العلم الاجتماعي.
- مربعات أو "براويز" مخصصة لمزيد من التأمل في الموضوع (فتر في هذا

الموضوع)، وهى أسللة وأفكار من شأنها أن تحملك على التفكير بمزيد من العمق فى هذا الموضوع.

• بحثك الذى تقوم به، ويشمل ذلك: الأسللة، والأنشطة، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثي الذى تجريه.

• ما هو... أو ما هي... : وهى تساؤلات تقدم تعريفات لمصطلحات البحث الاجتماعى.

إننا واثقون من أنك ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافياً في عرضه، ونافعاً لك في عملك. ونأمل أن يؤول بك الأمر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعي، وتوفيه حق قدره، و تستمتع بمارسته.

الباب الأول

التفكير في موضوع البحث

الفصل الأول: ما البحث؟

الفصل الثاني: المعرفة، والنظريات، والنماذج، والتوجهات الفكرية.

الفصل الثالث: طبيعة البيانات.

الفصل الرابع: أسئلة البحث، وفروضه ، وتعريفاته الإجرائية.

الفصل الخامس: البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية.

الفصل الأول

ما البحث؟

محتويات الفصل

- ماهية البحث .
- تعريفات البحث .
- أسباب إجراء البحث .
- الخصائص المميزة للبحث .
- جودة البحث .
- من هم الباحثون الاجتماعيون؟
- الطريق نحو الأمام .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

ما الذي نعنيه بالبحث الاجتماعي ، ولماذا نقوم به؟ في هذا الفصل التمهيدي نبدأ بالتأمل في هذه المسائل عن طريق التفكير فيما نعنيه بالبحث ، والتفكير في بعض التعريفات . وسوف نطرح على القارئ بعض خصائص البحث الاجتماعي وبعض أهدافه ، ونرى أن من المفيد التفكير في البحث الاجتماعي باعتباره عملية تحتاج إلى تخطيط وتنظيم محكم . كيف لنا أن نعرف أن بحثنا الاجتماعي جيد بأى درجات الجودة؟ ولهذا سوف نقترح هنا المعايير المستخدمة في التحقق من جودة البحث الاجتماعي .

ثمة إحساس ما بأننا جميعاً باحثون . ففي كل يوم نطرح أسئلة ونتطلع إلى الحصول على إجابات عليها ، أو نبحث عن تلك الإجابات . من ذلك مثلاً:

- كيف أصل إلى المركز الرياضي؟
- ما الذي سأتناوله في الغداء؟
- إلى أين سذهب لقضاء أيام العطلة؟
- لماذا أصبحت بالصداع؟

في بعض الحالات نعرف أين نجد الإجابة ، وفي حالات أخرى يتبعنا أن نبحث الموضوع محل التساؤل أو نتفحصه بمعزى من التعمق لكي نتمكن من الحصول على الإجابة المنشودة . أما كيف نكتشف المزيد من المعرفة بالموضوع فيعتمد على ما لدينا من إمكانيات وموارد: كالكتب ، والخريطة ، والإنترنت .. وما إلى ذلك . كما نعتمد في ذلك على وجود أفراد نستطيع أن نسألهم ، وكذلك على خبرتنا السابقة بهذا الموضوع .

ومع أننا جميعاً على ألمة بهذا البحث الشخصي الذي نمارسه في حياتنا اليومية ، فإنه لا يكفي لكي يؤهلاً - اللهم إلا قليلاً - للوفاء بمتطلبات وتحديات البحث الاجتماعي الذي سيمكنا من طرح الأسئلة واكتساب المعرفة بالعالم الاجتماعي الذي نحن جزء منه ، وفهمه . وفي هذا الفصل نقدم بعض الخصائص الأساسية لتلك البحوث الاجتماعية ونضع النظر فيما نعنيه بجودة البحث (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) .

ماهية البحث

إن التحدث عن كيفية القيام بالبحث أيسر من التحدث عن ماهية البحث . ويرجع ذلك - جزئياً - إلى أننا جميعاً نتصور أننا نعرف ما البحث ، ولذلك لا نشعر غالباً بأى ضرورة لتعريفه دقيقاً ، وهو تصور ليس مفيداً على الدوام . إن التعريف «بكيفية» القيام بالبحث هي الهدف الأساسي لهذا الكتاب ، لذلك فإننا لا ننوي مناقشة هذا الموضوع الآن .

فکر فی هذا الموضوع

ما أهمية البحث؟

البحث في العلوم الاجتماعية أمر متميز أشد التميز: فهو عملية (سوف نعود لشرح هذا المصطلح المهم فيما بعد) نستخدمها لفهم عالمنا بأسلوب يتجاوز كثيراً مستوى الوصف البسيط، أو الفهم الشائع، أو الحكاية. (Pole and Lampard, 2002, 21)

إن البحث قد لا يزودنا دائمًا بالنتائج التي تتوقعها أو تريدها، بل يعطينا شيئاً مما أشار إليه تولكين J.R.R. Tolkien مؤلف "ملك الخواتم" The Lord of the Rings عندما قال: (وعلى نحو يستحق التقدير):

"... ليس أمامك سوى البحث ، إن كنت تريد اكتشاف شيء ما . ومن المؤكد أنك سوف تكتشف - بعد أن تقوم بالبحث - شيئاً ما عادة ، إلا أنه لا يكون دائمًا نفس الشيء الذي كنت تسعى للوصول إليه".

وعلى مستوى المبادئ الأساسية نؤكد أن البحث هو العملية (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) التي تقوم بها عندما:

- يكون لدينا سؤال مطلوب الإجابة عنه.
- ونحتاج لتحصيل معرفة بشأنه.
- ونريد أن نوسع نطاق فهمنا للعالم الاجتماعي.

تعريفات البحث

تماماً، كما أن البحث يتم إجراؤه في تشكيلة متنوعة من الظروف والبيئات وبواسطة أفراد لهم تصورات متباعدة فيما يتصل بإجراء البحث ولهم دواع مختلفة للقيام به؛ فذلك توجد تشكيلة متنوعة من طرق تعريف عملية البحث نفسها. وسوف نكتفى هنا بتقديم مجموعة مختارة من التعريفات في البرواز المعون: «ما هو ...» أدناه.

(1) ... هو الاستقصاء المنظم، والتنضبط والإمبريقي^(*)، والنقدى للفرض والتى توضع بشأن بعض العلاقات التى يفترض وجودها بين الظواهر (Kerlinger 1970, 8).

(2) «البحث» فى مفهوم اللائحة التى تنظم عملية «تقييم البحوث الجامعية فى المملكة المتحدة»^(**) هو: عملية استقصاء أصيل (مبتكر) يتم القيام به من أجل تحصيل المعرفة وبلغ الفهم. ويغطى مثل هذا البحث أمورا تتصل مباشرة باحتياجات التجارة، والصناعة، وبأعمال كل من القطاع العام والقطاع النطوى، وبقضايا الدرس العلمى، وباختراع وتوليد الأفكار، والصور الذهنية، وفنون الأداء، والأعمال الفنية التى تقوم على التصميم الفنى؛ وهى الأمور التى تؤدى للوصول إلى رؤى جديدة تتسم بالعمق والإتقان الفائق. كما يشمل هذا الاستقصاء الانتفاع

(*) وقد فضلنا إمبريقي على خبروى أو تجربى أو واقعى. ويستخدم المصطلح فى علم الاجتماع استخداما فضفاضا فى الغالب، لوصف نوع من الترجمة فى البحث يؤكد أهمية تجميع الحقائق واللاحظات على حساب تأمل المفاهيم والبحث النظري. أما النزعة الإمبرييقية بمعناها الدقيق فهى الاسم الذى أطلق على التراث الفلسفى الذى تطور - فى صورته الحديثة - فى سياق الثورة العلمية التى شهدتها القرن السابع.

وقد شهد مفهوم الإمبرييقية تطورا خصبا منذ ذلك الحين وحتى القرن العشرين. فقد اتجه الشكل المتميز من إمبرييقية القرن العشرين، وهو ما عرف باسم الإمبرييقية المنطقية أو الوضعية المنطقية عند جماعة فيينا، اتجه إلى معايرة مظاهر عدم اليقين العميق التى روجتها ثورة أول القرن العشرين فى ميدان علم الفيزياء. ويمكن القول على وجه العموم إن أصحاب النزعة الإمبرييقية قد رفعوا مستوى التحقق الإمبرييقى كوسيلة للدفاع عن العلم، وللتتصدى لمزاعم الميتافيزيقا واللاهوت فى المقام الأول، ثم مواجهة المزاعم والأفكار شبه العلمية المعاصرة كالماركسية والتحليل النفسى. وكانت مشكلتها الرئيسية هي أن تؤدي هذه المهمة دون أن تقضى على كل، أو غالبية، أنواع المعرفة العلمية الحقيقة باستخدام نفس المعيار. انظر المزيد فى مادة الإمبرييقية فى موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهرى وزملاؤه، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٢ . (المترجم)

(**) RAE = Research Assessment Exercise.

بالمعرفة المتوفرة فعلاً في عمليات التطوير التجاري التي تستهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسنة تحسيناً فائضاً وإنتاج معدات ومنتجات وعمليات جديدة، بما تتطوّر عليه من تصميم وتشييد (تنفيذ). ومن شأن هذا الاستقصاء أن يستبعد من نطاق اهتمامه مجال الاختبار الروتيني والتحليل الروتيني لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليات الخاصة بالالتزام بالمعايير القومية (للحودة مثلاً)، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة. كما يستبعد هذا الاستقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التي لا تتطوّر على أى بحث مبكر (www.rae.ac.uk, 2008).

(3) البحث عملية تدريجية تتضمن جمع المعلومات وفحصها ونحو ذلك يقوم بالبحث كى نحسن معرفتنا بالعالم الذى نعيش فيه وفهمنا له. ويتضمن البحث - فى الغالب - اكتشاف شيء جديد.

<http://info.cancerresearch.uk.org/cancerandresearch/whatisresearch>

(4) البحث هو تنقيب أو استقصاء موجه لاكتشاف حقيقة ما عن طريق التأمل الدقيق أو الدراسة الدقيقة لموضوع ما. فهو مسار للدرس الناقد أو العلمي. وهو يعني التنقيب (أو التفتيش) عن مادة أو موضوع معين: أى استقصاؤه أو دراسته على نحو دقيق (OED, 1989).

فكرة في هذا الموضوع

ما الأمور أو العناصر المشتركة بين هذه التعريفات؟ اكتب تعريفك الخاص للبحث، وذلك اعتماداً على السمات الأساسية الواردة في المجموعة التي أوردناها من التعريفات.

تضمن كل تعريف مما ذكرنا سابقاً تعريف البحث باعتباره «عملية» أو ممارسة نستطيع بفضلها توسيع نطاق معرفتنا أو العثور على إجابات على أسئلتنا. ومن الأمور ذات الأهمية الحاسمة هنا، أن هذه العملية قابلة للنقل أو التحويل؛ وأعني

بذلك أنها لا تقتصر - في العادة - على موضوع البحث أو على الباحث . وهذه نعمة من الله : إذ لا يتوجب علينا - على الأقل - أن نعيد اختراع العجلة في كل مرة نشرع فيها في إجراء بحث جديد .

أسباب إجراء البحث

يقوم الباحثون بإجراء البحوث لأسباب كثيرة : فقد تكون لدينا فكرة ما عن أمر معين ، ونريد أن نعرف ما إذا كانت صحيحة أم لا . مثال ذلك أنتا قد نعتقد أن حوادث السطو على المنازل تزداد معدلات حدوثها عندما تحدث زيادة في معدلات البطالة . ولكن إلى أن نجمع البيانات ونحللها لإثبات أو دحض هذه الفكرة ، لا يكون بإمكاننا أن نعرف الحقيقة على وجه لا ريب فيه .

البحث الواقعى

السطو على المنازل والبطالة

تنشر وزارة الداخلية «المسح الاجتماعي للجريمة في بريطانيا» كل سنة . وفي سنة 2001 أمعن «ترىسي بذ» Tracey Budd النظر في بيانات هذا المسح وأثبتت أن حوادث السطو على المنازل تزداد في المناطق التي تعانى معدلات مرتفعة من البطالة . للاطلاع على مزيد من التفاصيل انظر : www.homeoffice.gov.uk/rds/prgrpdfs/brf501.pdf.

ولكننا قد نحتاج لتوظيف البحث لأغراض أخرى كذلك . فقد نحتاج - مثلا - إلى التأكد من أسباب حدوث واقعة معينة ، أو قد نحتاج إلى فهم المزيد عن الطريقة التي بها يستجيب الناس للمثيرات والمحفزات الاجتماعية . ولا يوجد - في الواقع - حد لما يمكننا بحثه ، وذلك على الرغم من وجود بعض العوامل الخارجية (عامل الوقت وعامل المال) التي يمكن أن تحد من قدرتنا على إجراء البحث .

الخصائص المميزة للبحث

تعد عملية البحث ، من نواح عديدة ، عملية في غاية البساطة ، إذ إن بالإمكان النظر إليها - في أبسط صورها - باعتبار أنها تتكون من ثلاثة عناصر فقط هي:

1 - السؤال .

2 - عملية البحث .

3 - الإجابة .

ولا ريب أن العنصر رقم (2) هو أشد العناصر تعقيداً ، كما أنه يمثل الهدف الرئيسي لهذا الكتاب (رغم أن أسئلة البحث تعتبر هي الأخرى عنصراً ذا أهمية حاسمة ، وسوف نتطرق إلى مناقشتها في بعض فصول هذا الكتاب ، خاصة الفصل الرابع من هذا الباب).

ما طبيعة البحث؟

طبيعة البحث أنه:

- مقتنٌ وهادف (في جمعه للبيانات وفي تفسيره لها) .
- صارم في دقته .
- متين وقابل للدفاع عنه .
- منظم منهجياً .

طبيعة البحث أنه ليس:

- مجرد جمع المعلومات أو الحقائق (وذلك على الرغم من أن هذا الجمع قد يكون عنصراً مهماً من عناصر هذه العملية) .
- منفصلاً عن الحياة العملية : في بعض البحوث تتناول الأفكار المجردة أو بلورة النظريات ، وتقوم أنماطاً أخرى من البحوث بالسعى لتغيير العالم «الواقعي» وتغيير إحساسنا به أو معايشتنا له ، غالباً ما يكون هذا التغيير نحو الأفضل .

مقتن و هادف

إن البحث ليس مجرد أمر «يحدث فحسب». بل ينبغي أن يكون له هدف على الدوام . (وهذا لا يعني بالضرورة أنه لا بد أن يكون لنتائج البحث تطبيقا عمليا ، رغم أن كثيرا من البحث لا بد أن تكون كذلك. فالتفقيب عن المعرفة المجردة يعد هو الآخر سبيلا مشروعا للقيام بالبحث). ولا يعني هذا أن الوصف ، أو الحكاية ، أو الفهم الشائع لا قيمة لها ولا جدوى ، فهي تشكل إسهاما له أهميته لفهمنا للعالم . إلا أن البحث ينبغي أن يقدم المعرفة التي تكون متباعدة ، ويمكن الدفاع عنها ، ومفيدة أيضا (Pole and Lampard 2002).

صارم في دقته

ينبغي أن يخطط البحث وأن ينفذ بشكل دقيق وصارم ، ولا يقتصر ذلك على المجالات الواضحة المتعلقة بجمع البيانات وتحليلها ، بل يشمل كذلك تلك الأمور الأخرى كالتصميم (الفصل 3 من الباب 2) والاعتبارات الأخلاقية (الفصل 5 من الباب 1).

متين وقابل للدفاع عنه

غالبا ما يكون البحث (خاصة البحث الجامعي) عرضة للنقد من زملائنا أو من جانب الشرفين علينا المكلفين بتقييم بحوثنا كطلاب ووضع درجات لها؛ لذلك لا بد لبحثنا أن يكون قويا في كل عناصره سواء من حيث التصور العام ، أو من حيث التصميم والتنفيذ ، بحيث يستطيع منتقدوه أن يفهموا كيف خلصنا إلى ما توصلنا إليه من نتائج ، وبحيث يستطيع الباحث أن يدافع عن تلك النتائج.

منظم منهجيا

يعنى هذا المصطلح المهم - ببساطة - أن كل شيء جرى تناوله في البحث (الذى يمكن أن يكون أفرادا ، أو حالات ، أو مجموعات بيانات مثلا) هذا الشيء قد تم معالجته بنفس الطريقة.

ليس مجرد عملية جمع حقائق

ليس البحث مجرد عملية جمع حقائق و/أو بيانات وتجميعها معا ووصفها ، إنما هو أكثر من ذلك كثيرا. كما أنه ينصب -عادة- على التفسير ، إلى جانب الوصف التفصيلي أيضا.

جودة البحث

حتى نستطيع أن نقول إن بحثنا صارم في دقته ومتين ، يتبعنا أن نمعن التفكير في قضية الجودة . فما البحث الجيد؟

يمكن للبحوث أن تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الموضوع الذي تتناوله ، والاتجاه النظري الذي تتبناه ، واختيار طرق جمع البيانات ... ونحو ذلك ؛ إلا أن هناك - مع ذلك - بعض المفاهيم الأساسية التي تساعد الباحثين على ضمان أن يستوفى بحثهم معايير الجودة التي يتوقعها غيرهم من الباحثين (والتي يتوقعها - في حالة الطلاب - أساتذتهم المشرفون على مشروعاتهم البحثية) .

البحث الواقعي

معايير جودة البحث

قام بيكر Becker وزملاؤه (2006) بتنفيذ مشروع بحثي معقد لتحديد "الجودة" في بحوث السياسة الاجتماعية . وقد استعملوا عدة طرق بحثية مختلطة ، والتي منها طريقة المسح الاجتماعي الإلكتروني (عبر الاتصال بالكمبيوتر) ، وجماعات المناقشة (المركزة) . وكان مجتمع البحث مكونا من الأساتذة الجامعيين المعندين بميدان السياسة الاجتماعية . وقد نشر بيكر وفريقه (2006 ، ص 5) قائمة تضمنت 36 معيارا من معايير الجودة مرتبة حسب أهميتها . وكانت المعايير الخمسة التي جاءت على رأس القائمة هي :

- 1- أن يكون البحث مكتوبا بطرق تكون مفهومة لدى الجمهور المخاطب بالبحث .
- 2- تصميم البحث على نحو يضمن تركيزه بوضوح على سؤال البحث (أو أسئلته) .
- 3- الشفافية في عمليات جمع البيانات وتحليلها .
- 4- وصف واضح للطريقة التي أجرى بها البحث .
- 5- أن يقدم البحث إسهاما إلى المعرفة .

مفاهيم الجودة

في البحث الاجتماعي توجد أربعة عناصر أساسية لجودة البحث . وسوف نقدم هذه العناصر هنا ، كما سنعود إلى مناقشتها لاحقاً (في الفصل 3 من الباب 1) . وتشمل هذه العناصر الأساس الذي تقوم عليه «أخبارات جودة البحث» التي ستتصادفها عند كل المراحل الأساسية على امتداد هذا الكتاب .

الثبات المنهجي أو الاعتمادية (كما يسمى أحياناً: «القابلية للتكرار»)

يتعين عليك - في حقيقة الأمر - أن تطرح السؤال التالي بخصوص البحث الذي تتوى إجراءه ، وهو :

«هل يمكن لنتائج بحثي أن تتكرر بمعرفة باثنين آخرين يستعملون نفس طرق البحث؟»

ويتوقع الباحثون في العلوم الطبيعية - كعلم الفيزياء أو الكيمياء - مثلاً - أن يحصلوا في العادة على نفس النتائج تماماً عند إعادة نفس التجربة (ومع ذلك انظر البرواز الوارد فيما بعد عن «البحث الواقعى» تحت عنوان «ماذا حدث للاندماج النووي البارد؟»).

أما في العلوم الاجتماعية فإننا نتعامل - في الأغلب - مع البشر ، وليس مع الكيميات أو الأوزان الساقطة . وكل شخص هو فرد ومختلف . وللهذا السبب لن يتوقع باحث سليم العقل الوصول إلى نفس النتيجة تماماً (عند تكرار بحث ما) ، بل ينبغي أن تكون هذه النتيجة متشابهة بالنسبة للمجموعات المتشابهة من الأفراد . ومن الأمور المهمة هنا أن هذا البحث الثابت (منهجاً) الذي يعتد به ليس خصيصة في الباحث ، بل ينبغي لأى باحث أن يستعمل نفس طرق البحث على مجموعة متشابهة من الأفراد إذا أراد أن يتوصل إلى نتائج مشابهة . فالامر الذي يعنينا في البحث الاجتماعي هو

أن على الباحثين الآخرين أن يتوقعوا الحصول على نفس النتائج إن هم نفذوا البحث باستعمال نفس الطرق ، أو يتوقع الباحث الحصول على نفس النتائج إن هو حاول تكرار البحث بنفس الطريقة.

البحث الواقعي

ماذا حدث للاندماج النووي البارد؟

في سنة 1989 أعلن اثنان من علماء الفيزياء - في سولت ليك سيتي بولاية يوتاه - الولايات المتحدة - أنهما قد توصلوا للمرة الأولى إلى إحداث الاندماج النووي الحكومي داخل قبة زجاجية في معملهما (وكانت قد جرت العادة أن ينفذ هذا الاندماج إما في الشمس - كالقنابل الذرية - أو داخل مفاعل نووي بالغ الضخامة، وفائق التخصص ، والخطورة أيضاً). وقد كانت الحرارة المتولدة من هذه التجربة إذانا بالتوصل إلى مصدر جديد للطاقة لاستخدام سكان الأرض ، وإذانا كذلك بنهاية ظاهرة الاحتباس الحراري الكوني ، وبشرى كذلك بالحصول على عوائد مالية ضخمة .

ولسوء الحظ عجز علماء الفيزياء الآخرون عن إعادة تحقيق هذه النتيجة. وعلى الرغم من عدم وجود ما يوحى بأن الباحثين الأصليين كانوا يحاولان - بأي طريقة - تضليل المجتمع العلمي ، فإن تجربتهما أخفقت في تأكيد ثباتها ومصادقيتها ، الأمر الذي أحق بمصادقيتها الشخصية أدنى الضرر .

يرتبط مفهوم الاعتمادية (انظر قائمة المصطلحات) عادة بطرق البحث الكيفية (الفصل 4 من الباب 2)، إلا أنه قابل للتطبيق على معظم الاتجاهات البحثية. وعادة ما يطبق هذا المفهوم على سمة الاتساق في الممارسة البحثية ، وذلك للتأكد - مثلاً - من أن كل البيانات قد تم إدراجها ، وأنه لم تفقد أي بيانات بسبب عيب في أجهزة التسجيل الصوتية ، أو بسبب قصور في أجهزة النسخ أو في كفاءة الأشخاص القائمين بالنسخ (المقصود بالنسخ: نقل البيانات من وسيلة ما إلى وسيلة أخرى مختلفة في طبيعتها).

يتم البرهنة على توفر صفة الثبات (المنهجي) والاعتمادية في أي بحث من خلال كون العملية البحثية والقرارات التي يتخذها الباحث شفافة (انظر قائمة المصطلحات) ومتاحة للأخرين للتدقيق فيها وتمحيصها.

الصدق والمصداقية

يطرح هذا المفهوم الواضح البساطة من مفاهيم الجودة السؤال التالي في الواقع:

هل أقوم فعلاً ببحث الأمر الذي أتصور أنني أبحثه؟

كما يطرح السؤال التالي:

هل البيانات التي أقوم بجمعها ذات صلة بسؤال بحثي (هل ستساعدني في الإجابة عن سؤال البحث أو في اختبار فرضي؟)

ينصب الاهتمام هنا على قرارات الباحث بشأن تحديد ماهية البيانات التي يتقرر جمعها، وتفسير البيانات التي جمعت فعلاً. وعادة ما يشير هذا المفهوم إلى ما إذا كان الباحث يقوم فعلاً - أو لا يقوم - بقياس ما يتصور أنه يقيسه، ومشتغلًا باكتشاف ما يتصور أنه يكتشفه. كما يشير إلى مدى صلة ذلك القياس والاكتشاف بأسئلة بحثه.

فكرة في هذا الموضوع

ما الذي تسأل عنه في حقيقة الأمر؟

كان «التقرير الأسود»^(*) لسنة 1980 (Townsend and Davidson, 1982) أول

(*) هذا تقرير بحث شهير كانت له آثار واسعة على حركة بحوث الصحة والمرض في حقل علم الاجتماع، بحيث كانت ثمانينيات القرن الماضي (البحث انتهى ١٩٨٠ ونشر في سلسلة بنجوين الشعبية ١٩٨٢) هي عصر ازدهار بحوث علم الاجتماع الطبي. وقد أشار الزميل مصطفى خلف إلى التقرير موضحاً أن تسميته بتقرير بلاك راجع إلى اسم أحد باحثيه الرئيسيين، وقد تأكّدنا من عدم صحة هذا الزعم لأن كلاً الباحثين الرئيسيين تاونسند ودافيدسون لا يحمل - لا في اسم العائلة كما نرى - ولا في الاسم الشخصي اسم «بلاك». فهو لذلك «التقرير الأسود»، وليس «تقرير بلاك». وهناك عرف في الكتابات السياسية أن يسمى التقرير أو البيان الذي =

دراسة مفصلة أجريت عن الحالة الصحية للأفراد في الطبقات الاجتماعية المختلفة في بريطانيا. وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التقرير هي أن أعضاء الطبقة الاجتماعية الأدنى المعرضين للوفاة قبل بلوغ سن التقاعد عن العمل تزيد نسبتهم بمقدار مرتين ونصف عن معدل تعرض أفراد الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة.

لو فرض أنك حاولت تحديد عمل هذين الباحثين في وقتنا الراهن ، فهل سيكون كافياً أن تدرس العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة وانتمائهم الطبقي الاجتماعي؟

ما الأمور الأخرى التي قد تكون ذات صلة بالموضوع؟

اكتب بعض أفكارك حول ذلك فيما يلى:

(توجد إجابات مقترحة لهذا السؤال في نهاية هذا الفصل).

من المفاهيم ذات الصلة: مفهوم المصداقية (انظر قائمة المصطلحات). ويتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة في) تفسيرات الباحث للبيانات التي جمعها؛ يتم هذا الاختبار عن طريق شفافية عمليات تحليل وتفسير هذه البيانات . ويتحقق ذلك - مثلاً - عن طريق فحص أو اختبار التفسير المقدم لهذه البيانات مع المشاركين في البحث (أي المبحوثين) أو عن طريق وضع هذه التفسيرات في إطار النظرية الموجودة .

القابلية للتعميم والقابلية للتحويل

يشير مفهوم القابلية للتعميم ومفهوم القابلية للتحويل (انظر قائمة المصطلحات) إلى السؤال التالي:

– يتحدث عن مأسى أو كوارث أو فضائح بأنه تقرير أسود أو كتاب أسود. فهذا الكتاب جاء ليقول للبريطانيين بكل وضوح إن الفقراء لا يتذمرون بفقرهم فقط ، وإنما يذمّهم الرضا ، ويعاجلهم الموت قبل الميسورين . (المترجم)

«إلى أى مدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثي تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟»

وبالنسبة لبعض البحوث تعتمد هذه الدعاوى على بيان أو وصف إحصائي يبين أن بالإمكان النظر إلى النتائج المستمدة من إحدى العينات باعتبارها تصدق - إلى حد ما - على مجمل أفراد المجتمع. وفي حالات أخرى يكون بالإمكان نقل هذه النتائج المستمدة من سياق معين أو في زمن معين - بتطبيقاتها على سياقات أخرى أو أوقات أخرى ، أو يكون بالإمكان إقامة الدليل على أمر ما يتصل بسياق آخر أو يتعلق بوقت آخر عن طريق الرجوع إلى النظرية ذات الصلة أو إلى بحث آخر. ومن المهم الإقرار بأن بالإمكان أن يكون للبحث المحدود النطاق قيمته مع هذا ، وذلك رغم أنه من النادر الادعاء بأنه قابل للتعميم. وعلى نفس القدر من الأهمية لا تدعى لنتائج بحثك دلالة أكثر أو أوسع مما يمكنك البرهنة عليه بصورة واضحة يرضي عنها الباحثون الآخرون .

الممارسة الأخلاقية

هنا نطرح السؤال التالي:

هل أوليت اهتماماً كاملاً بالطريقة التي أتصرف بها كباحث فيما يتصل بالبشر الآخرين الذين تناولتهم بحثي؟

تتضمن ممارسة البحث الاجتماعي مشاركة أفراد من البشر والاشتغال بالمعلومات المتعلقة بالناس (انظر الفصل 5 من الباب 1). ويمكن للباحث الذي يتصف بالجودة أن يثبت أنه قد أولى العناية الواجبة للقضايا الأخلاقية المتعلقة بتنفيذ البحث ، وبالأثر الذي يمكن أن يحدثه في شركاء البحث (أى المحوثين) ، وكذلك القضايا المتعلقة بأمانة الباحث وتدقيقه في عمله . ويرى بعض الباحثين أن هذا من شأنه أن يشمل - كذلك - التفكير فى قيمة البحث فى ضوء ما ينطوى عليه من فائدة يمكن أن يحققها للمحوثين ، أو -بمعنى أوسع - لجماعات معينة من الناس ، كما يتضمن العمل على جعل نتائج البحث هذه متاحة على أوسع نطاق ممكن .

من هم الباحثون الاجتماعيون؟

يمكن القول بأن أى امرئ يطرح - فى أى وقت - سؤالاً عن أسلوب حياتنا ، أو

عن كيف تسير الأمور من حولنا، أو لماذا تسير الأمور هكذا .. هو في الحقيقة باحث أو يمارس مهمة البحث على نحو ما. ومع ذلك فإن البحث - كما سبقت الإشارة - يتعلق بما هو أكثر بكثير من طرح الأسئلة (أو حتى تقديم الأجوبة): فهو يتعلق بالطريقة التي تُجرى بها البحث.

والباحثون الاجتماعيون موجودون في كل مكان. وهم يعملون لحساب الإدارات الحكومية المحلية والحكومة المركزية، ولحساب المؤسسات الخيرية، والمدارس، والتوادي، وفرق كرة القدم، وغيرها كثيرة. ولكن أن تكون باحثاً «جيداً» أمر يتطلب وقتاً وجهداً وفهمًا لقضايا الجودة المرتبطة بعملية البحث.

الطريق نحو الأمام

ليس إجراء البحث الاجتماعي بالأمر البسيط دائمًا؛ إذ توجد كثرة من القضايا الصعبة التي يتبعن علينا مواجهتها على امتداد الطريق (وستطلعك بقية فصول هذا الكتاب على هذه القضايا وعلى كيفية التغلب عليها بشكل فعال). وأيا ما كان الأمر فمع المثابرة يأتي النجاح.

بحثك

بعض الأمور التي يفيدك أن تذكرها:

- البحث عبارة عن عملية (أى مكون من خطوات متتالية).
- يتبعن أن يكون البحث مخططاً له، فهو لا يحدث صدفة.
- ليس من اللازم أن تكون الحقائق والبيانات مطابقة لما نعرفه سلفاً.
- ليس الوصف شبيهاً بالتفسير.
- لا بد أن يكون البحث متيناً (قوياً): فلا بد أن يكون قادراً على الصمود أمام الانتقادات والاعتراضات التي تصدر من الأفراد والمنظمات التي قد لا تتوافق على طرق البحث المستخدمة أو على النتائج التي خلص إليها البحث.

فکر فی هذا الموضوع بعض الأوجه المقترحة ما الأمر الذي تسأل عنه فعل؟

كان «التقرير الأسود» لسنة 1980 (تاونسند ودافيدسون، 1982) أول دراسة علمية مفصلة عن الحالة الصحية للأفراد المتنميين إلى طبقات اجتماعية مختلفة في المجتمع البريطاني. وكانت النتيجة الرئيسية التي انتهى إليها هذا التقرير أن الأفراد المتنميين إلى الطبقة الاجتماعية الأدنى معرضون للوفاة قبل سن التقاعد عن العمل بمعدل يزيد مرتين ونصف عن معدل تعرض المتنميين إلى الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة.

لو فرض أنك تريدين تحديد عملهما هذا في وقتنا الحالي وتتفيد منه مرة أخرى، فهل يكفي دراسة العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة والانتماء الطبقي الاجتماعي؟

ما الأمور الأخرى التي ربما يتبعن الاختلافات إليها عن دراسة هذا الموضوع؟

من الواضح أن الأسئلة الخاصة بالعلاقة بين السن عند الوفاة والانتماء الطبقي الاجتماعي تعد ذات أهمية محورية بالنسبة لهذا البحث. ومع ذلك فإنها لن تزودنا إلا بالمعلومات الأساسية فقط، كما يحتمل أنها تكون نافعة كل النفع في تفسير هذا الفرق في معدلات الوفاة. وقد تحتاج إلى إمعان النظر في طرق أخرى لقياس الحالة الصحية. وعلى أية حال فإن طرحك لمثل هذه الأسئلة البسيطة يوحي بأنك ربما لم تفك في هذا السؤال تفكيرا عميقا وافيا. ونحن نرى أن ثمة قضايا أخرى، كقضية الدخل، والحالة العملية، وظروف الجغرافيا والبيئة، والتعليم، والصحة، والسياسة، والصفات الوراثية، والعدالة الاجتماعية، (وقضايا أخرى كثيرة) تعد محبوبة أو مخفأة داخل هذين المسؤولين البسيطين، ونرى أن هذه القضايا تحتاج إلى إمعان النظر فيها قبل محاولة التوصل إلى نتائج.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Becker, S., Bryman, A. and Sempik, J. (2006) *Defining 'Quality' in Social Policy Research: Views, Perceptions and a Framework for Discussion*, SPA, Lavenham in conjunction with JUC.
- Budd, T. (2001) Burglary: Practice Messages from the British Crime Survey, Home Office Briefing Note 5/01, July. Available from www.homeoffice.gov.uk/rds/prgpdfs/bri501.pdf (accessed 6 August 2009).
- Cancer Research UK (2004) What is research? *Cancer and Research, About Cancer Research* (online), Cancer Research UK. Available from <http://info.cancerresearchuk.org/cancerandresearch/aboutcancerresearch/whatisresearch/> (accessed 6 August 2009).
- Corbetta, P. (2003) *Social Research: Theory, Methods and Techniques*, London: Sage.
- Kerlinger, F. N. (1970) *Foundations of Educational Research*, New York: Holt, Reinhart & Winston.
- Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.
- Research Assessment Exercise (2008) *Guidance on Submissions (Annex B)*, available from www.rae.ac.uk/Pubs/2005/03/rae0305.doc (accessed 6 August 2009).
- Taubes, G. (1993) *Bad Science: The Short Life and Weird Times of Cold Fusion*, New York: Random House.
- Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثاني

المعرفة والنظريات والنماذج والتوجهات الفكرية

محتويات الفصل

- من أين نبدأ؟
- ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعي .. ما «العالم الاجتماعي»؟
- بوصفنا جزءاً من العالم الاجتماعي: ما الذي نعرفه عنه، وما الذي يمكننا أن نعرفه عنه؟
- ما الذي يوجد في العالم الاجتماعي مما يتغير معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟
- ما الطرق المختلفة المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعي والتي يمكنها مساعدتنا في التفكير فيما نريد أن ندرسه، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟
- ما الذي نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعي؟
- كيف يمكن أن تساعدنا النظريات في بحثنا الاجتماعي؟
- ما الذي يعنيه ذلك لي كباحث اجتماعي في مرحلة الدراسة؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

هل سبق لك أن تساءلت لماذا يفكر الناس ويتصررون بهذه الأساليب المختلفة؟ يدعوك هذا الفصل إلى أن تفك في هذا الأمر انطلاقاً من وجهة نظر بحثية. فهو يناقش موضوع المعلومات والمعارف، وكيف نعرف الأمور وفهمها، وكيف نستخدم معرفتنا وفهمنا في بناء أسلوب معين لتدبر أمور العالم الاجتماعي. ورغم أن هذا قد يبدو محيراً أو مربكاً ويصعب استيعابه، فإنه من الأمور الفائقة الأهمية أن نلاحظ: أنه إن لم نفهم كيف ينظر الباحثون إلى العالم، فمن المحتمل أن نجد من الصعب علينا فهم بحوثهم.

من أين نبدأ؟

كما رأينا في الفصل الأول من هذا الباب، فإننا جميعاً باحثون. فمعظم الأفراد على دراية وألفة بفكرة «القيام ببحث» موضوع ما كواجب دراسي، أو القيام ببحث حول شيء ما تريده شراءه، أو بحث عن عطلة ما تريده قضاءها. فنحن جميعاً نمارس البحث في كل شئون حياتنا اليومية، إذ إننا محتاجون لاكتشاف الحقائق أو التعرف على ما يفكرون فيه شخص آخر بشأن أمر ما أو يتصل بشخص معين، بدءاً من الحقائق المتعلقة بصدقية جديدة تنوى التعرف عليها وانتهاء بالحقائق المتعلقة بسياسة الحكومة في مجال الطاقة النووية.

إن كنت تقوم ببحث موضوع ما كلفت بدراسته، فمن المحتل أنك ستسعى للوصول إلى مزيج من المعلومات (انظر قائمة المصطلحات) المختلفة الأنواع، التي قد تكون في شكل الإحصائيات، أو آراء وأفكار كبار الأكاديميين والباحثين في هذا المجال، أو النظريات أو الأنماط الفكرية التي يبدو أنها تشكل أساس نظرية الناس إلى موضوع البحث وفهمهم له، والتي قد تكون مهتماً باكتشاف المزيد عنها من زاوية تخصصك العلمي. ومن أمثلة هذه المعلومات: سياسة الحكومة فيما يتصل بهذا الموضوع، والاقتصاديات المتعلقة به، وبجوانب الثقافية الخاصة المميزة له، وما إلى ذلك.

عندما تجمع معلومات عن موضوع كلفت بدراسته فإنك ستعمل على انتقاء المعلومات التي ستساعدك في الإجابة عن سؤال معين وفي إثبات صحة فهmek (انظر قائمة المصطلحات) لكل من السؤال والمعلومات التي تتنبع بها في مناقشة القضايا التي أثارها هذا السؤال. وفي ثابيا قيامك بالإجابة عن الأسئلة الواردة في دراستك سوف تتبين أنك تقوم بأكثر من مجرد سرد الحقائق أو عرض مجموعة من الأفكار، إذ سيكون من المتوقع منك أن تتنفع بهذه المعلومات لتمكنك من مناقشة موضوعك، وشرحه، وتحليله بصورة نقدية، ويمكنك كذلك من استخلاص بعض النتائج.

ما - إذن - الأمر مختلف الذي يميز عملية إجراء البحث الاجتماعي، ولماذا يتبعين علينا إمعان التفكير فيه بدرجة أكبر قليلاً بوصفنا دارسين نعمل في هذا الفرع أو ذاك من فروع البحث العلمي؟ بوصفنا دارسين متخصصين في مجالات: علم الاجتماع، والسياسة الاجتماعية، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، والأنثروبولوجيا الاجتماعية،

والقانون الجنائي ، والخدمة الاجتماعية ونحو ذلك؛ نحتاج في المقام الأول إلى أن نطبق مهاراتنا وخبراتنا اليومية كدارسين على موضوع البحث الاجتماعي نفسه . وقد يكون هذا أمراً مثيراً للدهشة قليلاً ، أو قد يكون أمراً لم تتوقع من قبل أن تقوم به . ولتكنا سنحاول أن نجعل هذا الأمر جديراً بالاهتمام ، وأن نبين لك مدى أهميته وأنت في مستهل التفكير في بحثك الاجتماعي الخاص بك . وكما هو الحال مع كل التكاليف الدراسية الجيدة فإننا نبدأ بعنوان ومقدمة ، وسنحاول أن نقدم فيما بعد مثالاً على ذلك (تجد هذا المثال معروضاً في البرواز التالي) والذي سيتكرر ذكره على امتداد هذا الفصل لكي يسهم في تجلية النقاط ووجهات النظر التي نعرض لها هنا . كما سنقترح بعض الأنشطة لساعدتك على التفكير في موضوع بحثك الذي تتوى إجراءه . كما ستوجد مواضع أخرى تحيلك إلى فصول أخرى في هذا الكتاب من شأنها أن تساعدك على التفكير في عناصر الموضوعات المتصلة ببحثك الاجتماعي الخاص بك .

وهكذا قد يكون عنوان «الواجب» الذي نكلف بدراسته شيئاً من هذا القبيل :

ما البحث الاجتماعي؟ وما الأفكار والنظريات والتوجهات الفكرية التي تؤثر على الطريقة التي بها يتم تنفيذ البحث الاجتماعي؟

وللإجابة عن هذا السؤال سنعمد إلى مناقشة الأمور التالية في هذا الفصل ، وهي :

- طبيعة موضوع البحث الاجتماعي ، أي ما العالم الاجتماعي؟ (انظر قائمة المصطلحات)
- بوصفنا جزءاً من هذا العالم الاجتماعي ، ما الذي «نعرفه» عنه أو ما الذي يمكننا أن نعرفه عنه؟ وبوصفك إنساناً - وجزءاً من العالم الاجتماعي - ما في رأيك هي - علاقة الباحث الاجتماعي بالعالم الاجتماعي الذي يقوم بدراسته؟
- ما الذي يتبع دراسته ، أو الكشف عن حقيقته ، أي ما الأنطولوجيا؟ (انظر قائمة المصطلحات) ولماذا يرى الناس الأمور بطرق مختلفة؟
- التفكير فيما يتبع دراسته ، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟ ما الطرق المتبعة في رؤية العالم الاجتماعي ، أي الإبستمولوجيا؟ (انظر قائمة المصطلحات) التي يمكنها أن

تساعدنا على أن نفكر فيما نريد دراسته وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟

- ما الذي نحاول عمله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعي (انظر كذلك الفصل الأول من هذا الباب).
- كيف يمكن للنظريات أن تساعدنا في بحثنا الاجتماعي؟
- ما الذي يعنيه هذا لباحث اجتماعي في مرحلة الدراسة؟

المثال (1-2)

- «عدد حالات الزواج ينخفض إلى معدل قياسي». (صحيفة الجارديان، 22 فبراير، 2007).
- «العوالم مفككة: استطلاع للرأى يثبت أن الوالدين لا يتواصلون مع أبنائهم». (صحيفة الجارديان، 24 فبراير، 2007).
- "جماعات الرمادية بين المراهقين ظاهرة راجعة إلى تفكك الأسرة" (صحيفة الجارديان، 23 فبراير، 2007).
- "مطلوب من الآباء: قدموا المزيد من الرعاية والاهتمام لأطفالكم" (صحيفة الجارديان، 27 فبراير، 2007).
- "الأمهات يتحملن" وطأة التمييز في مكان العمل - النظر إلى النساء ذوات الأطفال الصغار باعتبار أنهن أقل جدارة للاعتماد عليهم". (الجارديان، 1 مارس، 2007).

يحتوى هذا الفصل على مادة علمية ذات طابع على جانب كبير من التجريد، لذلك أدرجنا أحد الأمثلة لساعدتك على فهم نقاطه الأساسية. وسوف تجد على امتداد هذا الفصل "براويز" تقدم أمثلة سوف تصبحك أثناء استعراض الرؤى والأفكار المتعلقة ببعض مجالات العالم الاجتماعي؛ هو مجال الأسرة. أثناء تأليفنا لهذا الكتاب تصدر عناوين الصحف من جديد موضوع ، قل أن يكون بعيدا عن الأخبار في المملكة المتحدة. فعلى امتداد الجزء الأخير من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين ، أصبحت الأسرة - بتراكيبها المتغير ،

وبالدور الذى يرى البعض أنه يتبعن عليها القيام به فى جوانب كثيرة من الحياة اليومية والاجتماعية - أصبحت الأسرة موضوعاً يهتم به الناس وتجرى فيه البحوث ، كما أنها تعد إحدى الوحدات الاجتماعية التي يعيشها معظم الناس فعلاً بشكل أو آخر .

وتحتوى الأسرة - بوصفها وحدة اجتماعية - على عدد من العناصر المختلفة ، نذكر منها :

- أنها من الممكن أن تضم أفراداً تربطهم بعضهم رابطة الدم ، أو رابطة القانون ، أو رابطة الاختيار الشخصى .
- وأنها من الممكن أن تشتمل على العلاقات بين الوالدين (أى الأب ، أو الأم ، أو كليهما) والطفل .
- ويمكنها أن تشتمل على العلاقة القانونية أو علاقة الاختيار الشخصى بين البالغين .
- قد يعيش أعضاء الأسرة فى نفس المنزل ، وقد لا يعيشون .
- وقد تحتوى على عناصر أخرى كثيرة .

والأسرة بوصفها وحدة اجتماعية تحظى باهتمام كل من صناع السياسة ، والاقتصاديين ، وبناء المساكن ، والجهات التى تقدم الرعاية الاجتماعية والصحية ، والشرطة ، وتجارة التجزئة ، والجهات التى تقدم الخدمات التعليمية ، ووكالات السفر والرحلات ، وصناعة السيارات ، والمحامين ، وكثيرين غيرهم .

ومن بين التغيرات التى كان لها تأثير على الأسرة كوحدة اجتماعية خلال الخمسين سنة الأخيرة نذكر ما يلى :

- القوانين التى تنظم الطلاق ، والعاشرة (الإقامة المشتركة بدون زواج) ، وأشكال وعلاقات الزواج المدنى .
- الوسائل الفعالة لمنع الحمل وللإجهاض .
- فرص التعليم والتوظيف المتاحة للنساء .
- إطالة أمد الحياة .

ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعي ..

ما العالم الاجتماعي؟

بوصفنا علماء اجتماعيين نبدأ في التفكير فيما يثير اهتمامنا في هذا العالم الذي نعيش فيه . ويمكن القول إننا مهتمون بالجوانب «الاجتماعية» لهذا العالم . فنحن نتحدث عن البشر بوصفهم «حيوانات اجتماعية» ، تشارك مع سائر الحيوانات في بعض الخواص البدنية ، إلا أن خواصنا الاجتماعية هي التي تجعلنا كائنات إنسانية .

عندما يتحدث العلماء الاجتماعيون عن شيء بوصفه «اجتماعياً» فهم يتكلمون - في العادة - عن موقف توجد فيه علاقة وتفاعل بين فردين أو أكثر . ويعتمد التفاعل والعلاقات الاجتماعية على اللغة - وهي الوسيلة الرئيسية للتواصل بين الأفراد - بوصفها الطريقة التي نستطيع بها أن نكون كائنات اجتماعية . إن لغة التواصل والتفاعل هي التي تمكنا من التعامل معاً ، ومن تنظيم أنفسنا في جماعات ووحدات اجتماعية ، وهي التي تمكنا من اتخاذ القرارات الجماعية وتنفيذها . ونحن كائنات إنسانية ، لدينا خبرات اجتماعية كثيرة نشارك فيها الآخرين الذين يعيشون في باقى جغرافية مختلفة (أو حتى في عصور مختلفة) ، ومن أمثلة ذلك : التعلم ، والعمل ، والحياة الأسرية . وعلى الرغم من أن الشكل المحدد أو الإطار المحدد للأفكار المتعلقة بمثل هذه الخبرات الاجتماعية قد يختلف ويتنوع ، فإن المرجح أن ثمة أوجه تشابه بينها ، وهو الأمر الذي يمكننا من تحديد بعض الجوانب المشتركة والأساسية للحياة الاجتماعية أو للعالم الاجتماعي .

ومع ذلك فإننا لسنا كائنات اجتماعية فحسب ، فنحن أفراد في الوقت نفسه . فكل شخص - بوصفه فرداً متميزاً - لديه إحساس ما «بالذات» (وهي الطريقة المحددة والشخصية التي بها يتفاعل مع « الآخرين ») . ويتبع لنا ذلك - كأفراد متميزين - أن تتأمل علاقتنا مع الآخرين ونفاعلاتنا معهم ، وأن « نروى قصتنا الخاصة بنا » (أى نبلور روينا الخاصة بنا ونعبر عنها) ، وذلك بناء على منظورنا الشخصى للواقع الاجتماعى كما يبدو لنا . ونحن قادرون على أن نصف سلوك الأفراد الآخرين وأن نحاول تفسيره ، وقدرون أحياناً على تحديه والاعتراض عليه (كما أن سلوكهم قد يؤثر - بدوره - على الطريقة التي تتبعها في الإحساس بهم وفي الإحساس بأنفسنا . كما أن سلوكنا قد يؤثر عليهم بنفس الطريقة) .

هذا - إذن - هو محور اهتمام العلماء الاجتماعيين، وأعني : العلاقة الاجتماعية بين الأفراد والعالم الاجتماعي ، بجانب مسألة كيف ولماذا يوجد العالم الاجتماعي؟ وكيف ولماذا صار إلى ما أصبح عليه؟ ويصف تشارلز رايت ميلز C. Wright Mills (وهو عالم اجتماع أمريكي شهير) يصف هذه المسألة بأنها "الخيال السوسيولوجي" ، فيقول:

«توصلنا إلى معرفة أن كل فرد يعيش ، من جيل للجيل التالي ، في مجتمع ما: فهو يعيش حياة شخصية ما ، وهو يعيشها في تسلسل تاريخي معين . وبمقتضى حياته هذه ، فإنه يساهم - ولو بقدر ضئيل جدا - في تشكيل هذا المجتمع وفي تحديد مسار التاريخ ، تماما كما أن هذا الشخص نفسه من صنع المجتمع وما يتصرف به من تفозд وضغط تاريخيين».

«إن الخيال السوسيولوجي هو الذي يمكننا من فهم التاريخ وفهم السيرة الشخصية والعلاقات بين الأمرين داخل المجتمع . فهذه هي مهمته وبشيره الواعد بالنجاح» (رايت ميلز ، 1959).

فكرة في هذا الموضوع

كثيراً ما تدرس الأسرة وكثيراً ما يتحدث الناس عنها بوصفها وحدة اجتماعية ، وهي وحدة يكون فيها لأفراد الأسرة المختلفين أدوارهم الخاصة بهم تجاه بعضهم البعض ، لكنهم يشكلون مجتمعين معاً وحدة كلية متكاملة . إلا أن لكل فرد على حدة خبرته الخاصة أو الشخصية داخل وحدة الأسرة نفسها .

إذا كان لك أشقاء وشقيقات فقد يسهل عليك أن تدرك إدراكاً جيداً أن لدى كل منهم خبرات مختلفة في نطاق أسرتك يشعرون بها تجاهك ، كما أنهم يرون ما تشتراك فيه الأسرة من أحداث وروايات انتلاقاً من مواقف شخصية مختلفة كل الاختلاف .

فكرة من بينهن هي «الحكاية الحقيقة»

وهكذا يتضح أن من الأمور ذات الأهمية الخاصة فيما يتعلق بكون المرأة عالماً اجتماعياً أو باحثاً اجتماعياً أنا ندرس شيئاً نحن جزء منه . فنحن أعضاء هذا العالم الاجتماعي

الذى يزودنا بمادة البحث لدراستنا. وهذا الوضع هو ما يميز العلماء الاجتماعيين عن «العلماء الطبيعيين»(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب).

فعلى حين يضطلع البشر بدراسة العالم المادى ، تكون مادة البحث أو موضوع الدراسة التى يجرونها مادية وليس اجتماعية ، كما أنها تكون مستقلة عنهم وعن طريقة فهمهم لها . ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن للشجرة كيانا وبناء ماديا خاصين بها ، وذلك بصرف النظر عن العالم الذى يدرس طريقة نموها وتطورها . فهل يمكننا أن نقول نفس هذا الكلام عن «الظاهرة الاجتماعية» (انظر قائمة المصطلحات) ، من قبيل إحدى المنظمات ، أو الأسر ، أو المجتمعات المحلية؟

وسوف نتبين لاحقاً أن هذه الملاحظة تمثل مسألة فلسفية أساسية كانت مثار إزعاج العلماء الاجتماعيين على الدوام . كما توجد مجموعات من الأفكار المختلفة المتعلقة بهذه المسألة ، والتى تمثل الأساس الذى ارتكزت عليه عملية تطور طرق البحث الاجتماعى على امتداد المائة سنة الماضية ، وما زالت تمثل خلفية طريقتنا فى التفكير فى البحث الاجتماعى فى وقتنا الحاضر .

يمكن للقارئ أن يقف على تاريخ موجز للبحث الاجتماعى فى نهاية الفصل الثانى من هذا الباب . ونفترض عليك أن تقرأ هذا التاريخ جنبا إلى جنب قراءتك لهذا الفصل أو بعده . فمن شأن ذلك أن يمكنك من التعرف على موقع المناقشة الواردة فى هذا الفصل داخل إطار تاريخ البحث الاجتماعى وتطوره .

بوصفنا جزءاً من العالم الاجتماعى: ما الذى نعرفه عنه وما الذى «يمكنا» أن نعرفه عنه؟

بوصفنا كائنات إنسانية اجتماعية فإننا نعرف - بالفعل - الشيء الكثير عن العالم الذى نعيش فيه ، كما أثنا نعرف - تحديدا - ما له صلة بالبيئة المحيطة بنا ، والعصر التاريخي ، والموقع الجغرافي ، والأطر الاجتماعية التى نعيش داخلها ، وأعني بها مثلا: أسرتنا ، والقسم العلمي فى جامعتنا ، ومركز التسوق الخاص بحينا السكنى ، ونحو ذلك . كما أثنا نعرف أن هناك المزيد الذى يتquin علينا اكتشافه ، وأن لدينا بعض الوسائل للوصول إلى فهم تام لهذه المعرفة .

ما : المعرفة؟

- (1) هي المعلومات المتعلقة بشيء ما، أو قضية ما، أو واقع معين، أو الوعي بذلك.
- (2) هي فهم حقيقة، أو واقع معين، أو قضية معينة.

وقد أصبح بوسعنا هذه الأيام الوصول إلى الكتب التي دونت منذ سنوات كثيرة مضت أو تلك التي دونت في وقت أحدث ، كما أنه يمكننا اجتياز المسافات للوصول إلى المعلومات المتاحة حاليا والتي تم جمعها في الجانب الآخر من العالم عبر الإنترن特 . كذلك تصل إلى أسماعنا أخبار البحث الجارى تنفيذها والتي تتباينا بما سوف يحدث في المستقبل ، كذلك التي تستخدم نماذج تغير المناخ مثلا .

فكرة في هذا الموضوع

إذن كيف نعرف ما نعرفه؟

دون في إيجاز الأمور التي تعرفها عن أسرتك وأعمل فكرك في الطريقة التي بها تحصلت على هذه المعرفة:

كيف عرفت هذا الأمر

أسرتي

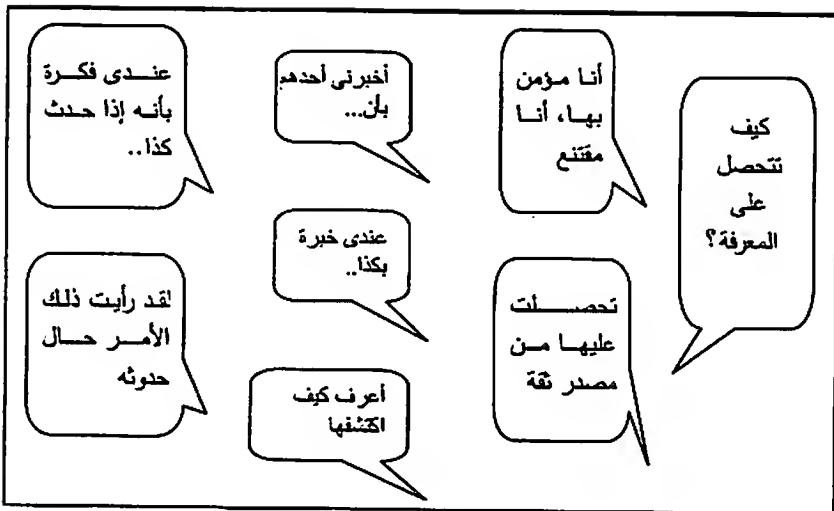
-1

-2

-3

-4

-5



شكل 2-1 طرق تحصيل المعرفة

في ضوء نوعية البيانات التي كتبتها عن أسرتك، قد تكتشف بالفعل أنك تقدم الدليل على وجود طرق مختلفة لتحصيل المعرفة عن أسرتك (انظر شكل 2-1)

وقد اعتمد بيكر وبرايمان (Becker and Bryman 2004) على ما كتبه بيرنز (Burns 2000) وبريتشن وسيدل (Brechin and Siddel 2000) في تحديد وتصنيف خمس طرق مختلفة لتحصيل المعرفة. وقد ربطنا هذه الطرق بالمثال الذي سوف نقدمه فيما بعد عن المعرفة المتعلقة بالأسرة. ولكن إلى أي مدى تعدد هذه المعرفة مفيدة لنا كباحثين اجتماعيين؟ أقرأ ما يلى أدناه ولاحظ أنك قد تحتاج - كباحث اجتماعي - إلى التفكير أو تقليل وجوه النظر في - أو التشكيك أو الاعتراض على - بعض المعرف أو المعلومات التي أتيت بها في بحثك.

خمس طرق لتحصيل المعرفة

(1) الاعتقاد: أحياناً ما نؤمن بما نعرفه لأننا نعتقد أنه حق. وقد لا يتم تغيير المعتقدات القوية حتى في حالة وجود برهان مضاد لها.

مثال ذلك : أنتي قد أؤمن بأنه من الأفضل دائمًا للأطفال أن يتربوا في كنف

الوالدين الطبيعيين . وقد يكون مصدر إيمانى العميق هذا توليفة من الخبرة التى عشتها والخبرة التى لا حظتها ، وقد يرجع إلى قيمى الأخلاقية أو إلى إيمانى الدينى . وقد يكون اعتقادى هذا قويا بدرجة تكفى فى نظرى لأن أتجاهل الأمثلة والحالات الأخرى التى تختلف عن تصورى الخاص ، وذلك - مثلا - حين ينجح الأطفال الذين نمت تربيتهم مع أحد الوالدين فقط ، أو تربوا فى أسرة بديلة ، أو فى حين يتعرض طفل لإساءة من جانب واحد من أبويه الطبيعيين .

هـ لهذا ربما يتبعين علينا - كباحثين اجتماعيين - أن نراجع معتقداتنا ومسلماتنا الشخصية ونشكك فيها .

(2) المعرفة الرسمية أو المرجعية: قد نشعر أننا مقتنعون بأن أمراً حق وصحيح مرجعاً محل ثقتنا (كالكتاب المقدس ، أو القرآن ، أو أحد القادة أو أحد المعلمين) يقول لنا إنه حق . فنحن نرى أن مثل هذه المعرفة لها مرجعية أعلى من مرجعية المعرفة المكتسبة من خبراتنا الشخصية .

مثال ذلك: أنتى قد أشعرتني أعرف أنه حق أن زواج الرجل بالمرأة هو أفضل شكل للعلاقة بينها لأننى أخبرت بذلك من قبل شخصية مرجعية دينية أو من قبل قائد أو مرشد ، أو ربما أعرف ذلك لأن «أمى أخبرتني بذلك» .

هـ لهذا قد يتوجب علينا - كباحثين اجتماعيين - أن نضع مصادر المعرفة هذه موضع التساؤل والبحث .

(3) المعرفة المستمدّة من الخبرة: بوسعنا كذلك تحصيل المعرفة من الخبرة المكتسبة على امتداد سنوات كثيرة . وقد لا ندرك أننا نملك مثل هذه المعرفة بالفعل ، كما قد يكون من العسير التعبير عنها وتوصيلها للأخرين .

مثال ذلك : أنتى كجدة توافر لى خبرة بالأطفال الذين تربوا فى كنف تشكيلة متنوعة من الوحدات الأسرية المختلفة ، وانطلاقاً من خبرتى هذه قد أجد من الصعوبة الزعم بأن الأطفال الذين تربوا فى كنف الوالدين الطبيعيين أكثر نجاحاً وتحقيقاً مما يتحقق أو لئك الأطفال الذين تربوا فى ظل أوضاع أسرية أخرى . كما أن خبرتى فى قضاء الوقت مع الأطفال الصغار ساعدتني على تطوير مهاراتى فى التعامل مع الأطفال الصغار وفى القيام برعايتهم .

• وهكذا قد نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى التأمل وتقليب وجوه النظر في المعرفة والمهارات التي اكتسبناها من خبرتنا، وفي مدى تأثير هذه المعرفة والمهارات في الموضوع الذي نهتم به وفي السلوك الذي تقوم ببحثه.

(4) التحصيل النظري للمعرفة: يساعدنا ما لدينا من نظريات أو مجموعات أفكار على بلورة إجابة لمسألة ما أو تفسير أحد وجوه حياتنا الاجتماعية.

مثال ذلك: إن كنت أرى (أى: إن كنت أعرف نظرية تقول) إنه يوجد عدد من العوامل المختلفة التي تؤثر على الطريقة التي ينمو الطفل وفقاً لها، وهي العوامل التي تشمل الأفراد الذين يعيش معهم الطفل بصفة دائمة، والمدرسة التي يذهب إليها، والحي السكني الذي يعيش فيه وما أشبه ذلك من العوامل، فمن المرجح حينئذ أن أحاول تفسير سلوك هؤلاء الصغار وفقاً لهذه الاعتبارات، ولا أقتصر في تفسيري على عامل تكوين الأسرة فقط.

• من هنا يمكننا - كباحثين اجتماعيين - أن نبدأ بتحديد النظريات التي نستعملها في الحياة اليومية والنظريات التي يستعملها غيرنا من يدرسون نفس الجوانب من الحياة الاجتماعية.

(5) المعرفة الإمبريالية: وهذه معرفة قائمة على أساس الشواهد البحثية المتوفرة، أي من واقع البيانات التي تم جمعها بقصد الإجابة عن أسئلة البحث أو بقصد اختبار الفرض الذي يمكن التحقق من صحتها عن طريق إجراء المزيد من البحث.

مثال ذلك: أحد العناوين الموجودة في المثال (1-2) والذي يقول: «جماعات الرمادية بين المراهقين ظاهرة راجعة إلى تفكك الأسرة»؛ فقد كان عنواناً لجزئية من بحث كان يسأل الناس عما يعتبرونه السبب المسئول عن الزيادة في جرائم استعمال الأسلحة الناريه بين الفتيان. وقد وافق ثمانون بالمائة من الألف فرد (جميعهم تجاوزوا سن 18 سنة) الذين تمت مقابلتهم؛ وافقوا على الحكم الذي يقول: «من عوامل انتشار جماعات الرمادية بين المراهقين عامل الانهيار الأسري ونقص التربية في المنزل» (البحث الذي قامت به مؤسسة ICM، اعتماداً على استطلاع الرأي الذي أجرته صحفة الجارديان في شهر فبراير سنة 2007 - عبر شبكات الاتصال الإلكترونية -

وهو متاح في الموقع التالي: www.icmresearch.co.uk/pdfs/2007_february_guardian_february_poll.pdf. وقد تمت آخر دخول على هذا الموقع بتاريخ 6 أغسطس 2009). ولكن هذا البحث يدلنا على ما يتصوره الناس، ولكنه لا يقول لنا ما إذا كانت جرائم استعمال الأسلحة النارية راجعة إلى الانهيار الأسري ونقص التربية في المنزل، من عدمه. وقد يساعدنا بحث آخر - قد يأتي لاحقاً - في استكشاف المزيد من خبايا هذه المسألة.

- معنى هذا أننا نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى تطوير المهارات التي تمكنا من جمع البيانات للإجابة عن أسئلة البحث أو اختبار الفروض ووضع النظريات القائمة على المعرفة .

المصدر : نفلا بتصرف من بيكر وبرايمن (2004) صفحة 41. نشر بتصريح من دار نشر يوليتي، برس Polity Press .

۱۰

عُذُّللناظر في الأمور الخمسة التي تعرفها عن أسرتك ، وحدد أي هذه الطرق الخمسة لتحصيل المعرفة التي تمثلها كل جملة من الجمل التي كتبتها؟ في هذه المرحلة قد ترغب كذلك في تجربة القيام بنفس التمارين مرة ثانية ، واضعاً موضوع بحثك في كلمة ”أسرتك“ .

موضع بحثي	كيف توصلت إلى معرفة ذلك؟
-----	1
-----	2
-----	3
-----	4
-----	5

المعرفة والحقيقة

يتضح من الأمثلة التي أوردناها أن المعرفة ليست مجرد جمع للوقائع . بل تتعلق بفعل التعرف أو فعل تحصيل المعرفة ، وبما نشعر أننا نستطيع أن نقول عنه إننا نعرفه . كما يمكن أن تكون المعرفة هي أساس القدرة على الفعل . فبدون المعرفة التي نتحصل عليها من جدول مواعيد قيام ووصول القطارات ، نعجز عن ضمان استطاعتنا اللحاق بالقطار ، من عدمه . وبدون المعرفة التي يتم جمعها في البحوث المتعلقة بالأسرة والتي تحدد التأثيرات التي تحدثها التغيرات الاجتماعية ، لا يمكننا أن نقرر ما إذا كان ينبغي البدء بسياسة جديدة أو بممارسة جديدة لمحاولة معالجة هذه التأثيرات .

ومع ذلك فإن معرفة شيء ما لا تعنى أن بإمكاننا القول بأن ذلك الشيء حقيقي أو صادق ، رغم أن العارف قد يعتقد أنه كذلك . ففي الحياة اليومية غالباً ما تكون المعرفة كافية في ظرفنا للتصرف على أساس كونها حقيقة . وفي بعض الظروف قد يتم توفير الأدلة والبراهين لتعزيز حكم معرفى ولمحاولة إقناعنا بصدقه ، على نحو ما يحدث في قاعة المحكمة ، أو قد يتم تهيئتنا لتقبل أن المعلومات التي قدمت لنا حقيقة أو صادقة لأننا نثق في مصدر هذه المعلومات ، أو لأننا نعرف من التجربة فرص كون هذه المعلومات صادقة .

والواقع أن البحث الاجتماعي مشغول اشغالاً شديداً بالحقيقة : أي فيما يتصل بمدى قدرتنا على أن نقول إن معرفتنا عن ظاهرة اجتماعية معينة تتوافق مع الواقع هذه الظاهرة ذاتها أو هي هذا الواقع بعينه . ولهذا يثير هذا الوضع التساؤل عن طبيعة الواقع ظاهرة اجتماعية ما وما الذي يوجد بشأنها مما يمكن معرفته وكيف يمكننا أن نعرف ما هو موجود ويتعين علينا معرفته .

تخيل أنك دعيت لحضور حفل عائلي (وهو ظاهرة اجتماعية) دعوك إليها أسرة صديقتك أو أسرة صديقك . في نهاية السهرة ، ما الذي تستطيع أن تقول إنك تعرفه عن حقيقة هذا الحفل ؟

• فأنت تعرف كل ما لاحظته في الحفل باستعمال ما لديك من حاستي البصر والسمع (وربما حاستي الذوق والشم أيضاً) .

- و تستطيع استخدام خبرتك في تفسير ملاحظاتك أو فهمها .
 - و تعرف ما أخبرك به الآخرون مثل: أسماؤهم ، و علاقات القرابة بينهم ، وأعمالهم ، و آراؤهم فيما يتصل بالحكومة وما إلى ذلك .
 - قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على معرفة ما هي طبائع الأمور التي تجري أمامك .
 - قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على تحديد الأمور التي أثرت على مسارها ونتائجها ، أو تمييز الأمر الذي جعلها حفلة جيدة ، أو التعرف على أسباب ما قد يكون أثار خلافاً أو أفضى إلى نزاع ما .
 - وقد تستطيع وضع نفسك موضع بعض الأفراد الموجودين في الحفل وتحاول أن تفهم تقييم هذا الحفل من وجهة نظرهم .
- ولكن إلى أي مدى تتطابق معرفتك عن هذا الحفل تطابقاً دقيقاً مع الواقع الحقيقي له؟ وهل لهذا الحفل حقيقة منفصلة عن الخبرات والإدراكات الحسية المرتبطة بها والتي شعر بها الحاضرون في الحفل أنفسهم؟

هذه هي القضية الموربة للأنطولوجيا والابستمولوجيا (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب). إذ يميل قلة من الباحثين الاجتماعيين إلى أن يوردوا في نتائج بحثهم ادعاء بأنهم اكتشفوا «الحقيقة»، على حين يميل أغلب الباحثين الاجتماعيين إلى التسليم بأنه لا يمكن للمعرفة إلا أن تكون منحازة بسبب طبيعة العالم الاجتماعي، وبسبب وضعهم الخاص كجزء من ذلك العالم الاجتماعي. ومع ذلك توجد - كما سوف نرى - رؤى مختلفة لطبيعة الحياة الاجتماعية ولما يمكن أن نعرفه عنها. وهذا يعني أنه توجد مواقف فكرية مختلفة أو نزعات متباعدة إزاء الدعاوى التي يتم طرحها بشأن المعرفة المكتسبة من دراسة هذه الحياة الاجتماعية. ويرى بليري Blaikie أن ثمة ثلاثة توجهات - على الأقل - للنظر إلى الحقيقة، وهي توجهات تعكس الطرق المختلفة التي وفقاً لها يفهم الباحثون الاجتماعيون العالم الاجتماعي، وفي ذلك يقول:

”يتبني أحد الاتجاهات النمطية الشائعة وجهة النظر التي تذهب إلى أنه توجد

حقائق يمكن التعرف عليها فيما يتصل بالطريقة التي يعمل بها العالم الطبيعي والعالم الاجتماعي. فأوجهه الانظام التي تشكل الحقيقة الموجودة بصورة مستقلة يمكن اكتشافها، ووصفها، وتفسيرها عن طريق النظريات، وهي النظريات التي يمكن اعتبارها مستقرة ومؤكدة. ويدعو اتجاه آخر إلى أن كل المعرف المطلقة بهذين العالمين (ال الطبيعي والاجتماعي) تعتبر معارف تقريرية غير مقطوع بها. فنحن لا نستطيع إلا السعي وراء الحقيقة ولكننا لا نعرف أبداً متى توصلنا إلى الكشف عنها فعلاً. فمعروفتنا محدودة بسبب استحالة ملاحظة الحقيقة مباشرةً، إنما تجري ملاحظة الحقيقة فقط من خلال المفاهيم والنظريات التي نفضل استعمالها (في البحث عن الحقيقة)، فإن تم تغيير هذه المفاهيم والنظريات فسوف يتغير معها ما يبدو لنا أنه الحقيقة. ويدعى موقف فكري أكثر تطرفاً أن جميع المعرف المطلقة بهذين العالمين - خاصة تلك المتعلقة بالعالم الاجتماعي - هي معارف نسبية من حيث الزمان ومن حيث المكان، فلا توجد في رأى أصحاب هذا الموقف حقائق مطلقة". (بل يكنى، 1993، ص 69).

المعرفة الموقمية

كذلك تحدد المعرفة تبعاً لموافقات الأفراد المعنيين أو تبعاً لسياسات محددة. فهي معرفة يؤمن بها الأفراد الذين "يعرفونها"، ولذلك يتعين علينا - كباحثين اجتماعيين - إمعان النظر فيما سوف نجمع معرفتهم الذاتية. وقد سبق أن لاحظنا مثلاً أن مختلف الأفراد في نفس الأسرة قد يكون لكل منهم رواية مختلفة (أو معارف مختلفة) عن خبرات الأسرة التي تقاسمواها معاً. وبالتالي إذا أمعنا النظر في الروايات التي يحكوها رواد هذا الحفل، فمن المرجح أن تختلف وجهات نظر الأفراد المختلفين إلى مدى بعيد، إلا أن الرواية الأبرز التي تصف هذا الحفل بأنه "حفل جميل" هي التي يمكن أن تصدر من هؤلاء الأفراد الذين يننظر إلى آرائهم على أنها مهمة، وذلك في الوقت الذي قد تعدد فيه آراء وخبرات الأعضاء الآخرين وـ "الأغرباء" غير مهمة.

ويذهب بعض الباحثين الاجتماعيين (انظر المثال رقم 2-7 في هذا الفصل لاحقاً) إلى أن المعرفة التي تؤمن بها الجماعات الأكثر قوة هي التي تهيمن على الطريقة التي يتم بها معرفة العالم الاجتماعي وفهمه، وأن المعرفة التي تؤمن بها الجماعات الأقل قوة يتم تجاهلها أو حجبها، وأن هذا الوضع يؤثر - كما سنرى لاحقاً - على الاتجاهات

التي يتخذها الباحثون الاجتماعيون في دراسة العالم الاجتماعي وفي طرق البحث المستعملة في جمع البيانات . وتجد في الفصل الخامس من الباب الأول مناقشة للعلاقات الأخلاقية وعلاقات القوة التي تربط الباحثين الاجتماعيين بمصادر بياناتهم .

معنى ذلك أن آراءنا وتوجهاتنا إزاء المعرفة سوف تؤثر على ما نعرفه وكيف نعرفه ، أي على الطريقة التي نفكربها في البحث الاجتماعي وأسلوبنا في تصميمه ، وستنتقل الآن إلى محاولة التأمل في الطرق المختلفة للتكيير في العالم الاجتماعي ، ما الذي يتغير علينا معرفته وكيف نستطيع التوصل إلى معرفته .

ما الذي يوجد في العالم الاجتماعي مما يتغير معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟

إن التكيير في الطرق المختلفة لتحصيل المعرفة من شأنه أن يساعدنا على البدء في التفكير أيضا فيما يتغير علينا معرفته داخل العالم الاجتماعي . لقد تبينا للتو أن معرفة الأفراد الشخصية بعالمهم الاجتماعي تأتي من مجموعة من المصادر المختلفة: أي من اعتقاداتهم ، التي قد تكون مرتبطة بقيمهم ، ومن الأشخاص الذين يتذمرون الأفراد مرجعية لهم فيما يتصل بمختلف جوانب حياتهم الاجتماعية ، ومن خبراتهم الشخصية؛ ومن فهمهم الشائع لكيفية حدوث الأمور ، ومن النظريات التي يتبنونها هم والآخرون فيما يتصل بكيفية حدوث الأمور وبأسباب حدوثها على الصورة التي تقع بها؛ وأخيراً من عمليات التجميع المنظمة للبيانات أو المعلومات بهدف اختبار فكرة معينة أو نظرية ما ، أو محاولة إدراك ما هو موجود فعلاً .

الأنطولوجيا

لكي نبدأ التفكير فيما يعنيه هذا لنا كباحثين اجتماعيين ، نحتاج الآن لإنقاء نظرة على أحد المصطلحات التي وردت في ثانياً عرضنا من قبل ، وهو مصطلح الأنطولوجيا . ويشير هذا المصطلح إلى الطريقة التي ننظر بها إلى العالم الاجتماعي وإلى الظواهر

أو الكيانات الاجتماعية التي يتركب منها هذا العالم. ويمكن أن تشمل هذه الظواهر التكوينات الاجتماعية التي تتكون من بعض الأفراد، كالأسرة أو النوع الاجتماعي أو الجماعة العرقية أو المؤسسات أو المنظمات المختلفة. كما تشمل كذلك المواقف والأحداث الاجتماعية وقائمة السلوك الاجتماعي (بما في ذلك عملية البحث الاجتماعي نفسها). ما الذي يمكننا معرفته عن هذه الظواهر الاجتماعية؟ وما طبيعة المعرفة المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين؟

هناك ثمة مواقف فكرية أنطولوجية مختلفة سناحول إمعان النظر فيها، وأعني بها: النزعة الموضوعية، والنزعـة التـصـورـية، والنـزـعـة الـوـاقـعـية.

النـزـعـة الـمـوـضـوعـية

تؤكد النـزـعـة الـمـوـضـوعـية ”انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب“ على أن الظواهر الاجتماعية التي يتكون منها عالمنا الاجتماعي لها وجودها المستقل الخاص بها (فيما يشبه الشجرة التي ذكرناها في مثالنا السابق)، وذلك بمعزل عن – وبالاستقلال عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركون في هذه الظواهر. لذلك تعد علاقة الباحث الاجتماعي بالعالم الاجتماعي والظواهر الاجتماعية التي يدرسها علامة ملاحظة موضوعية.

وتستمد النـزـعـة الـمـوـضـوعـية أصولها من ذلك الاتجاه الذي غالباً ما يأخذ به العلماء الطبيعيون من يدرسون الطريقة التي تتصرف بها مكونات العالم الطبيعي من: حيوانات، ونباتات، وخلايا، وذرات، ونوويات (جمع نواة)، وعناصر كيميائية. ويضفي هذا الاتجاه قيمة كبيرة على موضوعية الباحث واستقلاله، كما يحدد خصائص العالم الاجتماعي في ضوء الكيانات المنظمة التي يمكن التنبؤ بها والتعرف عليها وتسجيلها بدون التأثير على هذه الكيانات نفسها.

فـكـر فـي هـذـه الـمـوـضـوعـة

الأسرة من وجهة نظر النـزـعـة الـمـوـضـوعـية

يمكن النظر إلى الأسرة كوحدة اجتماعية تضم أفراداً يرتبطون بعضهم برابطة

الدم أو رابطة القانون . وهذه النظرة يمكن التوسيع فيها لتطبيقاتها على الجماعات المكونة من الأفراد الذين - رغم عدم ارتباطهم ببعضهم برابطة الدم أو القانون - يعيشون كما لو كانوا مرتبطين بتلك الرابطة ، ويعتبرون أنفسهم أسرة . وقد تحدد طبيعة العلاقات بينهم بمقتضى القانون أو العادات ، بحيث تشمل المسؤوليات المتعلقة مثلا بالترتيبيات المالية والسلوك الاجتماعي ، خاصة فيما يتصل بالأطفال . وتوجد أحداث حياتية معينة تؤشر على حدوث بعض التغيرات داخل الأسرة - كالزواج ، ولادة طفل ما ، والطلاق ، ونحو ذلك - والتي يمكن تحديدها والتعرف عليها .

وعلى الرغم من أن كل أسرة مفردة تختلف عن غيرها من الأسر ، فإن الفكرة التي تنظر إلى الأسرة كوحدة اجتماعية هي فكرة تمثل حقيقة مستقلة عن الأفراد المعينين الذين هم أعضاء فيها . وتمثل الأسرة مجموعة محددة من العلاقات والسلوكيات التي يمتثل لها مختلف الأعضاء بدرجات متفاوتة من الالتزام .

النزعه التصورية

تؤكد النزعه التصورية «(انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) أن الظواهر الاجتماعية التي تشكل عالما الاجتماعي لا تعد ظواهر حقيقة إلا بمعنى أنها أفكار يتم تصوّرها ، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها (أى الفاعلون الاجتماعيون) بمراجعتها وإعادة تشكيلها باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعي والتأمل (النقد) . فلا وجود لحقيقة اجتماعية بمعزل عن معنى الظاهرة الاجتماعية فى نظر هؤلاء المشاركين فيها . ومع ذلك يكون ممكنا لنا دائما دراسة المعانى التى تعزى إلى ظاهرة اجتماعية ما (كتنظيم أو منظمة معينة ، أو أسرة ، أو مجتمع محلى ، أو مؤسسة رعاية اجتماعية ، أو قانون ما) ، وكذلك دراسة التصورات المتعلقة بها التي يتصورها الفاعلون الاجتماعيون .

والأهم من ذلك أن الباحث الاجتماعي يدخل على الدراسة التي يجريها - بوصفه جزءا من هذا العالم الاجتماعي نفسه - ما لديه من معان وتصورات شخصية .

فکر فی هذا الموضوع

الأسرة من وجهة نظر النزعة التصورية

يُنظر إلى الأسرة على أنها موجودة في إطار زمني ومكانى معين ، داخل إطار ثقافة معينة . وهى محصلة للمعنى الذى يضفيه عليها المشاركون فى تلك الأسرة . ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن الأمر المثير للاهتمام ، والذى يمكن دراسته ، هو تصور الأفراد أنفسهم عن «الأسرة» وكيف يستخدمون هذا التصور لفهم حيواناتهم معا باعتبارهم أسرة .

ويلاحظ أن العلاقات - كتلك التى تربط بين عضو الأسرة وأحد الوالدين ، أو الطفل ، أو الأخ الشقيق ، أو الشريك - يتم تشكيلها على أساس يومى ، كما أن معنى كون المرأة أمًا / أو أما ، مثلا ، تتم مراجعته وإعادة تشكيله باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعى مع كل طفل ومع غيره من أعضاء الأسرة الآخرين ، وكذلك من خلال الخبرات والتصورات السائدة فى زمانهم وفى ثقافتهم .

ويعني هذا أن الأفكار المتعلقة بالوالدية داخل الثقافة نفسها يتم بلورتها وإعادة بلورتها باستمرار كذلك على يد أعضاء هذه الثقافة ، كما يعني أن هذه الأفكار التصورية تفصح عن نفسها فى الطرق التى وفقا لها تناقش مسألة الوالدية أو يكتب بها عنها .

الواقعية

غالبا ما تقدم وجهة النظر الموضوعية ووجهة النظر الآخرة بالنزعة التصورية على أنهما وجهتا نظر متضادتين ، حيث ترفض كل وجهة نظر منهما وجهة النظر الأخرى . وهذا يعطى الانطباع بأن وجهتى النظر هاتين تغطيان كل ما يمكن معرفته عن العالم الاجتماعى .

إلا أن هناك بعض العلماء الاجتماعيين الذين يرون أن هناك جانبًا كبيرًا مما يتصل بحقيقة العالم الاجتماعى (من معلومات وحقائق) لا يمكن ملاحظته بالحواس . وتسليم

الواقعية (انظر قائمة المصطلحات) بأن للعالم الاجتماعي حقيقه المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركين فيه ، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس . و مع ذلك يوجد علاوة على هذا بعد محجوب عن الحواس ، يكون خفيا لا يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة . ويرتبط هذا البعد «الخفى» بما نعرفه عن العالم الاجتماعي بوصفنا كائنات اجتماعية تعد جزءا من هذا العالم وتؤثر على الطريقة التي تصرف وفقا لها ، ومن خلالها نفهم حياتنا الاجتماعية . ويوصف هذا البعد بأنه يشتمل على الأبنية والآليات التي تستحدث الواقع الاجتماعي الذي يمكن ملاحظته أو تؤثر فيه . وعلى حين تكون هذه الآليات وهذه الأبنية غير قابلة للملاحظة ، فإن من الممكن ملاحظة تأثيرها في طريقة تصرف الناس .

فکر فی هذا الموضوع . . .

الأسرة من وجهة النظر الواقعية

تمثل الأسرة - في الظاهر - جماعة من الأفراد تربط بينهم مجموعة من العلاقات التي يمكن ملاحظتها . وتذهب وجهة النظر الواقعية إلى أن هناك آليات وأبنية خفية لابد من توفرها لكي يتسمى للأسرة أن تتخذ شكلا خاصا أو محددا . ويمكن أن تشمل هذه الآليات والأبنية - مثلا - حاجة الأطفال النفسية للأمان ، والرعاية المادية والتواء ، كما تشمل التكاثر البيولوجي الذي يتطلب مشاركة ذكر وأنثى فيه ؛ وتشمل أيضا تشكيل هوية النوع الاجتماعي الذي يتضمن الحياة الجنسية ، والأبوة ، وحمل الأطفال ، وكذلك سائر الحاجات الإنسانية للدعم العاطفي والاجتماعي .

إننا نستخدم النظريات المتعلقة بعالمنا الاجتماعي والمتعلقة بأنفسنا ككائنات اجتماعية لتساعدنا في تمييز الآليات الخفية الكامنة وفي فهم الطريقة التي تعمل بها .

ما الطرق المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعي ويمكن أن تساعدننا على التفكير فيما نريد دراسته وكيفية عمل ذلك؟

حاولنا فيما سبق أن نحدد ونناقش ثلث وجهات نظر في فهم طبيعة العالم الاجتماعي وما يمكن دراسته عن هذا العالم ، وهي وجهة النظر الموضوعية ، والتصريرية ،

والواقعية. ثم نحاول فيما يلى استخدام وجهات النظر هذه فى التفكير فى كيفية تأثير تبني وجهات النظر المختلفة فى طبيعة العالم الاجتماعى على الطرق التى يمكننا بها جمع المعرفة عن الظواهر الاجتماعية الموجودة فى هذا العالم الاجتماعى. ونزيد الآن أن نقدم مصطلحا آخر ، هو الإبستمولوجيا. ويشير هذا المصطلح إلى ما يمكن اعتباره معرفة تتعلق بظاهرة اجتماعية ما ، كما نهتم بالإبستمولوجيا بتحديد نوع المعرفة الذى يكون استخدامه مقبولا لمساعدتنا فى دراسة تلك الظاهرة كباحثين اجتماعيين .

ما: الإبستمولوجيا (2)

الإبستمولوجيا نظرية للمعرفة ، وهى تطرح رؤية ما وتبين لما يمكن اعتباره معرفة ، أي ما الذى يمكن معرفته ، وما المعايير التى لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيها لكي تستحق أن تسمى معرفة وليس اعتقدات (بليكى ، 1993 ، ص 6 - 7) .

سنقدم ثلاثة من وجهات النظر الإبستمولوجيا المختلفة هي: الوضعية ، والتأويلية ، والواقعية. وفي ثنايا تحليلها لذهنك تدريرجيا ، ستبدأ فى إدراك مدى ما يمكن أن تحدثه هذه الرؤى على اختيارك لموضوع البحث تحديدا على أسئلة البحث التى تطرحها.

الوضعية

أشرنا من قبل إلى أن بعض العلماء الاجتماعيين قد ذهبوا إلى أن التوجهات التى تتبعها العلوم الطبيعية يمكن تطبيقها فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، وأن الاتجاه الإبستمولوجي الأول الذى يتبعه استعماله هو ذلك الاتجاه الذى جرت عادة العلماء الطبيعيين على الأخذ به تقليديا ، وأعني به الاتجاه الوضعي (انظر قائمة المصطلحات). ويتبلور هذا الاتجاه انطلاقا من وجهة النظر الأنطولوجية ذات النزعة الموضوعية التى ترى أن الحقيقة الاجتماعية توجد مستقلة عن الباحث وعن المبحوثين.

ويتسم الاتجاه الوضعي بعدد من السمات المميزة ، هي:

- يتم تعريف المعرفة بأنها هي ما يمكن ملاحظته بالحواس.

- ترتكز معرفة الظاهرة الاجتماعية على ما يمكن ملاحظته وتسجيله وليس على التصورات الذاتية.
- عادة ما يجري جمع البيانات بقصد اختبار فرض (انظر قائمة المصطلحات) تم توليده من إحدى النظريات القائمة.
- الباحث مستقل عن هذه البيانات وليس له تأثير عليها، أى إن الباحث موضوعي.

ما: الاتجاه الوضعي

يعنى "الاتجاه الوضعي" في البحث الاجتماعي عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكمية.
- قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعي، أى الظواهر الاجتماعية.
- البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعي.
- غالباً ما تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات، كما تستخدم الإحصاءات.
- (انظر الفصل الأول من هذا الباب ، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه).

مثال 2-2

اتجاه وضعى فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى

والزيادة فى جرائم استخدام الأسلحة الناريه

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى العام وجد أن 80 % من البالغين الذين تم سؤالهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب في البيت هما من عوامل الزيادة في الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية بين الفتيان . فكيف ينبغي علينا أن نبحث العلاقة بين التفكك الأسرى والفتىان المشاركون في جرائم الأسلحة النارية؟

إذا كنا سنتبني اتجاهها وضعيًا، فإنه ينبغي علينا الآتي:

- 1- أن نصوغ فرضاً مفاده أن الفتى الذين عانوا من التفكك الأسري يزداد احتمال تورطهم في الجرائم الخطيرة بمعدل يفوق الفتى الذين لم يمرروا بتجربة التفكك الأسري.
- 2- ينبغي أن نعرف "التفكك الأسري" وفقاً للمؤشرات القابلة لللاحظة، والتي منها مثلاً: الحضور الدائم أو الغياب الدائم لوالدين الطبيعيين، وطلاق الوالدين، وتورط بعض أعضاء الأسرة الآخرين في أنشطة إجرامية.
- 3- ينبغي أن تتأمل النظريات المتعلقة بموضوع الفتى والجريمة، والتي منها مثلاً نظرية أن الفتى العاطلين عن العمل أو غير الملتحقين بالتعليم يزداد احتمال ارتكابهم لجرائم.
- 4- ينبغي أن نجمع بيانات عن عينة كبيرة من الفتى، بحيث تحتوى هذه البيانات على شواهد دالة على وجود "التفكك الأسري" أو وجود أي نشاط إجرامي. كما ينبغي أن نجمع بيانات تتعلق بالنظريات الأخرى التي سوف نأخذها في اعتبارنا.
- 5- ينبغي أن نستخدم التحليل الإحصائي لتحديد العلاقات (والتي يحتمل أن تكون علاقات سببية) بين مختلف المتغيرات على نحو ما تعكسه هذه البيانات.

التزعع التأويلية

تدور داخل نطاق العلوم الاجتماعية معركة فكرية طال عليها الأمد وتعلق بما في وجهات النظر البحثية التي يأخذ بها العلم الطبيعي من فائدة لدراسة العالم الاجتماعي، كما أن جزءاً لا يستهان به من هذه المعركة الفكرية يدور حول فائدة استخدام الاتجاه الوضعي في دراسة الظواهر الاجتماعية. ذلك أن كثيرين من العلماء الاجتماعيين يؤمنون أنه لا بد للبحث الاجتماعي أن يشتمل على التصورات والتفسيرات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التي لا تكون بالضرورة قابلة لللاحظة عن طريق الحواس،

بل يمكن تأويلاً لها من قبل كائن إنساني آخر ، ويقصد به هنا الباحث الاجتماعي . وتسمى وجهة النظر الإبستمولوجية (المعرفية) التي انبثقت وتطورت من هذا الاتجاه: ”النزعه التأويلية“ (انظر قائمة المصطلحات).

وهكذا تمثل هذه النزعه وجهاً نظر تعطى الأولوية لما يراه الأفراد من تأويلات وتصورات ذاتية للظواهر الاجتماعية ، ولما يقومون به من أعمال وتصيرفات شخصية ، كما أن بالإمكان ربط وجهاً نظر هذه بوجهة النظر الأنطولوجية للنزعه التصورية ، والتى ترى أن ظاهرة اجتماعية ما نجدها ماثلة في التصورات والمعانى التي يعزوها الفاعلون الاجتماعيون لهذه الظاهرة الاجتماعية:

”ينظر إلى المعرفة باعتبار أنها مستمدّة من مفاهيم ومعانى الحياة اليومية ، فالباحث الاجتماعي يدخل إلى العالم الاجتماعي لكي يتمكن من الإللام بالمعانى التي صنعتها المجتمع ، ثم يعمل بعد ذلك على إعادة صياغتها في لغة العلم الاجتماعي . وعند أحد المستويات ، تعد تلك التقارير (التي يقدمها الباحث) إعادة صياغة أو إعادة وصف واقع الحال السائد في الحياة اليومية . وعند مستوى آخر ، يتم تطوير هذه التقارير والتفسيرات (التي يقدمها الباحث) وبلورتها في صورة نظريات“ (بل يكنى ، 1993 ، ص 96).

وبتسم الاتجاه نحو النزعه التأويلية بالسمات التالية:

- تشتمل المعرفة التي يجمعها الباحث على تفسيرات الأفراد وتصوراتهم .
- ينصب الاهتمام الرئيسي على الطريقة التي بها يفسر الناس العالم الاجتماعي والظواهر الاجتماعية ، مما يمكنهم من استكشاف مختلف الرؤى ووجهات النظر .
- يقوم الباحث بتفسير تفسيرات الآخرين في ضوء النظريات والمفاهيم الموجودة في تخصص الباحث الاجتماعي ، أى إنه يدرس الظاهرة الاجتماعية هذه كما لو كانت دراسته تلك تتم من خلال عيون الأفراد الجارى بحثهم (المبحوثين) .
- يستعمل الباحث ما يتم جمعه من بيانات ليصوغ نظرية .

ما: الاتجاه التأويلي

يعنى الاتجاه التأويلي فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكيفية (أى الغزيرة فى التفاصيل والوصف الدقيق).
- كشف النقاب عن المعانى الذاتية، واستخدامها مادة البحث.
- تأويل المعنى فى إطار سياق محدد.
- الفهم المتعاطف، أى: "وضع الباحث نفسه فى موضع الشخص الآخر" (المبحوث).

(انظر الفصل 3 من هذا الباب ، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

مثال 2 - 3

اتجاه تأويلي فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والزيادة

فى جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى وجد أن 80 % من البالغين الذين اشتركوا في هذا الاستطلاع كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب في المنزل هما من عوامل زيادة أعداد الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية بين الفتيان : فكيف ينبغي علينا أن نبحث هذه العلاقة التى بين التفكك الأسرى والفتىان المتورطين فى جرائم مرتبطة باستعمال الأسلحة النارية؟

إذا أردنا تبني الاتجاه التأويلي فإنه يتبع علينا ما يلى :

- 1- أن نستكشف بالتعاون مع الفتىأن الذين سبق لهم أن تورطوا - أو الذين هم متورطون حاليا - فى أنشطة تشتمل على حيازة الأسلحة النارية ، نستكشف معهم كيف يرون موقفهم الشخصى فيما يتصل بالأخرين المشتراكين معهم

وكذلك فيما يتعلق بالأفراد الذين كانوا ضحايا لهم بالفعل أو يحتمل أن يكونوا ضحاياهم.

2- وأن نتمكن الفتى من أن يحكوا قصتهم الشخصية الخاصة عن كيفية تورطهم فعلاً في أنشطة تشمل على حيازة أسلحة نارية.

3- أن نتفحص الطرق التي يتبعها أولئك الفتى في التحدث والكتابة على الإنترن特 عن الأسلحة النارية وعن الجريمة.

4- وأن نتيح للوالدين الذين لهم أبناء من الفتى الذين قد يحوزون أسلحة نارية، وقد يكونون متورطين في جرائم مرتبطة باستخدام تلك الأسلحة؛ نتيح لهم فرصة تقديم تصورهم لدورهم كآباء وأمهات.

5- من واقع ما تم جمعه من البيانات الغزيرة والتفصيلية ينبغي علينا أن نبلور التفسيرات الممكنة لاشتراك بعض الفتى في الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية.

النزعة الواقعية

اعتقد المفكرون النظر إلى كل من الوضعية والتأويلية باعتبارهما نزعتين متصادتين بعضهما البعض، كما أن العلماء الاجتماعيين الذين ينطلقون في بحوثهم من إحدى هاتين النزعتين أو من الأخرى قد طوروا ما يخصهم من مناهج البحث وطرقه (انظر الفصل 4 من الباب 1 والفصل 4 من الباب 2). ومع ذلك ظل العلم الاجتماعي يواصل العمل على ابتكار وتطوير طرق جديدة لتناول قضية دراسة العالم الاجتماعي الذي يكون الباحث عضواً فيه. من ناحية أخرى تقدم الواقعية - كما رأينا - رؤية أخرى لطبيعة العالم الاجتماعي ولما يمكن معرفته عنه.

تنطلق الواقعية (انظر قائمة المصطلحات) من رؤية شبيهة بالوضعية من حيث الاعتراف بوجود حقيقة اجتماعية تعد خارجية بالنسبة للباحث، وفي الإيمان بأن بالإمكان بحث هذه الحقيقة باستخدام الاتجاهات الشبيهة بتلك المستخدمة في العلوم

الطبيعية. أما الواقعية فتذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ترى أن الحقيقة الاجتماعية الظاهرة ترتكز على بعض الأبنية والأساليب الخفية، التي تنسى في الوقت نفسه بأنها قوية. وهذه الأساليب لا يمكن ملاحظتها مباشرة، إلا أن تأثيراتها ونتائجها تكون جلية، لذلك فإن بالإمكان تجميع هذه التأثيرات والنتائج لتقديم الدليل على وجود هذه الأبنية أو الأساليب الأساسية. ويوجد كذلك اتجاه واقعى نقدى يعطى الأولوية لتحديد الأبنية أو الأساليب التي ينتج عنها ظاهر عدم المساواة أو الظلم، وبذلك يتتيح هذا الاتجاه الفرصة لإحداث التغير الاجتماعي عن طريق تغيير أو إبطال تأثير هذه الأساليب البنائية التي تسبب هذه التأثيرات. ولا ينطبق هذا الاتجاه (الواقعى النقدى) انتظاماً على الاتجاه الأنطولوجي الوضعى أو التصورى، لأنه يركز على عملية بلورة المعرفة التي تكون واقعية ولكنها غير قابلة للملاحظة أكثر من تركيزه على ما يترتب على هذه المعرفة من نتائج. وهكذا يتمثل الهدف الرئيسي للباحث الواقعى النقدى فى التعرف على كل من الأساليب الخفية والنتائج الظاهرة المحظوظة.

ما : الاتجاه الواقعى النقدى؟

جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعى النقدى في البحث الاجتماعي على أنه:

• الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية .

• كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة .

• البحث الذى يؤدى إلى الفعل (أى التدخل) .

• جمع البيانات الكيفية و/أو البيانات الكمية .

(انظر الفصل 3 من الباب 1 ، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

اتجاه الواقعية النقدية في دراسة العلاقة بين التفكك الأسري

والزيادة في عدد جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطانا الضوء على أحد استطلاعات الرأى الذى وجد أن 80% من البالغين الذين استطلعت آراؤهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل هما من عوامل زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان . فكيف يتسعى لنا دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والفتيان المتورطين فى جرائم ترتبط باستعمال الأسلحة النارية؟

إذا أردنا تبني الاتجاه الواقعى النقدى فإنه يتبعى علينا :

- 1- الانطلاق من الواقع الماثل أمامنا ، وهو أن اشتراك الفتيان فى الأنشطة المرتبطة بالأسلحة النارية آخذ فى الازدياد ، وأنه يبدو مرتبطاً بحالة من حالات التفكك الأسرى أو ناجماً عنها .
- 2- محاولة التماس البحوث الأخرى فى هذا المجال والمتعلقة بتعيين الأساليب الممكنة التى قد تؤدى إلى أن يصبح بعض الفتيان الذين يعانون من التفكك الأسرى متورطين فى جرائم المرتبطة باستعمال الأسلحة النارية ، وتأمل النتائج التى انتهت إليها تلك البحوث .
- 3- التعرف على الآليات الاجتماعية التى يحتمل أن تكون مرتبطة بالتفكك الأسرى ، والتى قد تسبب فى اشتراك الفتيان فى أنشطة إجرامية باستخدام الأسلحة النارية . ومن هذه الآليات على سبيل المثال : ما يتعرض له هؤلاء الفتيان من استبعاد اجتماعى أو وصم اجتماعى بتصويرهم فى صورة نمطية جامدة ، كما أن من هذه الآليات ما يتصل بأنماط الأدوار الاجتماعية التى يؤديها هؤلاء الفتيان ، وما يرتبط بمفهومهم عن الهوية الذكرية .
- 4- بعد القيام بجمع البيانات الكيفية والكمية يتبعى علينا أن نستكشف ما إذا كانت هناك ثمة آلية خفية أم لا ، ونستكشف الطريقة التى تعمل بها تلك الآلية بحيث تتسبب فى تورط بعض الفتيان فى النشاط (الإجرامى) المرتبط باستعمال الأسلحة النارية .

ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟

بدأنا نفكر فى طرق دراسة الظواهر الاجتماعية ومختلف أشكال المعرفة التى قد تكون ملائمة لوجهات النظر الإبستمولوجية (المعرفية) المختلفة. وننتقل الآن إلى محاولة إلقاء نظرة على ما نحاول فعله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعى ما.

”يقوم البحث الاجتماعى على استكشاف جانب ما من العالم الاجتماعى، ووصفه بالتفصيل، وفهمه، وتفسيره، والتنبؤ به، وتحقيقه، وتقديره... أي يتعلّق بالأسئلة التي تبدأ بالكلمات: ماذا، ولماذا، وكيف“. (بل يكنى، 1993، ص 4).

فحن كباحثين اجتماعيين نحاول بالأساس القيام بما يلى:

- (أ) أن نصف بالتفصيل ونستكشف ظاهرة اجتماعية ما (أو عدة ظواهر اجتماعية).
- (ب) ونحاول - عادة - أن نفهم ونفسّر كيف ولماذا تكون هذه الظاهرة على ما هي عليه، أو كيف ولماذا يفهمها البعض على النحو الذي تفهم به.

ولتوسيع ذلك نقول إننا نحاول أن نصف هذه الظاهرة ونستكشفها باستعمالنا للأسئلة التي تبدأ بالكلمات: ماذا؟، ومن؟، وأين؟، ومتى؟، ونحاول أن نفهم ونفسّر هذه الظاهرة الاجتماعية باستعمال أسئلة مثل : كيف؟ ولماذا؟ (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

وفي ممارستنا لهذه المهمة قد نقوم بالإجابة على أكثر من سؤال واحد من هذه الأسئلة الواردة في بحث معين ، إذ من الممكن أن تكون هذه الأسئلة مترابطة فيما بينها ، أو قد تتوقف الإجابة عن سؤال معين على إجابة سؤال آخر . ويذهب شات Shatt (انظر جدول 1-2) إلى أنه من المعهود أن توجد أربعة أنماط من البحوث ، وأن بالإمكان إيضاح هذه الأنماط باستعمال المثال الخاص ببحث موضوع مشاركة بعض الفتيان في جرائم باستخدام الأسلحة النارية.

جدول 2 - 1 : الأنماط الأربع للبحث

البحث الوصفي	من هم الفتىان الذين يتورطون في جرائم باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث الاستكشافي	ما الصورة التي يكون عليها العضو في إحدى هذه العصابات؟
البحث التفسيري	لماذا ينضم الفتىان إلى العصابات التي تشارك في جرائم مرتبطة باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث التقييمي	ما التغيرات التي يمكن إحداثها في مجال السياسة وفي مجال الممارسة، والتي من شأنها أن تقدم أفضل مساعدة للفتىان حتى لا ينضموا لأمثال تلك العصابات؟

المصدر : نقاً بتصرف عن شات (1996 ، ص13) وتم النشر بإذن .

بحثك

أعمل فكرك في المجال الخاص ببحثك وحدد أربعة أسئلة أو أربعة عناصر ينبغي أن توليها عنايتك :

- البحث الوصفي
- البحث الاستكشافي
- البحث التفسيري
- البحث التقييمي

وسوف نبحث هذه النقطة بمزيد من التعمق في الفصل الرابع من هذا الباب ،
بمناسبة مناقشة موضوع أسئلة البحث .

فى معظم البحوث الاجتماعية يمكننا أن نتوقع وجود محاولة (واحدة) على الأقل لتفسير ما يحدث وتفسير طبيعة الظاهرة الاجتماعية ، فى ضوء السؤال عن : لماذا وكيف صارت هذه الظاهرة إلى ما هي عليه الآن؟ هذا هو ما نفعله عندما نتعامل مع بياناتنا أثناء مرحلة التحليل في بحثنا (موضوع الباب الرابع من هذا الكتاب) .

قد تتخذ التفسيرات عدداً من الأشكال المختلفة نذكر منها:

- قد يكون التفسير متعلقاً بهذه الظاهرة، أو الحدث، أو الظرف تحديداً (و غالباً ما يسمى الواحد من هذه الأمور : متغيراً) (انظر قائمة المصطلحات) المتسبب في إحداث تلك الظاهرة - أى إن هذا التفسير يتعلق بوجود علاقة سببية (انظر قائمة المصطلحات).
- وقد يكون التفسير متعلقاً بالتوصل إلى فهم أفضل للكيفية التي يعزز بها الأفراد المعاني والتصورات لما يحدث لهم.
- وقد يتعلق التفسير بالبحث عن الظروف أو الأبنية التي يبدو أنها تحدد ما الذي يفعله الأفراد وما الذي يفكرون فيه.

سوف ترى أن هذه الأشكال الثلاثة من التفسير تتطابق مع وجهات النظر الإبستمولوجية (المعرفية) الثلاث التي سبق تحديدها ، وهى: الوضعية ، والتأويلية ، والواقعية . كما سوف نرى أن هذه التفسيرات تستخدم أنماطاً مختلفة من المعرف . وفي الوقت الذي يصدق فيه هذا الكلام عموماً على أشكال التفسير المذكورة ، وكما سنتبين عندما نبدأ في إعمال الفكر في تطوير أسئلة البحث واختيار طرق البحث ، فإن هذه الاتجاهات الثلاثة في التفسير ليست متضادة بالضرورة ، أى لا يستبعد الواحد منها التفسيرين الآخرين . (انظر الفصل 4 من هذا الباب ، وكذلك الفصل 4 من الباب 2).

كيف يمكن أن تساعدنا النظريات في بحثنا الاجتماعي؟

يقوم البحث الاجتماعي أساساً على جمع البيانات وتحليلها وفق طرق من شأنها أن تساعدنا على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية . وقد رأينا أنه توجد طرق مختلفة لتحصيل المعرفة ، وأن لدى العلماء الاجتماعيين طرقاً مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعي . كما أنهم يقبلون أنماطاً مختلفة من المعرف التي يعدونها مفيدة لهم فيما يحاولونه من فهم وتفسير .

سلفت الإشارة في ثنايا حديثنا عن النظريات، وهي في هذه الحالة النظريات المتعلقة بالمعرفة، وما هي المعرفة الموجودة فيما يتصل بالعالم الاجتماعي، وكيف يمكن استخدام المعرفة المتعلقة بها العالم في مساعدتنا على فهم وتفسير الظواهر، وتعتبر وجهات النظر الأنطولوجية والإستمولوجية - في حد ذاتها - نظريات للمعرفة. ولأننا قد تبينا أن هناك نظريات مختلفة، أو مجموعات مختلفة من الأفكار، عن طبيعة المعرفة وعن كيفية التوصل إلى معرفتها أو كيفية تحصيلها. وتقوم وجهات النظر الإستمولوجية التي تعرفنا عليها على أساس نظريات المعرفة، وهي - بصفتها هذه - تزودنا بنظريات البحث الاجتماعي، وأعني على وجه الخصوص النظريات التي تحاول أن تشرح طبيعة البحث الاجتماعي نفسه.

ما: النظرية؟

النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم مترابطة يمكن استخدامها لشرح وفهم حدث، أو موقف، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية.

ما: المفهوم؟

المفهوم فكرة مجردة تشمل على طريقة في وصف ظاهرة اجتماعية ما، كظاهرة الأسرة، أو ظاهرة الفقر، أو القوة، أو الصحة، أو التفكير فيها. (انظر الفصل الرابع من هذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باستخدام المفاهيم).

وأياماً كان الاتجاه الذي نأخذ به في بحثنا، فستكون النظرية جزءاً منه. ولأننا جميعاً باحثون، فإننا نعتبر جميعاً مفكرون نقوم بالتنظير (التفكير على هدى نظرية ما) في كل يوم. وتعتبر النظريات مجموعات من الأفكار التي تحاول شرح أو تفسير أمر ما، أي تفسير العلاقة بين خاصيتين أو سنتين، وتفسير سبب حدوث وقائع معينة، وتفسير كيف يؤول الأمر ببعض الأفراد إلى الإيمان برؤى معينة أو التصرف بأساليب معينة. ونحن في كل طريق نسلكه في حياتنا اليومية، نعتمد على ما نؤمن به من نظريات في تفسير ما يحدث لنا.

النظريّة: كلما زاد الوقت الذي تتفقّه في القراءة، ارتفع مستوى جودة أدائك للمهمة البحثيّة (وهي نظرية من الممكن دحضها - أي تكذيبها - بسهولة تامة).

النظريّة: يمكن أن يتأثّر العمل الدراسي الأكاديمي بمظاہر القلق والضغط الشخصيّة.

أظن أنني أديت هذه المهمة أداءً جيداً، لأنني أمضيت ساعات في المكتبة العامة أقرأ حول موضوعات

إنها لم تحصل على درجات عالية في هذه السنة لأنها مرت بأوقات عصيبة، فقد انفصل أبوها وكانت جدتها مريضة.

كثيراً ما نحاول - في حوارتنا - تفسير أنفسنا للآخرين بالاعتماد على الأفكار المتعلقة بالطريقة التي تجري بها الأمور، أو قل الطريقة التي ينبغي أن تجري الأمور وفقاً لها، وذلك بجانب الاعتماد على الأفكار المتعلقة بكيف تسير الأمور وكيف تفعل فعلها: وتعتمد هذه الأفكار على خبرتنا العامة المشتركة المستمدّة من كوننا كائنات إنسانية اجتماعية. ونحن نستخدم خلاصة خبرتنا، وقدرتنا على التعاطف مع الآخرين، ومفهومنا لطريقة تطبيق نظرياتنا على الآخرين.

إلى جانب استخدام العلماء الاجتماعيين (والعلماء الطبيعيين أيضاً) لنظريات البحث الاجتماعي، يقومون بتطوير النظريات واستخدامها في محاولة شرح طبيعة الظواهر التي يدرسونها. وكما أنه توجد طرق مختلفة لشرح طبيعة البحث الاجتماعي، يوجد - بالمثل تماماً - طرق مختلفة لشرح كيفية النظر إلى ظاهرة اجتماعية معينة كالأسرة مثلاً، أو كيفية فهمها على ما هي عليه. ونحن كباحثين اجتماعيين بحاجة إلى أمرتين اثنين معاً هما: أن نحدد ما يخصنا من نظريات تتعلق بموضوع بحثنا، وأن نحيط علماً بالنظريات التي استعملها الباحثون الآخرون أو طوروها من واقع النتائج التي انتهت إليها أبحاثهم.

يسعّمُلُ أُوبِرِيَانُ O'Brian (نقلًا عن جيلبرت Gilbert، 1993، ص: 11) المثال الخاص بالكايليدوسكوب (أو المُشكَّال المتعدد الصور والألوان) ليوضح الطريقة التي تساعدها بها النظريات في دراسة العالم الاجتماعي، فيقول:

”عندما تدير الأنبوة وتنتظر إلى ما هو موجود تحت عدسة الكايليدوسكوب، سوف تجد أن الأشكال والألوان التي يمكن رؤيتها في الواقع تأخذ في التغيير. وكلما أديرت الأنبوة تشتّرك عدسات مختلفة في العمل، وتتحول توليفات الألوان والأشكال من نمط إلى آخر“.

وهكذا تشبه النظريات العدسات، فهي تضع عناصر مختلفة من العالم الاجتماعي في نطاق رؤيتنا، كما أنها تستطيع مساعدتنا على رؤية العالم الاجتماعي بطرق جديدة.

فكرة في هذا الموضوع . . .

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأي وجد أن 80% من البالغين الذين طرحت عليهم الأسئلة كانوا يرون أن التفكك الأسري ونقص التأديب في المنزل، يعد ضمن العوامل التي تؤدي إلى زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان. ما النظرية أو النظريات التي ترى أن الأفراد الذين يؤمنون بهذا الرأي ربما يكونوا قد استخدموها؟

مثال 2 - 5

أمثلة للنظريات المتعلقة بالمثال الخاص

عصابات المراهقين والأسرة

- الذكورة مفهوم يتشكل (أى يتم فهمها وإضفاء المعنى عليها) اجتماعياً. ويتم ذلك بطرق مختلفة تتباين باختلاف العصور والثقافات (النظرية التصورية الاجتماعية).
- يتأثر تطور الطفل بالثقافة، والجيرة، والأسرة (وهي النظرية المعروفة باسم النموذج الإيكولوجي التفاعلي).
- من وظائف الأسرة أن تنشئ الأطفال تنسئة اجتماعية (النظرية الوظيفية).
- هناك بعض جماعات الصبيان التي يتوقع لها أن تتفق في التحصيل الدراسي (نظرية التفكير النمطي الجامد/ أو نظرية الوصم).
- ينضم بعض الفتيان للعصابات لأن ذلك يعطيهم إحساساً بالانتماء وبالهوية، وهو الأمر الذي قد يفتقدونه في الجوانب الأخرى من حياتهم (نظرية الهوية).
- الطفل الذي يشاهد العنف قد يصبح عدوانياً، ويرى أن العنف أمر عادي (نظرية التعلم الاجتماعي).

كثيراً ما توصف النظريات الاجتماعية بأنها ذات مستويات مختلفة فيما يتصل ببعض مجالات العالم الاجتماعي التي يمكن القول بأنها تغطيها: المستوى الماكرو (أو الكبير)، والمستوى المتوسط، والمستوى المايكرو (أو الصغير).

النظريات الماكرو (الكبير) (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب)، والتي تسمى أحياناً نظريات الوحدات الكبرى أو الواسعة النطاق، وهي التي تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعي بمفاهيم ومصطلحات عامة.

النظريات الوسطى (انظر قائمة المصطلحات): وهي النظريات ذات المستوى المتوسط المتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعاصرة، مثل: المنظمات، والمؤسسات، والمجتمع المحلي، والأسرة.

النظريات الصغرى (المایکرو) (انظر قائمة المصطلحات): وهي النظريات ذات النطاق المحلي المحدود أو الصغير، والتي ترتبط ب المجال محدد، أو بجامعة محددة من الناس، أو بجانب محدد من جوانب العالم الاجتماعي.

تؤثر النظريات الكبرى (الماكرو) على الطريقة التي يفكرون بها العلماء الاجتماعيون في العالم الاجتماعي باعتباره وحدة كلية متكاملة، كما أن بإمكانها أن توفر الأساس الذي يقوم عليه تطوير نظريات ذات مستوى أدنى ترتبط بجوانب أكثر تحديداً من جوانب الحياة الاجتماعية.

مثال 2 - 6

مستويات النظريات المتعلقة بمثال عصابات المراهقين والأسرة

النظرية ذات المستوى الكبير (أو الماكرو): تقول إن الذكرورة مفهوم تم صياغته اجتماعياً (أى إنه يتم فهمها وإضفاء المعنى عليها بطرق مختلفة في شتى العصور والثقافات).

النظرية ذات المستوى المتوسط: تقول إنه إن حدث في نطاق ثقافة معينة أن تم تصور الذكرورة اجتماعياً باعتبارها قوية ومهيمنة، فإن هذا التصور سوف يتضح من الطريقة التي يتم بها بناء الأسر والمنظمات.

النظرية ذات المستوى الصغير (أو المایکرو): تقول إنه غالباً ما يفقد الفتيان الذين ينضمون للعصابات التي يسيطرون بها على جوانب الأخرى لحياتهم، وأنهم يسعون لاكتساب القوة من خلال عضويتهم في عصابة ما وارتكابهم للجرائم).

النماذج النظرية

تحاول النظريات الكبرى (الماكرو) أن تستوعب العالم الاجتماعي كله، كما تغطي مجلل الظواهر الاجتماعية موضوع البحث الاجتماعي نفسه، وينصو تحتها أفكار تتعلق بطبيعة العالم الاجتماعي وبالطرق المتفق عليها لدراسته. وهذا معناه أن اتجاهها نظرياً معيناً يمكنه أن يضم في إطاره موقفه الأنطولوجي والإستمولوجي (العرفي) الخاص به. وأحياناً ما توصف صيغة الجمع بين نظرية عن العالم الاجتماعي وموافق أنطولوجية وإستمولوجية معينة بأنها نموذج نظري.

ما: النموذج النظري؟

- (1) هو مجلل الاعتقادات، والقيم، والأساليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التي يتوافق عليها أعضاء جماعة (علمية) معينة (كون Kuhn، 1970، ص 175).
- (2) هو مجموعة مترابطة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التي يعتبرها العلماء المشتغلون بتخصص معين أو فرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراسته، وكيف ينبغي إجراء البحث وكيف يجب تفسير النتائج، وما إلى ذلك (برايمان، 1988، ص 4).

فالنماذج النظرية تعكس - كما يوحى هذا التعريف - مصالح الجماعات البحثية واهتماماتها وما يركزون عليه من موضوعات للبحث، أو ما يشغل العلماء الاجتماعيين المنتسبين إلى تخصص معين أو الذين يشتغلون في الأخذ بمجموعة من الاعتقادات المستöhبة من بعض النظريات المتعلقة بالعالم الاجتماعي؛ نقول إن النماذج الفكرية تعكس ما يشغل هؤلاء العلماء من اهتمامات. ويمكننا أن نحدد من هذا القبيل داخل نطاق العلوم الاجتماعية على سبيل المثال: النسوية، وما بعد الحداثة، وما بعد البنية بوصفها نماذج فكرية (انظر المثال (2-7) الوارد أدناه للوقوف على مناقشة النسوية وعلى وجهات النظر الأنطولوجية والإستمولوجية المتضمنة في النظرية النسوية). ويتحدث الباحثون أحياناً عن الطريقة التي بها يقوم نموذج فكري معين بتعزيز بحثهم فيصفونه بأنه الإطار النظري (انظر قائمة المصطلحات). ويوحى ذلك بأن الأفكار والاتجاهات النظرية المتعلقة بالنظرية إلى المعرفة وجمعها هي التي توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع البحث. ويصف مارلو Marlow النموذج النظري بأنه أشبه بالخريطة، "إذ

يوجها - بشكل نافع - إلى المشكلات التي يكون من المهم معالجتها ، وإلى النظريات التي تعد موضع قبول واتفاق ، وإلى الإجراءات الالازمة لحل هذه المشكلات ” . مارلو ، 2001 ، ص 7) .

مثال 2 - 7

النسوية : النظرية ، والأنطولوجيا ، والإستمولوجيا

فى الجزء الأخير من القرن العشرين قام النسويون - وهم الأفراد الذين يؤمنون بمجموعة من الأفكار والاتجاهات فى دراسة وتفسير العالم الاجتماعى تعطى الأولوية لخبرات النساء ورؤاهن - نقول : قام النسويون بتحدى الباحثين الاجتماعيين أن يتناولوا بحوثهم انطلاقاً من منظور نسوى . فالباحثون النسويون يرون أن العلاقة بين النوعين (الذكور والإناث) والفرق بينهما أمر أساسى لا بد منه لفهم وتفسير العالم الاجتماعى . كما يرى النظور النسوى أن أغلب البحوث الاجتماعية قد ركزت على دراسة الرجال وعالمهم الاجتماعى ، وأنها بذلك عملت على إخفاء أو تجاهل أصوات وخبرات النساء . وهكذا جرى طرح اتجاه جديد في البحث الاجتماعى يسعى من أجل دمج الأفكار النسوية داخل هذه الأنطولوجيا والإستمولوجيا .

ويصف الباحثون النسويون طبيعة العالم الاجتماعى (أى الأنطولوجيا) على اعتبار أنه يتم صياغتها وفهمها اجتماعياً ، كما يرى هؤلاء الباحثون النسويون أن العالم الطبيعي والعالم الاجتماعى كليهما قد خضعا لهيمنة الرجال على تشكيلهما وتصورهما ، أى إن ما قدمه الرجال من المعانى والتصورات المتعلقة بطبيعة الظواهر الاجتماعية كان لها الأولوية في المحاولات التي بذلت لفهم وتفسير العالم الاجتماعى . لذلك تشتمل الأنطولوجيا النسوية على تصورات متعددة ، كما أنها تؤكد بصفة خاصة على الفروق في المعانى والتصورات بين الرجال والنساء .

وتعطى الإستمولوجيا النسوية الأولوية لخبرات النساء ، باعتبارها الأساس الذى تقوم عليه أى معرفة بظاهرة اجتماعية ما ، كما تركز تلك الإستمولوجيا على الخبرات ، والمشاعر ، والانفعالات التى يشتراك فيها الجميع . فهى تتطوى على نوع من التأكيد على أهمية طرق جمع البيانات التى تضع الباحث جنباً إلى جنب

شريك البحث (المبحث) وهم يتعاونان في العمل لتوليد المعرفة (انظر: "طرق البحث القائمة على المشاركة" في الفصل الأول من الباب الثالث ، وانظر أيضاً: "موضوع القوة في البحث الاجتماعي" في الفصل الخامس من هذا الباب). كما يوجد - غالباً - التزام صريح بالتغيير في العلاقات القائمة على النوع الاجتماعي بين النساء والرجال.

دراسة المثال المذكور انطلاقاً من نموذج نظري نسوي أو إطار نظري نسوي

- 1- ينبغي أن يركز البحث على جمع معلومات عن خبرات ومشاعر النساء المرتبطات بالفتیان المتورطين في ارتكاب جرائم استخدام الأسلحة الناریة، وبخاصة الأمهات والأخوات.
- 2- ينبغي أن يتخذ البحث اتجاهها نقدياً في دراسة القوة والنفوذ داخل العلاقات الأسرية لهؤلاء الذين تشملهم الدراسة.
- 3- ينبغي أن يتعقّل البحث في دراسة الطرق التي يتم بها تصور الأفكار المتعلقة بالذكرى في مقابل الأفكار المتعلقة بالأئنة.
- 4- ينبغي أن ينظر البحث نظرة نقدية إلى الأفكار التي مفادها أن الأسر - وبخاصة الأمهات - هي المسئولة عن سلوك الفتیان.

إلى جانب النموذج النظري النسوي ، قامت اتجاهات نقدية أخرى في دراسة العالم الاجتماعي بتطوير ما يسميه كريسول Cresswell "بحوث الدعوة إلى الرأي" (٤)، أو البحث القائمة على المشاركة (بين الباحث والمبحث) (كريسول ، 2003 ، ص 9).

(*) بحوث الدعوة إلى الرأي : Advocacy Research هي نوع من البحوث التطبيقية الوصفية يقوم بإجرانها الأفراد الذين يهتمون اهتماماً عميقاً ببعض المشكلات الاجتماعية، كالقرف أو الاغتصاب مثلاً. وتسعى دراساتهم تلك إلى قياس المشكلات الاجتماعية بهدف زيادة الوعي العام بها، وتقديم عامل تحفيز لاقتراحات السياسات أو البرامج التي تستهدف التخفيف من المشكلة محل الاهتمام: ويحدث في بعض الأحيان أن تعمد بحوث الدعوة إلى لوى عنق مناهج البحث المستخدمة من أجل تضخيم حجم المشكلة الاجتماعية التي تتحدث عنها، ومن ثم تدعم الدعوة إلى العمل العام الموجه إلى تلك المشكلة. انظر المزيد حول هذا الموضوع في: موسوعة علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهرى وزملاوه، المركز القومى للترجمة(3مجلدات) الطبعة الرابعة، 2012. (المترجم)

وكما هو الحال في البحوث الاجتماعية النسوية، تضم هذه الاتجاهات الناشئة اتجاهات تسعى إلى دراسة العالم الاجتماعي انطلاقاً من منظور جماعات الأفراد الذين تعرضت تصوراتهم وخبراتهم - المتعلقة بالعالم الاجتماعي - للتجاهل أو الإخفاء، من قبيل: الأفراد المصابين بمخالف أشكال العجز البدني، والسود، والمثليين من الذكور والسحاقيات من الإناث (انظر الفصل الخامس من هذا الباب). ويتعين على البحوث التي تتم داخل نطاق هذه الأطر النظرية أن تركز على الخطاب أو اللغة التي يستعملها الأفراد الآخرون (خارج هذه الجماعات)، والذين ينظر إليهم باعتبار أنهم أكثر قوة، وذلك لوصف هذه الجماعة وصفاً تفصيلياً. كما ينبغي أن يؤكّد البحث على أهمية تمكين المبحوثين، وعلى أهمية البحوث القادرة على تحدي أشكال الخطاب والممارسات الراهنة، ومن ثم تصبح إيداناً بالبدء في التغيير.

بحث

لكل تخصص علمي داخل العلوم الاجتماعية مجموعات مختلفة من المواقف النظرية التي يتم تدريسها، كما أنها تضفي على البحوث في هذا التخصص طابعها المميز.

هل تستطيع، وأنت تفكّر فيما يتصل بفرع تخصصك العلمي أن تحدد النظريات ذات المستوى الكبير (الماكرو)، أو ذات المستوى المتوسط، أو ذات المستوى الصغير (المایکرو)؟

النظريات الماكرو (أو ذات المستوى الكبير).

النظريات الوسطى.

النظريات الصغرى (أو المایکرو).

استخدام النظرية في البحث الاجتماعي

إذن، كيف تستخدم النظرية في التفكير في بحثك الاجتماعي وفي تطويره؟ ثمة خمس طرق أساسية هي:

استخدام نظريات الآخرين الموجودة حالياً

عند شروعك في التفكير في موضوع بحثك، ستكون مشغولاً بالقراءة في مجال موضوع بحثك، مما يجعلك على دراية جيدة بالأعمال البحثية الأخرى التي أجريت في هذا الموضوع، كما يدفعك إلى أن تتأمل في مدى تلاويم خبرتك الخاصة ومعرفتك الشخصية مع دراستك. ومن المحتمل أن قراءتك سترافق على النظريات التي بلورها الباحثون الآخرون في هذا المجال، التي قد تكون في نطاق تخصصك العلمي، أو في مجال التخصصات العلمية الأخرى. وهنا سوف تتعثر على مجموعات من الأفكار المتعلقة بموضوع معين تحاول تفسير ما يجري بشأنه من أمور. ولا ريب أنك قد تعثر على عدد من النظريات المختلفة أو المتعارضة مما يتصل بموضوع بحثك. (انظر البراويز التي تضم أمثلة عن النظريات المختلفة في مجال الشباب والجريمة). كما سيعين عليك التفكير في موقفك الفكري ما إذا كنت تجد موقفاً فكريًا أو غيره أقرب في نظرك للاستحسان أو القبول. ولكنك سوف تعتمد كذلك على نظرياتك الأولية أو التمهيدية، ونعني بها ما لديك من أفكار يمكن بها تفسير ما يحدث من أمور. وقد تكون هذه الأفكار مستمدة من خبرتك أو دراستك، أو قد تكون مجرد توليفة أفكار تعطيك "دفعة أولية للأمام". حاول عند هذه المرحلة أن تتحقق مما إذا كانت أفكارك مشابهة لتلك الأفكار التي سيق أن كتب عنها الآخرون. وقد تحتاج كذلك إلى مراجعة العمل الذي نُفذ في المجالات المرتبطة بمنطقة بحثك، فإن كنت تبحث - مثلاً - في القضايا الخاصة بالتمييز القائم على أساس العمر، فلعلك تحتاج لتأمل البحوث التي أجريت في مجال التمييز القائم على أساس النوع الاجتماعي، وفي مجال التمييز القائم على أساس العجز البدني. إذ قد يمكن - في بعض الأحيان - أن تكون بعض النظريات قابلة للنقل والتطبيق على موضوعات مختلفة يجمعها وجه ما من أوجه التشابه (انظر الفصل الثاني من هذا الباب).

استخدام نظريات البحث الاجتماعي والمعرفة

في المراحل المبكرة لقيامك ببحثك، سوف تعتمد كذلك على النظريات المتعلقة بالبحث الاجتماعي نفسه. ولاحظ أن كل مناقشاتنا في هذا الباب - حتى الآن - تنصب على النظريات ، أو مجموعات الأفكار المتعلقة بكيف نرى العالم الاجتماعي وكيف ندرسه. وقد تجد من الممتعة أن تحدد لنفسك موقفاً أونطولوجياً أو موقفاً إبستمولوجياً (معرفياً) معيناً، ولكنك وباعتبارك على المعرفة المتأخرة في تخصصك العلمي ، تستطيع البدء في التفكير في تحديد ما الجوانب التي تشير اهتمامك من بين جوانب دراستك. وقد يساعدك ذلك على التأمل في موقفك الفكري الذي تتبعاه فيما يتصل بطبيعة العالم الاجتماعي وكيف يمكن دراسته. وفي الأمثلة الواردة في هذا الباب بإضاح لأحدى طرق القيام بهذا العمل . وفي إمعانك التفكير فيما يعنيه كل اتجاه إبستمولوجي (معرفى) للدراسة الخاصة بموضوع بحثك قد تجد أنك تفتح الباب على مصراعيه لجوانب مختلفة من موضوع البحث ولمجموعة أكبر من الأسئلة البحثية المحتملة التي يمكنك الاختيار من بينها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

كيفية التعامل مع النظرية

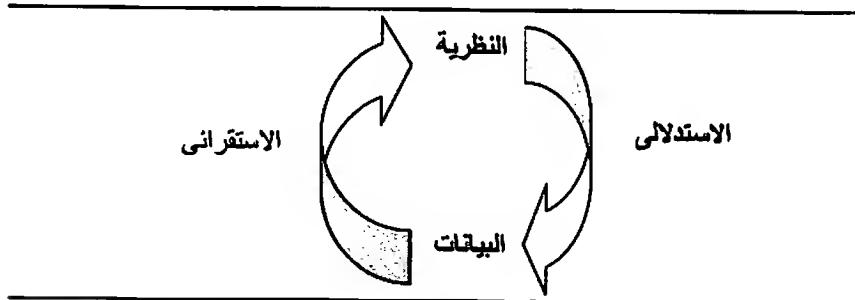
تعد النظريات بوصفها مجموعات من الأفكار التي تحاول تفسير مختلف جوانب العالم الاجتماعي ؛ تعد ذات أهمية محورية لا غنى لك عنها في تحديد منهجية بحثك وفي تحديد طبيعة البيانات التي تجمعها (انظر الفصل الثالث من هذا الباب). وسوف تجد أنك يمكن أن تعامل مع النظرية - بطرق مختلفة - وفقاً لموقفك الفكري المعرفي (الإبستمولوجي) الشخصي . (انظر الفصل الثالث من هذا الباب). فإن أخذت - مثلاً - باتجاه وضعى ، أو ربما أخذت باتجاه واقعى نقدي ، فقد تبدأ بالشروط في اختبار فرض قائم على أساس نظرية موجودة بالفعل . ويسمى هذا الاتجاه الاستدلالي أو الاستنتاجي في استخدام النظرية . ومع ذلك ، فإنك إن كنت تأخذ باتجاه تأويلي ، فمن المرجح أن تبدأ بالأسئلة البحثية (التي قد تكون مستلهمة من هذه النظرية الموجودة فعلاً) ، وأن تقوم بعد ذلك بجمع البيانات وتستخرج تفسيراتك - أي تصوراتك النظرية المؤقتة وغير النهائية - من هذه البيانات نفسها ، ويعرف هذا الاتجاه باسم الاتجاه الاستقرائي .

والملاحظ أن النظرية تستخدم - في معظم البحوث - بالشكل الاستقرائي وبالشكل

الاستدلالي معاً. وإذا فكرنا في البحث باعتباره مستلهمها من النظرية ومولجاً للنظرية كذلك، فإن بالإمكان تصور عملية البحث باعتبارها دورة (تتحرك في شكل دائرة) كما هو مبين في الشكل (2-2).

بلورة أسئلة البحث وفرضيه

أياً ما كان الموقف المعرفي الذي تأخذ به، فإن النظريات ستكون متضمنة في فرضك أو في أسئلة بحثك بشكل ظاهر أو ضمني (انظر الفصل الرابع من هذا الباب). وهو أنت الآن تحدد بوضوح الموضوعات التي سوف تقوم بجمع بيانات عنها، كما أنك ستقوم بتطوير أسئلة البحث وفرضيه كى تساعدك في شرح عناصر موضوع بحثك. فإن كنت تقوم بتطوير أحد الفروض، فقد تعتمد على نظرية موجودة فعلاً، أو تطور نظرية خاصة بك.



شكل 2-2: الاتجاه الاستقرائي والاتجاه الاستدلالي

وذلك بغرض تأسيس هذه النظرية واختبارها عن طريق جمع البيانات. وإن كنت تقوم بتطوير أسئلة البحث فسوف توجه أسئلة تعتمد على نظرية وعلى معارف موجودة فعلاً وتطرح أسئلة ليتم معالجتها عن طريق البيانات التي تم جمعها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

شرح بياناتك

وفي النهاية، عندما تكون قد جمعت بياناتك واستخدمتها، وناقشت النتائج (انظر الباب الرابع من هذا الكتاب)، ستكون قادراً على إثبات مدى صحة فرضك، أو دحضه

(تكذيبه)، ومدى ما قدمته لك ببياناتك من دعم ومساعدة في شرح الأسئلة التي طرحتها ومعالجتها، كما قد تكون قادراً على تطوير نظريةك الخاصة، ومجموعة أفكارك الخاصة، أو تكون قادرًا على الإضافة إلى إحدى النظريات الموجودة فعلاً.

ما الذي يعنيه ذلك لباحث اجتماعي في مرحلة الدراسة؟

حاولنا فيما سبق أن نمعن النظر في بعض النظريات أو الأفكار الفلسفية الكامنة وراء تطوير بعض المواقف الفكرية المتعلقة بدراسة العالم الاجتماعي، كما كانا تتأمل الأهمية المحورية لأساليب التفكير المختلفة في دراستنا لأننا نضطلع في مثل هذه البحوث بدراسة شيء نحن جزء منه. وتسلط مناقشتنا لهذه المواقف الفكرية الأنطولوجية الضوء على الطرق التي ينظر بها العلماء الاجتماعيون إلى العالم الاجتماعي، وعلى سبب اختلاف كثير من هؤلاء العلماء مع الاتجاهات الموضوعية للعلم الطبيعي. ومع أن هذه الاتجاهات، تعد مواقف فكرية أساسية، وأنه من الأرجح أن تكون وثيقة الصلة بالاتجاهات الإبستمولوجية (المعرفية) التي قد تأخذ بها، فإن من الأهمية أن تنتبه إلى أن هناك أموراً أخرى يجلبها معه الباحث الاجتماعي إلى دراسته، وهي أمور يتبعن عليه استكشافها، كما قد يحتاج إلى أن يتبنى منها موقفاً نقدياً، ولو بالنسبة لنفسه على الأقل.

فالملحوظ أن جميع الباحثين الاجتماعيين، والدارسين، وكبار الأساتذة الجامعيين، والمسؤولين الحكوميين، والاستشاريين المستقلين يقبلون على بحوثهم الاجتماعية وهم يصطحبون معهم مقداراً معيناً من العناصر النظرية، والثقافية، والأراء والرؤى المستمدة من تخصصاتهم العلمية، كما قد يجلبون كميات غير قليلة من القيم والاعتقادات التي يؤمنون بها أشد الإيمان وبالرغبة في تغيير العالم. فالباحثون الاجتماعيون إنما هم كائنات اجتماعية في المقام الأول، كما أنه يجدر بالتفكير قليلاً في كيف ولماذا يقتتنع أمرؤ ما اقتناعاً تماماً بالدرس والبحث في هذا المجال. إذ يرى بعض الباحثين أن البحث الاجتماعي الذي لا يكون مرتبطاً بالتغيير الاجتماعي أو الفعل الاجتماعي الإيجابي إنما هو بحث لا معنى له ويعدو للإحباط، بينما يرى غيرهم أن الرغبة في الوصول إلى فهم أدق للطريقة التي يعمل بها العالم الاجتماعي ترتكز على أمل يراودهم في أن ما يطورونه من نظريات سوف يؤثر على هؤلاء الباحثين ذوى التوجهات التي يغلب عليها الطابع التطبيقي.

بحثك

حاول الكتابة إلى (أو حاول تخيل محاورة مع) أحد الأصدقاء تشرح له فيها كيف آل بك الأمر إلى الاهتمام بموضوع بحثك، موضحا العناصر التالية:

- أى خبرات تكون قد اكتسبتها مما يكون له صلة بموضوع بحثك.
- أى قيم أو قناعات تؤمن بها مما يكون له صلة بهذا الموضوع.
- ما الذي تعلمه في أثناء دراستك لهذا الموضوع.
- أى نظريات أو مجموعات أفكار تتبناها عن هذا الموضوع.

ما الذي تعلمته مما يتصل باهتماماتك الخاصة، وقيمك ودوافعك الشخصية مما قد يؤثر على الطريقة التي تفكّر بها في بحثك؟

حاولنا في هذا الباب أن نمعن النظر في الأفكار التي يستخدمها الباحثون الاجتماعيون لمساعدتهم على التفكير في موضوع بحثهم، وعلى تحديد أسئلة البحث أو فرضه، وعلى تصميم البحث، وهي الأمور التي تمكّنهم من معالجة هذه الأسئلة. وقد حاولنا أن نزودك بهذه المنطقات التي يمكن أن تعينك في المراحل الأولية لبحثك.

• أنت كدارس شأنك شأن أعضاء العالم الاجتماعي الذي تقوم بدراسته، لابد أن تصطحب معك في بحثك معرفتك الخاصة. كما أنه من المفيد البدء بالتفكير في موضوع بحثك بمراجعتك لما تعرّفه وتقلّب النظر فيه.

• توجد طرق مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعي، كما توجد أساليب مختلفة لجمع المعرف عن الظواهر الاجتماعية. لذلك يتعين عليك قبل أن تقرر ما الاتجاه الذي سوف تأخذ به، أن تحاول التفكير في الطريقة التي سوف تتناول بها موضوع بحثك انطلاقاً من المواقف الفكرية الأنطولوجية والإستمولوجيّة المتعددة.

• إن فكرت في العالم الاجتماعي والظواهر الاجتماعية بطرق مختلفة، فإنه سيكون

عليك أن تبدأ بتحديد شتى أنواع البيانات التي قد تكون متاحة لك في مجال بحثك (انظر الفصل الثالث من هذا الباب ، للوقوف على المزيد عن طبيعة البيانات).

• من شأن التفكير في الموقف الفكرية الأنطولوجية والإستمولوجية المختلفة أن يفتح الباب على مصراعيه لإمكانيات استخدام بعض مناهج البحث الأخرى ، وبعض الطرق الأخرى في جمع البيانات وتحليلها . وعلى حين ترتبط طرق البحث الكيفية وطرق البحث الكمية -عادة- بموافقت إستمولوجية (معرفية) معينة ، فإن البحوث التي تستخدم مزيجا من طرق البحث أصبحت أكثر شيوعا وانتشارا ، كما أن بالإمكان معالجة البيانات الكيفية والبيانات الكمية بوسائل متعددة (انظر الفصل الرابع من الباب الثاني للوقوف على مناقشة أكثر تفصيلا لهذه الجزئية).

• سوف يفيديك أن تراجع الأبحاث والدراسات السابقة الأخرى فيما يتصل بالأفكار والاتجاهات النظرية التي استخدمها الباحثون الآخرون في دراسة مجال الموضوع الذي تنوى بحثه ، لأن ذلك سوف يعينك على تحديد النظريات التي قد تتخاذلها منطقا لك في دراستك ، أو حتى إطارا نظريا للدراسة التي ستجريها (انظر الفصل الثاني من الباب الثاني).

البحث الواقعى

عرض موجز لتاريخ البحث الاجتماعي

تمتد جذور البحث الاجتماعي إلى الفلسفة ، وتتجسد في نوع من الاهتمام الشديد بترسيخ الاتجاهات الموثوق بصحتها والصادقة في دراسة الكائنات الإنسانية . ويمكن أن نلمس بعض مظاهر الاهتمام القوى بالحقيقة والموضوعية ، وبالطريقة التي يدرس بها الباحث العالم الذي هو جزء منه؛ نلمسه في كتابات ديكارت^(*) في القرن السابع عشر . ففي كتابه ”مقال في النهج“ (1637) (ديكارت ، 1999) يسطر بجلاء فكرته عن

(*) يعد الفيلسوف الفرنسي ديكارت Descartes (1596-1650) مع كل من كانت وهيوم أحد الرواد المؤسسين للفلسفة الغربية الحديثة . وكانت أشهر مؤلفات ديكارت دراسته المعنونة مقال حول النهج والتأملات ، بالإضافة إلى مؤلفيه الآخرين اللذان استخدم فيما منهجه في الشك المنهجي من أجل الوصول إلى بعض الأسس غير المشكوك فيها التي يمكن منها استنباط بعض المعرفات اليقينية . للمزيد عنه انظر : موسوعة علم الاجتماع (٣ مجلدات) ، مرجع سايق . (المترجم)

البحث عن الحقيقة، كما أكد أهمية الموضوعية وأهمية توافر الشواهد المؤيدة. من ناحية أخرى أكد ديفيد هيوم^(*) – فيما كتبه في القرن الثامن عشر – أن معرفة العالم تتبع من الخبرة الإنسانية، وأن هذه المعرفة إنما تتحصل بطريقة موضوعية من خلال الحواس. (ويليامز Williams وماي May 1996 ، ص16).

وقد ذهب أو جست كونت^(**) إلى أن بالإمكان دراسة العالم الاجتماعي باستخدام نفس الطرق المستعملة في فهم العالم الطبيعي، وفي هذا أوضح تحديداً: أنه توجد "قوانين" عامة يمكن تحديدها وإدراكتها تتعلق بالطريقة التي يعمل بها العالم الاجتماعي والتي لا يعترف بها التغير. و واضح أن هذا التصور يمثل الأساس الذي يقوم عليه الموقف الفكري الوضعي الذي كان هو الموقف الفكري السائد بين العلماء الاجتماعيين طوال أواخر القرن التاسع عشر وأغلب القرن العشرين. كما أن أوائل علماء الاجتماع بمن فيهم دوركايم^(***) (دوركايم ، 1982)، والذي كان يعتبر الظواهر الاجتماعية أشياء

(*) ديفيد هيوم D.Hume (1776-1711) أهم فلاسفة عصر التنوير الإسكتلندي ومن أبرز مؤسسي النزعة الإمبريقية. اشتهر هيوم بتحليله للعلية، ومشكلة الاستقراء المرتبطة بها. كما أن العلماء يذكرون له يوم إصراره على أن القيم الأخلاقية لا يمكن استخدامها إطلاقاً من المقدمات الواقعية. كما يذكرون له رفضه لنظرور «المصلحة الذاتية» إلى الطبيعة الإنسانية وإلى الأخلاق. وحاول هيوم – فضلاً عن ذلك – أن يرسى أساس الدراسة العلمية الإمبريقية للطبيعة الإنسانية، للمزيد عنه انظر : موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق. (الترجم)

(**) أو جست كونت A. Comte (1798-1857) منظر اجتماعي فرنسي يرجع إليه الفضل في صك مصطلح علم الاجتماع. أسهم كونت بتطوير ما أسماه "الفلسفة الوضعية". ويلاحظ أن الكثيرين من استشهدوا باسم كونت دون أن يقرؤوا أعماله، قد ضللتهم استخدامه لمصطلح الفلسفة الوضعية، فعلى الرغم من أن كونت اتخذ من العلوم الطبيعية نموذجاً له، فإنه استخدم المصطلح بمعنى أن يكون مدخله إيجابياً (لاحظ أن كلمتي إيجابي ووضعى العربيتين يقابلهما مصطلح إنجلزي واحد هو positive) وليس سلبياً، ولا يعني – كما يفترض عادةً – أنه يتضمن أي نوع من النزعة الإمبريقية. راجع المزيد عن كونت في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق. (الترجم)

(***) إميل دوركايم E. Durkheim (1858-1917) أكثر علماء الاجتماع الفرنسيين شهرة، وبعد الأب المؤسس للنزعة الوظيفية، وحديثاً ناله مدح وتقدير وأفراد من جانب أعلام البنوية وعلم اللغة الاجتماعي وأنصار ما بعد الحادّة، الذين وجد جميعهم في كتابات دوركايم أفكاراً ورؤى يسهل استيعابها في إطارهم النظري. ولكن الأمم أن دوركايم كان صاحب فضل لا ينكر في تأسيس مكانة علم الاجتماع كواحد من أبرز العلوم الاجتماعية في عصره، وأكسبه اعترافاً مجتمعياً وأكاديمياً حاسماً. وأسهم – فضلاً عن ذلك – في إنشاء "حولية علم الاجتماع" ، التي أصبحت خلال فترة قصيرة أرفع الدوريات السوسيولوجية=

يتعين ملاحظتها ودراستها - طوروا هذا الموقف الفكري في محاولة لاكتشاف النظريات العامة التي تفسر العالم الاجتماعي ، والتدليل عليها .

ومع ذلك ، فقد كان هناك مفكرون آخرون عدوا إلى التركيز - بمعدل أكبر - على الفهم والتفسير الإنساني ، بمن فيهم كانتٌ^(*) مثلاً ، وهو الذي ذهب في كتابه "نقد العقل الخالص" (1781) إلى أن بالإمكان معرفة العالم الاجتماعي من خلال تأمل وتفسير كل ما يمكن ملاحظته ومعايشته ، بجانب كتابات ديلتاي Dilthey^(**) في النصف الأخير

= مكانة في فرنسا ومركز إشعاع المدرسة الدوركاييمية ذات التأثير في الفكر الاجتماعي .

نشر دور كايم عدداً من الأعمال الخالدة في حقل علم الاجتماع ، وترجم أغلبها إلى كثير من اللغات العالمية (بما فيها العربية) . نذكر منها: "قواعد النهج في علم الاجتماع" (1895) ، ورسالته للدكتوراه عن "تقسيم العمل الاجتماعي" (1893) ، و دراسته الشهيرة عن "الانتحار" (1897) ، وكتابه لهم "الأشكال الأولية للحياة الدينية" (1912) ... إلخ .

ومن اللافت للنظر في جميع هذه الأعمال عمق الرؤى التي اتسم بها دور كايم في بحثه الذي لم يعرف الكل عن الأسس الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الصناعي الناشئ . وما يزال دور كايم موضعًا لقريرٍ النقاد والمحليين من اليمين واليسار السياسي . ولقد قدّم تصنيفه كتفكير محافظ - عن حق - مصاديقه منذ زمن طويل ، وذلك في ضوء إسهامه في نظرية تكافؤ الفرص التي تجلّى مثلاً في كتاباته عن التربية .. راجع المزيد عن دور كايم في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق .

وانظر أيضاً ترجمة عربية لكتابه "قواعد النهج في علم الاجتماع" ، أعدها محمود قاسم ، وقدم لها كاتب هذه السطور ، وصدرت عن المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، سلسلة (میراث الترجمة) ، 2012 . (المترجم) .

(*) يُعد عمانويل كانتٌ Kant (1724-1804) من أعظم - إن لم يكن أعظم - الفلاسفة المحدثين ، بسبب ما يمارسه من تأثير عميق ومستمر على الفلسفة نفسها وعلى علوم أخرى كثيرة ، بما فيها علم الاجتماع بطبيعة الحال . يتمثل جوهر الفلسفة النقدية عند كانتٌ - بصفة عامة - في التوليف بين تراث اتجاهين كبيرين متناقضين هما: النزعة الإمبريالية والمذهب العقلي ، وهما اتجاهان اللذان سيطرا على نظرية المعرفة في زمان كانتٌ .

ونلاحظ أن الاتجاهات المعرفية غير الوضعية الأساسية التي كانت ذات تأثير في علم الاجتماع كانت مستمدّة من مختلف الاتجاهات الأوروبيّة في تفسير وحل تلك التوترات المطروحة في فلسفة كانتٌ . ومن أبرز تلك الاتجاهات المعاونة للوضعية في علم الاجتماع: الكانتية المحدثة ، والفينومينولوجيا أو الظاهرانية ، والتاؤيل . انظر المزيد عن كانتٌ في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم)

(**) فيلهلم ديلتاي Dilthey (1833 - 1911) فيلسوف ألماني كان من أعظم رواد التأويل في علم الاجتماع ، حيث يمثل الشغل الشاغل لـ ديلتاي في إرساء أساس راسخ - يتسم بالكفاءة - للمعرفة في العلوم الإنسانية أو التاريخية . وكان يرى أن عالم التاريخ الإنساني والنقاوة الإنسانية يتكون من "صور التعبير" عن الخبرة الإنسانية في الحياة (أى الخبرات المعاشرة) التي يتعين

من القرن الناسع عشر ، والذى ركز على "الخبرات التى يعايشها الأفراد" (ويليامز وماى ، 1996 ، ص62). وقد تبنى ماكس فيير^(*) هذا التصور ، حيث ركز على المعنى الاجتماعى لأفعال الأفراد داخل السياقات المختلفة ، وعلى تصوراتهم لتلك الأفعال من أجل فهمها . ومع أن فيير أقر أن بالإمكان أن يأتي فهم العالم الاجتماعى من الملاحظة المباشرة ، فإنه أكد فى الوقت نفسه ، أن الفهم يأتي كذلك فى تأويل الخبرات الذاتية والمعانى الذاتية . وهو يعرف علم الاجتماع بأنه :

"علم يحاول التوصل إلى الفهم التأويلي لل فعل الاجتماعى من أجل الوصول - بهذه الوسيلة - إلى تفسير سببى لمسار هذا الفعل ونتائجها". (فيير ، 1994 ، ص 88).

فى أوائل القرن العشرين أدخل شوتز^(**) فى العلوم الاجتماعية لأول مرة أفكار

=فهمها وتأويلها بطرق تختلف تمام الاختلاف عن مناهج العلوم الطبيعية وطرائقها ، وغير قابلة للاختزال إلى تلك المناهج العلمية الطبيعية . وقد تبنى بقوه اتجاهها تأويليا فى فهم النظم ، والديانات ، والمؤسسات وغير ذلك من ظواهر تعدد بتنوع الخبرات الإنسانية المعاشه . (المترجم)
(*) بعد ماكس فيير M. Weber (1920-1864) إلى جانب إميل دوركايم وكارل ماركس مؤسسو علم الاجتماع الحديث كعلم اجتماعى متميز . وإن كانت أعمال فيير هي الأكثر تركيبا وطموحا ، وما زالت تمثل معينا ثريا للتفسير والإلهام بفكرة جديدة .

والحق أن إسهام ماكس فيير فى علم الاجتماع كان هائلا بكل المقاييس . فقد قدم الأساس الفلسفى اللازم للعلوم الاجتماعية ، وعددا من الدراسات الممتازة التي شملت كافة الأديان العالمية الكبرى ، والمجتمعات القديمة ، والتاريخ الاقتصادي ، وعلم الاجتماع القانونى ، والدراسة الاجتماعية للموسيقى ، وغيرها من فروع الدراسة السوسنولوجية .

ومن إسهامات فيير تميزه بين الظواهر (أى العالم الخارجى الذى تدركه) والشيء ذاته (أى الوعى الذى يضطلع بعملية الإدراك) . وقد تحول هذا التقسيم فى علم الاجتماع عند فيير إلى تمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، حيث تختص الأخيرة بمعالجة الأشكال التى تدرك بها العالم . وهكذا فعلى حين أننا قد نعد إلى وضع قوانين عامة فى مجالات العلوم الطبيعية ، فذلك ليس مهمـة العلوم الاجتماعية ، حيث إن اهتمام تلك العلوم ينصب على التفسير العلى وعلى فهم الأفعال الاجتماعية فى سياقها التاريخى الخاص . وهكذا يمثل الفعل الاجتماعى الموضوع الحقيقى للعلم الاجتماعى ، وهو الفعل الموجه تجاه الأشخاص الآخرين الذين يمتلكون أهمية للفاعل ، وهو أيضا الفعل الذى نصفى عليه معنى ذاتيا . ويحاول علم الاجتماع تقديم وصف تفسيرى (تأويلي) لتلك الأفعال مستخدما منهجة "النقط المثالى" . وقد طور فيير تصنيفا رباعيا شهيرا للفعل الاجتماعى .
راجع المزيد عنه فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم) .

=(**) يبدو للبعض - من السطح - أن الفينومينولوجيا لا تقدم الكثير من الثراء الفكرى لعلم الاجتماع

الفلسفة الظاهراتية (أى الفينومينولوجيا)، وهى اتجاه فلسفى معنى بالطريقة التى يفهم بها الأفراد العالم المحيط بهم. وقد تم استكمال وتدعم هذه الأفكار فى القرن العشرين عندما أصبح البحث الاجتماعى أكثر شيوعاً وانتشاراً، وقام بتطوير اتجاهات وطرق بحث جديدة. واعتمد الباحثون الاجتماعيون على أعمال علماء الأنثروبولوجيا، من أمثال مارجريت ميد^(*)، ومالينوفسكي^(**)، كما أولوا اهتمامهم لتطوير طريقة الملاحظة المشاركة، (انظر الفصل 6 من الباب 3) والبحوث الإثنوجرافية^(***) التي نذكر منها على سبيل المثال أعمال مدرسة شيكاغو^(****) (انظر دراسة ويليام فوت وait White

= فقد انطلق هوسنر Husserl (1859-1938) من الوعي الفردى، ثم وجد نفسه فى مأزق إثبات أن الآخرين موجودون بالفعل. وجدير بالذكر أن الفلسفة الظاهراتية قد تلاقت دفعات قوية إلى الأمام من جانب كبار الفلسفه الوجوديين فى القرن العشرين. وكان شوتز - تلميذ هوسنر - هو الذى أنشأ الجسر المختلف عليه بين الفينومينولوجيا وعلم الاجتماع. ويمثل كتابه: "فينومينولوجيا العالم الاجتماعى" (1932) عرضاً أصيلاً للمبادئ الأساسية لعلم الاجتماع الظاهراتى. انظر المزيد عنه فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم).

(*) مارجريت ميد M. Mead (1901-1978) أمريكية متخصصة فى الأنثروبولوجيا الثقافية وتلميذة روث بندكت. انظر المزيد من حياتها وأعمالها فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم).

(**) مالينوفسكي B. Malinowski (1884-1942) عالم أنثروبولوجيا أمريكي (بولندي الأصل) يرجع إليه الفضل في تطوير وبلورة ما أصبح الآن منهاجاً كلاسيكياً في العمل الميداني المكثف، يعتمد على الإقامة الطويلة في مجتمع الدراسة. والأهم من ذلك أن اسم مالينوفسكي قد ارتبط بالنظريّة الوظيفية، حيث يرى أن كافة الثقافات الإنسانية يمكن في الواقع أن تختزل إلى إشباع الاحتياجات الأساسية. وقد ترتب على ذلك رفضه النظريّات التطوريّة، والتوكّيز على التحليل الأنّي، وإبراز أهميّة التوازن المتناغم لأى مجتمع. انظر المزيد عن حياته وأعماله في: موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم).

(***) للاستزادة انظر : روبرت إيمرسون وآخرون، البحث الميداني الإثنوجرافي في العلوم الاجتماعية ، ترجمة هناء الجوهرى ، المركز القومى للترجمة (سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين - الكتاب الأول)، القاهرة ، ٢٠١٠ . (المترجم).

(****) مدرسة شيكاغو Chicago School مدرسة ذات تقاليد بحثية اقترب اسمها بجامعة شيكاغو خلال العقود الأربع الأولى من القرن العشرين، استطاعت أن تهيمن على علم الاجتماع في أمريكا الشمالية طوال تلك الفترة. وقد أسست أول قسم لعلم الاجتماع (١٨٩٢)، وبتأسيسه بدأ نشر أول دورية علمية رئيسية في علم الاجتماع (منذ ١٨٩٥)، وأعقب ذلك إنشاء الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (١٩٠٥) ... إلخ

للحى المتخلف بمدينة بوسطن ، والمشورة فى كتابه بعنوان "مجتمع التواصى" (وابيت ، 1955) ، ودراسة بيكر Becker عن الانحراف بعنوان "اللامتنمون" (بيكر ، 1963) (وانظر الفصل 3 من الباب 2) ، وبحوث الإثنوميثودولوجيا^(*) (أو منهجية الجماعة) (جارفينكل ، 1967) ، وبحوث التفاعالية الرمزية^(**) (بلومر ، 1969).

ثم شهدت فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين تطبيق طرق البحث

= وقد تأثرت نظائر هذه المدرسة بشدة بالنزعة الفلسفية البراجماتية ، واللاحظة المكتسبة بالخبرة المباشرة ، وتحليل العمليات الاجتماعية الحضرية . ويرتبط اسم مدرسة شيكاغو عادة بثلاث قضایا: الأولى شهرة هذه المدرسة في إجراء الدراسات الميدانية الإمبرييقية . وترتبط على ذلك ممارسة قدر كبير من التدريب على أدوات البحث ، وفي مقدمتها تطوير أدوات الملاحظة المشاركة ، ومنهج دراسة الحالة . وتتعلق القضية الثالثة فتتمثل في كتابات جورج هربرت ميد ، التي وإيكولوجيتها ، ومشكلاتها . أما القضية الثانية بدراسة المدينة ، بنائها الاجتماعي ، ركزت على موضوعات خلق وتنظيم الذات ، وهو ما عرف فيما بعد - عبر كتابات بلومر - باسم التفاعالية الرمزية . راجع المزيد في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم).

(*) الإثنوميثودولوجيا Ethnomethodology هي أحد مداخل علم الاجتماع التي ظهرت كثمرة لفترة انهايارات الاجتماع التقليدي (الأصولي) في أواسط ستينيات القرن العشرين . وقد صك المصطلح عالم الاجتماع الأمريكي جارفينكل ، الذي وضع أساس الإثنوميثودولوجيا ، سواء كانظرية أو كنقد واع ذاتياً لعلم الاجتماع التقليدي برمته .

وهناك فكرتان أساسيتان في الإثنوميثودولوجيا هما : الإشارية والانعكاسية (التأمل التقليدي) . الأولى تؤكد أنه ليس هناك تعريف شامل واضح لأى كلمة أو مفهوم لغوى ، حيث تستمد المعنى من خلال الإحاله إلى كلمات أخرى وإلى السياق الذي يتم التحدث فيه . أما فكرة الانعكاسية فتشير إلى أن إحساسنا بالنظام هو نتيجة لعمليات محاديثة ، أي تختلف أثناء الكلام . ومع ذلك فنحن نعتبر أننا نصف النظام القائم حولنا فعلا . وفي رأي أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن وصف الموقف معناه أننا نخلف في الوقت نفسه . راجع المزيد في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم) .

(**) التفاعالية الرمزية Interactionism نظرية أمريكية بارزة في علم النفس الاجتماعي تركز اهتمامها على طرق تكون المعانى خلال عملية التفاعل . وهى تضع في محل الأول من اهتمامها تحليل معانى الحياة اليومية ، عن طريق الملاحظة المباشرة للحقيقة ، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع المبحوثين ، ثم تعتمد على ذلك في الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنساني . وقد تأثرت التفاعالية الرمزية تأثراً قوياً بالبراجماتية وبمدرسة شيكاغو ، وكتابات جورج هربرت ميد . أما المصطلح نفسه فقد صكه هربرت بلومر عام 1937 . راجع المزيد في موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم) .

الاجتماعي في الدراسات ذات التوجه العملي والتطبيقي التي أجرتها بعض الإصلاحيين الاجتماعيين، مثل هنري مايھيو H. Mayhew، وشارلز بوث^(*)، وراونترى^(**). إذ كان هؤلاء الرجال على وعي بمشكلات الفقراء، كما سعوا لجمع البيانات بقصد تصوير مدى وطبيعة الفقر في المدن الصناعية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وأسهمت أعمالهم إسهاماً بارزاً في تطوير طرق جمع البيانات وفي إدراك قيمة بيانات البحوث بوصفها دليلاً يعتمد عليه في دعم عمليات التغيير في السياسة والممارسة، وفي تسليط الضوء على الوضع الذي تعيش فيه جماعات معينة من الناس.

كما تطورت في تلك الأثناء طرق البحث القائمة على المسح الاجتماعي الكبير (الواسعة النطاق)، كما أن استعمالها من قبل الباحثين الجامعيين، والحكوميين، والقائمين ببحوث التسويق قد شهد نمواً سريعاً في النصف الثاني من القرن العشرين. وكانت الوضعية، باستعمالها للمسح الاجتماعي الواسعة النطاق وللتقييمات الإحصائية المتزايدة الدقة؛ كانت هي الموقف الفكري المهيمن على البحوث الاجتماعية في منتصف القرن العشرين، كما كان يُنظر إلى الاتجاهات التي يغلب عليها الطابع التأويلي أو

(*) شارلز بوث Ch. Booth (1840-1916) رجل أعمال ومصلح اجتماعي من العصر الفيكتوري، أجرى أول مسح إمبريقي مهم بعنوان "حياة وعمل سكان لندن" في 17 مجلداً فيما بين عام 1891 وعام 1903. وباستخدام حد الكاف كتعريف للقرف، وجد بوث - وعلى عكس ما كان يتوقع - أن حوالي 31% من شملهم المسوح يعيشون في فقر. وقد كان عمله هذا أول مسح رئيسي في علم الاجتماعي البريطاني، وأثر في كافة الحوارات اللاحقة حول الفقر. (المترجم)

(**) بنجامين راونترى B. Rowntree (1871-1954) كان في الأصل رجل أعمال، كما عرف - فضلاً عن ذلك - كمصلح اجتماعي ومحب للأعمال الخيرية، ثم هو إلى جانب كل ذلك باحث اجتماعي كانت له اهتمامات قوية بالإدارة العمالية والصناعية وبمسألة الفقر. وفي هذا الصدد اشتهر بصفة خاصة بدراساته الإمبريالية المفصلة عن الفقر في مدينة يورك.

وقد قرر راونترى - متأثراً في ذلك بدراسات بوث عن الفقر في لندن - أن يتحقق من حجم الفقر في مدينة يورك. وهناك نفذ أول مسح له عن الفقر في عامي 1897/1898 نشرها تحت عنوان "الفقر: دراسة في حياة مدينة" (1901).

وفيما بعد - وكان قد تبين عدم دقة بعض المفاهيم والمقاييس - أجرى بعض الدراسات عن نفس الموضوع، الثانية في عام 1936 والثالثة في عام 1950. وفيهما طبق مقاييس معدلة إلى حد ما، وأظهرت أن هناك بعض الانخفاض في حجم الفقر. راجع المزيد في موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

الكيفى باعتبار أنها اتجاهات "لينة" (أو هشة) وغير علمية وتفتقد الدقة والصرامة.

إلى جانب هذا الموقف الفكرى جرت بين العلماء الاجتماعيين مناقشات حول طبيعة النظرية الاجتماعية، كما أن المحاولات المبكرة لتطوير نظريات "كبيرى" أو "عامة" كانت ملائلاً للاعتراض والرفض على أساس ضعف جدواها كأطر نظرية للبحث الاجتماعى. الواقع أن الباحثين الاجتماعيين كانوا يستخدمون ما أسماه ميرتون (1957) "النظريات المتوسطة المدى". وعلاوة على ميرتون قدم بيرجر ولوكمان فى كتابهما المعنون "التصور الاجتماعى للواقع" (بيرجر ولوكمان، 1967) تطويراً للنظرية القائمة على أساس الاتجاه التصورى لفهم العالم الاجتماعى وعلى التأكيد على تعدد المعانى والتوجهات فى رؤية الظواهر الاجتماعية. وكان من الواضح أن الموقف الفكرى التأولى فى دراسة العالم الاجتماعى كان مرتبطاً بهذا الاتجاه الفكرى التصورى، كما أن ما يتصل بهذين الموقفين من منهجيات البحث، وطرق جمع البيانات (والتي يشار إليها عادة بأنها طرق البحث الكيفية) أخذت تتطور باضطراد ويتسع نطاق استخدامها بين الباحثين (انظر على سبيل المثال لينكولن Lincoln وجوبيا Guba ، 1985؛ وبوجдан Bogdan وتايلىور Tylor ، 1975؛ وجليزر Glazer وستراوس Strauss ، 1967).

وفي أثناء عقد السبعينيات من القرن العشرين وُجهت الانتقادات كذلك إلى الفلسفة الوضعية من جانب العلماء الاجتماعيين الذين ارتابوا فى مدى سلامتها استخدام الاتجاهات التجريبية فى دراسة الكائنات الإنسانية، وارتابوا - بصفة خاصة - فيما إذا كان البحث الاجتماعى الذى يتجاهل المعانى والتصورات التى تدور فى أذهان الفاعلين الاجتماعيين الذين يশملهم هذا البحث؛ ارتابوا فيما إذا كان بإمكان مثل هذا البحث أن تكون له أي جدوى فى ذاته، خاصة عند وجود تشكيلة متعددة واضحة من التصورات التى تدور فى أذهان الأفراد بشأن المواقف والأحداث والسلوكيات المشتركة. وقد جاءت بعض الاعتراضات - على وجه الخصوص - من جانب الباحثين النسوين الذين أكدوا أن الاتجاه الوضعي العلمي يمثل فى حد ذاته فهما وتفسيرًا ذكوريا للعالم الاجتماعى، وأن سيطرة المنظورات والتصورات الرجالية للعالم هي التي أدت إلى الظلم. إذ قامت الاتجاهات النسوية بتطوير نظرية ركزت على العلاقة بين الباحث والبحوثين، كما انكبت على دراسة مظاهر التعقيد والتشابك فى خبرات النساء (انظر

على سبيل المثال كتاب ستانلى Stanley المعنون "العمل النسوى" ، 1990؛ وكتاب روبرتس Roberts بعنوان "القيام بالبحث النسوى" ، 1981). وأكد باحثون آخرون من الأخذين بمنظور نقدى شبيه بالمنظور النسوى أن الظرف المادىة والتفاوت فى القوة لهما تأثير كبير فى حياة الأفراد وتصوراتهم ، وأنه ينبغي تحليل نتائج البحوث فى ضوء اعتبارات ، منها مثلا: اعتبار العرق ، والنوع الاجتماعى ، والطبقة. كما ينبغي أن تُعطى الأولوية للتصورات التى تدور فى أذهان جماعات الناس ذوى الخبرات والمنظورات المختلفة .

تشكك علماء اجتماعيون آخرون فى التقسيم الأنطولوجى الثنائى إلى موضوعية وتصورية ، وادعوا بأن الواقع يجمع بين كونه خارجيا بالنسبة للكائنات الإنسانية الاجتماعية وكونه "في نفس الوقت بعدها يشتمل على ما لدينا من معرفة بالواقع حدها المجتمع وصاغها لنا" (دانرمارك Danermark وأخرون ، 2002). وقد أصبح هذا الموقف يعرف باسم "الموقف الواقعى النقدى" ، كما أن بهاسكار Bhaskar (1978) ، وباؤسن Pawson وتيلى Tilley (1997) ، وهؤلاء أمثلة من بين مفكرين آخرين طوروا اتجاهات بحثية تتوجل تحت السطح الظاهر للأفعال ، والتنظيمات ، واللغة للكشف عن الآليات والأبنية التى لا يمكن ملاحظتها مباشرة ، كما تبحث هذه الاتجاهات - على نحو نقدى - كيف تمارس هذه الآليات تأثيرها على العالم الاجتماعى .

وعندما كان القرن العشرون يقترب من نهايته ، كانت المراكز الفكرية فى مجال البحث الاجتماعى لا تزال تركز على طبيعة المعرفة وطبيعة البيانات وسياقها ، مع التأكيد الفائق على أهمية علاقات القوة المرتبطة باللغة والمعنى وملكية المعرفة . وقد أكد بعض الباحثين على أهمية علاقات القوة داخل عملية البحث الاجتماعى نفسها وطالبوا بقدر أكبر من المساواة بين الباحث والباحثين ، ودعوا إلى تبني الاتجاهات التشاركية والتعاونية فى تنفيذ البحث (انظر على سبيل المثال : ريزون Reason ، 1994 فيما يتصل بموضوع البحث التشاركى - أى القائم على المشاركة - وجريندوود Greenwood ، 1998 فيما يتصل بموضوع البحث التطبيقية). وتسبب ذلك فى زيادة التركيز على المنظور الفكرى للباحث ، كما دعا البعض إلى الأخذ باتجاه أكثر اعتمادا على النقد وأقل حيادية ، وذلك بجانب طرق البحث التى تتناول السرد وسير الحياة الشخصية ، وهى طرق البحث التى تم تطويرها لتمكين المشاركين فى البحث (المبحوثين) من حكاية

قصصهم (انظر على سبيل المثال: بلامر ، 2001 ، وميلر ، 2000).

أما القرن الواحد والعشرون فقد أخذ يشهد تأكيداً متزايداً على الاتجاهات التي تتسنم بال المزيد من البراجماتية في البحث الاجتماعي ، التي تضع نصب أعينها هدف البحث ، وقيم الباحث الاجتماعي ومنظوره الفكري وطبيعة سؤال البحث ، والبيانات المطلوبة لمعالجه . ومتزايد الدعوة إلى استخدام طرق البحث المختلفة (التي تمزج بين الطرق الكمية والطرق الكيفية) في جمع البيانات واستخدامها ، باعتبار ذلك اتجاهها في معرفة العالم الاجتماعي (انظر على سبيل المثال : كريسول ، 2003).

المراجع وقراءات للاستزادة

- Becker, H. (1963) *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*, New York: Free Press.
- Becker, S. and Bryman, A. (eds) (2004) *Understanding Research for Social Policy and Practice: Themes, Methods and Approaches*, Bristol: The Policy Press and the Social Policy Association.
- Berger, P. and Luckmann, T. (1967) *The Social Construction of Reality*, London: Allen Lane.
- Bhaskar, R. (1978) *A Realist Theory of Science*, Leeds: Leeds Books.
- Blaikie, N. (1993) *Approaches to Social Enquiry*, Cambridge: Polity Press.
- Blumer, H. (1969) *Symbolic Interactionism*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Bogdan, R. and Taylor, S. J. (1975) *Introduction to Qualitative Research Methods: A Phenomenological Approach to the Social Sciences*, New York: John Wiley.
- Brechin, A. and Siddell, M. (2000) Ways of knowing, in R. Comm and C. Davies (eds) *Using Evidence in Health and Social Care*, London: Sage.
- Bryman, A. (1988) *Quantity and Quality in Social Research*, London: Routledge.
- Burns, R. B. (2000) *Introduction to Research Methods*, London: Sage.
- Cresswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches*, London: Sage.
- Danermark, B., Ekstrom, M., Jakobsen, L. and Karlsson, J. C. (2002) *Explaining Society: Critical Realism in the Social Sciences*, London: Routledge.
- Descartes, R. (1999) *Discourse on Method and Related Writings*, London: Penguin.
- Durkheim, E. (1982) The rules of sociological method: and selected texts on sociology and its method, in S. Lukes (ed.) *Contemporary Social Theory*, London: Macmillan.
- Garfinkel, H. (1967) *Studies in Ethnomethodology*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.
- Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Chicago, IL: Aldine de Gruyter.

- Greenwood, D. (1998) *Introduction to Action Research: Social Research for Social Change*, London: Sage.
- Kuhn, T. S. (1970) *The Structure of Scientific Revolutions*, University of Chicago Press.
- Lincoln, Y. S. and Cuba, G. E. (1985) *Naturalistic Inquiry*, Beverly Hills, CA: Sage.
- Marlow, C. (2001) *Research Methods for Generalist Social Work*, Belmont, CA: Brooks/Cole.
- Merton, R. (1957) *Social Theory and Social Structure*, New York: US Free Press.
- Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, London: Sage.
- Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.
- Plummer, K. (2001) *Documents of Life 2: An Invitation to Critical Humanism*, London: Sage.
- Reason P. (ed.) (1994) *Participation in Human Enquiry*, London: Sage.
- Roberts, H. (ed.) (1981) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.
- Schutt, R. K. (1996) *Investigating the Social World*, Thousand Oaks, CA: Sage.
- Smith, B. (2003) Ontology, in I. Floridi (ed.) *The Blackwell Guide to the Philosophy of Computing and Information*, Oxford: Blackwell.
- Stanley, L. (ed.) (1990) *Feminist Praxis: Research, Theory and Epistemology in Feminist Sociology*, London: Routledge.
- Weber, M. (1949) *The Methodology of the Social Sciences*, New York: Free Press.
- Whyte, W. F. (1955) *Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Slum*, University of Chicago Press.
- Williams, M. and May, T. (1996) *Introduction to the Philosophy of Social Research*, London: UCL Press.
- Wright Mills, C. (1959) *The Sociological Imagination*, New York: Oxford University Press.

الفصل الثالث

طبيعة البيانات

محتويات الفصل

- خواص البيانات.
- استخدام البيانات بوصفها تصويراً للواقع الاجتماعي.
- هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟
- ما نوع البيانات التي ستجمعها و تعالجها؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

حاولنا في الفصل الثاني التفكير في النظريات التي يرتكز عليها الباحث الاجتماعي، وفي الطريقة التي يتبعها الباحثون في النظر إلى العالم الاجتماعي وفي دراسته، كما تعرفنا على المواقف الفكرية المختلفة فيما يتصل بما يمكن معرفته عن أي ظاهرة اجتماعية. وفي هذا الفصل نتابع مهمتنا بالتفكير في المادة - أي البيانات - التي يتعين على الباحثين الاجتماعيين أن يقوموا بجمعها ومعالجتها. وسوف ندقن النظر في خواص البيانات وفي الأنماط المختلفة للبيانات التي قد تكون متوافرة للباحثين الاجتماعيين، ثم نقدم بعض المعايير أو المقاييس التي يطبقها الباحثون الاجتماعيون على البيانات التي يجمعونها ويعالجونها.

تمثل البيانات بديلاً عن الواقع الاجتماعي الذي نرحب في دراسته. فليس بإمكاننا أن نعرف ظاهرة اجتماعية (انظر قائمة المصطلحات) معينة ببساطة، وإنما يمكننا الإلام بها ومعرفتها كبيانات تمثل هذا الواقع الذي نعيش، ونلاحظه، ونطرح الأسئلة المتعلقة به أو نحاول تفسيره. وبوصفنا كائنات اجتماعية فإننا جميعاً نقوم بجمع البيانات واستعمالها في كل يوم أشياء مشاركتنا في الحياة الاجتماعية من خلال المحادثات، والقراءة، واللحظة (أى رصد الواقع ودراستها)، والكتابة. ويتناول هذا الفصل موضوع البيانات التي تتجهها الكائنات الاجتماعية في العالم الاجتماعي كما يتناول الطريقة التي بها يمكننا البدء بالتفكير في جمع تلك البيانات واستخدامها، بصفتنا باحثين اجتماعيين.

ما: البيانات؟

هي مجموعة من الحقائق (أو المعلومات الأخرى، كالآراء والقيم مثلاً) التي يمكن تحليلها، كما يمكن استخراج النتائج منها (مع أن كلمة *data* هي جمع كلمة *datum* فإن «قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية» يقر أن صيغة الجمع هذه - وهي كلمة *data* - تستعمل عادة بوصفها مفرداً، كما هو الحال في هذا الكتاب).

تقوم الكائنات الإنسانية بخلق كثير من الطرق المختلفة لتبادل الخبرات الاجتماعية وتبادل الأفكار، وتشكل هذه الخبرات والأفكار البيانات المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين. وسوف تعتمد الطرق التي بها يمكننا جمع البيانات واستخدامها على اتجاهنا الفكري في دراسة العالم الاجتماعي وما يمكن معرفته عنه (الفصل الثاني)، وعلى أسئلة بحثنا (الفصل الرابع)، وعلى طبيعة هذه البيانات نفسها... وهذه هي النقطة التي نمعن النظر فيها في هذا الفصل. وعلى امتداد هذا الفصل ستوجد إشارات إلى ما ورد في الباب الثالث من هذا الكتاب عن طرق جمع البيانات ذات الصلة، كما تشير إلى أمثلة البيانات المستمدة من مثال «الحفلة العائلية» الذي قدمناه في الفصل الثاني من هذا الباب.

خواص البيانات

اللغة بوصفها بيانات

عادةً ما تكون البيانات التي نستعملها كباحثين اجتماعيين (وكلائنات اجتماعية) في صورة اللغة، لأن اللغة هي الوسيلة التي نملكونها لفهم الواقع الاجتماعي والتأمل فيه ووصفه بالتفصيل. مثال ذلك أنه بالإمكان أن نشعر - كأفراد - بالألم شعوراً بدنياً، ولكننا نحتاج إلى الكلمات لنطلق عليه فعلاً اسم «ال الألم» ولنخبر الآخرين (ونخبر أنفسنا) أن الألم حقيقة واقعة نشعر بها. والحقيقة أن إطلاق اسم معين على شيء ما هو الذي يمنحه وجواً ككائن حسي أو مفهوم نظري. وقد نحتاج بعد ذلك لأن نوجد كلمات أخرى لوصف طبيعة هذا الألم ولتوصيل ذلك للأفراد الآخرين بطريقة يدركون معها أن ذلك الأمر وصف لشيء يفهمونه، وربما يكونون قد خبروه بأنفسهم من قبل.

وأحياناً ما نستعمل وسائل أخرى غير الكلمات للتعبير عما نشعر به (كالألوان، والصور، والموسيقى، والحركة، وتعبيرات الوجه، والممارسات السلوكية) في محاولةً منا للتواصل بدون كلمات. ومع ذلك فإنه في حالة إجراء البحث الاجتماعي، فسيتم في مرحلة ما تحويل أمثل تلك المحاولات - عادةً - إلى كلمات، لأن الكلمات هي الوسائل التي بها يستعمل الباحثون البيانات، ثم يتبادلون نتائج بحوثهم وتفسيراتهم مع غيرهم من الباحثين.

النص المنطوق والنص المكتوب

يمكن للبيانات اللفظية، أو النص الشفاهي، أن يكون إما منطوقاً أو مكتوباً، كما أن هناك ثمة فروقاً في طبيعة البيانات المنطقية، والبيانات المكتوبة. فالكلام المكتوب يمكن لصاحبها أن يكتبه منفرداً، ويستغرق وقتاً، ويمكن تعديله وإخراجه في صورة بارعة، بينما يقل احتمال إعداد الكلمات المنطقية بنفس هذه الدرجة من العناية. وعادةً ما نكتب وفي أذهاننا هدف ما، كأن ننقل رسالة مثلاً، أو نسجل حادثة أو نشاطاً، أو نلخص ما قيل من كلام، أو نعبر عن المشاعر أو الآراء. والكلام المنطوق، رغم أن بالإمكان تحضيره والتدريب على النطق بطريقة مشابهة، كأن يكون كلاماً معداً لخطبة أو محاضرة مثلاً، يغلب عليه أن يؤثر في شخص واحد على الأقل والتجاوب معه. وفي هذا الشأن قارن الروايات المختلفة التي وردت في المثال 1-3 عن الحفلة العائلية.

المثال 1-3

بيانات الحفلة (A)

دعيت لحضور حفلة عائلية عند جدة صديقتك، وبعد الحفلة كتبت لها خطاب الشكر التالي:

عزيزتي مسز جونز

أكتب إليك معبرا عن شكري على الحفلة التي حضرتها ليلة أمس وتمتعت بها أشد استمتاع. لقد كان جميلا أن ألتقي بك وبأعضاء أسرتك الآخرين وأن أشاركك في هذه المناسبة المهمة. لقد كان الطعام الذي فعلاً أتمنى لك عيد ميلاد سعيدا كل السعادة وأرجو أن تظل في صحة طيبة دوما. مع أطيب تمنياتي.

كيف كانت الحفلة؟

كانت الحفلة جميلة بحق، وكانت أفضل مما كنت أتوقع. كانت الجدة ودودة كما كانت تستطيب الكاهنة. لقد كان الطعام الذي أنا أكله حقيقة، كما كانت المشروبات كثيرة للغاية.. لقد تناولت الكثير منها إلى حد ما.

وعادة ما يحدث الاتصال بالكلام المنطوق أثناء الحضور الجسدي للتلقى هذه الكلمات المنطقية، كما يكون مرتبها بالقدرة على قياس التأثير الذى تحدثه الكلمات المنطقية ورد الفعل الذى يعقب هذا التأثير. وعندما توجه الكلمات المنطقية إلى شخص آخر حاضر، فقد يكون من المحتمل استخدام كلام غير شفاهى، بما فى ذلك الصوت، كما أن المستمع يسمع الكلمات باعتبارها جزءا من حزمة اتصالية من شأنها أن تؤثر على وقع تلك الكلمات وعلى رد الفعل المترتب عليها. أما المكالمات الهاتفية فتحرم المخاطرین من رؤية هذا الجانب البصري لرد الفعل، ويعتمد المتحدث كلية على التواصل السمعي الذى قد يحتوى على لحظات صمت وعلى تغيرات في نغمة الصوت كذلك. وفي حالة الكلمات المكتوبة، قد يتوقع الكاتب رد فعل القارئ أو الجمهور الأكبر، أو لا يكون على دراية ببعض الأفراد الذين قد يقرؤون هذا الكلام. وبالمثل قد يكون القارئ، أو لا يكون، على بينة من هوية الكاتب، أو سماته الشخصية أو مكانته الاجتماعية.

وقد أخذنا نشهد مؤخراً امتناع الكلام المكتوب والكلام المنطوق في إنتاج طرق التراسل الإلكتروني، والرسائل البريدية الإلكترونية، والنصوص التي تبعث على الهاتف المحمول مثلاً، حيث يستعمل قالب (فورمة أو صيغة) مكتوب على نحو يلتزم بالأعراف والمصطلحات الأشعّ استعمالاً في الكلام المباشر، كما يحتوى على الصور التي تعبر عن بعض الانفعالات المعينة (الأيقونات الانفعالية emoticons) (انظر المثال 1-3). وتعنى التطورات التكنولوجية الأخرى في مجال الاتصال - ضمن ما تعنى من دلالات - أن الاتصال يحدث باستعمال الإنترن特 وغيرها من الأنظمة التي تمكن الأفراد من كل من الاستماع لبعضهم البعض ورؤيه بعضهم البعض حتى لو كانوا موجودين في بقاع جغرافية مختلفة.

فكرة في هذا الموضوع . . .

خصائص البيانات (1)

- عادة ما يكون النص المكتوب أكثر تقيناً وأكثر خصوصاً لإعمال النظر من النص المنطوق .
- عادة ما يكون النص المنطوق أكثر حساسية وتجابها مع جمهور المستمعين .
- كثيراً ما يضاف إلى النص المكتوب ما يعززه من وسائل الاتصال غير اللفظي التي يراها المستمع .

الاتصال غير اللفظي

كذلك يتم التواصل بشكل غير لفظي ، كما يمكن أن يكون هذا الشكل من الاتصال متاحاً لنا باعتباره بيانات يتم ملاحظتها (انظر الفصل 6 من الباب 3) على الرغم من أن عملية تحويل التعبيرات غير اللفظية عن الواقع الاجتماعي إلى بيانات تشتمل على تحويلها إلى كلمات ملفوظة أو صريحة . ويعنى الاتصال غير اللفظي ببساطة أنه لا يستخدم الكلمات ، وإنما تستخدم فيه وسائل أخرى (وعادة ما تكون وسائل بصرية ،

وسمعيه أيضاً). وقد يشتمل الاتصال غير اللفظي على تعبيرات الوجه، والأصوات التي ليست كلمات، والصور المرسومة بالأقلام أو اللوحات الزيتية، والصور الفوتوغرافية، والسلوك، والحركة، والأصوات غير البشرية، كالموسيقى وغيرها. وكما هو الحال مع البيانات اللغوية، تحتاج كباحثين اجتماعيين إلى إعمال الفكر فيما يلي:

- ما الذي يريد الشخص أن يقوله أو يعبر عنه؟
- لماذا اختار هذه الوسيلة للتعبير عما يريد قوله؟
- ماذا كان وقع هذا الكلام على الطرف الملقى؟

مثال 2-3

نمونج (3-2)

بيانات الحلقة ب

Source: © Andras Szegedi/Stockphoto



فك في هذا الموضوع . . .

اكتب وصفاً لفظياً موجزاً لهذه الصورة الفوتوغرافية. ما الذي تتصور أن الشخص الذي التقط هذه الصورة أراد أن يقوله أو يعبر عنه؟

قد تكون إحدى الصور الفوتوغرافية لحفلة عائلية مفيدة كبيانات بصرية من حيث محتوى هذه الصورة باعتبارها سجيلاً للحظة من الزمن (حيث قد تحتوى -مثلاً- على عدد الأفراد الذين كانوا مدعوين للحفل، وماذا كانوا يفعلون آنذاك)، وكذلك من حيث التفكير في معنى الصورة الذي دار في ذهن الشخص الذي التقظها.

فكرة في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (2)

- عادة ما يتم تفسير التواصل غير اللفظي باستعمال الكلمات.
- كثيراً ما يكون الاتصال غير اللفظي مصحوباً بكلام منطوق.
- يعتمد الاتصال غير اللفظي على التصورات الشائعة والمشتركة، كما هو الحال مع الاتصال اللفظي.

العبارات الواقعية والعبارات التقييمية كبيانات

قد تكون البيانات واقعية، أي واضحة ومتاحة للملاحظة أو يدلّى بها صاحب المعرفة:

مثال ذلك: أنا أنثى، وعمرى 30 سنة، وأعيش في المملكة المتحدة منذ سنة 2000.

أو قد تكون مثل هذه العبارات مصحوبة بتقييم معين:

مثال ذلك: أنا شابة، سعيدة بكوني امرأة، كما أني سعيدة لأنني جئت للمعيشة في المملكة المتحدة.

البيانات الواقعية

يشار إلى البيانات التي قد تمثل بصورة مباشرة ما يمكن ملاحظته، بأنها بيانات واقعية. مثال ذلك أننا نستطيع أن نلاحظ (في العادة) ما إذا كان شخص ما ذكر أو

أثنى ، ونستطيع أن نعدكم رجلا وكم امرأة كانوا حاضرين في الحفلة العائلية . في هذه الحالة تعتمد البيانات التي جمعها على نوع من الملاحظة التي تعتمد على الفوارق الحسية الملحوظة بين الذكر والأنثى وعلى قدرتنا على عد أو حساب عدد كل من الذكور والإناث .

وبإمكاننا أن نجمع المزيد من المعلومات وفقا لاعتبارات مشابهة ، وذلك من قبيل : كم عدد كؤوس الشراب التي تناولها كل شخص من الدعوين أو كم عدد النساء اللائي كن يرتدين فساتين حمراء؟ ومع ذلك ، فإننا قد نجد أنه إن طلبنا من اثنين من المشاركون أن يقوما ببحث ما ، وقام كل واحد منها بجمع هذه البيانات ، فإنهما قد يأخذان باتجاهين مختلفين ، كما قد يوجد بعض التضارب أو التباين في نتائج بحثهما ، من ذلك أن أحدهما قد يلجلج إلى اتخاذ موقع لنفسه بجوار زجاجات المشروبات ويدون ملحوظة في كل مرة يأتي فيها شخص ليملأ كأسه . وقد يذهب المشارك الآخر في نهاية الحفلة إلى كل شخص من الحضور ، ويسأله كم عدد كؤوس الشراب التي تناولها كل منهم . في الحالة الأولى لا نستطيع أن نتأكد مما إذا كان كل شخص قد احتسى فعلا الشراب الذي أفرغه في كأسه . وفي الحالة الثانية نعتمد على ذاكرة الفرد وأمانته . فإن كنا نسعى إلى الحصول على معلومات واقعية دقيقة ، فسوف نحتاج لإيجاد طريقة مختلفة لقياس المقدار الذي تم تناوله من الشراب .

وعند حساب عدد الحاضرات من النساء اللاتي يرتدين فساتين حمراء ، فقد يتفق هذان الباحثان المشاركان على فساتين بعض النساء ، ولكنهما يختلفان عندما يعرض لهما ثوب هو مزيج من الألوان ، أو يكون في نظر أحدهما قرنفل اللون . فإن أردا نا معلومات واقعية صحيحة ، فسيحتاج هذان الملاحظان إلى الاتفاق على المعيار الذي يستخدمانه لتقرير ما إذا كان ثوب ما أحمر اللون أم لا .

العبارات أو الأحكام التقييمية

قد يريد هذان الباحثان كذلك أن يكتشفا ما إذا كان بعض الحاضرين قد استمتعوا بالشراب أم لا ، وما إذا كان البعض الآخر من الحاضرين يرون أن هذه الفساتين الحمراء تظهر النساء اللاتي يرتدينهما أكثر جاذبية وأناقة أم لا . من الراجح وجود آراء مختلفة بشأن هاتين المسألتين ، كما أن البيانات التي يتم جمعها ستكون في شكل عبارات تقييمية (انظر قائمة المصطلحات) تشبه العبارات الواردة في المثال 3-3 .

مثال 3-3

بيانات الحفلة (C)

الأحمر هو اللون
الأسود الجديد لهذه
السنة (٢٠١٥)

هذا اللون لا يناسبها
فعلاً

بصراحة
أنا لا أتصور أنه
دفع ثمناً كبيراً لهذه
الخمر.

إن لهذه الخمر نكهة قوية
مستحبة.

تعتبر هذه العبارات إشارات دالة على رأى كل شخص ، كما أن هؤلاء الأشخاص يستخدمون حكمهم ومعاييرهم ليشرحوا للباحثين كيف يقيّمون الخمر (أو الشراب) ، وكيف يقيّمون الفساتين الحمراء . وقد يرغب أحد الباحثين الاجتماعيين في اكتشاف عدد الأفراد الذين يتبنون آراء مشابهة ، لكن من المرجح أيضاً أن يرغب في استكشاف هذه الآراء بمزيد من التعمق بدلاً من قبولها على ما هي عليه في ظاهر الأمر ، وذلك ليكتشف أي المعايير يستعملها الأفراد عندما يصدرون حكماً ما ، وما مدى قوة اعتقادهم في رأى ما ، وكيف يصل الأفراد إلى وجهات نظرهم هذه؟ ولماذا يؤمّنون بهذه الآراء؟

فکر فی هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (3)

- تعتمد البيانات الواقعية على ما هو متفق عليه من التعريفات والمعايير والمقاييس .
- غالباً ما تحتاج العبارات التقييمية إلى المزيد من الاستكشاف بغرض الاهتداء إلى كيف ولماذا قيلت هذه العبارات أو أصدرت هذه الأحكام .

بناء البيانات وتصنيفها

يمكن تنظيم البيانات وتصنيفها لكي تفي باحتياجات معينة . فعندما نصف حدثاً ما البعض الأفراد الآخرين تقوم - في العادة - باختيار وصياغة البيانات التي تقاسمها معهم عن هذا الحدث بطريقة من شأنها أن تساعدهم على فهم طبيعة هذا الحدث رغم أنهم لم يكونوا حاضرين أثناء وقوعه . وقد ينظم بعض الباحثين بياناتهم وفقاً لترتيب زمني معين ، ويقدمون وصفاً أو بياناً لما حدث ساعة بعد ساعة ، أو يوماً بعد يوم . وقد يركز البعض على جانب من الحدث ويشرحه بالتفصيل قبل الانتقال إلى وصف الأوضاع المحيطة والسياق ، أو قد يبدؤون باستعراض السياق والموقع حتى يستطيع المستمع أن "يكون صورة" للحدث . وقد يروى غيرهم قصة اشتراكهم في الحدث ، وماذا كانوا يفعلون ، وكيف كانوا يشعرون ، وما أشبه ذلك . وهناك من يعمد إلى استخلاص بعض الحقائق الأساسية عن الحدث ، وعدد الأفراد الذين شهدوه ، وطول الوقت الذي استغرقه الحدث ، والأنشطة التي اشتمل عليها ونحو ذلك ، ثم يقدمون هذه الحقائق لمن يستمع إليهم . ألق نظرة على المثال 3-4 الذي يحتوى على أربع روايات تصف الحفلة العائلية .

مثال 4-3

بيانات الحفلة (D)

- 1- كان يوجد حوالي أربعين شخصاً في الحفلة، وكان عدد الرجال مساوياً لعدد النساء، وكان معظمهم تحت سن الثلاثين. أثناء الجزء الأول من الأمسية كان الأفراد من كبار السن جالسين يتسامرون بينما كان الشباب يرقصون. ثم قمنا في الساعة التاسعة لتناول وجبة طعام في البوفيه وشرب نخب الاحتفال بالجدة الكبرى التي كان عيد ميلادها يوافق ذلك اليوم.
- 2- كان منزلًا بديعاً به حجرات فسيحة متصلة بعضها، بحيث كنا نستطيع أن نسمع الموسيقى في حجرة، بينما كان الآخرون يستطيعون أن يجدوا ركناً هادئاً يتسامرون مع بعضهم فيه، وذلك بجانب وجود حجرة أخرى كانت جميع أنواع الطعام معدة فيها لتناولها الحاضرون. وكان منظر الطعام رائعًا فعلاً، فهو مأدبة بكل معنى الكلمة، فضلاً عما كان يقدم معه من مقادير كبيرة من الشراب . . .
- 3- قضيت وقتاً رائعاً. تعرفت على عدد كبير من الأفراد الجدد، ومن أقارب صديقتي الذين لم يسبق لي اللقاء بهم من قبل. كان لها كثير من أبناء وبنات العمومة والخوازلة في نفس العمر، وكان بعضهم طلاباً في الجامعة أيضاً. قابلت "سaimon" الذي يدرس علم الاجتماع مثلّي، لذلك أخذنا نعقد المقابلات الخاصة بملحوظاتنا التي لفتت نظرنا في الحفلة.
- 4- كانت حفلة مقامة للاحتفال بعيد الميلاد التسعيني للجدة الكبرى لصديقتى، لذلك كانت مناسبة عائلية حقاً بما حوتة من عدد كبير من الأقارب والأصدقاء من كل الأعمار. كانت الجدة سيدة مسنة جذابة، كما كان من الواضح فعلاً أنها استمتعت بحضور كل أفراد عائلتها في هذا المكان للاحتفال بها . . .

إن ما نكتبه من تقارير تصف ظاهرة اجتماعية ما أو خبرة اجتماعية معينة يمكن أن تصنف أو تنظم بعدة طرق مختلفة وبدرجات مختلفة أيضاً. فالقارير المكتوب ليقدم إلى أحد المديرين يكون بطبيعة الحال أكثر تنظيماً من المعاورة العفوية مع أحد الأصدقاء مثلاً، وذلك حينما يكون من المحتل أن ينتقل من موضوع لآخر بطريقة غير منتظمة إلى حد ما.

فكرة في هذا الموضوع . . .

فكرة في حديث شهادة مؤخراً وحاول صياغة تقريرك عن هذا الحدث بعدة طرق مختلفة.

كما سترى في البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب، يمكن للباحث الاجتماعي أن يختار طريقة تنظيم البيانات التي قام بجمعها، وذلك باستخدام عدة أدوات مختلفة في جمع البيانات (الفصل 1 من الباب 3)، والتي منها مثلاً الاستبيانات (الفصل 3 من الباب 3)، والمقابلات (الفصل 4 من الباب 3) والسبيل الآخر أن يستخدم تقنيات تحليلية مختلفة لمعالجة البيانات المقنتة والبيانات شبه المقنتة والبيانات غير المقنتة (الفصل 2 من الباب 4). وسوف تناقش هذه النقطة بمزيد من التعمق في الفصل الرابع من هذا الباب في سياق حديثنا عن البحوث الكمية والبحوث الكيفية.

فكرة في هذا الموضوع

خواص البيانات (4)

- معظم البيانات يمكن تنظيمها وتصنيفها بمعرفة الشخص أو الجماعة التي قامت بجمعها.
- البيانات التي تصور ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة.
- البيانات التي جمعها الباحث الاجتماعي يجري تنظيمها وتصنيفها - بدرجات مختلفة - بمعرفة الباحث على اعتبار ذلك جزءاً من عملية جمع البيانات.

البيانات : المحتوى والمعنى

يتم تنظيم البيانات وتصنيفها بمعرفة فرد أو جماعة . ويتم إعداد التقرير الذى يصف حدثاً ما أو خبرة معينة بمعرفة مقدم التقرير الذى لا يقتصر عمله على تحديد ما هي المعلومات التى يضمها تقريره فقط ، بل يحدد أيضاً كيف س تعرض البيانات ، وما الجوانب التى سيتم إبرازها والتأكيد على أهميتها ، وما الجوانب التى يتقرر حذفها ، وما إذا كان الحدث سيعرض بصورة معينة أم لا (مثال ذلك : هل كان هذا الحدث متثيراً للاهتمام ؟ أم كان مدعماً للإحباط ؟). ومن المحتمل أن تشتمل البيانات على كل من العبارات الواقعية والتقييمية ، وأن تدخل في حسبانها المستمع أو الجمهور المتلقى . يتم اختيار اللغة التى يستعملها المتكلم أو الكاتب (على مستوى الشعور أو على مستوى ما تحت الشعور) لتقديم تقرير محدد عن هذا الحدث .

يكون القدر الأعظم من البيانات التى يتم تبادلها بين الكائنات الاجتماعية إما منطوقاً أو مكتوباً باستعمال لغة تعد مفهوماً للجميع ، ولو بدرجة معينة على الأقل . فنحن نتحدث أحياناً عن أفراد ”لا يتكلمون نفس اللغة“ عندما نقصد القول إنهم لا يفهمون بعضهم حتى لو كانوا كلهم يتكلمون الإنجليزية . فاللغة ليست مكونة من مجرد كلمات (فصيحة) لها تعريفات بالقاموس يستعملها كل امرئ بشكل دقيق . بل إن الكلمات تستعمل لتتبادل المعانى والتصورات التى يكون بعضها مشتركاً وسهل الفهم ، ويكون بعضها الآخر على غير هذه الصفة . كما أن الكلمات تستعمل بطريق مختلف من قبل الجماعات المختلفة من الناس ، وفي الأماكن والأزمنة المختلفة . ويمكن حدوث صور من سوء الفهم بين الأفراد الذين يفهمون اللغة التى تستعمل بطريق مختلفة . ويمكن للغة أن تستعمل لاستبعاد من لا يفهمون الكلمات الشائعة . أما الأمر الذى يمثل تحدياً مضاعفاً لنا فهو أننا - كباحثين اجتماعيين - نقوم كذلك باستخدام اللغة فى معالجة البيانات التى جمعناها وفى تفسيرها وشرحها . لذلك تعد طبيعة اللغة قضية إشكالية بقدر ما هي قضية محورية فى عملنا .

والغالب ألا يقتصر اهتمامنا - كباحثين اجتماعيين - على مضمون ما يقوله الأفراد أو يكتبونه ، أى العبارات الواقعية والتقييمية ، بل نهتم كذلك بالطريقة التى يستعمل بها الأفراد اللغة ليشرحوا تصوراتهم ومقاصدهم التى يرمون إليها . حاول إمعان النظر

فى الطرق المختلفة لاستخدام كلمة "العائلة" فى البيانات الواردة فى المثال 3-5. وفي كلا الحالتين نحتاج إلى تأمل الطريقة التى تستعمل بها هذه الكلمة، والمعانى والتصورات التى تشتمل عليها كلمة العائلة، والطريقة التى آلت بها أمر المتحدث فى استعمال هذه الكلمة بتلك الطريقة المعينة.

مثال 5-3

بيانات الحفلة (E)

- 1 - كانت حفلاً حفلة "عائلية"، فقد كان كل من فيها أقارب لبعضهم.
- 2 - جرى قدر كبير من الأمور "العائلية" التى لم أفهمها فى الواقع.
- 3 - كانت الحفلة تتمتع بوجود إحساس "عائلى" جميل بها، لقد شعرت بحق أننى جزء منها.

فكرة في هذا الموضوع . . .

ما هو في تصورك معنى كلمة "العائلة" في نظر المتحدث في كل عبارة من العبارات الثلاثة الواردة في المثال 3-5.

المعروف أن اللغة تستخدم وتفهّم بصور مختلفة عبر الثقافات وعلى امتداد الأزمنة، مثال ذلك أن كلمة "العائلة" قد تشتمل على تصورات وخبرات مختلفة بالنسبة لرجلين يعيشان في المملكة المتحدة في القرن الحادى والعشرين إذا كان أحدهما من طائفة "السيخ"^(*) وكان الآخر من أبناء جزر الكاريبي السود (انظر الفصل الخامس من هذا الباب للاطلاع على مناقشة لموضوع البحث الاجتماعي كقضية ثقافية). ولاكتشاف كيفية استعمال هذه الكلمة، لابد أن نعلم المزيد عن المتحدثين بها، وعن خبرائهم، وعن تصوراتهم.

(*) جماعة دينية بالهند وبباكستان، يبلغ تعدادها حوالي عشرين مليون نسمة، يقطن أكثرهم في البنجاب. تأسست الديانة في القرن السادس عشر الميلادي، ونادت بالتوحيد والتقارب الأساسي لجميع الأديان. تحولت بعد وقت غير طويل إلى جماعة مماربة، وأدخلت عليها عادة لبس العمائم وعدم حلق الشعر. (المترجم)

فکر فی هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (5)

- يمكن أن تحتوى البيانات على المعانى والتصورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (ومن خلال الاتصال غير اللغوى).
- يمكن أن تحتوى البيانات على الطريقة التى تستعمل بها اللغة على ألسنة مقدمى البيانات ، وهم يستعرضون ما فى أذهانهم من المعانى والتصورات.

البيانات التي يقدمها الأفراد أو الجماعة

يمكن أن يقدم البيانات أفراد أو جماعات من الأفراد. فهو سعى الفرد أن يصف حدثاً أو خبرة (وصفاً منطوقاً أو مكتوباً، وفي قالب لفظي وغير لفظي) لأفراد آخرين يشكلون جمهوراً يستمع إليه. وقد يتأثر وصفه للواقع الاجتماعي بالأفراد الذين يتحدث إليهم أو يكتب لهم، وبالسياق الذي تقدم فيه هذه البيانات. وفي أوضاع أخرى، قد يتعاون أفراد جماعة معينة في تقديم البيانات، على نحو ما يحدث مثلاً في إحدى المعارض، أو المعارضات أو أحد اللقاءات، أو عندما نعمل معاً في دراسة وثيقة، أو خطبة أو عرض مسرحي. فالبيانات يتم إنتاجها في ثناءاً تفاعلاً بالأفراد مع بعض، وعندما يتبادلون الآراء والواقع أو عندما يعترضون ويتشكّرون في هذه الآراء والواقع، وعندما يتفقون وعندما يختلفون. وبينما يكون للفرد سيطرة أكبر على البيانات التي يقدمها بنفسه، فإن التفاعل مع الآخرين، والاستماع إلى آراء وخبرات الآخرين أخرى أن يؤثر على إسهامه فيما تنتجه الجماعة من بيانات. ذلك أن جزءاً من الخبرة والمعرفة الشخصية للفرد قد يكون خفياً أو محظوظاً، كما قد يتجاهل أعضاء الجماعة الآخرون جانباً آخر من هذه المعارف والخبرات الشخصية، كما قد يكون جزءاً ثالثاً منها مبنياً على ما قدمه الآخرون وما طوروه. وقد تصبح بعض البيانات التي كانت في الأصل تخص فرداً معيناً - بعد فترة - غير مقصورة على هذا الفرد وحده، ومن ثم تنساب إلى مجمل البيانات التي تنتجه الجماعة. ذلك أن قدرًا كبيراً من البيانات التي تستعملها يومياً بوصفنا كائنات اجتماعية تعدد بيانات من إنتاج الجماعة أكثر من كونها بيانات أنتجها الأفراد.

المثال 3-6

بيانات الحفلة (F)

لورا وصديقتها سام وابنة عمها راشيل يناقشون موضوع الحفلة العائلية التي أقيمت بمناسبة عيد الميلاد التسعيني للجدة الكبرى لlorra وراشيل .

لورا: أرى أن الحفلة لم تكن سيئة إذا رأينا أن ...
سام : لقد استمتعت بها فعلا .

راشيل : لقد كان شيئاً جميلاً أن أرى الجدة الكبرى تستمتع إلى هذا الحد البعيد . إنها تحب حقاً أن يكون لها كل هذه العائلة ، كما أن الأمر جدير بإقامة هذه الحفلة مجرد رؤيتها وهي سعيدة .

لورا: نعم ، ولكن كان ينبغي عليك أن تفكري في أنه كان بمقدورهم أن يأتوا بفرقة أفضل لعزف الموسيقى ، وفي كل هؤلاء العجائز الجالسين في ذاك الركن يتحدثون عن الأيام الخوالي ، وفي كل هذا العدد الضخم من أفراد العائلة .

راشيل: أهذه هي صورة العائلات في نظرك؟ إننا لا نقيم مثل هذه الحفلات كثيرا ، وإنه لأمر طيب أن أظفر بروية سام وأنتي به ، وأن أرى الطفل الجديد الذي أجبته جوان وأن

لورا: ولكنها لا تدعو أن تكون عائلة ، وبصراحة أنا لا يعنيني أبداً أن أرى بعضهم فيما بعد ذلك ، وأقصد بذلك أنه لا توجد أي آراء أو ميول مشتركة بيني وبين جوان .

سام: أرى أن الطفل كان جذاباً فعلا .

راشيل: إنه لأمر طيب - في تقديرى - أن تلتقي العائلات معا ، وإن هذه الأنواع من المناسبات لهى مناسبات مهمة حقا ، إنها أمر جرت به التقليد .

لورا: كفاك خداعا . أتقولين كل هذا الكلام عن الحفلة التي قدمنا منها ، وكيف تمعنا جميعاً بها ، وعن هؤلاء الأشخاص غريبى الأحوال الذين لا تتحدث عنهم .. كل ما فى الأمر أنتى لا أريد أن أعرفهم .

سام: أتمنى أن تكون لي عائلة كعائلتك ...

راشيل : أهذا رأيك؟ ما أطبيه من رأى . ها هو إنسان يتفق معى في الرأى ...

فکر فی هذا الموضوع . . .

بالنسبة لكل المشاركين في المناقشة الجماعية المذكورة التي أوردناها فيما سبق ، ما الذي عرفته عما يقصدونه بكلمة «العائلة»؟

قد نهتم - كباحثين اجتماعيين - بالطريقة التي بها يقدم الأزواج (الذين تربطهم علاقة الزواج ، أو الخطوبة ، أو الحب) أو الجماعات وصفا لظاهرة اجتماعية معينة معا (انظر الفصل 5 من الباب 3) بما في ذلك النقاط التالية:

- كيف يتم إثراء المناقشة بالمعلومات ، والخبرات ، والمنظورات المختلفة.
- كيف يتفاعل الأفراد مع بعضهم بعضا ، ومن الذي يأخذ زمام المبادرة ، ومن الذي يسهم بالقدر الأكبر ومن الذي يسهم بالقدر الأقل.
- ما الكلمات المستخدمة ، وما التصورات المشتركة التي تبدو واضحة في الكلمات المستخدمة.

فکر فی هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (6)

- البيانات التي تقدمها جماعة معينة تشتمل على البيانات المرتبطة بالطريقة التي بها يتفاعل أعضاء الجماعة مع بعضهم بعضا.
- تعد البيانات التي تقدمها جماعة ما بيانات جماعية وليس مجموعة من البيانات الفردية.

البيانات التأملية (النقدية)

ويقصد بها البيانات التي يقدمها الأفراد أنفسهم عندما يفكرون فيما يفعلون ، وفيما يعيشون من خبرات وما يشعرون به من أحاسيس ، وعندما يحاولون أن يفهموا واقعهم الاجتماعي . ويجلب الباحثون الاجتماعيون ، بوصفهم كائنات اجتماعية تمثل

جزءاً من العالم الاجتماعي الذي يدرسونه؛ يجلبون إلى بحوثهم بعض ما يخصهم شخصياً من سيرة ذاتية وخبرات ومشاعر وجاذبية فتختلط البيانات التي يلاحظونها، ويسمونها ويستخدمونها. كما أنهم يستطيعون أن يتأملوا في الطريقة التي بها يفهمون ما يقومون به أنفسهم بعمله ومعايشته كباحثين اجتماعيين. ومن الممكن أن تشتمل هذه البيانات النقدية (انظر قائمة المصطلحات) على مشاعر الباحث وخبراته الشخصية المتعلقة بموضوع البحث، وعلى تفكيره في القضايا المتضمنة، وردود أفعاله تجاه محتويه وبيانات بحثه، وكيفية اتخاذ القرارات المتعلقة بجمع البيانات وطرق تحليلها. وقد تسجل هذه الأفكار التأملية النقدية في صورة ملاحظات بحثية أو في دفتر يوميات البحث وتتفاشر تحت إشراف المسئول عن البحث. كما أنها قد تُحلل تحليلاً نقدياً جنباً إلى جنب البيانات الأخرى للبحث الاجتماعي.

فكرة في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (7)

- البيانات التأملية النقدية بيانات يقدمها الباحث الاجتماعي.
- البيانات التأملية النقدية يمكن أن تشتمل على تفكير الباحث، وتصوراته، وأفعاله المرتبطة ببحثه.

البيانات الأولية والبيانات الثانوية

يمكن للباحثين الاجتماعيين أن يعالجو البيانات التي جمعوها خصيصاً للبحث الذي يقومون بإجرائه، وتسمى : **البيانات الأولية** (انظر قائمة المصطلحات)، والبيانات التي سبق أن قدمها غيرهم من الباحثين ، وهي : **البيانات الثانوية** (انظر قائمة المصطلحات).

ويتم جمع البيانات الأولية بمعرفة الباحث الاجتماعي باستعماله لأحدى طرق جمع البيانات التي تتلاءم مع نمط البيانات التي يجري جمعها. ويجد القارئ مناقشة مفصلة لطائفة من طرق جمع البيانات في الفصول من 3 إلى 9 من الباب 3. وتجمع البيانات الأولية خصيصاً من أجل مشروع البحث الاجتماعي باستعمال طريقة لجمع

البيانات يكون الباحث قد اختارها وفضلها على غيرها، وباستعمال أداة لجمع البيانات، كالاستبيان أو دليل المقابلة مثلاً، والتي يصممها الباحث في العادة (قد يستعمل الباحث أحياناً استبياناً أو أداة أخرى صممها باحث آخر إلا أنه يراها مناسبة لبحثه هو).

ويوجد عدة أنواع من البيانات الثانوية نذكر منها :

1 - البيانات التي جمعها باحث اجتماعي آخر باستعمال إحدى طرق جمع بيانات البحث، كالاستبيان أو المقابلة مثلاً. وبهذا الشكل تكون هذه البيانات متاحة لإجراء مزيد من التحليل عليها.

2 - البيانات التي تجمعها الحكومة أو منظمة أخرى لأغراضها البحثية أو أغراضها الخاصة بتسجيل البيانات، كبيانات التعدادات السكانية، وبيانات المرضى الذين يعالجون في المستشفيات.

3 - البيانات التي يتم إنتاجها أثناء ممارسة إحدى المنظمات لنشاطها المعتمد، ومنها مثلاً: وثائق الشرطة، أو الوثائق القانونية، أو "سجلات الحالات" التي يكتبها الأطباء عن مرضاهem أو التي يكتبها الأخصائيون الاجتماعيون عن عملائهم. وهنا تكون هذه البيانات قد أنتجت من أجل غرض معين، كما أنها قد تكون أو لا تكون متاحة لاطلاع عموم الناس عليها.

4 - البيانات التي ينتجهما الأفراد أو الجماعات بوصفها وسائلهم الشخصية للتواصل فيما بينهم، مثل ذلك: الخطابات، والمذكرات الشخصية (اليومية)، وقصائد الشعر، والأعمال الفنية، وأفلام الفيديو. ويقال عن هذه البيانات أيضاً إنه تم إنتاجها من أجل غرض معين. كما أنها قد تكون، أو لا تكون، متاحة لاطلاع عموم الناس عليها.

وعلى الرغم من أن البيانات الثانوية لم تكن منتجة في الأصل من أجل الباحث الاجتماعي، فإنه سوف يتعين عليه أن يُعمل عقله في الكيفية التي بها تم اختيار هذه البيانات، وجمعها، وتحليلها، كما يلزمه التفكير في الكيفية التي سيعتها هو نفسه مستقبلاً في الاختيار من بين هذه البيانات وفي استعمالها. وسوف نتأمل فيما بعد (في الفصل 9 من الباب 3، وفي الفصل 2 من الباب 4) بمزيد من التعمق كيف يمكننا أداء مهامتين معاً:

كيف نجمع البيانات الثانوية، وكيف نستخدمها. كما سنتعمق في بحث القضايا الخاصة التي يثيرها استخدام الباحث الاجتماعي للبيانات التي لم تكن قد جمعت بوصفها جزءاً من البحث الذي يجريه، والقضايا المتعلقة بمعالجته لأسئلة بحثه هذا.

فكرة في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (8)

- يتم جمع البيانات الأولية بمعرفة الباحث خصيصاً بقصد معالجة أسئلة البحث.
- يتم جمع البيانات الثانوية بمعرفة أطراف أخرى من أجل تحقيق بعض الأهداف البحثية أو غيرها من الأهداف.
- يتم جمع البيانات الثانوية من أجل تحقيق أهداف أخرى غير هدف معالجة الأسئلة التي يطرحها الباحث.

استخدام البيانات بوصفها تصويراً للواقع الاجتماعي

يهدف هذا الفصل إلى تعريفك بمجموعة من أنماط البيانات التي نتعامل معها يومياً بوصفنا بشراً، وهي بيانات متاحة للباحث الاجتماعي باعتبارها قابلة الجمع والمعالجة من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية. ويمثل هذا الفصل همزة وصل بين التفكير في النظرية التي ينطلق منها البحث الاجتماعي على نحو ما عرضنا في الفصل الثاني من هذا الباب ، وهو تمهيد - في الوقت نفسه - للانتقال إلى تطوير أسئلة البحث (في الفصل 4 من هذا الباب) ثم إلى عملية تصميم البحث (في الفصلين 3 و 4 من الباب 2 من هذا الكتاب). وقد تعرفنا في الفصل الثاني من هذا الباب على بعض الطرق المختلفة لمعرفة العالم الاجتماعي ، وسوف يتضح لنا بكل جلاء أن كل موقف معرفي (من الموقف التي عرضنا لها في الفصل الثاني من هذا الباب) سوف يتطلب الحصول على أنماط مختلفة من البيانات وعلى طرق متباعدة لمعالجتها. ونلاحظ - على وجه الخصوص - أن البحث الذي يتبنى توجهاً وضعيّاً من الأرجح لا يتعامل أساساً إلا بالمادة التي تمثل حقائق أو فيما يمكن ملاحظتها ، وقياسها ، وعددها. ويطلق على هذا التوجه في البحث

الاجتماعى - فى العادة - اسم الاتجاه الكمى ، وسوف نشرحه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2. أما الباحث الذى يتبنى تأويلا فسوف يحرص على جمع البيانات التى من شأنها أن تسمح له بفهم المعانى والتصورات المنسوبة للظاهرة الاجتماعية محل الدراسة وتفسيرها . وهو يحقق ذلك عن طريق مراعاة أسلوب تنظيم البيانات وطبيعة اللغة المستخدمة فى سياق اجتماعى معين . ويعرف هذا الاتجاه فى البحث الاجتماعى عادة - بالاتجاه الكيفي ، وسوف نناقشه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2 . وقد زادت مؤخراً أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين يعتمدون فى تنفيذ بحوثهم على تشكيله متنوعة من أنواع البيانات يرون أنها تتيح لهم الإجابة عن أسئلة بحوثهم ، ويعرف هذا الاتجاه أحيانا باسم اتجاه الطرق المختلفة (انظر قائمة المصطلحات) ، وسوف نعرض له لاحقاً فى الفصل 4 من الباب 2.

هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟

إذا كانت المادة التى نعتمد عليها فى توصيف ما فهمناها عن الواقع الاجتماعى ، فإنه يتربى على ذلك أن نقرر ما إذا كانت البيانات قادرة على تصوير الواقع الاجتماعى الذى تمثله تصويرا دقيقا . وهنا يعمد الباحثون الاجتماعيون إلى تطبيق بعض المقاييس والمعايير على هذه المادة التى تم جمعها: طريقة جمعها ، وتحليلها ، وعرضها . وتمثل هذه الخطوة أساس منهجية البحث الاجتماعى وطرق جمع البيانات وتحليلها التي يتناولها هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ .

وقد سبق أن ألمحنا إلى هذه المعايير فى الفصل الأول من هذا الباب ، ولكننا سنعود إلى طرحها مرة أخرى فى البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب ، تبعاً لطبيعة المادة وتبعد للطرق المستخدمة فى جمع البيانات وتحليلها ، وكذلك المعايير المناسبة أو اختبارات الجودة التى يجرى إعمالها .

والشاغل الأول لنا كباحثين اجتماعيين هو إلى مدى يمكننا القول إن البيانات - التي نخطط لجمعها ومعالجتها فى بحثنا لكي نجيب عن الأسئلة المطروحة - هى تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعى الذى تقوم بدراسته . وهذا هو المقياس الذى يعرف عادة بمعيار الصدق (انظر قائمة المصطلحات) . وقد سبق أن واجهنا هذه القضية عندما كنا نتحدث عن بحثنا الصغير عن كميات الشراب وأعداد سيدات حضور

الحفل اللائي كن يرتدبن فساتين حمراء . فقد تبني الباحثان أسلوبين مختلفين في تقدير كمية الشراب التي تناولها كل شخص من الحضور ، مما أدى إلى توصلهما إلى إجابتين مختلفتين عن السؤال . وقد لاحظنا أن كلا الإجابتين ربما لم تتسما بالدقة في تصوير الواقع الذي حدث فعلا . لهذا نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى البحث عن طرق لجمع المادة تضمن لنا أن المادة التي نجمعها بها تعكس الواقع الذي تصوره على نحو أقرب ما يكون إلى الصحة .

وقد تناولنا في هذا الفصل البيانات التي تعتمد على تفسير (تأويل) مضمونها وفهم طريقة استخدام اللغة نفسها . وحاولنا أن نتبين ذلك من خلال استعراض الاستخدامات المختلفة لكلمة "العائلة" والطرق المختلفة لوصف الحفلة . ويتبعن علينا كباحثين اجتماعيين أن نكون قادرين على بيان كيف قمنا بتفسير البيانات ، وعلى إيضاح أن تفسيراتنا وتصوراتنا تتسم بالثبات (انظر قائمة المصطلحات) أو المصداقية (انظر قائمة المصطلحات) ، بمعنى أنها معقولة وتحظى بصدق الآخرين .

ولذلك يتبعن علينا أن نتأكد - كباحثين اجتماعيين - بذلك على خلاف الباحثين الذين حضروا الحفلة ووصفها؛ نتأكد أن عمليات جمع البيانات وتحليلها التي قمنا بها تتسم بالاتساق ، بمعنى أننا استخدمنا نفس الإجراءات ونفس التعريفات (مثل المقصود "بالفستان الأحمر") - وهو المفهوم المعروف باسم الثبات - وأن جميع العمليات البحثية التي قمنا بها تتسم بالشفافية ، وأن بوسع الآخرين فهمها (وربما إذا أرادوا) تكرارها .

فحن نريد أن نكون قادرين على التأكد من أن نتائج بحثنا لم تتعرض لأى تشويه بسبب الطريقة التي استخدمت في جمع البيانات ، أو نوع المادة التي قمنا بجمعها . وفي حالة جمع أنواع مختلفة من المادة للإجابة على أسئلة البحث ذاتها ، في هذه الحالة يمكن استخدام كل نوع من أنواع المادة لاختبار النتائج التي تم استخلاصها من البيانات الأخرى . وتسمى هذه العملية **العدد المنهجي** (انظر قائمة المصطلحات) أو استخدام أكثر من أداة لجمع المادة وأكثر من طريقة من طرق البحث . (انظر المزيد عن هذه العملية في الفصل 4 من الباب 2) .

ما نوع البيانات التي ستجمعها و تعالجها؟

من الأرجح أنك قد تود، بل قد تحتاج، أن تجمع كمية منوعة من البيانات ذات السمات المختلفة لكي تستطيع دراسة موضوعك على الوجه الأنساب. وإلى جانب تباين سمات البيانات التي ستجمعها، هناك عدة قضايا يجب الانتباه إليها وتعلق بطريقة جمع المادة، ومستوى جودة البيانات، وكيفية معالجتها. لذلك يتعين عليك - كباحث اجتماعي - أن تقرر طبيعة البيانات التي ستجمعها وتقوم بمعالجتها، كما سيكون عليك أن تدلل على أن هذه البيانات تصور بدقة وصدق الواقع الاجتماعي الذي تمثله.

بحثك

بعد أن أعملت فكرك في موضوع بحثك: ما نوع البيانات التي يمكن أن تقوم بجمعها ومعالجتها؟

بيانات : منظوفة أم مكتوبة؟

- يلاحظ أن النص المكتوب يكون أكثر تنظيماً من النص المنطوق، كما أنه يكون مكتوباً بعد كثير من التروي.
- النص المنطوق يكون في العادة أكثر تجاوباً مع المستمعين.
- الغالب أن يكون النص المنطوق مصحوباً ببعض العناصر الاتصالية غير اللفظية، التي تكون مرئية للمسمع.

بيانات: حقيقة واقعة أم تقييمية؟

- تعتمد البيانات الواقعية على استخدام تعريفات، ومعايير، ومقاييس تكون محل اتفاق.
- الأغلب أن تتطلب العبارات التقييمية مزيداً من الفحص والتأمل لاستكشاف كيف ولماذا صدرت تلك العبارات؟

ما طريقة تنظيم البيانات؟

- يتم تنظيم وتصنيف القسم الأكبر من البيانات بمعرفة الشخص أو الجماعة التي قامت بجمعها.
- البيانات التي تمثل ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة.
- البيانات التي يقوم الباحثون الاجتماعيون بجمعها يتم تنظيمها وتصنيفها إلى درجات مختلفة بمعرفة الباحث الذي جمعها كجزء من عملية جمع البيانات.

بيانات أولية أم ثانوية؟

- البيانات الأولية هي تلك التي يقوم الباحث بجمعها خصيصا للإجابة عن تساؤلات البحث.
- البيانات الثانوية هي تلك التي قام آخرون بجمعها لإجراء بحوث أو لأغراض أخرى.
- البيانات الثانوية تم جمعها لأغراض غير الإجابة عن تساؤلات البحث الذي تجريه.

الاتصال اللفظي أم غير اللفظي؟

- الاتصال غير اللفظي يتم تفسيره عادة باستخدام الكلمات.
- الاتصال غير اللفظي يصاحب النص المنطوق في العادة.
- يتوقف الاتصال غير اللفظي على التصورات والمفاهيم المشتركة شأنه شأن الاتصال اللفظي.

المعانى والتصورات؟

- يمكن أن تحوى البيانات المعانى والتصورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (وكذلك عناصر الاتصال غير اللغوى).
- يمكن كذلك أن تحوى البيانات الأسلوب اللغوى الذى استخدمه جامعو البيانات للتعبير عن المعانى والتصورات الخاصة بهم.

البيانات : من صنع فرد أم جماعة؟

- تشمل البيانات المتحصلة من جماعة على إيضاح طريقة تفاعل أفراد الجماعة المتحصلة مع بعضهم بعضاً.
- البيانات المتحصلة من الجماعة تكون بيانات جماعية وليس مجموعة من البيانات الفردية (المتحصلة من أفراد).

هل البيانات : تأملية نقدية؟

- البيانات التأملية النقدية يقوم بإنتاجها الباحث .
 - يمكن أن تشمل البيانات التأملية النقدية العناصر التالية: تفكير الباحث ، وتصوراته ، وأفعاله المتصلة بالبحث .
- هل ستعبر البيانات تعبيرا دقيقا وأمينا عن الواقع الاجتماعى الذى تمثله؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bachman, R. and Schutt, R. K. (2001) *The Practice of Research in Criminology and Criminal Justice*, Thousand Oaks, CA: Pine Forge Press.
- Coolican, H. (1996) *Research Methods and Statistics in Psychology*, London: Hodder & Stoughton.
- Graziano, A. M. and Raulin, M. L. (2004) *Research Methods: A Process of Inquiry*, 5th edn, London: Pearson Education.
- Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Upper Saddle River, NJ: Pearson Education.
- Patton, M. Q. (2002) *Qualitative Research and Evaluation Methods*, London: Sage.

الفصل الرابع

أسئلة البحث، وفروضه، وتعريفاته الإجرائية

محتويات الفصل

- ما تساولات البحث؟
- تحديد تساولات البحث وتصميمها.
- أنواع تساولات البحث.
- تطوير أسئلة البحث والتعرifات الإجرائية.
- وضع أسئلة بحثك.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يدور هذا الفصل حول توضيح كيفية البدء بتحويل أفكارك البحثية إلى كلمات، وكيف تفكـر - وأنت تفعل ذلك - في التـساولات التي تـريد أن تـطرحـها حول مـوضوعـكـ. والغالب أن يـبدأـ البـاحـثـونـ الـاجـتمـاعـيـونـ بـمـجـالـ أوـ جـانـبـ معـينـ منـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ يـكونـ محلـ اـهـتمـامـهـ، سـوـاءـ مـنـ وـاقـعـ خـيرـتـهمـ الـخـاصـةـ أوـ درـاسـاتـ سـابـقـةـ، أوـ لأنـ قـضـيـةـ اـجـتمـاعـيـةـ مـعـيـنةـ تـفـرـضـ نـفـسـهاـ عـلـىـ الـاـهـتمـامـ الـعـامـ.

وبـمـجـرـدـ أـنـ تـبـدـأـ التـكـيـرـ فـيـ مـوـضـوعـكـ سـوـفـ يـبـدوـ لـكـ بـوـضـوحـ عـدـدـ كـبـيرـ مـنـ التـسـاؤـلـاتـ الـمـخـلـفـةـ الـتـىـ يـمـكـنـ أـنـ تـطـرـحـهـاـ حولـ مـوـضـوعـ مـعـيـنـ، وـلـذـكـ تـسـتـشـعـرـ أـنـكـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ أـنـ تـقـرـرـ وـضـعـ هـذـهـ التـسـاؤـلـاتـ تـحـديـداـ بـالـنـسـيـةـ لـمـوـضـوعـ الـذـىـ تـنـتـوىـ دـرـاسـتـهـ. عـنـدـمـاـ تـنـجـزـ ذـكـ سـتـجـدـ نـفـسـكـ تـبـدـأـ بـصـيـاغـةـ تـسـاؤـلـاتـ الـبـحـثـ. وـقـدـ تـكـونـ هـذـهـ التـسـاؤـلـاتـ فـيـ بـادـيـ الـأـمـرـ وـاسـعـةـ وـعـامـةـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ، وـلـكـ عـنـدـمـاـ

تبدأ في التركيز بوضوح على التساؤلات وتفتيتها إلى عناصرها الفرعية، ستجد تساؤلاتك تصبح أكثر تحديداً وأدق تعريفاً. وتشكل هذه التساؤلات البحثية أساس كل ما ستستخدمه من قرارات بشأن تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وطرق جمع المادة التي سوف تستخدمها في عملك (انظر الفصل 4 من الباب 2).

ما تساؤلات البحث؟

لا شك أن فكرة السؤال ليست بالأمر الجديد عليك، فكلنا نألف فكرة توجيه الأسئلة وتقدير الإجابات منذ مراحل مبكرة في حياتنا. فعندما نريد أن نعرف شيئاً ما عن موضوع معين، أو نحصل على بعض المعلومات أو نقرأ فصلاً معيناً في كتاب لمساعدتنا على كتابة مقال، فإننا نعمد في العادة إلى وضع بعض التساؤلات التي يمكن أن تساعدنا في العثور على المعلومات التي نبحث عنها، ومن ثم تمكننا من التركيز على المعلومة التي نحتاج إليها. والغالب أننا نمارس مثل هذه العملية دون تفكير مباشر وصريح فيها، أما في حالة تساؤلات البحث الذي ننوي إجراءه، فلا بد أن نعمد التفكير في تساؤلاتها بكل عنابة ووضوح، وذلك كي نضمن أن تصميم البحث سوف يمكننا من الإجابة عن التساؤلات التي سنطرحها. ويمكن القول من حيث المبدأ أنه إذا لم يكن هناك ثمة سؤال، فلن تستطيع الوصول إلى أية إجابة. فتساؤلات البحث ركن جوهري من أركان مشروعك، وهي التي تتيح لك التعمق في موضوع بحثك والتركيز على مختلف جوانبه. من هنا يمكن القول إن سؤال البحث يعمل - من ناحية - على إجلاء الهدف من مشروعك البحثي، ويسمهم - من ناحية أخرى - في توجيه مسارك طوال عملية البحث. وبذلك يتضح أن سؤال البحث ليس مجرد عبارة بسيطة، حيث إنه لا بد وأن يتضمن قدراً من التعبير المفصل عن الطبيعة الكلية للبحث. معنى هذا أن تساؤلات البحث تختص دائماً بمشروع بحثي معين.

تحديد تساؤلات البحث وتصميمها

سبق أن بيننا في الفصل الثاني من هذا الباب أننا حاول كباحثين اجتماعيين تحقيق ما يلى:

- (أ) وصف، وإيضاح ظاهرة اجتماعية معينة (أو عدة ظواهر اجتماعية).
- (ب) وأن نعمل عادة على فهم، وتفسير كيف أصبحت الظاهرة على ما هي عليه (أو بالصورة التي يفهمها الناس بها) وأسباب ذلك.
- لذلك تبدأ تساءلنا البحثية عادة بـ: ماذا؟ من؟ أين؟ كيف؟ ولماذا؟

أنواع تساءلات البحث

هناك – كما عرفنا في الفصل الثاني – أربعة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية هي: الاستكشافي، والوصفي، والتفسيري، والتقييمي.

- التساؤل الاستكشافي:** ويمثل محاولة أولية لفهم أو إيضاح إحدى العمليات أو الظواهر الاجتماعية عندما تكون أنت (ربما كفرد، أو ربما أحياناً الجماعة العلمية التي تتنمى إليها) لا تملك إلا قدرًا محدودًا من الفهم المسبق للمجال أو القضايا التي تنوى دراستها.
- التساؤل الوصفي:** يترتب هذا النوع من التساؤل على الأسئلة الاستكشافية التي سبق طرحها. إذ تهتم التساؤلات الوصفية عادة بقياس الأبعاد الكمية للمجال أو القضايا أو الظواهر المراد دراستها، من قبيل: ما مقدار حجمها؟ كم عددها؟ أين هي؟ كم نسبة الناس الذين يتأثرون بها؟
- التساؤل التفسيري:** وهذا التساؤل يطرح عادة في صورة تساءل عن السبب أو الأسباب (لماذا؟). فهو يبحث عن الأسباب وعن النتائج أو الآثار، مثل: لماذا حدث ذلك؟ كيف حدث؟ ما العمليات الفاعلة في حدوث ذلك؟
- التساؤل التقييمي:** يهتم التساؤل التقييمي بمعرفة قيمة ممارسة أو ظاهرة اجتماعية معينة، وذلك عن طريق طرح مثل هذه التساؤلات: ما أكثر الجوانب نجاحاً؟ ما مدى نجاحها (أو مدى إخفاقها)؟ ما مدى فاعليتها ذلك؟ والغالب أن يشتمل هذا النوع من البحوث على وضع توصيات بشأن كيفية تحسين أو تغيير شيء معين، وهو أمر لابد وأن يكون متضمناً في تساءلات البحث.

والحقيقة أن بحثك سوف يندرج تحت واحد أو أكثر من هذه الأنواع ، ولا يجب أن يمثل ذلك أي مشكلة على الإطلاق ، ذلك لأن الغالبية العظمى من المشروعات البحثية تطرح في العادة أكثر من نوع من التساؤلات البحثية .

فكرة في هذا الموضوع . . .

يركز أحد الأمثلة التي أوردناها في الفصل الثاني من هذا الباب على بعض التساؤلات البحثية التي يمكن طرحها فيما يتعلق باستخدام عصابات الشباب للأسلحة النارية ، وذلك على النحو التالي :

البحث الوصفي: من الشباب المتورطون في جرائم استخدام الأسلحة؟

البحث الاستكشافي: ما معنى أن يكون المرء عضواً في عصابة؟

البحث التفسيري: لماذا يشارك الشباب المنتمون إلى العصابات في اقتراف جرائم بالأسلحة النارية؟

البحث التقييمي: ما التغيرات في السياسة والممارسة التي يمكن أن تسهم على النحو الأفضل في الحيلولة بين الشباب وبين الانضمام ل مثل هذه العصابات؟

ويهتم أحد الباحثين الاجتماعيين بدراسة العلاقات التي يمكن أن تكون موجودة بين البطالة والصحة العقلية . هل يمكن أن تساعد ذلك الباحث باقتراح بعض التساؤلات البحثية له؟

-----	البحث الوصفي: - - - - -
-----	البحث الاستكشافي: - - - - -
-----	البحث التفسيري: - - - - -
-----	البحث التقييمي: - - - - -

وعليك كما سبق أن أشرنا في الفصل الثاني أن تحدد أربعة تساؤلات تتعلق بموضوع بحثك . ربما يحسن بك أن تراجع ذلك الموضوع الآن مرة أخرى .

الفروض

تمثل الفروض نوعاً معيناً من تساؤلات البحث، وهي وإن لم تكن تساؤلات في الحقيقة، فهي نوع من العبارات أو التأكيدات بوجود علاقات بين مفهومين أو أكثر. فالتساؤل هنا مطروح بشكل ضمني وليس صريحاً أو مباشراً، وذلك على النحو التالي مثلاً: «هل أستطيع أن أثبتت (أو أنفي) وجود علاقة بين هذين المفهومين؟». هنا يتمثل هدف البحث في اختيار حقيقة الزعم بوجود هذه العلاقة بهدف تأكيد الفرض أو نفيه.

ما: الفرض؟

تأكيد - مطروح للاختبار - بوجود علاقة أو علاقات بين مفهومين أو أكثر (وليس الفرض بالضرورة تعبيراً عن حقيقة مؤكدة)، ولكنه أمر مطروح للإثبات أو النفي).

مثال 1-4

الفروض المتعلقة بوجود علاقة بين الجريمة والانتماء الإثنى

الفرض المطروح

أعضاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمالاً أن يقترفوا الجرائم من أعضاء الجماعة الإثنية (ب).

يؤكد هذا الفرض وجود علاقة بين الانتماء الإثنى واقتراف الجرائم.

من هنا يمكن القول إن التساؤل البحثي عن تناول هذا الموضوع هو:

هل هناك علاقة بين الانتماء الإثنى وارتكاب الجرائم؟

ويمكن طرح تساؤل فرعى حول نفس الموضوع هو :

هل أعضاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمالاً أن يرتكبوا الجرائم من أفراد الجماعة الإثنية (ب)؟

والأمر الأكثر شيوعاً أن تستخدم الفروض في فحص العلاقات بين مفاهيم أو ظواهر يمكن اختبارها إحصائياً، أو بعبارة أخرى:

- أن يكون كل مفهوم قابلاً للتحديد والقياس (انظر فيما بعد حديثنا عن التعريفات الإجرائية).
- أن يكون من الممكن جمع بيانات عن كل مفهوم خاضع للدراسة.
- أن يكون بالإمكان اختبار البيانات باستخدام النظرية الإحصائية للتأكد من أن الفرض يمكن إثباته أو نفيه إحصائياً بمعنى وجود علاقة إحصائية يمكن (أو لا يمكن) تبيينها والكشف عنها.

وهناك نوعان رئيسيان من العلاقة أو الارتباط التي تتناولها بحوث العلوم الاجتماعية بهذه المناسبة . وتلك هي العلاقة العلية (انظر قائمة المصطلحات) وال العلاقة الارتباطية (انظر قائمة المصطلحات).

وكما سترى في المثال 4-2 فيما بعد فإن إثبات طبيعة العلاقات بين الظواهر في البحوث الاجتماعية نادراً ما يتم بشكل مباشر وصريح ، وأن الأرجح أن تمثل الفروض مجرد نقطة انطلاق للبحث الاجتماعي . فنجد على سبيل المثال أن وجود علاقة إحصائية بين مفهومين ، أو خاصيتين أو حدثنين سوف يقودنا إلى طرح مزيد من التساؤلات التي نحاول من خلال الإجابة عنها تحديد طبيعة هذه العلاقة والتوصل إلى تفسيرات لها .

فالتفكير في العلاقات المحتملة - هي في هذا المثال أسباب حصول (أو عدم حصول) بعض التلاميذ على درجات مرتفعة في الامتحانات - التفكير فيها في هذه المرحلة سيساعدك على أن تضمن جمع بيانات عن كل العلاقات التي يمكن أن تكون مفيدة لبحثك ومرتبطة به . فإذا سألت التلاميذ مثلاً عن الدرجات التي حصلوا عليها في الامتحان وعن عدد الساعات التي أمضاها كل منهم في الاستذكار «بتركيز» ، فقد تتوصل في ضوء ذلك إلى أن هناك ارتباطاً (أو عدم وجود ارتباط) بين هذين العنصرين . ولكنك لن تستطع في مثل هذه الحالة أن تنتبه إلى الأسباب المحتملة لهذا الارتباط ، ما لم تكن قد قمت بجمع بيانات عن بعض الجوانب الأخرى لذاكرة أولئك التلاميذ التي قد يكون

لها تأثير على الدرجات التي حصلوا عليها في الامتحان . لهذا السبب يتعين أن يكون لديك مجموعة من الفروض ، أو أن تجمع بين عدد من الفروض البسيطة في حكم (أو فرض) أكثر تعقيدا.

على أن الفروض - كأحكام يمكن اختبارها - لا تستخدم فقط في البحوث التي تقوم على جمع بيانات يمكن اختبارها إحصائيا . وإنما يمكن كذلك الاعتماد عليها في البحوث التي تقوم على جمع بيانات ومعالجتها بطرق أقل تقنيا وأقل اتصافا بالطابع الكمي . فالعلاقات العلية والارتباطية المحتملة بين مختلف الخبرات ، والخصائص والأحداث يمكن تحديدها والتعرف عليها من واقع البيانات والروايات التي تحصل عليها من المقابلات شبه المقتنة على سبيل المثال (انظر الفصول 1 ، 2 ، 4 ، 5 من الباب 4) . كما يمكن أن نتبين وجود علاقات علية وارتباطية - وأن نتبعها - من خلال البيانات التي يحصل عليها الباحث من دراسة عدد من الحالات على أن يتم بعد ذلك تحليل عدد آخر من الحالات للتحقق من وجود هذه العلاقات فيها .

مثال 4-2

العلاقات

العلاقات العلية

يتم تصوير العلاقات العلية في أغلب الأحيان بيانيا على النحو التالي:

أ ← ب

فستطيع أن نؤكد - مثلا - أن زيادة التركيز في الاستذكار تؤدي إلى زيادة الدرجات التي يحصل عليها الطلاب الجامعيون . وفي هذه الحالة نصور العلاقة بيانيا على النحو التالي:

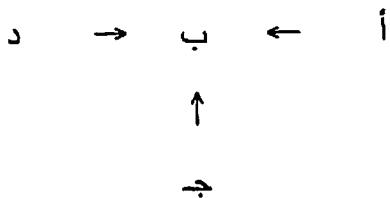
↑ ↑
 أ ← ب

وهكذا تؤدي الزيادة في المتغير (أ) - وهو الاستذكار بتركيز - إلى زيادة في المتغير (ب) ، وهو درجات الامتحان .

العلاقات الارتباطية

على أن هناك بعض الأحوال التي لا نستطيع فيها إثبات أن (أ) هو الذي يسبب (ب) رغم وجود علاقة إحصائية بين زيادة التركيز في الاستذكار وارتفاع درجات الامتحان . وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب :

1 - أن هناك عديدا من الأسباب لحصول الطالب على درجات مرتفعة ، وقد يكون من الصعب إثبات أن الاستذكار بتركيز هو المسئول وحده عن الدرجات المرتفعة في الامتحان .



2 - قد يكون صحيحا أن الطلاب الذين يحصلون على درجات مرتفعة في الامتحان هم في نفس الوقت الذين يرون أن الاستذكار بتركيز هي أفضل طرق الاستذكار ملائمة لهم .



3 - قد يكون ثمة عامل ثالث يؤثر على كمية الاستذكار بتركيز والدرجات المرتفعة في الامتحان . من ذلك مثلا وجود مدرس لجامعة من الطلاب يتوقع أن طلابه يقومون بالمذاكرة العادلة لما درسواه قبل المحاضرات ، وقد قام خلالها بتحديد بعض أسئلة الامتحان . فهو يرى أن أولئك الطلاب يذكرون تلك المادة على سبيل المراجعة . (وهكذا يحصلون على درجات مرتفعة رغم أنهم لم يقوموا بالاستذكار المركز) .



تطوير أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية

تفكيك وتحليل تساولات البحث

ربما يتعين عليك أن تبدأ ببعض التساؤلات المبدئية ، من نوعية تلك الأسئلة التي وردت في برواز «فكرة في هذا الموضوع . . .» السابق ، ولكن قبل أن تتمكن من وضع أسئلة أو فروض لبحثك من شأنها أن تعينك على تصميم بحثك وأختيار طرق جمع البيانات؛ قبل ذلك يحسن بك أن تقوم بعملية تحليل تساولاتك المبدئية لكي تضمن أنك تعرف بدقة ما الذي تقوم ببحثه ، ومن ثم تقوم بجمع البيانات التي تتبع لك الإجابة عن تلك التساؤلات . ويتضمن ذلك صياغة بعض التعريفات الإجرائية (انظر قائمة المصطلحات) التي ستتناولها فيما بعد . وبموازاة ذلك العمل يجدر بك أن تبدأ بمراجعة التراث المنشور عن موضوع بحثك (الدراسات السابقة) (انظر الفصل 2 من الباب 2) ، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على صياغة تعريفاتك الإجرائية ، وتدقيق أسئلة بحثك ، وربما كذلك تطوير بعض الأسئلة البحثية المساعدة (انظر قائمة المصطلحات) .

التعريفات الإجرائية

قبل أن تتمكن من طرح أسئلة مفيدة عن قضية أو موضوع معين ، يتعين علينا أن نعرف بدقة طبيعة ذلك الموضوع . ونحاول في العادة عمل ذلك عن طريق وضع تعريف إجرائي ، أي تعريف نستطيع أن نستخدمه عملياً في بحثنا . فنحن نحتاج إلى التعريفات الإجرائية لكي نركز سؤالنا ، وبالتالي نحدد طبيعة البيانات التي سنقوم بجمعها لكي نتمكن من إجابة على تلك الأسئلة . ويطلق على هذه العملية أحياناً «وضع التعريفات الإجرائية» . ويفصف جوب Jupp وزملاؤه (2000 ، ص 62) هذه العملية بأنها:

تحديد القواعد التي يتم إعمالها عندما تتحقق بعض عناصر المفهوم .

ويمكن القول بعبارة أوضح إن هدف التعريف الإجرائي هو تزويدك بممؤشر يتيح لك أن تعرف أن الشيء الذي تدرسه متحقق أو موجود . فأغلب أسئلة البحث تتضمن المفاهيم (انظر قائمة المصطلحات) وتدور حولها ، وكيفية معرفة المزيد عنها ، وطبيعة علاقتها ببعضها بعضاً . فالمفاهيم أفكار يمكن تعريفها ويمكن فهمها بطرق مختلفة باختلاف الأفراد أو الجماعات ، أو باختلاف العصور ، ومن هنا يت frem أن تكون لديك

تعريفات واضحة ل مختلف المفاهيم التي تستخدمها ، ولابد أن يكون التعريفات صالحة للاستخدام العملى فى بحثك ، أى يكون ملائما إجرائيا.

وعليه لا بد أن يكون التعريف الإجرائي:

- صادقا ومرتبطا تمام الارتباط بالبحث ، فلا بد أن يكون صالحا للاستخدام فى جمع البيانات التي تساعدك على معالجة أسئلة بحثك .
- وأن يكون مرتبطة كليا بسياق البحث ، ومصمما خصيصا للمشروع البحثي ، بحيث إنه قد يكون عديم الجدوى بالنسبة لأى مشروعات بحثية أخرى.

مثال 3-4

البطالة والصحة العقلية - تعريفات إجرائية

سبق أن طلبنا منك أن تفك فى بعض التساؤلات البحثية التي ترتبط بالعلاقات التي يمكن أن توجد بين البطالة والصحة العقلية.

فالباحث الذى نحن بصدده يتناول العلاقة بين مفهومين هما: **البطالة والصحة العقلية**. ويتعين علينا قبل أن نتمكن من وضع وبلورة تساؤلاتنا البحثية ومن تصميم بحثنا؛ يتبعن أن نضع تعريفات إجرائية لهذين المفهومين.

فما الذى نقصده فى هذا البحث بكون الفرد عاطلا؟

وفىما يلى بعض الاقتراحات فى هذا الصدد:

- 1- كل بالغ لا يعمل بأجر .
- 2- كل بالغ كان يعمل بأجر ، وأصبح الآن لا يعمل بأجر.
- 3- كل بالغ كان فى المرحلة العمرية من 16-65 سنة يعمل بأجر ، ولكنه أصبح لا يعمل بأجر منذ أكثر من عام .
- 4- كل بالغ يتلقى إعانة بطالة أى من « أصحاب معاش البطالة».

5- كل بالغ لا يعمل بأجر ويرغب في العمل بأجر ، أي يكون «مقيداً في قوائم طالبي العمل»

6- كل بالغ لا يعمل.

وعلينا أولاً أن نعرف تحديداً بؤرة ترکيز البحث وسؤال البحث قبل أن نتمكن من اختيار التعريف الإجرائي الذي سنستخدمه . من ذلك مثلاً: إذا كان سؤال البحث:

A - ما آثار البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للعاطلين؟

هنا يكون التعريف الإجرائي رقم (3) هو الأنسب ، ومن ثم يمكن استخدامه لتحديد العينة المناسبة من المبحوثين الذين يمكن إجراء دراستنا عليهم .

أو هل يمكن أن يكون؟

سنلاحظ أتنا يمكن أن نقع في شباك التعريف الإجرائي لمفهوم واحد - هو البطالة - إذا استخدمنا في تعريفه مفهوماً آخر هو العمل بأجر . لذلك يتعين علينا وضع تعريف إجرائي للعمل بأجر . وربما يصح أن يكون هذا التعريف على النحو التالي: «العمل لمدة 35 ساعة أسبوعياً - على الأقل - كل أسبوع ، تكون مدفوعة الأجر». فمثل هذا التعريف يستبعد أولئك الذين يعملون أقل من 35 ساعة أسبوعياً ، ولكنه بالنسبة لطبيعة بحثنا الذي يهتم بالبطالة الطويلة الأمد يعد تعريفاً مقبولاً .

B - هل الناس الذين لا يعملون بأجر أسعد أم أتعس من أولئك الذين يعملون بأجر؟

قد يبدو في الظاهر أن التعريف الإجرائي رقم (1) قد يكون الأكثر ملاءمة هنا ، ولكن هذه المجموعة - المكونة من أفراد بالغين لا يعملون بأجر - تضم تنوعة هائلة من الناس: كأولئك الأفراد الذين لا يرغبون أو لا يحتاجون إلى العمل بأجر ، وكالمتقاعدين ، والأفراد غير القادرين على ممارسة العمل بأجر ، وأولئك الذين يسعون إلى عمل بأجر وأولئك الذين يعملون تطوعاً بدون أجر . ولذلك ربما يكون من الأفضل تدقيق التعريف بأن نحدد أي مجموعات من الناس هي التي يمكن أن يركز عليها بحثنا .

فکر فی هذا الموضوع . . .

ما المقصود بالصحة العقلية

فيما يلى بعض التعريفات المقترحة:

1- وجود أو عدم وجود أحد أنواع الاضطراب العقلي التي يتم تشخيصها إكلينيكيا.

2- الحالة العقلية التي يمكن قياسها باستخدام الاختبارات النفسية.

3- كيفية شعورنا بحياتنا وبذواتنا.

فأى تعريف إجرائى من هذه التعريفات المقترحة سوف تنوى استخدامه لدراسة كل سؤال من هذه التساؤلات؟ وهل يمكنك اقتراح أساليب أخرى لوضع تعريف إجرائى للصحة العقلية؟

أ - ما تأثيرات البطالة الطويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

ب - هل الناس الذين لا يعملون بأجر أسعد أو أتعس من أولئك الذين يعملون؟

على أن التعريفات الإجرائية لا تستخدم فقط لمساعدة الباحثين على تدقيق تساؤلاتهم البحثية. وإنما تؤدى - فضلا عن ذلك - وظيفة ضرورية عندما نشرح في التفكير في كيفية جمع المادة التي سوف نستخدمها في الإجابة عن تساؤلات البحث.

فمن اللازم أن نتمكن من جمع بيانات بحثنا في ضوء التعريفات الإجرائية.

وبالنسبة للمثال الذي أوردناه نحتاج إلى:

• أن نستطيع العثور على الأشخاص - أو أن نجمع معلومات عن الأشخاص - الذين تتوفّر فيهم معايير التعريف. وهم في حالة التعريف المذكور: البالغون الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و65 سنة الذين يعملون بأجر (المدة 35 ساعة على الأقل أسبوعيا) ولكنهم لم يملوا بأجر - خلال ذلك العمر - مدة تجاوزت عاما واحدا.

- في هذه الحالة يكون للتعريف الإجرائي الذي اخترناه دلالات مهمة بالنسبة لعملية اختيار عينة البحث، أي تحديد الأشخاص الذين تتوفر فيهم معايير التعريف، أو تكون لهم صلة بالبيانات الثانوية التي يمكن الاستعانة بها في البحث.
- أن نتمكن من أن نجمع منهم أو من غيرهم البيانات التي تسمح لنا - في حالة المثال المذكور - ”بقياس“ حالتهم الصحية العقلية.
- في هذا المثال تكون المسألة المهمة هي مشكلة القياس ، وكيفية جمع البيانات. فإذا تأملنا على سبيل المثال - التعريفات الإجرائية الثلاثة المقترنة للصحة العقلية:
- بالنسبة للتعريف الإجرائي رقم (1) سوف أحتجاج إلى الحصول على بعض المعلومات الطبية الضرورية (أو أن أقوم أنا بنفسي بعمل تقرير شخص في الحاله الصحية العقلية).
- أما بالنسبة للتعريف الإجرائي رقم (2) فإنه سيتطلب من الباحث تطوير اختبار نفسي ، أو أن يستخدم أحد الاختبارات التي صممها علماء النفس لهذا الغرض ، ثم أقوم بتطبيق الاختبار على المبحوثين .
- أما التعريف الإجرائي رقم (3) فيتطلب وضع بعض الأسئلة التي تستهدف التعرف على مشاعر الأفراد تجاه حالتهم الصحية العقلية . وهذه مسألة ذاتية خالصة، وطبعاً أن يكون لدى الناس أفكار مختلفة بهذا الصدد ، فما معنى قولهم - مثلاً - إنهم سعداء . حقيقة أن السعادة هي الأخرى مفهوم يحتاج إلى وضع تعريف إجرائي له ، بحيث نستخدمه في جمع بيانات تساعدنا على أن نقرر هل السعادة متوفرة فعلاً أم لا .

فكر في هذا الموضوع . . .

ما الأسئلة التي يتبعين أن توجهها إلى المبحوثين لكي تعرف:
 (أ) ما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم سعداء؟
 (ب) ماذا يقصدون بكلمة السعادة؟

من هنا نرى أننا عندما نحاول وضع تعريف إجرائي لمفهوم معين، قد نقع بسهولة في فخ استخدام مفهوم آخر كجزء من ذلك التعريف الإجرائي. كما رأينا أنه عندما نقوم بتضمين واختيار طرق جمع البيانات قد نضطر في بعض الأحيان إلى الاعتماد على بعض المفاهيم، التي تحتاج هي الأخرى إلى تعريفها إجرائياً، لكي نضمن أن نجمع البيانات الصالحة للإجابة عن الأسئلة التي نود استيفاءها. ونعتقد أن استعراض المزيد من الأمثلة سوف يبرز ضرورة العناية بصياغة تساؤلات بحثك، وصياغة الأسئلة التي ستوجهها - وبالتالي - إلى المبحوثين.

صياغة السؤال

إذا كان بحثنا مهمتاً - مثلاً - بالوقوف على خبرات الناس الخاصة بترددهم على طبيتهم، وكان أحد الأسئلة يقول:

هل اضطررت إلى الانتظار أكثر من اللازم حتى يجيء دورك في الدخول على الطبيب؟

هنا سنواجه عدداً من المشكلات. أبرز تلك المشكلات أن المبحوثين سوف يعْرِفون «أكثر من اللازم» بأساليب شتى مختلفة. فهناك من يرى أن خمس دقائق مدة طويلة (خاصة إذا كانوا قد تركوا سياراتهم في أماكن الانتظار السريع في فناء تلك المستشفى) وعليه فسوف يجيبون عن السؤال المذكور: نعم. وهناك طائفة أخرى من الناس تعتبر أن الانتظار لمدة أربعين دقيقة في قاعة انتظار مكيف الهواء متعة محببة، ومن ثم يجيبون عن ذلك السؤال: لا. وعندما نتأمل الإجابتين لن نستطيع التوصل إلى معرفة شيء عن طول مدة الانتظار، ولماذا تعتبر «أطول من اللازم» (أو لا تعتبر كذلك). وأيا كانت الأسباب سوف يقدم الناس لنا إجابات مختلفة ومتغيرة لن تفيدنا كثيراً عندما نشرع في التحليل. ولهذا لكي نحصل على البيانات المفيدة لنا يتبعين أن نوجه المزيد من الأسئلة من قبيل :

• كم من الوقت انتظرت في العيادة قبل أن يسمح لك بالدخول على الطبيب؟

• هل كنت راضياً أم غير راض عن اضطرارك إلى الانتظار طوال هذا الوقت؟

• ما سبب رضائك أو عدم رضائك عن الانتظار طوال ذلك الوقت؟

المفاهيم المرتبطة بالسياق الاجتماعي والثقافي ومشكلة الصياغة

الحقيقة أن التعريفات الإجرائية ترتبط عادة بالسياق الاجتماعي والثقافي . ومن الواجبأخذ هذا الجانب من جوانب التعريف الإجرائي فياعتبار لكي نضمن أن يفهم المبحوثون ما نوجهه إليهم منأسئلة ومن ثم يتمكنون من الإجابة عليها، ولكن نضمن كذلك أن يقودنا توجيه هذه الأسئلة إلى الحصول علىبيانات صادقة . ويعنى هذا في النهاية أن كل المبحوثين قد فهموا الأسئلة على نفس النحو (أى بنفس المعنى)، وأنهم قدموا لنا إجابات دقيقة على نفس السؤال . فإذا سألنا مثلا بعض المبحوثين -الذين يتمون إلى اللون الأبيض ، والطبقة الوسطى ، والثقافة البريطانية - عن تحديد الأقارب المباشرين داخل أسرهم ، فمن غير المتوقع أن يتتجاوز عدد هؤلاء (في الأسرة الواحدة) 15 فردا . ولكن إذا وجه نفس هذا السؤال إلى فرد من طائفة "السيخ" فلن يكون من المستغرب أن يتتجاوز هذا الرقم 100 (راجع www.jamardaresources.com) ، لأن لدى الجماعات الثقافية المختلفة مفاهيم مختلفة عن الأسرة . ويدلنا هذا المثال على أهمية أن نضمن أن تراعي التعريفات الإجرائية السياق الاجتماعي والثقافي للمبحوثين ، وأنه من الضروري أن يكون تصميم البحث قادرًا على استيعاب إجابات شديدة الاختلاف على نفس السؤال .

الحصول على نفس نوع الإجابة

من أهداف وضع تعريفات إجرائية واستخدامها في وضع الأسئلة أن يضمن الباحث الحصول على نفس نوع الإجابة في جميع الأحوال . من ذلك مثلاً أن السؤال عن : "أين تعيش؟" يمكن الإجابة عليه بعدة طرق مختلفة . وقد يجب عليه المبحوثون على النحو التالي :

* في مدينة بمنجمها ، * في بيتي ، * مع والدى ، * على مقربة من الحديقة العامة ، ... إلخ .

ولكن الباحث الذي يحصل على مثل هذه الإجابات المتنوعة لن يستطيع استخدام البيانات التي حصل عليها بعد توجيه هذا السؤال بسبب أن المبحوثين فهموا السؤال وأجابوا عنه بطرق مختلفة . لذلك يتعين عليه صياغة الأسئلة بكل دقة لضمان أن يفهمه

الجميع بنفس الطريقة. من ذلك مثلا:

- ما القسم الإداري الذي تعيش في دائرته؟
- هل تعيش في بيت، أم في فيلا، أم في شقة، أم في نوع آخر من المساكن؟
- من الأشخاص الذين يعيشون معك في نفس البيت؟
- في أي شارع تعيش، أو ما رقمك البريدى؟

استخدام تعريفات الناس الآخرين

عندما تعتمد في بحثك على بيانات ثانوية (انظر الفصل 9 من الباب 3)، أو تستخدم بحثاً أجراه شخص آخر في بلورة أفكارك (انظر الفصل 2 من الباب 2) فسوف تواجه تعريفات إجرائية اعتمدت عليها الباحثون الآخرون أو من قاموا بجمع البيانات، ويتبعين عليك أن تأخذها في اعتبارك. والمشكلة في مثل هذه الحالة أنك قد لا تكون على دراية تامة بالطريقة التي اتبعها الباحثون الآخرون في وضع تعريفاتهم الإجرائية أو الأسئلة التي وجهاها للناس. بل إنك قد لا تعرف - في بعض الأحيان - الصيغة المحددة للسؤال الذي تم توجيهه، ومن شأن ذلك أن يؤدى بك إلى إساءة فهم ما انتهوا إليه من نتائج. بل حتى عندما تقف على الصيغة المحددة للسؤال الذي تم توجيهه، فقد لا تكون على علم بالتعريف (أو التعريفات) الإجرائي الذي انطلقت منه صياغة السؤال. لذلك يتبعين عليك في مثل هذه الأحوال أن تتعامل مع البيانات بحذر، وأن تستفيد من تلك التعريفات لإثراء ما تحاول أنت بلورته من تعريفات، ولا تحاول أن تقصر على تبني تعريفاتهم وحسب.

التعريفات الإجرائية في الدراسة الاستطلاعية

من الصعب على أي فرد أن يتوصل إلى وضع تعريفات إجرائية صادقة وثابتة. فالكثيرون منا لا يملكون القدرة على مراعاة عدد كبير من المنظورات والاحتمالات وأخذها جميعاً بعين الاعتبار في نفس الوقت. ولهذا يحسن بدء مشروعك البحثي باختبار تعريفاتك في دراسة استطلاعية (انظر قائمة المصطلحات). وقد يعني ذلك - في أبسط صوره - استشارة عدد قليل من الزملاء أو الأصدقاء للتأكد من فهمهم

للتعريفات، والتحقق من أنها تؤدي إلى الحصول على نفس نوع الإجابة في جميع الأحوال.

فإذا أتيحت لك فرصة إجراء دراسة استطلاعية تستخدم فيها أسئلتك مع مجموعة صغيرة من المبحوثين؛ فسوف يمكنك ذلك من اختبار مدى صدق أسئلتك، ومن ثم إجراء ما يلزم إدخاله عليها من تعديلات، وأن تقوم كذلك بتدقيق تعريفاتك بحيث تضمن أنك ستجمع بيانات صالحة للاستخدام، وأن يتم كل ذلك قبل مباشرتك العمل في البحث الأساسي. ومن الشائع أن يطلب الباحثون - في مرحلة الدراسة الاستطلاعية - من المبحوثين تأمل تلك التجربة وإعمال فكرهم فيها، بحيث يمكنهم تحديد الأسئلة التي يجدونها غير واضحة لهم وأن يناقشوا معهم كل ما قد يظهر من سوء فهم لتلك الأسئلة.

بحث

أسلوب الزرافة والسلحفاة في وضع التعريفات الإجرائية
يمكن وضع التعريفات الإجرائية باستخدام أسلوب الزرافة والسلحفاة. ونعني بذلك تقسيم عملية وضع التعريف إلى مرحلتين.

1- مرحلة الزرافة

في تلك المرحلة تكون رأسك - كالزرافة - مرتفعة كثيراً عن الأرض، مما يتبع ذلك الرؤية العامة الأشمل لكل ما يوجد حولك. ويمكن مقارنة ذلك بالمرحلة الأولى من مراحل وضع التعريف الإجرائي: أي تكوين صورة عامة شاملة، هي الفهوم أو الفكرة العامة عما تريد قياسه في بحثك. قد يكون الشيء المراد دراسته هو الجريمة، أو يكون علاقة يفترض وجودها بين الفقر والجريمة، أو تكون أي شيء آخر تجد نفسك مهتماً بدراسته.

وهكذا عندما تكون في وضع الزرافة تستطيع أن تتصفح بعينيك قمم الأشجار من حولك، فأنت تكون صورة عامة شاملة، ولكنك لست ملتقاً بعد كثيراً إلى التفاصيل.

ويمكن أن تسفر المرحلة الأولى من بلورة سؤال البحث أو فرض البحث (أى مرحلة الزرافة) الخاص بالعلاقة بين الفقر والجريمة؛ يمكن أن تسفر عن نتيجة قريبة مما يلى :

هناك ثمة علاقة ارتباط بين الفقر والجريمة.

وهذا كلام لا غبار عليه، ولكنه يفتقر في الحقيقة إلى الكثير من التفاصيل. وفي هذا قد يقول أحد المدرسين - على سبيل المزاح - شيئاً من هذا القبيل:

حسناً، ولكن ما الجريمة؟ وكيف ستفقسيها؟ وهل تقصد بالجريمة جرائم الاعتداء على الممتلكات أم الاعتداء على الأشخاص؟ وهل ستدخل ضمن الجريمة المخالفات المرورية؟ وإذا كنت ستفعل بما الوضع بالنسبة لمخالفات أماكن انتظارك السيارات؟ ونفس التساؤلات يمكن أن تطرح عن الفقر. من ذلك مثلاً: هل تقصد بالفقر: الفقر المطلق أم الفقر النسبي؟ وكيف ستفقسي هذا أو ذاك؟

واضح أن الزرافة لا تستطيع الإجابة على مثل هذه التساؤلات، فهي مجرد أفكار عامة كل العمومية. وللهذا يتبعن هنا أن تنتقل إلى المرحلة الثانية، وهي:

2- مرحلة السلحفاة

سنجد أنفسنا فجأة على الأرض. كما سنلاحظ أننا نتحرك ببطء. ثم إننا لا نستطيع أن نرى الأشياء الموجودة على بعد كبير منا، ولكن ما نستطيع أن نراه، نلاحظ أننا نراه بكثير من تفاصيله، لأنه أمام أعيننا مباشرة، وأننا نستطيع أن نطيل النظر إليه كما يحلو لنا.

الآن نستطيع إذن تكوين تصور عن تفاصيل تعريفنا الإجرائي. نستطيع أن نحدد هل سنركز اهتمامنا على الكميات أم على المشاعر والأحساس، هل سنأخذ بالتعريفات الرسمية أم نضع لأنفسنا تعريفات خاصة بنا؟ هنا يكتشف أمامنا عدد كبير من الاحتمالات والإمكانيات، ونضع أيدينا على كثير من التفاصيل. ولكن عليك في الواقع أن تلاحظ دائماً أنك تبحث عن شيء يمكنك استخدامه والإفادة منه، وأن عليك أن تتخاذل قرارات محددة. والنتيجة النهائية التي نسعى وراءها أن نجعل الشيء الغامض غير الملموس قابلاً للقياس والتحديد.

[ملحوظة: قد يجد التشبيه بالزرافة والسلحفاة مسألة طفولية بعض الشيء. ويحسن بك أن تعيد النظر إلى غلاف هذا الكتاب. فإذا نظرت إلى غابة من مسافة بعيدة، فإنك لن ترى سوى كتلة ضخمة من الأشجار التي لا تستطيع أن تميز أنواعها بدقة. ولكن عندما تدقق النظر إلى شجرة معينة—من مسافة قريبة—فماذا ستري؟ ربما فروع تلك الشجرة. وماذا ستري عندما تقترب بعينيك من فرع الشجرة؟ إن التعريفات الإجرائية شيء معقد، كثيراً ما يكون متعدد المستويات، ولكنه دائماً أمر لازم كل اللزوم لإجراء البحث. عليك فقط ألا تكون زرافة فحسب]

وضع أسئلة بحث

الوضع بالنسبة لغالبية الباحثين أن تسير عملية وضع وتدقيق أسئلة البحث جنباً إلى جانب عملية مراجعة التراث العلمي حول موضوع البحث (انظر الفصل 2 من الباب 2)، وبالتالي أيضاً مع عملية تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وعملية اختيار طرق البحث التي سيجري استخدامها (انظر الفصل 4 من الباب 2). وقد أوضحنا فيما سبق أن الأرجح أن تبدأ العملية بسؤال عام (مستوى نظر الزرافة). بعد ذلك يتم تفكيرك هذا السؤال العام (إلى بعض أو عشرات أو مئات الأسئلة) لكي يتبع الباحث إمكانية البدء بتعريف المفاهيم بطرق تنتهي إلى بلورة التعريفات الإجرائية. وبمجرد الانتهاء من وضع التعريفات الإجرائية ستصبح أسئلة البحث أكثر دقة وتحديداً وتركيزًا، الأمر الذي سيفتح الباب أمامك لتوليد الأسئلة البحثية الفرعية المساعدة. وهذه الأسئلة الأخيرة هي التي ستساعدك على تحديد عناصر موضوع بحثك بدقة أكبر، مما يتتيح لك التركيز عليها في عملك. وسوف نلاحظ من المثال (4-4) أن الأسئلة الفرعية هي التي ستبيّن لك بوضوح أكبر نوعية البيانات التي ستقوم بجمعها، وكيف ستصبح قادراً في هذا المثال على تحديد الحالة العقلية للناس وقياسها.

وقد حددنا فيما سبق أربعة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية، وأكملنا في حينه أن كثيراً من المشروعات البحثية تتضمن أكثر من نوع واحد من التساؤلات البحثية. فإذا تناولت موضوع بحثك بطريقتين أو أكثر (من ذلك مثلاً: 1 - وصف طبيعية موقف أو مشكلة وبيان حجمها، و 2 - البحث عن تفسيرات بعض عناصر الموضوع المدروس)، إذا تناولته بطرقتين أو أكثر فسيكون لديك سؤالان بحثيان رئيسيان أو أكثر، فضلاً عن الأسئلة الفرعية المرتبطة بكل واحد منها.

مثال 4-4

وضع تساؤلات البحث باستخدام التعريفات الإجرائية

السؤال البحثي المبدئي

ما تأثيرات البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

التعريفات الإجرائية

العاطل: الشخص الرشيد الذي يتراوح عمره بين 16 و 65 سنة، وكان يعمل في وظيفة بأجر طوال العامين الأخيرين، ولكنه تعطل عن العمل بأجر لمدة تجاوزت العام الواحد.

الصحة العقلية: ما مشاعرك تجاه نفسك تجاه حياتك. ويمكن أن يتم السؤال عن تعريف الصحة العقلية بطرق ذكر منها:

• كيف تصف نفسك؟

• هل حاولت الحصول على مساعدة أحد - بسبب مشاعرك تجاه نفسك وتتجاه حياتك - كطبيب، أو مستشار (نفسي)؟ أو موجه؟

• ما في رأيك الأمور التي يمكن أن تجعل حياتك أفضل؟

تدقيق سؤال البحث

ما تأثيرات كيفية شعور الناس الذين كانوا يعملون بأجر بأنفسهم وبحيواناتهم عندما يتعطلون عن العمل لمدة تتجاوز العام؟

الأسئلة الفرعية

يمكن بالاعتماد على التعريف الإجرائي والاسترشاد بأساليب وضع الأسئلة؛ يمكن صياغة بعض الأسئلة الفرعية على النحو التالي:

• كيف يصف الناس - الذين في هذا الموقف - أنفسهم؟

• هل سعوا إلى طلب مساعدة بسبب مشاعرهم تجاه أنفسهم خلال فترة التعطل عن العمل؟

• ما نوع (أو أنواع) المساعدة التي حاولوا الحصول عليها، وماذا كانت أسبابهم في ذلك؟

• ما التغيرات التي يأمل الناس - الذين في هذا الموقف - أن تحدث في أنفسهم وفي حيواناتهم؟

حاول هذا الفصل أن يأخذك في جولة تعرف فيها على إحدى العمليات التي تتم بالتوافق والتزامن مع بعض عمليات الإعداد الأخرى لمشروعك البحثي . وستلاحظ أنه عند كل مرحلة من مراحل تلك العملية تزداد بؤرة بحثك انتصاحا ، وبذلك تقترب من عملية جمع بيانات البحث . فهذه العملية - إذن - هي عملية تركيز ، ثم تعريف ، ثم تدقيق ، وهي حريصة في المقام الأول على صدق بحثك ، بمعنى أن تصبح قادرا على أن تثبت بوضوح أنك سوف تدرس ما تفك في دراسته فعلا (وليس شيئا آخر) ، وأنك ستجمع من البيانات ما سيساعدك على الإجابة عن تساؤلات بحثك .

بحثك

لجودة البحث: اختبار الصدق

- هل وضعت تعاريفات إجرائية لفاهيم الواردة في تساؤلات بحثك أو في فرضيه؟
- هل ستمكنك تعاريفاتك الإجرائية من جمع البيانات الكافية بالإجابة عن تساؤلات بحثك؟
- هل ستساعدك تعاريفاتك الإجرائية على وصف المفهوم المستخدم على نحو يتيح لك أن تحده وتقيسه؟
- هل ستجمع بيانات من - أو عن - الحالات ، أو الأفراد ، أو المواقف التي تعنيها في بحثك فعلا؟
- هل ترى أن تعاريفاتك الإجرائية تراعي تماما السياق الاجتماعي والثقافي لبحثك؟
- هل تعاريفاتك الإجرائية مفهومة تماما لمبحوثيك؟
- هل أنت واثق أنك ستحصل على البيانات التي تفك في الحصول عليها؟

بحث

السؤال المبدئي في بحثى هو

وضع التعاريفات الإجرائية للمفاهيم

مفهوم:

تعريفاته الإجرائية:

مفهوم:

تعريفاته الإجرائية:

نطقي سؤال البحث:

أسئلة البحث الفرعية:

المراجع وقراءات للاستزادة

- Campbell, J. P., Daft, R. L. and Hulin, C. L. (1982) *What to Study: Generating and Developing Research Questions*, London: Sage.
- Jamarda Resources (2007) Sikhs. Available at <http://jamardaresources.com/Training%20Sikhs.php> (accessed 1 August 2009).
- Jupp, V., Davies, P. and Francis, P. (eds) (2000) *Doing Criminological Research*, London: Sage.
- Kimchi, J., Polivka, B. and Stevenson, I. (1991) Triangulation: operational definitions, *Nursing Research*, 40(6): 364–6.
- King, G., Keohane, O. and Verba, S. (1994) *Designing Social Inquiry: Scientific Inference in Qualitative Research*, Princeton University Press.
- Miles, M. and Huberman, A. (1984) *Qualitative Data Analysis*, London: Sage.
- Punch, K. F. (1998) *Introduction to Social Research: Quantitative and Qualitative Approaches*, London: Sage.
- Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.

الفصل الخامس

البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية

محتويات الفصل

- القبول الأخلاقي.
- الموافقة عن علم.
- علاقات القوة.
- حماية المبحوث من الضرر.
- الجماعات الهشة (الضعيفة والعرضة لأخطار).
- ملكية البيانات التي تم جمعها.
- السلوكيات غير القانونية.
- الاعتبارات الأخلاقية والتنوع في البحث.
- حماية الباحث من الضرر.
- الأخلاق ومشروعك البحثي.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل القضايا الأخلاقية المتعلقة بالبحث. وسوف نقدم لك بعض التعريفات للمقصود بالأخلاق، وأمثلة لبعض القضايا الأخلاقية التي يمكن أن يواجهها الباحث الاجتماعي. كما تتناول بالمناقشة مفاهيم: الموافقة عن علم، وعلاقات القوة، والحماية من الضرر (بالنسبة لكل من الباحث والمبحوث، والجماعات الهشة)، وبعض القضايا الثقافية تفصيلاً. ونختم الفصل بطائفة من المقتنيات الخاصة بأساليب امتثال طالب البحث للشروط الأخلاقية للبحث العلمي الاجتماعي.

تنطوى جميع البحوث الاجتماعية على بعض الدلالات الأخلاقية، كما تتعرض لمواجهة بعض المأزق الأخلاقية. وهكذا فإن ما يتquin علينا فعله عندما نفكر في موضوع الأخلاق، هو مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية الداخلية في عملية إجراء أي بحث اجتماعي، خاصة سؤال أنفسنا عن كيفية معاملتنا لمبحوثينا.

ما : الأخلاق

يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التي بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية في حياتها.

ويعرفها ماكولي (McAuley 2003: 95) على النحو التالي:

تعنى أخلاقيات البحث الاجتماعي خلق علاقة احترام متبادل بين الباحث والمحبوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المحبوثون - بكل رضا - على الإجابة عن الأسئلة بصرامة، وتؤدي إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة..

ويعرفها مجلس بحوث العلوم الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالي:

يشير مصطلح «أخلاقيات البحث» إلى المبادئ والأسس الأخلاقية التي توجه البحث منذ بداياته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله. (من ذلك على سبيل المثال: عملية حفظ وثائق البحث^(*) من بيانات ميدانية وعينات مادية بعد نشر نتائج البحث).

(*) حفظ وثائق البحث curation يقصد بها تكليف أمين أو مشرف يكون مسؤولاً عن المحافظة على عدد من الموضوعات أو الأشياء، وذلك من خلال حفظها أو عرضها للناس.

ويمكن القول - بصرامة - إن أغلب القواعد الأخلاقية للبحوث الاجتماعية هي أمور بدائية: ففي المرحلة الأولى عليك أن تسأل نفسك كيف تريد أن يعاملك الناس (الباحثون) إذا دعيت للمشاركة في مشروع بحث يجريه أحدهم. إلا أن البحث

الاجتماعية تتعرض الآن أكثر فأكثر لعدد من الضوابط والقيود التي تفرض عليها. ولذلك يصبح من الحكمة دائماً أن تحرص على أن تعرف بداية ما إذا كانت هناك بعض الشروط الصريحة المعلنة في تخصصك العلمي أو في مجال بحثك (انظر المثال 1-5).

المثال (1-5)

الإرشادات الأخلاقية

هناك كثير من المنظمات والهيئات التي تلزم أعضاءها بعدد من الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية الرسمية. ولا شك أن معرفة مثل هذه الإرشادات يمكن أن تكون مفيدة لك.تأكد أولاً مما إذا كان تخصصك العلمي أو المهنة التي تعمل بها لديها مثل هذه القواعد الأخلاقية. وفيما يلى بعض الأمثلة على ذلك:

الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع British Sociological Association

العنوان الإلكتروني: www.britsoc.co.uk/equality/Statement+Ethical+Practice.htm (accessed 10August 2009)

Social Research Association

جمعية البحث الاجتماعية

العنوان الإلكتروني: www.the-sra.org.uk/documents/pdfs/ethics03.pdf (accessed 10August 2009)

الجمعية البريطانية للاختصاصيين الاجتماعيين

British Association of Social Worker

العنوان الإلكتروني: www.basw.co.uk/Portals/0/CODE%20OF%20ETHICS.pdf (accessed 10August 2009)

Barnardos

بارناردوس

العنوان الإلكتروني: www.barnardos.org.uk/resources/research_and_tips/research_and_publications_research.htm (accessed 10August 2009)

مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية

Economic and Social Research Council

العنوان الإلكتروني: www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images/-ESRC_Re_Ethics_Frame_tcm6-11291.pdf (accessed 10August 2009)

وحدة البحوث الاجتماعية الحكومية (الخدمة المدنية)

Government Social Research Unit (Civil Service)

العنوان الإلكتروني: www.civilservice.gov.uk/networks/professional/gsr/professional-guidance/GSR_Code_Legal_and_Ethical.aspx (accessed 10August 2009)

من الملاحظ أن هناك مجموعات مختلفة من الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية التي قد تختلف فيما بينها من بعض النواحي، ولكن المؤكد أن هناك - إلى جانب ذلك - عدداً من القضايا التي يتبعها في الاعتبار في كل مرة تشرع فيها في إجراء بحث. ومع ذلك فمن المهم أن تتذكر دائماً أن الأخلاق - أو جانباً منها على الأقل - يرتبط بالسياق الاجتماعي الثقافي. وليس المقصود بذلك مجرد القول بأنها تتغير، وإنما الأخرى أنتا يجب أن تبذل اهتماماً خاصاً عندما تكون بصدده إجراء دراسة في مناطق معينة، أو عندما نولي اهتماماً الباحثي لجماعات معينة. ومع أنه من الديهي أن كل شخص ندرسه جدير بأن نوليه كل اهتمام وعناية، إلا أنه من المهم - مع ذلك - أن نضع نصب أعيننا أن هناك بعض الفئات أو الجماعات التي تكون أكثر هشاشة (ضعفاً) من غيرها. لهذا السبب سوف نأتي في موضع لاحق من هذا الكتاب على ذكر بعض المراجع المتخصصة بموضوع القواعد والمعايير الأخلاقية، لذلك يمكن أن تعد هذا الفصل تمهيداً أو تأسيساً لموضوع الاعتبارات الأخلاقية وكذلك الحصول على القبول الأخلاقى وعلى موافقة المبحوثين، ولكنه لا ينوى أن يحكى لك القصة الكاملة لموضوع الأخلاق في البحث الاجتماعي.

وهكذا تشتمل الفقرات التالية على ما نعتقد أنه يمثل المجالات الأساسية التي يتبعها

أخذها في الاعتبار قبل أن تبدأ العمل في مشروعك البحثي ، وأن تضعها نصب عينيك وأن تقوم بتصميم المشروع . فقد يكون عليك أن تحصل - في هذه المرحلة - على الموافقة الأخلاقية على خططك البحثية . أما إذا كنت بصدور إعداد مقتراح مشروع بحثي (انظر الفصل 6 من الباب 2) فيتحتم عليك أن تبين في مقترحك هذا ما إذا كنت قد راعت أو تناولت - بالفعل - أي قضايا أخلاقية .

القبول الأخلاقي

يلاحظ الآن أن غالبية مشروعات البحوث الاجتماعية ، بما فيها تلك التي يتم إجراؤها بمعرفة الطلاب لنيل درجات علمية ؛ تخضع لعملية قبول أخلاقي يتعين استكمالها قبل البدء في البحث . وتخالف عمليات القبول الأخلاقي عن

المثال (2-5)

الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية

مجلس البحث الاقتصادية والاجتماعية هو المسؤول عن تمويل عدد كبير من البحوث الأكاديمية في العلوم الاجتماعية ، وقد وضع القواعد التالية بوصفها المبادئ الأساسية لأخلاقيات البحث :

- يتعين أن يتم تصميم البحث ، والإشراف عليه وتنفيذه بما يضمن النزاهة والجودة .
 - يجب أن يكون جميع العاملين في البحث ، وكذلك كل المبحوثين على دراية تامة بالهدف من البحث ، وطرق البحث المستخدمة والاستخدامات المتوقعة منه ، وتباعات الاشتراك فيه وطبيعة المخاطر - إن وجدت - المرتبطة بهذه المشاركة .
 - الحفاظ على سرية المعلومات التي يدلّى بها المبحوثون ، وإخفاء هوياتهم .
 - يجب أن تكون مشاركة أي مبحث طوعية تماماً وغير مرتبطة بأي نوع من أنواع القهر .
 - يتعين تحاشى إلحاق أي ضرر أو أذى بالباحثين .
 - لا بد أن يكون استقلال البحث واضحاً كل الوضوح ، وأن يتم الإفصاح عن أي تضارب في المصالح أو أي تحيز من أي نوع .
- المصدر: مجلس البحث الاقتصادية والاجتماعية (2009).

بعضها اختلافاً كبيراً حسب المنظمات المختلفة وتبعداً لمستويات وأنواع البحث. فإذا كنت تتوى - مثلاً - التخطيط لبحث عن «الصحة» على البشر يتضمن إعطاء عقاقير أو إجراء جراحات معينة، فعليك أن تتوقع (وبحق تماماً) اتخاذ ضوابط وإجراءات أمان صارمة لحماية المبحوثين. ومع أن مثل هذا الموقف يمثل حالة متطرفة، إلا أنك ستحتاج - مع ذلك - إلى مراعاة إجراءات الأمان حتى لو كان البحث ينوى مجرد استطلاع آراء بعض الناس أو الحصول منهم على إجابات عن بعض الأسئلة. وهذا تهدف عملية القبول الأخلاقي أساساً إلى التأكد من أن مبحوثيك ليسوا معرضين لأى مخاطر بسبب البحث الذى ستجريه، أو التأكد - في حالات كثيرة - من أن هذه المخاطر المتوقعة معقولة، وأن المبحوثين يتفهمونها تماماً.

والحقيقة أن عملية القبول الأخلاقي أكثر فائدة لك مما يبدو الأمر في الظاهر. فمن المؤكد أن الهدف النهائي هو التأكيد من أن البحث مطابق للإرشادات الأخلاقية المناسبة، غير أنه يتيح - علاوة على هذا - فرصة للباحث للفكر في العملية بتفاصيلها، وهو أمر يمكن أن يكون عظيم الفائدة من حيث تحسين طرق جمع البيانات وتدقيقها. فعملية القبول الأخلاقي سوف تؤدي - في حدتها الأدنى - إلى زيادةوعي الباحث بكل تفاصيل العملية البحثية.

وستلاحظ عند الشروع في محاولة التعرف على موضوع الأخلاق في البحث أنك بصدطوفان من المعلومات عن الأخلاق في البحث «الطبية»، التي تحكمها قواعد شديدة الصراامة. ويتم الحصول على القبول الأخلاقي للبحوث الطبية في المملكة المتحدة عادة تحت إشراف لجان أخلاقيات البحث التابعة لوزارة الصحة، مع العلم بأن الحصول على الموافقة يمكن أن يكون عملية طويلة ومعقدة (للوقوف على مزيد من التفاصيل راجع الموقع التالي : www.nres.npsa.nhs.uk وفقاً لآخر دخول على الموقع بتاريخ 7 أغسطس 2009). أما البحوث التي تتم في إطار الجامعات فيشرف عليها - كقاعدة عامة - نظام اللجان الأخلاقية أيضاً، ولكنها تتطلب في الغالب مستويات مختلفة من الموافقات تبعاً لطبيعة البحث. والمعتاد بالنسبة لمقررات البحوث التي يقدم بها طلاب الليسانس والبكالوريوس في مجال العلوم الاجتماعية أن تعتمد الموافقة من جانب الأستاذ المشرف بطريقة غير رسمية (نسبة). وطبعي على كل حال أن يكون للمؤسسات المختلفة متطلبات مختلفة للحصول على ذلك القبول. ولذلك إذا كنت ستجري البحث في جامعة أو معهد عال فإنه يتبع عليك أن تستعلم عن إجراءات عملية القبول التي يجب عليك الالتزام بها في مؤسستك.

و سنحاول فيما يلى إلقاء الضوء على أهم الاعتبارات التي يجب مراعاتها عندما تفكر في الجانب الأخلاقي لبحثك ، و ستجد لهذا الغرض "قائمة" بها في نهاية الفصل .

الموافقة عن علم

الأساس في عملية الموافقة عن علم (انظر قائمة المصطلحات) هي التأكيد من أن الأشخاص الذين سيشاركون في البحث يفهمون جيداً ما يوافقون عليه . وقد يجدون هذا الأمر واضحاً كل الواضح ، غير أن هناك عدة أشياء يتبعها الباحث القيام بها للتأكد من الالتزام بالعملية الأخلاقية . (انظر فقرة «البحث الواقعي» الواردة لاحقاً التي توضح هذه الأشياء تفصيلاً) .

• يجب أن تتم الموافقة طواعية . ليس من المقبول إجبار الناس على الاشتراك في البحث . وقد يكون هذا الأمر في النهاية مسألة قوة ، فقد يرغب بعض الناس في إرضائك بمساعدتك على إنجاز بحثك ، أو أنهم قد يرونك بادئ الانزعاج والقلق مما يجعلهم يخشون أن يرفضوا طلبك . وعندما تكون بصدده التفكير في اختيار أفراد عينتك ، فربما يتبعين عليك ساعتها أن تفكري كيف يمكن أن تشجع الناس على الاشتراك ، دون أن تجبرهم على ذلك .

• عليك أن تقدم لمن تعرض عليهم المشاركة معلومات واضحة وكافية . عليك أن تتأكد أن الناس يفهمون تماماً الأمر الذي يطلب منهم الموافقة على الاشتراك فيه . فالناس الذين سيكونون جزءاً من دراستك يستحقون أن ينالوا احترامك واهتمامك . فالامر الأرجح أنهم سينفقون وقتهم في هذا العمل دون مقابل . وقد يكون سبب قبولهم التضحيه بوقتهم معقداً ، من ذلك مثلاً أنهم قد يرون أن مشروعك مثير للاهتمام ويستحق هذه التضحيه ، أو قد يظنون أنك جدير بأن يبذلوها من وقتهم لأجلك . ونعتقد أن أفضل طريقة للحصول على الموافقة هي استخدام استماره معلومات رسمية تنتهي بصيغة إقرار بقبول المشاركة طبقاً لما هو مبين في أمثلتنا . وهكذا يمكن القول إنه لا بد أن يحيطوا بالأمور التالية كحد أدنى :

• ماذا يمكن أن يعني هذا البحث بالنسبة لهم : غالباً ما يعني الأمر بالنسبة للبعض الإحساس بالرضا لأنهم ساعدوا شخصاً ما على إجراء بحثه ، وإن كان الأمر يمكن أن يكون أعقد من ذلك أحياناً (فقد يكون لدى البعض منهم اهتمام شخصي قوى بموضوع البحث ، مثلاً) . وفي أحيان أخرى قد يتلقى المبحوثون أجراً أو نوعاً

آخر من المكافأة على ما بذلوه من وقت . وإذا كان مشروعك يتضمن دفع أجور للباحثين ، فسيكون عليك أن تدبر التمويل اللازم وأن تقرر هل سيدفع المقابل نقداً أم في صورة إيسالات لاستلام هدايا مثلاً (و علينا أن نلاحظ هنا أن دفع أجور للمبحوثين هو بمثابة حقل الغام ، ويمكن أن تكون له عواقب مهمة كضرورة إخضاع المكافأة لضريبة الدخل ، أو التثير على حجم الإعانات التي يتلقاها الشخص) .

• لماذا تجري هذا البحث؟ لا شك أن التفسير والتبرير الواضحين غالباً ما يؤدياً إلى تشجيع الناس على المشاركة ، خاصة إذا أحسوا أن بحثك سيكون ذات قيمة وفائدة بالنسبة لهم أو بالنسبة لجماعتهم الاجتماعية .

• ما الأعباء العملية التي ستترتب على قبولهم المشاركة؟ هل سيكون عليهم -مثلاً- أن يخصصوا لهذه المشاركة قدرًا كبيرًا من وقتهم؟ أو هل سيطلب منهم القيام بتعاريف أو عمليات عقلية معقدة؟ أو سيطلب منهم الاشتراك مع أشخاص آخرين في جماعة مناقشة لتعمق بعض الموضوعات؟

• الاشتراك في البحث طوعي وللمشارك الحق في الانسحاب من المشروع في أي وقت . لا شك أنه سيكون أمراً محبطاً فعلاً لو قرر بعض الباحثين ممارسة حق الانسحاب هذا ، خاصة إذا كان حجم عينتك صغيراً . ولكن من المهم أن تفهم تماماً أنه لا عقاب على من يمارس هذا الحق ، فبحوثك لم يفعل أكثر من أنه قرر أن يسحب موافقته على الاشتراك . وعليك أن تفك في مرحلة تصميم البحث ماذا ستفعل بالمادة التي جمعتها من شخص أو أشخاص انسحبوا أثناء إجراء البحث .

• هل هناك أي مخاطر يمكن أن تترجم عن المشاركة؟ لا بد أن يكون مبحوثوك على بينة منذ البداية مما إذا كانت مشاركتهم يمكن أن تعرضهم لأى مخاطر (انظر الفقرة الخاصة بالحماية من الضرر في هذا الفصل) .

• ماذا ستفعل بالبيانات التي ستجمعها منهم؟ يريد الناس أن يعرفوا ماذا ستفعل بالمعلومات التي سوف تجمعها عنهم (راجع كذلك فقرة «الحماية من الضرر» في هذا الفصل) .

• ما صلحياتك؟ يريد الناس - في الغالب - أن يعرفوا ما الصالحيات التي تخول لك إجراء هذا البحث؟ لاحظ هنا أن معظم عمليات الحصول على الموافقة بشكل

أخلاقي تتطلب أن يكون لك مرجعية معينة تضمن للناس أن يتقدوا بك (وستكون هذه الجهة التي يمكن الرجوع إليها بالنسبة للطالب - عادة - القسم العلمي الذي يدرس فيه، أو الأستاذ الذي يشرف على دراسته). ويتبعن أن يكون المشاركون على علم بكيفية الاتصال بك أو بالجهة التي كلفتك بالبحث).

• يجب أن يكون بوسع المبحوثين الإقرار بقبولهم الاشتراك عن علم. هناك بعض الظروف التي تفرض عليك أن تعرف أن مبحوثيك قادرون على إعطاء موافقتهم - على المشاركة - عن علم. والعادة أن معظم الطلاب الذين يجرون بحوثهم لا يتوقعون أن يمثل هذا الأمر مشكلة كبيرة، ولكنك يجب أن تعي أن هناك بعض الأفراد الذين ليسوا مؤهلين - أو ليسوا قادرين - على تقديم إقرار بالموافقة، ويرجع ذلك عادة إلى الاعتقاد بأنهم غير قادرين على فهم دلالات هذه المشاركة وما قد يترتب عليها. وفي مثل هذه الأحوال قد يطلب من أشخاص بالغين آخرين أن يقدموا لهم الموافقة على اشتراك أولئك الأفراد بنيابة عنهم. وذلك لأن يقدم الوالدان الموافقة على اشتراك أولادهم نيابة عنهم، ومن ذلك أيضا الموافقة بنيابة عن الأشخاص المصابين ببعض القصور كالعنة أو الخرف (للاستزادة من معلومات عن هذا الموضوع راجع نورمان وأخرين، 2006، ص ص 228-233).

بحثك

فيما يلى قائمة من الموضوعات التي قد تحتاج إلى أن تضمنها صفحة المعلومات التي تعرّف فيها ببحثك. اكتب جملة أو فقرة عن كل موضوع منها لكي تستوفى صفحات المعلومات عن البحث.

على أنه ينبغي أن تذكر أنه ليس من الممكن أو المعقول دائمًا الحصول على الموافقة عن علم في بعض الأحوال، عندما يدور البحث - مثلاً - حول ملاحظة سلوك جماهير المشاهدين لمباراة كرة قدم (انظر الفصل 6 من الباب 3). على أنه لا يجوز أن يستخدم مثل هذا الاستثناء للالتفاف حول موضوع الموافقة، فعلى الباحث - كلما كان ذلك ممكناً - أن يحصل دائمًا على الموافقة عن علم.

(مثال 3-5)

صيغة الإقرار بالموافقة على الاشتراك في البحث

جامعة كذا

قسم العلوم الاجتماعية

التاريخ :

صيغة الإقرار

اسم مشروع البحث:

اسم الباحث:

عنوان البريد الإلكتروني للباحث ورقم تليفونه:

١- أقر بأنني اطلعت على صفحة المعلومات الخاصة بالدراسة المذكورة وفهمتها، وأمامي فرصة طرح بعض الأسئلة. نعم / لا (*)

2- فيمت أن مشاركتي في البحث طوعية، وأن لي كل الحرية في الانسحاب من المشروع في أي وقت، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب ، ودون أن يؤثر هذا الانسحاب على سلامتي أو على حقوقى القانونية. نعم / لا (*)

3- أوفق على الاشتراك في الدراسة المذكورة أعلاه. نعم/ لا (*)

اسم المشارك في البحث التاريخ التوقيع

اسم الباحث التاريخ التوفيق

(*) من فضلك اشطب الخيار الذي لا يوافقك.

شكل (5-1) نموذج لصيغة إقرار أحد المشاركين في البحث بالموافقة

جامعة كذا . . .

قسم العلوم الاجتماعية

معلومات تهم المشاركين (المبحوثين)

اسم مشروع البحث:

سيتولى تنفيذ البحث:

يهتم المشروع بموضوع:

• ما المهام التي سأقوم بها؟

• ما الفوائد التي ستعود علىي من المشاركة في الدراسة؟

• هل هناك أية مخاطر يمكن أن أتعرض لها إذا وافقت على المشاركة؟

• هل ستحملني هذه المشاركة أية تكاليف أو أعباء مالية؟

• ماذا يمكن أن يحدث لو رفضت المشاركة في البحث؟

• ما كيفية التصرف في المعلومات التي سيتم جمعها؟

• ماذا يمكن أن يحدث لي لو أتنى غيرت رأيي وقررت الانسحاب من المشاركة في الدراسة؟

• ماذا أفعل عندما أود طرح بعض الأسئلة، أو إذا وجدت شيئاً غير مفهوم لي؟

• ماذا سيحدث بعد انتهاء الدراسة؟

ملاحظة : إذا كان ثمة أمور أخرى تشغلك بشأن الدراسة وأردت أن تتصل بأحد لمناقشتها معه، فيرجى الاتصال برقم التليفون التالي : ---

شكل (5-2) نموذج صيغة «المعلومات التي تهم المشاركين».

البحث الواقعي

الموافقة عن علم

تقول الكلية الملكية للتمريض:

«الموافقة عن علم هي قبول مستمر من قبل شخص ما على أن يتلقى علاجاً، أو يخضع لإجراءات معينة، أو يشارك في بحث بعد أن تبين له بوضوح كاف المخاطر، والمزايا، والبدائل المترتبة على هذه الموافقة...».

وتعد الموافقة عن علم التي يتم إقرارها بحرية ذات أهمية محورية للمبحوثين -من البشر - الذين يশملهم بحث ما، أو الذين تستخدم معهم أنسجة بشرية أو مواد وراثية. والسبب في ذلك أنه من الضروري التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون في البحث قد فهموا جيداً ما سيترتب عن البحث بالنسبة لهم. وينطبق ذلك على كل من سيشارك سواء كانوا مرضى أو أصحاب متطلعين لإجراء اختبارات أو تجارب عليهم.

ومن شأن الموافقة عن علم أن تساعدنا على التأكيد من أن هؤلاء الأشخاص لم يُخدعوا أو يتم إجبارهم على المشاركة في البحث.

ولكي يقدم المشاركون موافقتهم عن علم يتعين أن يفهموا الأمور التالية فيما جيداً:

- هدف البحث.
- الجوانب العملية والإجراءات التي تنتطوي عليها تلك المشاركة.
- مزايا المشاركة ومخاطرها، وأنواع العلاج البديلة حسب الأحوال.
- كيف سيتم معالجة البيانات التي يدللون بها وكيف سيتم استخدامها؟
- صيغة الإقرار بالموافقة.
- دورهم في البحث إذا وافقوا على المشاركة فيه.

- كيف سيتم تزويدهم بالمعلومات طوال فترة إجراء البحث؟
 - أن تكون موافقتهم طوعية تماماً.
 - أنهم يستطيعون الانسحاب من المشاركة في البحث في أي وقت يريدون، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب، ودون أي تعديل في التعامل معهم أو علاجهم في المستقبل.
 - ترتيبات التأميني نتيجة تنفيذ البحث، إذا طلب الأمر ذلك.
 - أن يكون البحث قد حصل على موافقة لجنة أخلاقيات البحث.
- ومن اللازم أن تقدم المعلومات التالية لمن تطلب منهم الموافقة:
- تفاصيل كيفية الاتصال مع المسئولين عن البحث في حالة ما خطرت لهم بعض الأسئلة أو أرادوا الانسحاب من البحث.
 - معلومات تفصيلية عن الجهة التي ترعى البحث وعن الهيئة التي تتولى تمويله.

الموافقة المستمرة

الموافقة عن علم متطلب مستمر، ولذلك يتعين على الباحثين أن يضمنوا للمشاركين (أى المبحوثين) ما يلى:

- أنهم ما زالوا يفهمون المعلومات الموضحة أعلاه، وأن يتم إطلاعهم على أي تغييرات تطرأ عليها.
- استمرار موافقتهم على المشاركة طوال فترة إجراء البحث.

المصدر: نقلًا بتصرف عن المصدر التالي: الكلية الملكية للتمريض (2005)، «الموافقة عن علم في بحوث الصحة والرعاية الاجتماعية»، ص 2. نشر بتصرير من الناشر. والمصدر متاح على الموقع التالي:

www.rcn.org.uk/__data/assets/pdf_file/0003/56703/informedconsentdec05.pdf

(وقد تم آخر دخول على هذا الموقع بتاريخ 7/8/2009).

علاقات القوة

عرضنا لهذا الموضوع في سياق معالجتنا لموضوع الموافقة عن علم، ولكن هناك بعض العواقب الأخرى له التي يتبعها في اعتبارك، لأنها يمكن أن تؤثر على عملية جمع البيانات التي ستقوم بها.

هل يعتبرك المشارك (المبحوث) «قويا»؟ (لاشك أن ذلك يمكن أن يحدث دون أن يكون المبحوث على وعي به). وهو قد يراك كذلك لعدة اعتبارات، منها مثلاً أنك أنت «الخبير» في موضوع البحث، ولذلك لا يريد المبحوث أن يخالفك الرأي. كما أنه قد يعتبرك قوياً لأنك على صلة أو اطلاع بأمر ما (من ذلك مثلاً: المعرفة والخبرة، أو علاقات مهمة، ... إلخ) يمكن أن يستفيد منها المبحوث. ومن شأن مثل هذه النظرة إليك أن تغير إجابات المبحوث على بعض أسئلتك.

ثم هناك - علاوة على هذا - بعض الأمور العامة. فلو كنت تجري بحثك - مثلاً - مع شباب حديث السن، فقد يرونك متوفقاً عليهم لأنك أكبر منهم سناً (كما قد يكون لهذا الاعتبار عواقب معينة عندما تجري بحثك مع أشخاص من ثقافات متباعدة)، وسوف نعرض لهذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الفصل 1 من الباب (3). وعليك كباحث اجتماعي أن تكون على وعي بأن أفراد الجماعات المختلفة سوف يرونك بعيون ومواصفات مختلفة. فالبعض قد تهوله مهاراتك البحثية، أو يرى البعض الآخر أنفسهم متوفيقين عليك لأنهم أكبر سناً منك. ولذلك من المهم أن «تتأمل ملياً» هذه الدلالات قبل أن تبدأ عملية جمع بيانات بحثك، بحيث تستطيع أن تعمل حساباً لأى تأثير لها على عملك.

حماية المبحوث من الضرر

يجب أن يكون واضحاً كل الوضوح أن من حق أي مشارك في بحثك أن يحظى بالأمان أثناء ذلك. وهناك بعض الأمور القليلة التي يحسن أن تتدبرها جيداً، لكن يتحقق هذا الهدف طوال فترة العمل، لا أن يصبح أمراً يحدث بالمصادفة وحسب.

الضرر البدني

يجب ألا يتعرض مبحوثوك لأى مخاطر يمكن أن تلحق بهم ضرراً بدنياً (المفترض

في حديثنا هذا أنك لا تجري أية تجارب طبية أو جسمانية عليهم، لأنه في مثل تلك الحالات سوف يتعين عليك الالتزام ببعض القواعد الخاصة). وتعني تلك الحماية - في حدتها الأدنى - أن تكون الأماكن التي تعقد فيها جلسات جمع البيانات أماكن آمنة (ليس فقط بمعنى سلامة المبنى بحيث لا يقع السقف على رؤس الناس ، ولكن كذلك بمعنى الذهاب إليه والعودة منه). وعلى الباحث لا يفترض أن المبحوث سوف يشعر بأن المكان آمن وحسب ، وإنما الإحساس البدهي السليم قد يفيد هنا: فكثير من الناس يسعدتهم أن تتم دعوتهم إلى اللقاء في مكان يوجد فيه بشر آخرون كثيرون ، كحي سكنى على سبيل المثال ، أو منطقة وسط المدينة .. ونحو ذلك . فعليك أن تتحلى بالمرونة عند اختيار المكان الذي ستعمل فيه .

الضرر النفسي

ذلك يتعين حماية مبحوثيك من التعرض لأية أضرار نفسية . وهذا الأمر أكثر صعوبة من الأخطار الأخرى . فإذا كنا نبحث في موضوعات حساسة ، وهناك دائما احتمال أن يتأثر مبحوثك بإثارة مثل هذه الموضوعات . ولأن أغلبنا ليسوا أطباء نفسيين أو معالجين مدربيين ، فإننا قد لا نكون مؤهلين التأهيل الكافي للتعامل مع مثل هذا النوع من ردود الفعل . على أن هناك مع ذلك إمكانية لحل هذه العضلة ، وذلك بأن نضمن إتاحة الفرصة للمبحوثين لمناقشة أي مسائل يجدونها غير مريحة أو تمثل مصدر إزعاج لهم وذلك خارج موقف جمع البيانات . ولعل ذلك يتم معك شخصيا بوصفك الباحث المسؤول ، كما يمكن أن يتحقق بمساعدة طرف آخر تراه قادرا على معالجة هذا الأمر .

فكرة هذا الموضوع

افتراض أنك تجري بحثا عن المرافق التي يستخدمها بعض الناس الذين يعانون من مرض مزمن ، كمرض السكر أو مرض القلب . في هذه الحالة ستوجه بعض الأسئلة عن المرافق التي يستخدمونها ، كالعيادات الخارجية ، أو المستشفيات ، والأطباء المتخصصين ، وقد يؤدي ذلك إلى إحساس المبحوث بأنه لا يتلقى كل الخدمات التي يحتاجها أو يتصور عندها أن حالته الصحية أخطر مما كان يظن . وهذا قد يدخله شعور بالقلق .

حقيقة أنك لست متخصصاً في الطب، ولكنك تستطيع أن تتأكد من حصول هذا المبحوث على المشورة الطبية والمساعدة اللازمة، وذلك مثلاً من خلال إطلاعه على نشرات المعلومات التي يدها الأطباء المتخصصون، هذا طبعاً فضلاً عن أن تقترح عليه الاتصال بطبيبه المعالج للاستفسار عن أي أمر يعن له بخصوص مثل هذه الخدمات.

بعض العوائق الأخرى للمشاركة

هناك بعض أنواع الضرر الأخرى التي يتحمل أن يتعرض لها المبحوث والتي تستأهل هنا بعض التفكير. فما عساك أن تفعل - مثلاً - إذا ترتب على مشاركة أحد المبحوثين أن فقد وظيفته؟ إن مثل هذا الأمر ليس مستحيلاً (وإن كان بعيد الاحتمال جداً). لهذا يجب أن يتيقن المبحوث أن أية معلومات شخصية يبوح بها سوف تظل طي الكتمان (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه). كما يتحمل أن تشتد رغبتهم فى المشاركة لو أنهم فهموا الهدف من البحث ومن الذى سيقرأ فى النهاية تقرير البحث أو الرسالة الجامعية التى سوف تتضمن مادة البحث ونتائجة. ومن الممكن أن ينشأ مثل هذا الموقف الحرج فى حالة قيام المبحوث بإفشاء معلومات عن بعض السلوكيات غير القانونية (المحظورة): ترى ما استجابتك فى هذه الحالة؟ (انظر برواز «بحثك» الوارد أدناه فى هذا الفصل).

البحث الواقعى

فى بعض الأحيان قد يكون من الصعب حماية الناس من الضرر عند دراسة المنظمات. من ذلك ما قام به روجرز Rogers (2001) من تنفيذ مشروع بحثى عن نظم الإدارة فى إحدى مؤسسات تقديم الخدمات الصحية. ولأن عدد العاملين فى تلك المؤسسة كان قليلاً جداً، فقد ظهرت بعض المشكلات التى كان من اللازم التصدى لها وحلها. كما كان من المستحيل - إلى حد ما - الاحتفاظ بمجهولية المبحوث وسرية المعلومات بشكل تام ، وذلك لأن "كل واحد يعرف كل الناس". ولذلك لم يكن مقاجأة أن يشعر العاملون أنهم قد "انكشفوا" أمام المديرين ، ومن ثم فإن وظائفهم أصبحت فى خطر. وقد أمكن التغلب على هذه المشكلة بالتقاهم الصريح مع المبحوثين على الكيفية التى يريدون بها توصيف أنفسهم وطريقة إخفاء هوياتهم الحقيقية.

المخاطرة

لم ينقطع الجدل حول إمكانية السماح بتعريف المبحوثين للمخاطر في أثناء مشروع البحث، حتى لو أحيطوا علمًا بكل تفاصيل هذه المخاطر. (اللوقوف على مناقشة مفصلة لهذا الموضوع راجع لاروسا وزملائه . Larossa et al. ، 1981 ، ص ص 303-313). ويمكن القول بأن هذه المشكلة ليست واردة بالنسبة لمعظم (وربما للكل) البحوث التي يجريها طلاب الليسانس ، فمن الأمور البعيدة الاحتمال تماماً السماح بتعريف المبحوثين المشاركون فيها لأية مخاطر.

السرية/ وإخفاء الهوية

من الواجب عادة أن نضمن للمبحوثين إخفاء هوياتهم في تقرير البحث ، وأن كل ما سيذلون به من بيانات أثناء البحث سوف يبقى طي الكتمان . كما يتعمّن إخبارهم بطريقة نشر نتائج البحث الذي شاركوا فيه ، بحيث يتذمّرون القرار الصحيح بشأن مشاركتهم.

وعلى الرغم من أنه من اليسير تماماً إخفاء هوية المشاركون ، فإنه يتعمّن على الباحثين أن يدركون أن تحقيق ذلك قد لا يكون ميسوراً في كل الحالات . فإذا شملت عملية جمع بيانات البحث -متلا - إجراء بعض الأحاديث مع مدرس في إحدى المدارس ، فهناك احتمال أن تثور في هذه الحالة مشكلة تعيق سرد نتائج مناقشاتك مع إخفاء هوية المتحدث ، وذلك لأن هناك مدرساً أول واحداً ، فإذا نسبت أي بيانات إلى المدرس الأول فمعنى ذلك إفشاء هوية صاحبها . ولهذا يجب على الباحثين أن يأخذوا مثل هذه الأمور في الاعتبار عندما يكونون بصدّر التخطيط لعملية كتابة تقرير بنتائج البحث (فمن الممكن في مثل هذه الحالة أن يكتب الباحث في تقريره «وقال أحد قدامى المدرسين أن ...») ، وأن يتتأكد الباحثون من أن المبحوثين أنفسهم يدركون مدى حرص الباحث على إخفاء هوية كل واحد منهم .

وهناك - فضلاً عن هذا - قيد ضمّني يحول دون استخدام البيانات التي جمعتها لأى غرض آخر غير ذلك الذي أخبرت المبحوثين به . ذلك أن سلوكاً من هذا النوع يعد - عموماً - سلوكاً غير أخلاقي .

يتعين عليك - على وجه العموم - أن تكون صادقاً وأميناً مع مبحوثيك ، وألا تضلهم أو تخدعهم سواء فيما يتعلق بطرق البحث المتبعة أو بهدف البحث . ويعنى هذا - من ضمن ما يعنى - أن تستخدم طرق بحث ظاهرة أو طرفاً صريحة في دراستك . على أن هناك بعض الظروف التي لا تصلح لها طرق البحث الظاهرة (انظر قائمة المصطلحات) ، ويتعين فيها استخدام طرق بحث مستترة (انظر قائمة المصطلحات) . من ذلك مثلاً عندما تكون بصدده دراسة مدى أمانة العاملين في المتاجر . إذ من الواضح أنهم لو عرفوا أنهم مراقبون من الباحثين ، فسوف يكون الأرجح أنهم سوف يتصرفون على نحو فوق مستوى الشبهات . والأمر الذي يتعين اتخاذ قرار فيه في مثل هذه المواقف ما إذا كان أخلاقياً استخدام حيلة ما ، وما إذا كان ثمة مبررات يمكن تقديمها لفعل ذلك : ولعل اللجوء على مثل هذه الحيلة يتطلب تبريراً واضحاً وقوياً في خطة مشروع البحث قبل الحصول على موافقة عليها من الناحية الأخلاقية . كما أن القيام بعملية جمع البيانات بطرق ظاهرة قد يتضمن ملاحظة أو جمع بيانات عن بعض السلوكيات غير الأمينة (كما في المثال المذكور) ، وربما حتى سلوكيات تقع تحت طائلة القانون . وسوف تنطوي فيما يلي إلى استعراض بعض القضايا المتعلقة بهذه المواقف .

حماية البيانات

هناك بعض الالتزامات التي يفرضها عليك «قانون حماية البيانات» (ال الصادر عام 1998) الذي يلزمك بالحفاظ على سرية «البيانات الشخصية» (كالوثائق الشخصية وسجلات الكمبيوتر التي تخضع للحماية وفقاً لهذا القانون) . ويلزم هذا القانون - عموماً - بمراعاة الأمور التالية فيما يتعلق بالبيانات الشخصية :

- أن يتم الحصول عليها ومعالجتها بأمانة وبشكل مشروع ، وألا تتم معالجتها إلا بمراعاة شروط معينة (يحددها هذا القانون) .
- أن يتم الحصول عليها لأغراض محددة وبشكل مشروع ، وألا تتم معالجتها بأى طريقة لا تتفق مع هذه الأغراض .
- أن تكون بيانات كافية وافية ، ومرتبطة بموضوع البحث ، بحيث لا تتجاوز أهداف البحث .

- أن تكون دقيقة ويتم تحييّتها حتى آخر تاريخ.
- لا يتم الاحتفاظ بها أطول مما يلزم لخدمة أهداف البحث.
- أن تتم معالجتها بما يتفق مع حقوق صاحب البيانات.
- أن يحافظ الباحث عليها في مواجهة أي جهة أو شخص ليس مخولا له ذلك، وأن يحافظ عليها من أن تتعرض للضياع أو الإتلاف.
- لا يتم نقلها إلى أي بلد خارج بلاد منطقة السوق الأوروبية، إلا إذا كان لدى تلك الدولة مستويات مماثلة من حماية البيانات الشخصية.

(المصدر: إدارة الشئون القانونية بجامعة برمنغهام «ملخص قانون حماية البيانات»، منشور على الموقع التالي:

www.legalservices.bham.ac.uk/data_protection_policy/

(تاريخ آخر دخول على الموقع 7 أغسطس 2009).

الجماعات الهمة (الضعيفة والمعرضة للأخطار)

أشرنا من قبل إلى أن هناك بعض الجماعات التي نجري عليها بحوثنا والتي تسم «بالهمة» أو الضعف، وهي التي تستحق من جانبنا بذل اهتمام إضافي خاص بالتعامل معها. وتهدف هذه المعاملة الخاصة - في جانب منها - إلى أن تتأكد من عدم تعرض أفراد هذه الجماعات لأى مخاطر أو أضرار، وأن نحرص في نفس الوقت على عدم تعرضهم لأى استغلال.

ولا شك أن محاولة عمل إحصاء كامل مثل هذه الجماعات الهمة قد يكون قليل الفائدة لك، والمطلوب منك - كحد أدنى - أن تمعن التفكير في كل المسائل واللاحظات التي عرضناها فيما سبق عندما تكون بصدده إجراء دراسة على أشخاص يتسمون بالخصائص التالية:

1 - صغار السن، وتقصد بهم (بصفة عامة كل العمومية) الأشخاص دون سن السادسة عشرة.

2 - كبار السن ، خاصة الكبار الذين يعيشون وحدهم : ويصعب هنا تحديد فئة عمرية معينة ، ولكن يمكننا القول إن عليك وضع ترتيبات خاصة عندما تتصدى لدراسة أفراد تجاوزوا السن القانونية للنفاذ.

3 - أولئك الذين يعانون من بعض أنواع العجز البدني أو صعوبات التعلم .

4 - أولئك الذين يعانون من مشكلات تتعلق بالصحة العقلية: وهناك تشريع خاص (هو قانون اللياقة العقلية الصادر عام 2005) يكفل حماية المبحوثين من أصحاب المشكلات الصحية العقلية. وهو تشريع معقد ، فإذا اضطررك البحث إلى التعامل مع أفراد من هذه الفئة ، فيتحتم عليك التماس نصيحة فنية من أحد أخصائي الطب العقلى .

ولعلك تلاحظ أن هذه القائمة ليست كاملة أو تامة. وكل ما عليك أن تأخذ هذا الأمر في اعتبارك عندما تكون بصدده إعداد خطة بحثك ، وأن تبذل أقصى ما تستطيع من جهد للتعامل مع أفراد الجماعات الهشة على النحو الآفاق .

ملكية البيانات التي تم جمعها

تعد مسألة ملكية البيانات شيئاً مهماً ، مع أنها لا تبدو للوهلة الأولى قضية أخلاقية . فإذا كنت تملك البيانات فمعنى ذلك – في العادة – أنك تستطيع أن تفعل بها ما يحل لك (وذلك بالطبع في حدود القيود والضوابط التي أشرنا إليها فيما سبق) . على أنه يتبعن عليك أن تتأكد من هذه الملكية . ومع أن هذه المسألة لا تمثل مشكلة بالنسبة لأغلب الطلاب الذين يجرون بحوثاً ، فإن البحث الذى يتم تمويلها من جهة عامة – سواء من جانب مجلس البحث الاقتصادية والاجتماعية أو من جانب إحدى الجمعيات الخيرية – يتم بموجب عقود تتضمن فى الغالب شروطاً صريحة فيما يتعلق بملكية البيانات التى يتم جمعها ونشرها ونشر نتائج البحث . من ذلك مثلاً أن مجلس البحث الاقتصادية والاجتماعية يشرط وضع نتائج البحث على بعض قواعد البيانات المركزية التى يسمح للأفراد بالدخول عليها (راجع بهذا الخصوص موقعه الإلكتروني www.esrcsocietytoday.ac.uk/ESRCInfoCentre/index.aspx بتاريخ 7/8/2009) . وهناك أيضاً بعض الهيئات التى لا ت يريد أن يطلع أى أحد على المادة التى دفعت تكلفة جمعها . ولا شك أنه سيكون أمراً لا أخلاقياً – وربما غير قانوني – الإخلال بهذه الشروط والمتطلبات الواضحة .

السلوكيات غير القانونية

من الأمور التي تدهش الباحثين المبتدئين دائمًا أن يفضي إليهم بعض المبحوثين بأشياء ومعلومات في غاية العجب. فمن الأمور الطبيعية أن يفضي إليك بعض الناس بتفاصيل شديدة الخصوصية عن حياتهم وعن علاقاتهم بالآخرين. وكلما كنت باحثًا ممتازًا صادفت الكثير من هذه المعلومات والأمور الخاصة. على أن هذا الوضع يثير مشكلة كبيرة: ترى كيف سترى إذا أفضي إليك أحد المبحوثين بأنه قد اقترف جرماً معيناً؟ ما هو موقفك في هذه الحالة؟

بحثك

إذا اكتشفت أنك توصلت إلى معرفة بعض الجرائم التي تقع تحت طائلة قانون الطفل (ال الصادر عام 2004) أو قانون الإرهاب (ال الصادر عام 2006)، فإنه يتوجب عليك أن تبلغ الشرطة.

يسعد بك أن تأخذ قراراً مسبقاً -في مرحلة تصميم المشروع- بكيفية تصرفك إزاء كثير من المسائل الأخلاقية، بدلاً من الانتظار إلى حين ظهور بعض المسائل أمامك في الميدان. وقد يكون من الصعب تقديم نصائح بخصوص المسار الصحيح للأمور، لأن مثل هذه المشكلات تتباين وتتنوع تماماً. ومع ذلك نقترح عليك أن تأخذ النقاط التالية في اعتبارك عند التفكير في كيفية تعاملك مع مثل هذه المواقف التي قد تنطوي على مشكلة أخلاقية:

1 - نعتقد أن أول ما يجب أن تأخذ في اعتبارك أن تذكر دوماً أنك إنسان وعضو في مجتمع، وأن ذلك له أولوية تسبق دورك كباحث.

2 - إذا قررت أن تبلغ الشرطة بما اقترفه مبحوثك، فمن المحتمل أنك لن تستطيع استخدام ما أدلّى به هذا الشخص من بيانات في بحثك. كما أنه من المحتمل أن يتقوض مشروعك البحثي بأكمله.

3 - إذا كنت قد قررت لا تبلغ الشرطة أو تتخاذ أي إجراء، فهل أمعنت التفكير في الأمر وبررت مسلك هذا في خطة البحث عند إعدادها؟ كيف ستتناول مثل هذا

الأمر في تقرير بحثك؟ (انظر برواز "فکر فی هذا الموضوع" الوارد أدناه).

4- تذكر كذلك أنه يتبعك عليك أن تكون مرتاحاً وراضياً بما اتخذته من قرارات.

ومن طرق التعامل مع السلوكيات غير المشروعة أن تكون صريحاً واضحاً مع مبجوريك من البداية. وربما ترى أنه من اللازم أن تتناول الموضوع في صفحة التعريف التي تكتبها للمبحوثين (أو قد ترى أن تشير إليه بكل وضوح في أول لقاء لك معهم)، وذلك انطلاقاً من اعتبار الأساسي التالي:

«عليك أن تعرف أنه إذا كشفت لي عن سلوكيات غير مشروعة، فسوف أقوم بإبلاغ الشرطة عنها».

على أنك لست مضطراً طبعاً إلى أن تكون بمثلك هذه الصرامة في تناولك للأمر. إذ يرى البعض أن هناك بالتأكيد فرق بين تصريح شخص بأنه تجاوز السرعة القصوى أثناء قيادته ذات مرة وأن أحدها لم يلحق به ضرر جراء ذلك، وتصريح لشخص آخر يقر فيه بالقيام بسطو مسلح على أحد مكاتب البريد (وهو نموذج واقع حدث بالفعل مع أحد مؤلفي هذا الكتاب أثناء عمله في مكتب المراقبة)^(*). وأيا كان الأمر فمن الصعب تحديد خط فاصل بين ما يتبعه الإبلاغ عنه أو ما يمكن تجاهله: وهو أمر يمثل معضلة أخلاقية في حد ذاته.

حقيقة أن التوضيح المكتوب (عن نيتك إبلاغ الشرطة عن أي سلوكيات إجرامية) واضح وميسور الفهم لكل إنسان. إلا أن هناك بعض الصعوبات الأساسية التي قد تترتب عليه:

- 1- من المحتمل أن يقرر المبحوث الانسحاب من البحث عند قراءته هذا التحذير.
- 2- إن تحذيراً مثل هذا سوف يجعل من المستحيل عليك أن تتناول في حديثك مع

(*) المراقبة هي وضع مسجون مفرج عنه أو حدث متهم في بيته الطبيعية مستقئعاً بحرقه الاجتماعية إلى حد كبير. ولكنه يكون خلال فترة المراقبة تحت ملاحظة وإشراف «ضابط المراقبة» الذي تعينه المحكمة (ضابط شرطة أو أخصائي اجتماعي بالحى). فإذا أحسن سلوكه رفعت عنه العقوبة، إذا ارتكب جرماً آخر أو أخل بشروط المراقبة عاد إلى السجن واستكملاً مدة عقوبته. (الترجم)

المبحث أى سلوكيات غير مشروعة، مع العلم بأن مثل هذه السلوكيات تشغل اهتمام كثير من الباحث في ميادين علم الاجتماع، والدراسات الثقافية، وعلم الإجرام وغيرها. كما أن هذا التحذير قد يجعل من الصعب مجرد أن تطرق حتى إلى دراسة الاتجاهات إزاء مثل هذه السلوكيات غير المشروعة.

فكرة في هذا الموضوع . . .

المعضلات الأخلاقية والقانون

نورد فيما يلى بعض الأسئلة التي يجب أن تطرحها على نفسك وأنت بقصد وضع تصميم البحث. وجميع هذه الأسئلة مستمدّة من «مواقف واقعية» في الحياة:

- 1- هل ستبلغ الشرطة عن شخص أخبرك بأنه تجاوز الحد الأقصى للسرعة بسيارته هذا الصباح وهو في طريقه لمقابلتك؟
- 2- هل سيختلف قرارك (بابلاغ الشرطة) إذا أخبرك أنه تسبب في حادث سير أصيب فيه شخص ما نتيجة لتجاوزه السرعة المقررة؟
- 3- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يدخن الماريونا (شبيه الحشيش)؟
- 4- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يتاجر في بودرة الكوكايين؟
- 5- ماذا ستفعل إذا أخبرك المبحوث أنه اعتاد سرقة قطع الشوكولاتة من أكشاك بيع الصحف؟
- 6- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه قام بالسطو على مكتب بريد؟

الاعتبارات الأخلاقية والتنوع في البحث

لا تتعرض هذه الفقرة لكيفية إجراء البحث الخاصة ببعض الثقافات أو جماعات الأقليات المختلفة، وإنما نحاول فيها أن نتناول بعض الدلالات الأخلاقية للاختلاف والتنوع الثقافي في إطار ما تجريه من بحوث.

الملاحظ أن غالبية كتب مناهج البحث لا تطرق على الإطلاق إلى موضوع التنوع أو الاختلاف الثقافي، وذلك على الرغم من توفر كم متزايد من الشواهد (انظر مثلاً: Sheldon 1992; Alexander 1999; Smaje 1995) التي تثبت لنا أن الباحثين لا يلتقطون بالقدر الكافي إلى الاختلاف والتنوع الثقافي وهم يجرون بحوثهم. ومن الواضح - من الناحية الأخلاقية - أن الباحثين الذين يتبعون إلى ثقافات مختلفة سوف تختلف استجاباتهم عندما يطلب منهم المشاركة في أحد البحوث، بافتراض توفر شرط القبول عن علم ونحو ذلك (Ryen 2007). فهناك بعض الثقافات التي لا تقيم وزناً كبيراً لموضوع الخصوصية بالقدر الذي تراه أنت، وهناك ثقافات أخرى تستغرب بعض الأمور، مثل الإقرار الكتابي بالموافقة على الاشتراك في البحث (Ryen 2007:220).

ولذلك نرى أنه من المهم أن تضع نصب عينيك دائماً طبيعة مجتمع بحثك (انظر الفصل 5 من الباب 2). فنحن نعيش في المملكة المتحدة في مجتمع شديد التنوع والتباين في تكوينه، ويضم هذا التكوين أفراداً من كثير من الجماعات الاجتماعية، والعرقية والدينية المختلفة. على أن هذه التواهي ليست هي كل الاختلافات، فالناس تتباين فيما بينها من نواحٍ عدّة، نذكر منها على سبيل المثال: الاختلاف حسب النوع، والعمر، والطبقة الاجتماعية، والسلوك الجنسي، ومحل الإقامة والسمات والخصائص الجسمانية. فإذا كانت أهداف بحثنا وتساؤلاته تتطلب منا أن نقدم صورة لهذا التنوع، فلا بد إذن أن نضع هذه الفروق في اعتبارنا عند وضع تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وعند اختيار طرق البحث (انظر الفصل 4 من الباب 2). غير أن ذلك لا يحدث في كل الأحوال، وربما كانت غاية همنا أن ندرس خصائص السكان البيض الذين تتجاوز أعمارهم الثمانية عشر عاماً ويعيشون في الأحياء الحضرية. وإذا كان الأمر كذلك فستكون الأمور واضحة كل الوضوح ولا يبس فيها (وإن كان هذا يعني فرضنا مسكتنا عنه وهو أن هذا الباحث نفسه رجل أبيض أيضاً). إنها لفكرة حقيقة أن تتذكر دوماً أن الناس ليست لديهم نفس خبراتك وتجاربك، ولذلك فإن رؤيتهم للعالم من حولهم سوف تختلف طبعاً عن رؤيتك. ويصدق هذا الحكم بشكل خاص في المملكة المتحدة على أي شخص ينتمي إلى جماعة «أقلية» أو إلى جماعة «مقهورة».

إن من أهداف عملية الالتزام الأخلاقي في البحث أن تتأكد من أننا لا نستبعد -بالمصادفة- قطاعاً من مجتمعنا بسبب الطريقة التي تتبعها في اختيار المبحوثين وإشرافهم في عملنا. وسنحاول فيما يلى أن نتطرق إلى بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بالثقافة والتنوع، والتي نعتقد أنها يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تصميم مشروع البحث.

اللغة

قد يبدو هذا الأمر واضحًا كل الوضوح ، ولكن لا بد أن يتكلم كل من الباحث والمحور لغة واحدة . والفرض القائل بأن كل شخص في المملكة المتحدة يتحدث الإنجليزية بطلاقة هو فرض خطير وخطئ في نفس الوقت . كما أن الاعتماد في بعض مجتمعات البحث على لغة واحدة من شأنه أن يؤدي إلى استبعاد مجموعات كبيرة من المشاركين (أى الذين كان يمكن أن يشاركون).

الإثنية والعرق

لا شك أن تصميم بحثك هو الذي يحدد أي الجماعات الإثنية و «العرقية» هي التي ستدخل ضمن مجتمع البحث . ومع ذلك فإن من أهداف الالتزام الأخلاقى أن تكون أنت كباحث قد أخذت هذا البعد في الاعتبار ، وما يمكن أن يكون له من تأثير (أو لا يكون) على مشروعك البحثي . فإذا كنت مهتما بمؤشرات عموم السكان في مجتمع بحثك (مثل سكان قلب مدينة برمنجهام) ولكن عينتك لا تضم سوى ذكور بيض ، فمعنى هذا أنك ستواجه مشكلة وأنه يتبعك مراجعة تصميم بحثك ، وطرق البحث التي اخترتها ، وطريقة اختيار العينة .

ومن الممكن أن تثور قضايا من هذا النوع بالنسبة للتقسيمات واللغات الاجتماعية الأخرى : كالنوع ، والعمر ، والسلوك الجنسي ، ومحل الإقامة ، والطبقة الاجتماعية ، وأنواع العجز والإعاقة ، وذلك تبعاً لموضوع بحثك وأهدافه .

الظهور (*)

وقد أوردنا هذا المصطلح الغريب بعض الشيء ، لا لكي نقول إن مبحثك يجب أن يكونوا ظاهرين بالمعنى المادي ، وإنما لكي نوضح أنه قد يكون من الصعب في بعض

(*) : ويمكن أن نجد في كل مجتمع ثبات من هذا النوع تتباين حسب ظروف وأوضاع ذلك المجتمع . في مقدمتهم من يمارسون عملاً غير مشروع قانوناً (الادجل والشعودة ، خاصة السحر) ، ومنهم جماعات الغجر في مصر وفي بلاد أخرى أيضاً ، وفي بعض قرى الصعيد (خاصة الصعيد الأعلى) "المطاريد" الذين يعيشون في كهوف حصينة في الجبال المحيطة بذلك القرى ، وكذلك الطبيب الذي يجري عمليات غير مشروعة (كالإجهاض وغيره) ... فهو لاء جميعاً ليسوا ظاهرين ، وبعضهم يحرص على أن يبقى كذلك . (المترجم)

الأحيان تحديد أماكن الناس (المحتمل دراستهم) أو الاتصال بهم. وقد ترجع هذه المسألة إلى عدة أسباب متنوعة منها: أن بعض الجماعات قد تكون صغيرة الحجم جداً أو تكون مبعثرة جغرافياً، وهناك فئات أخرى تزيد إلا يراها أحد (من هؤلاء -مثلاً - أولئك الأشخاص الذين يقيمون في الدولة بشكل غير مشروع). والأفضل أن نعد هذه المسألة من مسائل «التنوع» بمصطلح الانتزام الأخلاقي. لهذا تأكد أنه من المهم إلا يتم استبعاد بعض الناس من بحثك عمداً.

«الثقافة»

هناك عدة معانٍ مختلفة لمصطلح «ثقافة» (انظر قائمة المصطلحات)، ويغطي تعبير «الفروق الثقافية» مجالاً واسعاً ومتنوّعاً من السلوكيات والتصورات الاجتماعية. وسوف نقتصر هنا على طرح بعض الأمور التي يتّبعها في الاعتبار عند تخطيط مشروع البحث.

يجب عليك عندما تفكّر فيما يخص بحثك من ناحية الأخلاق والفروق الثقافية، أن تتأكد أنت من سلامتك فهمك لدلالاتها بالنسبة لمشروع بحثك. وسنورد في البرواز التالي بعض الأمثلة التي يمكن أن تنشط تفكيرك في هذا الموضوع.

فكرة في هذا الموضوع . . .

• هناك كثيرون من الثقافات (خاصة في شرق آسيا كالصين وكوريا واليابان) توفر كبار السن وتنزل على رغباتهم. وقد ينطوي ذلك على بعض الأمور ذات الدلالة لبحثك، نذكر منها:

• هل أنت أكبر سناً من مبحوثيك؟ فإذا كان الأمر كذلك فقد تجدهم يحجمون عن مخالفتك (فإنك الأكبر سناً قد يعتبروك الأكثر حكمة).

• هل أنت أصغر سناً من مبحوثيك؟ عندئذ قد يعتبروك شخصاً غير مهم، ولذلك لن يقبلوا على مساعدتك.

- هناك بعض الثقافات (فكرة مثلاً في بعض البلدان الإسلامية أو في سكان بعض مناطق الهند التي تسود فيها الديانة الهندوسية) هذه الثقافات تبني أفكاراً مختلفة عن "التوابع" وعن أدوار النوعين (الرجال والنساء):
- فهل أنت كباحث امرأة تحاول إجراء مقابلة مع رجل؟ أم أنك رجل يحاول إجراء مقابلة مع امرأة؟ في هذه الأحوال سيصبح التواصيل صعباً إذا تجاوزت حدود دور نوعك الذي يعتبر المبحوث "أمراً طبيعياً".
- في بعض المجتمعات (كبعض مناطق المملكة المتحدة مثلاً) تمثل الطبقة الاجتماعية أساساً مهماً لتقسيم الناس:
- فهل أنت كباحث تنتهي إلى طبقة اجتماعية "عليها" وتحاول إجراء مقابلة مع أحد أبناء الطبقات "الأدنى" (أو العكس بالعكس)؟ قد يعتقد الطرف الآخر أنك تفتقر إلى المصداقية أو القدرة على فهم ظروف الأفراد الآخرين.
- هناك بعض الشعوب (مثل أغلب البلدان العربية أو سكان كندا الأصليين) التي تعزز ثقافاتها بقيم "كرم الضيافة" و "السلوك المهذب"، ولذلك يندر أن تصادف فيها من يرفض تقديم يد العون لك.
- هل قمت فعلاً بإعطاء مبحوثك (أو مبحوثيتك) فرصة عدم الاشتراك في البحث؟

ويتمثل الحل الأنسب لبعض هذه المشكلات (على الأقل في بعض البحوث الكبرى المولدة تمويلاً جيداً) في اختيار بعض الباحثين المحليين وتدربيهم، إذ إن من شأن ذلك أن يساعد على تجاوز بعض هذه العوائق والمشكلات. وثمة حل آخر يتمثل في التماس النفع من زملائك الطلاب، أو أعضاء هيئة التدريس أو الأصدقاء الذين ينتمون إلى المجتمع الذي تنوى دراسته.

حماية الباحث من الضرر

من حق الباحث أيضاً - وإن لم يكن على نفس المستوى من الأهمية الأخلاقية - أن يكون في أمان أثناء إجرائه البحث. ولا شك أنك قد وضعت هذا الأمر في الاعتبار، لو أنك قمت بتصميم بحثك بعناية. وعليك أن تتأكد من عدم تعريض نفسك للمخاطر التالية:

- يعني ذلك من الناحية البدنية المخاطر التالية على الأقل:
 - لا تقم بعملية جمع البيانات في أي مكان يبدو بشكل ظاهر أنه غير آمن.
 - لا تسافر وحدك أثناء الليل أو تتحرك وسط مناطق معروفة بأنها غير آمنة.
 - تأكد من أن أحداً ما يعرف أين أنت، وماذا تفعل، ومتى ينبغي أن تعود أدراك.
 - عندما تقدم معلومات تفصيلية عن كيفية الاتصال بك، يكون من الحكمة ألا ت disclose عن عنوان بيتك أو رقم تليفونك.
- أما على المستوى النفسي فلابد أن تدرك أن بعض عمليات جمع المعلومات قد تكون مزعجة، أو حتى مؤدية للاضطراب النفسي أحياناً. ولذلك يجب أن تتضمن وجود شخص قادر على مديد العون النفسي لك. وبالنسبة للطلاب الذين يتدرّبون على البحث يكون هذا الشخص في العادة هو أستاذك أو المشرف على بحثك.

الأدلة ومشروعك البحثي

تعد المسائل الأخلاقية من الاعتبارات المهمة عند التخطيط لإجراء أي بحث، وذلك لأن البحث الاجتماعي يتناول أفراداً من البشر، وأن معظم البحوث الاجتماعية يدرس هؤلاء البشر، وتجاربهم واتجاهاتهم وأفكارهم دراسة مباشرة، وكذلك لأن المشاركة في البحث الاجتماعي نفسه إنما هي نشاط اجتماعي له تأثيره على كل من الباحث والباحثين. والمسائل الأخلاقية التي أثرناها في هذا الفصل قد لا يمكن تجنبها، وإنما يمكن الالتفاف بما أوردناه لكي تضمن أن يخرج بحثك على المستوى الممتاز.

فکر فی هذا الموضوع

تمثل العبارات التالية بعض الاعتراضات الشائعة على عملية الحصول على الموافقة الأخلاقية. فما رأيك في تلك الاعتراضات بعد أن فرغت من قراءة هذا الفصل؟

- 1 - ليس لدى الوقت الكافي لتنفيذ كل هذه المتطلبات، ولابد من إنجاز مشروع بحثي في غضون ثمانية أسابيع.
- 2 - إن بحثي لا يثير أية مسائل أو مشكلات أخلاقية.
- 3 - أعتقد أن "لجنة الأخلاق" لا تفهم موضوع بحثي.
- 4 - لا يوجد أى اتفاق على المقصود بمفهوم الأخلاق، فلماذا يتبعين على أنا أنا أهتم بها وأقلق عليها؟

لقد تم تطوير الإرشادات الأخلاقية وعملية الحصول على الموافقة الأخلاقية من أجل مساعدة الباحثين الاجتماعيين على مراعاة هذه المسائل الأخلاقية في موضوع بحثهم وفي العمل في مجتمع البحث، ومن الممكن في معظم الأحوال أن تخدم هذه الإرشادات عملية الحصول على الموافقة. ولكن هناك حالات معينة يمكن أن تمثل المسائل الأخلاقية تحدياً حقيقياً، ومن ثم تفرض على الباحث إعمال فكره بعمق والاستعداد لها (قد يكون من بينها إدخال تعديلات على خطة البحث)، ولكن المؤكد أنه ستؤدي إلى إنتاج بحث من نوعية ممتازة. فكر في المسائل الأخلاقية التي يمكن أن تكتنف بحثك باستخدام القائمة التالية.

قائمة المسائل الأخلاقية

نورد فيما يلى بعض الأسئلة التي نأمل أن تساعدك على إعمال الفكر فيها ومراعاة الاعتبارات الأخلاقية في بحثك لكي تحصل على الموافقة الأخلاقية:

- هل يمثل عنوان بحثك وصفا دقيقا للبحث الذي تنوى إجراءه؟
- هل تعلم المدى الزمني لبحثك (وهل لديك جدول زمني لهام البحث؟)
- هل استكملت استعداداتك المناسبة فيما يتصل بالمعلومات عن البحث والمهارات التي يتطلبها؟
- هل تعرف لماذا تجرى هذا البحث (من ذلك مثلا أنك تعرف أن عدد البحوث التي أجريت عن موضوعه قليلة، أو لأنك ت يريد تقييم مبادرة من مبادرات السياسة الاجتماعية، أو لأنك تريد أن تفهم مدى التعاون والتآزر بين النظرية والمنهج في عملية البحث . . . إلخ)؟
- هل قمت بصياغة تساؤلات بحث إجرائية واضحة؟ (راجع حول ذلك الفصل 4 من الباب 1).
- هل فرغت من تصميم وخطيط بحثك؟ (راجع الباب 2 من هذا الكتاب).
- هل حددت نوعية العينة التي تحتاجها؟ (راجع الفصل 5 من الباب 2).
- هل حددت طرق جمع البيانات التي سوف تستخدمها؟ (انظر الباب 3 من هذا الكتاب).
- هل فرغت من تصميم أدوات بحثك (مثل: الاستبيان ، ودليل المقابلة . . . إلخ)؟
- ما هو الموقف بالنسبة لمسألة إخفاء الهوية ومسألة الحفاظ على السرية؟
- هل ستكون بيانات بحثك في أمان (قانون حماية البيانات الصادر عام 1998)؟

- هل فكرت في المخاطر التي يمكن أن يتعرض لها مبحوثوك؟
- هل سيكونون في أمان من الناحية البدنية؟
- هل تتطوى مشاركة المبحوثين على أية مخاطر نفسية؟
- هل يمكن أن تتسبب مشاركة المبحوثين في مشروعك في تعریض وظائفهم، أو علاقائهم، أو أحوالهم المالية .. إلخ للخطر؟
- هل تضمن إخفاء هوياتهم، والحفاظ على سرية ما أدلووا به من بيانات؟
- هل أخذت في اعتبارك حصول موافقة المبحوثين عن علم؟
- هل فكرت في علاقات القوة بين الباحث والمبحوث؟
- كيف ستتعامل مع مسائل التنوع في بحثك (مثلا: من حيث النوع الاجتماعي، و"العرق"، والسلوك الجنسي، والعجز، والعمر، والحالات الصحية العقلية)؟
- هل هناك أية مخاطر يمكن أن يتعرض لها الباحث؟
- ماذا ستفعل لو أن المبحوث باح لك ببعض المعلومات عن أمور من قبيل: أنشطة إجرامية؟
- إساءة إلى أطفال؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Alexander, Z. (1999) *Study of Black, Asian and Ethnic Minority Issues*, London: Department of Health.
- Economic and Social Research Council (2009) *Research Ethics Framework*, Swindon: ESRC. Available at www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images/ESRC_Re_Ethics_Frame_tcm6-11291.pdf (accessed 7 August 2009).
- Gallagher, B., Creighton, S. and Gibbons, J. (1995) Ethical dilemmas in social research: no easy solutions, *British Journal of Social Work*, 25: 295–311.
- Homan, R. (1991) *The Ethics of Social Research*, London: Longman.
- Hood, S., Mayall, B. and Oliver, S. (eds) (1999) *Critical Issues in Social Research: Power and Prejudice*, Buckingham: Open University Press.
- James, T. and Platzer, H. (1999) Lesbians' and gay men's experiences of health care: a personal perspective, *Nursing Ethics*, 6: 73.
- Larossa, R., Bennett, L. A. and Gellese, R. I. (1981) Ethical dilemmas in qualitative family research, *Journal of Marriage and the Family*, 43(2): 303–13.
- Leathard, A. and McLaren, S. (eds) (2007) *Ethics: Contemporary Challenges in Health and Social Care*, Bristol: Policy Press.
- McAuley, C. (2003) Ethics, in R. L. Miller and D. Brewer (eds) *The A-Z of Social Research*, London: Sage.
- Minkler, M. (2004) Ethical challenges for the 'outside' researcher in community-based participatory research, *Health Education & Behavior*, 31: 684–97.
- Minkler, M., Fadem, P., Perry, M., Blum, K., Moore, L. and Rogers, J. (2002) Ethical dilemmas in participatory action research: a case study from the disability community, *Health Education & Behavior*, 29: 14.
- Norman, R., Sellman, D. and Warner, C. (2006) Mental capacity, good practice and the cyclical consent process in research involving vulnerable people, *Clinical Ethics*, 1: 228–33.
- Oliver, P. (2003) *The Student's Guide to Research Ethics*, Maidenhead: Open University Press.
- Rogers, H. J. (2001) *Partnership Working: A Case Study of Adult Mental Health Services*, University of Birmingham.
- Ryen, A. (2007) Ethical issues, in C. Seale, G. Gobro, J. F. Gubrium and D. Silverman (eds) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.
- Sheldon, T. A. (1992) The use of 'ethnicity' and 'race' in health research: a cautionary note, in W. I. U. Ahmad (ed.) *The Politics of 'Race' and Health*, University of Bradford & Ilkley Community College.
- Smaje, C. (1995) *Health, 'Race' and Ethnicity: Making Sense of the Evidence*, London: King's Fund Institute.
- University of Birmingham Legal Services (1998) Summary – Data Protection Act 1998, Birmingham. Available at www.legalservices.bham.ac.uk/data_protection_policy/ (accessed 7 August 2009).
- Walker, B. and Haslett, T. (2002) Action research in management: ethical dilemmas, *Systemic Practice and Action Research*, 15(6): 523–33.

الباب الثاني

الإعداد للبحث

الفصل الأول: التخطيط لمشروع البحث

الفصل الثاني: مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.

الفصل الثالث: تصميم البحث.

الفصل الرابع: اختيار طرق البحث.

الفصل الخامس: اختيار العينة.

الفصل السادس: مقترن مشروع البحث.

الفصل الأول

التخطيط لمشروع البحث

محتويات الفصل

- التعريف.
- الإجراءات العملية.
- أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث).
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الباب من أبواب الكتاب عمليات الإعداد التي يجب القيام بها لتنفيذ مشروع بحثي ناجح. وهو مقسم إلى مجموعة من الفصول العملية التي من شأنها أن تدفع مشروعك قدماً. ويختص هذا الفصل الأول بموضوع التخطيط، الذي يعد خطوة مهمة قد يغفلها البعض أحياناً. ويحاول الفصل أن يقدم لك الخطوط العامة للعملية التي يتبعين عليك أن تفرغ منها قبل أن تتمكن من وضع مقترن البحث.
(انظر الفصل السادس من هذا الباب).

تمثل الخطة التفصيلية جزءاً جوهرياً من استراتيجية البحثية، ولذلك ليس من الحكمة متابعة العمل في المشروع بدونها. ونحرص في هذا الفصل على أن ننبعك أن إعمال الفكر والتخطيط (انظر قائمة المصطلحات) للمشروع برمته منذ البداية (أى تبني النظرة الكلية) أمر عظيم الأهمية. ومع أنه من المحتمل - مع ذلك - إدخال بعض التعديلات على الخطة بعد هذه المرحلة، إلا أن الأمر يستحق بذلك ما يلزم من الوقت لإعداد خطة كاملة قدر الإمكان، بحيث لا تفاجأ بوجود ثغرات في تسلسل العمليات بعد أن تبدأ تنفيذ المشروع فعلاً. إن الوقت الذي تتفقه في التخطيط لن يذهب سدى أبداً.

إذا كنت قد طالعت الباب الأول من هذا الكتاب عن «التفكير في موضوع البحث»، فمن المحتمل أنه أصبح بوسنك الآن تحديد بعض الاختيارات التي يمكن أن تضمنها في عملية التخطيط للبحث.

ولكل فرد أسلوبه في القيام بالتخطيط : فالبعض يستخدمون أسلوب «التخطيط الذهني»، وأخرون يفضلون استخدام رسم بياني تخطيطي، أو قوائم بالعناصر والمراحل المختلفة، أو يستعينون بكتابة ملاحظاتهم على أوراق لاصقة صغيرة ... إلخ. ونتصور أن تستخدم العملية التي تجد نفسك موفقاً فيها، دون أن تشغل نفسك بما يفعله الآخرون. ولكن هدفك الأساسي هو إعداد خطة عملية تستطيع :

- أن توجهك وترشدك في كتابة مقتراح البحث النهائي.
- وتمكنك من أن تنفذ مشروعك بنجاح في عالم الواقع.

لا شك أن كل مشروع بحثي يختلف عن غيره في بعض التفاصيل، ولكن المؤكد أننا جميعاً نستخدم نفس العمليات التخطيطية. ولكن نلتزم بذلك تماماً إذا قمنا بتقسيم تلك العمليات إلى مجموعتين: التعريف، والتخطيط / والتنفيذ العملي.

التعريف

إن أول ما يجب التفكير فيه هو هدف إجرائك البحث، أو السبب الذي يدعوك إلى ذلك. وبالنسبة للطالب قد يكون البحث مجرد متطلب البرنامج الدراسي الذي يريد اجتيازه (وهو في هذه الحالة سبب كاف تماماً). أما إذا كنت قد قطعت شوطاً أبعد في

السلوك الأكاديمي أو في مجال الأعمال التجارية، فقد تحتاج إلى إجراء بحث عن بعض موضوعات التسويق أو عن قياس الاتجاهات، أو قد تكون بحاجة للحصول على تمويل لإجراء البحث. ونوصيك هنا بأن تلتزم أقصى درجات الوضوح قدر الإمكان فيما يتعلق بالإفصاح عن دوافعك لإجراء البحث، وأن تكون على بينة تامة من الشروط التي يتعين عليك الوفاء بها لكي تستكمل - مثلاً - إنهاء رسالتك الجامعية بنجاح.

بحثك

حاول أن توجز الغرض من بحثك في جملة واحدة.

ومع ذلك فقد لا تكون بعد على بينة تامة - في هذه المرحلة - مما تحتاجه لتنفيذ مشروعك البحثي، إلا أنه من الواجب عليك وأنت تتابع العمل في مرحلة الإعداد أن تفكّر ملياً في الأمور التالية:

- ما الموارد التي تحتاجها لكي تنفذ مشروعك (وما المماطلات لك منها) من قبيل: الوقت، وأجهزة التسجيل، ومعدات التصوير والنسخ، وقاعات إجراء المقابلات . . . إلخ.
- ما البحوث التي أجريت بالفعل في المجال الذي تنوى دراسته، وما علاقة بحثك بتلك البحوث (راجع الفصل 2 من هذا الكتاب).
- كيف ستبدأ التفكير في الأمور التالية:
 - جمع بيانات بحثك (راجع الباب الثالث).
 - تحليل البيانات التي جمعتها (راجع الباب الرابع).
 - عرض النتائج التي توصلت إليها (راجع الباب الخامس).
- ما في تصوّرك الحصيلة التي توقعها لعملك ، مثل: الرسالة الجامعية التي تحتل صدارة الاهتمام لدى الطلاب الجامعيين ، ولكنك قد تفكّر - فضلاً عن هذا - كيف يمكن لصناع السياسة الاجتماعية أن يستفيدوا من بحثك هذا ، وكيف يستطيع هذا البحث أن يؤثر على اتجاهات الناس .

الإجراءات العملية

عليك - ثانياً - أن تراعي التخطيط العملي لمشروعك على النحو التالي:

- هل ستتفرد مشروعك (أ) منفرداً أم (ب) كعضو في فريق بحث؟ فإذا كنت عضواً في فريق بحث فلا بد أن تكون لديك رؤية واضحة لمسؤولية كل عضو عن كل جزء من أجزاء مشروع البحث (ومثل هذا الوضوح مفيد أعظم الفائدة في حالة حدوث اختلاف بين أعضاء الفريق أو إذا حدث أمر بعيد الاحتمال وهو تقصير أحد الأعضاء في أداء نصيبه من العمل).
- ما الجدول الزمني لمشروعك؟ إن موعد نهاية البحث بالنسبة لك كطالب هو تسليم تقريرك للمشرف للحكم عليه وتقيمه، وهو أمر لا يمكنك التحكم فيه. ومع ذلك فمن المقيد لك أن تحاول تحديد مختلف المهام التي ستتفرد على مدار البحث، وأن تحدد الموعد المحتمل لتنفيذ كل مهمة منها. وهناك قيود زمنية مفروضة على كل باحث، ولذلك يجب أن يحدد الباحث متى سيفرغ من تنفيذ المشروع في حدود الإطار الزمني المتاح. وفي جميع الأحوال يجب أن يكون جدولك الزمني واقعياً (ولذلك يجب أن تحاول تقدير المدة التي سوف يستغرقها تنفيذ كل مرحلة من مراحل البحث).
- كيف ستتأكد من أن مشروعك يتقدم على الوجه المناسب؟ ربما تحتاج إلى ترتيب لقاءات مع أستاذك أو مع المشرف عليك لمناقشة مدى تقدم العمل في المشروع. ويجب أن تحرص - على أي حال - على أن تفكر فيما يمكن أن يمثل نجاحاً لمشروعك، وقد يتطلب ذلك أن تحدد لنفسك أهدافاً محددة على امتداد مسيرة عملك. من ذلك مثلاً أن تقرر أن مراجعة التراث المنشور عن الموضوع يجب أن تستكمل بعد شهر واحد من بدء العمل.

وبناءً على طبيعة المشروع الذي تنفذه قد تحتاج - فضلاً عن ذلك - إلى أخذ الأمور التالية في اعتبارك:

- الموارد التنظيمية (آلات تسجيل الصوت، آلات التصوير، وقت العمل على الكمبيوتر ... إلخ).
- كيفية التصرف في بقية الوقت المتاح لك لكي تتمكن من إنهاء المشروع في موعده المحدد (فقد يكون مفروضاً عليك متابعة دراسة مواد أخرى أو أداء أعمال أخرى معينة في نفس الوقت الذي تجري فيه البحث).

أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث)

نحن نعتقد - على وجه العموم - أن الباحثين الطلاب يمتازون بالقدرة على تعريف طبيعة مشروعهم، وعلى اختيار طرق جمع البيانات. ولكن تدلنا خبرتنا العملية مع بحوث الطلاب أن أغلبهم لا يولون الاهتمام الكافي لخطيط عملية تحليل البيانات (انظر الباب الرابع). لهذا كله نؤكد على أهمية محاولة التفكير في مشروعك بنظرة كلية. وقد تم تصميم هذا الكتاب على النحو الذي يساعدك على التفكير وفق هذا المنظور الكلي، ولذلك تشجعك على الإفاداة من نقاط الاتصال مع فصول الكتاب الأخرى، بحيث تستطيع التفكير في شتى عناصر مشروعك البحثي في وقت واحد.

ولكي تكمل خططيتك بنجاح يتبعن عليك اتخاذ مجموعة من القرارات بشأن العمليات التي سوف تنفذها. ولمساعدتك على عمل ذلك وضعنا القائمة التالية التي يمكنك أن تستخدمها كجزء من عملية التخطيط التي تقوم بها. ولهذا ذكر ما أشرنا إليه في السابق من ضرورة عدم التوقف عن القراءة عن المراحل التالية من مشروع بحثك، وذلك إلى حين يأتي وقت تنفيذها. لهذا نرى أن تقوم بخطيط بحثك بشكل متسلل بالاستعانة بهذا الكتاب، من ذلك مثلاً لا تكتف عن التفكير في استراتيجية التحليل التي ستتبعها (الباب الرابع) إلا بعد أن تكون قد فرغت من جمع بيانات بحثك (الباب الثالث).

قائمة عمليات تخطيط المشروع

الفصل/الباب	السؤال
فصل ٢ باب ١	هل فكرت في موضوع بحثك جيداً، وهل أنت ملم بالنظريات والمناذج النظرية والاتجاهات الفكرية المختلفة؟
فصل ٣ باب ١	هل كونت فكرة واضحة عن طبيعة البيانات التي تحتاج إلى جمعها وعن الطرق التي سوف تستخدمها في جمع تلك البيانات؟
فصل ١ باب ٢	هل حددت طبيعة مشروع بحثك؟
الفصل ١ من الباب ٢	هل راعت الجوانب العملية لبحثك؟ (ومنها على وجه الخصوص جانب الموارد والتمويل؟)
الفصل ٢ من الباب ٢	هل فكرت في كيفية الوصول إلى التراث العلمي المنشور عن بحثك، وتقدير المدى منه؟
الفصل ٣ من الباب ٢	هل انتهيت من تحديد تصميم بحثك (هل سيكون مثلاً دراسة حالة، أم بحثاً تجريبياً أم بحثاً إثنوغرافياً ... إلخ)
فصل ٤ باب ٣	هل اختارت فعلاً الطرق التي سوف تستخدمها في جمع بيانات بحثك؟
فصل ٥ باب ٢	هل حددت مجتمع بحثك، وعينة البحث؟
فصل ٤ باب ١	هل وضعت تساؤل البحث أو فرض البحث؟
فصل ٥ باب ١	هل راعت الاعتبارات والمسائل الأخلاقية؟
فصل ٥ باب ١	هل حصلت على أي موافقة رسمية ينطويها تنفيذ البحث؟
الباب الرابع	هل فكرت كيف ستقوم بتحليل بيانات البحث؟
الباب الخامس	هل فكرت في أسلوب عرض نتائج البحث ونشرها؟

لا شك أنك تدرك أن هذه القائمة تتسم - بالطبع - بشيء من التبسيط ، وأنه لا يمكنها لذلك أن تستوعب كافة المتغيرات التي قد تصادفها في مشروع بحثك . ومع ذلك فعندما تستطيع أن تكتب علامـة (٧) على جميع البنود فسوف يعني ذلك أنك فى وضع مناسب يمكنك من كتابة مشروع البحث ، ثم تبدأ فى تنفيذه .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Beins, C. B. (2004) *Research Methods: A Tool for Life*, Harlow: Pearson.
- Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Boston MA: Pearson Education.
- Sharp, J. and Howard, K. (2002) *The Management of a Student Research Project*, 3rd edn, Aldershot: Gower.
- Walliman, N. (2001) *Your Research Project: A Step-by-Step Guide for the First-time Researcher*, London: Sage.

الفصل الثاني

مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

محتويات الفصل

- لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءاً من عملية الإعداد للبحث؟
- ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟
- التقييم النقدي للتراث المنشور عن الموضوع.
- البحث عن التراث المنشور عن الموضوع.
- الجوانب العلمية لمراجعة التراث العلمي.
- عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تعد عملية الاطلاع على التراث المنشور عن الموضوع أحد الأسس التي يقوم عليها أي بحث اجتماعي. فمن واقع الاطلاع على التراث العلمي في موضوع بحثك، يمكنك وضع أفكارك أنت عن موضوع البحث في سياقها، وتتعلم من خبرات الباحثين الذين عملوا في مجال هذا الموضوع، ومن ثم تصبح قادراً على التفكير بشكل نقدي في دلالات تلك البحوث بالنسبة لموضوعك أنت. ويبدو هذا العمل في بعض الأحيان مهمة كبيرة، إذ يكاد يوجد عن كل موضوع ثروة هائلة من الكتب، والمقالات، وتقارير البحث، وشتي أنواع الوثائق الأخرى التي ينابح لنا الاطلاع عليها. ولكن يتبعنا أن نركز جهودنا ونكتفه - على نحو نقدي - عند قيامنا بمراجعة التراث العلمي. وسنحاول أن نعرفك في هذا الفصل بطانفة عريضة من مصادر استقاء التراث، وأن نناقش معك كيف يمكنك أن تتجه في مراجعة التراث العلمي في موضوعك ملتزماً توجهاً نقدياً وقدراً في نفس الوقت على التركيز على موضوعك.

من الأجزاء المهمة لعملية الإعداد للبحث أن تأخذ في اعتبارك كيف تناولت البحث السابقة موضوعك؟ وكيف فكر فيه الآخرون؟ وماذا كتبوا عنه؟ والأهم كيف يمكن أن تساعدك هذه المعلومات على بلورة أفكارك عن البحث وتوجيدها. فإلى جانب تفكيرك في تساؤلات بحثك ، ومناهج تناوله ، وطرق جمع البيانات الخاصة به؛ يسير إلى جانب ذلك في خط مواز استعراض شئي أنواع التراث المتصلة بموضوع بحثك . وتبدا عملية مراجعة التراث في مرحلة مبكرة عند شروعك في التفكير في البحث وبده عمليات الإعداد له . ولكنها يمكن أن تتواصل أثناء قيامك بوضع تساؤلات البحث ، واتخاذك القرارات المحددة لتصميم البحث ، وطرق جمع البيانات وتحليلها.

ونلاحظ هنا أن مراجعة التراث العلمي تعد عملية في ذاتها ، يمكن أن تنقسم إلى أربع مراحل:

- 1 - قراءات عامة «حول» الموضوع ، بحثا عن أفكار ، ومحاولة للتعرف على ما تم إنجازه بالفعل ، والإفادة من تلك المعلومات في بلورة موضوع بحثك أنت .
- 2 - القيام بعد ذلك ببحث مفصل عن مصادر المعلومات ، وتكوين سجل جامع لتلك المعلومات .
- 3 - قراءة وتقديم كل ما عثرت عليه من معلومات .
- 4 - تصميم مكونات عرض التراث (في بحثك) وكتابتها .

لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءاً من عملية الإعداد للبحث؟

هناك جملة من الأسباب التي تدعوك إلى القيام بعملية مراجعة التراث العلمي مراجعة نقدية . وتلقى القائمة التالية الضوء على أكثر تلك الأسباب شيوعا ، بدءاً بالأهم:

مراجعة التراث العلمي المنشور سوف تتمكنك من:

- التحليل النقدي للموقف الراهن في مجال البحث:

- سوف تتمكن من الإحاطة بما هو معروف فعلاً عن موضوع بحثك. والعادة أنك لن ترغب في تكرار البحث الذى أجريت بالفعل (إلا إذا كنت تود معالجة نفس القضية أو نفس البيانات بطريقة مختلفة). فمن أهداف مراجعة التراث العلمي أن تتعرف على الوضع الراهن للمعرفة بالموضوع ، مبادزاً درس بالفعل ، وما الذى يتغير دراسته مستقبلاً. وفي بعض الأحيان نقول إننا نسعى إلى التعرف على «التراث» الذى تركتها البحوث السابقة ، أي الأجزاء التي تم تجاهلها أو لم يُلتفت إليها فى الماضى . وقد تعد هذه النقطة مزيداً من تعرفك على الوضع الراهن للمعرفة .
- سيمكنك ذلك من التعرف على مختلف الاتجاهات النظرية والمنهجية التى تبنوها الباحثون فى السابق (وإلى أي مدى حققت تلك الاتجاهات نجاحاً ، بحيث لا تكرر أخطاء الآخرين).
- سوف تقف على نوع الأطر والاستراتيجيات التحليلية التى استخدمها الباحثون الآخرون ، وتقرر لنفسك مدى صلاحيتها لبحثك .
- عمل مقارنة و المقابلة بين شتى المصادر وآراء الخبراء .
- وضع بحثك فى سياقه . ففى دنيا العلوم الاجتماعية ترتبط بحوثنا عادة بالمسائل والأحداث الأخرى فى المجتمع ، من ذلك مثلاً: تطبيق سياسة اجتماعية جديدة ، أو حدوث ركود اقتصادى ، أو ظهور تغيرات فى الأفكار المتعلقة بالقضايا الأخلاقية ، أو حدوث تغير فى المناخ .
- اكتساب دراية "بلغة" أو مفردات موضوع دراستك .
- تحديد المسائل أو المتغيرات المهمة فى موضوعك . فقد تقودك مراجعة التراث العلمى إلى إضافة بعض الأشياء التى ربما تكون أغفلتها .
- التفكير فى تساؤلات بحثك وتعريفها بشكل أفضل ، وربما يمكنك بفضل هذه المراجعة طرح مزيد من تساؤلات البحث أو المسائل التى يمكن تضمينها داخل الدراسة .
- التعرف بشكل أفضل على الأسلوب الذى يمكن أن تتناول به نتائج بحثك ، وربما تستطيع كذلك أن تربطها بالبحوث التى أجريت من قبل .

- تساعدك على تبيان الصلات بين الممارسة البحثية والنظرية (وفقاً لمجال بحثك بطبيعة الحال).
- تزويديك بمتوليفة تجمع كافة المعلومات بطريقة تجعل رسالتك الجامعية أو تقرير بحثك ميسور الفهم للقارئ، وهو الأمر الذي من شأنه أن يدعم الجهد الذي بذلته.

ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟

ربما كان يكفي منذ بضع سنوات قليلة أن نقول إن التراث العلمي هو الكلام المكتوب المنشور، أي إنه المادة المطبوعة على ورق. ولهذا كان نقصد حينذاك: الكتب، والمجلات العلمية، والدوريات، والصحف. وما زالت هذه الأشكال من التراث العلمي تمثل بداية جيدة للتعرّف بالموضوع، ولكن أصبح من المحتم علينا أن نضيف إليها ثنتي أنواع المصادر الإلكترونية، والوسائل السمعية البصرية.

ما : التراث العلمي؟

التراث العلمي مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسوف يكون ذلك: (أ) وضع قائمة باللغة الطول، و(ب) سرعان ما تستصبح مثل هذه القائمة شيئاً بالياً عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلي قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث:

- الكتب.
- المجالات العلمية المحكمة.
- المجالات العلمية غير المحكمة.
- الرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات.
- الصحف والمجلات.
- التلفزيون والراديو.
- تقارير المؤسسات والهيئات.
- الوثائق الرسمية.
- تقارير البحث.
- شبكة الإنترنت.

لقد تغير الزمن بشكل حاسم خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة أو نحوها. ففي تسعينيات القرن العشرين كانت الكتب الدراسية هي المصدر الأساسي للمعلومات بالنسبة لطلاب الليسانس. ولكن السهولة التي تلمسها حالياً في الاطلاع على المجالات العلمية، والوثائق الرسمية وغيرها من المصادر الإلكترونية للمادة؛ هذه السهولة أصبحت تعنى الأن أن يوسع الطالب اللجوء إلى طائفة كبيرة من مصادر المعلومات، وإن ظلت الكتب الأكاديمية تمثل حتى اليوم أحد أكثر مصادر المعلومات نفعاً. وتجد في غالب الجامعات مكتبات كبيرة للكتب الدراسية، التي يضاف إليها المزيد عاماً بعد عام. وغالبية الكتب الأكاديمية من تأليف خبراء وباحثين أكاديميين متخصصين في مجال معين، وكثيراً ما يجمعون بين الخبرة البحثية والأصالة الفكرية في تقديم عرض مفيد لموضوع ما. والعادة أن يعتمد مؤلفو الكتب الدراسية على خبراء آخرين ويشيرون إليهم، سواء كانوا خبراء على المستوى القومي أو العالمي.

وغالباً ما تكون هذه الكتب بداية ممتازة تبدأ منها في استعراض التراث المنشور عن الموضوع، لأنها تزودك بإشارات إلى مصادر أخرى للمعلومات، والبحوث، والأفكار التي تستطيع أن ترجع إليها وأنت بصدق بلورة أفكارك عن موضوع بحثك. ومثل هذه الكتب - بحكم طبيعتها - تكون مكتوبة بأقلام مؤلفين معروفيين، وتكون مزودة بفهارس مختلفة، كما أنها سهلة الاستخدام. ونقطة الضعف في الكتب أنها يمكن أن تتقادم بسرعة، كما أن أسعارها مرتفعة عادة (وإن كانت بالطبع متوفرة في المكتبات العامة، حتى لو لم تكن متوفرة في مكتبة الحى أو المكتبة المحلية)، وبرغم كل ذلك ستظل الكتب مصدرًا نافعاً على امتداد المستقبل المنظور، بل إن الطبعات الأقدم منها كثيراً ما تكون مفيدة في إلقاء الضوء على الموقف العام لدراسة الموضوع، وأسلوب التفكير فيه في عصر معين.

المجلات العلمية والدوريات

هذا النوع من الأعمال العلمية يتخذ في الأساس شكل المقال العلمي المنشور (وإن كان الكثير منها أصبح متاحاً على الإنترنت في الصورة الإلكترونية)، ويندرج من حيث قيمته العلمية فيما نسميه المقالات التي تخضع لمراجعة الزملاء (انظر قائمة

المصطلحات). وتعد الدوائر الأكاديمية المقالات التي روجعت بمعرفة الزملاء هي «الأفضل» مستوى ، وذلك بسبب الطريقة التي يتقرر بها صلاحيتها للنشر . المعروف أن الغالبية العظمى من المقالات التي خضعت لمراجعة الزملاء تكون من تأليف أعضاء هيئة تدريس جامعيين ، وعندما ترد إلى إدارة تحرير المجلة العلمية المتخصصة في نشر مقالات راجعها الزملاء مقالة من هذا النوع ، يتم إرسالها إلى عدد من الخبراء المتخصصين في المجال المحدد للمقالة. ويقوم هؤلاء الخبراء (أو الزملاء) بكتابية تعليقهم للمجلة ، الذي يتناولون فيه الحكم على جودة العمل ومدى صلاحيته للنشر في المجلة. وعلى أساس هذا التقييم يقرر محرر المجلة نشر المقالة أم لا . ونجد حتى بين المجلات التي تنشر المقالات المراجعة من الزملاء تدرجًا في المستوى ، تأتي في قمتها المجلات العالمية التي تعد أعلاها قيمة في العادة . والسبب في ذلك أن جمهور هذه المجلات منتشر عبر العالم ، ويخضع للتقييم من جميع الأكاديميين المتخصصين في كافة أنحاء الأرض . وتحتوي أغلب المجلات على مقالات تستعرض بحوثًا أجراها مؤلفوها ، كما تنشر مقالات تستعرض القدرات العلمية والفكرية لصاحبها ، أي خبرته في الموضوع الذي يكتب عنه وقدرته على تطوير أفكار أصلية ونظرية في الغالب . وفي بعض الأحيان يقدم الدارسون الأكاديميون أوراقا علمية إلى المؤتمرات العلمية المتخصصة ، وذلك قبل تقديمها للنشر . وقد تكون - أو لا تكون حسب الظروف - متاحة للاطلاع عليها في هذه المرحلة بعد مراجعة الزملاء .

ومن المجلات التي تنشر المقالات المراجعة من الزملاء : «مجلة السياسة الاجتماعية» ، «علم الاجتماع» ، «دراسات السياسات» ، «الثقافة» ، «علم الإجرام» ، «الصحة والرعاية الاجتماعية في المجتمع المحلي» ، «الاقتصاد الدولي» ، «السياسة الاجتماعية والمجتمع»^(*) . وهناك علاوة على تلك المجلات كم هائل ، وأي بحث عابر على شبكة الإنترنت (انظر فيما يلى فقرة «البحث عن التراث العلمي») سوف يزودك بعما يلى مئات المجلات العلمية .

(*) Journal of Social Policy ، Sociology ، Policy Studies ، Culture ، Criminology ، Health and Social Care in the Community ، International Economics Social ، Policy and Society .

أما محررو المجلات والدوريات غير المحكمة فإنهم ينشرون ما يرونـه جديراً بالنشر وفقاً لسياسة التحرير التي ينتهجونها (من تلك المجلات مثلـاً، The Economist، New Statesman). كما قد يعمد المحرر إلى طلب مقالات من بعض الكتاب أو تكليفـهم بكتابتها، ثم يقرر هو ما يصلح للنشر منها وينشره. حقيقة أن المقالات المشورة بهذه الطريقة لم تخضع للفحص بمعرفة الخبراء، ولكنـها يمكن أن تكون مفيدة على أساس أنها تقدم وجهات نظر مختلفة حول موضوع أو مجال معين، وكذلك لأنـها قد تكون مكتوبة بأقلام خبراء لهم تجاربـهم مثلـاً في الممارسة الميدانية أو في العمل ذاتـه. وتدرج ضمن هذه الفئة بعض المجلـات المتخصصة (مثلـ: "مجلـة الخدمة الصحـية"، و"الإـدارة اليوم"، تـايمـز لـلـتمـريض"، و"رعاية المجتمع المحلي").

الإعلام

تأتي في المرتبة التالية من حيث القيمة الصحف وغيرها من وسائل الإعلام، ونعتقد أنه من الواجب التزام الحذر في التعامل مع هذه النوعية من مصادر المعلومات. فإذا أردت استخدام معلومات مستمدـة من بعض الصحف (أو المجلـات مثلـ مجلة "التسويق" أو مجلة "الحياة الـريفـية") فلا بدـ أن تـفكـرـ كيف يمكنـكـ الـاعتمادـ على دقةـ المعلوماتـ التي تحتويـها تلكـ المـجلـاتـ، وـاضـعاـ فيـ اعتـبارـكـ أنـ الـهدفـ الأولـ لـتـلكـ المـجلـاتـ هو تـحـقـيقـ الـرـبحـ منـ وـرـاءـ بـيعـ تـلـكـ الصـحفـ، وـالمـجلـاتـ، وـالـاعـلانـاتـ. وـمعـ ذـلـكـ فـيـنـ المـيـزةـ الـأسـاسـيـةـ لـلـمـجلـاتـ أـنـهـ تـنـشـرـ مـادـةـ مـعاـصرـةـ، وـبـذـلـكـ يـمـكـنـهـ أـنـ تـضـعـكـ فـيـ صـورـةـ الـأـحـدـاثـ وـالـقـضـائـاـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـسـيـاسـيـةـ، وـالـاقـتصـاديـةـ، وـفيـ مشـكـلاتـ السـيـاسـاتـ الـعـامـةـ وـالـمـارـسـةـ يـوـمـ يـوـمـ. أـمـاـ الصـحفـ فـتـمـيلـ إـلـىـ التـركـيزـ عـلـىـ تـلـكـ الـجـوانـبـ منـ الـقـضـائـاـ وـالـأـمـورـ الـتـيـ تـنـسـمـ بـقـدرـ خـاصـ مـنـ الـطـرـافـةـ أوـ الـإـشكـالـيـةـ، وـمـنـ ثـمـ تـمـكـنـكـ مـنـ الـتـعـرـفـ عـلـىـ الـقـضـائـاـ، وـعـلـىـ النـاسـ، وـعـلـىـ تـقـارـيرـ الـبـحـوثـ وـغـيـرـهـ مـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـتـبـعـهـ بـنـفـسـكـ فـيـمـاـ بـعـدـ.

وـمـنـ الـمـهمـ أـنـ تـدـرـكـ أـنـ هـنـاكـ بـعـضـ الـمـصـادـرـ الـأـخـرىـ الـتـيـ يـمـكـنـ اـعـتـبارـهـاـ تـرـاثـاـ حـولـ الـمـوـضـوعـ. فـإـذـاـ وـسـعـناـ تـعـرـيـفـنـاـ قـلـيلاـ بـحـيثـ يـسـتوـعـبـ الـمـادـةـ الـمـاتـاحـةـ فـيـ الـمـجـالـ العـامـ، فـسـوـفـ تـتـوـقـرـ لـنـاـ عـدـةـ مـصـادـرـ أـخـرىـ، كـبـرـامـجـ التـلـفـزيـونـ وـالـرـادـيوـ، وـشـرـائـطـ

الفيديو ، والتسجيلات الصوتية^(٥) ، وأجهزة الاتصال المحمولة Podcasts ، وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال . فجميع هذه المصادر واحدة بقدرها على تزويدنا بالمعلومات ، ولكن لأنها ليست معروضة في قالب يمكن استخدامه مباشرة في معظم البحوث التي يجريها الطلاب ، فلا بد لاستخدام هذه المصادر أن يعمل فكره في الطرق الممكنة لمعالجتها بحيث تكون صالحة لأن يستخدمها في بحثه (من ذلك مثلاً أن تقرر في النهاية اختيار تدوين أجزاء من المادة المسجلة التي تحتوى مقابلة إذاعية أو فيلماً تلفزيونيا تسجيلياً) .

تقارير المؤسسات والهيئات

هناك نوع من التراث المنشور حول الموضوع غالباً ما يتم إغفاله أو تجاهله هو تقارير المؤسسات والهيئات (انظر قائمة المصطلحات) . ويشير هذا المصطلح "Grey Literature" إلى تلك الوثائق التي تعدّها بعض المنظمات أو الشركات ، أو يتم إعدادها لحسابها . وتكون مثل هذه التقارير عادة في صورة مطبوعة (وبعضها الآن متاح - في بعض الأحيان على الواقع الإلكتروني لتلك المنظمات أو الشركات) ، ولكنها

(*) تمثل مثل هذه التسجيلات مصدراً مهماً للباحثين في كثير من المجالات بدءاً من البحوث والدراسات السياسية ومروراً ببحوث الصحة والعلاج وصولاً إلى دراسات التراث الشعبي (من أدب شعري ومعتقدات وعادات شعبية ... إلخ) . وتعاظم أهميتها في المجتمعات التي تغلب عليها الأممية وتسودها الثقافة الشفاهية ويقل فيها توافر المصادر المدونة ، خاصة تلك التي يدونها عموم الناس (كمذكرات الإنفاق المنزلي للأسرة ، والمذكرات الخاصة ... إلخ مما هو متوفّر بكثرة في المجتمعات الغربية) . ومن تلك التسجيلات : تسجيلات المحاضرات العامة أو بعض الخطاب السياسي الحزبي أو غير الحزبي ، وتسجيلات الحكايات والسير الشعبية ، وبعض تسجيلات لأحاديث أو برامج إذاعية قديمة أو ذات أهمية خاصة ، كأحاديث مع طه حسين ، أو عباس العقاد ، أو نجيب محفوظ مما يمكن أن يلقى الضوء على أعمالهم ورؤاهم الفكرية وكذلك على المناخ الفكري في عصرهم . ومن أهم وأخطر هذا النوع من المصادر تسجيلات خطب الجمعة والدروس الدينية وجلسات الوعظ التي وصل الأمر إلى حد طبعها بالملابين وبيعها للناس ، فهي لدارس هذه الموضوعات مصدر لا غنى عنه . (المترجم)

عموماً ليست متاحة لعموم الناس في المجال العام^(٤). (وفي المملكة المتحدة أتاح صدور قانون حرية المعلومات الذي صدر عام 2000 إمكانية الاطلاع على كثير من هذه الوثائق بسهولة أكبر، وإن كان ذلك يمكن أن يتم ب مقابل مادي). وإن كانت هناك ثمة مشكلات تكتنف مثل هذا الاطلاع منها مثلاً: أنه لا بد أن تكون على علم أصلاً بوجود مثل هذه الوثيقة، أو أن تستطيع - على الأقل - توجيه سؤال حذر ودقيق لكي تتمكن من الحصول على المعلومات التي تريدها، وتمثل هذه التقارير - عموماً - مصدراً ثرياً بالمعلومات لأولئك الذين يدرسون القطاع العام أو عمليات تنفيذ السياسات، وغيرهم من الدارسين أيضاً.

الوثائق الرسمية

قد تفرض عليك طبيعة موضوع بحثك وميدان تخصصك العلمي أن تدخل ضمن مراجعة التراث المنشور بعض الوثائق الكثيرة المتنوعة التي تصدرها الحكومة وغيرها

(*) هذا النوع معروف في مصر، وفي بعض البلدان العربية، منذ فترة غير بعيدة، ولكنه آخذ في الانتشار والتزايد في الآونة الأخيرة، وسوف يزداد عدداً وتحسن نوعية كلما ذاعت وترسخت قيم الشفافية والمحاسبة في المجال العام، سياسياً كان أم اقتصادياً أم غير ذلك. ومن أهم هذا النوع من المصادر تقارير الأمن العام التي تصدرها وزارة الداخلية سنوياً، لأنها المصدر الأساسي لدراسات الإجرام والانحراف والأحداث والتسلو .. إلخ. وبديهي أن هذا النوع من التقارير محدود التوزيع، ولا يسمح بالاطلاع عليه إلا للمختصين، ومع ذلك فمع تصاعد مناخ التعقيم السياسي وعدم الشفافية في السنوات الأخيرة من حكم مبارك حجبت تقارير الأمن العام عن العامة والخاصة على السواء.

ومن هذه التقارير ما تصدره البنوك، خاصة البنك المركزي (الذي تحوي تقاريره بيانات مفصلة عن الإنفاق العام، والتجارة الداخلية والخارجية، والديون المحلية والخارجية .. إلخ) وهي لازمة إلى أقصى حد لكثير من الباحثين.

ومنها أيضاً تقارير المجالس الخاصة العليا كالمؤسسة المعروفة باسم «المجالس القومية المخصصة»، والمجلس القومي للمرأة .. إلخ، وكذلك تقارير بعض الهيئات شبه الحكومية كالمجلس القومي لحقوق الإنسان، أو منظمات المجتمع المدني، أو كبرى الشركات في شتى مجالات الإنتاج والخدمات .. إلخ. وكثير من هذه التقارير محدود أو مقيد التوزيع، وهذا أمر بديهي بالنسبة لقلة انتشار قيم الشفافية. (المترجم)

من المؤسسات الرسمية. وتشمل هذه الوثائق تلك المتعلقة بالسياسات المتبعة مثل قرارات البرلمان، وتقارير اللجان الملكية^(*)، والتوجيهات والقواعد التنفيذية، والبيانات البيضاء^(**)، والبيانات الخضراء^(***)، وتقارير لجان الفحص والمراجعة، وبحوث الهيئات الحكومية، وما إلى ذلك.

تقارير البحث

من أهم أسباب مراجعة التراث المنشور حول موضوعك أن تتبين وتعلم مما توصلت إليه البحث التي أجرتها باحثون آخرون حول مجال الموضوع الذي تدرسه. ويشمل هذا النوع من البحث البحث الأكاديمية التي تجري في الجامعات، والبحث التي يجريها الباحثون في المؤسسات البحثية المختلفة (مثل مؤسسة جوزيف راونترى)، والتي يجريها الباحثون العاملون في العديد من المؤسسات العامة والخاصة والقطاع التطوعي. وسوف تتبين أن بعض تلك البحث يتتمى بالفعل إلى نوعية "تقارير المؤسسات والهيئات" ذات النشر المحدود، ومن ثم لن يتم الاطلاع عليها إلا بعد الاتصال بالمؤسسة المعنية أو زيارة موقعها على شبكة الإنترنت. في حين ستجد أن بحث المؤسسات الأخرى - كذلك التي تصدرها مؤسسة جوزيف راونترى (www.jrf.org.uk) - متاحة بكل سهولة على موقع تلك المؤسسات على شبكة المعلومات.

وهناك نوع آخر من تقارير البحث هو الرسائل التي تقدم لنيل الدرجات الجامعية المختلفة. ويقوم بإعداد تلك الرسائل طلاب الجامعات بدءاً من رسالة البكالوريوس، مروراً برسائل الماجستير، ووصولاً إلى رسائل الدكتوراه، وهي أعلى درجة علمية

(*) اللجان الملكية Royal Commission لجان تقصى حقائق يشكلها الملك (في المملكة المتحدة) بناء على طلب الحكومة لدراسة موضوع معين. وينظرها في الولايات المتحدة "اللجان الرئيسية" التي يأمر بتشكيلها الرئيسى الأمريكى لدراسة موضوع معين. (المترجم)

(**) البيان الأبيض White Paper تقرير حكومى رسمي (في المملكة المتحدة) عن موضوع معين يحوى معلومات أو مقتراحات. (المترجم)

(***) البيان الأخضر Green Paper تقرير حكومى مبدئى (في المملكة المتحدة) يحتوى على مقتراحات للمناقشة فى موضوع معين. (المترجم)

تمنحها الجامعات . ومثل هذه الرسائل تكون متاحة لاطلاع عموم الناس ، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض رسائل الدكتوراه . ومع أن هذه الرسائل الجامعية قد تكون مفيدة إذا كانت تركز على مجال موضوعك ، فإنه يتبعين عليك أن تتعرف على مستوى الدرجة التي أجزيت بها الرسالة ، كما أنك لن تستطع أن تعرف شيئاً عن التقييم العلمي للرسالة .

الإنترنت

من المهم - أولاً وقبل كل شيء - التمييز بين أنواع "التراث المنشور" التي ستجدها على شبكة الإنترنت .

نلاحظ - أولاً - أن كثيراً من أنواع مصادر التراث المنشور ، التي عرضنا لها فيما سبق ، أصبحت متاحة الآن على شبكة الإنترنت ، وقد تجدها أحياناً بنفس القطع الذي كان يمكن أن تصدر به في صورة ورقية . من ذلك على سبيل المثال كثير من المجلات والدوريات الأكاديمية ، وتقارير البحث سوف تجدها متاحة على شبكة الإنترنت ، ومن ثم يكون الاطلاع عليها أيسراً كثيراً مما كانت عليه الأحوال في الماضي ، بل إن بإمكانك تحميل بعضها على جهاز الكمبيوتر الخاص بك ، وبذلك تحفظ بها للرجوع إليها مستقبلاً عند الحاجة .

كما نلاحظ - ثانياً - أن بعض التراث المنشور الذي تريده أن تستخدمه ليس متاحاً إلا على شبكة الإنترنت . فهناك على سبيل المثال بعض الوثائق الرسمية التي ليست متاحة إلا على الواقع الحكومي على الشبكة ، بل إنه قد يتذرع أحياناً العثور عليها عن غير هذا السبيل .

الأمر الثالث أن بعض مواقع الإنترنت تمثل هي نفسها جزءاً من التراث المنشور التي يتبعين عليك مراجعته . من تلك الواقع مثلاً: موقع بعض الهيئات مثل "جمعية رعاية المسنين" ، و"جمعية الألزهايمر" ، و"المعهد القومي للتميز الإكلينيكي" (وجميعها في المملكة المتحدة) ، وتحتوي جميعها على مادة مهمة وقد تكون وثيقة الصلة بموضوع يتعلق مثلاً بأثار مرض "عنة الشيفوخة" على كبار السن ، وأن تلك المعلومات قد لا تكون متاحة بأى صورة أخرى غير تلك .

الللاحظة الرابعة أن شبكة الإنترت تتيح لك البحث عن المعلومات المتوفرة في موضوعك في عدد غير محدود من المصادر كتبها طائفة متنوعة من المؤلفين من شتى بقاع العالم. معنى ذلك أن البحث على الشبكة يمكن أن يقودك إلىآلاف المواقع التي يتحمل أن تكون مفيدة لك ، ومن ثم يتبعن عليك بذلك كل جهد و عناء لتحديد أيها سفيديك بالفعل. و سبب ذلك أن الشبكة تحوى كما هائلا من المعلومات . وبإمكان محركات البحث أن تدللك على مئاتآلاف المراجع حول أي موضوع ، حتى ولو كنت تستخدم أحد محركات البحث المتخصصة في البحوث الأكاديمية ، مثل محرك " جوجل سكولار " Google Scholar . ولا يستطيع أي إنسان أن يجد الوقت اللازم لتصفح أو تقييم كل البيانات التي يحصل عليها ، ولذلك قد تغفل بسهولة بعض الأعمال المهمة ، أو أن تنجرف نحو بعض الواقع غير الدقيقة أو حتى المضلة.

لذلك عليك أن تنتبه إلى ما يلى :

- تعمد معظم محركات البحث إلى عرض موادها وفق ترتيب الواقع الأكثر رواجا (وكذلك بعض الواقع التي تدفع أموالا لكي تحظى بمركز متقدم على هذا الترتيب) . وما يؤسف له أن ذلك لا يعني في كل الأحوال أن الواقع المقدمة في هذا الترتيب هي الأكثر دقة .
- سوف يوفر لك البحث العام في الشبكة معلومات من عدد كبير من المصادر والبلاد المختلفة . وكثيرا ما يمثل هذا الوضع مشكلة للباحثين : كيف للباحث أن يعرف مدى ارتباط تلك المعلومات بموضوع بحثه ؟ حتى لو حصرت نطاق بحثك في الوثائق المنشورة باللغة الإنجليزية ، فمن غير المحمّل أن تكون المادة المتعلقة بنظم التوظيف في استراليا مرتبطة بشكل مباشر ببحثك عن التوظيف في المملكة المتحدة .
- يوسع أي إنسان أن ينشر أي شيء على الإنترت . من ذلك مثلا موسوعة " ويكيبيديا " Wikipedia على الشبكة تتسم بأن المادة التي تتضمنها تكون من وضع وتحريير زوار الموقع الذين يستخدمونه ، وطبعي في مثل هذه الحالة أن بعض هذا المحتوى لا يتصف بالمستوى المنشود من الدقة . حقيقة أن مثل هذه الواقع يمكن أن تمثل مؤشرات مفيدة للبحوث أو للباحثين الذين يعملون في مجال موضوعك ، ولكن بشرط أن تتبع التقارير البحثية أو الكتابات الأصلية ، وألا يعتمد على المعلومات التي تنشرها مثل هذه الواقع .

ولا تعنى تلك الملاحظات أن الإنترن特 ليست مفيدة للباحث . وإنما هي - على العكس - يمكن أن تكون مصدراً بالغ الأهمية للمعلومات إذا استخدمت بعناية . فعليك أن تتخذ موقفاً حذراً ونقدياً - وربما أحياناً متشكباً بعض الشيء - في بحثك عن مصدر تلك المعلومات . حقيقة أن مطلب الحذر يصدق على أسلوب استخدامك لكافة أنواع التراث النشور التي يمكن أن تستفيد بها في بحثنا . وننتقل فيما يلى على تأمل قضية التقييم النقدي للتراث النشور حول الموضوع .

فكرة في هذا الموضوع

تقييم موقع الإنترن特

لأن هناك عدداً كبيراً من المواقع ومصادر المعلومات المختلفة على شبكة الإنترنط ، ولأن بوسع أي إنسان أن ينشر كل ما يريد من مواد على تلك الشبكة ، لذلك تبقى بعض الأسئلة الإضافية التي يتبعن طرحها عند استخدامك تلك المواقع :

- من الذي قدم هذه المعلومات؟ فرد أم مؤسسة؟
- لماذا قدم هذا المصدر تلك المعلومات؟
- هل يحوى هذا الموقع بيانات عن مؤلفي تلك المعلومات وعن ناشريها؟
- متى طرحت تلك المعلومات على هذا الموقع؟
- متى نشرت تلك المعلومات لأول مرة على الشبكة كلها؟
- هل يتم تحديث هذا الموقع بكثرة؟
- هل سيقى هذا الموقع إلى الغد؟
- أين تم الحصول على تلك المعلومات؟
- من تم الحصول على هذه المعلومات؟

يمكنك استخدام "الأداة الموحدة لتحديد مصدر المادة المنشورة على الإنترنت"(*)، أو الاستعانة بعنوان الموقع للوقوف على حقيقة مصدر المادة المنشورة.

الأداة الموحدة لتحديد مصدر مادة الإنترنت

ستزودك هذه الأداة الموحدة بفكرة عن:

- المؤسسة أو الهيئة التي تمتلك هذا الموقع.
- نوع هذه المؤسسة أو الهيئة.
- الدولة التي توجد فيها هذه المؤسسة (وإن كان يحدث أحياناً أن تكون المؤسسة في داخل الدولة التي تنشر هذا الموقع).

المؤسسات والهيئات

غالباً ما يكون اسم المؤسسة أو الهيئة هو المقطع الأول من العنوان الإلكتروني، على حين يكشف المقطع الأخير من العنوان عن نوعية تلك المؤسسة. من ذلك مثلاً:

- الواقع الأكاديمية: .ac.uk or .edu.
- الواقع التجارية: .co.uk or .com
- الواقع المؤسسات والهيئات التطوعية وغيرها من المؤسسات غير الهدافه إلى الربح: .org.uk or .org
- الواقع الحكومية: .gov.uk or .gov

الدول

يدل المقطع الأخير من العنوان عادة على الدولة التي نشأ فيها الموقع أصلاً (ماعدا الولايات المتحدة التي ليس لها ذكر يدل عليها في العنوان الإلكتروني)، من ذلك مثلاً:

- المملكة المتحدة = .uk
- أستراليا = .au
- كندا = .ca

(*) URL = Uniform Resource Locator.

التقييم النقدي للتراث المنشور

عن الموضوع

هناك مراحلتان لتقييم التراث المنشور للتأكد من أن هذا العمل سوف يفيدك في تطوير أفكار بحثك. المرحلة الأولى يتبعها عليك أن تقدر فيها قيمة هذا العمل في ضوء مصدره والهدف منه. وجوه التساؤل في هذه المرحلة يدور حول من كتب هذا العمل، ولماذا كتبه؟ أما المرحلة الثانية فتعلق بالنظر في محتوى العمل في ضوء المعلومات والأفكار التي يحتويها.

ما: الاتجاه النقدي؟

هو طريقة حكمنا (من واقع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظاتنا) على قيمة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلخ مما يتضمنه العمل موضوع التقييم.

وعندما نصف تقييمنا بأنه «نقدي» فإننا لا نعني أي معنى سلبي؛ وإنما نقصد «التقييم» وحسب. وطبعاً أن نتأمل أحد أشكال هذا التراث المنشور -الذى سبق أن عرضنا له - وعندما سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التي يتوجب عليك أن تتفحصها وتتأملها.

ما الهدف من وضع العمل المنشور؟

لكى نقف على حقيقة الهدف من وراء تأليف أي عمل من أعمال التراث المنشور، سواء كان ورقة بحثية، أو تقريراً علمياً، أو فيلماً تلفزيونياً وثائقياً؛ لكى نقف على الهدف يتبعنا علينا طرح بعض الأسئلة عن مؤلف هذا العمل أو منتجه، ثم نطرح بعضاً من هذه الأسئلة علينا نحن. بديهي أننا لا نستطيع أن نسأل المؤلف أو منتج العمل مباشرة عن هدفه، ولذلك يتحتم علينا أن نمعن النظر في التعرف على مصدر العمل، ونتأمل في أسباب وضعه وكيف تم وضعه أو إنتاجه على هذا النحو تحديداً. وما المعلومات أو الخبرات التي استعان بها الكاتب أو المنتج في إعداد هذا العمل؟، وهل تم الإفصاح بوضوح عن القضايا التي تناولها؟ وهل تم تناولها فعلاً؟ بعد ذلك عليك أن تسأل نفسك

لكى تتعرف على جدوى هذا العمل لك فى ضوء تساؤلات بحثك ، مستخدما ما لديك من معلومات وخبرات لنقدر قيمة مثل هذا العمل بالنسبة لك كباحث .

أسئلة يتعين توجيهها	
إلى المؤلف أو المنتج	إلى نفسك
لماذا كتبت هذا العمل؟	لماذا أقرأ هذا العمل؟
من كتب هذا العمل؟	هل هذا العمل موجه «لـ»؟
ماذا كان هدفك من وراء ذلك؟	ماذا أبغى الحصول عليه من هذا العمل؟
ما التساؤلات التي طرحتها في عملك؟	ما التساؤلات التي يمكن أن أطرحها؟
ما الإجابات التي توصلت إليها؟	هل يمكنني العثور على إجابات موثوقة بها؟
ما الشواهد والبراهين التي استندت إليها؟	هل أنا أقبل الشواهد والبراهين المعروضة؟
ما النتيجة التي انتهت إليها؟	هل أواق على النتائج التي انتهى إليها؟

إن من شأن طرح تلك التساؤلات أن يعينك على معرفة نوع المصدر الذى عثرت عليه ، والوقوف على سبب تأليفه أو إنتاجه . أما طرح الأسئلة على نفسك فمن شأنه أن يساعدك على أن تقرر ما إذا كنت سترجع إلى هذا العمل وستستخدمه كواحد من تراث الموضوع الذى ستعرض له ، وعلى أن تحدد كيفية استخدامك له .

بحثك

اختر كتابا ، أو مقالا منشورا في مجلة علمية ، أو تقريرا في صحيفة مما يتعلق بموضوع بحثك ، واطرح بشأنه الأسئلة الموجهة - افتراضيا - إلى المؤلف ، وتلك الموجهة إليك .

ما موضوعات الأعمال المنشورة حول موضوعك؟

وما مدى فائدتها لتفكيرك في بحثك؟

سوف تعتمد الأسئلة التي ستطر حها بشأن مضمون العمل المنشور ضمن تراث الموضوع على نوع المصدر الذي تكون بصدق تقييمه. فمن المصادر التي يرجح أن تضمنها التراث الذي ستعرض له البحوث الأخرى التي أجريت في مجال اهتمامك. في هذه الحالة سوف يهمك بشكل خاص أن تعرف لماذا وكيف أجرى هذا البحث؟، وعندها ستجد نفسك تطرح عدداً من الأسئلة التي ستساعدك على فهم هذا العمل فيما كاملاً. وطبعي أن تلك الأسئلة سوف تختلف من مقال لآخر ، وذلك تبعاً لنوع البحث الذي يتناوله المقال . ويُجدر بك أن تتذكر في هذا المقام أن عملية تحرير المجلة وحدود الحجم المفروضة على العمل المطبوع يمكن أن تؤدي أحياناً إلى أن بعض عناصر المشروع لا يتم عرضها بمقدار التفصيل الذي كنت تتوقعه. ذلك أنه عند نشر تقرير البحث في صورة مقال في مجلة علمية - مثلاً - فإن المجلة لا تركز إلا على جانب واحد فقط من جوانب البحث ، وقد ينصب المقال برمه على مناقشة النتائج التي انتهت إليها البحث دون الحديث مفصلاً عن الجوانب المنهجية مثلاً.

وعلى هذا يمكنك أن توجه إلى نفسك الأسئلة التالية:

- هل أهداف البحث واضحة؟
- هل قام المؤلف بشرح فرضيه، وتساؤلات البحث، والنظريات التي سيعتمد عليها؟ (راجع الفصلين 2 و 4 من الباب 1).
- هل واضح من الذي أنفق على البحث (أى هل هناك احتمال وجود تضارب مصالح)؟
- هل تم عرض تساؤلات البحث وتعريفاته الإجرائية بشكل جلي؟ (انظر الفصل 4 من الباب 1).
- هل الجوانب المنهجية للبحث واضحة وملائمة للموضوع؟ وقد يشمل هذا التساؤل أيضاً طرح أسئلة عن الموضوعات الآتية:

- مناقشة القضايا الأخلاقية (انظر الفصل 5 من الباب 1).
- تفسير يبرر تصميم البحث على هذا النحو (انظر الفصل 3 من الباب 2).
- شرح ومناقشة للأدوات المستخدمة في جمع البيانات ولعمليات تحليل البيانات (من ذلك مثلاً: هل تم إجراء دراسة استطلاعية، سلامة التحليلات الإحصائية التي أجريت).
- تعريف المتغيرات (حسب الأحوال).
- تصميم عينة البحث وعمليات اختيارها (انظر الفصل 5 من الباب 2).
- مناقشة أدوات البحث المستخدمة (مثل: الاستبيان دليل المقابلة . . . إلخ)، وما أدخل عليها من تطوير وتعديل.
- هل تمت مناقشة القيود والحدود النهجية المفروضة على البحث؟
- هل النتائج التي تم التوصل إليها مفهومة، وهل نوقشت على النحو الملائم؟
- هل خلاصة البحث واضحة؟
- هل نوقش موضوع إمكانية تعميم نتائج البحث (بمعنى تطبيقها على مجتمع البحث بأكمله وليس على أفراد العينة فقط)؟
- هل هناك صلات واضحة بين النتائج ومنظور البحث؟
- هل جرت مناقشة دلالات النتائج؟ (من ذلك مثلاً: هل هناك ثمة حاجة لتعديل السياسة المتبعة بسبب ما انتهى إليه البحث؟).

بحثك

استعرضنا في الفصل 1 من الباب 1 بعض اختبارات جودة البحث، وتتجدها معروضة بشكل أكثر تفصيلاً ووضوحاً في الفصل 3 من الباب 2. والمطلوب منك عندما تكون بصدّد عرض أعمال التراث المنشور عن موضوعك أن تستخدم هذه الاختبارات للحكم على جودة البحث الذي ستستعرضه.

لاحظ أنه ليست كل المصادر التي ستعثر عليها ستركز على موضوع بحثك بالذات، وفي هذه الحالة سيكون عليك الاستعانة بمجموعة مختلفة قليلاً من الأسئلة التي ستتيح لك تقدير مدى فائدة هذا المصدر لك. ونورد فيما يلى بعض الأسئلة المقترحة في هذا المحدد:

- هل أهداف الكتاب، أو المقال، أو البحث، أو البرنامج واضحة؟
- هل قدم المؤلفون شرحاً لأسباب كتابة هذه المادة أو إنتاجها؟ هل يتسم المؤلفون بمهارات أو اهتمامات أو خبرات خاصة؟
- هل هذا العمل مكتوب من منظور معين، أم أنه يتضمن عرض مختلف وجهات النظر؟
- هل يحييك هذا العمل إلى مؤلفين، أو إلى مقالات، أو بحوث أخرى؟
- هل القضايا والمسائل الأساسية مفهومة وواضحة، وهل تمت مناقشتها مناقشة وافية؟
- هل تم تقديم الشواهد والبراهين التي تؤيد الأحكام التي تم التوصل إليها؟ وهل الدليل المقدم نفسه جدير بالتصديق؟ وهل في إمكانك الوصول إليه ومعرفته؟
- هل توصل العمل إلى أية نتائج؟
- هل جرت مناقشة لدلالات النتيجة (أو النتائج) التي خلص إليها العمل؟ (من ذلك مثلاً: هل يقترح العمل إجراء تعديلات معينة في السياسات أو الممارسات المتبعة؟ هل تتبعاً تلك النتائج بأحداث أو مواقف معينة؟).

وهكذا يمكن القول باختصار أن التناول النبدي لأحد مصادرك أو تقييمه إنما هو عبارة عن طرح بعض التساؤلات بشأنه. على أنك قد لا تستطيع أن تجيب لنفسك على كل التساؤلات التي طرحتها في ضوء ما جمعته من معلومات، كما أن بعض إجاباتك على هذه التساؤلات قد لا تكون مرضية لك. غير أن هذا لا يعني أن مثل هذا المصدر أو غيره يجب ألا يستخدم في البحث. وإنما الأصح أن ذلك الموقف يعني أن عليك التزام الحذر عند استخدام معلومات يحويها هذا المصدر، كما يعني أن تتأكد من عرض نواحي الضعف وكذلك نواحي القوة التي يتسم بها هذا المصدر في ثانياً عرضك للتراث.

البحث عن التراث المنشور عن الموضوع

نقاط البدء

تكون نقطة البداية عادة هي القراءة عن خلفيات الموضوع ، انطلاقاً من معلوماتك الأولية عنه. من هذا -مثلا- أنك إذا كنت بصدد إجراء بحث عن أسباب الفقر في مرحلة الطفولة ، فالأرجح أن تنطلق في قراءاتك من أحد الكتب الدراسية الأساسية ، مثل : «دليل الطالب إلى السياسة الاجتماعية» (من تأليف الكوك Alcock وزملائه ، 2008) . فمثل هذا الكتاب سيعرفك ببعض القضايا ويزودك ببعض الأفكار المهمة عن موضوعي: الفقر ، والطفولة . كما سيوحى إليك ببعض الأفكار الطريفة ، وسيزودك بقائمة من المراجع التي يمكنك الاستزادة منها . ولو سلكت هذا النهج في العمل ، فمن الأرجح أنك ستتعرف على أسماء مجموعة من الكتاب البارزين في هذا المجال . بعد ذلك يمكنك أن تبحث عن الأعمال التي ألفها هؤلاء الكتاب بعدة سبل مختلفة . والأغلب أنه ستسعين بقوائم الكتب وبقواعد البيانات الإلكترونية لمعاونتك في البحث عن هذه الأعمال ، كما ستلجمـاً - في هذا البحث الإلكتروني - إلى استخدام «الكلمات المفتاحية» للمساعدة في العثور على الكتب ، والمقالات ، والمواد الإعلامية . . . إلخ التي تتعلق بموضوع بحثك .

ما: الكلمة المفتاح (الكلمة المرشدة) ?Keyword

الكلمات المفتاحية هي المصطلحات التي توجه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبات العامة ، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه . ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عنابة ، وأن تربط بين أكثر من كلمة لكي تضيق نطاق البحث .

وتتيح لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: "&" أو "+" أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية . كما تسمح لك باستخدام OR أو "/" للاختيار بين كلمتين مطلوبتين) ولذلك يجب أن تتأكد مقدماً ما هي الأدوات (أو العلامات) التي تصلح لنظام الإلكتروني الذي تستخدمه .

١ - **قوائم المكتبات العامة:** هي نقطة البداية الصحيحة دائمًا. والمعروف أن غالبية قوائم المكتبات العامة الآن موضوعة على قاعدة بيانات ، ولذلك أصبح استخدامها سريعاً وسهلاً. كل ما عليك هو أن تبحث باستخدام الكلمات المفتاحية ، أو باستخدام أسماء المؤلفين ، أو حتى بالبحث عما هو منشور في تاريخ معين . ويمكنك أن تربط بين سبل البحث هذه كلها إذا كنت تستخدم نظاماً حديثاً يسمى بالمرونة.

٢ - **الكتب المدرسية، والمجلات العلمية وغيرها من المواد المطبوعة:** معروف أن قوائم المكتبات العامة سوف تدلّك على مصادر مطبوعة وأخرى إلكترونية. ولا شك أن مراجعة الكتب المدرسية والمقالات المنشورة في المجلات العلمية ستدرك على المصادر التي رجع إليها مؤلف الكتاب أو المقال ، ولذلك سيكون ذلك وسيلة عظيمة الفائدة لتوسيع نظرتك إلى موضوع بحثك.

٣ - **قواعد البيانات الإلكترونية :** ويلاحظ أن قواعد البيانات هذه تكون متخصصة ، كل منها ب مجال معين . من ذلك مثلاً ”دليل ومستخلصات العلوم الاجتماعية التطبيقية ASSIA ، الذي يحوي أسماء مراجع ومستخلصات (المستخلص: موجز قصير لكتاب أو مقال) لمجلات المجلات العلمية“ . وهناك عدد كبير من هذه الخدمات . ويمكن القول إنه يتوفّر - وقت كتابة هذه السطور - عدد من هذه الخدمات ، نذكر منها:

- ISI Web of Knowledge: <http://wos.mimas.ac.uk/>
- BIDS (Bath Information and Data Services): www.bids.ac.uk/
- SSCI (Social Sciences Citation Index): <http://liberary.wellcome.ac.uk/>
- ASSIA (Applied Social Sciences Index and Abstracts)

ويمكنك الدخول عليها عبر مكتبة جامعتك .

(إذا كنت تدرس بإحدى الجامعات أو المعاهد العليا فعليك البدء باستخدام هذه الخدمات عن طريق المكتبة العامة لجامعةك أو معهدك . وبعض هذه الواقع يتطلب وجود ترخيص بالدخول تحصل عليه من مكتبة جامعتك . وفي كثير من الحالات توفر روابط من قاعدة البيانات لتحميل نسخة كاملة من المقال ، أو التقرير ، أو الكتاب الإلكتروني).

4- استشارة الخبراء: إذا كنت تدرس في مدرسة، أو معهد، أو جامعة، فالأرجح أن بين هيئة التدريس بعض "الخبراء" الذين يستطيعون إثراء تفكيرك في موضوع بحثك، بإلقاء أصواته الجديدة عليه. كما أن طاقم العاملين بالكتبة الجامعية، الذين يكونون عادة متخصصين في مجالهم، كثيراً ما يكونون على استعداد لإضافتك بخبراتهم.

مثال 1-2

أسباب فقر الأطفال: اختيار الكلمات المفتاحية

من المعروف أن اختيار الكلمات المفتاحية التي سيجري البحث على هديها يتطلب قدرًا من الخيال. وسبب ذلك ببساطة أنها لا تستخدم جميعنا نفس المصطلحات لوصف الموضوعات التي نود البحث عنها، كما أنه يحدث في بعض الأحيان أن يستخدم الباحثون والكتاب تعريفات مختلفة للمفاهيم المستعملة في كتاباتهم.

ويمكنك البدء باستخدام المصطلحات المفتاحية المتضمنة في سؤال بحثك، وهو ما في حالة مثل هذا البحث: "الطفولة" و"الفقر".

ولاشك أن البحث عن كل منها على حدة سوف يأتي بعد هائل من المصادر، التي قد تكون غير متصلة بموضوعك، من ذلك مثلاً أن البحث عن "الطفولة" وحدها قد يأتي لك ببحث عن أمراض الأطفال، وعن النمو النفسي للأطفال، وأنشطة اللعب عن الأطفال ... إلخ.

كما أن البحث عن "الفقر" وحده قد يأتي لك ببحث عن أوضاع الفقر في مختلف البلاد، وعن أنواع الفقر المختلفة، وأخيراً عن الفقر بين الكبار وبين الأطفال.

لذلك يكون من المفيد أن تبدأ بالربط بين المصطلحين عند البحث، وذلك باستخدام حرف العطف "AND"، لكي توضح أنك تريد البحث عن مصادر تشمل مصطلح "الطفولة و الفقر".

ولعلك تود بعد ذلك أن تركز البحث على "فقر الأطفال" "في المملكة المتحدة"، كإحدى الكلمات المفتاحية التي سوف تستخدمها.

على أنه سوف تتبقى - مع ذلك - بعض المقالات والبحوث التي قد تكون مفيدة لك، ولكنها لا تتضمن مصطلح "فقر الأطفال" في عنوانها، أو حتى داخل المقال نفسه. وربما يرجع ذلك إلى أن المؤلف قد استخدم في مقاله مصطلحات أخرى، مثل "الأطفال الفقراء"، وقد يرجع ذلك أيضاً إلى أن المقال يدور حول موضوع وثيق الصلة بمحاجل بحثك، ولكن بتوصيف آخر، مثل: "أطفال الأسر الفقيرة"، أو "الأطفال الذين يعيشون في مناطق محرومة"، أو "أطفال الطبقات الاجتماعية الدنيا". لهذا يتبع عليك القيام بمزيد من عمليات البحث.

وأخيراً هل أنت مهتم بالشباب بقدر اهتمامك بالأطفال؟ إذا كان الأمر كذلك، فسوف تجد مصادر تتعلق أساساً بفئة "سفر السن"، و"الراهقين"، و"الشباب"، وقد يكون بعضها مرتبطة بموضوع بحثك.

فكر في هذا الموضوع . . .

إذا كنت تجري بحثاً عن أنشطة وقت الفراغ الخاصة بكبار السن، فما الكلمات المفتاحية التي سوف تستخدمها في البحث عن دراسات وبحوث أخرى عن هذا الموضوع؟

استراتيجية البحث عن التراث المنشور

بعد أن تبدأ في جمع بعض التراث المنشور وقراءته، سيكون من المفيد أن تتأملها جيداً، ثم تضع خطة للتعامل معها:

(أ) ما الذي تبحث عنه، في ضوء الكلمات المفتاحية والموضوعات التي جمعتها؟
(ب) أي أنواع المصادر سوف تحرص على تضمينها في بحثك؟
(ج) كيف ستبحث عن موضوعك في تلك المصادر؟

والملاحظ أن طلاب البحث يفاجئون في البداية إما بالوفرة الهائلة في عدد المصادر التي توصلوا إليها، والتي بدا لهم أنها قريبة من موضوع بحثهم، أو بالقلة الشديدة في عدد المصادر التي يمكن أن تكون مرتبطة بموضوعهم. وفي كلتا الحالتين يكون الوقت قد حان لأن تركز على الدراسات السابقة الأكثر اتصالاً بموضوع بحثك أنت.

وأحد السبل الممكنة لتنفيذ ذلك أن تبدأ برسم شكل تخطيطي عنكبوتى مختلف عناصر موضوعك التى ت يريد أن يغطيها بحثك . واللاحظ فى أغلب الحالات أن هناك مجالين رئيسيين أو أكثر تدور حولها أسئلة بحثك . من ذلك مثلا: إذا كنت مهتما بدراسة العلاقة بين "فقر الطفولة" و "التحصيل الدراسي" (ربما متأثرا فى ذلك بالعناوين المنشورة فى الصحف ، والواردة فى برواز "البحث الواقعى" أدناه)؛ في هذه الحالة يتبعين عليك أن تراجع بدقة بعض الدراسات السابقة المتعلقة بفقر الأطفال وبالتحصيل الدراسي ، كل على حدة مبدئيا . على أنك قد لا تكون مضطرا إلى تفحص الدراسات السابقة المتعلقة بكل عنصر من عناصر الموضوعين . ويعرض المثال (2-2) بعض عناصر موضوعك التى يتبعين عليك أن تضمنها موضوع بحثك . وستلاحظ فى هذا المثال أن الموضوعات الموضوعة على حافة الدائرة ستزودك بالمعلومات الأساسية والخلفية العامة لاستعراضك للتراث ، بينما تمثل الموضوعات القريبة من مركز الدائرة عناصر موضوعك التى يتبعين عليك أن تركز عليها عندما تشرع فى تأمل العلاقة بين عنصرى البحث : فقر الأطفال والتحصيل الدراسي .

البحث الواقعى . . .

من موضوعات الإعلام : الحراك الاجتماعى فى بريطانيا ما زالت الثروة والتعليم الخاص هما مفتاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا

يرسم تقرير الحلقة النقاشية التى شاركت فيها كل الأحزاب - والتى رأسها الوزير السابق آلان ملبورن - صورة رهيبة لبلد تمثل فيه ثروة الأسرة ، والتعليم الخاص ، وأسبقية الالتحاق بالجامعات ؛ تمثل مفتاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا ذات الدخول العالية . . .

... وتدل التقديرات على أن ٢٩ % فقط من طلاب الجامعات و ١٦ % فقط من طلاب جامعات «مجموعة راسل» ينتمون إلى أوساط اجتماعية اقتصادية متدينة ، رغم أن شباب تلك الأوساط المتدينة يمثلون ٥٠ % من إجمالي عدد الشباب فى بريطانيا .

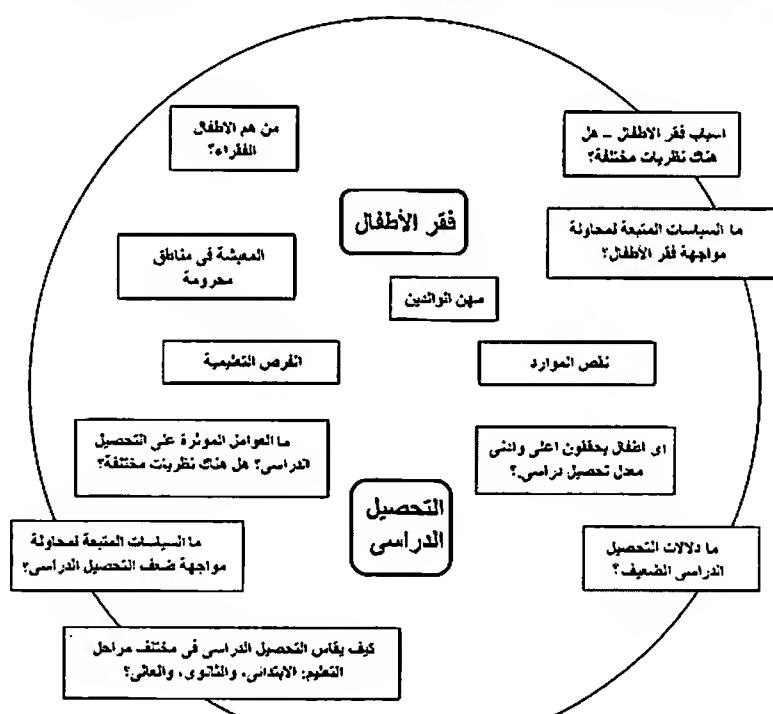
وتشير صحيفة «الجارديان» البريطانية في هذا المقال إلى تقرير لمجلس الوزراء صدر عام 2009 بعنوان «إطلاق الطموح: التقرير النهائي عن إتاحة فرص عادلة للالتحاق بالمهن التخصصية العليا»، الذي يمكن الرجوع إليه على الموقع التالي:

www.cabinetoffice.gov.uk/strategy/work_areas/accessprofessions.aspx

(آخر دخول على الموقع بتاريخ العاشر من أغسطس 2009).

المثال 2-2

فقر الأطفال والتحصيل الدراسي : البحث عن التراث المنشور



شكل (1-2) فقر الأطفال والتحصيل الدراسي

وستلاحظ أن أغلب عمليات البحث عن التراث المنشور تزداد تركيزاً وتحديداً كلما تقدم مسارها، وكلما ازدادت درجة وضوح أسلمة البحث. ويجد كثير من طلاب البحث أن موضوع البحث المبدئي يكون شديد الاتساع والعمومية، على نحو ما ترى في المثال الذي قدمناه عن فقر الأطفال والتحصيل الدراسي. وبعد العثور على الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، والاطلاع عليها ودراستها؛ بعد ذلك تضيق وتحدد بؤرة البحث وتصبح أكثر وضوحاً. ففي المثال المعروض قد يقرر الباحث قصر موضوعه على مرحلة واحدة من مراحل التعليم - الابتدائي أو الثانوي أو العالي - كما قد يرى التركيز على دراسة خبراء الأطفال إحدى جماعات الأقليات الإثنية. وقد يختار طالب آخر أن يركز بحثه على دراسة تأثير الفرص التعليمية في إحدى المناطق المحرومة، أو يركزه على أثر الوالدين - الذين يتسمون إلى أوسع اجتماعية اقتصادية مختلفة - على التحصيل الدراسي لأطفالهم. وهكذا ترى أن الشكل التخطيطي المعروض في المثال (2-2) ليس سوى نقطة البداية فقط.

ولا شك أن اختيارك لموضوع البحث هو الذي سيحدد مختلف أنواع المراجع والمصادر التي قد تقرر تضمينها استعراضك للتراث المنشور. فاستعراض التراث الذي يركز على السياسات المتبعة قد يتضمن التعرض لبعض الوثائق الرسمية. أما إذا كان عرض التراث سيركز على القضية الاجتماعية الراهنة، فسوف تحتاج في هذه الحالة إلى البحث في وسائل الإعلام المعاصرة للحصول على البيانات والتوجهات المطلوب عرضها. ولكن سيكون من المفيد ولا شك أن تبحث عن المصادر الم肯نة للتراث المنشور، فضلاً عن قوائم المكتبات العامة، وقواعد البيانات الإلكترونية، وذلك لكي تقرر في البداية حجم ونوع التراث المنشور الذي يمكنك الوصول إليه.

وتتأكد أن كل دراسة سابقة سوف تقودك إلى دراسة أخرى. ذلك أن كل كتاب، أو مقال، أو تقرير بحثي يتضمن - بطبيعة الحال - قائمة بالمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في عمله هذا، وسوف تقودك هذه المراجع إلى مصادر أخرى.

الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمي

القراءة

سبق أن أشرنا إلى أنك ستتعرّف على عدد كبير من المصادر التي يمكن أن تكون مفيدة ل موضوع بحثك . وسيكون معنى هذا أن أمامك قدر هائل من المواد التي يتعين قراءتها خلال مدة زمنية قصيرة . لهذا يحسن تبني أسلوب مرکز في القراءة ، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على اختيار الدراسات الأكثر نفعاً لك في بحثك ، وذلك بأن تركز في تلك الدراسات على أجزاء المقال أو فصول الكتاب أو التقرير التي ترتبط ببحثك مباشرة .

فك في هذا الموضوع . . .

تبني أسلوب التركيز في القراءة

عليك قبل أن تبدأ القراءة :

- أن تلقى نظرة سريعة على الكتاب أو المقال إجمالاً ، مع الانتباه إلى بنائه ، وعناوين موضوعاته .
- اقرأ أي مقدمات منشورة فيه ، وكذلك صفحات الملخصات (ملخصات الفصول أو الأبواب) وفيه المحتويات .
- إذا كان العمل يحتوى على كشاف موضوعات ، فاستخدمه في معرفة الفصول التي يمكن أن تكون ذات فائدة لك .
- أسأل نفسك : لماذا أقرأ هذا ؟
- قرر بعد ذلك ما الفصول أو الأجزاء التي ستقوم بقراءتها ؟

ثم يتعين عليك بعد ذلك :

- اقرأ قراءة سريعة بدايات كل فقرة لتعرف على اتجاه الفصل .
- حدد مرة أخرى : هل سيكون هذا الجزء مفيداً لي ؟
- اقرأ الفصل / أو الفقرة بعناية ، وفي ذلك موضوع بحثك ، مع تدوين ملاحظات عن المادة المرتبطة ببحثك .
- لا تنس أن تدون أرقام صفحات النقاط أو الأفكار أو الاقتباسات التي قد تتوى استخدامها لاحقاً . وانتبه إلى الأجزاء أو الفصول التي تنوى العودة إلى قراءتها فيما بعد .
- سجل بكل دقة بيانات المرجع المستخدم كاملة .

عملية التسجيل

من الواضح أنه لا مبرر لكل هذه القراءات وتقديرها ما لم تسجل كل ذلك بدقة ونظام . ولا يكفي إطلاقاً أن تقنع بعمل قائمة بعنوانين تلك الكتب وأسماء مؤلفيها . وأقل ما يمكنك عمله أن تسجل كل البيانات البليوجرافية ، التي ستحتاج إليها فيما بعد عند إعداد قائمة المراجع أو قائمة بليوجرافية بالبحوث المشورة في الموضوع ، أو كتابة الفصل الخاص بالدراسات السابقة . ولتأكد من أنك تسجل كل المعلومات الالزام ، يتبعين أن تحدد في البداية نظام توثيق المراجع الذي يفترض أن تستخدمه ، وأن تحدد كذلك العناصر المعلوماتية الالزام لإثبات المرجع بشكل واف .

على أن ذلك ليس سوى الحد الأدنى لما هو مطلوب منك ، إذ الأرجح أنك ستحتاج إلى تسجيل معلومات إضافية عن مصادر المادة (المراجع) ، واللاحظات التي دونتها ، وربما بعض الاقتباسات ، وبعض الآراء المحورية ، بحيث تستطيع العودة إليها فيما بعد عندما شرع في كتابة فصل الدراسات السابقة . ولا حظ هنا أن تخان طريقة التسجيل التي تناسب أسلوبك في العمل كشخصية فردية . وهناك كثير من الناس يقعنون بنوع من نظام التسجيل الورقي . ويتوقف تعقيد هذا النظام وصعوبته على حجم المشروع ومدى تشعبه وتعقيده . فالنسبة لإعداد مقال علمي ، سوف يعمد غالبية الباحثين إلى استخدام مفكرة أو "نوتة" عادية ، وقد تكون البطاقات المفهرسة أكثر جدوى بالنسبة لمن يعد رسالة جامعية للماجستير والدكتوراه .

وإلى جانب ذلك هناك طرق أخرى لتسجيل تلك البيانات ، كما أن هناك برامج كومبيوتر يمكن أن تساعد في ذلك . ومن أنواع هذه البرامج : Endnote ، Citation ، Bookends ، Biblioscape ، Papyrus and Procite على قواعد بيانات مصممة سلفا ، يمكنك أن تدخل عليها معلومات عن المرجع الذي سوف تحتاج إليه عند الكتابة . ونقطة القوة في مثل هذه البرامج الجاهزة هي قدرتها على إخراج هذه المعلومات التي تتبع طرق أو أساليب إحالة مختلفة ، مثل نظام هارفارد أو نظام APA . ولكن مع كل المزايا فإنه يعييها أمر مهم : فكل هذه البرامج الجاهزة مكلفة ، ويستغرق تعلمها وقتاً طويلاً . تأكد أولاً مما إذا كان مرخصاً لجامعتك أو كليةك باستخدام هذه البرامج ، بحيث يسمح لك باستخدامها مجاناً (أو بأسعار رمزية) بالنسبة لك كطالب .

ونحن لا نوصيك هنا باستخدام نظام معين، ذلك أن المساعدة التي يقدمها الموقع يمكن أن تكون أكثر أهمية من الميزات الخاصة لهذا البرنامج أو ذاك. فالقلم والورقة أو البطاقة المفهرسة يمكن أن تخدمك بنفس الكفاءة، لذلك ننصحك باستخدام النظام الذي يناسبك. ولا تنسى أن بعض الطلاب الذين لهم دراية بـتكنولوجيا المعلومات قد يفضلون أن يصمموا قاعدة البيانات البليوجرافية باستخدام عوامل مساعدة أخرى مثل برنامج قاعدة بيانات مايكروسوفت Microsoft's Access.

عرض الدراسات السابقة

بعد أن تفرغ من الاطلاع على الدراسات السابقة، ستجد أمامك عدة طرق لتقديم هذا التراث، وسيتوقف اختيارك على طبيعة مشروعك البحثي. فإذا كنت تعد بحثاً للخريج من البكالوريوس، أو رسالة للماجستير والدكتوراه سوف تناقشها لجنة علمية، في كلا الحالتين سيكون مطلوباً منك كتابة فقرة في البحث أو فصل في الرسالة لاستعراض التراث المنشور ومناقشته. أما إذا كنت بقصد كتابة تقرير عن بحث أجريته، فطبعي أن يختلف الأمر، وقد يكون كل المطلوب هو أن تستخدم الدراسات السابقة في موضوعك كخلفية أو مادة إطارية للتقرير، أو أن تذيل تقرير البحث بقائمة بليوجرافية مشروحة بالدراسات السابقة. وفيما يلى تأمل بإيجاز كل أسلوب من هذه الأساليب.

عرض ومناقشة الدراسات السابقة

يمثل الفصل الخاص باستعراض الدراسات السابقة جزءاً أو فصلاً مهماً من بحث البكالوريوس أو الرسالة الجامعية، ويأتي في العادة قريباً من صدر البحث أو الرسالة، بعد المقدمة وقبل فصل النهج. ولرب الموضع في فصل الدراسات السابقة أنه المكان المناسب لتطوير الأفكار العامة في الموضوع بشكل مبدئي، والتعمق فيها باستخدام الدراسات السابقة، مع التركيز بشكل خاص على البحث الذي تكتب عنه. وبهذا يمثل فصل الدراسات السابقة حلقة الوصل بين مقدمة بحثك وتساؤلات هذا البحث وقضايااته النهجية. وهناك عدة طرق مختلفة يمكن اتباعها في استعراض الدراسات السابقة، والطريقة الأوسع انتشاراً هي تقديم تعريف عام لموضوع بحثك، بما في ذلك استعراض الإطار التاريخي ثم الوضع الراهن للبحث في الموضوع، وذلك قبل

الانتقال إلى إلقاء الضوء على مجالات بحثك بشكل متعمق ، وبذلك تحول تدريجيا إلى التركيز على مجال البحث الذي تقوم بإجرائه .

ويقوم استعراض التراث على كتابة مناقشات موجزة ، أو مقالات مختصرة ، يكون التركيز فيها على المجالات الرئيسية لموضوعات البحث ، و تستمد من تلك الدراسات السابقة الشواهد التي تعتمد عليها في تأكيد الآراء التي تبديها . ومن الواجب أن تلتزم في عرض مادة الدراسات السابقة توجها نقديا ، وأن تتخذ جانب الحذر ، وأن تتبين قيمة المصدر الذي تستخدمه ، و نقاط القوة والضعف التي يتسم بها بالنسبة للعرض الذي تقدمه .

المثال 2-3

فقر الأطفال والتحصيل الدراسي

تنظيم استعراض الدراسات السابقة

1 - نظرة عامة على الإطار التاريخي لدراسة الموضوع وتحديد أهم القضايا المعاصرة .

2 - ما فقر الأطفال؟

(أ) الطرق المختلفة لتعريف الفقر .

(ب) أي أنواع الأطفال هم الذين يعانون من الفقر؟

(ج) ما نظريات تفسير أسباب فقر الأطفال؟

(د) ما الآثار الناجمة عن فقر الأطفال؟

3 - ما المقصود بالتحصيل الدراسي؟

(أ) كيف يتم قياس التحصيل الدراسي؟ وكيف يتم ذلك القياس في مراحل التعليم المختلفة؟

(ب) ما سمات أصحاب أعلى وأدنى الدرجات؟

(ج) ما العوامل التي تؤثر على تحصيل الطفل الدراسي؟

(د) ما عواقب ذلك بالنسبة لعيشة أولئك الأطفال في فقر؟

4- استعراض الدراسات السابقة التي تربط بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسي.

(أ) ما النتائج الرئيسية لتلك الدراسات؟ وما القضايا التي جرى طرحها فيها؟

(ب) ما قضايا السياسة والممارسة التي ترتبط بتلك العلاقات بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسي؟

(ج) ما آثار تلك البحوث، والسياسات، والممارسات على الأطفال المتنميين إلى جماعة إثنية معينة من تلك التي تعاني الفقر في الطفولة؟

5- استعراض النتائج حيث يتم المزج بين استعراض الدراسات السابقة وطرح أسئلة بحثك أنت.

عرض التراث المنشور كإطار

العادة أن عرض التراث في أي تقرير بحثي يكون أقصر كثيراً، وأنه سيركز بالأساس على الإطار العام للبحث السابقة، ولماذا اعتبرت دراسة مثل هذا الموضوع أمراً ضرورياً، وخلفيات تلك الدراسة. وفي هذه الحالة يتبعن الإحالات إلى عدد من تلك الدراسات السابقة، وعرض موجز لوجهات النظر الرئيسية التي طرحتها، أو تقديم عرض موجز لنتائج تلك البحوث مع تقديم قائمة بالمراجع التي تمكّن القارئ من الرجوع إلى تلك المصادر إذا رغب في ذلك.

القائمة البليوجرافية المشروحة

قد تكون القائمة البليوجرافية المشروحة لازمة كجزء من الرسالة الجامعية (للماجستير والدكتوراه) أو في بعض البحوث الأخرى. وهذه القائمة هي ببساطة

عبارة عن قائمة من المراجع التي تثري دراسة موضوع معين، ويعقب كل مرجع فقرة قصيرة تتضمن موجزاً مختصراً للدراسة، أو نتائجها الرئيسية، أو وجهات النظر التي تطرحها، مع تقدير لقيمة كل ذلك بالنسبة لدراسة هذا الموضوع. وهكذا يتم تقييم كل مرجع على حدة، إذ ليس هناك أى مناسبة لمقارنة نتائج الدراسات المختلفة، أو استعراض الفروق بين المراجع الواردة في القائمة.

عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

لاحظ أن مراجعة التراث عملية مستمرة، وأنك سوف تعود إليها في مراحل مختلفة من البحث. فالقراءة الأولية للبحث السابق ستعمل على إثراء أفكارك عن موضوعك وتساعدك على بلورتها وبلورة أسئلة بحثك التي تنوى طرحها. (انظر الفصل 4 من الباب 1). ثم يؤدى اضطراد البحث في التراث والتدقير فيه إلى المساعدة على توضيح مجال البحث والتركيز بشكل متزايد على تساؤلات البحث ، الأمر الذى سيمكنك من البدء فى تحديد تصميم البحث (الفصل 3 من الباب 2)، والبىت فى كيفية اختيار عينة البحث (الفصل 5 من الباب 2)، وطرق جمع البيانات (الباب الثالث). كما أن مراجعة التراث المنشور سوف تثري تحليلك ، وتساعدك على التخطيط للنهج الذى ستتبعه فى التحليل ، وتحديد الموضوعات الأساسية أو القضايا التى ستحرص على التعاملها وسط نتائج الدراسات السابقة (الفصل 1 من الباب 4). وفي مرحلة مناقشة النتائج ستجد أنه من المفيد لك الرجوع إلى الدراسات السابقة لاستكشاف من أى النواحي تختلف، أو تتفق نتائج بحثك مع النتائج التى انتهت إليها الدراسات السابقة، أو لكي يساعدك ذلك على تفسير نتائج بحثك فى ضوء النظريات والنتائج التى انتهت إليها الآخرون .

البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث:

القراءة الأولية:

الشكل التخطيطي «العنكبوتى»
يبين عناصر
موضوعك

الكلمات المفتاحية:

القوائم، وقواعد
البيانات، وأدوات
البحث:

خطة عرض التراث
المنشور:

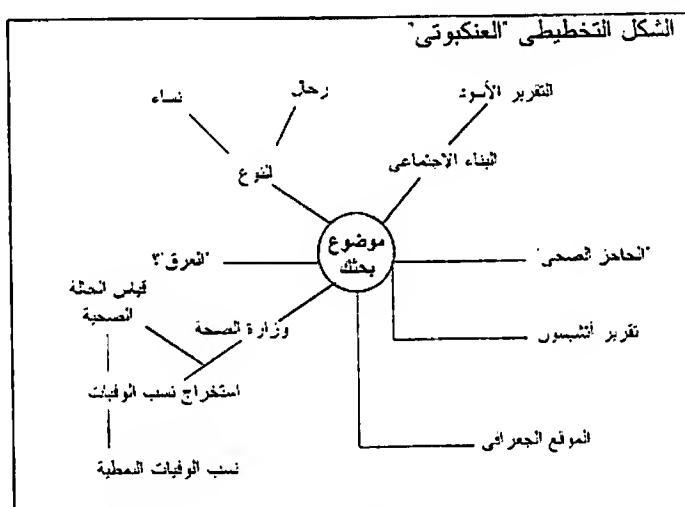
البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث: عدم تكافؤ فرص الرعاية الصحية

السياسة الصحية للمملكة المتحدة، العدد الخاص
من صحيفة الجارديان بتاريخ 2/10/2009،
التقرير الأسود 1980.

القراءة الأولية:

الشكل التخطيطي «العنكبوتى»



الكلمات المفتاحية:	عدم تكافؤ الفرص
الصحة	وزارة الصحة
الوفيات	النسب

القواعد، وقواعد البيانات، وأدوات البحث:	Assia	Library	Bids	Medweb
---	-------	---------	------	--------

خطة عرض التراث المنشور: التاريخ - القياس -	التقارير - القضايا المثارة حاليا
--	----------------------------------

المراجع وقراءات للاستزادة

- Alcock, P., Erskine, A. and May, M. (eds) (2008) *The Student's Companion to Social Policy*, 3rd edn. Oxford: Blackwell.
- Berg, B. L. (2007) *Qualitative Research Methods for the Social Sciences*, Boston: Pearson Education.
- Hart, C. (1998) *Doing a Literature Review: Releasing the Social Science Research Imagination*, Buckingham: Oxford University Press.
- Hart, C. (2001) *Doing a Literature Search: A Comprehensive Guide for the Social Sciences*, London: Sage.
- Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.
- Ticehurst, G. W. and Veal, A. J. (2000) *Business Research Methods: A Managerial Approach*, Frenchs Forest: Longman.
- Wintour, P. (2009) Britain's closed shop: damning report on social mobility failings, *Guardian*, 21 July.

الفصل الثالث

تصميم البحث

محتويات الفصل

- أوجه التشابه والاختلاف .
- العلاقات .
- كفى أم كم؟
- مستوى الدراسة ووحدتها .
- اختبارات جودة البحث .
- تصميمات البحث .
- استراتيجيات البحث .
- أي التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

تنقل الآن من مرحلة التفكير في اختيار موضوع البحث إلى مرحلة التفكير في كيفية دراستك لهذا الموضوع . وتعتمد عملية تصميم البحث على جميع الاستعدادات التي قمت بها ، كما أنها ستفيتك في وضع إطار شامل للبحث الذي ستجريه . وبناء على تصميم بحثك ستقوم باختيار طرق جمع البيانات التي سوف تستخدمها (الفصل 4 من الباب 2) وستحدد كيفية اختيار المبحوثين أو الحالات التي سيجرى دراستها (الفصل 5 من الباب 2) ، وذلك قبل وضع مقترن مشروع البحث (الفصل 6 من هذا الباب 2) .

تعنى عملية تصميم البحث أن تعود إلى تساولات بحثك (الفصل 4 من الباب 1) والتفكير فيما تأمل أن تفعله بالبيانات التي ستقوم بجمعها لكي تتمكن من الإجابة على تلك التساؤلات. وفي هذا الفصل سنتخذ مثلاً للبحث موضوع: «الطلاب وتناول المشروبات الكحولية في مؤسسات التعليم العالي».

البحث الواقعي

الطلاب وتناول المشروبات الكحولية في مؤسسات

التعليم العالي

نقلًا عن أخبار هيئة الإذاعة البريطانية BBC بتاريخ 31/3/2008:

صرح اتحاد طلاب جامعة ليفربول أنه لن يشجع بعد الآن تقديم مشروبات كحولية مخفضة السعر تخفیضاً كبيراً في حفلات السمر حرصاً على صحة الشباب لتناولها.

نقلًا عن صحيفة الجارديان بتاريخ 27/3/2009:

تلقى الحكومة طلبات برفع سعر المشروبات الكحولية، بعد أن ثبّتت البحوث أن الشباب في المملكة المتحدة يعانون أعلى معدلات تعاطي المشروبات الكحولية في حفلات السمر، والسكر، وسائل المشكلات المرتبطة بتعاطي الكحول على مستوى القارة الأوروبية.

المصدر: أخبار BBC [2008]، وسميثرز [2009].

ووفقاً لسؤال بحثك وفرضك البحثية التي اخترتها، سيكون عليك أن تسعى إلى جمع البيانات التي من شأنها أن تساعدك على ما يلى:

(أ) وصف الموقف الراهن (أو الماضي): ويعنى ذلك هنا توضيح طبيعة ومقدار تعاطي المشروبات الكحولية بين مختلف الجماعات الطلابية وفي شتى الظروف .

(ب) تفسير أوجه الاختلاف والتشابه بين مختلف الجماعات الطلابية والظروف عن طريق وضع يدك على العلاقات العلية المحتملة.

(ج) استكشاف دلالات البيانات التي جمعتها للبحث عن الأسباب المحتملة للفروق

بين مختلف جماعات الطلاب والظروف ، وذلك سعيا وراء بلوحة بعض الأفكار المتعلقة بأسباب تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية ، وأراوهم فيما إذا كانوا يعدون ذلك «مشكلة» وأسباب ذلك .

ويمكن القول - على وجه العموم - إن ما ستفعله ببيانات البحث الاجتماعي يندرج تحت فئتين اثنتين هما : البحث عن أوجه التشابه والاختلاف ، والبحث عن العلاقات ؛ فهذان البندان يشكلان الأساس الراسخ لتصميم بحثك .

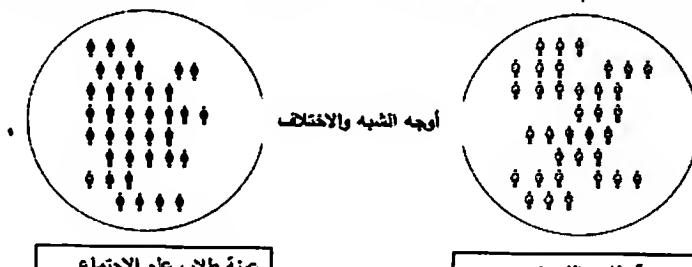
أوجه التشابه والاختلاف

عليك إما أن تختار البحث عن الفروق (أو أوجه الاختلاف) بين جماعتين أو أكثر من الأفراد أو الظروف ، أو تختار استكشاف التغيرات التي حدثت عبر الزمن . وفي كلا الحالتين سيكون عليك أن تجمع بيانات يمكن المقارنة بينها بخصوص الجماعات المختلفة ، أو الظروف المتباينة أو الفترات الزمنية المتتابعة ، وذلك لكي تتمكن من اكتشاف الفروق أو التغيرات .

المثال 1-3

الطلاب والمشروبات الكحولية أوجه التشابه والاختلاف

قد تسعى إلى اكتشاف أوجه الاختلاف في كميات الكحول التي يتعاطاها الطلاب من عدة جماعات مختلفة ، أو طلاب التخصصات المختلفة ، أو في ظل ظروف مختلفة . من ذلك مثلاً أن تختار عينة من الطلاب الذين يدرسون علم الاجتماع ، وعينة أخرى من الطلاب الذين يدرسون الفيزياء ، ثم تحاول استكشاف أوجه التشابه والاختلاف بين الجماعتين الطلابيتين ، ثم تعمل على التفسيرات المحتملة لتلك التشابهات والاختلافات .



شكل (1-3) عينتان

العلاقات

تتمثل الخطوة التالية في أن تنتقل إلى البحث عن العلاقات بين السمات أو التغيرات المختلفة، مثل: الفئات العمرية، والنوع، والانتماء الإثني، والدين، والوضع المالي... إلخ.

وعندما تكون بقصد البحث عن العلاقات، سيكون عليك أن تتفحص البيانات التي جمعت من عدد من الحالات لتصنع بذلك على أي مؤشرات تدل على وجود (أو عدم وجود) ارتباط بين بعض السمات والتغيرات. وربما تعمد إلى تأسيس هذا النوع من تصميم البحث بفرض يتصور العلاقة بين متغيرين. كما يمكنك - بدلاً عن ذلك - أن تبلور سؤالاً بحثياً يهدف إلى استكشاف العلاقات الممكنة بين التغيرات المختلفة، وأن تقوم بعملية تنميط (انظر قائمة المصطلحات)، أو تحديد النموذج الشائع لارتباط بعض المتغيرات ببعضها.

المثال (2-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية

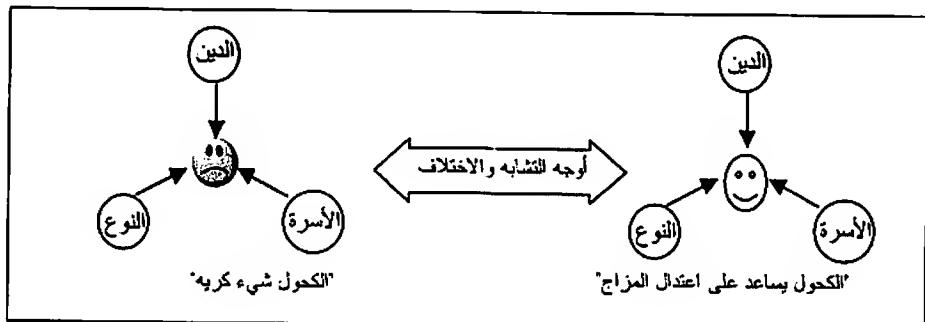
العلاقات بين المتغيرات

عليك أن تبين ما إذا كان ثمة ارتباط بين بعض سمات أفراد الجماعة الطلابية واتجاهاتهم إزاء تعاطي الكحول. ولذلك قد تفحص العلاقات المحتملة بين بعض التغيرات، مثل: الديانة، والظروف الأسرية، والنوع من ناحية، والاتجاهات المختلفة إزاء تعاطي المشروبات الكحولية من ناحية أخرى.

وهذا التصميم يتسم بقدر غير قليل من التعقيد، وذلك لأن عليك:

(أ) أن تتبين العلاقات الممكنة بين اتجاه معين إزاء المشروبات الكحولية، وديانة الطالب، ونوعه، وظروفه الأسرية.

(ب) عقد مقارنة (أى البحث عن أوجه التشابه والاختلاف) بين الطلاب الذين يبنون هذا الاتجاه من ناحية ، والطلاب الذين لهم اتجاهات أخرى من ناحية ثانية.



الشكل (2-3) : مقارنة العلاقات بين الديانة ، والنوع ، والظروف الأسرية ، والاتجاهات إزاء تعاطي المشروبات الكحولية بين طلاب ذوى توجهات مختلفة .

يبدو واضحا من الشكل (2-3) أن البحث سيغطي غالبا مختلف جوانب هذين التوجهين لكي يمكن معالجة التعقيد الذى تتسم به تساؤلات البحث .

بحث

في ضوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية حاول استخدام النموذج التخطيطي المستخدم في المثال (2-3) لكي توضح العلاقات ، وأوجه التشابه والاختلاف التي تهمك في البحث .

كيفى أم كم؟

لا يتوقف تصميم البحث على ما إذا كنت مستخدم طرقا كمية ، أم كيفية ، أم مختلطة (كمية وكيفية معا) (الفصل 4 من هذا الباب) فى عملية جمع البيانات وفي التحليل . ذلك أن قرار تبني طرق كيفية أو كمية يرجع أساسا إلى سؤال بحثك ، وإلى طبيعة البيانات التى تنوى جمعها وتحليلها فى سبيل الإجابة عن تساؤل البحث (الفصل 3 من الباب 1 ، والفصل 4 من هذا الباب) . لذلك فإن كافة أنواع التصميم البحثى المعروضة هنا يمكن أن تشكل الإطار العام لعمليات جمع البيانات والتحليلات سواء

كانت كمية أو كيفية، أو حتى ذات توجه مختلط . ومع ذلك سوف تتبيّن لاحقاً أن بعض أنواع التصميم البحثي أميل إلى استخدام الطرق الكيفية أو الكمية .

مستوى الدراسة ووحدتها

من الممكن أن تدرس موضوع بحثك على عدة مستويات مختلفة . فبوعنك أن تجري دراسة مقارنة عن مواقف بعض الدول ، أو الأديان ، أو المدن من موضوعك ، وكيف تُصنع السياسات التي تستهدف خدمة هذه المواقف . كما يمكنك - من ناحية أخرى - أن تهتم بسلوكيات أو خبرات أو آراء بعض الأفراد أو الأسر بهذا الموضوع . معنى ذلك أن جزءاً من تصميم بحثك يتمثل في تحديد مستوى وطبيعة الوحدة التي ستجمع منها البيانات وتدير حولها التحليلات التي تستهدف الإجابة على سؤال بحثك . فقد تقوم بجمع بيانات عن بعض الدول ، أو الجامعات ، أو الأسر ، أو الأفراد ، مما وحدة الدراسة (انظر قائمة المصطلحات) التي ستجمع عنها البيانات؟ والمعتاد أن يجري البحث الاجتماعي على أحد المستويين :

- إما المستوى الميكرو (المحدود) الذي يركز على الفرد بوصفه «الفاعل الاجتماعي» .
أو
• على المستوى الماكرو (الكبير) الذي يركز على منظمة ، أو كيان اجتماعي كبير ، أو نسق ، أو بناء .

على أن الأغلب أن أي باحث لن يستطيع معالجة تساولات بحثه على الوجه الأكمل دون اللجوء إلى جمع البيانات من الأفراد . وبيانات عن المنظمات أو البيئات التي يعيش فيها أو لئك الأفراد . وهناك بعض تصميمات البحث (انظر مثلاً تصميماً دراسة الحالة الوارد أدناه) التي تشمل في العادة جمع البيانات على أكثر من مستوى ، فعلى المستوى الماكرو يجمع مثلاً بيانات عن منظمة ، وعلى المستوى الميكرو يجمع بيانات عن الأفراد العاملين لحساب تلك المنظمة . معنى ذلك أن بيانات البحث تجمع من أكثر من وحدة تحليل واحدة . على أن المهم أن طرق جمع وتحليل البيانات تختلف باختلاف مستويات التحليل ووحدات الدراسة . ولذلك يتبعن عليك أن تفكّر في كيفية تحليل مجموعات البيانات المختلفة ، وكيف ستعرض نتائجها؟

المثال (3-3)

الطلاب والمشروعات الكحولية

مستوى التحليل ووحدة الدراسة

بعض مستويات ووحدات التحليل الممكنة

المستوى الماكرو (الكبير): البلد، والجامعات، والأقسام العلمية، والجماعات الطلابية، والمجتمعات.

المستوى المايكرو (المحدود): مجموعات السنوات الدراسية، طلاب الليسانس، طلاب الدراسات العليا، الطلاب المقيمون مع أسرهم، الطلاب المقيمون في المدينة الجامعية، أو خارج المدينة.

بحث

فكر في الموضوع الذي تنوى دراسته، ثم اكتب قائمة بمستويات وحدات التحليل المحتملة:

على المستوى الماكرو: -----

على المستوى المايكرو: -----

اختبارات جودة البحث

عليك أن تراعي مختلف جوانب جودة البحث طوال عمليات تصميم البحث، واختيار طرق البحث، وعينة الدراسة. وتعنى هذه العملية في جوهرها اختبار قيمة بحثك في ضوء بعض معايير البحث الاجتماعي التي تضمن أن يكون بحثك على مستوى جيد. ولذلك يجب أن تستطيع في نهاية الأمر أن تثبت أن البحث الذي أجزته، والنتائج والمناقشة التي قدمتها تنهض على بحث تم تصميمه وتنفيذها وفقاً لتلك المعايير. ويستخدم الباحثون البيانات أداة لفهم الواقع الاجتماعي (الفصل 3 من الباب

1)، ولهذا يتحتم أن نقدّر ما إذا كانت تلك البيانات تؤدي المهمة المرجوة منها على الوجه الصحيح كبديل أو شبيه للواقع الاجتماعي الذي تعبّر عنه. ولکى نتمكن من تقدير جودة البيانات، لابد أن نأخذ في اعتبارنا طريقة تصميم البحث على نحو يضمن أن جمع البيانات، وتحليلها، وعرضها ينصب فعلاً على معالجة تساؤلات البحث وفرضه بالطريقة التي كنا خططنا لها. لذلك يجب تقييم تصميم البحث في ضوء تساؤلات بحثك وفرضه وفقاً لمعايير الصدق والثبات، وقابليتها للتعميم أو التحويل (أى من مستوى وحدة الدراسة إلى مستوى أعلى أو أدنى). وسوف نستخدم هذه المفاهيم - في هذا الفصل - لاستعراض قضايا جودة البحث في كل نوع من أنواع تصميمات البحث التي تناولها. كما سترد إشارات إلى تلك القضايا بمناسبة الحديث عن عملية جمع البيانات (الباب 3) وتحليلها (الباب 4) أيضاً.

بحث

ملاحظة مهمة

تذكر عند التفكير في جودة تصميم بحثك ما يلى : من شأن معايير الجودة أن تساعدك على أن تفكّر - بأسلوب نقدي - في خطط بحثك ، وأن تتبين نقاط القوة ونقاط الضعف في تصميم بحثك ، وفي الطرق التي اتبعتها في جمع البيانات وتحليلها . وتأكد أنك لن تكون قادرًا على أن «تؤشر بعلامة (✓) في كل الخانات ». إن ادعاءاتك بشأن نتائج بحثك ستكون محدودة بالضرورة ، وهو ما يتبعه عليك الاعتراف به وتفسيره . وسيكون مثل هذا المسلك محل تقدير أكبر مما لو قدمت عرضًا غير نقدي للنتائج يدعى ما يتجاوز الحقيقة فعلاً .

تصميمات البحث

نستعرض في هذا الفصل أربعة أنواع رئيسية من تصميمات البحث ، هي: التجاربي ، والمسحى المقارن ، والتتبعى (الطولي) ، ودراسات الحاله . ثم ننتقل بعد ذلك إلى تناول أربع استراتيجيات بحثية تعد تنويعات على هذه التصميمات البحثية ، والتي تناسب أنواعاً معينة من التساؤلات البحثية ، وهي: الاستراتيجية المقارنة ، وبحوث التقييم ، والطريقة الإنتوجرافية ، والنظرية الموثقة .

تصميم البحث التجريبي

نستهل هذا العرض بالحديث عن التصميم التجريبي للبحث ، وهو - للمفارقة - التصميم الأقل احتمالاً أن تصادفه أو تستخدمه في الممارسة الفعلية للبحث الاجتماعي . ومع ذلك توجد مبررات قوية للبدء بهذا النوع من التصميم ، وذلك لأن بعض خصائص التصميم التجريبي تشكل الأساس الذي تقوم عليه بعض الأنواع الأخرى التي تستوفي معايير البحث الجيد ، والتي تنفع الباحثين الاجتماعيين .

التصميم التجريبي يمثل - إذن - أساس القسط الأكبر من البحث الاجتماعية ، وهو ينطلق من فرض مؤداته أن المادة أو الحالات التي ندرسها يمكن إدخال بعض تعديلات عليها بمعرفة الباحث ، على نحو أو آخر ، بما يتيح قياس ما يطرأ من تغيرات أو فروق عقب هذا التغيير . من ذلك مثلاً : يمكن إضافة مادة كيميائية إلى أنبوبة اختبار بها ماء ، فينطلق منها غاز يمكن معرفته ، وقياس كميته . ومثال آخر : يتم فيه تعریض بعض النباتات المتماثلة لكميات متفاوتة من الضوء ، وبعد ذلك يقيس الباحث معدلات نمو كل فئة وفقاً لمقدار الضوء الذي تعرضت له . ففي هاتين التجربتين وأمثالهما يقوم الباحث عامداً بإدخال شيء على شيء آخر ، لكي يستثير رد فعل أو استجابة معينة ، وبعدها يقوم بقياس هذه الاستجابة .

على أنه قد لا يكون بوسعنا في أغلب الأحيان أن نتدخل في مصادر البيانات بهذه الطريقة ، خاصة في البحوث الاجتماعية . فنحن لا نستطيع - مثلاً - أن نحرم طفلاً من التعليم المدرسي ، لكي نرى كيف سينمو وتطور حياته بدون تعليم مدرسي .

والسبب في ذلك أن مثل هذا الأمر - لو حدث - يعد شديد البعد عن القواعد الأخلاقية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيكون تصرفًا غير عملي وغير مفيد لأن هناك جوانب أخرى عديدة في الحياة الطبيعية للطفل التي ليس بوسعنا التحكم فيها أو التأثير عليها . فالأطفال يرثون عديداً من المهارات والقدرات ، وقد يحصل بعض أولئك على التعليم منزلياً من آبائهم ، وطائفة أخرى قد لا تلقى - من هذه الناحية - أي اهتمام من جانب الوالدين . معنى ذلك أن نتائج تجربتنا لن تكون حاسمة ، لأننا لن نستطيع التحكم في كافة المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على كل طفل .

وعلى الرغم من ذلك هناك سبل أخرى يمكن بها الاستفادة من الخصائص الرئيسية للتجربة عند تصميم البحث الاجتماعي ، بحيث تجعل الموقف البحثي قريباً من الموقف التجريبي .

ذلك أن لكل تجربة في العادة عنصران رئيسيان:

1 - **الجماعة التجريبية** (انظر قائمة المصطلحات): وهي مجموعة الأفراد أو المواد التي يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما .

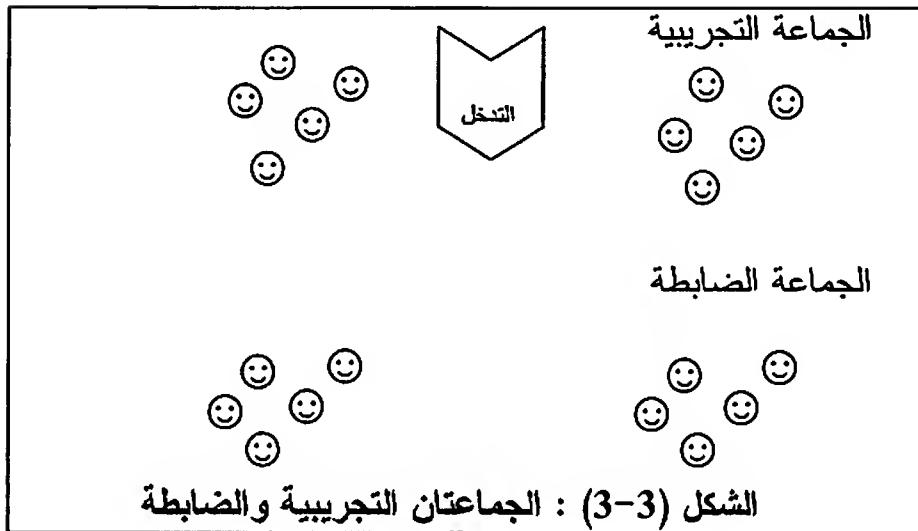
2 - **الجماعة الضابطة** (انظر قائمة المصطلحات): وهي مجموعة الأفراد أو المواد التي تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحي فيما عدا إحداث تدخل أو تغيير فيها .

والعادة أنه يتم إجراء التجربة لاختبار صحة فرض يرتبط بتأثير التغيير الذي تم إحداثه .

بمعنى : إذا أضيف (أ) إلى (ب) فسوف يحدث (ج) [وهو التغيير] .

وإذا أجريت التجربة بعناية وكان الفرق بين المجموعتين مقتضاً على نقطة التغيير أو التدخل ، فإن تلك التجربة تستطيع الادعاء بأنه من الأرجح أن تأثير التدخل أو التغيير الذي طرأ على الجامدة التجريبية إنما هو راجع إلى ذلك التدخل أو التغيير .

ولكي يمكن ضبط مثل هذه التجارب واستبعاد أي فروق أخرى بين الجماعتين ، لابد من إجراء غالبية التجارب في ظل ظروف منضبطة ، لأن تجرى في معمل مثلاً . والحقيقة أن بعض أهم التجارب البحثية الاجتماعية في ميدان علم النفس الاجتماعي قد أجريت في ظل ظروف منضبطة ومحكومة (انظر أدناه برواز : «البحث الواقعى») .



البحث الواقعى

البحث الاجتماعى التجريبى

عن مقال ميلجرام [1963] بعنوان : «دراسة سلوكية للإذعان (الطاعة التامة)» ، مجلة علم النفس الاجتماعي المرضى .

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية صرخ أغلب الأفراد أمام المحكمة التى كانت تحاكمهم على جرائم الحرب التى اقترفوها - فى معسكرات الاعتقال النازية مثلًا- بأنهم كانوا «ينفذون الأوامر الصادرة إليهم» ، حين كانوا يعذبون الضحايا أو يقتلوهم. هل يمكن أن يفعل الناس أى شيء إطاعة للأوامر؟ لهذا قام عالم النفس ستانلى ميلجرام بإجراء تجربة للإجابة على السؤال التالى : «إلى أى مدى زمى يمكن لشخص ما أن يسلط صدمات (كهربائية) على شخص آخر مجرد أنه أمر بأن يفعل ذلك ، حتى لو خطر بفكره أن تلك الصدمات يمكن أن تؤذى الشخص الآخر؟».

ماذا فعل الباحث؟

تم تجميع أربعين رجلاً للمشاركة في تجربة عن موضوع «الذاكرة والتعلم»، وذلك مقابل أجر يحصلون عليه. والتقي كل واحد من المشاركين في التجربة بالباحث، وبواحد آخر من المشاركين. والحقيقة أن ذلك الشخص الآخر لم يكن مشاركاً في البحث، وإنما كان ممثلاً يؤدى دور المشارك، وهو أمر لم يكن معلوماً للمشارك الأول. وأُسند إلى المشارك الحقيقي دور «المدرس»، بينما أُسند إلى الممثل دور «طالب العلم».

وشاهد «المدرس» «الطالب» مقيداً إلى الكرسي الجالس عليه وعلى جسده مجموعة من الأقطاب الكهربائية. وطلب من المدرس أن يجلس في غرفة أخرى وأمامه مولد لإرسال الصدمات الكهربائية، وذلك دون أن يرى «الطالب». وكان يوجه إلى «الطالب» مجموعة من الأسئلة، ثم يوجه إلى «المدرس» أمر بمعاقبة «الطالب» في كل مرة يجيب فيها إجابة خاطئة، وهذا العقاب عبارة عن تسلیط صدمة كهربائية إليه. ومع كل إجابة خاطئة ترتفع قوة التيار الكهربائي. وكان بوسع «المدرس» أن يسمع صراخ «الطالب/المثل» من شدة الألم، واستغاثته للدرس أن يوقف تسلیط الصدمات عليه. والحقيقة - بالطبع - أنه لم يتم توجيه صدمات كهربائية، ولكن المهم أن «المدرس» لم يكن يعلم بذلك الحقيقة. وانتهت التجربة بعد توجيه ثلاثة صدمات كهربائية بقوة 400 فولت، بعدها صمت «الطالب/المثل». في ذلك الوقت كان الباحث يجلس في نفس الغرفة مع «المدرس» يشجعه على إطاعة الأوامر.

النتائج

انضج أن معظم «المدرسين» شعروا بالانزعاج من إيقاع الألم، ولكن المهم أن المشاركين الأربعين (أي «المدرسين») استمروا في إطاعة الأمر حتى وصول قوة الصدمة إلى 300 فولت. واستمر 25 من الـ 40 «مدرساً» في توجيه الصدمات حتى بلوغ الحد الأقصى لقوة الكهرباء المطلقة.

تصميم البحث

لم يتسنى تنفيذ تساؤل البحث إلا في ظروف معملية، وفي إطار موقف خلقت فيه بعض الظروف التي جعلته شبّهها بالموقف الاجتماعي الحقيقي. وقد تم الإعداد للتجربة بكل عناءٍ للتأكد من أن جميع المشاركين في التجربة يعيشون نفس الخبرة. وعلى الرغم من أن «الطلاب» (في التجربة) لم يتعرضوا لأى ضرر، فإن هناك بعض المحاذير الأخلاقية فيما يتعلق بتأثير تلك الخبرة على «المدرسين» المشاركين في البحث (الذين كانوا يسلطون الصدمات الكهربائية)، فقد تعرض بعضهم بالفعل لقدر كبير من الضغط النفسي كلما كان يُطلب منهم إيقاع الألم بالآخرين.

التجارب المنضبطة عشوائية

من صعوبات دراسة البشر أنهم يختلفون عن بعضهم البعض اختلافاً كبيراً. معنى هذا أنه من المستحيل أن تتعثر على مجموعة كبيرة - نسبياً - من الناس يتشابه أفرادها وفقاً لعدد كبير من المعايير، بحيث يمكن تقسيمهم إلى مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية يتم إحداث التدخل فيها. كل ما هو ممكن أن يتشابه أفراد في مثل هذه المجموعة في عدد قليل من المعايير: كالعمر، أو النوع، أو المهنة، أو الانتماء الإثني. ولكن إذا أردنا أن نأخذ في الاعتبار ما إذا كان أحد الأشخاص ذا مزاج انبساطي أو انطوائي، يتسم بالامتثال أم بالتمرد، بالهدوء أم بالقابلية للاستثارة، بالاكتئاب أم بالسعادة ... فسوف يتضح لنا على الفور أن معرفة ذلك أمر بالغ الصعوبة والتعقيد. فالخصائص التي تميزنا كبشر يمكن إرجاعها إلى عدد لا نهائي من العوامل المختلفة، فمع أننا قد نعرف - مثلاً - أن شخصاً ما مصاب بالاكتئاب، فإننا لا يمكن أن نعرف كل الأسباب التي قد تكون مسؤولة عن هذا الاكتئاب.

ومن السبل المتاحة لمواجهة هذه الحقيقة، ورغبة في مراعاة الجوانب العديدة والعشوائية التي تختلف فيها عن بعضنا البعض؛ من هذه السبل إجراء تجرب على أعداد كبيرة من الناس يجري تقسيمهم إلى مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة بطريقة عشوائية.

ما : العشوائية؟

يعنى أنه لا يمكن التنبؤ به، ولا يأخذ فى الاعتبار سمات أو خصائص محددة. ففى حالة المعاينة الإحصائية (الفصل 5 من الباب 2) - مثلا - يتم اختيار العينة العشوائية من بين أفراد مجتمع البحث بحيث ينماح لكل حالة فرصه متساوية لإدراجها فى العينة التى يجرى اختيارها، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة .

وقد تعمد الدراسة المنضبطة عشوائيا (انظر قائمة المصطلحات) في البداية إلى تقسيم المبحوثين إلى مجموعات رئيسية على أساس العمر ، أو النوع أو الانتماء الإثنى أو غير ذلك من الخصائص المرتبطة بموضوع البحث . ومن شأن ذلك أن يضمن تشابه المجموعتين التجريبية والضابطة في السمات الأساسية العامة . فيتجنب - مثلا - أن تكون الجماعة التجريبية كلية من أفراد تزيد أعمارهم عن 65 عاما . بعد ذلك يقسم المبحوثون عشوائيا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية . وإن كانت التجربة تشمل جماعات كبيرة العدد (تغطى الدراسات المنضبطة عشوائيا عادة أكثر من ألف حالة)، فإن التباين بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة سيكون متشابها على الأرجح .

وتسخدم التجارب المنضبطة عشوائيا في العادة عندما يراد اختيار تأثير عوائق أو علاجات طيبة معينة ، حيث تقوم في الغالب على أسلوب «الاختبار غير المعلن»، حيث لا يكون المبحوث (ولا الطبيب أحيانا) على دراية بما إذا كانوا يتلقون علاجا طيبا أو معالجة شكلية (والمعالجة الشكلية عبارة عن بديل للعلاج الطبي يكون لها نفس المظهر ولكن دون التأثير الطبى) . والهدف من ذلك التأكيد من أن تأثير العلاج الطبى على المبحوثين لا يرتبط بمشاعرهم تجاه العلاج .

وفي بعض الأحيان تناح للباحثين الاجتماعيين فرص لإجراء دراسات منضبطة عشوائيا . من ذلك مثلا: لنفترض أننا بقصد إدخال طريقة جديدة لتعليم الأطفال القراءة في عدد من المدارس . عندها يتم في كل مدرسة توزيع بعض التلاميذ عشوائيا على فصول تعليمية لتطبيق هذه الطريقة الجديدة في التعليم (وتكون هذه المجموعة هي «الجماعة التجريبية») ، وكذلك على فصول أخرى تتبع أسلوب التعليم القديم (وهذه هي «الجماعة الضابطة») . ويتعين قياس مهارات القراءة عند أولئك التلاميذ قبل فترة

التدريس وبعدها، وكذلك تقدير حجم الفروق العامة بين المجموعتين . ولا شك أن هناك بعض القضايا الأخرى التي يتعين أخذها في الاعتبار . فالطبيعة الإنسانية هي الاهتمام بالشيء الجديد والمختلف ، ولهذا قد نجد المعلمين الذين يستخدمون الطريقة الجديدة أكثر (وربما أقل) حماسا واجتهادا في تدريسهم ، وقد يكون التلاميذ أكثر حماسا واهتمامًا بالمتابعة . والمعتاد أن تكون الخبرة الأولى لأى نشاط جديد مختلفة عن الخبرات التالية ، الأمر الذي قد يؤدي إلى أن تفقد الطريقة الجديدة جاذبيتها الأولى لدى كل من التلاميذ والمدرسين بعد أن يعتادوا عليها .

المثال (4-3)

الطلاب والمشروعات الكحولية : التصميم التجريبي للبحث

مع أنه من الصعب أن نتصور القيام بتجربة منضبطة حول موضوع تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية ، إلا أنه من الممكن تصميم بحث حول تأثير المشروعات الكحولية على حياة الطلاب . من ذلك مثلا: توزيع إعلانات لدعوة الطلاب المستجدين إلى حفلة يقيمها اتحاد الطلاب ، ويتم توزيع تلك الدعوات عشوائياً . كذلك يتم توزيع دعوات أخرى تنص صراحة على تقديم مشروبات كحولية مجانية (على حين لم ترد في الدعوات الأولى أي إشارة إلى المشروعات الكحولية) . وعند الحفلة يتم سؤال كل طالب لدى حضوره عن نوع الدعوة التي تلقاها ، وما الذي جذبهم إلى الحضور؟

أشبه التجارب

تنطلع - كباحثين اجتماعيين - إلى الفرص التي تتيح لنا جمع البيانات في ظل ظروف «طبيعية» ، وهو ما يعني بعبارة أخرى جمع بيانات عن بعض المواقف ، أو الأمور ، أو الآراء الموجودة في الحياة اليومية ، دون اللجوء إلى تصميم ظروف تحاكى الظروف العملية . ويمكن استخدام التصميم البحثي شبه التجريبي (انظر قائمة المصطلحات) في بعض المواقف التي يمكن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التي تختلف «بشكل طبيعي» ، وتستخدم إحداها كجماعة ضابطة والأخرى كجماعة تجريبية .

ويلاحظ على المثال السابق الخاص بتعليم طريقة جديدة للقراءة أنه قد يكون من المتعذر توزيع التلاميذ عشوائياً على فصلين مختلفين، فقد يؤدي ذلك إلى تعطيل التلاميذ وتمزيقهم، بحيث يؤثر على تعلمهم من نواحٍ أخرى. ومع ذلك يمكن اتخاذ أحد الفصول بمثابة جماعة ضابطة (حيث تستخدم الطريقة التقليدية في تعليم القراءة)، واتخاذ فصل آخر بمثابة جماعة تجريبية (حيث تستخدم الطريقة الجديدة)، وفي النهاية يتم مقارنة النتائج من واقع قياس مستويات مهارات القراءة قبل تطبيق الطريقة الجديدة وبعدها. ويمكن أن يعد ذلك الإجراء شبه تجربة (انظر قائمة المصطلحات)، لأن تكوين الجماعتين الضابطة والتجريبية قد تم ترتيبه مسبقاً. ولكنها مع ذلك تكون أقرب إلى «الطبيعة»، لأن التلاميذ لم يكونوا على دراية بأى تغييرات.

البحث الواقعى

أشباه التجارب الأقرب للطبيعة

(عن مقال فيشر، وميس، وشميدت 2007) بعنوان : «هل هو تفكك لجدار العقل؟ الاتصال الثقافي بين الأماكن ، في المجلة الدولية للعلاقات بين الثقافات، عدد 31 ، ص ص 163-179).

أناحت عملية توحيد ألمانيا في عام 1990 فرصة للباحثين لاختبار نظرياتهم عن أثر الاتصال الشخصي بين الناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة. وكانت ألمانيا قد قسمت إلى دولتين منذ 45 عاماً (ألمانيا الشرقية، وألمانيا الغربية)، وعاشت الدولتان الألمانيتان في ظل نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ثقافية مختلفة، لم تتح فيها للسكان فرص كافية لاتصال أبناء كل دولة اتصالاً شخصياً بأبناء الدولة الأخرى.

وقد ركز فيشر وزميلاه في بحثهم على دراسة تأثير الاتصال بين الأفراد المنتمين إلى ثقافات مختلفة على أولئك الأفراد أنفسهم. بمعنى: هل شعر الأفراد الذين اتصلوا اتصالاً شخصياً مع أفراد من الدولة الألمانية الأخرى بالرضا عن حياتهم هم؟

ماذا فعل الباحثون؟

تم اختيار عينة عشوائية قوامها أكثر من ثلاثة آلاف فرد من دولتي ألمانيا السابقتين. كما كانت هذه الدراسة دراسة تبعتية، حيث أرسلت إلى المبحوثين الاستبيانات في أعوام: 1996، 1998، و 2000 لعرفة ما إذا كانت خبرات المبحوثين قد تغيرت نتيجة زيادة فرص الاتصال الشخصي بأبناء القسم الآخر من ألمانيا. وكان الاستبيان يسأل عن كمية ونوع الاتصالات التي أجراها كل فرد مع سكان القسم الآخر (الذى كان دولة مستقلة قبل الوحدة)، ويستفسر كذلك عن مدى رضائهم عن حياتهم هم.

نتائج البحث

مع أن تأثيرات الاتصال مع أفراد من ثقافة أخرى كانت إيجابية على وجه العموم، فإنه تبين وجود فروق بين أبناء ألمانيا الغربية السابقة، وأبناء ألمانيا الشرقية السابقة. ومن أبرز تلك الفروق أنه على الرغم من أن الاتصالات كانت تعد عموماً أكثر فائدة وفعلاً لأبناء ألمانيا الشرقية، فإنها أدت في الوقت نفسه إلى جعلهم أكثر وعيًا بأوضاعهم السيئة.

تصميم البحث

كان الباحثون يميلون في البداية ميلاً واضحاً إلى النظرية التي ترى أن الاتصال بين أبناء الثقافات المختلفة يفيد كل من يمارسه. وقد كانت عملية إعادة توحيد ألمانيا فرصة فريدة لاختبار صحة هذه النظرية، وذلك للاعتبارات التالية:

- (أ) عاشت الدولتان الألمانيتان في ظل نظم ثقافية اجتماعية مختلفة.
- (ب) أنه خلال فترة تقسيم ألمانيا التي امتدت 45 عاماً لم تتوفر فرص لحدث اتصالات شخصية حقيقة بين أبناء الدولتين.
- (ج) في أعقاب الوحدة عام 1990 تم تشجيع قيام الاتصالات الشخصية بين القسمين اللذين أصبحا كياناً واحداً.

وقد تم استخدام التصميم البحثي التبعي لتمكن الباحثين من جمع بيانات أو في عن كيفية تغير خبرات الناس وتصوراتهم عن الرضا بمرور الوقت ومع تزايد فرص حدوث الاتصالات الشخصية بين الطرفين.

المثال (5-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية

التصميم البحثي لأشباه التجارب

يمكن دراسة تأثير تلقي معلومات عن الآثار التي يمكن أن تلحق بصحة الإنسان نتيجة الإفراط في تناول المشروبات الكحولية ؛ يمكن دراسة ذلك بواسطة شبه التجربة التي أجريت على طلاب كلية الطب (الذين كانوا بمثابة جماعة تجريبية) وطلاب قسم الاجتماع (الذين أدوا دور الجماعة الضابطة).

وفيها يقوم الباحثون بجمع بيانات من أفراد كلا الجماعتين الطلابتين عن كمية المشروبات الكحولية التي يتناولونها واتجاهتهم من شرب الكحول ، وذلك في بداية الفصل الدراسي ، ثم القيام مرة أخرى بجمع بيانات عن نفس هذه الأمور في نهاية الفصل الدراسي ، وذلك بعد أن درس طلاب الطب - على يد أساتذتهم - آثار تعاطي المشروبات الكحولية على أجسامهم ، وذلك في إطار برنامج دراستهم العادي .

البحث الواقعي

اختبار جودة البحث : التصميم البحثي التجريبي

- هل الجماعتان الضابطة والتجريبية متماثلتان ، فيما عدا التدخل من جانب الباحث ، أو التغير ؟
- هل بإمكانك تبرير أي ادعاءات عن وجود علاقات عليه ، من قبيل: أن التدخل الذي تم هو سبب النتيجة؟
- هل يستطيع أي باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثي نفسه؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعليم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذي اتبعته في اختيار جماعتك التجريبية .

- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعي وتكون «بديلاً عنه»، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة ويمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثي بالنسبة لمبحثك؟

الدراسات المسحية المقارنة

الحقيقة أن الغالبية العظمى من البحوث الاجتماعية يتم إجراؤها في أعقاب الحدث الذي نهتم بدراسته، أو في نقطة زمنية محددة. فنحن ننظر في العادة باهتمام إلى تاريخ الأفراد الذي يحكونه أو إلى الخبرات والأراء التي يبدونها، والمقارنة بين الخصائص المتباينة لخبراتهم والواقع الماثل أو الوضع الراهن. فنحن نعالج البيانات الخاصة بالخبرات الماضية والراهنة في ثنايا محاولتنا تحديد الارتباطات المحتملة بين الأسباب والنتائج. وهذا النمط المسحى المقارن من البحوث الذى ننتقل إلى التعريف به فيما يلى.

وترتبط الدراسات المسحية المقارنة في الغالب بالمسوح الكبرى التي تستخدم أداة الاستبيان (الفصل 3 من الباب 3). حقيقة أن هذا هو الأسلوب الشائع لتنفيذ الدراسة المسحية المقارنة، ولكنه ليس الأسلوب الوحيد. ويقوم التصميم البحثي المقارن على:

- يشمل أكثر من حالة واحدة.
- يجمع البيانات في وقت محدد بعينة.
- يدرج ضمن جماعات المبحوثين أفراداً أو حالات يمكن المقارنة بينها، مثل: الرجال والنساء، أو أفراد مختلفي الأعمار أو الانتماءات الإثنية، أو أفراد ينتمون إلى مدن مختلفة.

المثال (6-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية

يمكن في هذه الحالة استخدام تصميم الدراسة المحسنة المقارنة لمعرفة المزيد عن أوجه التشابه والاختلاف بين الطلاب فيما يتعلق بتعاطي المشروبات الكحولية، وتوجهاتهم نحوه وأرائهم فيه. فمثل هذا التصميم يتيح للباحث تكوين صورة عن مستويات (أى كميات) الكحول التى يتم تناولها، وعن مشاعر الطالب نحو الكحول.

ويمكن جمع البيانات من عدد كبير من الطلاب باستخدام الاستبيان، أو بطريقة دراسة أكثر تعمقاً، حيث يتم تصميم مقابلات شبه مفتوحة تجمع من خلالها بيانات من شريحة مختارة من الطلاب. بعدها يستطيع الباحث أن يبحث عن العلاقات بين تعاطي المشروبات الكحولية من ناحية، وعدد من التغيرات المختلفة كالعمر، أو النوع، أو الطبقة الاجتماعية من ناحية أخرى.

ويمكن كحل بديل إجراء دراسة محسنة مقارنة باستخدام وحدة تحليل متعددة المستويات، حيث تصمم العينة بحيث تشمل طلاباً من عدة جامعات. وفي مثل هذه الحالة يتم جمع بيانات عن سياسات ومارسات كل جامعة الخاصة بتعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية من واقع الوثائق المنشورة أو مواقع الإنترنت. وعندما يستطيع الباحث استكشاف العلاقات بين سياسات الجامعات وممارساتها، وبعض التغيرات مثل حجم الجامعة، أو نسبة الطلاب الأجانب، أو نسبة الطلاب كبار السن، وكيفية «قديمة» أم «حديثة»، ومستوى انتشار المشكلات الخطيرة المرتبطة بتناول المشروبات الكحولية بين الطلاب.

والغالب أن تتخذ الدراسات المحسنة المقارنة شكل المسوح باستخدام أداة الاستبيان، حيث يتم اختيار الباحثين وفقاً لعمليات المعاينة العشوائية (الفصل 5 من هذا الباب). ولكن البيانات الخاصة بهذا النوع من الدراسات يمكن جمعها بطرق أخرى عديدة، كالملاحظة، أو من الوثائق، أو المقابلات. كما أن تلك البيانات يمكن - كما سلفت الإشارة - أن تكون كمية وكيفية (باستخدام المعاينة العمدية - كما في الفصل 5

من هذا الباب). وهكذا يمكن أن يتراوح نطاق هذه الدراسات بدءاً من عدد صغير من الحالات وصولاً إلى مسح يشمل عدة آلاف من الأفراد.

والشائع عادةً أن تكون بؤرة تركيز البحث على محاولة فهم العلاقات المحتملة بين المتغيرات المختلفة (أو بعض المعلومات المتعلقة بشخص أو حالة معينة) التي يتم جمع بيانات عنها. والغالب أن تصاغ البيانات في صورة كمية، بحيث يمكن قياس التباين – أي الفروق بين الحالات الم دروسة – باستخدام الاختبارات الإحصائية (الفصل 3 من الباب 4). ووفقاً لطبيعة سؤال البحث يمكن – مع ذلك – أن يتضمن هذا التصميم البحثي جمع بيانات كيفية في حالة اختيار المبحوثين بشكل عمدي بغرض إدراج فئة معينة من الأفراد. وفي هذه الحالة يمكن استكشاف الفروق عن طريق تحديد الموضوعات الأساسية، وتحديد العلاقة بين تلك الموضوعات والجماعات التي تتبدي لنا من واقع البيانات (الفصل 4 من الباب 4). (انظر كذلك برواز «البحث الواقعي» التالي).

البحث الواقعي

دراسة مسحية مقارنة تجمع بيانات كيفية

دراسة رولنجلسون (2006) بعنوان: «هل نعيش فقراء نموت أثرياء؟ أم «نبذر إرث أولادنا»؟ الاتجاهات إزاء الأصول والإرث في العمر المقدم». منشور في مجلة السياسة الاجتماعية، عدد 35 (2): ص ص 175-192.

ماذا يفعل الناس عندما ينعدم بهم العمر؟ هل ينفقون من أموالهم قدر ما يستطيعون وهم بعد على قيد الحياة، أم إنهم يتوجهون إلى ادخار تلك الأموال لكي يوروثوها لأولادهم؟ العادة أن كبار السن لا يحصلون إلا على دخول منخفضة، مادام أنهم قد تقاعدوا عن العمل، ولكن بعضهم قد يحوز أصولاً ضخمة في صورة ممتلكات مختلفة. فكيف يحزمون أمرهم على التصرف في تلك الأصول؟

ماذا فعل الباحث؟

اعتمد الباحث على مجموعتين من البيانات الكيفية. المجموعة الأولى عبارة عن بيانات مستمدة من مقابلات، سبق أن جمعها الباحث لدراستين سبق أن أجريا هما

عن موضوع الثروة والتخطيط للمستقبل. وقد شملت عينة هاتين الدراستين أفراداً متباينين في العمر، والدخل، والثروة.

أما المجموعة الثانية من البيانات الكيفية فقد حصل عليها من خلال دعوة بعض جماعات المناقشة المركزية (البؤرية) لمناقشة موضوع الإرث والأصول. وضمت كل جماعة من جماعات المناقشة أفراداً من نفس الفئة العمرية، وعقدت جلسات المناقشة في منطقتين مختلفتين داخل نفس المدينة. وفي إحدى المنطقتين كانت أسعار البيوت مرتفعة، بينما كانت أسعارها منخفضة في المنطقة الأخرى.

نتائج البحث

أوضحت نتائج المقابلات وجماعات المناقشة أن غالبية الناس يريدون اتخاذ اتجاه «متوازن وعملي (براجماتي)» في استخدام أموالهم عندما يتقدم بهم العمر، بمعنى أن ينفقوا قسطاً منه، ويحفظون القسط الآخر ليترثه أولادهم. كما تطرق الباحث إلى مناقشة بعض دلالات ذلك بالنسبة للسياسة الاجتماعية، من زاوية تبني بعض طرق مساعدة أولئك الناس على تحقيق هذا الهدف.

تصميم البحث

ضمن تصميم البحث تغطية أفراد متباينين في العمر، والدخل، والثروة، بحيث يمكن المقارنة بين خبرات وأراء الجماعات المختلفة.

البحث الواقعى

المسح المقارن

بحث فوجلر، وبروكمان، وويجنز (2008) بعنوان: «المعاملات المالية في الأشكال الأسرية الجديدة القائمة على المعاشرة»، منشور في مجلة الاقتصاد الاجتماعي، عدد (37): ص ص 552-576.

المعاملات المالية يمكن أن تمثل مشكلة للعلاقة بين طرفى أسرة المعاشرة. فهل

يتقاسم الطرفان كل ما يحصلون عليه من مال ، أم يتصرف كل منهما في ماله بنفسه ومستقلًا عن شريكه؟ وكان الباحثون مهتمين في دراستهم هذه بمعرفة الفروق بين الزوجين اللذين تربط بينهما رابطة زواج ، والزوجين اللذين تقوم علاقتهما على العاشرة دون زواج .

ماذا فعل الباحثون؟

تناول الباحثون مجموعة من البيانات الثانوية التي سبق أن جمعت كجزء من برنامج دولي للمسوح الاجتماعي . وهو عبارة عن برامج مسح يتم إجراؤها سنويًا في عدد كبير من الدول ، ويشمل إجراء مسح عرضي عن الأسرة وتغير أدوار النوعين (الرجال والنساء) . ويتم جمع تلك البيانات - بواسطة الاستبيان وعن طريق إجراء المقابلات - من عينة ممثلة كبيرة العدد في المملكة المتحدة . وقد خضعت تلك البيانات فعلاً للتحليل وتم نشرها بالفعل ، ولكنها ما زالت متاحة للباحثين الآخرين لاستخدامها في دراسة تساوياتهم البحثية الخاصة بهم .

وقد شمل المسح عدة أنواع مختلفة من الوحدات المعيشية (الأسر) ، الأمر الذي يتيح للباحثين أن يحددوا منذ البداية الجماعات الفرعية التي يهتم كل باحث بدراستها ، أي الأسرة القائمة على رابطة الزواج أو على علاقة العاشرة . على أن استخدام البيانات التي جمعت بواسطة باحثين آخرين ولخدمة أغراض أخرى ، قد تثير بعض المشكلات . فالنسبة لحالتنا هذه لم يتطرق مسح عام 2002 إلى السؤال عن الزيجات السابقة ، بحيث ليس واضحًا ما إذا كان المبحوثون الذين تربطهم علاقه عاشرة قد سبق لهم الزواج (من طرف آخر) أم لا .

وقد وقع اختيار الباحثين على البيانات الخاصة بأربع مجموعات ليقوموا بتحليلها في بحثهم هنا ، هم : «المبحوثون الذين تربطهم علاقة عاشرة وليس لهم أطفال ، والمبحوثون الذين تربطهم علاقة عاشرة ولديهم أطفال ، والمبحوثون المتزوجون وليس لديهم أطفال ، والمبحوثون المتزوجون ولديهم أطفال». كما احتوى المسح على أسئلة عن المكانة الاقتصادية الاجتماعية للزوجين ، وأرائهم في الزواج وفي علاقات العاشرة ، وعن عمل المرأة ، والمعاملات المالية .

نتائج البحث

وجد الباحثون أن أسر المعاشرة ولديهمأطفال كانوا يديرون معاملاتهم المالية بطريقة شديدة الشبه بما تفعله الأسر المرتبطة بعلاقة زواج ، وذلك بتجميع كل دخولهم في وعاء واحد للإنفاق على البيت . أما الشباب المرتبطين بعلاقة معاشرة وليس لديهم أطفال فكانوا يديرون معاملاتهم المالية - في الغالب - بشكل مستقل جزئياً أو كلياً .

تصميم البحث

تم استخدام مسح على عينة ممثلة كبيرة العدد لتمكن الباحثين من تحديد بعض الجماعات الفرعية التي كانوا مهتمين بدراستها . وكان قد تم جمع طائفة من البيانات عن كل مجموعة من تلك المجموعات الفرعية ، الأمر الذي أتاح للباحثين إمكانية دراسة العلاقات بين التغيرات المختلفة .

والمهم أن البحث الأصلي كان قد جمع البيانات على مستوى وحدة المعيشة (الأسرة) ، الذي كان يتفق واهتمام الباحثين . معنى ذلك أن وحدة المعيشة في هذا البحث كانت هي وحدة التحليل .

بحثك

اختبار جودة البحث:

التصميم البحثي للدراسات المسحية المقارنة

- هل سيمكنك استخدام بياناتك في استكشاف الارتباطات العلية المحتملة بين التغيرات؟
- هل أنت قادر على اختيار عينة تعكس ذلك القطاع من مجتمع البحث الذي يهمك؟ هل هناك أي جماعات يحتمل أن يستبعدها تصميم بحثك؟
- هل يمكن لباحث آخر أن يكرر تصميماً بحثياً نفسه؟

- هل يسمح لك تصميم البحث الادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذي اتبعته في اختيار مبحوثيك؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبّر عن الواقع الاجتماعي وتكون «بدليلاً عنه»، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسبة يمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثي بالنسبة لمبحثيك؟

الدراسة التبعية

تقوم الدراسة المحسّبة المقارنة بجمع البيانات في نقطة زمنية معينة، أما إذا كانت تساؤلات بحثك تتعلّق ببعض التغييرات عبر الزمن فقد يكون الأنسب لك أن تبني تصميم الدراسة التبعية (انظر قائمة المصطلحات). ومن شأن هذا التصميم أنه يمكنك من تأمل أحوال نفس الناس أو نفس الواقع عند بعض النقاط الزمنية المفصّلة والكشف عن كيفية تأثير التغييرات المختلفة على بعض الجماعات. ويتم جمع البيانات في مناسبتين اثنتين منفصلتين على الأقل.

ويلاحظ أن كثيراً من الدراسات التبعية تكون دراسات كبرى واسعة النطاق، وتضمّن كدراسات تتبعية منذ البداية (الدراسات التبعية المبدئية). وهناك عدة نماذج مشهورة للدراسات التبعية التي تركز متابعتها لفوج من الأطفال المولودين في نقطة زمنية معينة (التي تعرف باسم دراسات الأفواج/ أو دراسات الفوج) (انظر قائمة المصطلحات)، ولهذا تقوم مثل هذه البحوث بجمع بيانات عن أفراد هذا الفوج في تواريخ معينة من سنوات حياتهم الأولى، وأحياناً في محطات معينة على امتداد حياتهم كلها. ومن الأمثلة المشهورة لدراسات الفوج تلك الدراسة التوثيقية التي عرفت باسم «سفن أب» 7Up، وهي تقوم بتتبع حياة 14 طفلاً من مواليد 1957، كانوا في السابعة من العمر عندما بدأ عرض هذا البرنامج في عام 1964. ويتبع الأطفال الأربعين عشر إلى بيانات اجتماعية اقتصادية مختلفة. وكل سبعة أعوام يتم عمل فيلم وثائقى عن

هؤلاء الأطفال يعرض ضمن مسلسل "عالم يتحرك". وقد عرضت آخر حلقة من هذه الأفلام الوثائقية عام 2005، حيث بلغ أفراد الفوج التاسعة والأربعين من العمر. وجدير بالذكر أن الدراسات التبعية تكون مشروعات بحثية ضخمة، يقوم عليها عدد غير قليل من الباحثين الاجتماعيين، الذين كثيراً ما يتغيرون على امتداد المشروع.

البحث الواقعي

دراسة فوج الألفية الثالثة

شهد القرن العشرين دراستين كبيرتين على فوجين من المبحوثين، الأولى: الدراسة القومية لنمو الأطفال التي بدأت 1958 ، والأخرى هي: دراسة الفوج البريطاني التي بدأت 1970 (وما زالت هاتان الدراسات تواصلان جمع بيانات عن أفراد هذين الفوجين حتى الآن). ومؤخراً دشن مركز الدراسات التبعية (www.cls.ioe.ac.uk/) دراسة فوج الألفية الثالثة التي تشمل مجموعة من الأطفال المولودين عام 2000. وقد بلغ حجم هذا الفوج 818، 18 طفلات تم اختيارهم بنظام العينة الطبقية. وبحلول عام 2008 كان قد تم جمع بيانات من أسر أولئك الأطفال في أربع مناسبات منذ بدء المشروع.

ويقوم تصميم بحث فوج الألفية الثالثة. على الأسس الخمسة التالية:

- 1 - أن تكفل الدراسة بتوفير بيانات عن الأطفال الذين يعيشون ويكبرون في الأقسام الأربع التي تتكون منها المملكة المتحدة (بريطانيا).
- 2 - أن توفر الدراسة بيانات عن الجماعات الفرعية لأطفال الفوج، خاصة تلك التي تعيش في بيئات ميسورة والتي تعيش في بيئات محرومة، وأطفال الأقليات الإثنية، وأولئك الذين يعيشون في سกوتلندا، وويلز، وأيرلندا الشمالية.
- 3 - وكما توفر الدراسة بيانات عن الأطفال؛ يجب عليها أن تكفل بجمع بيانات عن ظروفهم العائلية، والإطار الاجتماعي الاقتصادي الذي يتربى فيهأطفال الفوج.
- 4 - يجب أن تشمل الدراسة عينة من الأطفال المولودين في فترة 12 شهراً فقط.

5 - يجب أن تناح لكافة أفراد مجتمع بحث دراسة فوج الألفية (أى جميع المولودين خلال عام 2000) فرصة الاختيار ضمن العينة.

المصدر: مركز الدراسات التباعية :
www.cls.ioe.ac.uk/studies.asp?section=0001000200010010

(تاريخ آخر دخول على الموقع 12 أغسطس 2008)

(*) MCS = The Millennium Cohort Study

على أنه من الممكن كذلك تصميم دراسات تبعية ذات حجم أصغر ، وتستهدف تتبع المبحوثين عبر فترات زمنية قصيرة . كما أن مقابلة المبحوثين قبل حدث معين ، ثم أثناء حدوثه ، ثم عقب انتهائه يمكن أن يعد من قبل الدراسات التباعية . خاصة إذا كان البحث يستهدف التركيز على تتبع كيفية توقع كل مبحث لهذا الحدث ، وكيفية معايشته له ، وأخيراً آراؤه وتأملاته حول الحدث نفسه .

المثال (7-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية: الدراسة التباعية

تستهدف الدراسة التباعية لهذا الموضوع معرفة كيفية تغير أنماط تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية على امتداد فترة دراستهم الجامعية . وقد يشمل ذلك جمع نفس البيانات من عينة من الطلاب في مراحل رئيسية خلال دراستهم الجامعية التي تبلغ ثلاثة سنوات .

وهناك نوع من الدراسة التباعية - يعرف باسم الدراسة التباعية الاسترجاعية - يمكن تصميمه بحيث يطلب من طلاب السنوات النهائية تذكر أنماط تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية في فترات مفصلية من مرحلة دراستهم الجامعية (من ذلك مثلا : خلال أسبوع استقبال الطلاب المستجدين ، وفي فترة الامتحانات ، وخلال فترة العطلة) . وتستهدف تلك البيانات معرفة التغيرات التي طرأت خلال سنوات الدراسة الثلاث . على أنه يلاحظ أن الدراسات التباعية الاسترجاعية تعانى جميعها

من أن ذاكرة الناس ليست دائمة بالدقة المطلوبة، وأن ذكرياتهم قد تتلون بظروفهم وأفكارهم الراهنة. وبوسعنا أن نحقق مستوى أعلى من دقة البيانات التي يتم تذكرها إذا ضمننا عينة الباحثين بعض الطلاب من كل فرقة دراسية من الفرق الجامعية الثلاث^(*)، ويتم سؤالهم في لحظة معينة، ثم تعقد المقارنة بين طلاب الفرق المختلفة.

البحث الواقعى

البحوث التباعية والمسحية المقارنة

دراسة ميلتون، وودز، وجاديل، وبورسيلاتو، وسبرنجت (2008) بعنوان: «هل يبدون صغاراً؟ خبرات الأطفال في محاولة التدخين في مرحلة ما قبل المراهقة». منشور في مجلة: بحوث التعليم الصحي، عدد (23) 2، ص 309-298.

لماذا يحاول الأطفال تجربة التدخين مع أن أخطاره الصحية أصبحت معروفة الآن للجميع؟ وقد أراد الباحثون في هذه الدراسة أن يسمعوا من الأطفال أنفسهم تصويرهم هم لمحاولاتهم الأولى ممارسة التدخين.

ماذا فعل الباحثون؟

هذه الدراسة جزء من دراسة تباعية استرجاعية عن التدخين في إحدى المدن الكبرى في المملكة المتحدة. وتقوم الدراسة على تتبع فوج من الأطفال الذين تم اختيارهم من ست مدارس ابتدائية في بعض المناطق التي روعى في اختيارها تنوع الحالة الصحية والظروف الاجتماعية الاقتصادية. وقامت هذه الدراسة بجمع بيانات من هؤلاء الأطفال عندما كانوا في التاسعة، وفي العاشرة، ثم في العام الحادي عشر. وتم جمع البيانات باستخدام الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة المركزية (البوري).

(*) يلاحظ أن مدة الدراسة الجامعية في بريطانيا للحصول على البكالوريوس تبلغ ثلاثة سنوات في العام. (المترجم)

وقد وجد إلى الأطفال أسئلة عن خبراتهم في تجربة التدخين ، وعادات التدخين داخل الأسرة ، وأرائهم في التدخين .

نتائج البحث

اتضح أن 27 % من أفراد الفوج جربوا التدخين قبل بلوغ الحادية عشر من العمر ، وذلك بداعٍ من حب الاستطلاع وتأثير أقرانهم عليهم ، وهما أهم العوامل التي حفزت أولئك الأطفال على تجربة التدخين . وقد أكد الباحثون على أنه لا بد أن تأخذ أساليب منع الأطفال من التدخين في اعتبارها بعض العوامل الاجتماعية (بما فيها الأصدقاء والأسرة) التي تلعب دوراً حاسماً في إقدام الطفل على تجربة التدخين . كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار الأعمار المختلفة التي أقدم فيها الأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة على تجربة التدخين ، إذ من الأنساب أن تنوع أساليب المنع يتنوع عمر الطفل .

تصميم البحث

صممت الدراسة لكي تشمل دراسة مسحية مقارنة لبعض الأطفال المولودين في نفس العام ، الذين اختيروا على نحو يضمن إدراج أطفال من مختلف الأوساط الاجتماعية الاقتصادية في عينة البحث .

وعندما كانت البيانات تجمع من الأطفال في الفترة بين سن التاسعة وسن الحادية عشرة كان يطلب منهم الحديث عن أول تجربة لهم مع التدخين خلال الفترة الماضية . وكان يتم جمع البيانات من ذات الأطفال كل مرة ، الأمر الذي يتتيح للباحثين معرفة التغيرات والعمليات التي تعرضت لها حيوانات أولئك الأطفال قبل بلوغهم سن المراهقة .

وهناك بعض الأسباب العملية التي تجعل من الصعب على الدراسة التتبعية أن تغطي نفس المبحوثين في كل مناسبة من مناسبات جمع البيانات . وذلك لأن بعض هؤلاء المبحوثين قد يغيّبه الموت ، أو يهجر محل إقامته ويكون من المتعذر العثور على عنوانه ، أو ببساطة لأن بعضهم يريد عدم الاستمرار ضمن أفراد الفوج . لهذا قد تعمد بعض الدراسات إلى إدراج عدة عينات مختلفة من الأفراد ، ولكن باستخدام

نفس معايير الاختيار بالنسبة لكافة العينات . وعلى حين تصمم الدراسة كدراسة تتبعية عادة ، فتنة بعض الظروف التي تسمح باستخدام بعض البيانات عن ماضي المبحوث (وهي الدراسة التي تعرف باسم : الدراسة التبعية الاسترجاعية) (انظر قائمة المصطلحات) ، وذلك - مثلا - عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم وتجاربهم الماضية ، أو جمعها - إن أمكن - من السجلات (كالسجلات الطبية أو تقارير المتابعة لأخصائى الخدمة الاجتماعية . وهناك أيضاً أسلوب تاريخ الحياة (انظر قائمة المصطلحات) في جمع البيانات البحثية ، حيث يطلب من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم ، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المترتبة ، وهذا النوع من الدراسة يمكن اعتباره تصميماً بحثياً تتبعياً إذا كان يطلب من المبحوثين إدلاء بمعلومات عن المراحل الفصلية في حياتهم ، وتأملاتهم وأرائهم فيها .

وعلى حين تقوم كثير من الدراسات التبعية الضخمة على جمع بيانات من أعداد كبيرة من الباحثين ؛ كذلك يمكن أن تعتمد دراسة تتبعية أخرى على جمع بيانات متعمقة كيفية من عدد محدود من الباحثين المختارين ، في عدد من المناسبات عبر حياتهم .

البحث الواقعى

البحوث التبعية الكيفية

دراسة كوردن ونایس (2007) بعنوان : التحليل التبعي الكيفي للسياسة الاجتماعية : أصحاب إعانت العجز يشاركون في البحث عن فرص عمل »، منشورة في مجلة : السياسة الاجتماعية والمجتمع ، عدد(6) 4 ، ص ص 557 - 569 .

عندما يتم تبني سياسة اجتماعية جديدة ، يكون من الطبيعي أن يتولد قدر من الاهتمام بكيفية تطبيقها ، وكيف يستشعر الناس - الذين تشملهم - ما استجد من تغيرات . وكان المشروع الرئيسي للبحث عن فرص العمل عبارة عن برنامج جديد يستهدف مساعدة الناس الذين يتلقون إعانت عجز على الالتحاق بأعمال ذات أجر . لهذا أراد صناع السياسة الاجتماعية أن يسمعوا من المستفيدين من هذه الخدمة الجديدة عن خبراتهم في التعامل معها .

ماذا فعل الباحثان؟

ركز الباحثان اهتمامهما على معرفة خبرات المستفيدين من الخدمة الجديدة الذين مضى على انتفاعهم بها بعض الوقت، كما تم في نفس الوقت جمع بيانات عن التغيرات التي طرأت على حيوانات أولئك الناس، وعلى حالتهم العملية، وموقعهم المالي، وما إلى ذلك. وقد تم جمع البيانات في بادئ الأمر عن طريق المقابلات المعمقة، ثم عن طريق الاتصال التليفوني بعد ثلاثة أشهر، ثم بعد ستة أشهر. وشمل البحث على تغطية ثلاثة أفواج من المبحوثين، كان الفاصل بين كل فوج وأخر مدة ستة أشهر. ومعنى هذا أن البحث ضمن تغطية الأفراد الذين التحقوا بالمشروع في بداية عهده، وأولئك الذين التحقوا به بعد فترة من تنفيذه. وبلغ إجمالي عدد المبحوثين 105 أفراد.

نتائج البحث

على الرغم من أن خبرات المبحوثين عن الخدمة المقدمة قد تباينت عن بعضها، فإن هذه الدراسة التبعية استطاعت أن توضح اختلاف خبرات الجماعات المختلفة عن الخدمة عبر الزمن، كما أتاحت لهم فرصة الحديث عن آرائهم في الخدمة بعد مرور سنة على الاستفادة منها. وبذلك استطاع الباحثون تقديم ردود فعل المستفيدين للموظفين المسؤولين عن تنفيذ السياسة أثناء قيامهم بعملهم، كما استطاعوا في نهاية الدراسة أن يكتشفوا أن التغيرات التي حدثت عبر تلك الفترة تتسم بالتعقيد بسبب تغير الأسرة، وتغير الظروف المالية وظروف العمل.

تصميم البحث

أتاح استخدام التصميم التبعي للباحثين أن يتبنوا بوضوح التغيرات والعمليات المرتبطة بتنفيذ المشروع وبخبرات المستفيدين من الخدمة. كما أتاح استخدام المقابلات الكيفية في جمع البيانات؛ أتاح للمستفيدين من الخدمة أن يناقشوا خبراتهم ويتأملوها في مختلف مراحل المشروع.

وقد أدى استخدام ثلاثة أفواج من الباحثين الذين بدؤوا الاستفادة من المشروع في فترات مختلفة خلال العام الأول لعمل المشروع؛ أدى ذلك إلى تمكين الباحثين من دراسة أي تغيرات وقعت بعد انتظام العمل في البرنامج، ومن المقارنة بين خبرات كل فوج.

بحث

اختبار جودة البحث: التصميمات البحثية التبعية

- هل ستتمكن من جمع البيانات عن نفس المتغيرات في كل مناسبة؟
- هل ستتمكن من جمع البيانات من نفس الأفراد/الحالات في كل مناسبة؟ وماذا ستفعل حال الأفراد الذين يتزرون البحث أو يتعذر العثور عليهم؟
- هل يستطيع أي باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثي نفسه؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعي وتكون “بديلا عنه”， أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوقة بها في كل مناسبة؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثي بالنسبة لمبحثك؟

دراسة الحالة

تختلف دراسة الحالة عن التصميمات البحثية التي عرضنا لها فيما سبق ، من حيث إنها تشمل إما حالة واحدة أو عددا قليلا من الحالات ، التي تدرس كل واحدة منها دراسة مفصلة ومتعمقة . ويتquin جمع عدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراسة ، وقد تتم الاستعانة في دراسة الحالة بالبيانات المسحية والتبعية .

وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصا ، أو منظمة ، أو موقفا معينا ، أو دولة ، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشير

سؤال البحث . والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة ، يكون من الواضح معها ما يتعمى إلى الحاله وما لا يتعمى إليها . دراسة الحاله - بهذا المعنى - تتبنى توجهاً كلياً ، حيث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بين مختلف الأجزاء المكونة للحاله من ناحيه والحاله فى مجملها ، أي السياق الاجتماعى الذى توجد فيه من ناحية أخرى . على أن دراسة الحاله ليست مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلى ، أو منظمة ما ، أو جماعة معينة . ذلك أن الحاله ذاتها يجب أن تكون وثيقه الصلة بموضوع البحث . من هنا تكون عملية اختيار الحاله أمراً مهماً ، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التى ستمكنك من معالجه تساولك البحثي . وهكذا تكون بؤرة الاهتمام البحثي متضمنه وحاضرة فى الحاله نفسها ، وليس فقط فى كم البيانات التى جمعت عنها ومداها . وقد اقترح "ين" Yin (2003) عدداً من معايير اختيار دراسات الحاله التى يمكن أن تساعده على فهم طبيعة دراسة الحاله بشكل أفضل .

١ - **الحاله النقدية :** هنا يتم اختيار الحاله التى ستتيح للباحث اختبار نظرية معينة أو فرضاً معيناً . بهذه الحاله تملك الإمكانيات التى توضح صحة تلك النظرية أم لا . ويمكن أن تكون هذه حاله وقع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتبع للباحث فرصه دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغير من نتائج .

٢ - **الحاله المتطرفة أو الفريدة:** هنا يكون التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تعد مختلفة عن مثيلاتها ، ولذلك يكون هذا الفرد هو موضوع تركيز الاهتمام . وقد تكون الحاله الوحيدة التى حدث فيها ارتباط خاص تمييز بين الناس والأحداث .

٣ - **الحاله الممثلة أو النمطية:** وهذه الحاله ليست في الحقيقة سوى عكس الحاله الفريدة تماماً . بهذه الحاله تختر لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة ، فهى بمعنى ما إحدى الحالات اليومية ، أو المعتادة ، التي تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى ، ويكون هذا هو مبرر اختيارها .

٤ - **الحاله الكاشفة:** هذه الحاله توفر فيها إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث . بهذه الحاله تتحقق للباحث منفذأً أو تفتح أمامه سبيلاً لفهم موقف كان خافياً عليه .

5 - الحالـة التـبعـيـة: تتيـح كـثـيرـاً من درـاسـاتـ الـحالـةـ فـرـصـةـ درـاسـتهاـ عـنـ نقاطـ زـمنـيةـ مـخـتـلـفةـ، ولـذـكـ تـخـارـ درـاسـاتـ الـحالـةـ التـبعـيـةـ عـلـىـ أـسـاسـ إـمـكـانـيـةـ إـجـراءـ درـاسـاتـ مـنـتـابـعـةـ لـهـاـ عـبـرـ فـرـةـ زـمـنـيـةـ مـعـيـنةـ (عـلـىـ نـحـوـ مـاـ سـلـفـتـ الإـشـارـةـ).

البحث الواقعى

بحث دراسة الحالـةـ

دراسة تشـابـينـ وـمـورـىـ (2008) بـعنـوانـ: "تأـثـيرـ إـغـلاقـ المـصـنـعـ عـلـىـ الـجـمـعـاتـ الـمـلـيـةـ وـالـاقـتصـادـ الـمـلـيـ": درـاسـةـ حالـةـ لإـغـلاقـ مـصـنـعـ مـورـيسـ روـفـرـ فـيـ لوـنـجـ بـرـيدـجـ فـيـ مـ، مـنـشـورـ فـيـ مجلـةـ درـاسـاتـ السـيـاسـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ، عـدـدـ (29)، صـصـ 317ـ305ـ.

أـجـريـتـ خـلـالـ الـخـمـسـيـنـ عـامـاـ الـأـخـيـرـةـ عـدـةـ درـاسـاتـ تـنـاـولـتـ تـأـثـيرـ إـغـلاقـ بـعـضـ المـصـانـعـ أوـ المـنـاجـمـ عـلـىـ الـمـنـطـقـةـ الـمـلـيـةـ الـمـحـيـطـ بـكـلـ مـنـهـاـ.ـ غـيـرـ أنـ مـعـظـمـ هـذـهـ درـاسـاتـ رـكـزـتـ اـهـتـمـامـهـاـ عـلـىـ الصـنـاعـاتـ الـتـىـ يـعـمـلـ فـيـهـاـ النـاسـ وـيـعـيـشـونـ فـىـ نفسـ الـمـنـطـقـةـ.ـ وـسـعـىـ باـحـثـوـنـ آـخـرـوـنـ إـلـىـ التـعـرـفـ عـلـىـ تـأـثـيرـ نـوـعـ مـخـتـلـفـ مـنـ إـغـلاقـ،ـ حـيـثـ يـنـتـشـرـ العـالـمـوـنـ فـيـهـ عـلـىـ رـقـعـةـ جـغـرافـيـةـ وـاسـعـةـ،ـ كـمـاـ أـنـ الـاسـغـنـاءـ عـنـ الـعـمـالـ تمـ عـلـىـ اـمـتـدـادـ فـرـةـ زـمـنـيـةـ بـلـغـتـ ثـمـانـيـ سـنـوـاتـ عـلـىـ الـأـقـلـ.ـ وـمـنـ نـمـاذـجـ ذـلـكـ الـاـنـهـيـارـ الـعـارـضـ الـذـيـ أـصـابـ شـرـكـةـ مـورـيسـ روـفـرـ لـصـنـاعـةـ السـيـارـاتـ،ـ إـغـلاقـ مـصـنـعـهـاـ الرـئـيـسيـ فـيـ لوـنـجـ بـرـيدـجـ فـيـ بـرـمـجـاهـاـ بـالـمـلـكـةـ الـمـتـحـدةـ عـامـ 2005ـ،ـ حـيـثـ فـقـدـ 5900ـ عـاـمـلـ وـظـائـفـهـمـ.

ماـذـاـ فـعـلـ الـبـاحـثـانـ؟

جـمـعـ الـبـاحـثـانـ بـيـانـاتـ ثـانـوـيـةـ مـنـ عـدـةـ مـصـادـرـ مـخـتـلـفـةـ،ـ شـملـتـ:ـ كـشـوفـ الـمـرـبـاتـ مـنـ 1998ـ حـتـىـ 2005ـ (ـحـيـثـ تـتـضـمـنـ تـلـكـ الـكـشـوفـ مـعـلـومـاتـ عـنـ محلـ سـكـنـ كـلـ عـاـمـ)،ـ وـبـيـانـاتـ شـهـرـيـةـ بـعـدـ الـطـلـبـاتـ الـمـقـدـمةـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ إـعـانـةـ الـبـطـالـةـ،ـ وـبـيـانـاتـ التـعـدـادـ السـكـانـيـ،ـ وـبـيـانـاتـ عـنـ أـنـشـطـةـ الشـرـكـةـ دـاـخـلـ الـأـحـيـاءـ الـمـحـيـطـ.

نتائج البحث

اكتشف الباحثان أن تأثير إغلاق المصنع كان محسوساً في منطقة جغرافية واسعة، لأن العمال كانوا ينتقلون يومياً من أنحاء مختلفة من برمجها و المدن الواقعة جنوبها إلى المصنع، ثم يعودون بعد انتهاء العمل، هذا طبعاً إلى جانب بعض الآثار المهمة التي لحقت بالبيئة المحلية المحاطة بالمصنع.

تصميم البحث

انصب تركيز هذا البحث على التأثير المكانى الواسع لإغلاق منشأة صناعية ضخمة، وبذلك كانت دراسة مصنع لونج بريديج بمثابة فرصة لإجراء دراسة حالة نقدية.

المثال (3-8)

الطلاب والمشروعات الكحولية

تصميم دراسة الحالة

يمكن أن تركز دراسة الحالة على طريقة تعاطي المشروعات الكحولية وسط إحدى الجماعات الاجتماعية، وكيفية النظر إلى تعاطي الكحول كجزء من الأنشطة الاجتماعية للجماعة. وفي هذه الحالة يمكن اختيار اتحاد طلاب الجامعة بوصفه نموذجاً مثالياً للجماعة الاجتماعية التي نقصدها. ويمكن - كإجراء بديل - دراسة اتحادين جامعيين متباينين عن بعضهما تباهياً شديداً، مثلاً : من ناحية غالبة العضوية الذكورية على أحدهما، وغالبة عضوية الإناث على الاتحاد الآخر.

ومن الواضح أن اختيار نوع دراسة الحالة يمكن أن يأخذ في اعتباره عناصر أكثر من المعايير الخمسة التي سلفت الإشارة إليها. كما يمكن أن تتضمن دراسة الحالة بعض العناصر المستمدة من تصميمات بحثية أخرى. معنى ذلك - مثلاً - إجراء دراسة مسحية للناس الذين يعيشون في المنطقة موضوع دراسة الحالة، وتكون تلك الدراسة جزءاً من التصميم العام للبحث. كما يمكن - من ناحية أخرى - أن تناح فرصة إجراء دراسة شبه تجريبية في إطار دراسة الحالة. كما أن تصميم دراسة الحالة يمكن أن

يشمل حالة واحدة، أو عدة حالات. ويمكن أن يتيح تعدد الحالات فرصة إجراء دراسة مقارنة (انظر الفقرات التالية).

بحثك

اختبار جودة البحث: تصميمات دراسة الحالة

- هل تستطيع تعين الحالة التي سوف تسمح لك بمعالجة سؤال بحثك أو باختبار فرضك؟
- ما هي السمة التي يمكن أن تسم بها دراستك للحالة، هل هي حالة ندية، أو حالة عادية... إلخ؟
- هل تستطيع تعين حدود واضحة للحالة التي ستدرسها؟
- كيف تصف نتائج بحثك من حيث إمكانية تعميمها، أو قيمتها النظرية، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعي وتكون “بديلا عنه”，أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسبة وموثوقة بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثي بالنسبة لمجروثيك؟

تمدنا التصميمات البحثية الأربع: التجربى ، والمسحى ، والتبعى ، ودراسة الحالة بالبيانات وأطر التحليل التي تستطيع الاستعانة بها عند الشروع فى وضع خطط بحثنا . وهذا سنحتاج إلى العودة لموضوع أسئلة البحث ونمنع النظر فى الاستراتيجية البحثية الشاملة التي تحتاج إليها معالجة تلك الأسئلة ، واضعين فى الاعتبار التصميمات البحثية الأربع التي فرغنا من عرضها لتو .

بحث

اتخذنا في هذه الفقرة من الفصل مثلاً موضوع بحثى من "الطلاب والمشروبات الكحولية"، واقترحنا نماذج لتصميمات بحثية يمكن استخدامها دراسة هذا الموضوع. حدد لنفسك موضوع بحث، وحاول أن توضح كيف يمكن أن تدرسه باستخدام كل تصميم من تلك التصميمات الأربع.

التصميم شبه التجاربى : -----

التصميم المسحى : -----

التصميم التبعى : -----

تصميم دراسة الحاله : -----

استراتيجيات البحث

الاستراتيجية البحثية هي في جوهرها خطة البحث. وقد تكون التصميمات البحثية الأساسية الأربع التي عرضنا لها فيما سبق كافية لتمكينك من تخطيط بحثك. إلا أنه قد يكون من المفيد كذلك أن نمعن النظر هنا في بعض تنويعات هذه التصميمات أو تطوير محدد لبعضها. وهي تنويعات وتطويرات استحدثت على امتداد تاريخ البحث الاجتماعي بمعرفة بعض الباحثين الذين سعوا إلى تدقيق أو تجريب أساليب مختلفة لدراسة الظواهر الاجتماعية.

سوف نستعرض فيما يلى استراتيجيات : البحث المقارن، وبحوث التقييم، والبحث الإثوجرافى، وبحوث النظرية المونقة. وسوف نقابل في ثانيا عرضنا لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الأربع تصميماً أو أكثر من التصميمات الأربع التي تناولناها في الفقرة السابقة.

البحث المقارن

تستخدم التصميمات المقارنة عادة لدراسة بلدان أو أكثر، أو دراسة ثقافتين أو أكثر، ولكنها أكثر ما تكون انتشارا في دراسات السياسة الاجتماعية. والقاعدة العامة أن يتضمن التصميم البحثي دراسة مفصلة لجانب، أو سياسة اجتماعية، أو قضية، أو سمة مميزة معينة لكل من البلاد أو الثقافات موضوع الدراسة المقارنة. كما يشتمل التصميم على مقارنة تلك العناصر موضوع الدراسة وفقاً لبعض المعايير المشتركة. ولا يقتصر اهتمام الباحث على ملاحظة أوجه التشابه والاختلاف بين الحالتين المدروستين، وإنما يحرص كذلك على أن يتبيّن أوجه الاختلاف بين هذين السياقين. وقد يشمل هذا السياق التعرّف على : التاريخ ، والعادات ، والنظم الاجتماعية ، والإيديولوجيات ، والقيم ، وأساليب المعيشة الخاصة بكل بلد ، أو ثقافة ، أو منظمة ، أو مجتمع محلي . وسبب ذلك أن الباحث يبدى اهتماماً بكيفية تأثير تلك العناصر على مجال البحث .

والغالب أن تستخدم البحوث المقارنة عدة تصميمات لدراسة الحالة ، تتبع للباحث الدراسة المتعقّلة لكل حالة (أى بلد أو ثقافة ما) ، وتسعى إلى تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين الحالات المدرّسة .

لماذا نستخدم استراتيجية البحث المقارن؟

تزودنا الدراسة المقارنة للبلاد أو الثقافات المختلفة عن بلد الباحث أو ثقافته بقدر أكبر من الوعى وفهم بلد الباحث أو ثقافته ، لأنها تتيح له الفرصة للنظر إلى موقف مأثور ”بعيون مختلفة“ . كما يمكن استخدام البحث المقارن كأساس لتطوير أنماط أو نماذج للطرق التي تنظم بها البلاد أو الثقافات نفسها أو تفكّر في حياتها . من ذلك مثلاً التنميط الذي طوره إسبنجل - أندرسون لبعض الدول من واقع مواقفها من الرعاية الاجتماعية (إسبنجل _ أندرسون ، 1990) . وعلى هذا الأساس يمكن لدراسة السياسة الاجتماعية دراسة مقارنة اختبار هذا النموذج ليس فقط في فهم البلد الآخر ، وإنما كذلك فهم ما تمر به من تغيرات عبر الزمن .

ويعتمد الإطار البحثي المقارن عادة على تصميمات بحثية مسحية ، وتصميمات دراسة الحالة . وفي هذه الحالة يتعمّن أن تعكس معايير المقارنة تساوّلات البحث ، وأن تدل على طبيعة البيانات التي يلزم جمعها . وقد تكون مثل هذه البيانات خليطاً من البيانات الفردية ، والوثائق ، والإحصائيات ، التي تكون في الغالب بيانات ثانوية .

وقد أصبح جمع البيانات الازمة للدراسة المقارنة بين الدول أكثر سهولة بالنسبة للطلاب بفضل ظهور عدد من مصادر البيانات الموحدة (انظر قائمة المصطلحات). فقد كان من الصعوبات التي تعرق إجراء البحث المقارنة بين الدول عدم توفر بيانات مقارنة خاصة بكل دولة. واليوم تتولى بعض المنظمات مثل "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية"(**)، والاتحاد الأوروبي (***) جمع بيانات مشابهة من عدد من الدول وتلقى الضوء على أوجه الاختلاف في طرق جمع تلك البيانات، وبذلك تتوفر للباحثين فرصة الحصول على بيانات مقارنة من عدة دول حول العالم. ويعد "مسح الصحة، والشيخوخة، والتقادم في أوروبا" (المشار إليه لاحقاً في برواز "البحث الواقعي") نموذجاً للبحوث التي تجري على مستوى الدول الأوروبية، والتي يمكن أن توفر بيانات مقارنة حول بعض الموضوعات والقضايا للطالب الذي يكون مهتماً بها.

البحث الواقعي

الدراسة المقارنة

دراسة أيرلندية، وكولي، وفوجل (2007) بعنوان: "مبادلات الزمن والأموال بين الأجيال في الأسر الأوروبية: الأنماط المشتركة والنظم المتباينة" منشور في: المجلة الدولية للسياسة الاجتماعية الأوروبية، عدد (17)، 319 صفحة.

نظراً الوصول عدد كبير من سكان الدول الأوروبية إلى سن الشيخوخة، وما يتكافئ هذا الوضع من نفقات لإعاشه كبار السن؛ اتجه هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تدفق المال والموارد بين الأجيال في عشرة بلاد أوروبية.

(*) OECD = Organization for Economic Cooperation and Development: www.oecd.org
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

(***) EU = European Union: Euro Srat ، <http://epp.eurosrat.ec.europa.eu/>
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

ماذا أراد الباحثون استكشافه؟

أراد الباحثون جمع المزيد من المعلومات عن تدفق الأموال والموارد الأخرى - بما فيها وسائل الدعم الاجتماعي ورعاية الأحفاد - بين الآباء وأبنائهم الكبار. وهل تختلف أنماط ذلك بين نظم الرعاية المختلفة؟

ماذا فعل الباحثون؟

استخدموا بيانات خاصة بعمر 777، 22 فرداً من عشرة بلاد أوروبية (ليس من بينها المملكة المتحدة). وكانت تلك البيانات قد جمعت كجزء من "مسح الصحة، والشيخوخة والتقادم في أوروبا"^(*)، وهو عبارة عن مسح تبعي دولي مقارن ومتعدد التخصصات يتناول أوضاع السكان الذين تتجاوز أعمارهم الخمسين عاماً. وسعوا بعد ذلك إلى الكشف عن الفروق بين البلدان باستخدام تنميط لنظم الرعاية الاجتماعية والصحية.

نتائج البحث

اكتشف الباحثون أنه يحدث في كافة الدول الأوروبية تدفق صاف من الآباء إلى أبنائهم الكبار، خاصة من ناحية الآباء الأصغر سناً نسبياً، إلا أنه تبين أن المال والموارد تتدفق من الآباء لأبنائهم البالغين بمعدل أقل، ولكن "بكثافة أكبر" في دول جنوب أوروبا، وأن فروق هذا التدفق تعكس الفروق في نظم الرعاية المختلفة.

تصميم البحث

استطاع الباحثون استخدام بيانات سبق جمعها في إطار مسح ضخم دولي مقارن، تم فيه توجيه نفس الأسئلة إلى أفراد العينة الذين تتجاوز أعمارهم خمسين عاماً وينتمون إلى عشر دول أوروبية. ويمكن القول أن هذا البحث قد انتهى فرصة توفر تلك البيانات التي جمعها ذلك المسح الدولي الضخم، واستفاد بها في الإجابة على تساؤلات بحثهم. كما اعتمد الباحثون على نماذج نظرية متوفرة فعلاً لنظم الرعاية الاجتماعية لمساعدتهم على تفسير الفروق التي اكتشفوها بين الدول المختلفة.

(*) SHARE = Survey of Health, Ageing and Retirement in Europe. [www.share-project.org./](http://www.share-project.org/)

اختبار جودة البحث : البحث الاجتماعي المقارن

- كيف سترجع اختيارك للحالات ؟ وما أساس المقارنة التي عدتها؟
- هل استطعت تحديد المعايير التي ستقارن بين الحالتين على أساسها؟
- هل يمكنك تعريف البيانات القابلة للمقارنة والمتعلقة ببؤرتى البحث؟
- كيف ستتناول قضايا الاختلاف في اللغة ، وفي الثقافة ، وفي التفسير؟
- هل ستعتمد على البيانات الثانوية وحدها ، وأعني البيانات التي جمعها باحثون آخرون لخدمة أغراض بحثية أخرى ؟ كيف سترجع وتفسر هذا الاعتماد؟
- هل يمكنك جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوقة بها من كلتا حالتى الدراسة؟
- هل توجد ثمة دلالات أخلاقية لدراستك؟

بحوث التقييم

يعنى التقييم فى جوهره تقدير قيمة شيء ما من حيث تأثيره على ظرف معين ، أو على فرد (أو أفراد) ، أو منظمة معينة . وترتبط بحوث التقييم الاجتماعي عادة بتدخل أو تغير معين تم إحداثه بشكل مقصود ، وذلك لمعرفة ما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغيير المنشود أو النتائج المستهدفة من عدمه . والقضية المحورية هنا هي تقرير كيفية تحديد تلك النتائج وكيفية قياسها . وقد يتم تعريف القيمة فى ضوء الفوائد الملحوظة (الظاهرة) القابلة للقياس ، التي تحققت لصالح جماعات معينة ، أو زيادة الكفاءة ، أو الرضا ، أو منفعة النقود أو تحسين الممارسات المتبعه .

ولعل التصميم شبه التجريبى هو الأنسب لبحوث التقييم ، حيث يحدث تدخل فى ظرف أو موقف معين وظروف آخر لم يحدث فيه مثل هذا التدخل (العينة الضابطة) ويمكن كدليل للتصميم شبه التجريبى استخدام التصميم التبعي ، حيث يكون أكثر ملاءمة فى الحالات التى تكون فيها البيانات قد جمعت قبل حدوث التدخل وبعده .

من ناحية أخرى يرجح الاستعانة في البحث التقييمي ببعض عناصر التصميم المسحى المقارن، وربما كذلك تصميم دراسة الحالة.

مبررات إجراء البحث التقييمي

- 1 - للكشف عما إذا كان التدخل أو التغيير قد حقق النتائج المنشودة من عدمه.
 - 2 - لتقدير مدى نجاح عملية ما (مثل تنفيذ سياسة اجتماعية، أو تطبيق أسلوب جديد).
 - 3 - للوقوف على كيفية تحسين عملية معينة أو تدخلًا معيناً.
 - 4 - لتقدير ما إذا كانت تكلفة العملية (مثل الخدمة، أو تنفيذ سياسة اجتماعية . . . إلخ) تساوى ما أنفق عليها من مال، أو حفقت "أقصى ما يمكن" مقابل هذا المال.
 - 5 - للكشف عن العناصر التي نجحت (أو التي فشلت) وأسباب ذلك في كلا الحالتين.
- والغالب أن يتم جمع كم كبير من البيانات لتوفير الدليل على "قيمة" ما تحقق. وتشتمل تلك البيانات على بيانات كمية وبيانات كيفية. يتم جمعها من مجموعات متنوعة من الأفراد. من ذلك - مثلاً - أن تقييم استحداث خدمة جديدة يمكن أن يشتمل على توفير البيانات التالية:
- بيانات كمية توضح عدد الناس الذين يستخدمون هذه الخدمة، وأنماطهم المختلفة.
 - بيانات عن رضا الناس الذين ينتفعون بهذه الخدمة.
 - بيانات متعمقة مستمدّة من المتنفعين بهذه الخدمة تتعلق بخبراتهم معها وتصوراتهم عنها.
 - آراء مقدمي هذه الخدمة، بدءاً من العاملين وحتى المديرين المسؤولين، تتعلق بجودة الخدمة المقدمة للناس، ورأيهم في تأثيرها عليهم.
 - شواهد وثائقية عن طريقة تصميم الخدمة وطرق تقديمها، تشمل على سبيل المثال: الخطط، ومحاضر الاجتماعات المتعلقة بذلك.

البحث الواقعى بحوث التقييم

دراسة هيرست ، وموربای ، وبار ، ونيسكون ، وهنتر (2007) بعنوان: "تقييم مبادرتين لكافأة الشباب فى مدينة يورك: مؤسسة جوزيف راونترى" ، منشورة على الموقع التالي:

www.jrf.org.uk/knowledge/findings/housing/2149.asp .

(تاريخ آخر دخول على الموقع 11 سبتمبر 2008)

أدى الإحساس بالقلق من سلوك بعض الشباب في بعض الأحياء؛ أدى بصدقوق إسكان جوزيف راونترى إلى ابتكار مشروع لكافأة السلوك "الطيب" يقوم على تجميع نقط عن الأنشطة التي تقدم خدمات للمجتمع. وتخول النقاط التي يحصل عليها الشاب؛ تخول له الحصول على بعض المكافآت، كذاكر لدخول السينما مثلاً. وقد تم تنفيذ هذا المشروع في اثنين من المدن البريطانية.

ماذا فعل الباحثون؟

طلب من الباحثين تقييم المشروع من حيث نجاجه في كلا الدينتين، وتصورات الشباب عن المشروع، ومن حيث حدوث زيادة في مشاعر التسامح تجاه الشباب وتجاه أنشطتهم.

وقد تم جمع البيانات بعدة طرق: المقابلات، وجماعات المناقشة المركزية (البؤرية)، وبحوث المشاركة. كما غطت البيانات مختلف أصحاب المصلحة (بمن فيهم بعض الشباب الذين شاركوا في المشروع، وبعض من لم يشاركوا)، والعاملين في المشروع، وبعض سكان الدينتين.

نتائج البحث

حقق المشروع مستويات متباعدة من النجاح في الدينتين. ولم تنجح أي من الدينتين في ضم شباب دون الخامسة عشر إلى المشروع. وتتوفرت بعض الشواهد في إحدى الدينتين عن ميل بعض الشباب إلى الانحراف في أنشطة المجتمع المحلي

والاهتمام بها . إلا أن التقييم لم يستطع أن يوضح ما إذا كانت قد حدثت زيادة في درجة التسامح تجاه الشباب ، أو ما إذا كان المشروع قد حقق نجاحا طويلا المدى .

تصميم البحث

أخذ التصميم الأولى للمشروع الذي بدأ في مدینتين ، أخذ في الاعتبار إجراء عملية تقييم له . وقد ضمن ذلك أن تراعي الظروف الخاصة بكل مدينة (بما في ذلك مستوى الموارد المتاحة للمشروع) وكيفية تأثير تلك الظروف على مسار المشروع . وقد غطى بحث التقييم مختلف أصحاب المصلحة ، بمن فيهم الشباب الذين شاركوا فيه والذين لم يشاركوا (كنوع من الجماعة الضابطة) .

والمعتاد - ولكن ليس دائما - أن يكون بحث التقويم ذات قيمة للجهة التي كلفت بإجرائه ، أو لأطراف أخرى من يعملون في مجالات مشابهة . فقد ينفذ البحث بهدف معرفة المجالات التي يمكن إدخال تحسينات عليها ، أو لاستخلاص بعض الدروس التي يمكن أن تفيد آخرين في ظروف مشابهة .

وفيما يتعلق بمجال السياسة الاجتماعية وبعض مجالات الخدمة الاجتماعية غالبا ما يرتبط البحث التقييمي بتقدير الآثار المترتبة على بعض السياسات الاجتماعية ، أو الممارسات ، أو المشروعات الجديدة ، كما يستهدف تقدير ما إذا كانت تلك السياسة أو الممارسة أو المشروع قد حققت ما كان مرجوا منها ، وأسباب ذلك . وقد ابتكر العمالان البريطانيان باوسون وتيللي (1997) فكرة التقييم الواقعى الذى يتلزم بالأفكار الأساسية للواقعية النقدية (الفصل 2 من الباب 1) . وذهب هذان العمالان إلى أن البحث يجب أن يضم بحيث يمكن أن يجيب على السؤال : "لماذا نجح المشروع / أو لماذا لم ينجح؟".

بحث

اختبار جودة البحث : البحث التقييمي

- هل ستساعد البيانات التي تقوم بجمعها على الإجابة على أسئلة التقييم؟
- هل تحت يدك بيانات قابلة للمقارنة عن الموقف قبل تنفيذ المشروع أو التدخل أو التغيير؟

- هل تستطيع جمع بيانات عن مختلف أصحاب المصلحة - وهم أصحاب اهتمامات مختلفة - تجاه المحور الأساسي للتقدير؟
- ما وضعك بالنسبة للتقدير والمشاركين في البحث؟ وهل أنت خارج الموقف الذي تناوله، أم تعتبر "عنصراً داخلياً"؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعليم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لاشك أن ذلك سوف يتوقف على الأسلوب الذي اتبعته في اختيار المشاركين في بحث التقييم.
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبّر عن الواقع الاجتماعي وتكون "بديلاً عنه"، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟ هل أنت متأكد أن البيانات التي جمعتها قد جمعت بطريقة متسقة وموثوقة بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لعملية التقييم بالنسبة لمختلف أصحاب المصلحة الذين شاركوا في البحث؟

البحث الإثنوجرافي^(*)

إن ما يجعل الدراسة الإثنوجرافية مختلفة عن أنواع الدراسات الأخرى هو تلك العلاقة بين الباحث والمادة التي قام بجمعها. ففي الدراسة الإثنوجرافية ينفق الباحث وقتاً طويلاً (قد يصل أحياناً إلى عدة سنوات) منغمساً انغماساً شديداً في المجتمع الذي يدرسه، يرى البيانات ويسمعها مباشرةً من أصحابها. ويسمى هذا المجال عادةً "الميدان" أو "البيئة الطبيعية". والمعتاد أن يضطلع الباحث بدور في حياة الجماعة التي يدرسها، مما يسمح له بالمشاركة في مجتمع البحث كباحث وطرف مشارك في نفس

(*) يمكن أن يعرف القارئ المزيد عن مختلف جوانب المنهج الإثنوجرافي في الدراسات الاجتماعية والأثنروبيولوجية في روبرت إيرسون وزملاؤه، *البحث الميداني الإثنوجرافي*، ترجمة هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. وانظر كذلك: شارلين هس - بيير وباتريشيا ليفى، *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية*، ترجمة هناء الجوهرى، مراجعة وتقديم محمد الجوهرى، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١. (المترجم)

الوقت . ومن نماذج البحوث الإثنوغرافية الوثائقية التي حظيت بشهرة في الإعلام نشير إلى أعمال لوى تيرو ، انظر له مثلا:

(آخر دخول على <http://news.bbc.co.uk/1/hi/magazine/7753282.shm> الموقع بتاريخ 20/7/2009) وأعمال بروس بارى . www.bbc.co.uk/tribe/index.shtml (آخر دخول على الموقع بتاريخ 20/7/2009).

ويحتفظ الباحث بذفتر يوميات يدون فيه ملاحظاته التأملية والنقدية ، حيث تصبح هذه التأملات جزءاً من البيانات التي يقوم عليها البحث . وبعد أن يتم جمع البيانات وتحليلها ، قد يؤثر ذلك على طريقة جمع المزيد من البيانات مستقبلا . والمعتاد أن يتم جمع البيانات باستخدام الملاحظة المباشرة ، والحوارات ، وأحياناً بعض المقابلات الأقرب للطابع الرسمي . ولا يغفل البحث الإثنوغرافي الإفادة من الوثائق المتصلة بموضوع الدراسة . كذلك يتم جمع البيانات الميدانية باستخدام التصوير ، الفوتوغرافي أو الفيديو . (إذا كنت مهتماً بهذا اللون من الدراسة ، راجع المزيد عنها في فقرة "المراجع وقراءات للاستزادة" الواردة في نهاية الفصل)^(*).

والواقع أن النهج الإثنوغرافي يسير على نهج تصميم دراسة الحالة . وإن كان سيزيد عليه بعد آخر هو مشاركة الباحث في الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة ، كما يتميز على دراسة الحالة بسعيه - من خلال المشاركة وجمع البيانات بالطرق المعتادة والتأمل النقدي - للوصول إلى فهم أعمق لثقافة الجماعة ، أو المنظمة ، أو المجتمع المحلي محل الدراسة . ويتم التوصل إلى هذا الفهم بملاحظة كيفية تأسيس الناس للمعنى الاجتماعي وللأفعال في أثناء حياتهم اليومية .

وعلى الرغم من أن الدراسة الإثنوغرافية الطويلة ليست بالأمر الميسور أو المتأخر لأغلب الطلاب الجامعيين ، فإنه يمكن تصميم دراسة أقصر أو أصغر نطاقا ، قد تتركز

(*) لقى أسلوب التصوير الفوتوغرافي ، وبالفيديو ، وبالسينما رواجا كبيرا في البحوث الاجتماعية والأنثropolوجية الحديثة (خاصة طوال العقود الماضيين) . وقد شجع على ذلك التطور المذهل في صناعة آلات التصوير ، وأخيرا دخول التصوير الرقمي ، مما أدى إلى تجريد عملية التسجيل ، وتبسيطها ، وخفض تكلفتها . كل ذلك مع ارتفاع العائد العلمي (الترقيق) من وراء استخدامها . انظر مادة : الأنثروبولوجيا البصرية في : موسوعة علم الإنسان ، ترجمة محمد الجوهرى و زملاؤه ، ط ٢ ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠ . وانظر أيضا : جان بول كولين و كاترين دو كليل ، السينما الإثنوغرافية . بينما الغد ، ترجمة غراء منها ، مراجعة وتقديم علياء شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢ . (المترجم)

على منظمة أو جماعة يتمتع الباحث فعلاً ببعضويتها أو كان يعمل فيها بدوام جزئي، لمدة عدة أسابيع، وليس عدة سنوات.

ولب الدراسة الإثنوجرافية ليس مجرد جمع أكبر قدر من البيانات وحسب. فلابد أن يكون للبحث بؤرة ينحصر حولها - وهو عبارة عن سؤال بحثي يتعين الإجابة عليه. تتعلق بطريقة تفاعل الناس مع بعضهم البعض، وأشكال التدرج الطبقي التي تتجلى في طريقة عمل الناس وتعاونهم معاً، وكيفية تنظيم المبحوثين أنفسهم.

البحث الواقعى

الدراسة الإثنوجرافية

. دراسة يون - مان سو (2008) بعنوان : "الوصمة المصاحبة للتلازمة السارس (مرض الجهاز التنفسى الحاد)^(*) لضحايا انتشار هذا الوباء فى هونج كونج" ، منشور فى مجلة: البحوث الصحية الكيفية ، عدد 18 : 729 .

فى عام 2003 نقشى مرض السارس (الذى يصيب الجهاز التنفسى بشكل حاد) فى هونج كونج . وهذا المرض الجديد - الذى يهدد حياة المريض به - مرض شديد العدوى ، مما أثار بشأنه فلقا فى شتى أنحاء العالم ، ودعى إلى تجنيد الفرق الطبية لكي تعمل على احتواه ومحاصرته . وقد بلغ عدد المصابين بهذا المرض حينها نحو 1700 فرداً ، توفي منهم 299 . وقد اكتشف المصابون الذين نجوا من الموت أنهم موصومين من الناس وي تعرضون للتحيز تجاههم ، ومن ثم ظل الكثيرون منهم يعانون من متابعة جسدية ونفسية . من ذلك مثلاً أن بعضهم يضطر إلى ارتداء قناع يخفي وجهه عند تواجده فى الأماكن العامة ، لأن الآخرين يظنون أنه سينقل إليهم العدوى .

ماذا فعلت الباحثة

اهتمت الباحثة بمعرفة كيفية تكوين المجتمع للوصمة والتحيز المرتبطين بضحايا مرض السارس . لهذا أرادت أن تفهم خبرات وتصورات ضحايا السارس .

(*) SARS = Severe Acute Respiratory Syndrome

وقررت أن تقضى 16 شهراً في علاقة وثيقة مع جماعة مساعدة ذاتية من مرضى السارس. وهكذا قامت بجمع بيانات بحثها بواسطة: الملاحظة المشاركة، وال مقابلات، وحضور عدد من الاجتماعات والمحاورات. وكان لدى جميع المبحوثين علم بعملية إجراء البحث. واحفظت الباحثة بدقائق يوميات بحثي، كما قامت بمراجعة ما توصلت إليه من تأملات وتفسيرات مع مبحثيها.

نتائج البحث

اكتشفت الباحثة أن الوصمة المرتبطة بضحايا مرض السارس لا يمكن الإحساس بها وفهمها إلا من خلال استمرار معاملة الأطباء، والحكومة، والجمهور لضحايا السارس على أنهم أناس مختلفون.

تصميم البحث

أتاح المنهج الإثنوجرافي للباحثة أن توسم - بمرور الوقت - علاقات ثقة مع الناس، وأن تلاحظ كيفية ارتباطهم الوثيق بعضهم ببعض، والتشارك فيما يمررون به من خبرات.

بحثك

اختبار جودة البحث: البحث الإثنوجرافي

- هل سيمكنك “الدخول” إلى المجتمع أو الوسط الذي يساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك؟
- هل ستكتشف عن شخصيتك كباحث صراحة، أم تجريه مستتراً، وما هي الدلالات التي سترتب على دراستك؟
- كيف ستسجل وتعبر عن أفكارك وتفسيراتك؟
- كيف ستقوم بمراجعة تفسيراتك مع الآخرين؟

- ما حدود دراستك في إطار مجتمع الدراسة الذي تعمل فيه؟
- هل سيكون بوسنك الدفاع عن نتائج بحثك من حيث قابليتها للنعميم ، وقيمتها النظرية ، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوقة بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لدراستك بالنسبة لمبحثك؟

النظرية الموثقة

هذه هي الاستراتيجية البحثية الرابعة والأخيرة . والنظرية الموثقة شيء غير اعتيادي بعض الشيء . ويمكن القول أن النظرية الموثقة تعد - من نواح عد - « مجرد طريقة أخرى » من طرق جمع البيانات . إلا أنها تحظى بقدر غير عادي من الشهرة والانتشار - خاصة في الولايات المتحدة - الأمر الذي دفعنا إلىتناولها بوصفها أسلوبا يمكن استخدامه في إجراء بحثك . ولكننا نأمل أن يأخذ القراء هذه الفقرة من هذا الفصل بقدر من الحذر ، إذ مع أنه تساورنا بعض الشكوك الحقيقة بشأن هذا المنهج برمهه ، إلا أننا مقتنعون بأن بعض ما يشتمل عليه من عمليات جمع البيانات وتحليلها يمكن أن تكون مفيدة في كثير من البحوث ، ولو أنها غير قادرة على توليد أي أفكار نظرية .

المسار الطبيعي لعمل أي باحث هو أن ينطلق من نظرية معينة (أو ربما من : فرض معين) ، أو من تساؤل بحثي ، ثم يقوم بجمع البيانات اللازمة لاختبار النظرية أو الفرض ، أو للإجابة عن التساؤل (الفصلين 2 و 4 ، من الباب 1) . ولكن النظرية الموثقة تفعل عكس هذا . فهي عبارة عن توجه بحثي منظم يقوم على تطوير - أو توليد - النظرية من واقع البيانات التي يتم جمعها . وأقل ما يوصف به مثل هذا الأسلوب أنه غير مألف . ومثير للكثير من المشكلات . ذلك أنه أصبح من الأمور المتقد عليها بين أغلب المشغلين بالعلوم الاجتماعية أن البحث لا يمكن أن يكون فاقدا للنظرية (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) . أي إنه لا بد أن يوجد دائمًا نوع من النظرية الأساسية (أو العامة ، حسب وجهة نظرك) أو مجموعة الأفكار المتعلقة بطبعات الأمور . ولكن طريقة النظرية الموثقة ترفض هذا الموقف ، مما يتسبب في إثارة مشكلة فلسفية .

والعادة أن تركز بعض الانتقادات الأخرى الموجهة إلى النظرية الموثقة على وصف نفسها بأنها «نظرية»، على أساس أن ما تنتجه ليس «بنظرية». وللوقوف على مناقشة حديثة لهذا النقد وللانتقادات الأخرى للنظرية الموثقة، راجع مؤلف توماس وجيمس (2006).

ما اتجاه النظرية الموثقة؟

أفضل وصف لاتجاه النظرية الموثقة أنه اتجاه بحثي منظم يقوم على توليد النظرية من واقع البيانات التي يتم جمعها. وقد «اكتشف» هذا الاتجاه عالماً الاجتماع الأمريكيان أسلم شتراوس وبارني جلاسر (انظر كتابهما الصادر 1967). وقد وصفا هذا الاتجاه الجديد بأنه محاولة لجسر الهوة بين النظرية والبحث. ثم حدث شفاق رئيسي بعد ذلك بين شتراوس وجلاسر، حيث اختلفا على تطبيق منهج النظرية الموثقة. وقد أدى هذا الخلاف في النهاية إلى انفصال جلاسر وتأسيسه «معهد النظرية الموثقة» (انظر موقع www.groundedtheory.org الذي يستحق منك زيارة إلكترونية). وتوفي شتراوس عام 1996 في سن التاسعة والسبعين، الأمر الذي جعل من المستحيل استعادة الوثام والتغلب على الخلاف مع جلاسر، وإن كانت "جولي كوربن" قد تابعت رسالته بشكل جزئي.

ولا شك أن النظرية الموثقة كمنهج بحثي تتسم بعدد من المزايا، ويرجع ذلك - في جانب منه - إلى كونها عملية شديدة التفصيل والتدقيق. ولذلك لا بد أن تتوفر للباحث الذي يستخدمها خبرة بحثية عريضة وقدر هائل من القدرة على الفهم والتبصر. ويمكن القول - إجمالاً - أننا نعتقد أن الباحثين المبدئيين يجب ألا يمارسوا طريقة النظرية الموثقة إلا بكثير من الحذر وتحت إشراف دقيق. ومع ذلك فالعمليات التفصيلية المستخدمة في هذه الطريقة تفيد الباحث فائدة جمة، ويمكن - مع بعض التعديلات - استخدامها في بعض السيناريوهات الأخرى لجمع البيانات وتحليلها.

ويتسم اتجاه النظرية الموثقة بعنصرتين رئيسيتين ومفيدين في نفس الوقت. أولاً: أننا يجب أن نلاحظ أن النقطة الأخيرة في تعريفنا السابق للنظرية الموثقة هي ما خلصنا إليه من أن كثيراً من الباحثين يستخدمون هذه الطريقة دون أن يتقبلوا عنصر توليد النظرية. ويرجع ذلك - في جانب منه على الأقل - إلى أن كثيراً من الباحثين يشعرون

أن سمة «التوثيق» (نستخدم هذا المصطلح بمناسبة التحليل الكيفي الذي يعني: الاتصال الدائم بالبيانات الخام) المميزة لهذه الطريقة تمثل مقومات تميزها المهمة. ويعني هذا أن هذا الاتجاه إنما هو طريقة لجمع البيانات وتحليلها، يتعامل مع البيانات بالشكل الذي تم به ملاحظتها، وسماعها وتسجيلها. فالباحث يتبنى بذلك اتجاهها استقرائيًا (انظر قائمة المصطلحات) في معالجة البيانات، على الأقل في المراحل الأولية من التحليل.

النقطة الثانية أنه في نفس الوقت الذي تستخدم فيه طريقة النظرية الموثقة في جمع البيانات، تتم عمليات توليد النظرية والتحليل بشكل متزامن. (يذهب كثير من الباحثين الاجتماعيين إلى أن عمليات جمع البيانات والتحليل [انظر الباب 4] تتم دائمًا بالتزامن مع بعضها، ولكن الأمور لا تسير بمثل هذا الوضوح في كل الأحيان).

ويمكن جمع البيانات وتحليلها وفقاً لطريقة النظرية الموثقة بعدة أساليب مختلفة. فالملاحظ عموماً أن هذا التكتيك يستخدم في البحوث الكيفية فقط، وإن كان لا يوجد سبب حقيقي يمنع استخدامه في البحوث التي تستخدم مزيجاً من طرق البحث، وهو ما يعرف باسم «طرق البحث المختلطة».

عملية تطبيق النظرية الموثقة

يبدأ البحث القائم على النظرية الموثقة بمجرد وصول الباحث إلى موقع البحث. ويكون دورك - كباحث - هو محاولة فهم العمليات التي تحدث أمامك، وفهم أساليب الفاعلين المشاركين في السلوك. وأكثر الأدوات التي تستخدم في ذلك انتشاراً هما: المقابلات، والملاحظة، وإن كان لا يوجد ما يمنع استخدام سائر الطرق الكيفية الأخرى. وفي أعقاب كل دورة من دورات جمع البيانات (أيا كانت الطرق المستخدمة فيها) يتم تسجيل «النتائج» (التي قد تكون بعض البيانات أو القضايا المحورية ... إلخ). وعلى الفور يتم استخدام تلك النتائج كجزء من عملية المقارنة المستمرة (انظر قائمة المصطلحات)، التي تمثل - إلى جانب عمليتي الترميز وتدوين المذكرات الميدانية (انظر قائمة المصطلحات) - عناصر أساسية في عملية التحليل. فتقوم في البداية بمقارنة البيانات المجموعة من مصادر مختلفة (التي يمكن أن تشمل - بطبيعة الحال - التراث النسوري عن الموضوع وكذلك النتائج التي انتهت إليها البحوث الإمبريالية). في نفس الوقت يحرص الباحث على التماس التماذج السالبة (انظر قائمة المصطلحات)، وهي

الشواهد أو الحالات التي تتناقض مع النظرية البازغة أو لا تؤيدتها. وعندما تضع يدك على هذه النماذج السالبة، فسوف تعتبرها مؤشراً على الحاجة إلى إجراء المزيد من البحث، الأمر الذي سيؤدي بدوره إلى تعديل النظرية البازغة. ويعد كذلك مؤشراً على أنك لم تصل بعد إلى مرحلة التشبع بالبيانات (انظر قائمة المصطلحات).

هناك اعتقاد أنه مع استمرار عملية البحث سوف تبزغ النظرية وتتبلور، بحيث يصبح من الممكن المقارنة بين البيانات والنظرية. ومن الأمور المختلف عليها ما إذا كان من الممكن بلوغ هذه المرحلة، ولكن مما لا شك فيه أن العمليات المستخدمة سوف تقيد البحث. من ذلك مثلاً أن المقارنة المستمرة غالباً ما تكون وسيلة ممتازة لبلورة الموضوعات والافتراضات الأساسية وتحديدها. وسوف تتناول عملية التحليل بمزيد من التفصيل في الفصل 8 من الباب 4 من هذا الكتاب.

ما جدوى اتجاه النظرية المؤثقة؟

تنسم طريقة النظرية المؤثقة ببعض المكونات والعمليات الفريدة التي يمكن أن تفید البحث الأخرى. نذكر منها ما يلى:

- يمكن أن تكون أفكار: وثاقة الصلة، وعملية الاستخدام، والقابلية للتعديل بمثابة بدائل مفيدة لفكرة الصدق.
- فكرة إجراء عمليتي جمع البيانات والتحليل بشكل متزامن.
- تتيح هذه الطريقة للباحث التعامل بشكل متزامن مع مصادر وأنواع مختلفة من البيانات.
- من الأمور الملهمة لنا جميعاً كباحثين تلك الطريقة الدقيقة التي يتم بها تحطيط العملية البحثية، وتنفيذها، وتسجيلها.
- اشتتمالها على العمليات والعناصر التالية:
 - **المقارنة المستمرة:** وهي مقارنة البيانات المستمدّة من مصادر مختلفة ومن أماكن وفي أوقات متباعدة لدعم عملية التحليل، وذلك جنباً إلى جنب البحث عن النماذج والحالات السالبة.

- الترميز: وهي عملية «وضع رموز» أو علامات مميزة على المادة للانتفاع بها لاحقاً عند التحليل. ولكنها تقسم إلى ثلاثة أبعاد مفيدة في هذه الحالة (البعد البالغ، والمحورى، والانتقامى).
- المذكرات الميدانية السريعة: وهي أساليب تسجيل وتأمل، وتحليل البيانات.
- التشيع بالبيانات: وهو مفهوم مهم يعني أن هناك بعض الأساليب التي يستطيع بها الباحث التأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافى» من البحث.

بحثك

اختبار جودة البحث: اتجاه النظرية الموثقة

من الناحية العملية يمكن القول أن اختبارات جودة البحث التي يتعين مراعاتها بالنسبة لاستراتيجية النظرية الموثقة هي نفس الاختبارات التي تراعى بالنسبة لاستراتيجية البحث الإثنوجرافى. إلا أن مخترعى النظرية الموثقة يرون أن قيمة هذا النوع من البحوث يمكن تقييمها على الوجه الأفضل وفقاً لعدة أساس يطلقون عليها مصطلح «وثاقة الصلة» relevance، والقابلية للتعديل modifiability، وعملية الاستخدام workability، (جلاسر وشتراوس، 1967). ومع أنها قد تتتعجب من قدرات مخترعى هذه الطريقة الإبداعية المجددة في استخدام اللغة، فإن التعريفات التي قدماها جديرة بالتأمل وإعمال الفكر، ومن الممكن الانتفاع بها في أنواع أخرى من البحوث.

وثاقة الصلة: لكي تكون الدراسة وثيقة الصلة بطريقة النظرية الموثقة، فلا بد أن تكون ذات أهمية أكademie، كما يتعين أن تكون مهمة للمشاركين في البحث (المبحوثين).

القابلية للتعديل: حيث إنه من المستحبن تطبيق مفهومي «الصواب» و«الخطأ» على النظرية الموثقة، فإنه يصبح من الممكن دائمًا تعديل النظرية كلما ظهرت بيانات «جديدة» بالقياس إلى البيانات المتوفرة فعلاً.

عملية الاستخدام: وهي مقاييس لأسلوب النظرية الموثقة في تفسير الموضوع أو القضية محل البحث.

وهكذا تدعى النظرية الموثقة أنها تمدنا بالنسق الفكري الذي يتيح لنا الحكم عما إذا كانت «النظرية» التي توصلنا إليها «جيدة» أم لا (لاشك أن القراء يدركون تمام الإدراك أن مصطلحات مثل «نظرية»، و«جيدة» .. هي محل خلاف). وهي تفعل ذلك بطرق تختلف عن الطرق المألوفة لنا. ويحدد شتراوس وكوربن (1990) توفر أربعة شروط لتنفيذ هذه العملية، هي :

- 1 - لابد أن تكون النظرية مناسبة للظاهره محل الدراسة.
- 2 - يتسع أن تكون النظرية مفهومة وقدرة على تزويدنا بالفهم.
- 3 - لابد أن تكون النظرية ملائمة لعدد كبير من السياقات.
- 4 - يجب أن تتضمن النظرية توصيفاً للظروف التي تنطبق عليها.

أي التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟

انضح من هذا الفصل أن تصميم البحث مسألة معقدة ، ولعل العنصر الحاسم في الموضوع أن يتتأكد الباحث أن التصميم الذي يضعه مناسب للمشروع الذي يكون بصدده القيام به. فكون أحد الباحثين قد فعل شيئاً شبيهاً في الماضي ، أو كون أحد تصميمات البحث يحظى بشهرة في هذا الوقت .. كل ذلك لا يعني أن هذا التصميم مناسب لمشروعك . لذلك يتسع عليك أن تمعن التفكير في مختلف التصميمات والاستراتيجيات البحثية المتاحة .

بحثك

في ضوء موضوع بحثك وتساؤلات البحث :

ما التصميم البحثي الذي سوف تختره؟

التصميم التجاري أو شبه التجاري سوف:

يمكنك من التعرف على التأثير الذي ترتب على تغير أو تدخل معين.

• يسمح لك بالوقوف على العلاقات العلية بين مختلف الخصائص ، والتغيرات ، وعمليات التدخل .

• يسمح لك باختبار فرض بحثك .

التصميم المحسى المقارن سوف:

• سوف يمكنك من مقارنة خبرات ، وأراء ، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات .

• سوف يسمح لك باستكشاف العلاقات المحتملة بين خبرات ، وأراء ، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات .

• يشتمل في العادة على بيانات مستمدة من عينة مختارة تمثل جماعات مختلفة من مجتمع البحث ، ويكون من الممكن تعميم النتائج على المجتمع كله .

التصميم التبعي سوف:

• يمكنك من الوقوف على التغيرات التي حدثت عبر فترة زمنية .

• يتتيح لك أن تحدد الفروق الأساسية التي ظهرت بمرور الزمن ، وأن تقف على التفسيرات المحتملة لذلك .

• يمكنك من الكشف عن الآثار التي ترتب على بعض الأحداث أو التغيرات الأساسية من واقع البيانات التي جمعت قبل تلك الأحداث أو التغيرات وبعدها .

تصميم دراسة الحالة سوف:

• يمكنك من تناول عدد قليل من الحالات بشكل متعمق .

• يتتيح لك أن تتأمل موضوع بحثك في سياق أو سياقات معينة .

• يمكنك من تبني توجه كلى (شمولي) في معالجة بحثك ، وفهم موضوعك في إطاره الواقعي .

المراجع وقراءات للاستزادة.

- Banks, M. (2001) *Visual Methods in Social Research*, London: Sage.
- BBC News (2008) Ban on student alcohol promotions BBC News, 31 March (<http://news.bbc.co.uk/l/hi/england/merseyside/7323578.stm>) (accessed 20 July 2009).
- Brewer, J. D. (2000) *Ethnography*, Buckingham: Open University Press.
- Esping-Andersen, G. (1990) *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, Cambridge: Polity Press.
- Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.
- Kennett, P. (2001) *Comparative Social Policy*, Buckingham: Open University Press.
- Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.
- Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.
- Pink, S. (2001) *Doing Visual Ethnography: Images, Media and Representation in Research*, London: Sage.
- Smithers, R. (2009) UK teenagers among heaviest drinkers in EU, *Guardian*, 27 March (www.guardian.co.uk/society/2009/mar/27/teenage-drinking-alcohol-binge) (accessed 20 July 2009).
- Strauss, B. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.
- Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.
- Yin, R. K. (2003) *Case Study Research: Design and Methods*, 4th edn, London: Sage.

الفصل الرابع

اختيار طرق البحث

محتويات الفصل

- اختيار الطرق .
- قضية الكيفي في مقابل الكمى .
- الطرق المختلطة .
- اختيار الطرق .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

سنبدأ في هذا الفصل النظر بشكل عملي إلى الطرق أو الاتجاهات التي يتم استخدامها في جمع البيانات ومعالجتها. وسوف تعتمد على تخطيط روبيك المنهجية على تساولاتك البحثية وعلى تعريفاتك الإجرائية (الفصل 4 من الباب 1)، وعلى طبيعة البيانات (الفصل 3 من الباب 1) التي تحتاج إلى جمعها كي تستطيع اختيار فرضك أو الإجابة على تساولات بحثك. والعادة أن نقسم المنهجيات البحثية إلى اتجاهات كمية واتجاهات كيفية. إلا أن المعناد أن يستخدم الباحثون أكثر من طريقة واحدة في جمع البيانات، بل إنه أصبح من الشائع بشكل مضطرب استخدام عدة طرق مختلطة. وسنبدأ بتناول الاتجاهات الكمية، ثم الكيفية، ثم المختلطة، إلى أن يُسلّمنا ذلك إلى إعمال الفكر في أساليب اختيار الطرق.

اختيار الطرق

التوجه الذى نتبناه فى هذا الكتاب هو أن اختيار طرق جمع البيانات ينبغي أن يتحدد فى ضوء فروض البحث أو ت Saulاته، وكذلك وفقاً لتلك العناصر من موضوع البحث التى تمثل بؤرة الاهتمام الأولى للباحث. لذلك يتوقف اختيار الطرق على نوع البيانات المراد جمعها، لكي يتمكن الباحث من اختيار فرضه أو الإجابة على تساؤلات بحثه. على أى حال - أن نعرف بأن هناك مجادلات بين الباحثين الاجتماعيين حول الاتجاهات الكلية (الشمولية) لجمع البيانات، وهو جدل ناجم عن تبني كل طرف لرؤى أونطولوجية وإيستمولوجية مختلفة للعالم الاجتماعى، ومختلفة بشأن كيفية دراسته. وقد أطلقنا على هذا الجدل تعابير: قضية الكيفي فى مقابل الكمى.

قضية الكيفي فى مقابل الكمى

تدلنا النظرة إلى تاريخ البحث الاجتماعى وتطور طرق البحث الاجتماعى (انظر العرض المختصر لهذا التاريخ الذى قدمناه فى الفصل 2 من الباب 1); تدلنا على وجود انقسام كيفى وكمى بين الباحثين الاجتماعيين. وقد دارت على امتداد الخمسين عاماً الماضية مناقشات حامية بين الطرفين تتعلق بقيمة كل من الاتجاهين الكمى والكيفى فى جمع البيانات وتحليلها. وكما رأينا فى الفصل (2) من الباب (1) ترتبط كل التوجهات المتباعدة باختلاف النظرة إلى العالم وفهمه، وكيف يمكننا معرفة الظواهر الاجتماعية الموجودة داخل عالمنا الاجتماعى. وقد تطورت طرق البحث الاجتماعى وفقاً لهذه الأسس. من ذلك مثلاً أن الطرق الكميمية فى العلوم الاجتماعية قد أفادت فى تطورها من الطرق المستخدمة فى العلوم الطبيعية. وهى ترتكز على الأفكار الأساسية التالية: (أ) أن العالم يتمتع بواقع مادى ، (ب) أنه من الممكن قياس جميع الظواهر التى تحدث ، (ج-) أن نتائج هذا القياس التجريبى تظل هى كلما تكررت عملية القياس . وقد تم بنجاح تكييف بعض عمليات استخدام طرق العلوم الطبيعية فى بعض العلوم الاجتماعية (خاصة علم النفس ، وكذلك فى علم الاجتماع إلى حد ما) وأصبحت جزءاً من الاتجاهات البحثية الاجتماعية بالفعل .

إلى جانب ذلك ، تطورت فى علوم أخرى - أبرزها جميرا الأنثروبولوجيا - طرق لدراسة المجتمعات انطوت على ربط الباحث برباط وثيقاً بأفراد المجتمع الذى

يدرسه، إلى حد الإقامة بينهم فترة من الزمن. وكان منهج أولئك العلماء يقوم على ملاحظة الناس والاستماع إليهم وهم في مواقف حياتهم الطبيعية. وهكذا كانت معظم البيانات التي يتم جمعها ينبع مباشرة من أحداث ومواقف تحدث بشكل طبيعي في العالم الاجتماعي المدروس. ومن النماذج المبكرة للدراسات الاجتماعية التي استخدمت المنهج الأنثروبولوجي دراسة «وايت» المعروفة : «مجتمع التواصي: البناء الاجتماعي لحى إيطالي مختلف» التي أجرتها في الأصل عام 1955 (وايت، 1993). وتطور هذا الاتجاه في دراسة العالم الاجتماعي إلى ما أصبح يعرف بالاتجاه الكيفي في جمع البيانات ومعالجتها. وانبعثت عنه بعض طرق جمع البيانات التي تتيح للباحثين الاجتماعيين جمع البيانات التي تحصلوا عليها من الباحثين أنفسهم مباشرة، ومعالجتها أيضا.

ثم شهدت أو اخر القرن العشرين تطورات على صعيد كل من الاتجاهات الكمية (استخدام أجهزة الحاسوب الآلي، وتطوير أساليب التحليل الإحصائي) والاتجاهات الكيفية (تطوير البحث النسوية، وتطوير طرق جديدة لجمع البيانات وتحليلها، والاستعانة ببرامج الحاسوب الآلي في عملية التحليل). ومع ذلك ما زالت هناك بعض الحدود الفاصلة بين الاتجاهين داخل العلم الواحد. كما أصبحنا نجد داخل المجال البحثي الواحد هيمنة أحد الاتجاهين. وذلك إلى حد التأثير على اختيار الطرق التي يمكن أن يستخدمها الطلاب في ممارستهم للبحث الاجتماعي. وقد نجحت السنوات الأخيرة في تحطيم تلك الحدود بين فروع العلم وداخل العلم الواحد، وذلك بعدة سبل كان منها - مثلا - تزايد أعداد المشروعات البحثية في إطار العلوم الطبيعية، التي تقوم على التصميم البحثي التقليدي الذي يجمع البيانات الإحصائية، مع تبني توجيه كيفي في الممارسة البحثية.

ما : الفرق بين الطرق الكمية، والكيفية، والمختلطة؟

- تقوم طرق البحث الكمية أساساً على جمع البيانات المقترة (الفصل 3 الباب 1) ومعالجتها، وهي بيانات يمكن عرضها في شكل رقمي. ويتم جمع البيانات الكمية عادة - على نحو ما عرضنا في الفصل 2 من الباب 1- في الحالات التي

يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفياً (إبستمولوجيا) وضعيّاً، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصائياً.

- أما طرق البحث الكيفي فتقوم أساساً على الاهتمام بالقصص والروايات التي يقدمها المبحوثون وتحتوي على مفاهيم، ومشاعر، وأراء، ومعتقدات ذاتية. ويتم جمع البيانات الكيفية عادة - على نحو ما أوضحنا في الفصل (2) من الباب (1) - في الحالات التي يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفياً تأويلاً، وتكون البيانات المجموعة هي كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم (انظر الفصلين 2 و 3 من الباب 1).
- لعل أفضل تصوير للطرق المختلفة أنها تمثل مزجاً أو تاليفاً بين الطرق الكيفية والكمية بالطريقة الأنسب للمشروع البحثي الجارى.

سبق أن أوضحنا في الفصلين (2) و (3) من الباب الأول أن البيانات التي تناح لنا عن العالم الاجتماعي تتوقف على الاتجاه الأونطاولوجي (أى النظرة إلى طبيعة العالم الاجتماعي، وإلى طبيعة وواقع الظواهر الاجتماعية التي يتكون منها هذا العالم الاجتماعي)، والاتجاه الإبستمولوجي (ما يمكن معرفته عن العالم الاجتماعي) الذي يتبنّاه الباحث. ومن الناحية الواقعية تؤدي الاتجاهات المختلفة إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات، التي تستلزم بدورها استخدام طرق مختلفة لجمع البيانات. وقد تعرّفنا في الفصل (3) من الباب (1) على بعض أنواع البيانات، ولعل أكثرها اتصالاً بموضوعنا هنا هو التمييز بين البيانات المفنة (الكمية) وشبّه المفنة / وغير المفنة (الكيفية). ويمكن الاستعانة بهذه الأفكار في عرض الملامح الأساسية للاتجاهين الكمي والكيفي في جمع البيانات وتحليلها، وذلك قبل الحديث عن أساليب اختيار الطرق التي سوف تساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك أو اختبار فرضك.

جدول (1-4)

ملامح الاتجاهين الكمي والكيفي

الاتجاه الكيفي	الاتجاه الكمي
الاتجاهات الأنطولوجية والإستمولوجية تأويلية (أى تفترض أن الواقع عبارة عن تصور اجتماعي).	الاتجاهات الأنطولوجية والإستمولوجية وضعية (أى تفترض أن العالم الاجتماعي واقعى).
يتم تطوير أسلمة البحث باستخدام بعض الأسلمة المساعدة.	تتخذ تساؤلات البحث شكل الفروض القابلة للاختبار.
يمكن الإجابة على سؤال البحث عن طريق وصف وتفسير الأحداث وجمع آراء المبحوثين، ومعتقداتهم، وخبرائهم.	يمكن الإجابة على تساؤلات البحث أو فرضه) عن طريق عدم الأحداث والواقع واستخدام التحليل الإحصائي.
قد لا يكون لدى الباحث سوى فكرة عامة عما يبحث عنه.	يعرف الباحث - عادة - ما يبحث عنه ويريد دراسته.
تنقسم خطة / أو استراتيجية البحث في بالرسولة والقابلية للتطوير.	تحدد خطة/ أو استراتيجية البحث في العادة قبل جمع البيانات.
ذاتي : بمعنى أن الباحث مدمج في الموقف المدروس بوصفه إنسانا.	موضوعي : بمعنى أن الباحث ليس جزءاً من البحث.
الغالب لا تستخدم أدوات : فيمكن القول أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات.	غالباً ما تستخدم أدوات لجمع البيانات (المسوح أو الاستبيانات).
يمكن أن تتحذ البيانات شتى القوالب أو الأشكال.	يتم عرض البيانات عادة في قالب عددي أو رموز دالة.
ليس من الممكن عادة التعميم بناء على البيانات.	يمكن التعميم من واقع البيانات.

مثال (1-4)

لعبة السهام المريشة^(*)

فى الساعة العاشرة إلا الربع من مساء يوم الأربعاء شرع "ستيف" و "تونى" (الطالبان بالسنة الثانية بإحدى الجامعات) فى ممارسة لعبة السهام المريشة فى مقهى اتحاد الطلاب. وستيف يدرس علم الاجتماع ، بينما يدرس تونى بقسم السياسة الاجتماعية. كان الوقت أيامها فى أواخر امتحانات الفصل الصيفي ، وكان كلاهما يشعر بالراحة لأن عاما آخر من أعوام الدراسة قد انقضى . ورغبة منها فى الاحتفال المناسبة تناولا بعض المشروبات. كان المقهى ساعتها مزدحما شديد الضجيج . فقد كان هناك مجموعة كبيرة من لاعبى الرجبى يجلسون على البار وأصواتهم مرتفعة بشكل لافت.

لقد كان العام المنصرم شاقا على "تونى" ، فقد من بعض المشكلات الشخصية التى اضطرته إلى التردد على بيت الأسرة أكثر مما كان ممكنا ، هذا فضلا عن أنه صادف بعض الصعوبات فى استيعاب جزء من مقرراته . وتعرض لأزمة مالية لأن ظروفه لم تسمح له بالالتحاق بعمل يدر عليه دخلا طوال ذلك الفصل الدراسي . كذلك كان العام مزدحما بالمهام بالنسبة لستيف (كان يعمل فى مكتبة الجامعة بدأام جزئى) ، ولكنه كان ساعتها فى حالة مزاجية ممتازة لأنه تعرف على صديقة جديدة ، وكان على موعد للقائها فى وقت لاحق تلك الليلة .

كان يمارسان لعبة 301 (تبدأ وتنتهى زوجيا) . وكلاهما بارع فى لعبة السهام المريشة ، ولكن "تونى" استطاع أن يربح فى العام المنصرم عددا من المباريات أكثر من "ستيف" . وكانت الرميات التى لعباها كما يلى :

(*) dart play هى لعبة السهام المريشة التى تسدد فيها سهام صغيرة مجنحة (أو ذات ريش) إلى هدف ، يكون عبارة عن لوحة صغيرة مقلمة على حائط - مثلا - ويقاس النجاح والفشل باقتراب أو ابعاد السهم المصوب عن قلب اللوحة. (المترجم)

الرمية	ستيف	تونى
1	زوجي 20، 18، 12 (شمال 231)	20، 20، 5 (شمال 301)
2	زوجي 19، ثلثي 7 (شمال 153)	زوجي 19، خطأ، 19 (شمال 194)
3	20، ثلثي 1، ثلثي 20 (شمال 72)	19، 19، 19 (شمال 137)
4	ثلاثي 20، 6، زوجي 3	—

وهكذا كسب «ستيف» المباراة، واشترى لتونى مشروباً على حسابه. وبعدها مباشرة افترقا كل إلى سبيل.

وهناك بعض الأشياء التي يمكن تأملها:

1- إذا أردت أن تدرس الواقئ الموضحة أعلاه، ما الذي ستحاول الكشف عنه وفهمه؟

2- هل ستختار طرقاً بحثية كيفية أم كمية؟

3- هل تعتقد أن النتائج التي ستتوصل إليها ستختلف تبعاً للطرق التي ستختارها؟

بعض مبررات استخدام الطرق الكمية:

- مباراة السهام المريضة التي جرت يمكن دراستها بشكل أيسر بهذه الطريقة.

- المتغيرات (وهي عدد رميات السهام، والنقط التي حصل عليها اللاعب في كل رمية) متغيرات عدديّة، ومن ثم يمكن استخدام التحليل الإحصائي.

- سيكون من الممكن (بمرور الوقت) حساب فرص كل لاعب في الفوز، واستخراج تفاصيل عن بعض الأمور كمتوسط النقاط، مثلاً.

- تستخدم مباريات دورى السهام المريضة التحليل الكمي للوقوف على أوجه القصور لدى اللاعب.

وفيما يلى بعض مبررات استخدام الطرق الكيفية:

- سيمكن بفضلها الوصول إلى معرفة أفضل عن السياق الذي تمت فيه المباراة (من حيث : التوقيت ، والمكان ، والحالة المزاجية للاعبين ، وما إلى ذلك).
- قد يتسعى بفضلها التعرف على بعض المؤثرات الخارجية (مثل: الضوضاء التي كان يحدثها الرواد الآخرون للمقهى) على كل لاعب.
- قد يمكن بفضلها فهم تفوق أحد اللاعبين على الآخر في تلك المناسبة.

بعض مبررات استخدام الطرق المختلطة:

إذا جمعنا بين الطريقتين السابقتين ، فسوف يتتوفر لنا نوعان من المعلومات التي يمكن استخدامها مجتمعة ، مما يعمل على رفع مستوى جودة بحثنا.

الطرق المختلطة

الملاحظ أن بعض الباحثين يلجؤون في بحوثهم بشكل رئيسي (وأحياناً بشكل كامل) إلى استخدام اتجاه واحد ، ولكننا نرصد تزايد أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين باسوا يستخدمون إحدى الطريقتين الكيفية أو الكمية في جمع البيانات ، أو يستخدمون كلا الطريقتين ، أي طريقة مختلطة . ويوضح المثال (4-1) أن دراسة ظاهرة اجتماعية (هي هنا مباراة السهام المرشدة) يمكن تنفيذها بالاستعانة بمنظورات مختلفة ، ومن ثم الحصول على صورة كلية متكاملة لما يجري ، وهو ما يدفعنا إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات باستخدام طرق مختلفة (مختلطة) . ويتوقف اختيارنا للطرق على طبيعة تساؤلات بحثنا ، وعلى تعريفنا للمفاهيم الواردة فيها (الفصل 4 من الباب 1) .

ففي المثال المعروض يمكن أن نختار تحليل الفوز في مباراة الأسهم المرشدة بأسلوب عددي (كمي) ، ولكننا يمكن كذلك أن نختار تحليل ذلك الفوز في ضوء الحالة المزاجية لكل لاعب ، وما يتعرض له من ضغوط ، وما يشغله من هموم . . . إلخ . والتحليل بأى من الطريقتين سينتهي بنا إلى نتائج مهمة . أما إذا كانا نريد أن نركز بشكل أساسى في هذا المثال على معرفة سبب خسارة "تونى" للمباراة ، فلاشك أننا سنحتاج إلى

نوعى البيانات الكمية والكيفية على السواء، وربما نحتاج كذلك إلى الاستعانة ببعض البيانات التاريخية عن نتائج المباريات السابقة. وهكذا يكون الأسلوب الأكثر جدوى لدراسة هذا الموقف هو الجمع بين الإجراءات الكيفية والكمية، أى الطرق المختلطة.

وهكذا يتعين أن يتم اختيار اتجاه الطرق المختلطة في جمع البيانات انطلاقاً من تساؤلات البحث ، التي يتضح منها أن الإجابة على تلك التساؤلات سوف تتحقق على الوجه الأفضل باستخدام الطرق الكمية والكيفية معاً. ونصادف في بعض الأحيان أن أحد أسئلة البحث (أو الأسئلة الثانوية) يتطلب الرجوع إلى بيانات كمية، بينما تستدعي الإجابة على سؤال آخر الاعتماد على بيانات كيفية. وهناك احتمال ثالث نجد فيه أن الإجابة على سؤال واحد تتطلب توفير بيانات كيفية وكمية في الآن معاً.

فكرة في هذا الموضوع ..

قمنا في الفصل (4) من الباب (1) ببلورة سؤال بحثي حول موضوع البطالة والصحة العقلية، يقول :

ما آثار البطالة الطويلة الأمد على صحة الناس العقلية؟

1 - بعد أن وضعنا التعريف الإجرائي للبطالة والصحة العقلية دققنا صيغة السؤال لتصبح على النحو التالي:

ما الآثار التي تلحق بالناس الذين كانوا يعملون بأجر من حيث مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حياتهم عندما يصبحون بدون عمل مأجور لمدة تزيد على عام؟

فما أنواع البيانات التي ترى أنه ستحتاج إلى جمعها (وممن ستجمعها) لكي تستطيع الإجابة على هذا السؤال؟

2 - طريقة أخرى للتعریف الإجرائي قدمناها في الفصل (4) من الباب (1) على النحو التالي:

وجود أو عدم وجود اضطرابات عقلية تحتاج إلى العلاج الإكلينيكي.

فما أنواع البيانات التي ترى أنك تحتاج إلى جمعها (وممن ستجمعها) لكي تستطيع الإجابة على السؤال إذا رأيت تبني هذا التعریف للصحة العقلية؟

بعد ذلك يمكنك الرجوع إلى الإجابة التي نقترحها في نهاية برواز "فكر في هذا الموضوع" التالي.

ومن الممكن استخدام الطرق الكيفية والكمية مجتمعة ومتضادرة بعدة أساليب مختلفة.

فيتمكن استخدام الطرق الكيفية على النحو التالي:

• قبل الطرق الكمية

تتيح الاتجاهات الكيفية للباحث أن يتناول المفاهيم بشكل متعمق مع المبحوثين، وأن يسمع منهم آراءهم في تلك المفاهيم بعباراتهم هم (مثل مفهوم "الصحة العقلية" راجع برواز "فكر في هذا الموضوع" السابق). ويمكن أن يكون هذا الأسلوب مفيداً لبداية البحث في الموضوع، خاصة إذا لم يكن للباحث دراية به، أو التي لم تجر عنه سوى بحوث قليلة حتى الآن. وبهذا يمكن تطوير التعریفات الإجرائية أو اختبارها. كما أن ذلك سيضمن لنا أن تكون صياغة الأسئلة المقترنة - في الاستبيانات مثلاً - مفهومة ودالة بالنسبة لكافة المبحوثين. ففضلاً مثل هذه البيانات الكيفية يمكن تطوير الأسئلة التي تستهدف جمع بيانات أكثر تقنينا. كما أن تبني اتجاه كيفي يمكن أن يساعد الباحث

على تحديد واختبار جوانب الموضوع الأكثر أهمية ودلالة لدى المبحوثين. كما أن ذلك من شأنه أن يولّد أفكاراً لتطوير الفروض أو أسئلة البحث الفرعية (انظر الفصل 4 من الباب 1).

• استخدامها إلى جانب الطرق الكمية

يمكن استخدام كلا الاتجاهين -الكيفي والكمي- جنباً إلى جنب مع كل نوع من البيانات والإسهام في الإجابة على نفس أسئلة البحث أو أسئلة بحثية أخرى.

• استخدامها بعد الطرق الكمية

يمكن في بعض الأحيان استخدام الاتجاهات الكيفية بعد استخدام الطرق الكمية لتمكين الباحث من فحص متعقّل لبعض القضايا التي برزت من البيانات الكمية. فالبيانات الكمية التي جمعت قد تساعد الباحث على تحديد بعض الجماعات أو الفئات الصغيرة التي تختلف عن بقية مجتمع الدراسة أو التي تمتلك بعض الخبرات والتجارب المهمة، وفي هذا يكون جمع مزيد من البيانات عنهم بأسلوب أكثر تعمقاً وسيلة لتمكين الباحث من فحص تلك القضايا بتعقّل. ففي البحث الخاص بالبطالة والمرض العقلي الوارد في برواز «فكرة في هذا الموضوع» .. الوارد أعلاه، قد يستخدم استبيان مبدئي مع بعض العاطلين في التعرف على ما إذا كان هؤلاء العاطلين يعتبرون أنهم يعانون من أية اضطرابات عقلية. بعد ذلك يمكن استخدام الأساليب الكيفية لاستكشاف رؤية هؤلاء بتعقّل أكبر، وذلك في نطاق مجموعة صغيرة العدد منهم (الفصل 4 من الباب 3)، أو مع جماعة مناقشة مركزة (بؤرية) (الفصل 5 من الباب 3).

ومع أن اتجاه الطرق المختلطة يعني في العادة جمع البيانات الكمية والكيفية، فإن ذلك ليس شرطاً لازماً في الحقيقة. فقد يحدث - في الواقع - أن يختار الباحث أسلوبين مختلفين لجمع بيانات كمية، مثل: استخدام المسح بالاستبيان واستخدام البيانات الثانوية. أو قد يختار جمع بيانات كيفية باستخدام المقابلات شبه المقتفنة والملاحظة المشاركة (الفصل 6 من الباب 3). معنى ذلك أن استخدام أسلوبين أو أكثر لجمع البيانات لمساعدتك على الإجابة على سؤال (أو أسئلة) يبحث يمكن أن يساعد الباحث على اختبار صدق البيانات التي تجمعت لديه. وتسمى هذه العملية تعدد أدوات وطرق البحث (انظر

قائمة المصطلحات)، لأنها تعكس عملية المسح أو القياس بالاستعانة بعلم حساب المثلثات الذي يستخدم في رسم الخرائط، أي تعين موقع نقطة معينة على الخريطة بقياس المسافة والزاوية من نقطتين آخرتين على نفس الخريطة. ويعنى المصطلح في العلوم الاجتماعية جمع ومعالجة البيانات التي جمعت من عدة مصادر مختلفة ولكن عن نفس الموضوع ، مما يسمح للباحث أن يتحقق من نتائجه بالمقابلة بينها .

فإذا وجدنا نوعا من التضارب أو الشذوذ عن المألوف في البيانات المجموعة من مصادر مختلفة أو التي جمعت باستخدام أساليب مختلفة ، فإنه يتبع أن نفك مليا في الأسباب التي أدت إلى هذا . وقد يرجع هذا في بعض الأحيان إلى الاستخدام العمدى لبعض التعريفات الإجرائية المتباعدة (على نحو ما ورد في المثال الذى قدمناه فى برواز: ”فكر فى هذا الموضوع ”)، أو يرجع السبب فى ذلك إلى بروز بعض المنظورات أو الأفكار المختلفة للقضايا نتيجة استخدام طرق مختلفة لجمع البيانات . من ذلك مثلا أن الناس قد يناقشون فى إحدى جماعات المناقشة المركزية (البؤرية) ويتحدثون بكلام يختلف تمام الاختلاف عما يقولونه عن نفس القضية عند مقابلتهم بشكل منفرد . وقد يكون هذا الوضع نتيجة دالة فى حد ذاتها ، أو أنه قد يدفعنا على أن نتساءل عما إذا كانت أدوات جمع البيانات (وهى فى هذه الحالة : المقابلة وجماعات المناقشة المركزية) قد أنتجت استجابات مختلفة بسبب الاختلاف فى صياغة الكلمات ، أو اختلاف تركيز القائم بال مقابلة على بعض الأسئلة ، أو تعدد القائمين بإجراء المقابلات وإدارة جماعات المناقشة .

فكرة فى هذا الموضوع . . .

إجابات مقترحة

السؤال الأول

تركز الصيغة المعدلة من السؤال البحثى عن كيف يرى العاطلون أنفسهم وحياتهم؟ ويعنى هذا أن البيانات يجب أن تنبئ من العاطلين أنفسهم ، وأنه من الأفضل أن يتم جمع تلك البيانات بأسلوب شبه مقتنن ، أي يُسمح فيه للناس أن يعبروا بكلماتهم هم عن خبرائهم .

الطرق المناسبة

- * المقابلات شبه المقتنة (فصل 4 باب 3).
- * جماعات المناقشة المركزية (فصل 5 باب 3).

وأحد البدائل الممكنة أن يتم استخدام استبيان مع العاطلين يضم مجموعة من الأسئلة (مثل مقياس ليكرت للعبارات المتردجة) عن التصورات الذاتية للصحة العقلية (فصل 3 باب 3).

السؤال الثاني

يمكن الحصول على البيانات من الأفراد العاطلين أنفسهم أو (الأدق) من السجلات الطبية. ولكى يستطيع الباحث أن يتأكد من وجود أعداد كبيرة من العاطلين الذين يعانون من اضطرابات عقلية تعالج إكلينيكيا، يتبعن أن يدرس أعدادا كبيرة من الحالات (فصل 5 باب 2).

الطرق المناسبة

- * قد تكون البيانات الثانوية متوفرة (فصل 9 باب 3).
- * استخدام استبيان مع العاطلين (فصل 3 باب 3).
- * استخدام استبيان مع الأطباء أو المعالجين النفسيين لجمع معلومات عن مرضاهem .

ثم ماذا بعد؟

إذا كان موضوع بحثك يدور عن الصلات التى تكون موجودة بين البطالة والصحة العقلية، فقد يجر بك أن تضمن بياناتك معلومات عن الصحة العقلية كتشخيص إكلينيكي وعن التصورات الذاتية للصحة العقلية. إذ يمكن أن يتيح لك ذلك أن تصف حجم الصحة العقلية (أو المرض العقلى) الذى تم تشخيصه طبيا عند العاطلين، كما سيتيح لك أن تعرف بمزيد من التعمق كيف يشعر العاطلون بالبطالة ومدى إحساسهم بها، وكيف يربطون - أو لا يربطون - بينها وبين مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حيوانهم .

وهكذا إذا طلبت أسلمة بحثك بيانات تتعلق بكل التعاريفين الإجرائيتين للصحة العقلية، فربما يجدر بك أن تختر الطريقة التي تتيح لك أن تدرج كلا العنصرين في أداة واحدة لجمع المادة، هي الاستبيان.

على أن هذا الاتجاه سوف يفرض عليك أن تضع مجموعة من الأسللة لقياس تصورات كل فرد عن صحته العقلية، ولكنها لن تسمح لك أن تسمع بعض العاطلين يصفون ويشرّحون مشاعرهم تجاه أنفسهم وتتجاه حيواناتهم بكلماتهم هم الخاصة.

فأى الاتجاهات تود أن تتبنى في بحثك؟

اختيار الطرق

الفرق الجوهرى بين الاتجاهين الكمى والكيفى -من حيث جمع البيانات وتحليلها- يتلخص فى الأسلوب الذى تم به تقنين البيانات المجموعة، وفي من قام بعملية التقنين.

فالاتجاهات الكمية تجمع و تعالج البيانات التى:

- تكون مقتنة، والإجابات مقسمة سلفا إلى فئات محددة، وتم ترميزها بحيث يمكن عدّها.
- تكون مقتنة بمعرفة الباحث، وهو الذى يحدد الأسئلة التى توجه، ونوع الإجابة المطلوب الحصول عليها (و تكون الإجابة عادة اختيارا من بين عدة إجابات محددة سلفا).

أما الاتجاهات الكيفية فتجمع و تعالج البيانات التى:

- يصيغها الباحثون بطريقتهم الخاصة.
- يتم تفسيرها وتقنينها بمعرفة الباحث كجزء من عملية التحليل.

و تستطيع طرق جمع البيانات أن تمدنا بأفضل نوع من البيانات التى يمكن معالجتها وفق الاتجاه الذى يتبناه الباحث ، وقد أوردنا جانبها منها فى الجدول رقم (4-2).

الجدول رقم (4-2): التناسب بين الاتجاهات

الكمية والكيفية وطرق جمع البيانات

الاتجاه	طرق جمع المادة
الكمي	السوق والاستبيانات التي توجه نفس الأسئلة عادة لأعداد كبيرة من الأفراد أو الحالات.
	توفر البيانات الكمية الثانوية التي ستجرى عليها مزيد من التحليلات.
	تحليل المضمون: حساب عدد فئات من الكلمات أو الأفكار الواردة في مواد مكتوبة أو منظورة.
	الملاحظة: حساب عدد حدوث وقائع معينة.
الكيفي	سجلات أو استمارات لكل حالة تحوى معلومات مقتنة سلفاً.
	مقابلات شبه مقتنة أو غير مقتنة: تسمح للمبحوثين بالحديث عن مجموعة من الأسئلة أو الموضوعات بأسلوبهم الخاص.
	جماعات المناقشة المركزية (البؤرية): مناقشة شبه مقتنة يتولى إدارتها شخص مع عدد قليل من الأفراد.
	جمع وثائق تتعلق بأسئلة البحث، وطرح أسئلة انطلاقاً من تلك الوثائق.
	السرد: جمع القصص والروايات التي يحكىها الناس لتحليل كيفية الإبداء بتلك القصص.
	الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة لموقف أو سياق اجتماعي معين.

على أن اختيار اتجاه كيفي أو كمي أو مختلط ليس هو القرار الوحيد الذي يتخذه الباحث بخصوص طرق جمع المادة التي سوف يستخدمها. وقد سبق أن حددنا في الفصل الثالث من الباب الأول بعض طرق التفكير في البيانات البحثية، وهي مناقشة تزودنا ببعض الأفكار المفيدة بخصوص كيفية استخدام مختلف طرق جمع البيانات. واقتربنا عليك في نهاية الفصل ذاته أن نمعن التفكير في موضوع بحثك في ضوء نوع البيانات التي يمكنك أن تجمعها وأن تعالجها. أما في المرحلة التي نحن فيها الآن فهو سعنا البدء بالربط بين التفكير في أنواع البيانات التي ستجمعها من ناحية، والاعتبارات العملية لاختيار طرق جمع البيانات التي ستمكنك من ذلك من ناحية أخرى. وتعرض الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث تفصيلاً لطرق جمع البيانات، وتنصح القارئ براجعتها والتعرف على كل طريقة تنوى استخدامها قبل اتخاذ قرارك النهائي في هذا الشأن.

كما أن اختيار الطرق هو قرار عملي، وبرامجاته أيضاً إلى حد ما. ذلك أن جميع الباحثين يؤدون عملهم البحثي بموارد محدودة، وتقاوم مستوياتهم المهارية، كما تختلف قدرتهم على الوصول إلى بعض مصادر البيانات. وإذا كنت طالباً تقوم ببحث علمي فسيكون عليك أن تختار الطرق التي ستشكلها في ضوء الموارد المتاحة - خاصة الوقت والمال - وما تتمتع به من مهارات، وقدراتك على الوصول إلى مصادر البيانات.

استخدم القائمة الواردة أدناه في برواز "بحثك" لتساعدك على التفكير في الطرق التي قد تستخدمها.

التفكير في أسئلة بحثك: ما نوع البيانات التي يمكن أن تجمعها وتعالجها؟

<input checked="" type="checkbox"/> نعم	هل البيانات أولية أم ثانوية؟
	هل تم جمع المادة التي ستساعدك في الإجابة على أسئلة بحثك بواسطة آخرين؟
	<ul style="list-style-type: none"> • ما نوع تلك البيانات؟ • هل تستطيع الوصول إليها؟ • هل تعرف كيف تم جمعها؟
	ملاحظة: إذا أردت معرفة المزيد عن استخدام البيانات الثانوية فارجع إلى قراءة الفصل التاسع من الباب الثالث.
	هل تستطيع جمع بياناتك بنفسك؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل تستطيع الوصول إلى الناس، أو المواقف، أو الحالات التي ستجمع منها بيانات بحثك؟ • ما طرق جمع البيانات التي تؤهلك مهاراتك ومواربك لاستخدامها؟ • هل تود تضمين بياناتك بيانات تأملية نقدية (تشمل أفكار الباحث وخبراته عن الموضوع)؟
	ملاحظة: اقرأ الفصل الثاني من الباب الثالث، وراجع الطرق التي سوف تستخدمها في الحصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث، مع ضرورة أن تأخذ في الاعتبار مهاراتك ومواربك.
	هل البيانات منطقية، أم مدونة، أم بصرية غير لفظية؟
	هل توجد مواد مدونة يمكنك استخدامها كبيانات مثل: وثائق السياسة الاجتماعية، ودفاتر اليوميات، وملحوظات الأخصائيين الاجتماعيين على تطور بعض الحالات؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل تستطيع الوصول إلى هذه البيانات؟ • هل تعرف كيف ولماذا تم إنتاج تلك المواد؟
	ملاحظة: راجع الفصلين الثامن والتاسع من الباب الثالث عن جمع البيانات الوثائقية والثانوية؟
	هل تستطيع الحصول على إجابات مكتوبة عن أسئلتك؟

	<p>ملاحظة : هل فكرت في استخدام الاستبيانات في جمع البيانات؟ راجع الفصل الثالث من الباب الثالث.</p>
	<p>هل هناك بيانات بصرية يمكن الانتفاع بها في البحث؟</p> <ul style="list-style-type: none"> • هل هناك بيانات يتم تناقلها بشكل غير لفظي؟ • هل من الممكن ملاحظة بعض الواقع والأحداث؟ • هل هناك تسجيلات فوتوغرافية أو بالفيديو؟
	<p>ملاحظة: هل فكرت في استخدام طرق الملاحظة؟ راجع الفصل السادس من الباب الثالث.</p>
	<p>هل تستطيع الوصول إلى الناس الذين يمكن أن يتحدثوا عن موضوع بحثك بطرق يمكن أن تساعدك على الإجابة على أسئلة بحثك؟</p>
	<p>ملاحظة : (راجع الفصلين الرابع والخامس من الباب الثالث إذا كنت تفكر في استخدام المقابلات شبه المقتنة أو جماعات المناقشة المركزية (البورية)).</p>
نعم ✓	<p>فردي أم جماعة</p> <p>هل ت يريد جمع معلومات عن بعض الأفراد، أو منهم؟</p> <ul style="list-style-type: none"> • هل تحتاج إلى بيانات واقعية ، أو تتعلق بالاتجاهات والأفراد عن جماعات مختلفة من الناس؟ • هل لديك من المعلومات ما يسمح لك بتحديد الأفراد الذين ت يريد جمع بيانات منهم؟ • هل تملك الموارد التي تمكنك من جمع البيانات من عدد كبير من الناس (لنقل مثلا: أكثر من خمسين فردا)؟
	<p>ملاحظة: أقرأ الفصل الثالث من الباب الثالث، وفك في استخدام الاستبيان الذي يستوفي المبحث ببياناته بنفسه.</p> <ul style="list-style-type: none"> • هل ت يريد أن تجمع من الناس حكاياتهم ، وخبراتهم وتصوراتهم؟ • هل تستطيع الوصول إلى أفراد لهم خبرات ، وأفكار ، وأراء تتعلق بموضوع بحثك؟
	<p>ملاحظة: راجع الفصل الرابع من الباب الثالث ، وفك في استخدام المقابلات شبه المقتنة. وراجع الفصل السابع من الباب الثالث وفك في استخدام الصور الكلمية الموجزة vignettes .</p>
	<p>هل أنت مهتم بأساليب الأفراد في إطلاعك على خبراتهم وأفكارهم ، أى على حكاياتهم؟</p>
	<p>ملاحظة: هل فكرت في جمع مادة سردية؟ راجع الفصل السابع من الباب الثالث.</p>

	هل فكرت في جمع معلومات من مجموعة من الناس ، أو عنهم؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل هؤلاء الناس راغبون في الحديث عن موضوع بحثك مع الآخرين؟ • هل أنت مهتم بأساليب مجموعات الأفراد في مناقشة موضوع بحثك؟ • هل يسعك الوصول إلى مجموعات من الأفراد يمكن أن يكونوا من المبحوثين؟ • هل يتوفّر لك من المهارات والموارد ما يسمح لك بتنفيذ مناقشة جماعية؟
	ملاحظة: راجع الفصل الخامس من الباب الثالث وفقر في استخدام جماعات المناقشة المركزية (البؤريّة) في جمع البيانات.

بعد أن تتأمل عدداً من أدوات جمع البيانات المختلفة يتبعن أن تعود إلى النظر في أسئلة بحثك، وتفكّر في أفضل السبل للإجابة على تلك الأسئلة، أى : كيف ستجمع البيانات، ومتى ستقوم بتحليلها، بحيث يمكنك أن تبدأ - على الأقل - في الإجابة على هذه الأسئلة. بعد أن تفرغ من اختيار الطرق، يجب أن تكون قادراً على تبرير هذا الاختيار في ضوء أسئلة بحثك، وذلك لكي تثبت أنك قمت بالاختيار عن علم، وأنك على دراية بنقاط القوة ونواحي القصور في الطرق التي اخترتها. لاحظ أن الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث يمكن أن تعينك في هذه المهمة.

بحث

دون في جدول كالتالي أسئلة بحثك الرئيسية والفرعية، أو فروض البحث، وأمام كل منها اكتب نوع البيانات التي سوف تجمعها للإجابة على السؤال أو اختبار الفرض، ثم دون في العمود الثالث طريقة جمع البيانات التي تنوى استخدامها:

أسئلة البحث	أنواع البيانات	طرق جمع البيانات
1		
2		
3		
4		
5		

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bryman, A. (2006) Integrating quantitative and qualitative research: how is it done? *Qualitative Research*, 6: 97–113 (online version available at: <http://qrj.sagepub.com/cgi/content/abstract/6/1/97>).
- Burke Johnson, R. and Onwuegbuzie, A. J. (2004) Mixed methods research: a research paradigm whose time has come, *Educational Researcher*, 33(7): 14–26.
- Creswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approaches*, 2nd edn, London: Sage.
- Foss, C. and Ellefsen, B. (2002) The value of combining qualitative and quantitative approaches in nursing research by means of method triangulation, *Methodological Issues in Nursing Research*, 40(2): 242–8.
- Plano, V. L. and Creswell, J. W. (eds) (2008) *The Mixed Methods Reader*, London: Sage.
- Silverman, D. (2004) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, 2nd edn, London: Sage.
- Whyte, W. F. (1993) *Street Corner Society: Social Structure of an Italian Slum*, 4th edn, Chicago University Press.

الفصل الخامس

اختيار العينة

محتويات الفصل

- طرق اختيار العينة.
- اختيار طريقة المعاينة .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تناول في هذا الفصل أساليب تحديد نوع البيانات التي تتوى جمعها لبحثك. ونادرًا ما تكون في وضع يسمح لنا بجمع بيانات من جميع الحالات، والسياسات، والمواصفات التي تتعلق بأسئلته بحثك. فإذا كانا نتوى اختيار بعض مصادر البيانات المكننة - سواء كانوا أفراداً، أو وثائق، أو حالات - فإنه يتبعين اتخاذ بعض القرارات الخاصة بكيفية عمل ذلك. ولا يوجد سوى في التعداد السكاني الذي يجري كل عشر سنوات بيانات تجمع عن كل فرد من سكان المملكة المتحدة. وحتى في حالة التعداد توجد بعض الجماعات التي تستبعد عادة، كالمسردين مثلاً. أما إذا كنت تستخدم بيانات ثانوية أو بيانات وثائقية، فإنه يتبعين عليك - مع ذلك - إن تفكير في كيفية اختيار ما تريده أن تضمنه منها في بحثك، وأن تكون على وعي بأن هناك آخرين - سواء كانوا باحثين أو موظفين مثلاً - قد قرروا من ومماذا ستتضمنه تلك البيانات أو الوثائق. ويمكن القول - على وجه الإجمال - إن هناك طريقتين لأداء تلك المهمة: إما عينة احتمالية أو عينة عمدية. ويتوقف اختيار أحدهما على طبيعة سؤال بحثك، والبيانات التي تتوى جمعها، وما إذا كانت البيانات التي ستجمعها كمية أو كيفية (أو كمية وكيفية معاً). ومع أن الاتجاهين مختلفين اختلافاً بعيداً، إلا أننا يمكن أن نعتبرهما طرفى متصل واحد، وقد تبين أن عليك أن تستخدم مزيجاً منهما معاً، خاصة إذا كنت تستخدم مزيجاً من طرق جمع البيانات.

تعنى عملية المعاينة اختيار بعض الحالات من مجموعة أكبر من الحالات التي يحتمل دراستها. ويرتبط أسلوب المعاينة الذي سنستخدمه ارتباطاً وثيقاً بطبيعة تصميم البحث الذي اختراه، وكذلك بطرق البحث التي سنستعملها. ولهذا ستأنى الإشارة في ثنايا هذا العرض لأنواع تصميم البحث وطرق البحث المختلفة التي سبق أن تناولناها في الفصلين 3 و 4 من هذا الباب . وعلى امتداد هذا العرض سوف نستخدم دراسة الأنشطة التطوعية كأساس للأمثلة التي تناقشها .

مثال (1-5)

هل التطوع هو الأنسب لك؟

التطوع نوع من النشاط يقوم على إنفاق الوقت ، والمشاركة بلا مقابل ، وعمل أشياء تستهدف خدمة البيئة أو بعض الأفراد أو الجماعات التي لا ترتبط بالتطوع بعلاقة قرابة وثيقة (أو التي قد تضم أحياناً بعض الأقارب). (نقلًا عن : لجنة مستقبل التطوع ، 2008).

وقد انتهى التقرير الذي أعد لمكتب القطاع التطوعي في رئاسة مجلس الوزراء (البريطانية) بمعرفة المركز القومي للبحوث الاجتماعية ومعهد البحث التطوعي؛ انتهى إلى أنه في عام 2007 كان ثلاثة أخماس عينتهم اختاروا من إجمالي مجتمع بحثهم قد شاركوا في أنشطة رسمية في إطار منظمة ما ، وأن الخمسين الباقيين مارسوا هذه الأنشطة التطوعية مرة واحدة شهرياً على الأقل . وقد أفاد المتطوعون الذين تمت دراستهم بأن المزايا التي عادت عليهم من التطوع تمثلت في: الاستمناع ، والشعور الشخصي بالإنجاز ، والإحساس بالرضا بعد رؤية نتائج أنشطتهم التطوعية . وقرر 51 % منهم أن العمل التطوعي جعلهم أقل إحساساً بالضغط والمشقة ، بينما صرخ 44 % أنه قد صحتهم البدنية (Low وزملاؤه ، 2007).

كما أنتا سنسع نصب أعيننا طوال هذا الفصل أن الوقت وغيره من موارد البحث تمثل عوامل مهمة في التأثير على اختيار طرق جمع البيانات وأساليب اختيار العينة

(المعاينة). ذلك أن البحث يمكن تنفيذه على مستويات شتى مختلفة، ويسمى فيه الباحثون بقدر وافر متنوع من الإمكانيات المهارية، والوقت، والدعم المالي. وهدفنا هنا أن نزودك ببعض الإرشادات المتعلقة باختيار أسلوب المعاينة بالنسبة لطالب جامعي يجرى بحثاً كجزء من مقرراته الدراسية. ولكننا سنشير - علاوة على ذلك - إلى أمثلة لبعض البحوث ذات الحجم الضخم والموارد الوفيرة. ومن شأن ذلك أن يزودك بفهم أفضل لبعض البحوث الأخرى التي ربما تقرأ عنها أو تستخدمها كجزء من دراستك.

بحث

اختبار جودة البحث من حيث إمكانية تعليم نتائجه وتحويلها إلى مجتمع بحث آخر

من أول الأسئلة التي يتبعن عليك الإجابة عنها عند التفكير في كيفية اختيار مصادر بيانات بحثك هو: كيف سنسخدم تلك البيانات بعد أن نفرغ من جمعها؟

1 - هل نريد من تلك البيانات التي نحصل عليها من العينة أن تدلنا على مجمل مجتمع البحث الذي سحبته منه تلك العينة؟ فإذا كنا - مثلاً - نجمع بيانات عن تلاميذ المدارس، فهل نسعى إلى أن يكون بإمكاننا أن نثبت أن البيانات التي جمعناها من العينة التي اختربناها يمكن تعليمها على تلاميذ المدارس كافة، بمعنى هل يحتمل أن تشبه بيانات جميع تلاميذ المدارس في المملكة المتحدة، أو في مدینتنا المحلية، أو تلاميذ المدارس الحكومية فقط؟

2 - هل نريد أن تكون قادرين على جمع بيانات من شأنها أن تؤودنا إلى التعرف بعمق على خبرات، أو آراء، أو سلوكيات جماعة بشرية معينة، أو حالات أو مواقف بالذات؟ فهل نحن نسعى - مثلاً - إلى طرح أسئلة عن كيفية تأثير بعض الظروف التربوية المعينة على سلوكيات فئات خاصة من التلاميذ؟ في مثل هذه الحالة يجب أن نأخذ في الاعتبار إلى أي مدى يمكن تحويل ما سنتهي إليه من نتائج للدلالة على بعض الظروف أو السياقات الأخرى المشابهة.

وسوف نأخذ تلك الأسئلة في الاعتبار بالنسبة لكل طريقة من طرق اختيار العينة التي سنعرض لها فيما يلى.

ملاحظة مهمة: على الرغم من أننا سنشير طوال هذا الفصل عادة إلى أمثلة تقوم على اختيار أفراد للمشاركة في البحث (كمبحوثين)، فإن أغلب ما نعرضه هنا يصلح كذلك لاختيار حالات، أو وثائق، أو فترات زمنية أو ظروف للملاحظة. فالاختيار يمثل - دائمًا - جزءاً من تصميم البحث، ولا بد أن تكون على وعي بالمعايير والأساليب التي تستخدمها عندما تقرر جمع البيانات من أي مصادر. وتزودك الفقرات المعنية بذلك من الفصل 3 من الباب 3 ومن الفصل 3 من الباب 4 ببعض المعلومات التي يجب أن تأخذها في اعتبارك علاوة على ما يعرضه هذا الفصل.

طرق اختيار العينة

قمنا في الشكل (5-1) بترتيب الطرق المختلفة لاختيار العينة على شكل متصل. فعلى أحد طرفي المتصل نجد طرق المعاينة التي ترتكز على النظرية الإحصائية، وهي الطرق التي تسعى إلى اختيار عينة يمكن القول بأنها ممثلة أشد تمثيل لمجتمع البحث كله - أو لكافة الحالات المحتمل دراستها - وذلك وفقاً للمعايير المرتبطة بالموضوع، وهي **العينات الاحتمالية** (انظر قائمة المصطلحات). وعلى الطرف الآخر من المتصل توجد طرق المعاينة التي تقوم على اختيار عدد من الحالات (أقل عدداً في العادة) التي تتبع للباحث أفضل فرصة لدراسة أسئلة بحثه بشكل متعمق، وتسمح له بمعالجة البيانات التي تم جمعها لبلوره بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها، وهي: **العينات العمدية، والعينات النظرية** (انظر قائمة المصطلحات).

العينات غير الاحتمالية				العينات الاحتمالية	
العينة النظرية	العينة العمدية	عينة كرة الثلج	العينة الحصبية	العينة العشوائية الطبقية	العينة العشوائية

الشكل (5-1) متصل يستعرض مختلف طرق المعاينة

المعاينة الإحصائية، أو اختيار عينة احتمالية

من طرق المعاينة استخدام حساب الاحتمالات أو النظرية الإحصائية لمساعدتك

على اختيار عينة مماثلة لمجتمع البحث (انظر قائمة المصطلحات) الذى يتم انتقاءها منه . وأكثر مناسبات استخدام هذه الطريقة عند تصميم بحث تجريبى أو مسحى (الفصل 3) وعندما تكون البيانات التى سيجرى جمعها ذات طبيعة كمية . ومن شأن اختيار عينة بهذه الطريقة أن تتيح للباحث فرصة القيام بتحليل إحصائى للبيانات (الفصل 3 باب 4) .

ما : مجتمع البحث؟

يشير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التي يمكن اعتبارها مفردات لدراستها في البحث . وهكذا يمكن أن يكون مجتمع البحث مثلا:

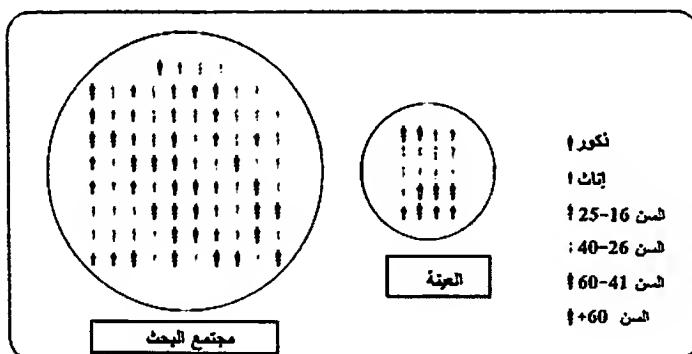
- جميع الناس الذين يعيشون في دولة معينة .
- جميع الطلاب الذين يدرسون في جامعة معينة .
- جميع الطلاب المقيدين بقسم الاجتماع في إحدى جامعات المملكة المتحدة في وقت معين .
- جميع المقالات الصحفية التي نشرت في المملكة المتحدة التي تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين .

أما السمات الأساسية للعينة الاحتمالية فهي كما يلى:

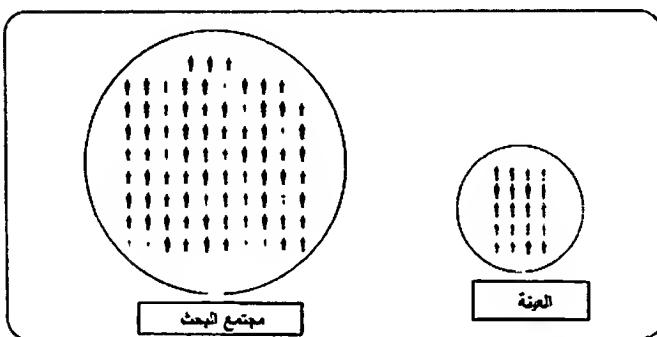
- تناح لكل عضو في مجتمع البحث فرصة معروفة (و تكون منكافئة عادة) لكي يتم اختياره ضمن العينة . ويفترض ذلك أن يكون أفراد مجتمع البحث معروفين ، أى يمكن تحديد هوية كل فرد منهم والوصول إليه ، وإذا لم يتتوفر هذا الشرط الأساسي فلا بد في هذه الحالة من تبني استراتيجيات أخرى للمعاينة .
- يتم اختيار كل فرد من أفراد العينة عشوائيا ، ولا يمكن التنبؤ سلفاً بمن سيقع عليه الاختيار ضمن العينة .
- تختار العينة عادة لكي تكون مماثلة لمجتمع البحث طبقاً لبعض السمات الأساسية المعروفة ، كالعمر ، والنوع ، والوضع الاقتصادي الاجتماعي ... إلخ ، ذلك من متغيرات ترتبط بالموضوع الذي يتناوله البحث .

العينات العشوائية والعينات الطبقية

في العينة العشوائية يكون لكل حالة فرص اختيار متكافئة. إلا أن العينة العشوائية قد تتضمن - وقد لا تتضمن - بعض الحالات (أى مفردات البحث) ذوى السمات الخاصة بنفس النسب التي توجد بها في مجتمع البحث.



شكل (5-2) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث يضم رجالاً ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (أ)



شكل (5-3) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث يضم رجالاً ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (ب)

فقد تتضمن العينة - مثلاً - الفئات العمرية في مجتمع البحث، وفنتي الذكور والإإناث بنسب متساوية (ولكنها قد لا تكون دقيقة كل الدقة). فقد تتجاهل أو تخفي تمثيل أحد النوعين في بعض الفئات العمرية. معنى ذلك أن العينة العشوائية يحتمل أحياناً أن تنتهي إلى هذه النتيجة. ولا شك أن ذلك الوضع يمكن أن يكون له تأثيره على البحث ، الذي يستهدف تصميمه - مثلاً - دراسة الخبرات المختلفة لكل من الرجال والنساء في فنتي العمر من 16-25 سنة ، ومن 41-65 سنة ، وذلك لأن تمثيل إحدى الفئتين كان أقل من نسبة تواجده في مجتمع البحث .

حقيقة أن احتمال اختيار عينة غير ممثلة لمجتمع البحث - على هذا النحو - احتمال ضئيل ، إلا أنها يجب أن نضعه في اعتبارنا (كما سنبين أدناه) . ولكل نحسن مستوى تمثيل العينة نستطيع الاستعانة بنوع من أنواع التدرج الطيفي (انظر قائمة المصطلحات) ، مع الحرص على أن تناح لكل أفراد مجتمع البحث فرص متكافئة للاختيار ضمن العينة.

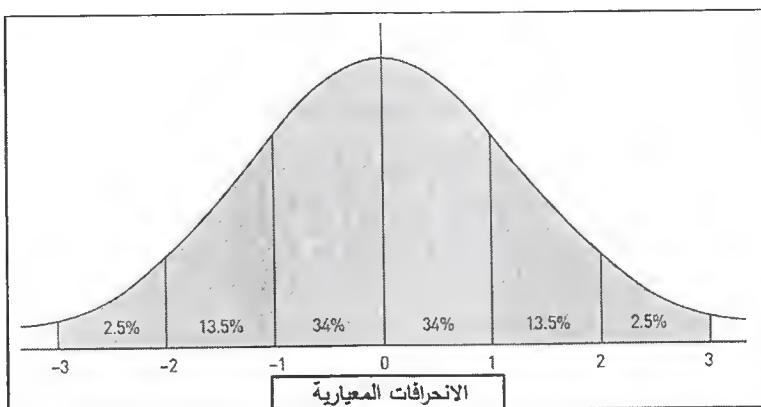
فكرة في هذا الموضوع . . .

الاحتمال الإحصائي لاختيار عينة من مجتمع البحث

هناك عدد من الأساليب الاحتمالية لاختيار عينة مقدارها عشرين فرداً من بين مائة فرد . وتزداد الاحتمالات إذا كان حجم مجتمع البحث أكبر من ذلك بكثير ، فهناك مثلاً طرق أكثر كثراً لاختيار ألف فرد من بين خمسين مليون فرد . ومن الممكن استخدام نظرية الاحتمال الإحصائية لإثبات أن غالبية هذه العينات تشبه إلى حد بعيد خصائص مجتمع البحث . فإذا وجدنا مثلاً في عينتنا أن الناس الذين لم يترددوا كثيراً على طبيتهم المعالج يقومون - في المتوسط - بمهام تطوعية بمعدل خمس مرات في العام ، فما هو الاحتمال بالنسبة لإجمالي أفراد مجتمع البحث الذين لا يترددون كثيراً على طبيتهم (وذلك من واقع قوائم أسماء المترددين على عيادات الأطباء) ويقومون بمهام تطوعية خمس مرات في العام؟

وباستخدام نظرية الاحتمال الإحصائية نستطيع القول إننا إذا تأملنا عدداً كبيراً من العينات المختارة بطرق مختلفة من نفس مجتمع البحث ، فسوف نتبين أن توزيع متوسط (أو الوسيط العسابي) المهام التطوعية هو توزيع اعتمالي . ويأخذ منحنى التوزيع الاعتدالي

- الوارد في الشكل (5-2) - شكل الجرس . فإذا افترضنا أن المتوسط في مجتمع البحث يقع في أعلى نقطة في منحنى الجرس (معنی أنه يطابق أعلى أرقام متوسطات العينة) ، عندئذ نستطيع القول إن متوسط العينة التي اخترناها سوف يقع بين الانحرافين المعياريين عن نقطة المركز في 95 % من الحالات . والانحراف المعياري (انظر قائمة المصطلحات) مقاييس إحصائي يقيس كيفية توزيع الحالات - التي هي في مثالنا متوسط كل عينة من عينتنا - حول الوسط الحسابي (الذى هو في هذه الحالة الوسط الحسابي لمجتمع البحث) .



شكل (4-5) التوزيع الاعتدالى

بحث

يمكن للطلاب الذين يريدون الاستزادة من فهم الأساليب الإحصائية للمعاينة (اختيار العينات) الرجوع إلى الكتاب التالي :

D.B. Wright and K. London (2009) First (and Second Steps in Statistics , 2nd edn. London: Sage.

المعاينة: خدمات التطوع والصحة

أرادت إحدى الطبيبات دراسة العلاقة بين النشاط التطوعي والصحة الجسمانية والنفسيّة عند الكبار تحت سن الخامسة والستين. وكانت قد علمت بوجود بعض البحوث التي توضح أن الناس الذين يؤدون خدمات تطوعية يكونون أكثر صحة. ولذلك أرادت أن تعرف من من مرضها يؤدى خدمات تطوعية، ولكن لم يكن لديها من الإمكانيات ما يسمح لها بإجراء دراسة مسحية تشملهم جميعاً.

وقد راودتها فكرتان عن كيفية اختيار عينة من مرضها البالغ عددهم خمسة آلاف مريض:

أ - خطر لها أن تطلب من مدير عيادتها قائمة بأسماء جميع مرضها - مرتبة أبجدياً - الذين تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة، وتقوم باختيار 500 (واحد من كل عشرة) مريض عشوائياً باستخدام جداول الأرقام العشوائية التي تحدد من يتم اختيارهم في العينة (جدول الأرقام العشوائية هي قوائم الأرقام مختارة عشوائياً بواسطة الحاسوب الآلي عادة).

ب - كما خطر لها أن تصمم استبياناً، ثم تطلب من موظف الاستقبال في عيادتها أن يوزع الخمسيني استبيان لأول خمسين مريض من تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة الذين يتزدرون على المستشفى خلال شهر معين.

فأى هاتين الفكرتين (أ) و (ب) يمكن أن يعد عينة عشوائية؟

وقد سلقت الإشارة في المثال (2-5) إلى أن الفكرة (أ) هي إحدى الطرق الجيدة لاختيار عينة عشوائية، ولو أنها قد لا تكون أفضل الطرق للحصول على عينة ممثلة، كما سنرى فيما بعد. ولكن لنتظر أولاً في عيوب الفكرة (ب). فعلى الرغم من أننا لا نستطيع التنبؤ بأول خمسين مريض يزورون المستشفى، فإن المهم أن المرضى بأمراض مزمنة، أو غيرهم من يضطربون إلى التردد على طبيتهم بصفة دورية؛ سيكون لهؤلاء جميعاً فرصة أكبر لأن يختاروا ضمن العينة من المرضى الذين تقدر

زيارتهم للطبيب . ونظرا لأن البحث يحاول التمييز بين الناس من واقع الصحة البدنية والنفسية ، أو المرض البدني النفسي ؟ من هنا لن تكون مثل هذه العينة ملائمة لاختيار الأفراد الذين ستم دراستهم في هذا البحث .

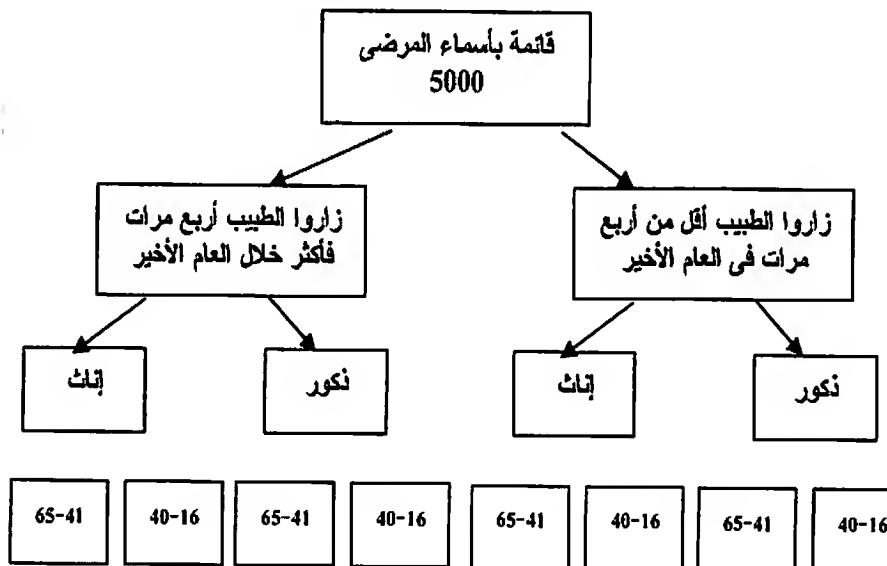
والآن ننتقل إلى تأمل الأسلوب (أ) في اختيار العينة بشكل متعمق في ضوء سؤال البحث . الباحثة هنا مهتمة بالناس الذين يتطوعون والذين لا يتطوعون ، ومهتمة بحالتهم الصحية . والمعلومات المتوفرة لديها عن الموضوع دفعتها إلى الاعتقاد بأن هناك فروق بين الناس في هذا الأمر تبعا لأعمارهم ، ونوعهم ، وربما أيضا انتظامهم الإثني . كما تعلم الباحثة أن معظم الشباب يتمتعون بصحة جيدة ، وأن الناس تتراجع ظروفهم الصحية مع تقدمهم في العمر . ولકى تستطيع الإجابة على تلك التساؤلات يجب أن تتأكد من أن العينة التي ستختارها سوف تشمل على كل هذا الخليط المتباين من الناس . ولکى تتحقق هذا يتبعن عليها أن تعرف المزيد عن ظروف أفراد مجتمع البحث ، وذلك لكى تستطيع اختيار عينة مماثلة لمجتمع البحث من ناحية تلك السمات .

ولکى تفعل الطبيبة ذلك يجب أن تعرف أولا نسبة كل فئة من تلك الفئات بين مرضاهما أي : مجتمع البحث . وقد تبدأ ذلك بعمل رسم بياني تخطيطي . والمهم أن نلاحظ هنا أنها قررت أن تستخدم تعريفا تقريبيا (انظر قائمة المصطلحات) للصحة ، وذلك بتنقسم مرضاهما - أو مجتمع البحث - إلى مجموعتين : الأولى هي التي لا تتردد بكثرة على الطبيب ، والأخرى هي التي يتردد أفرادها على الطبيب بكثرة . وقد استخدم هذا التعريف التقريبي كدليل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف الصحة ، وذلك كوسيلة للتأكد من أن العينة تشمل على شتى فئات الأفراد الذين تحتاج إلى الوصول إليهم للإجابة على أسئلة بحثها .

المثال (3 - 5)

النشاط التطوعي والصحة:

تقسيم مجتمع البحث إلى فئات (أو طبقات)



الشكل (5-5): تقسيم المجتمع إلى فئات (أو طبقات)

وهكذا يجب أن تضم العينة نسباً من كل فئة تمثل نسبتها في مجتمع البحث. مثال ذلك: إذا كان مجتمع البحث يضم 500 سيدة في الفئة العمرية 41-65 فمن بزيارة الطبيب أقل من أربع مرات خلال العام الأخير: فسيكون الوضع كالتالي:

$$500 = \frac{500 \times 500}{5000}$$

معنى هنا أن العينة يجب أن تضم 50 سيدة من هذه الفئة. وهنا يمكن اختيار هؤلاء السيدات عشوائياً من قائمة أسماء الخمسين سيدة أفراد هذه الفئة.

فکر فی هذا الموضوع ..

إذا كان هناك 300 رجل في الفئة العمرية 16-40 يترددون بكثرة على الطبيب،
فما العدد الذي يتبعن اختياره منهم ليدخل ضمن عينة قوامها 500 حالة؟

وما الحل إذا لم يكن هناك سوى 30 رجلاً فقط في هذه الفئة العمرية الذين
يتبعن بكثرة على الطبيب؟

وهل تعتقد أن الرقم الذي ستتوصل إليه سيكون عينة كافية لتمثيل هذه المجموعة؟

رأينا في هذا المثال أن مجتمع البحث قد قسم إلى فئات (أو طبقات) على ثلاثة مستويات ، بحيث تستطيع الطبيبة - الباحثة - اختيار العينة التي يمكن أن تساعدها في الإجابة على تساؤلات بحثها . وكانت مستويات التقسيم الثلاثة المستخدمة كما يلى : 1 - كثرة - أو قلة - التردد على الطبيب ، 2 - النوع (ذكور) ، 3 - العمر .

المثال (4-5)

النشاط التطوعي والصحة

كانت الطبيبة مهتمة كذلك بالتعرف على خبرات الأفراد الذين يتبعون إلى اثنين من الجماعات الإثنية بين المرضى . وكانت إحدى هاتين الجماعتين تعيش في المنطقة منذ سنوات بعيدة ، بينما كان أفراد الجماعة الإثنية الأخرى من المهاجرين حديثاً إلى المنطقة منذ سنة أو نحو ذلك . وقد لاحظت أن هويتهم الإثنية مسجلة على تذاكرهم الطبية داخل العيادة . ولا تمثل كل جماعة منها سوى نسبة مئوية ضئيلة من إجمالي عدد المرضى المترددين على العيادة (يمثل جميع أفراد الجماعتين حوالي 5 % ، أو 250 حالة) . ويعنى ذلك أن عينتها البدنية سوف لا تتضمن - على الأرجح - سوى عدد قليل من كل جماعة . لهذا قررت الطبيبةأخذ عينة إضافية تتكون من أفراد هاتين الجماعتين الإثنية . وهنا اختارت نسبة أعلى من العدد الإجمالي لهاتين الجماعتين - بواقع 1 من كل 2 ، أي 50 % من مجتمع البحث - لكي تضمن الحصول على عينة كبيرة تسمح لها أن تحل نتائجها في ضوء نفس متغيرات عينتها الكبرى ، وهما: العمر ، والنوع .

ولكنها لا تستطيع - عندما تصل إلى مرحلة تحليل البيانات - أن تضم العينتين معاً، وذلك لأن العينتين قد سحبتا باستخدام كسور معاينة (انظر قائمة المصطلحات) متباعدة، ولأن المرضى من الجماعتين الإثنية كانت لديهم فرصة الاختيار في كل العينتين. وكان بوسع الطبيبة أن تحلل بيانات كلا العينتين، وأن تعرض نتائج كل منها على حدة، والمقارنة بين نتائج كلا العينتين باستخدام النسبة المئوية وليس الأعداد الخام.

وكان ثمة بديل - أو حل إضافي - يتمثل في اختيار عينتين على النحو التالي:

(أ) أن تختار كسر معاينة بواقع 1 من كل 10 من إجمالي عدد مجتمع البحث بعد استبعاد أفراد الجماعتين الإثنية منه.

(ب) اختيار كسر معاينة من الجماعتين الإثنية بواقع 1 من كل 2.

وفي هذه الحالة تقوم الباحثة بتحليل كل عينة على حدة، ثم المقارنة بينهما باستخدام النسبة المئوية. ولكن تحال الطبيبة العينتين معاً كممثلين لمجتمع البحث، يتبعن عليها أن تخفض الوزن النسبي للعينة (ب). ولكن تفعل ذلك سيكون عليها أن تقسم أى نتيجة من العينة (ب) بواقع $= 5$ ، وذلك على أساس أن مرضى الجماعتين الإثنية تتضاعف احتمالات اختيارهم ضمن عينة خمسة خمسة احتمالات اختيار سائر المرضى.

جدول (1-5) بيانات عينة النشاط التطوعي والصحية

(٤) إجمالي العينة (أ) والبيانات المعدلة للعينة (ب) مجموع ٣٤١ العودين	(٢) البيانات المعدلة من العينة (ب) بيانات العوود ٢ مقسمة على ٥	(١) بيانات العينة (ب)	(١) بيانات العينة (أ)	النوع
٢٤٠	١٥	٧٥	٢٢٥	ذكور
٢٦٠	١٠	٥٠	٢٥٠	إناث
٥٠٠	٢٥	١٢٥	٤٧٥	إجمالي العينة

لاحظ أن البيانات التي تم جمعها من جميع أفراد العينة قد استخدمت بعد تعديل وزنها. وحذار أن تعمد إلى اختيار - مثلاً - 25 حالة من إجمالي الجماعتين الإثنية الـ 125 وتستبعد الباقيين .

وهكذا نرى أن العينات الطبقية يمكن أن تستخدم أيضاً لتمكين الباحثين من توفير الوقت والموارد المطلوبة، خاصة في المسوح الضخمة القائمة على المقابلة، وهي البحوث التي تختر عيناتها من منطقة جغرافية واسعة. لهذا تتبنى هذه الطريقة في المعاينة أغلب المسوح الضخمة التي تجريها الهيئات الحكومية، على نحو ما يوضح برواز «البحث الواقعي» أدناه. ففي هذا البحث - المثال - عمد الباحث في البداية إلى اختيار بعض الأحياء (أى وحدات الإدارة المحلية، التي تمثل في نفس الوقت مناطق جغرافية). وبفضل إجراء هذا الاختيار في البداية، ضمن الباحثون ألا تأتي عينة بحثهم مبعثرة في كل منطقة من مناطق إنجلترا وويلز. وتسمى مثل هذه العينة: العينة العنقودية (انظر قائمة المصطلحات)، لأن العينة في هذه الحالة تشبه العناقيد (أى المناطق الجغرافية في هذا المثال)، الأمر الذي يوفر الوقت والموارد الالزمة للوصول إلى الحالات المختارة. والحقيقة أن العينة الطبقية - كما سترى في برواز «البحث الواقعي» - يمكن أن تكون شديدة التعقيد. فقلة قليلة فقط من الباحثين هي التي تستطيع تدبير الوقت والموارد الالزمة لتصميم عينة بمثل هذه الضخامة والتعقيد والوصول إلى أفرادها. ومع ذلك يوضح المثال المعروض مختلف الأسس والمراحل الداخلية في عملية اختيار العينة الطبقية التي يمكن أن تناسب الباحث الطالب الذي يسعى إلى اختيار عينة ممثلة من بين مجتمع بحث محدد الملامح والسمات .

البحث الواقعي

مسح المواطن للعام 2005

طلبت وزارة الداخلية (البريطانية) إجراء مسح المواطن لعام 2005 للوقوف على آراء السكان في إنجلترا وويلز حول عدد من المسائل. وشمل المسح أسئلة عن أحوال المجتمع المحلي، والتمييز العرقي والديني، والأنشطة التطوعية، والحقوق، والمسؤوليات. وقد تم استيفاء الاستبيانات خلال مقابلات مباشرة أجراها بعض الباحثين من المركز القومي للبحوث الاجتماعية. ويمكن الاطلاع على التقرير الفنى للبحث على الموقع التالي:

www.communities.gov.uk/publications/

(تاریخ آخر دخول على الموقع 21 يولیو 2009).

اما نتائج البحث فيمكن الاطلاع عليها على الموقع التالي:
www.communities.gov.uk/publications/communities/2005citizenship surveycross

(تاریخ آخر دخول على الموقع 21 يولیو 2009).

العينة

عينة ممثلة على المستوى القومي قوامها 10.000 بالغ من انجلترا وويلز،
وعينة إضافية قوامها 4.500 فرد من جماعات الأقليات الإثنية.

كيف تم اختيار العينة؟

تم اختيار عينة من العناوين من سجل عناوين هيئة البريد على مرحلتين:
1 - اختيار عينة عشوائية قوامها 663 حيًا من واقع إحصائيات التعداد.

(أ) قبل الاختبار تم تصنیف الأحياء إلى ثلاثة مجموعات وفقاً للنسبة المئوية لجماعات الأقليات الإثنية في كل حي (أقل من 1% ، 1-18% ، أكثر من 18%).

(ب) في إطار هذه المجموعات تم تصنیف الأحياء وفق التقسيم الإداري الحكومي.

(ج) في كل قسم إداري حكومي تم تصنیف الأحياء إلى ثلاثة مجموعات على أساس النسبة المئوية لأرباب الأسر الذين يملكون بمهن غير يدوية.

(د) وأخيراً تم داخل كل مجموعة أحياء، تصنیف الأحياء وفقاً لنسبة الذكور العاطلين في الحي.

(هـ) بعد ذلك تم اختيار 663 حيًا عشوائياً من واقع القائمة المصنفة طبقاً (أو فنياً) على هذا النحو، مع مراعاة أن يكون الإدراج ضمن العينة متناسباً مع عدد العناوين في كل حي.

2 - تم داخل كل حى وقع عليه الاختيار ، اختيار 25 عنواناً بطريقة عشوائية.

(أ) إذا كان العنوان المختار يضم أكثر من وحدة معيشية (أسرة) ، كان الباحث القائم بالمقابلة يختار ثلاث وحدات معيشية لمقابلتها ، وفق أسلوب منهجه منظم.

(ب) كان يتم اختيار شخص واحد يبلغ عمره 16 عاماً أو أكثر بطريقة عشوائية من كل أسرة ، وذلك بمعرفة الباحث القائم بالمقابلة ، وذلك أيضاً وفق أسلوب منهجه منظم .

أما العينة الإضافية من جماعات الأقليات الإثنية فقد اختيرت على النحو التالي:

1 - استخدمت في اختيار هذه العينة الأحياء التي تسكنها نسب عالية نسبياً من الأقليات الإثنية (أكثر من 18 %) ، والتي تسكنها نسب متوسطة من هذه الأقليات (من 1 - 18 %).

(أ) في كل الأحياء المتوسطة الكثافة ، كان العنوانان السابقان والتاليان على العناوين المختارة يتم اختيارهما للفحص والتأكد من وجود أفراد من الجماعات الإثنية بها . كان المبحوثون في العناوين المختارة يسألون في البداية إذا كانوا ينتمون إلى الجماعات الإثنية المقيمة في تلك العناوين . فإذا كان الأمر كذلك يبدأ الباحث عمله .

(ب) أما في الأحياء ذات الكثافة العالية فقد تم اختيار 110 عناوين إضافية ، ليتحقق الباحث من وجود مبحوثين ينتمون إلى جماعات الأقليات الإثنية .

2 - تم اختيار عينة إضافية من الأحياء من بين 150 حياً أخرى (لم تكن ضمن العينة الأساسية) لكونها تتسم بكتافة سكانية عالية من أفراد جماعات الأقليات الإثنية . استخدمت نفس عملية التقسيم إلى فئات (طبقات) ، واختير من كل حي 110 عناوين . بعد ذلك تم التأكد من وجود أفراد بها من جماعات الأقليات الإثنية .

ما معدل الاستجابة الذي تحقق؟

العينة الأساسية

من بين 16.575 عنواناً المختار:

- اتضح أن 1.543 عنواناً لم تكن صالحة للبحث، لأنها مثلاً: غير مسكنة، أو ليست مخصصة للسكنى أصلاً، أو لأنها هدمت.
 - لم يمكن الاتصال بأحد في 338 عنواناً، أو لم يتيسر إثبات صلاحيتها للدخول في العينة.
 - 3.923 عنواناً رفض شاغلوها المشاركة في البحث.
 - 595 عنواناً لم يتيسر لأصحابها المشاركة أو الاستمرار مثلاً بسبب: المرض، أو عدم الإمام باللغة (الإنجليزية).
- وقد تم إجراء عدد 9.691 مقابلة.

عينة جماعات الأقليات الإثنية

تم اختيار 7.171 أسرة تضم أفراداً بالغين مؤهلين للمشاركة (أى إنهم ينتمون إلى أحدى جماعات الأقليات الإثنية).

تم إجراء 4.390 مقابلة.

المعاينة الاحتمالية: الجوانب العملية

إذا كنت تنوى استخدام المعاينة الاحتمالية، فهناك عدد من الأسئلة التي يجب أن تفكّر فيها وأنت في هذه المرحلة.

ما سمات مجتمع البحث المتصلة بموضوعك والتي ينبغي أن تكون ممثلة في العينة؟

يتعين عليك في هذه المرحلة من البحث أن تكون قد فكرت كيف ستحلل البيانات

التي ستقوم بجمعها، وأن تكون قادرًا على تحديد السمات أو المتغيرات التي ستعتمد عليها في التمييز بين الحالات المختلفة. من ذلك مثلاً أنه إذا اتضحت من سؤال بحثك أو من فرض البحث أنك ستبحث عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد الذين يتبعون إلى جماعات عمرية مختلفة، أو بين عدة مقالات مختارة من أنواع مختلفة من الصحف، عندئذ سيكون عليك أن تتأكد من أن الحالات المختارة تتوفّر فيها تلك السمات أو المتغيرات. فإذا قسمت مجتمع بحثك إلى فئات (أو طبقات) وفقاً لهذه السمات، فسوف تضمن أن تدرج ضمن عينتك نسباً من كل مجموعة تشبه نسبتها في مجتمع البحث (على نحو ما فعلت الطبيعة في بحثها). وإذا وضعت نصب عينيك أسئلة بحثك وخططك في التحليل، فإن عينتك ستتضمن بحيث تضمن جمع بيانات من حالات البحث تتيح لك أن تستخدمها في سعيك للإجابة على أسئلة البحث.

هل توجد قائمة حصر - أو إطار معاينة - لكافية أفراد مجتمع البحث الذي ستختار منه العينة، وهل تزودك هذه القائمة بالمعلومات الازمة لسحب عينة طبقة مماثلة؟

في كثير من الأحيان لا يكون من الممكن أن تكون أو تتحصل بسهولة على قائمة حصرية بجميع أفراد مجتمع البحث تستطيع أن تسحب منها عينة الدراسة (وهو ما يسمى: إطار المعاينة) (انظر قائمة المصطلحات). ففي بعض الأحوال لا تكون مثل هذه القائمة الحصرية موجودة أصلاً. ففي بحث المواطن عندما أراد الباحثون سحب عينة بحثهم لم يستطعوا الحصول على قائمة حصرية بعناوين جميع الناس في المملكة المتحدة من أبناء جماعات الأقلية الإثنية، وذلك ببساطة لأنه لا وجود لمثل هذا الحصر أصلاً. وعوضاً عن ذلك لجأ الباحثون إلى استخدام بيانات التعداد لتحديد الأحياء التي يحمل وجود أفراد جماعات الأقليات الإثنية فيها احتمالاً كبيراً.

وحتى لو وجدت مثل هذه القائمة الحصرية لمجتمع البحث، فقد لا تتوفر للباحث معلومات تفصيلية عن الأفراد أو الحالات الواردة أسماؤهم في القائمة، والتي يحتاج إليها لسحب العينة. وقد يكون سبب ذلك أن تلك المعلومات ذات طبيعة سرية، أو لأن الشخص الذي يحتفظ بهذه القائمة الحصرية - والذي يعرف أحياناً باسم "حارس

البوابة”^(*) - لا يريد أن يطلعك عليها. ولا حظنا في البحث السابق أن الطبيعة الباحثة كان تحت يدها قائمة حصرية بأسماء مرضاهما (وهم مجتمع البحث)، ولكنها قد لا تكون راغبة في إطلاع أحد الطلاب الباحثين على المعلومات التي يحتاج إليها لإجراء بحث عن الأنشطة التطوعية. وهناك عدة أسباب تدفع ”حارس البوابة“ إلى رفض الإذن له بالاطلاع على المعلومات التي تحتاج إليها لسحب العينة. فقد تكون البيانات ذات طبيعة سرية وتحجب عن العموم بمقتضى قانون حماية المعلومات، وقد يكون حارس البوابة مسؤولاً بحكم وظيفته - أو بحكم أي مسؤولية أخرى - عن الناس الذين تريده أن تغطيتهم في بحثك، وقد يساوره بعض القلق على سلامة أولئك الناس (فصل 5 من باب 1). فمثل هذه القضايا قضايا ذات طبيعة أخلاقية، مما يتquin أن يدفعك إلى أن تتبعين ما إذا كنت سوف تستطيع الوصول إلى الأفراد أو المواقف الذين تريدهم بالطريقة التي تراها. ومن الأسباب الأخرى التي تدعو ”حارس البوابة“ إلى رفض السماح لك بالاطلاع على بيانات أفراد مجتمع البحث أنه قد لا يملك الوقت اللازم لمساعدتك، أو لأنه ليس مهتماً بالبحث الذي تنوی إجراءه، خاصة إذا كان البحث غير مفيد لحارس البوابة أو مؤسسته .

(*) حارس البوابة Gatekeeper مفهوم صاغه عالم الاجتماع الأمريكي كورت ليفين في عام 1947 ليشرح ظاهرة ”اليد الخفية“ التي تراقب، وتمنع، وتسمح بحكم موقعها الرسمي أو العرفي، وبشكل علني أو ضمني. فالتعتيم الإعلامي مثلًا هو شكل من أشكال ”حراسة البوابة“ وكذلك حجب المعلومات عموماً. وهكذا دخل هذا المصطلح إلى بحوث الاتصال الجماهيري على يد دافيد وايت. والمعروفاليوم أن البناء التدرجى للتنظيمات الرسمية - فى المجتمع الحديث - يضع بعض الأفراد أو الجماعات فى موقع حساسة تمكنهم من أن يراقبوا حصول الناس على السلطة أو الخدمات أو المعلومات. وهو بذلك يتملكون قوة أكبر من سلطتهم الرسمية. ولقد درس علماء الاجتماع هذه الظاهرة فى إطار ظروف عديدة غير الإعلام والمعلومات. ويمثل تجاه الإدارة الحضرية فى دراسة المدن مثالاً على ذلك، وهو اسم أطلق على عدد من الدراسات فى ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ادعت جمِيعاً أن كبار المسؤولين عن الإداره الحضرية (مثل العاملين فى التخطيط الحضرى وموظفى الإداره المحلية) يلعبون دوراً حيوياً كحراس لمراقبة الحصول على الموارد الحضرية (الإسكان، والأرض، وتصاريح البناء ... إلخ). للمزيد انظر ، محمد الجوهرى وزملاؤه ، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال (1994) ، وكذلك : موسوعة علم الاجتماع (3 مجلدات) ، المركز القومى للترجمة (2011) ، خاصة مواد: الحراسة (حراسة البوابة) ، التنظيمات الرسمية ، القوة ، الحضرية ، وغيرها . (المترجم)

فإذا تعذر عليك الحصول على قائمة حصرية بأفراد مجتمع البحث، يتوجب عليك التفكير في طرق أو أساليب أخرى لاختيار عينة بحثك، مثل: **المعاينة الحصرية (أو بالحصة) وعينة كرة الثلج** (انظر قائمة المصطلحات)، التي ستناقشها تفصيلاً في موضع لاحق من هذا الفصل.

ما حجم العينة التي ستسحب؟

هذا السؤال ليس بالأمر السهل، لأنه يتعين على الباحث أن يأخذ في اعتباره عدداً من العناصر المختلفة. أول تلك الأمور أنه من المعروف -إحصائياً- أنك إذا كنت بصدد اختيار عينة عشوائية ممثلة من مجتمع بحث معروف لك، فإنه كلما زاد حجم العينة كلما ارتفعت إمكانية تعميم بيانات العينة على مجتمع البحث، مما يعني تناقص خطأ المعاينة (انظر قائمة المصطلحات) أو التباين المحتمل بين متواسطات العينة ومتواسطات مجتمع البحث. ومع ذلك فليست القضية أنه كلما زاد حجم مجتمع البحث، كلما كان لازماً أن يزداد حجم العينة. فبحوث التسويق واستطلاعات الرأي التي تجريها بعض المؤسسات تعتمد في الغالب على عينة عددها ألف فرد بالغ من سكان المملكة المتحدة، هي التي يجررون عليها بحوثهم. ومن الم肯 التدليل على أن المزايا الإضافية التي ستحصل عليها من زيادة حجم العينة سوف تتضاءل أهميتها عندما يرتفع حجم العينة وتبدأ الآثار المتعلقة بالوقت اللازم لإجراء البحث والموارد التي يحتاجها والترتبة على زيادة حجم العينة؛ تبدأ في البروز وتحتل الأسبقية على التخفيض الضئيل لخطأ المعاينة.

على أن الأمر المهم بالنسبة للطالب -الذى يجرى بحثاً بموارد محدودة من الوقت والتمويل- أن حجم العينة سوف يتأثر في المقام الأول بحجم الموارد المتاحة وإمكانية الوصول السهل إلى مفردات عينة البحث. وعليك أن تلتمس النصح بهذا الشأن من المعيد أو الأستاذ الذى يشرف على بحثك، حيث سيكون قادرًا على تزويدك بأى إرشادات أو توجيهات بهذا الخصوص، وأن يفحص معك القضايا والمشكلات الخاصة المتعلقة ببحثك. ولكن من المهم -على أية حال- أن تكون واعياً بأوجه القصور المرتبطة بالعينة الصغيرة الحجم، وأن تتناولها بالمناقشة في تقرير بحثك أو في رسالتك الجامعية التي تعدها.

هناك موضوع آخر يتعلّق بحجم العينة يجب أن تأخذ في اعتبارك ، وهو : تذكر أنك قد تحتاج - مثل الطبيبة الباحثة في المثال (5-2) - إلى تحليل بيانات تكون مستمدّة من جماعات أو فئات معينة داخل عينة البحث ، كأن تحاول - مثلا - استكشاف الفروق بين الرجال والنساء في اللغات العمرية المختلفة . فإذا كان إجمالي عدد العينة صغيراً ، فسوف تجد أن البيانات الخاصة (مثلا) بالرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 16 - 24 سنة تعتمد على عدد قليل جداً من الأفراد . ومن شأن هذا أن يقلل من جودي البيانات ، وقد يعني في النهاية أنك قد لا تستطيع إجراء التحليلات التي كنت تنوّى عملها .

النقطة الأخيرة التي يجب أن تذكرها دوماً أنه سيكون هناك بعض الأفراد الذين لن يستجيبوا للمشاركة في البحث ، إما لأنهم يرفضون مثل هذه المشاركة ، أو لأنّه تعذر الاتصال شخصياً ببعض من دخلوا ضمن العينة . ولهذا يكون من الصواب أن تختار عينة بحثك وأنت على وعي بهذه القضايا والمشكلات ، ومن ثم قد يكون من الأفضل اختيار 10 % إضافية زيادة عن العدد الذي تنوّى أن يشارك في بحثك .

هل يوجد ثمة تحييز داخل إطار المعاينة ، أو في طريقة اختيار العينة ، يمكن أن يؤثر سلباً على العينة؟

عندما تفكّر في إطار المعاينة - أي القائمة الحصرية بالأفراد أو الحالات الذين يمكن إدراجهم ضمن عينتك - يجب أن تتأكد من أن تلك القائمة لم توضع بحيث تستبعد أي حالات أو جماعات . وقد أشرنا سابقاً إلى أن التعداد الرسمي للمملكة المتحدة لا يمكن أن يزعم أنه يضم كافة أفراد السكان البريطانيين . لهذا يكون عليك أن تنتبه إلى مثل هذه الحالات أو الجماعات ، التي ربما تكون قد غابت عن هذه القائمة الحصرية . ففي عينة بحث النشاط التطوعي رأينا أن اختيار العينة عن طريق توزيع استبيان البحث على أول خمسمائة مريض يصلون إلى العيادة يمكن أن يصيّب العينة بالتحيز (انظر قائمة المصطلحات) لصالح الأفراد الذين يتزدرون بكثرة على الطبيب . ولعله يتعين أن تأخذ في الاعتبار في هذا المثال نوع الطبيبة (ذكر/أنثى) وما إذا كان المرضى - من الذكور والإإناث - قد يتساولون في اختيار طبيبة أنثى . لذلك فإن اختيار عينة من قائمة المرضى المتربدين على تلك الطبيبة فقط ، يعني أن الباحثة تختار عينة متخيّزة لصالح المرضى الذين لهم اختيار معين في نوع الطبيب .

هل يمكن الوصول بسهولة إلى أفراد العينة؟ وهل من المحتمل أن يشاركون في البحث ويستجيبوا للباحث؟

كما يجب عليك قبل سحب العينة أن تفكّر في مدى قدرتك على الوصول إلى أفراد العينة التي اخترتها. هل سيكون متاحاً لك الوصول إلى الأفراد أو الحالات التي وقع عليها الاختيار في الفترة التي يتعين عليك فيها جمع بيانات بحثك؟ هل سيكون عليك مثلاً السفر لقاء بعض الحالات؟ وإذا كنت تخطط لإجراء مسح بواسطة البريد الإلكتروني (الإيميل)، فهل يتوفّر لأفراد العينة جهاز حاسب آلي، وإذا كان ذلك كذلك فهل هم ينطمون في استخدام البريد الإلكتروني؟ هل يحتمل أن تواجه أي مشكلة لغوية في التعامل معهم، أو أي عوامل تحول دون فهم أحدكم الآخر؟

وهكذا نضع أيدينا على مصدر آخر لنوع من التحييز، لأنّه لن يكون ميسوراً لك الاتصال بكل أفراد عينتك، أو قد لا تتحّل لكل الأفراد نفس فرصـة المشاركة في بحثك. ولذلك لا بد أن تتوقع أن البعض قد لا يشاركون في بحثك، وبالتالي تكون بصدّد حالة من حالات عدم الاستجابة (انظر قائمة المصطلحات). وعدم الاستجابة يمكن أن يعود لعدة أسباب مختلفة:

- عدم تحقّق الاتصال: حيث لا يستطيع الباحث الوصول إلى الشخص.
- الرفض: حيث يبدي الشخص رفضه المشاركة في البحث.
- عدم استطاعة الشخص - المختار في العينة - الاستمرار في المشاركة، مثلاً بسبب: المرض، أو عدم معرفة اللغة، أو وجوده فترة البحث في إجازة.
- أن يكون الشخص المختار غير ملائم للبحث، ويرجع ذلك عادة إلى عدم دقة المعلومات التي كانت متوفّرة عن هذا الشخص.

وعليك - كباحث - أن تفعل كل ما في وسعك لتقليل حالات عدم الاستجابة إلى أدنى حد. وأفضل سبييل لتحقيق ذلك هو الإعداد الجيد، والنظر في العوائق.

بحثك

اختبار جودة البحث: العينات الاحتمالية وإمكانية التعميم

- هل تم استبعاد عدد كبير من أفراد مجتمع البحث على نحو يمكن أن يؤدى إلى التحيز.
- هل تم اختيار العينة عشوائياً؟
- هل فئات التحليل كبيرة بالقدر الكافى (خمس حالات على الأقل فى كل فئة)؟
- هل وضعت فى اعتبارك التحيز الذى يمكن أن يحدث بسبب عدم تحقق الاتصال ببعض أفراد العينة، أو بسبب عدم الاستجابة؟
- هل العينة الاحتمالية ذات حجم يسمح بإجراء التحليل الإحصائى ويرى الإدعاء بإمكانية تعميم النتائج على مجتمع البحث بأكمله؟
- هل تضمن تقرير بحثك أو رسالتك الجامعية جزءاً لمناقشة نقاط الضعف فى عينتك؟

المعاينة غير الاحتمالية

لعلك أدركت الآن أنه عندما تكون بقصد إجراء بحث صغير محدود الموارد الزمنية والمالية، فالغالب أنك لن تستطيع تكوين عينة (أ) كبيرة أو (ب) تفي بكل شروط العينة الاحتمالية العشوائية. وسنقوم فى هذا الجزء من الفصل باستعراض بعض طرق المعاينة التى قد تكون أكثر ملاءمة لأحجام البحوث المحدودة التى يجريها أغلب الطلاب. ومثل هذه الطرق أكثر ملاءمة لتصميمات بحوث المسح المقارن أو التجريبى المحدودة النطاق.

العينة المريحة

بسبب قلة الموارد وضيق الوقت لا تناح للباحثين من الطلاب فرص لاختيار عينة سوى الاعتماد على العينة المريحة بسبب سهولة الوصول إلى مفرداتها. والحقيقة أننا لو تأملنا مجموعة من الدراسات البحثية، فسوف نجد في الغالب أن السياق الذى يجرى فيه البحث إنما هو اختيار من بين مدى واسع من الاحتمالات، وذلك لكونه السياق الذى يتبيح للباحث فرصة الوصول إلى محوثيه بسهولة. والمعناد أن يختار الباحث الطالب

السياق الملائم الذى يستطيع فيه الحصول على أكبر عدد ممكن من الاستجابات ، كأن يكون القسم (الجامعى) الذى يدرس به ، أو نادى المجتمع资料的， أو أحد أماكن اللقاء العامة ، أو مراكز التسوق ، أو النوادى الرياضية.

المثال (5 - 5)

النشاط التطوعى والصحه

بدأت الباحثة فى مثاثنا بتعريف مجتمع البحث الذى ستختار منه عينة دراستها بأنه جميع المرضى المترددون على عيادتها . ومعنى ذلك أنهم الأفراد الذين تستطيع الوصول إليهم بسهولة . ولم تحاول سحب عينة من جميع السكان البالغين فى المملكة المتحدة . ولكنها قررت فى النهاية سحب عينة احتمالية من مجتمع البحث المريح لها ، أى الذى تستطيع الوصول إلى أفراده بسهولة .

المثال (5 - 6)

النشاط التطوعى بين الطلاب

قرر أحد الطلاب المهتمين بدراسة مدى انتشار النشاط التطوعى بين مجتمع الطلاب وطبيعته؛ قرر اختيار مبحثه من زملائه فى البرنامج الدراسى ، وفي المدينة الجامعية . وقام بعد ذلك بإرسال استمارة استبيان على البريد الإلكتروني لكل أفراد هاتين المجموعتين . وكان يأمل من وراء ذلك أن يحصل على نسبة استجابة عالية ، خاصة من أولئك الزملاء الذين يعرفونه معرفة جيدة .

وقد أوضح فى رسالته الجامعية - التي كتبها عن البحث - أنه يعى نواحي القصور فى هذه الطريقة . وأن من هذه العيوب أن هذه الطريقة ستؤدى إلى ضعف تمثيل الطلاب الذين يعيشون مع أسرهم أو يسكنون في بيوت خاصة ، بينما ستزداد نسبة تمثيل الطلاب الذين يدرسون معه فى نفس البرنامج (وهو مقرر السياسة الاجتماعية) . كما أوضح هذا الباحث أن دارسى السياسة الاجتماعية يزداد احتمال انخراطهم فى الأنشطة التطوعية عن بقية الطلاب الذين يدرسون برامج أخرى . والذين يعيشون مع أسرهم الذين ستختلف فرص تطوعهم عن أولئك الذين يعيشون فى المدينة الجامعية .

العينة الحصبة

تسمى هذه الطريقة من المعاينة ببعض خصائص العينة الطبقية (انظر قائمة المصطلحات)، وهي العينة التي تختار بحيث تضمن إدراج بعض الفئات والجماعات والحالات بنسب تناظر نسبتهم في مجتمع البحث . ولكنها تختلف عنها في عدم استخدام قائمة حصرية تشمل جميع أفراد أو حالات مجتمع البحث ، كما أنها يمكن أن تكون أكثر راحة في اختيار العينة . ويستخدم هذه الطريقة في الواقع كثير من مؤسسات بحوث السوق . فإذا اقترب منك باحث في الطريق و معه حافظة أوراق ، وطلب منك أن تشارك في بحث عن نوع جديد من رقائق البطاطس المقليه أو أحد المنظفات الجديدة؛ فالأرجح في مثل هذه الحالة أن الباحث قد كلف باستيفاء حصة معينة من المبحوثين . وقد يكون سبب اختياره لك أنه رجل مثلاً، ويتراوح عمرك بين 18 - 25 سنة ، وأنك تنتمي إلى الطبقة الوسطى . وربما يكون تصميم البحث قد حدد مثل هذا الباحث عدة معايير يجب أن يتلزم بها ، من قبيل استيفاء:

- خمسة ذكور .
- خمس إناث .
- ثلاثة تتراوح أعمارهم بين 18 - 25 سنة .
- أربعة تتراوح أعمارهم بين 26 - 45 سنة .
- وثلاثة تتراوح أعمارهم بين 46 - 65 سنة .
- ستة من هؤلاء من الطبقة الوسطى .
- وأربعة من الطبقة العاملة .

وهكذا يحرص الباحثون القائمون بالمقابلة على البحث عن أفراد يتتوفر فيهم معيار واحد على الأقل من هذه المعايير ، ولكن الأرجح أن يتتوفر فيهم أكثر من معيار . مثال ذلك أن الباحث يستطيع أن يستوفى البيانات من أفراد الحصة المحددة له بإجراء عشر مقابلات فقط ، ولكن بشرط الالتزام بالمعايير المحددة في اختيار هؤلاء العشرة . وتكون هذه المعايير مستمدة عادة من بيانات مجتمع البحث - كالمجتمع المحلي مثلاً - وتحدد الحصص بحيث يتناسب أفرادها مع نسب الخصائص السائدة في مجتمع البحث (كالنوع ، والعمر والانتقاء الإثنى ... إلخ) . ويتابع الباحث إجراء مقابلاته مع

المحوثين المحتملين إلى أن يتم استكمال الحصة. ومن الطبيعي أن الباحث قد يخطئ أحياناً عندما يجري مقابلات مع أشخاص يبدو أنهم يتقدون ومعايير الحصة، ثم يتبيّن بعد أن يتحاور معهم أنهم ليسوا من الفئة العمرية المطلوبة أو لا ينتمون إلى الوضع الطبيعي المحدد. ولذلك يتبعن عليه في مثل هذه الحالات إنتهاء المقابلة، ومواصلة البحث.

المثال (5 - 7)

النشاط التطوعي والصحة

كان بوسط الطبيبة أن تستخدم العينة الحصبية، وذلك بأن تعطي موظف الاستقبال حصة من المرضى، باستخدام العمر والتوع كمعايير لاختيار الحصة، فيعرض على كل واحد منهم فكرة البحث ويطلب منه المشاركة في بحث عن التطوع. ومن شأن هذا الأسلوب أن يضمن تغطية جزء من مجتمع البحث وفقاً لمعايير العمر والتوع. ولكن هذا الأسلوب لا يتضمن معلومات عن كثرة (أوقلة) التردد على العيادة لرؤية الطبيب، وبذلك ستكون العينة متحيزه لصالح المرضى كثيري التردد على العيادة.

هل تستطيع أن تفكّر في أسلوب يمكن أن يأخذ في الحسبان كثرة التردد على العيادة كمعيار من معايير تحديد الحصة؟

وهكذا نزودنا تلك الأمثلة ببعض الأفكار المتعلقة بنقاط الضعف التي تعيب المعاينة الحصبية:

(أ) اختيار المعايير: قد يكون من الصعب أحياناً اختيار المعايير التي تكون ممكنة عملياً ومرتبطة في الوقت نفسه بتساؤلات البحث. فكيف تستطيع - مثلاً - أن تعرف وأنت في الشارع ما إذا أحد الأشخاص ينتمي إلى الطبقة الوسطى أم إلى الطبقة العاملة؟

(ب) التحيز لصالح جماعات معينة من أفراد مجتمع البحث: لا شك أن تحديد مكان وزمان اختيار عينة المحوثين يمكن أن يؤدي إلى استبعاد جماعات معينة من هذا الاختيار، ويزيد من فرص اختيار جماعات أخرى ضمن العينة. والغالب أن تجرى بحوث التسويق في مراكز السوق الواقعة في وسط المدينة وخلال ساعات

العمل، أى بين التاسعة صباحاً والخامسة عصراً. ولهذا تجد أن الأشخاص المشغولين بالعمل. أو يكونون في عجلة من أمرهم للحاج بقطار أو المشاركة في اجتماع عمل يترجح أن يرفضوا إجراء مقابلة معهم، على حين يكون الآخرون - غير المزدحمين بالعمل، وربما كانوا عاطلين أصلاً - لديهم وفرة من الوقت، ومن ثم يكونون أكثر تقبلاً للمشاركة في البحث. يضاف إلى كل هذا أن القائمين بالمقابلات (بل والباحثين أيضاً) يميلون إلى مفاتحة الأشخاص الذين يبدو لهم أنه من الأرجح أن يشاركون، أو الذين يُبدون مودة أكثر ومن ثم أقل احتمالاً لأن يرفضوا.

(ج) الاختيار غير العشوائي: إن البيانات التي يتم الحصول عليها من العينة الحصبية تعتبر - من الناحية الإحصائية - غير قابلة للتعميم على مجتمع البحث، وذلك لأن طريقة اختيار العينة لم تكفل لكل عضو من أعضاء مجتمع البحث فرصة محسوبة للدخول في العينة.

عينة كرة الثلج

سبق أن أشرنا إلى أن بعض مجتمعات البحث قد يصعب الوصول إلى أفرادها، لأنه لا توجد مثل هذا النوع قوائم حصرية بأعصابها، كما لا توجد أماكن واضحة معروفة يمكن فيها مقابلة هذه الحالات. وفي بعض الأحيان ترتبط تلك المجتمعات "الخفية" ببعض السلوكيات التي لا تلقى قبولاً اجتماعياً كبيراً أو حتى إجرامية أحياناً. ولو أن كافة أنواع الممارسات السلوكية الأخرى والخصائص الاجتماعية يمكن أن تظل محجوبة عن الباحث، "النشاط التطوعي غير الرسمي"، على نحو ما هو وارد في المثال (5-8). وتبدأ عينة كرة الثلج بعدد قليل من الأشخاص الذين يُعرف عنهم أنهم من النوعية التي يفتش عنها الباحث ليتناولها بالدراسة. وفي هذه الحالة قد يبدأ الباحث بالاتصال بهم واللتقاء بهم في مكان عام، أو على أحد مواقع الإنترنت، أو بالاتصال الشخصي بمبادرة من أولئك الأفراد. وهنا يطلب من كل واحد من أفراد المجموعة المبدئية اقتراح أشخاص آخرين لهم نفس السمات، ثم يقوم الباحث بالاتصال بهم، وهكذا. وأن الأشخاص ذوي الخصائص والسمات السلوكية الخاصة غالباً ما يكونون جزءاً من شبكة تضم أشخاصاً مماثلين؛ لذلك يمكن أن تكون هذه الطريقة مثمرة جداً، خاصة إذا اقترنت بطريقة العينة الحصبية، التي تسعى إلى تحديد الأشخاص ذوى السمات المميزة، كالفئات العمرية والانتماءات الإثنية المختلفة مثلاً.

المثال (8-5)

الأنشطة التطوعية غير الرسمية

أراد أحد الباحثين أن يغطي بحثه التطوعيين ”غير الرسميين“. وقد تم تعريف التطوع ”غير الرسمي“ بأنه ذلك الشخص الذي يضطلع ببعض المهام والأنشطة التي يؤديها دون مقابل لغير أفراد أسرته. وأبدى ذلك الباحث اهتماماً خاصاً بالأشخاص الذين يقدمون المساعدة لغير انهم بشكل منتظم، لأن يؤدوا عنهم أعمال الحديقة أو التسوق.

وقد اختار الباحث حيا معيناً وبدأ يتعرف على عدد قليل من هؤلاء التطوعيين ”غير الرسميين“ من خلال زيارته للمسجد المحلي أو للكنيسة المحلية، أو المركز الاجتماعي للحي. ثم أخذت تساؤلهم بعد ذلك عما إذا كانوا يعرفون أشخاصاً آخرين - في شارعهم أو قريباً منهم - من يقومون بالتطوع ”غير الرسمي“، وتبحث عن غيرهم وغيرهم، إلى أن تكانت من تكوين عينة تغطي أغلب شوارع ذلك الحي.

مقارنة العينة غير الاحتمالية بمجتمع البحث

يمكن في بعض الأحيان مقارنة خصائص العينة غير الاحتمالية بخصائص إجمالي مجتمع البحث. فإذا توفرت بيانات قابلة للمقارنة عن إجمالي مجتمع البحث - مثل نسب الذكور والإناث ونسب المتنميين إلى كل فئة عمرية أو جماعة اقتصادية اجتماعية في المنطقة التي سيجرى فيها البحث - مثل هذه البيانات يمكن استخدامها للتأكد من أن العينة تشبه مجتمع البحث شبهها وثيقاً. وعلى الرغم من أن العينة غير الاحتمالية - على خلاف العينة الاحتمالية - لا يمكن تعليم نتائجها على مجتمع البحث من وجهة النظر الإحصائية، فإنه يمكن دراسة هذه الإمكانيات في التقرير النهائي للبحث في حالة ما إذا كانت العينة غير الاحتمالية تشبه مجتمع البحث شبهها وثيقاً.

بحث

اختبار جودة البحث : العينات غير الاحتمالية

- هل شرحت بوضوح كيف تم سحب العينة؟
- هل أمكنك تحديد المصادر المحتملة للتحيز ، وهل حاولت - قدر الإمكان - معالجة هذه المصادر؟
- هل أوضحت نقاط الضعف في عينتك في ضوء دعواك بما يمكنك عمله بناء على نتائجك؟
- هل أوضحت نقاط القوة في عينتك من حيث حسن استخدام الموارد ، وتحديد الحالات الملائمة للبحث ، ومعدلات استجابة الباحثين ، ومدى النجاح في معالجة أسئلة البحث؟

العينة العمدية

يمكن القول أن هذه الطريقة الأخيرة من طرق المعاينة هي التي تقع على الطرف الآخر من متصل طرق المعاينة الذي عرضناه في بداية هذا الفصل . وتمثل العينة العمدية (انظر قائمة المصطلحات) والعينة النظرية طريقتين من طرق المعاينة ذات الطبيعة غير الاحتمالية ، وأنها تتخذ هذا الطابع بشكل مقصود ومتعمد . وترتبط هاتان الطريقتان بشكل عام بالدراسات المعمقة المحدودة النطاق ، التي تقوم على تصميم بحثي يركز على جمع البيانات الكيفية ، ويتمحور حول استكشاف وتفسير الخبرات والتصورات والأفكار . ومن هذه النوعية من الدراسات: دراسات الحالة ، وبعض الدراسات المقارنة ، والدراسات الإثنوجرافية وبحوث النظرية المؤثقة (فصل 3 باب 2) .

ففي كل هذه الطرق في اختيار العينة لا يسعى الباحث إلى تكوين عينة ممثلة -إحصائيا- لمجتمع البحث . بل العكس هو الصحيح ، فأفراد أو حالات العينة يتم اختيارها "عمداً" لتمكن الباحث من استكشاف ومعالجة تساؤلات البحث أو تطوير نظرية . وتخيار الحالات في ضوء الخصائص أو الخبرات التي ترتبط مباشرة بمجال اهتمام الباحث وتساؤلاته البحثية ، وتيح له دراسة موضوع بحثه دراسة معمقة .

فالحالات المختارة عمداً للباحث هي تلك التي تستطيع أن تميّط اللثام وتلقي الضوء على مجال البحث على أفضل نحو.

ما : العينة العمدية؟

قدم ريتتشي ولويس (Ritchie and Lewis 2003: 79) عرضاً مفيداً للأساليب التي يمكن اتباعها لتكوين عينة البحث:

- العينة المتتجانسة : حيث تنتسب كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة، أو تتسم جميعها بنفس الخصائص . وتنتج لنا مثل هذه العينة الدراسة التفصيلية المعمقة لظاهرة اجتماعية معينة.
- العينة غير المتتجانسة أو البالغة التباين: في هذه العينة يعني التأكيد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين .
- العينة العمدية الطبقية : لعل أشهر طرق اختيار العينة العمدية أن يتم اختيار أفرادها من بين مجموعات من الأفراد أو الحالات التي يوجد قدر من التباين بينها ، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات . ويتم تحديد تلك المجموعات - التي ستختار منها العينة- من واقع بيانات متوفرة سلفاً من مسح أو بيانات إحصائية سكانية.
- عينة الحالات المتطرفة: في هذه العينة تختار الحالات بسبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار ، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها.
- العينة المكثفة: هنا تختار الحالات لأنها "تمثل بقوة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث".
- عينة الحالة النموذجية (المعتادة): هنا تختار الحالات التي تعد نموذجية أو "معتادة".
- عينة الحالات الحرجة: تختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها "الحاصل أو الشديد" في مسار ظواهر اجتماعية معينة.

المعاينة النظرية

المعاينة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) شكل من أشكال العينة العمدية يقوم على أفكار وعمليات النظرية الموثقة (فصل 3 من باب 2). وتفترض هذه الطريقة أن جمع البيانات، والتحليل، واختيار العينة تجرى بشكل متزامن، وتستمر عملية اختبار مفردات جديدة للعينة وجمع بيانات منها حتى لا يعود هناك مزيد من البيانات التي يمكن استخلاصها من كل حالة. وقد وصف جلاسر وشتراوس (1967: 45) هذه العملية على النحو التالي:

”هي عملية جمع بيانات لتوليد نظرية، حيث يشغل الباحث - في نفس الوقت - جمع، وترميز، وتحليل بياناته. وفي أثناء ذلك يقرر أي أنواع من البيانات يتبعن عليه جمعها لاحقاً، وأين يمكن أن يتلمسها، وذلك من أجل بلورة وتطوير النظرية التي يسعى إليها“.

وهكذا يتم اختيار الحالات المبدئية عادة بطريقة غير مقتنة نسبياً. فعندما تبدأ ”النظرية“ في التبلور من واقع البيانات المبدئية، يتقرر اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشاف واختبار تلك النظرية البازغة. كما يهتم الباحث في نفس الوقت بتحديد ”الحالات السالبة“، وهي الحالات التي لا تتوافق والنظرية الآخذة في التكوين، لأنها يمكن الإفاده من مثل هذه الحالات في تعديل النظرية البازغة وتجويدها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من ”التشبع“ النظري.

العينة العمدية: الجوانب العملية

تعتمد طريقة تصميم وتجميع عينة عمدية على بعض الأساليب الأخرى غير الاحتمالية، التي استعرضناها في موضع سابق من هذا الفصل. فالعينات المريحة، والمحصية، وكرة الثلوج كلها من الطرق التي يشيع استخدامها في تجميع المبحوثين أو الحالات لتكوين عينة عمدية. وكما رأينا في المثال الخاص بالعينة والنشاط التطوعي، فإنه بوسعك استخدام بيانات تم جمعها من عينة احتمالية، ذلك أن توفر مثل هذه البيانات من شأنه أن يساعد الباحث على اختيار بعض المبحوثين بصفة عمدية لإجراء دراسة أكثر تعمقاً.

ما مجتمع البحث الذي ستختار منه العينة؟

عندما نصمم عينة عمدية، فإننا نستخدم مجتمع البحث بطريقة مشابهة لاستخدامنا له عند سحب عينة احتمالية، بمعنى أنه يتعين تعريفه من واقع خصائصه المميزة، خاصة تلك التي ترتبط بموضوع البحث. غير أننا في هذه الحالة لا نسعى إلى معرفة كافة أفراد مجتمع البحث لكي نتمكن من سحب عينة من بينهم. وإنما الصحيح أننا نبحث عن الخصائص المرتبطة بموضوعنا، ونفكر ملياً في السياق الذي يمكن أن يوجد فيه مجتمع بحث بمثل هذه الخصائص.

المثال (5 - 9)

النشاط التطوعي في المستشفيات

بعد أحد الباحثين لإجراء دراسة عن الناس الذين يتطوعون للخدمة في المستشفيات. وهو يبدأ بالنظر إلى السياق الذي يمارس فيه النشاط التطوعي - وهو المستشفى - ويحاول أن يتعرف من خلال القراءة والبحث في الإنترنت، على طبيعة البناء التنظيمي للمستشفيات. واستطاع من خلال زيارته لإحدى المستشفيات المحلية أن يعرف المزيد عن فرص العمل التطوعي المتاحة في المستشفى. وقد ساعد ذلك على أن يتعرف بشكل محدد على الأشخاص والبني التنظيمية التي يمكن أن تعاونه في تحديد الأشخاص الذين يتحمل أن يشاركون في البحث.

وعندما تابع التفكير في تساؤلات بحثه وما عرفه عن المستشفى أخذ يتساءل عما إذا كان التطوع في أحد المستشفيات الكبرى في قلب المدينة يختلف عن التطوع في مستشفى محلي صغير. وهكذا أخذ يفتش عن مستشفى صغير ويتعرف بشكل أوسع على السياق العام للتطوع (وهو المستشفيات) قبل أن يقرر اختيار متقطعين من كلا النوعين من المستشفيات لإجراء دراسته عليهم.

ما خصائص أو معايير الاختيار؟

يلاحظ أن معايير الاختيار لتشكيل العينة العمدية تستمد - عادة - من تساؤلات البحث نفسها ومن نوع العينة العمدية. وأكثر الطرق انتشاراً بالنسبة لبحث صغير

يجريه طالب هى: العينة الطبقية، أو العينة الحصبة، والتى تتحدد فى ضوء المجالات والقضايا الأساسية التى تبلورت فى تساؤلات بحثك.

أما بالنسبة للعينة الاحتمالية فمن المهم فى هذه المرحلة أن تحرص كذلك على تخطيط المراحل المبدئية للتحليل الذى ستقوم به. وعليك أن تتبينه بشكل خاص إلى مجموعات الحالات التى يقوم بناؤها على أساس بعض المتغيرات مثل : العمر ، والانتماء الإثنى ، والتى تتوى المقارنة بينها سواء من حيث أوجه التشابه أو الاختلاف . كما يجب أن تفك فى بعض التشابهات والاختلافات التى يتوقع أن تصادفها فى مجتمع البحث فى ضوء قراءاتك للبحوث والنظريات الأخرى التى أجريت فى نفس مجال البحث . والهدف من ذلك أن تتأكد من تضمين عينتك الحالات التى تتيح لك اختبار هذه الأفكار المبدئية والتحقق منها . ويمكن من واقع تلك الأفكار تطوير مصفوفة عينات (انظر ريشى ولويس ، 2003 ، ص 101) ، على نحو ما تجده فى المثال (5-10) ، والتى سوف تمكنك من تحديد الأشخاص الذين يحتمل أن تدرسهم فى بحثك .

عدد الحالات التى ينبغى اختيارها؟

تستخدم طريقة المعاينة العمدية عادة كجزء من تصميمات البحث التى تتضمن دراسة متعمقة ، وجمع ومعالجة بيانات كيفية ، متعمقة ، وتفصيلية . والعادة هنا أن يكون عدد الحالات قليلاً بالمقارنة بالعينة الاحتمالية ، وذلك للأسباب التالية :

(أ) أن البحث الذى تستخدم بيانات كيفية لا تكون في العادة مشغولة بتعيم النتائج على مجتمع البحث ، أو بالتعرف على مدى انتشار سمة معينة في مجتمع البحث .

(ب) يتناقص العائد المتحصل من البيانات التي تجمع من كل حالة إضافية ، ولأننا في هذه البحث لا نسعى إلى الكشف عن انتشار سمة معينة في مجتمع البحث ، فليس من اللازم البحث عن مزيد من الأمثلة .

(ج) معروف أن جمع بيانات كيفية مسألة تستهلك الكثير من الوقت والموارد ، كما أن البيانات التي يتم جمعها تتسم بالثراء في ذاتها . ولا تتوفر لكتير من الباحثين الموارد -ولا الحاجة- لتكوين عينات كبيرة العدد .

وبعد كل ما قيل تظل مسألة عدد الحالات مطروحة علينا وتحتاج إلى إجابة. ومن الأرجح بالنسبة لأغلب البحوث التي يجريها طلاب أن يكون العدد العملي 20 مقابلة فردية أو نحو ذلك كحد أقصى (وإن كان هذا العدد يمكن أن يقل عن ذلك في بعض الأحيان . ولهذا يجب أن تراجع القواعد المنظمة لهذه البحث في كليتك). ولكن بالنسبة لمعظم البحث لا يلزم أن تتجاوز العينة هذا العدد . ولو أن هذا الأمر يتوقف أساساً على كمية الوقت والموارد المتاحة للطالب الباحث . كما أن العدد قد يتوقف أيضاً على قدرتك على الوصول إلى مبحوثين وعلى رغبتهما في المشاركة في البحث . ويلاحظ أن تحديد معايير الاختيار - الموضحة في المثال (10-5) - يمكن أن تقيدك فائدة كبرى في تحديد الحدين الأدنى والأقصى للحالات التي يمكن أن تضمنها في العينة .

ولا شك أنه إذا كنت بصدور اختيارات عينة عمدية لتكون جماعة مناقشة مركزية (بوريرية)، فربما ترى اختيار عدد أكبر من الحالات (فصل 5 من هذا الباب). أما إذا كنت تستخدم تصميم دراسة الحالة، فعليك أولاً أن تفك في طبيعة الحالات التي ستختارها للدراسة (فصل 3 من باب 2)، وذلك قبل الشروع في اختيار الأفراد أو الجماعات التي ستختار كعينات ممثلة لكل حالة.

المثال (5 - 10)

الأنشطة التطوعية والصحة : اتجاه الطرق المختلطة

في بادئ الأمر أرادت الطبيبة الباحثة التي كانت مهتمة بالأنشطة التطوعية لمرضاهـا دراسة العلاقة بين التطوع والصحة النفسية . وأرادت أن تعرف تأثير تجربة التطوع على مشاعر مرضاهـا . ولكـي تدرس هذا الأمر أرادت أن تستكشف خبرات وتصورات مرضاهـا بشكل متعمق . وعلى هذا قررت اختيار عينة صغيرة من المرضى من بين المتطوعـين الذين أجابوا على استبيانها .

ملاحظة: لم تُرـد الباحثة في هذه المرحلة أن تنفق الوقت والموارد في مقابلـات مع أشخاص ليست لهم خبرات تطوعـية ، ومن ثم لا يستطيعـون إلقاء الضوء على أسئلة البحث .

ولقد أرادت أن تعرف ما إذا كان الرجال والنساء من أعمار مختلفة تتباين خبراتهم وتصوراتهم عن التطوع ، ولكنها مع ذلك رأت أنه من المهم أن تضمن العينة بعض المرضى الذين يكترون التردد على العيادة ، وبعض المرضى الأقل ترداً عليها . كما أنها أرادت أن تتأكد من أن عينتها تضم بعض الأشخاص الذين يعملون بأجر ، وبعض من لا يعملون بأجر . واستطاعت أن تستفيد من استبيانها المبدئي في تحديد المبحوثين المحتللين ، وذلك لمصفوفة محددة . وقد سمح لها مواردها أن تجرى مقابلات مع نحو 16 شخصاً.

جدول رقم (5 - 2) التطوع والصحة: مصفوفة المعاينة العمدية

زيارات غير متكررة للعيادة		زيارات متكررة للعيادة		العمر
إناث	ذكور	إناث	ذكور	
1 أو 2	1 أو 2	2 أو 3	2 أو 3	40 - 16
1 أو 2	1 أو 2	2 أو 3	2 أو 3	65 - 41
6		10		المجموع
3		4-6		لا يعملون بأجر
3		4-6		يعملون بأجر

هل من الميسور الوصول للعينة؟

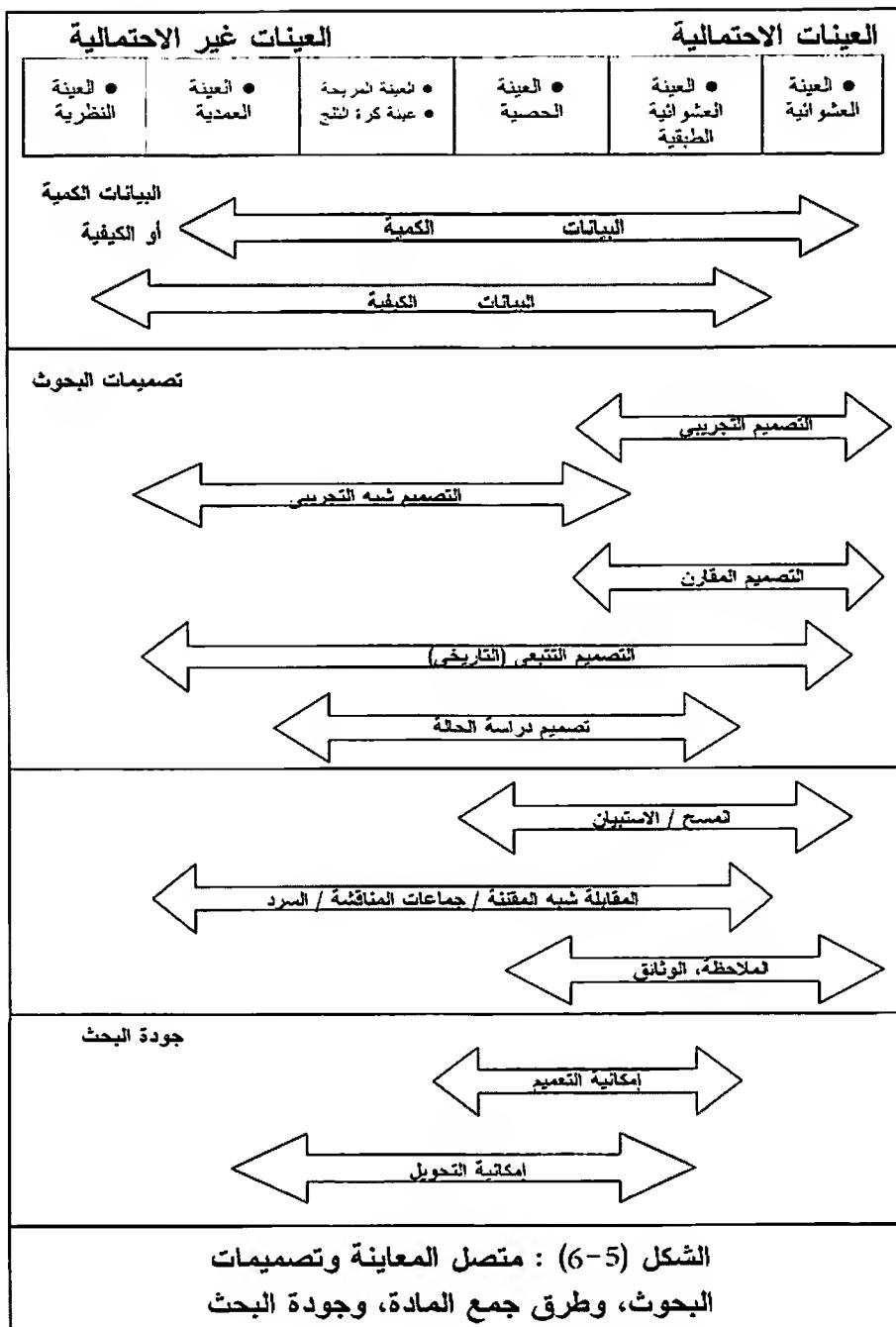
تضمن عملية البحث المبدئي عن سياق العينة مناسبة لمعرفة احتمالات الوصول إلى المبحوثين الذين يحملون أن يشاركون في البحث . وعندما نستخدم المعاينة العمدية لا يعنينا كثيراً موضوع عدم الاستجابة ، لأننا ساعتها نسعى إلى الوفاء بمعايير الاختيار وليس التأكد من أن عينتنا قائمة على احتمالية تكوينها . ومع ذلك يتبعنا علينا القليل من احتمالات عدم الاستجابة ، وذلك من خلال تشجيع المبحوثين على الوجه الأكمل . ولهذا نجد من العتاد أن يضم تقرير البحث أو الرسالة الجامعية مناقشة لأساليب الوصول الناجح إلى المبحوثين ، واستعراض الصعوبات الراجة إلى حالات رفض المشاركة ، وأخيراً كيفية التغلب على أي صعوبات أخرى واجهت البحث .

اختبار جودة البحث: المعاينة العمدية

- هل توصلت إلى فهم جيد لسياق البحث والمحوثين المحتملين؟
- ما نوع العينة العمدية التي تستخدمها؟
- كيف ترتبط معايير اختبار العينة بأسئلة بحثك؟
- هل قدمت تبريراً للحجم العينة التي اخترتها ولتكوينها في ضوء الأسلوب التحليلي الذي تنوى اتباعه؟
- هل حددت نقاط القوة في عينتك في ضوء تساؤلات بحثك والتطلعات التي ترمي إليها من وراء التحليل : هل تطوير نظرية أم تحويل نتائجك بحيث تطبق على سياقات أخرى.

اختبار طريقة المعاينة

أشرنا في مطلع هذا الفصل إلى أن طريقة المعاينة التي سوف تأخذ بها تعتمد على تساؤلات بحثك ، وعلى طبيعة البيانات التي تريد جمعها ، سواء كانت بيانات كمية أم كيفية ، وعلى طرق جمع البيانات التي قررت أن تستخدمها . كما أشرنا إلى أن طرق المعاينة المختلفة يمكن تصورها على هيئة متصل . ويقدم الشكل (5-6) تخطيطاً لكل نوع من أنواع التصميمات البحثية ولطرق جمع البيانات ، وذلك عبر متصل المعاينة الذي أشرنا إليه . ويوضح الشكل أن لكل تصميم بحثي مجموعة مناسبة من طرق المعاينة واختيار ما ستدرسه من حالات ، أو أشخاص ، أو وثائق . ونلاحظ في الممارسة العملية أن أي باحث سوف يواجه قيوداً على الإمكانيات المتأحة له ، وهي التي ستؤثر بقوة على العينة التي ستستخدمها في بحثك . ومن الممكن الاستفادة من اختبارات جودة البحث بالنسبة لكل طريقة للمساعدة في تقدير نقاط القوة ونقاط الضعف الخاصة بالطرق المتأحة لك .



تحدد طريقة المعاينة التي اخترتها ما يمكن أن تدعى به شأن علاقة نتائجك بالبيئة الاجتماعية الأوسع الذي سحبته منه العينة. ويمكن القول بوجه عام أن النتائج المستمدّة من العينات الاحتمالية يمكن تعميمها على مجتمع البحث الذي سحبته منه العينة، على حين أن نتائج العينة العمديّة يمكن النظر في تحويلها بحيث يمكن أن تطبق على ظروف أو حالات أخرى. إلا أنه يجب الحذر الشديد في البحوث الصغيرة - خاصة المشروعات البحثية للطلاب - عند التفكير في إمكانية تطبيق النتائج المستمدّة من العينة.

بحثك

في ضوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية : ما طريقة (أو طرق) المعاينة التي ستختارها؟

العينة الاحتمالية يمكن أن :

- تمكّنك من تعميم النتائج على مجتمع البحث .
- وتمكّنك من استخدام الأساليب الإحصائية في تحليل بياناتك .

ولكن

- هل تستطيع الوصول إلى قوائم حصرية بمجتمع البحث - وجميع الحالات المختارة؟
- هل لديك من الوقت ، والموارد ، والمهارات ما يسمح لك بإجراء البحث بهذه الطريقة؟

العينة غير الاحتمالية يمكن أن :

- تتيح لك الاستخدام الجيد للوقت ، والموارد والمهارات .
- تمكّنك من الوصول إلى عينة "جيدة بما يكفي" متطلبات حجم ونطاق بحثك .
- تمكّنك من استهداف الحالات الأكثر احتمالاً أن تكون مفيدة ولازمة لبحثك .

ولكن

- هل أخذت في اعتبارك مصادر التحيز في عينتك؟
- هل تستطيع أن تبرر استخدام طريقة المعاينة هذه في ثانيا تقرير بحثك أو في رسالتك ، وأن تحدد نقاط الضعف؟

العينة العمدية يمكن أن:

- تمكنك من اختيار الحالات على أساس تساؤلات بحثك.
- تمكنك من جمع بيانات متعمقة من عدد قليل من الحالات.
- تمكنك من الاستخدام الجيد للوقت وللموارد.

ولكن

- هل توصلت إلى فهم جيد للمعايير التي ستستخدمها في اختيار الحالات؟
- هل لديك قدرة على الوصول إلى الحالات التي تتحقق فيها هذه المعايير؟
- هل تستطيع أن تبرر طريقة المعاينة التي استخدمتها والمعايير التي استخدمتها في تقرير بحثك أو في رسالتك الجامعية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Commission on the Future of Volunteering (2008) *Report on the Future of Volunteering and Manifesto for Change*, London: Volunteering England.
- Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.
- Low, N., Butt, S., Ellis Paine, A. and Davis Smith, J. (2007) *Helping Out: A National Survey of Volunteering and Charitable Giving*, London: Office of the Third Sector.
- Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (eds) (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل السادس

مقدّح مشروع البحث

محتويات الفصل

- ما مقدّح مشروع البحث وما وظيفته؟
- بنية مقدّح البحث.
- ملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل كتابة مقدّح البحث. ويتوالى مقدّح البحث التأليف بين كافة عمليات الإعداد، التي انتهت إلى تطوير وبلورة موضوع البحث. وغالباً ما يكتب كمؤشر على إمكانية البدء الفعلي لجمع البيانات ومعالجتها. ويستعرض الفصل كذلك الهدف من مقدّح البحث، وبنيته المعتادة، كما ينبهنا إلى أن مقدّرات البحث يجب أن ترتكز على جمهور معين (فصل 1 من باب 5)، كما أنه من اللازم أن يعرض المقدّح مشروع البحث بوضوح تام.

ما مقدّح مشروع البحث وما وظيفته؟

يمكن لمقدّح مشروع البحث أن يخدم عدداً من الأغراض، ولكن الأمر الجوهرى بالنسبة لأى مقدّح هو كيف يعرف الباحث أى طرف آخر بالبحث المقدّح. ولکى يؤدى المقدّح وظيفته يتبع عليه أن يبيّن:

- الموضوع الذى يدور حوله البحث: أى وصف للقضية التى يتناولها.

- كيف سينفذ البحث: أي استعراض الطرق وبعض الأمور الأخرى.
- ما أوجه أهمية البحث؟: أي مناقشة لأسباب أهمية القضية أو مدى الحاجة إليها.
- المدى الزمني الذي سيستغرقه.
- لماذا يتعين تمويل هذا البحث (وقد لا تمثل هذه النقطة قضية كبيرة بالنسبة للطلاب الذين يجرون بحثاً، ولكنها ذات أهمية حاسمة لبعض الباحثين، خاصة الأكاديميين).

من المهم أن تتذكر أن مقتراح البحث يكون دائماً موجهاً إلى جمهور معين. ويكون هذا الجمهور بالنسبة للطالب أستاذه أو المعيد، الذي يقول إحدى المهتمين:

- تصحيح وتقدير درجة "مقتراح مشروع البحث" الذي كلف به الطالب.
- الموافقة على إجراء الطالب للبحث، والغالب أن يجري هذا البحث من أجل إعداد رسالة جامعية.

والاحتمال الثالث أن تكون راغباً في الالتحاق ببرنامج لدراسة تخصص البحث. وفي هذه الحالة من المحموم أن يطلب منك كتابة مقتراح مشروع بحث، الذي سيتم تقييمه، وعلى أساس الدرجة التي تحصل عليها يتقرر قبولك في هذا البرنامج الدراسي من عدمه.

ويعني كل هذا أن كتابة مشروع بحث جيد أمر مهم بالنسبة لك، لأنـه - على أقل تقدير - سيوفر عليك بذل جهد إضافي لتحقيق غرضك.

بنية مقتراح البحث

مع أنه لا توجد بنية «محددة» وثابتة لمقتراح مشروع البحث، فالمؤسسة التي تنتهي إليها قد تكون لها بعض القواعد والمطالبات المحددة بخصوص هذا المقتراح : لذلك ننصح بمراجعة تلك القواعد قبل التفكير في بدء الاشتغال بمشروع البحث. ولعلك تلاحظ أن البنية التي سنعرضها عليك فيما يلي تشبه إلى حد بعيد بنية الرسالة الجامعية، التي سوف

ناقشها في الباب الخامس. والأمر الغالب أن مقتراحات مشروعات البحث ملزمة بالإيجاز، وربما تكون محددة الكلمات بعدد معين. من هنا عليك الالتزام بالقيود المفروضة على حجم مقترح المشروع.

ما : البنية الأساسية لمقترح مشروع البحث؟

1 - المقدمة^(*).

2 - مراجعة التراث النشور.

3 - المناهج والطرق المستخدمة.

4 - النشر.

5 - الجدول الزمني.

المقدمة

تشبه مقدمة مقترح البحث مقدمات المقالات والتقارير، والتي لا شك أنك طالعت من قبل الكثير منها. وهدف المقدمة أن تهيئ المسرح للبحث الذي ستقوم به، وذلك من خلال عرض القضية التي تخطط لدراستها، وتقديم أهداف البحث، أي الإجابة عن تساؤلات البحث التي طرحتها. ويمكن أن تنتهز هذه الفرصة لاستعراض بعض التعريفات إن شئت، وأن تشرح كذلك سبب اهتمامك شخصياً بهذه القضية.

وربما يتوجب عليك أيضاً توضيح أسباب أهمية هذا المجال أو الموضوع المقترح، ومن ثم تبرر الحاجة إلى دراسته. كما يحسن أن تحدد الجهة أو الطرف الذي سيستفيد من نتائج هذا البحث، ومدى تجانس بحثك وملاءمته لفرع العلمي التخصصي أو المجال الذي تتنمي إليه.

ولا بد أن تأتي - في مكان ما من مقترح البحث - على عرض سؤال أو أسئلة البحث (فصل 4 من باب 1)، وما يرتبط بذلك الأسئلة من تعريفات إجرائية. (لاحظ

(*) لا تنسى أن تبين سؤال أو أسئلة البحث.

أنا استخدمنا هنا كلمة «سؤال» من باب التيسير . فقد ترید أن تطرح فرضا علميا تنوی اختباره في بحثك). وتخالف الآراء في تحديد المكان الأنسب لعرض هذا في مقتراح المشروع ، وليس هناك قول فصل في هذا الصدد. ولكن هناك ثلاثة اختبارات متاحة لك:

- 1 - في المقدمة.
- 2 - في استعراض التراث المنشور .
- 3 - كفقرة مستقلة بين فقرة استعراض التراث وفقرة عرض المناهج والطرق .

ونحن نفضل شخصيا أن تقدم أسلة البحث بعد فقرة استعراض التراث المنشور ، على أساس أن المقدمة وعرض التراث يهیئان المسرح لطرح تساؤلات البحث قبل أن تنتقل - في فقرة المناهج والطرق - إلى شرح كيف ستقوم بالإجابة على تساؤلات البحث .

مراجعة التراث المنشور

(اللوقوف على تفاصيل موضوع مراجعة التراث المنشور ، يرجى الرجوع إلى الفصل 2 من هذا الباب) .

تمثل مراجعة التراث المنشور عن موضوع البحث - في العادة - القسم الأكبر من مقتراح مشروع البحث . ومع ذلك من المهم أن تدرك أن هذا العرض إنما هو مؤشر إلى التراث المتاح حول الموضوع . وفي هذه المرحلة من عملية البحث ربما لا تكون قد فرغت بعد من استعراض التراث المنشور .

ويؤدي استعراض التراث في مقتراح مشروع البحث عدداً من المهام البارزة:

- 1 - أنه يحدد موضع البحث وأهميته للعالم الواقعي ، كما يضع البحث في سياقه .
- 2 - قد يوفر إطارا فكريا ونظريا للدراسة المقترحة .
- 3 - أنه يتطرق إلى مناقشة قضايا البحث ، وفي ثنايا هذه المناقشة يتولى:

(أ) التدليل على أن الباحث يفهم قضية البحث فهما جيداً في ضوء الدراسات والبحوث المنشورة.

(ب) يضع بذنا على نقاط الضعف في البحوث السابقة ويتناولها بالمناقشة.

(ج) يحدد ويناقش «الثغرات» الموجودة في المعرفة المتاحة، والتي سيعمل هذا البحث على سدها.

4 – أنه يقودنا إلى التحديد النهائي لسؤال أو أسئلة البحث.

ولو قدمت ملخصاً موجزاً في نهاية فقرة مراجعة التراث، فلا شك أنه سيوضح للقارئ ماذا غطيت في عرضك وكيف يرتبط هذا التراث المنشور ببحثك المقترن.

المناهج والطرق المستخدمة

مع أنتا جمعنا هذين الموضوعين في فقرة واحدة، فمن المهم أن تعرف الفرق بينهما. وجوهـر المنهـج هو استعراض الرؤـية الإـبـستـمـوـلـوـجـيـة والأـنـطـوـلـوـجـيـة لـبـحـثـكـ (فصل 2 من بـابـ 1)، ولـكـ قدـ يـحسـنـ التـركـيـزـ فـيـ مـقـتـرـحـ مـشـرـوعـ الـبـحـثـ عـلـىـ شـرـحـ نـوـعـيـةـ تـصـمـيمـ الـبـحـثـ وـطـرـقـ الـبـحـثـ الـتـىـ تـنـوـىـ اـسـتـخـدـامـهـاـ (الفـصلـانـ 3 وـ4ـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ).

بعد أن تفرغ من شرح الجانب المنهجي، تكون الخطوة التالية هي الحديث عن القضايا العملية التي ستحظى بأهمية في بحثك. تلك هي الطرق التي ستشمل ما يلى:

• **جمع البيانات:** عرض لعمليات جمع البيانات التي تقترح القيام بها (باب 3)، وإذا سمح المجال قد يشمل ذلك استعراض أسباب اختيارك لهذه الطرق التي ستستخدمها في جمع البيانات، ومدى ملاءمتها لبحثك. وقد ترغب (أو قد يتبعين عليك أحياناً) في أن تضمن المقترن نسخة أولية لأداة جمع البيانات (كاستبيان، أو دليل مقابلة مثلاً).

• **مجتمع البحث والمعاينة:** سيكون عليك أن تبين طبيعة مجتمع البحث الذي تنوى دراسته، وحجم العينة وإجراءات المعاينة التي سوف تتبعها (فصل 5 من هذا الباب).

• استراتيجية تحليل البيانات : من المهم في هذه المرحلة أن توضح أنك تعرف ماذا ستفعل بالبيانات التي ستقوم بجمعها (باب 4) وأن استراتيجيةك في التحليل تتوافق مع عملية الجمع التي قمت بها . وتوضيح هذه الأمور جزء من إضفاء الصدق والثقة على بحثك . من ذلك مثلاً أنه من غير الملائم القيام بمقابلات مقننة ، ثم تحاول بعد ذلك إجراء تحليل سردي للبيانات .

• القضايا الأخلاقية: يجب أن يتضمن المقترح استعراض موقفك الأخلاقي (خاصة إذا كانت المؤسسة التي تنتهي إليها تطلب منك الحصول على موافقة أخلاقية على البحث) . والهدف من ذلك أن تضمن أن يعرف القارئ أنك تدرك القضايا الأخلاقية ، والآثار المحتملة التي قد تترتب على إجراء بحث على البشر (فصل 5 من باب 1) .

النشر

عليك أن تبين ماذا ستفعل بنتائج بحثك (في بعض الأحيان يتم إعلامك بما هو متاح لك في هذا الصدد) . من ذلك مثلاً أن تبين أنك تخطط لنشر النتائج على الموقع الإلكتروني لمعهدك أو كليةك ، أو أن إجراء البحث يقتصر فقط على إعداد رسالة ونيل درجة جامعية .

الجدول الزمني

يبين الجدول الزمني للمشروع المقترح استعراض مختلف مراحل هذا المشروع ، مع تحديد فترات زمنية محددة لإنجاز كل مرحلة منها ، وكذلك التواريخ المهمة في هذا الصدد . تأكيد من أنك على علم بالتاريخ الأساسية الحاسمة (من قبيل : مواعيد تسليم مسودة البحث ، وتسليمك النسخة النهائية) ، وتأكيد كذلك من أنك تستخدم استمرارات الجداول الزمنية التي تتطلبه المؤسسة التي تتبعها . ومن الممكن أن تكون استماراة الجدول الزمني بسيطة على النحو الموضح في المثال التالي :

المثال (1-6)

الجدول الزمني للبحث

الجدول (1-6) : الجدول الزمني للبحث

المنتهى (البحثية)	إلى (*)	من (*)
كتابه مراجعة التراث المنشور ، وتصميم دليل المقابلة ، عرض المقترن على الجهة المسئولة عن المراجعة الأخلاقية.	١٩ يناير	٥ يناير
الاتصال بالباحثين ، والإعداد للمقابلات ، حجز غرف إجراء المقابلة.	٢٦ يناير	١٩ يناير
إجراء المقابلات ، بدء عملية تدوينها وتحليلها.	٩ فبراير	٢٦ فبراير
تدوين المقابلات وتحليلها.	١٦ مارس	٩ فبراير
استكمال التحليل ، البدء في كتابة النتائج والتوصيات	٦ إبريل	١٦ مارس
تقديم تقرير البحث النهائي		٤ مايو

(*) لاحظ من فضلك أن هذه التواريخ وهمية تماما ، فهي لا تعنى أبداً أن هذه هي المدد الزمنية اللازمة لإنجاز هذه المهام .

ملخص

يمكن القول على وجه الإجمال إن مقترن بحثك يسعى إلى التأثير على بعض الأشخاص وإقناعهم بقدرتك على إنجاز مشروع البحث . ونفترض عليك أن تعيد قراءة مقترنك بعد الفراغ منه ، واضعاً نصب عينيك هذا التأثير الذي تسعى إليه ، وأن تراجع كذلك قائمة الفحص والمراجعة الواردة في البرواز أدناه لاختبار مقترنك .

بحثك

اخبر مقتراح بحثك

قائمة فحص ومراجعة مقتراح البحث

✓	
	تأمل نص مقتراح المقدم منك: هل يبدو احترافياً وجذاباً؟
	هل غطيت كل القضايا المهمة؟
•	هل كتابتك على المستوى الملائم لمن ستوجه إليه الورقة؟
	هل راجعت النص إملائياً ونحوياً؟
	هل قدمت وجهات نظر واضحة؟
	هل تساولات البحث أو فرضه جاءت مدعومة من واقع التراث المنشور؟
	هل رؤيتك النهجية، واستراتيجيات جمع البيانات والتحليل ملائمة بما فيه الكفاية؟
	هل الجدول الزمني الذي قدمته مكتمل ودقيق؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Baxter, L., Hughes, C. and Tight, M. (2001) *How to Research*, Buckingham: Open University Press.
- Bell, J. (1999) *Doing Your Research Project: A Guide for First-time Researchers in Education and Social Science*, Oxford University Press.
- Cryer, P. (2000) *The Research Student's Guide to Success*, Buckingham: Open University Press.
- Silverman, D. (2005) *Doing Qualitative Research*, 2nd edn, London: Sage.

الباب الثالث

جمع البيانات

الفصل الأول: عملية جمع البيانات

الفصل الثاني: مهارات جمع البيانات.

الفصل الثالث: الاستبيانات.

الفصل الرابع: المقابلات شبه المقتنة.

الفصل الخامس: جماعات المناقشة (البؤرية).

الفصل السادس: الملاحظة .

الفصل السابع: البيانات السردية.

الفصل الثامن : الوثائق.

الفصل التاسع: المصادر الثانوية للبيانات.

الفصل العاشر: جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلى.

الفصل الأول

عملية جمع البيانات

محتويات الفصل

- عملية جمع البيانات نشاط عملى .
- أ - البيانات المفتوحة وشبه المفتوحة وغير المفتوحة .
- ب- الباحث الحاضر والباحث الغائب .
- ج- الباحث الإيجابي والباحث السلبي .
- استخدام هذه المتصلات الثلاثة المساعدة فى تصميم أدوات البحث .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

نقدم في هذا الباب مجموعة من الأساليب المختلفة لجمع البيانات التي تحتاجها لكي تكون قادراً على بلورة أسلمة البحث (فصل 4 من باب 1) التي ستقوم باستقصاء الإجابة عليها في دراستك البحثية. ويقدم هذا الباب فكرة «أداة البحث» ويعنى النظر في السمات التي تتصف بها أدوات البحث المختلفة. ولتحقيق ذلك يحتاج لذكرك بما أوردناه في الفصل 3 من الباب 1 عن خصائص البيانات، ثم ننتقل إلى إمعان النظر في طريقة تطوير «الأدوات المناسبة لأداء هذه المهمة».

ولأن عملية جمع البيانات نشاط عملى ، سوف نقوم في الفصل الثاني بالقاء نظرة فاحصة على بعض المهارات العملية التي يتعين عليك تطويرها في نفسك لتجمع البيانات المطلوبة بكفاءة ، وذلك قبل الانتقال فيما بعد إلى الفصول من الثالث إلى التاسع لمناقشة بعض أشهر طرق جمع البيانات وأكثرها انتشارا.

من الشائع في وقتنا الحاضر استخدام الحواسب الآلية (الكمبيوتر) بأساليب عديدة لتسهيل عملية جمع بيانات البحث الاجتماعي ، ويلقى الفصل العاشر نظرة فاحصة على بعض الأساليب الشائعة حالياً لجمع البيانات ، والتي تستخدم - مثلاً - البريد الإلكتروني (الإيميل) وجماعات المناقشة ، كوسائل لجمع بيانات البحث الاجتماعي.

عملية جمع البيانات نشاط عملى

أوضحنا في الفصل 3 من الباب 1 الفكرة التي تقول إن البيانات هي بمثابة «بديل» عن الواقع الاجتماعي الذي نرحب في دراسته ويكون هذا البديل أقرب ما يكون للواقع إذا حصلنا على تصوير صادق للحقائق، والمفاهيم، والأراء، والخبرات الخاصة بالأفراد والظواهر التي يدور حولها بحثنا. وقد حدثنا عدداً من خصائص بيانات البحث الاجتماعي، وهي:

- يمكن أن تكون هذه البيانات منطقية أو مكتوبة.
- ويمكن أن تكون غير لفظية: كالصور، أو الإيماءات، أو الأصوات، والتي يكون بالإمكان - حينئذ - التعبير عنها بكلمات.
- يمكن تنظيمها وترتيبها بعدة طرق مختلفة.
- يمكن أن تكون البيانات مستخلصة (من مصادر سابقة) أو تم الحصول عليها من بعض الأفراد والجماعات.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على أحكام وأراء واقعية تقريرية وعلى أحكام تقديرية.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على ما يقوله الأفراد (أى المحتوى أو المضمون) وعلى اللغة التي استخدموها في التعبير عن هذا المحتوى.
- يمكن للبيانات أن تشتمل على أفكار الباحث وتأملاته الشخصية.

بعد أن يقوم الباحث بصياغة سؤال أو أكثر من أسئلة البحث، أو بعد أن يبلور فرضاً معيناً (فصل 4 من باب 1)، يواجه بهمة تصميم البحث الذي سيتمكنه من جمع البيانات المطلوبة بطرح سؤال البحث أو الفرض المطروح، وهو واضح في اعتباره خصائص البيانات الاجتماعية وعلاقة الباحث الاجتماعي ببنك البيانات، بوصفه كائناً اجتماعياً وجزءاً من العالم الاجتماعي.

يعتبر جمع البيانات نشاطاً عملياً، أي إنه نشاط يتطلب تنفيذه داخل نطاق حدود زمانية ومكانية، وحدود تتعلق بالإمكانيات المتاحة. لهذا السبب يكون من الأهمية

إعمال الفكر في كيفية جمع البيانات الصحيحة للبحث الاجتماعي بفاعلية وكفاءة داخل نطاق هذه الحدود. وقد اشتمل تاريخ البحث الاجتماعي على تطوير مجموعة من "أدوات" البحث اللازمة لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على تنظيم وإدارة مهمة جمع البيانات. "وأداة البحث" (انظر قائمة المصطلحات) هي - ببساطة - وسيلة جمع البيانات كالمستبيان مثلاً، أو استماره البحث، أو الباحث نفسه وذلك في حالة المقابلات شبه المقتنة أو غير المقتنة.

وفي هذه الفقرة من الفصل سنعرض لثلاث من خصائص أدوات جمع بيانات البحث الاجتماعي، ودلائل تلك الأدوات فيما يتعلق بالبيانات التي يتم جمعها وفيما يتصل بالطريقة التي يتم بها تنفيذ عملية جمع البيانات. ونقدم كل جانب هنا بوصفه متضلاً يمكن على امتداده العثور على طرق مختلفة لجمع بيانات البحث. وهي كالتالي:

- أ - البيانات المقتنة، وشبه المقتنة، وغير المقتنة.
- ب - الباحث الحاضر والباحث الغائب.
- ج - الباحث الإيجابي والباحث السلبي.

(أ) البيانات المقتنة، وشبه المقتنة، وغير المقتنة



أمثلة لأدوات البحث:

- أ - الاستبيان ذو الأسئلة المفتوحة، ذو الأسئلة المغلقة.
- ب - المقابلة شبه المقتنة باستخدام دليل مقابلة.
- ج - المقابلة الشفاهية (أو السردية)

شكل (I-1) الخط المتصل للبيانات
المقتنة وشبه المقتنة وغير المقتنة

يتعلق المتصل الأول بالشكل (أو القالب) الذى ستجمع فيه البيانات . وقد سبق لنا -فى فصل 3 من باب 1 - وفى مناقشتنا لموضوع البحث الكمى والبحث الكيفى (فى الفصل 4 من باب 2)؛ سبق أن طرحتنا موضوع طبيعة البيانات . ولتبسيط القول فى موضوع طبيعة البيانات نتساءل: هل هذه البيانات المجموعة معدة وفقا للجماعات العمرية، أو درجة الرضى ، أو آراء المبحوثين ، أو خبرائهم ، وهى الأمور التى يمكن عدتها (أى يمكن حصرها وتقسيمتها)، أم أن هذه البيانات قد تم جمعها فى صورتها «ال الخام » - أى: كما نطق بها المبحوث أو كما كتبها ، أو كما لاحظها الباحث (أى «بيانات غير مقننة»؟ ومن الطبيعي أن تتنوع هذه البيانات على امتداد متصل يمتد بين هذين النوعين السابقين من البيانات ، أعني بذلك أنها قد تكون بيانات شبه مقننة . لاحظ أن الباحث هو الذى يقرر: أين موقع درجة تقسيم هذه البيانات على امتداد هذا الخط المتصل ، ثم يقوم الباحث نفسه - بناء على ذلك - بتصميم أداة بحث تسمح بجمع هذه البيانات فى ذلك الشكل من التقسيم . وبين المثال أدناه (1-1) كيف يستطيع المبحوث أن ييلور هذه البيانات ويقدمها فى أشكال مختلفة من التقسيم بناء على الدرجة التى حددها الباحث لبحثه .

المثال (1-1)

البيانات المقننة ، وشبه المقننة ، وغير المقننة

يقوم أحمد الباحثين الاجتماعيين بدراسة مدى رضا المرضى عن الخدمة التى يتلقونها عندما يزورون طبيب الأسرة . وإليك ثلاثة طرق يمكن بها جمع البيانات:

البيانات المقننة

غير راض	غير متأكد	راض	
✓			موظف الاستقبال
	✓		مدة الانتظار
	✓		مدة وجودى مع الطبيب
	✓		العلاج الموصوف

هل أنا راض عن الخدمة التي
يقدمها لي الطبيب؟
حسنا - دعنا نفك في آخر مرة
ذهبت فيها لزيارة الطبيب

البيانات شبه المفنة

حسنا، الحقيقة أن
الأمر هذه المرة لم يكن
بالغ السوء على
الإطلاق، إذ إنهم
استحدثوا نظاماً
جديداً، ويعدو أنه نظام
جيد ...

عند التفكير في آخر مرة ذهبت
فيها لزيارة الطبيب - كيف كان
شعورك بالوقت الذي كان عليك أن
تقضيه في حجرة الانتظار؟

ما النواحي التي تحسن فيها
مستوى هذا النظام؟

البيانات غير المفنة

حسنا، في الحقيقة أنه في آخر مرة ذهبت فيها لزيارة طبيبي،
كنت سعيداً حقاً لأنني دخلت إلى الطبيب بسرعة كبيرة. ففي
بعض الأحيان يكون لزاماً عليك أن تنتظر دهراً، إلا أنهم
استحدثوا الآن نظاماً جديداً يهدو أنه نظام ناجح. أما إذا
اضطربت للانتظار، فلا شك أنه من الأمور الكبيرة للغاية
أن تجلس في مكانك مع كل هؤلاء المرضى بدون أن تعمل
 شيئاً كل هذه الساعات التي تبدو بلا نهاية.

حدثني عن آخر
زيارة قمت فيها
بنزارة طبيبك

ثم إنه كان من الأطباء الذين رأيتهم قبل ذلك، لهذا فقد
سارت الأمور سيراً طيباً، إلا أنني لم أذهب في الحقيقة إلى
أى مكان آخر داخل العيادة. فقد اكتفى الطبيب بإعطائي نفس
المضادات الحيوية، وهي أدوية لا يهدو عليها أنها تحدث تأثيراً
كبيراً. أوه، أما تلك الموظفي التي تستقبل المرضى، فقد كانت
غير منضبطة، إذ تركتني واقفاً في ذلك المكان متمنياً منها
أن تحدد لي ميعاداً آخر للعودة لزيارة الطبيب، حيث كانت
مشغولة بمحالاتها التليفونية، كما لو لم يكن موجوداً أمامها!

وعلى الرغم من أن النماذج الواردة في المثال (1-1) تتعلق بجمع البيانات الأولية من أحد الأشخاص ، فإن بالإمكان استخدام أشكال مماثلة في درجة التقنيين سواء في السؤال عن البيانات الوثائقية وتسجيلها ، أو جمع البيانات البصرية ، أو البيانات الثانية . وسوف تجد نماذج من هذه الأشكال المقاوقة التقنيين في الحصول من 3 حتى 9 من هذا الباب .

م الموضوعات للتفكير فيها تتعلق بالبيانات المقنية وشبه المقنية وغير المقنية

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لتجمیع البيانات ، توجد أمور كثيرة يتعین التفكير فيها فيما يتعلق بدرجة تقنيين البيانات الجاری تجمیعها . وسوف نسلط الضوء على هذه الأمور ونناقشها من حيث صلتها ببعض طرق جمع البيانات التي تتناولها الفصول من 3 حتى 9 من هذا الباب ، إلا أنه يوجد - في هذه المرحلة - ثلاثة قضايا عامة يتعین التفكير فيها هي كالتالي :

• صدق أداة جمع البيانات ، ونعني بذلك التأكيد من أن أداة البحث هذه مصممة بطريقة من شأنها تحقيق أفضل جمع للبيانات التي يمكن أن «تقوم مقام» الخبرة الاجتماعية التي تمثلها . وهذا الأمر له أهميته بالذات وعند التفكير في الأدوات المقنية كالاستبيانات (فصل 3) حيث تجمع البيانات في صورة فئات أو تجمیعات ، ولا يتسنى للباحث الوصول إلى البيانات الخام (أى ما منطق به المبحوث من كلمات أو غير عنه من أفكار) . وهذا يعني ضرورة إعطاء الاهتمام والوقت اللازمين لإعداد وتحضير درجة تقنيين أداة البحث التي سوف تستخدم في جمع البيانات .

• في حالة البيانات الأقل تقنياً (أى شبه المقنية) ، ينبغي الاهتمام بكيفية التعامل مع المقادير الضخمة من البيانات «الخام» التي يحتمل الحصول عليها ، مثل: سجلات تدوين المقابلات (فصل 4) ، والتسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو ، والوثائق ، والسرديات الشفاهية . ولا بد من تخطيط البيانات شبه

المقنة أو غير المقنة باستخدام الاتجاه الخاص بدراسة (أى تحليل) البيانات الموجودة في ذهن المبحوث، كتحليل ذلك النمط من البيانات الذي يعالج - في العادة - تلك البيانات في الشكل الذي جمعت به، والتى منها مثلا: الكلمات التي نطق بها المبحوث أو التقرير في صورته المكتوب بها في إحدى الوثائق (فصل 2 من باب 4).

لابد من توافر المهارات المختلفة لجمع البيانات، والتي تتوقف على درجة ضبط وتقنين عملية إنتاج البيانات. مثال ذلك : أنك إن كنت تجمع بيانات مقنة فلا بد أن تكون قادرا على ابتكار أدوات البحث التي يمكن إدخال البيانات فيها ، كالاستمرارات forms أو النماذج formats، أو الاستبيانات (الفصل 2). وإن كانت البيانات شبه مقنة أو غير مقنة، فقد تستخدم في تجميعها طريقة التسجيل السمعي / أو الصوتي ، أو التسجيل المصور (الفيديو) (الفصل 2)، كما أنك ستحتاج إلى تدوين البيانات الشفاهية أو المكتوبة لتحويلها إلى نص مكتوب (فصل 2).

بحث

اختبار جودة البحث : البيانات المقنة / وشبه المقنة / وغير المقنة

- هل قررت: درجة تقنين أدوات جمع البيانات بما يتناسب مع مشروعك؟
- هل أنت متأكد من المبررات التي يقوم عليها قرارك هذا، ومن تأثيره المحتمل على صدق البحث؟
- هل صممت أداة لجمع البيانات تدخل في حسابها هذا الاعتبار؟ (يعنى : هل ستحتاج فيما بعد إلى الرجوع إلى البيانات الخام - مثلا - أم أن البيانات المقنة كافية؟).
- هل تعرِيفاتك الإجرائية ملائمة لهذا النوع من جمع البيانات؟
- هل يمكنك التعامل مع البيانات على النحو الصحيح (أى عن طريق تدوينها وتخزينها . . . إلخ)؟

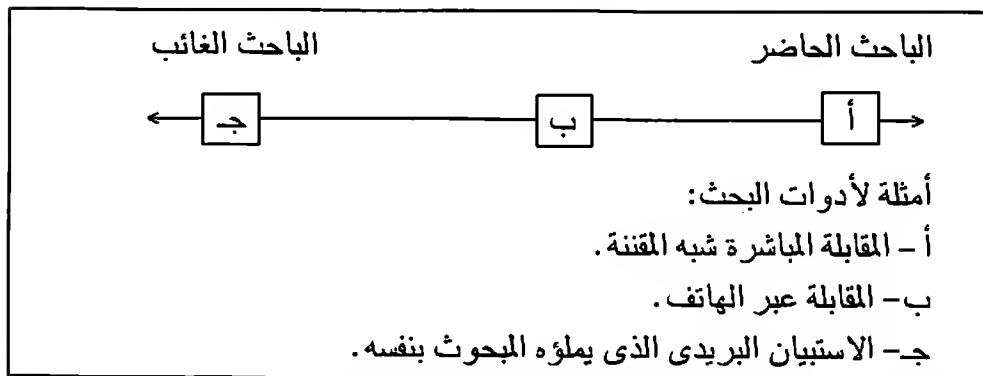
(ب) الباحث الحاضر/ والباحث الغائب

يشير هذا الخط المتصل إلى الحضور المحسوس (وذلك الافتراضي) للباحث أو غيابه في أثناء عملية جمع البيانات، ومن ثم يتعلّق هذا الحضور (أو الغياب) - جزئياً - بمستوى العلاقة الإنسانية بين الباحث والمحبوث. فإن لم يكن الباحث حاضراً في الوقت الذي يجري فيه جمع البيانات - كما يحدث مثلاً في حالة الاستبيان الذي يقوم المحبوث باستيفاء بياناته بنفسه - فلابد أن يستوثق الباحث من أن لدى المحبوث كل المعلومات التي يحتاج إليها لكي يكون قادرًا على تقديم البيانات المطلوبة منه. وقد تشمل هذه المعلومات على توجيهات مفصلة بشأن استيفاء استمار البحث، وعن الطريقة التي بها يسجل المحبوث حدثاً معيناً، أو كيف يدخل على أحد مواقع شبكة الإنترنت، وذلك بجانب اشتمال هذه المعلومات على وصف مفصل وواضح لهذا البحث والأهداف وأغراضه، ولبعض القضايا كقضية السرية، وما مصير هذه البيانات والنتائج المستخلصة منها؟

إن كان الباحث حاضراً بنفسه أثناء عملية جمع البيانات، فسوف تثور قضايا مختلفة يتوجب أخذها في الاعتبار. ما الأثر الذي سيحدثه الباحث - كشخص - على المحبوثين فيما يتصل مثلاً : بالجنس، والانتماء الإثني، والعمر، والمكانة الاجتماعية التي يتصور المرء نفسه فيها؟ فقد يؤثر هذا «الحضور» على رغبة المحبوث في المشاركة بالبحث، أو ربما في الإجابة على بعض الأسئلة التي قد تكون ذات طبيعة شخصية أو حساسة. وقد يكون بناء علاقة الألفة مهما قبل جمع البيانات. على أنه يلاحظ - من ناحية أخرى ، وفي ضوء الظروف المحيطة بالبحث - أن تبني أسلوب أكثر رسمية قد يكون مطلوباً، كما يحدث مثلاً عندما يتم إجراء المقابلة داخل مقر العمل أو مع مبحوث يعتبر ذا مكانة اجتماعية رفيعة أو يكون شديد الإنغال.

وقد لا تعتبر هذا الوضع خطاً متصلًا، ذلك أن الباحث إما أن يكون حاضراً أو غير حاضر. وأياً ما كان الأمر، ونظرًا لتزايد إمكانيات الاتصال عبر الهاتف، والبريد الإلكتروني، وغير ذلك من الوسائل المعتمدة على الحاسوب الآلي، فإنه لا يزال بإمكان الباحث والمحبوث أن يشعرون كل واحد منهما بالأخر من خلال الاتصال الشفاهي أو المكتوب بينهما. فالباحث - مثلاً - يمكن أن يكون مشاركاً في جماعة مناقشة (بؤرية) افتراضية (الفصل 10) حيث لا يعرف المشاركون بعضهم بعضاً إلا من خلال النقاش عبر الفضاء الإلكتروني، أو يمكن للباحث أن يقوم برصد ومتابعة ما يجري في إحدى غرف الدردشة (على الإنترنت) دون أن يدرك المشاركون في هذه الدردشة أنه موجود «في

الغرفة». من هنا يمكن القول إن هناك درجات مختلفة من «الحضور»، كما أن تأثير هذا الأمر على طريقة جمع البيانات لهو من القضايا التي يتعين إمعان النظر فيها.



شكل (2-1) متصل الباحث الحاضر / والباحث الغائب

فکر فی هذا الموضوع . . .

في أي من هذه السيناريوهات ترى أنك ستحصل على أدق البيانات (أي أقربها إلى الحقيقة) عن معدل تكرار ، وعن أسباب خروج المراهقين للاشتراك في «حفلات لشرب الخمر»؟

1- استبيان يستوفيه المبحوث بنفسه ، ويكون خاليا من ذكر اسم المستجيب ، ويتم إرساله للشباب ذوى الأعمار من 16-18 سنة عبر مدارسهم أو كلياتهم ، ويعاد للباحث الذى يعمل بالجامعة فى مظروف مختوم .

2- جماعة مناقشة (بوريه) من المراهقين فى أحد مراكز الشباب مع باحث سنه حوالى 20 سنة .

3- جماعة مناقشة (بوريه) افتراضية على أحد مواقع شبكة الإنترنوت التى يستخدمها المراهقون ، ويكون قد سبق للباحث أن انضم إليها من قبل ، كما أنه يقوم بمتابعتها ورصد ما يجري فيها ، وذلك بانتهائه لشخصية مراهق عمره 18 سنة .

هل تستطيع أن تقترح طرقا أخرى يمكن استخدامها لجمع البيانات؟

م الموضوعات للتفكير فيها حول:

الباحث الحاضر أو الباحث الغائب

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لجمع البيانات، توجد عدة أمور يتعين التفكير فيها، وهي تتعلق بما إذا كان الباحث حاضراً أم غائباً حين تجمع البيانات. وسوف نلقى الضوء على هذه الموضوعات ونناقشها في ضوء صلتها بطرق جمع البيانات، التي نتناولها في الفصول من الثالث حتى التاسع. إلا أنه توجد في هذه المرحلة بعض القضايا العامة التي يجب التفكير فيها، هي كالتالي:

- إن لم يكن الباحث حاضراً (حضوراً بجسده أو حضوراً افتراضياً)، فمن الضروري بذل اهتمام خاص بالتعليمات (أى: الإرشادات والتوجيهات) الموجهة للمبحوث أو لغيره من جامعي البيانات، وباللغة المستخدمة في أداة جمع البيانات، كالاستبيان أو النموذج مثلاً، وذلك بقصد التأكيد من أن هذه الأداة سهلة الفهم، كما يجب بذل اهتمام خاص بالتعريف بالبحث (أى شرح طبيعته وأهدافه للمبحوثين).
- قد يكون أكثر صعوبة من ذلك التأكيد من ذلك قبل ذلك بالمحوثين في أي لقاء شخصي، كما أن من الضروري إعمال الفكر للتأكد من أن الإدلة بالبيانات ليس عملاً شاقاً، أو يستنفذ وقتاً طويلاً، أو عسيراً على المحوثين. فقد يكون من الأيسر لبعض المحوثين أن يبعثوا بردودهم عن طريق البريد الإلكتروني - مثلاً - أكثر من إرسالها بالبريد العادي. ومع ذلك قد لا يتوفر البريد الإلكتروني لبعض الأفراد فيحتاجون لتزويدهم بمظاريف ملصق عليها طوابع بريد، ومكتوب عليها عنوان جهة البحث بذلك على الرد، أو قد يكون بالإمكان توفير موقع للالقاء بهم فيه، يكون في مكان يغلب أن يتتردد عليه المحوثون بانتظام، كأحد محلات التجارية مثلاً أو نادي الحي السكنى.
- إن ظفر الباحث بلقاء شخصي مباشر مع المبحوث، فلا بد من إمعان النظر في التأثير الذي يمكن للباحث - بصفته كائناً إنسانياً اجتماعياً - أن يمارسه على المبحوث، بما في ذلك التفكير في تأثير النوع، والعمر، والانتماء الإثنى على التفاعل بين الباحث والبحوث وعلى الطريقة التي جرى بها مناقشة موضوع البحث؟

- إن لم يظفر الباحث بلقاء شخص مباشر مع المبحوث ، ولكن كان يتوافر له - فعلًا - حضور افتراضي ، أو سمعي ، أو مكتوب ؛ حينئذ يتعنى على الباحث أن يمتن النظر فى شكل وسيلة الاتصال وفي الطريقة التي يقدم بها نفسه للمبحوثين من خلال وسيلة الاتصال هذه ، ذلك لأن لكل وسيلة اتصال ما يخصها من سمات مميزة ، واستعمالات لغوية ، وأداب يجب مراعاتها (انظر الفصل 10 للوقوف على مناقشة موضوع الاتصال عبر الحاسب).

بحثك

اختبار جودة البحث: الباحث الحاضر / والباحث الغائب

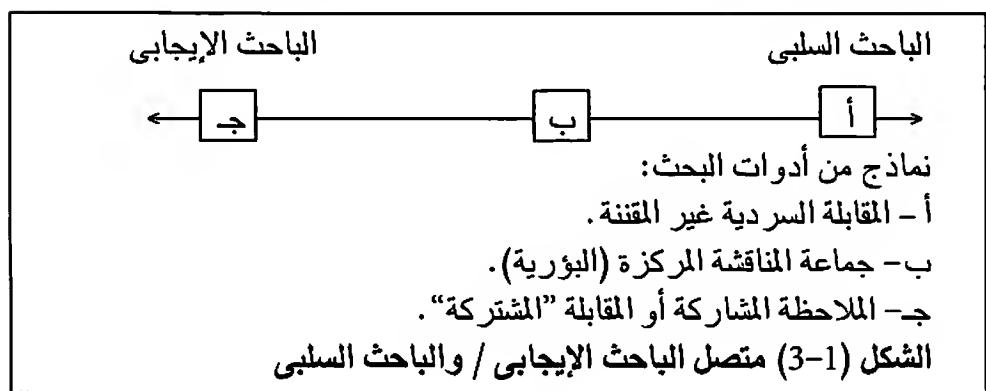
- هل أنت متأكد من مبرر حضورك في بحثك أو غيابك عنه؟
- إن كنت غائبا ، فهل أوليت اهتماما خاصا للتعليمات الموجهة للمبحوثين ، لكي تضمن صدق البحث؟
- هل اتخذت خطوات لتعظيم الاستجابة وتقليل التحيز (خاصة التحيز الذي يحدث في الاستبيانات المرسلة بالبريد ، وهل تأكيدت من توفر الحواسب الآلية - مثلا - لدى المبحوثين)؟
- هل أدخلت في اعتبارك تأثيرك بوصفك الباحث؟
- هل أنت على دراية بأعراف الاتصال وأدابه إن قررت أن تكون باحثا افتراضيا؟ وهل أمعنت التفكير في الأثر الذي تحدثه هذه القضايا في بحثك؟

ج - الباحث الإيجابي والباحث السلبي

يتعلق المطلب الثالث بدور الباحث باعتباره «أداة بحث» - أي وسيلة لجمع البيانات . ربما لا ترى نفسك أداة بحث ، إلا أن بعض طرق جمع البيانات (وتحليلها) تتوقف على كون الباحث نفسه جامعا إيجابيا وفعالا للبيانات . ففى المثال الخاص بالبيانات شبه المقنة ، والمذكور في المثال (1-1) ، كان الباحث يقوم بدور إيجابى

تماماً، فقد كان يطرح سؤالاً ثم يتبعه بسؤال للتحقق من إجابة السؤال الأول بغرض اكتشاف المزيد من المعلومات عن التغيرات التي أدخلت على نظام الانتظار في العيادة. فقد كان الباحث في هذا المثال يقوم بتطوير تفاعل حواري لتسهيل قيام المبحوث بمهمة الإدلاء بالبيانات. وأياً ما كان الأمر، فإن مشاركة الباحث في المقابلة محصورة في استخدامه لمجموعة من وسائل الإيعاز أو التلميح prompts (والتي يبحث الباحث بها المبحوث على المزيد من تقديم البيانات) وأسئلة تفتح الموضوع probes والمصممة لحث المستجيب على الإفصاح عن أفكاره وتفسيراته بأسلوبه الشخصي الخاص به. ولكن دور الباحث كان أقل إيجابية في المثال الخاص بالبيانات شبه المفتوحة، إذ كان يبحث المبحوث على روایة القصة حسب رغبته («حدثني عن كذا . . .»). وهنا يكون المبحوث أكثر تحكماً في تقديم وانتقاء البيانات وفي طريقة الإدلاء بها. ومن ناحية أخرى يدعى بعض الباحثين (انظر -متلا- أوكلی Okley ، 1981) إلى تطوير علاقة مع المبحوث بحيث يقوم كل من المبحوث والباحث بتقديم خبراتهم وأفكارهما الخاصة في عملية الإدلاء بالبيانات (انظر قائمة المصطلحات)، والتي تسمى عادة بالمقابلة المشتركة Collaborative Interview (انظر الفصل الرابع).

رأينا في المثال (1-1) أن أداة جمع البيانات المفتوحة كانت عبارة عن استبيان يستويفه المبحوث بنفسه (الفصل الثالث). في هذه الحالة قام الباحث بتصميم أداة البحث -أى الاستبيان - إلا أنه كان يقوم بدور سلبي في عملية الجمع الفعلية للبيانات، بل ربما لا يكون حاضراً أصلاً أثناء قيام المبحوث باستيفاء الاستبيان. وحتى لو كان الباحث حاضراً ويقوم بطرح الأسئلة على المبحوث فإن استخدام هذا الأسلوب المفتوح لا يترك للباحث إلا دوراً محدوداً لا يتجاوز تلاوته للأسئلة وكتابته للأجوبة.



هيا بنا نفكر في مثال مختلف ، وهو المثال الخاص بجمع البيانات باستخدام أداة الملاحظة (الفصل السادس) . فجمع البيانات من خلال الملاحظة يمكن أن يتخد عدداً من الأشكال ، بدءاً من ملاحظة موقف ما عن بعد ، أو باستخدام آلة تصوير فيديو ، وانتهاء بالمشاهدة أثناء المشاركة الفعالة في الموقف المدروس . ويتمثل واحد من التغيرات الأساسية في جمع البيانات عن طريق الملاحظة ؛ يتمثل في درجة مشاركة الباحث في الموقف الذي يقوم بلاحظته . فالملاحظة يمكن تنفيذها بشكل ظاهر ، وذلك بالمشاهدة - مثلاً - من خلال كاميرا فيديو مخفاة ، أو من خلال مشاركة الباحث بوصفه عضواً في هذه الجماعة ، أو مكان العمل هذا ، أو في هذا السياق الذي يقوم بلاحظته . وفي الحالة الأولى يمكن وصف الباحث بأنه يقوم بدور سلبي ، إذ لا يكون له تأثير على موقف الباحث أو على المشاركين الخاضعين للملاحظة (وتوجد بعض القضايا الأخلاقية التي يتبعها في اعتبارك إن كنت تصور الأفراد بجهاز فيديو بدون تنبههم لذلك أو بدون موافقتهم عليه - انظر الفصل الخامس) . أما في الحالة الثانية فإن الباحث يكون مشاركاً بنفسه ، كما أنه - سواء أعلم المشاركون (المبحوثون) أنه باحث أيضاً أم لم يعلموا - سوف يشارك بإيجابية في عملية إنتاج البيانات الاجتماعية التي يجري جمعها وتسجيلها . ومن المعهود في البحث الذي يشارك فيه الباحث مشاركة إيجابية في عملية إنتاج البيانات من خلال مقابلة تفاعلية أو ملاحظة مشاركة؛ من المعهود أن يتم تضمين هذا النوع من البحوث إلى جانب ذلك بعض البيانات التأملية (الفصل الثالث) لتمكين الباحث من أن :

- أ - يُعمل فكره في الأثر الذي أحدثه حضوره ومشاركته على البيانات التي جرى جمعها .
- ب - وأن يُعمل فكره في حقيقة إحساسه بأنه جزء من العالم الاجتماعي محل البحث .
- ج - وأن يدون أي أفكار أو تفسيرات قد تساهم في تحليل البيانات .

م الموضوعات للتفكير فيها بشأن: الباحث الإيجابي والباحث السلبي

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لجمع البيانات توجد عدة موضوعات مختلفة للتفكير فيها تتعلق بمدى إيجابية الباحث في مشاركته في عملية جمع البيانات. وسوف نلقي الضوء على هذه الموضوعات ونناقشها بالنسبة لكل طريقة من طرق جمع البيانات في الفصول من الثالث حتى التاسع. إلا أنه توجد بعض القضايا العامة التي يتعين التفكير فيها في هذه المرحلة، وهي:

- إن كان الباحث يشارك إيجابياً في عملية إنتاج بيانات البحث، فمن الضروري أن يأخذ في اعتباره طريقة تسجيل البيانات، إذ إن من غير المحتمل أن يتمكن الباحث من كتابة الملاحظات أو مراجعة مدى استيفاء النماذج أو الاستمرارات بسبب استغراقه في نفس الوقت في الأنشطة المرتبطة بإنتاج البيانات. وقد يستخدم التسجيل الصوتي أو التسجيل بالفيديو (الفصل الثاني)، أو يحتفظ الباحث بمذكرة يوميات تفصيلية يمكنه أن يدون فيها بياناته حين يباح له ذلك (الفصل الثاني).
- ينبغي تقرير درجة المشاركة ومرؤونتها كجزء من تصميم البحث. مثال ذلك أنه عند إعداد مقابلة شبه مفتوحة يجب أن تدرج في دليل المقابلة الطرق الممكنة لطرح الأسئلة التي تسهم في تفتح الموضوع أمام المبحوث، ولاستعمال أساليب الإيعاز والتلميح التي تحثه على الاستفاضة في الكلام (الفصل الرابع).
- إن كان الباحث يشارك إيجابياً في عملية إنتاج البيانات فسيشارك أيضاً في تفسير هذه البيانات وقت الحصول عليها. والواقع أن عملية التحليل تبدأ بالفعل عندما يستعمل الباحث هذه البيانات حال جمعها. وينبغي الاحتفاظ بتقرير يسجل فيه الباحث أفكاره وتأملاته، وذلك بأن يستخدم - مثلاً - مفكرة يوميات، أو سجل بحثي، مع تدوينه للاحظاته عن تفسير البيانات وللأفكار التي قد تكون مفيدة في عملية التحليل.

بحثك

اختبار جودة البحث : الباحث الإيجابي / والباحث السلبي

- هل أنت متأكد من مبرر كونك إيجابياً أو سلبياً في بحثك؟
- هل صممت أداة جمع بيانات تدخل في حسابها هذا الاعتبار؟
- هل أنت واثق أن تصميم بحثك يتعامل مع كل مشارك (مبحوث) بنفس المعاملة؟
- هل أمعنت النظر في التأثير الذي سوف تحدثه باعتبارك الباحث؟

استخدام هذه المتصلات الثلاثة المساعدة

في تصميم أدوات البحث

قدمنا في هذه الفقرة من الفصل ثلاثة متصلات يمكن على امتدادها العثور على الأدوات المختلفة لجمع بيانات البحث . ومن الممكن أن يساعد التفكير في موقع كل أداة من أدوات جمع البيانات على كل متصل من هذه المتصلات أن يساعدك في أن تكون على وعي بالقضايا التي طرحتها عليك كباحث فيما يتصل بكل من المهارات العملية المطلوبة، ودلالات ذلك بالنسبة لجودة البحث .

من الممكن لكل طريقة من طرق جمع البيانات ، ولأدوات البحث المرتبطة بها ، أن توجد على كل متصل من هذه المتصلات ، كما أن من المفيد لك تعين مواقعها على كل متصل على حدة حتى تكون على وعي بالنتائج المختلفة لاستخدام هذه الطريقة أو تلك . ويوجد دائماً عدد من الأنواع المختلفة للقضايا العملية التي يتبعن إدخالها في الحساب عند تصميم وتخطيط عملية جمع البيانات ، ومنها قيود الوقت ، والمهارات ، والموارد المالية (عادة) وغيرها من الإمكانيات . ولا شك أن تفكيرك في نتائج استعمال طرق بعضها من طرق جمع البيانات واستخدام أدوات بعضها من أدوات البحث - قبل أن

تبادر العمل في جمع البيانات - سوف يساعدك على العمل بأقصى كفاءة ممكنة داخل نطاق هذه القيود.

وانطلاقاً مما تعرفه عن الأدوات المختلفة لجمع البيانات حاول أن تضع هذه الأدوات على التصلات المسطورة في البرواز الوارد أدناه، وعنوانه «فكرة في هذا الموضوع ...»، ثم فكر بعد ذلك في بحثك الخاص بك وفي أدوات جمع البيانات التي تخطط لاستعمالها وحدد أماكن هذه الأدوات في البرواز التالي، والعنوان «بحثك». وقد تجد من المفيد أن ترجع إلى التصلات الثلاثة أثناء قراءتك عن مختلف طرق جمع البيانات، المشروحة في الفصول من الثالث حتى التاسع، وأن تمعن النظر في المكان الذي يمكن أن توجد فيه - على هذه التصلات الثلاثة - هذه الطريقة أو تلك من طرق جمع البيانات، وأن تراجع «الأمور المطلوب التفكير فيها».

ضع علامة ✕ في المكان الذي ترى أن أداة جمع البيانات موجودة فيه على كل متصل من المتصلات الثلاثة

جماعه المناقشه الافتراضيه

أداة غير مقتنة	أداة مقتنة
الباحث غائب	الباحث حاضر
الباحث سلبي	الباحث إيجابي
الاستبيان الذي يستوفيه المبحوث بنفسه	مقنن
غير مقنن	الباحث حاضر
الباحث غائب	الباحث إيجابي
الباحث سلبي	الباحث إيجابي
المقابلة الهاتفية شبه المقتنة	أداة مقتنة
أداة غير مقتنة	أداة مقتنة
الباحث غائب	الباحث حاضر
الباحث سلبي	الباحث إيجابي

بحثك

حدد بالنسبة لكل أداة من أدوات جمع البيانات المستخدمة، موقعها على كل متصل من المتصلات الثلاثة.

أداة جمع البيانات (١)	
أداة غير مقتنة	أداة مقتنة
الباحث غائب	الباحث حاضر
الباحث سلبي	الباحث إيجابي
أداة جمع البيانات (٢)	
أداة غير مقتنة	أداة مقتنة
الباحث غائب	الباحث حاضر
الباحث سلبي	الباحث إيجابي
أداة جمع البيانات (٣)	
أداة غير مقتنة	أداة مقتنة
الباحث غائب	الباحث حاضر
الباحث سلبي	الباحث إيجابي

المراجع وقراءات للاستزادة

- Denscombe, M. (2007) *The Good Research Guide: For Small-Scale Social Research Projects*, Buckingham: Open University Press.
- Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.
- May, T. and Williams, M. (eds) (1998) *Knowing the Social World*, Buckingham: Open University Press.
- Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.

الفصل الثاني

مهارات جمع البيانات

محتويات الفصل

- الاحتفاظ بالسجلات.
- ابتكار أشكال النماذج .
- تدوين الملاحظات.
- الاتصال.
- المقابلات.
- التسجيل الصوتي ، وعلى أشرطة الفيديو .
- مهارات التأمل .

عن السياق

يتمثل جمع البيانات للبحث الاجتماعي في مجموعة من الأنشطة العملية التي تتطلب مهارات قابلة للنقل من موافق أخرى وإليها. فما المهارات المتوفرة لديك والمناسبة لهذه العملية، وما المهارات التي تحتاج لتعلمها وتطويرها؟

في هذا الفصل نلقي نظرة فاحصة على المهارات التي يحتاج إليها الباحث، ونقدم بعض النصائح العملية لمساعدتك على الاستخدام الأفضل لطرق جمع البيانات التي يترجح - إلى حد بعيد - أن تخذلها.

بعد أن تكون قد اخترت طرفة في جمع البيانات ، يتعين عليك الآن أن تفك في الطريقة التي بها ستقوم بأداء هذا العمل ، وفي المهارات المتوفرة لديك والمناسبة لهذا العمل ، وكذلك في المهارات التي قد يتعين عليك أن تتعلمها . وتنطلب كل طريقة من طرق جمع البيانات مهاراتها وعملياتها المعينة الخاصة بها ، إلا أنه توجد مهارات يترجح أن تحتاج إليها بصرف النظر عن الطرق التي تخذلها .

فكرة في هذا الموضوع . . .

أنت تخطط لاستخدام استبيان لتجمع بيانات من طلاب آخرين بصورة مباشرة .
ما المهارات التي ترى أنك ستحتاج إليها فعلاً للقيام بهذا العمل؟

الآن نظرية فاحصة على قائمة المراجعة المبينة في البروتو أدناء ، وتبيّن أي المهارات المذكورة في هذه القائمة ترى أنك ستحتاج إليها لاستخدام الاستبيان في جمع البيانات؟

من المفيد في هذه المرحلة أن تراجع خبراتك ومهاراتك الخاصة بك وتأملها ، وأن تكون على وعي ودرأة بالموارد التي يمكنك الاعتماد عليها . وتوجد أدناه قائمة ببعض المهارات الرئيسية التي ترى أن من الراجح أن تحتاج إليها لتمكن من جمع بيانات البحث الاجتماعي . استعمل قائمة المراجعة هذه لتحديد المهارات التي ترى أنها متوفّرة لديك في هذه المرحلة .

ما المهارات التي سوف تحتاج إليها للاضطلاع بعملية جمع البيانات؟

احتاج لهذه المهارة في طرق جمع البيانات /	أين وكيف تعلمت هذه المهارة؟	عندى هذه المهارة /	المهارات
			استخدام قاعدة بيانات استخدام البطاقات استخدام دفتر يوميات
			الاحتفاظ بالسجلات ابتكار النماذج أو استعمال النماذج. برامج الكمبيوتر .
			ابتكار المصقات /كتيبات المعلومات/ الخطابات باستخدام برامج الكمبيوتر
			من الوثائق / الكتب . من الكلمات المنطقية . من الملاحظة .
			تدوين الملاحظات بالخطابات . باليبريد الإلكتروني . باللقاء المباشر . باليافق .
			الاتصال بأنواع مختلفة من الأفراد إجراء المقابلة
			التسجيل الصوتي / التسجيل الرقمي أو السمعي
			التسجيل بالفيديو
			تدوين التسجيلات وكتابة ملاحظات من واقع التسجيلات
			التأمل في التصرفات استعمال مفكرة يومية استعمال سجل المعرف المكتسبة / التعلم
			اكتب أي مهارات ترى أنك ستحتاج إليها

الاحتفاظ بالسجلات

من شأن أى طريقة لجمع البيانات أن توفر كمية من البيانات. ولذلك فإن تنظيمك لسجل البيانات التى تحصل عليها ومتابعة التدوين فيه سوف يساعدك على حسن إدارة عملية جمع البيانات ، كما يحتمل أن يوفر عليك الوقت والجهد حينما تصل إلى مرحلة التحليل. وتقدم الجداول بأرقام (1-2) و (2-2) و (2-3) بعض الأمثلة للسجلات التي قد تحتاج إلى الاحتفاظ بها.

إن كنت على دراية باستخدام قواعد البيانات ، وماهرا في هذا المجال ، فإن بإمكانك أن تصمم نظامك الشخصى للسجلات. وأيا ما كان الأمر ، فإن بالإمكان حفظ السجلات فى صورة بطاقات ، أو إنزالها فى جدول أو فى برنامج كومبيوترى لتسجيل البيانات واسترجاعها (على نحو ما توفره مايكروسوفت إكسيل). وكبديل لذلك يمكن استخدام نظام قائم على التسجيل اليومى للاحتفاظ بسجل لكل ما قمت به من عمل فى كل يوم من أيام العمل. وينت逼 لك هذا التسجيل اليومى الرجوع إليه للتحقق من المعلومات عند الحاجة إليها، إلا أنه لا يتمتع بميزة القدرة على رؤية المعلومات الخاصة بكل مصدر من مصادر البيانات مجمعة فى مكان واحد.

كما أنك قد ترغب فى الاحتفاظ بما يخصك من ملاحظات بحثية ، أو كتابات ، أو تعليقات على المقابلات ، أو سجل معرفى خاص بك (انظر أدناه)، قد ترغب فى الاحتفاظ بها فى هيئة وثائق موحدة قياسية وفق معيار محدد. ولا شك أن استخدامك لقوالب قياسية أو تصميمات قياسية للصفحات ثم حفظها بعد ذلك كملفات مستقلة لكل منها تاريخ محدد وعنوان محدد ،

جدول (1-2) حفظ سجلات الاستبيانات

الاستبيان رقم	نارخ الإرسال بالبريد الإلكتروني	نارخ البريد الإلكتروني	تاريخ متابعة البريد الإلكتروني	تاريخ الاستلام	الاستفقاء نعم / لا	المراجعة
101	10/4/2			10/4/3		✓
102	10/4/2		10/4/16			
103 إلخ	10/4/2		10/4/16	10/4/16	لا	✓

جدول (2-2) حفظ سجلات المقابلات

المحور الذى نعم مقابلته	رقم النسخة المدونة	الاتصال الأول	تاريخ المقابلة	مكان المقابلة	مدة المقابلة	ملاحظات
أن	01	10/3/15	10/3/22	الجامعة	30 دقيقة	طالبة أجنبية
ستيف	02	10/3/16	10/3/23	بيو الكلية	40 دقيقة	طالب مستجد
كيت .. إلخ	03	10/3/16	10/3/29	المقهى	10 دقائق	اضطررت «كيت» للمنادرة قبل نهاية المقابلة ستحاول ترتيب ميعاد آخر؟

جدول (3-2) حفظ سجلات المصادر الثانوية

الوثيقة	اسم الصحفة	تاريخ النشر	العنوان /المانشيت	طريقة الوصول إلى المصدر
1	صحيفة الجارديان	10/2/13	أمل الشباب في العمل ضعيف	نقل عن الانترنت
2	صحيفة الديلي ميل	10/2/13	إنه غير فعال!	نسخة ورقية
3... إلخ	صحيفة الإندبندنت	10/2/13	ارتفاع معدل البطالة لشهر الثالث	نقل عن الانترنت

سوف يمكنك من الرجوع بسهولة لسجلات معينة أو أحداث معينة. وإن بالإمكان تفصيل تصميم إخراج الصفحة وفقاً لاحتياجاتكم الشخصية ووفقاً لطبيعة المعلومات التي تحتاج لتسجيلها، كما يمكن لهذا السجل أن يشمل على تشكيله من أنواع المعلومات المختلفة.

ابتكار أشكال النماذج

يتم تسجيل البيانات والمعلومات المتعلقة بجمع البيانات بأعلى درجات الفاعلية عن طريق استعمال النماذج أو القوالب التي يمكن إدراج المعلومات فيها. وفي بعض الحالات، كما في الأمثلة التي عرضناها في الجداول الثلاثة بعاليه، تصمم هذه القوالب بغرض أن يتتفق بها الباحث. ومع أنه ينبغي أن تكون هذه القوالب واضحة وسهلة الاستخدام، فإن تفاصيل التصميم تكون أقل أهمية. وأيا ما كان الأمر، فإنه إن كان

ال قالب الذى يجرى وضعه مقصود به أن يستخدمه المبحوثون الذين يشملهم بحثك ، فلا بد أن تحرص على التأكد من أنه واضح وسهل الاستخدام وجذاب في نظرهم . وهذه النقطة لها أهميتها الخاصة بالنسبة للاستبيانات التي يستوفيفها المبحوثون بأنفسهم ، ولغيرها من الأشكال التي قد ترغب في أن يستوفيفها المبحوثون عموما .

اغتنم فرصة تطوير مهاراتك في استعمال الكمبيوتر ، وخاصة ما يتصل منها بالاستفادة من الإمكانيات المتاحة في برامج الكمبيوتر . ذلك أن غالبية حزم برامج معالجة الكلمات - مثل برنامج «مايكروسوفت ورد» مثلا - تشتمل على خصائص وإمكانيات تصميم تتيح لك عمل الجداول (لاحظ أن الأمثلة المذكورة بعاليه تستخدم الجداول) ، والبراويز وغيرها من الأشكال ، ومن مراجعة البراويز والقوائم المتعلقة drop-down lists (أى : المؤجل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها) ، ومن استخدام عناصر التلوين ، والتظليل ، والإطارات المحاطة بالرسوم والصفحات . (في نسخة 2007 من «مايكروسوفت ورد» ستجد هذه الفقرات في برامج عمل الجداول ، وهي برنامج «أدخل» «Insert» وبرنامج «المطور» "developer") . وتشتمل بعض حزم البرامج ، مثل حزمة «الناشر» من مايكروسوفت Microsoft publisher ؛ تشمل على إمكانيات كبيرة لإنتاج المتصاقات (الكبيرة الحجم أو البوسترز) والكتيبات والأشكال . ولا شك أن الوقت الذي ستنفقه في استكشاف الإمكانيات المتوفرة في البرامج المتاحة لك لن يذهب سدى ، لأنه سينفعك في أمرين معا هما: إنتاج نماذج ذات شكل جذاب وفعال في جمع البيانات ، وتطوير مهاراتك الشخصية للمستقبل . وتشتمل معظم حزم البرامج على مواد تعليمية ووسائل مساعدة من يستخدمها . وإن كنت طالبا فلا شك أن جامعتك أو كلية تنظم دورات دراسية تدريبية أو برامج تعليمية متاحة على الشبكة .

تدوين الملاحظات

هناك مواقف متعددة في البحث ، وفي الدراسة عموما ، تحتاج فيها لتدوين الملاحظات . وقد يحدث تدوين الملاحظات أثناء استماعك لمحاضرة ، أو قراءتك لكتاب ، أو خلال مقابلة تجريها مع أحد المبحوثين المشاركون في بحثك ، أو أثناء ملاحظتك لواقعة ما .

فکر فی هذا الموضوع . . .

تدوين الملاحظات

فکر فی موقف مارست فیه خبرة تدوين الملاحظات:

• كيف دونت الملاحظات؟

• ما الملاحظات التي أفادتك في تحقيق مرادك؟

• وما الملاحظات التي لم تذكر في تحقيق مرادك؟

مفتاح التدوين الإيجابي للملاحظات هو التفكير في الأمور التالية:

• ما الموضوع الذي تدون ملاحظاته عنه؟

• لماذا تدون الملاحظات؟

• أي المعلومات هي التي تكون "جديرة بالتدوين" أو تكون لازمة للانتفاع بها مستقبلاً؟

• كيف ستدون الملاحظات؟ وأي شكل ستتخذه ملاحظاتك المدونة في النهاية؟

إن كنت تعدد جيداً ببحثك، فسوف يكون تدوين الملاحظات مركزاً على موضوع البحث، وستتخذ الملاحظات شكلاً يجعل من السهل الانتفاع بها مستقبلاً.

بحث

أفكار مفيدة في تدوين الملاحظات

- على رأس الصفحة التي تدون فيها ملاحظاتك، اكتب الموضوع الذي تدون عنه ملاحظاتك بوضوح. فقد يكون هذا الموضوع قضية تكتب عنها مقالاً، أو قد يكون سؤال البحث الذي تجريه، أو قد يكون نقطة محورية وردت في إحدى المقابلات أو عرضت في إحدى الملاحظات.

- اقتصر على كتابة الملاحظات المتصلة بموضوعك فقط.
- قم بتصميم نموذج من شأنه أن يساعدك في تدوين الملاحظات تحت عناوين ، أو في براويز ، أو قطاعات مختلفة. وقد يستفيد هذا التصميم - مثلا - بدليل موضوع مقابلتك ، الذي يمكن أن يحتوى على فراغات لتدوين الملاحظات عن كل قضية من القضايا التى تجرى مناقشتها.
- ميز ملاحظاتك بعلامات مستخدما التفاصيل التى ستحتاج إليها لوضع هذه الملاحظات فى السياق ، مثل تلك التفاصيل:

 - إشارة وافية لوثيقة أو نص ، بما فى ذلك ذكر المكان الذى توصلت فيه لوثيقة أو النص - هل هو مكتبة عامة ، أم موقع على الشبكة ... إلخ.
 - اسم المبحث ، ورقمها ، وتاريخ المقابلة ، ومكانها.
 - مكان إجراء الملاحظة ، تاريخ الملاحظة ومدتها ، لب الملاحظة وجواهرها.

التدوين الإيجابي للملاحظات

يتوفّر لكثير من الأفراد القدرة على الجلوس في إحدى المحاضرات أو قراءة كتاب وتدوين بعض الملاحظات دون التفكير - بشكل إيجابي - في المعلومات التي يجري تسجيلها. من السهل أن تشعر أنه إن كان لديك مجموعة من الملاحظات فلن تحتاج إلى التفكير بإيجابية في الموضوع في ذلك الوقت. ولكن لسوء الحظ أن هذا التدوين السلبي للملاحظات قد يكون عقيما غير مثمر، ذلك لأن المستمع للمحاضرة أو القارئ للكتاب لن يحفظ إلا بالقليل من المعلومات، كما أن الأرجح أن هذه الملاحظات نفسها لن تكون كافية لتذكيره بالمحفوظ الكامل للمعلومات. ولذلك يتبعن على كل من المستمع الإيجابي، أو القارئ الإيجابي، أو المشاهد الإيجابي، والمدون الإيجابي للملاحظات أن يفعلوا ثلاثة أشياء:

- 1 - القراءة، أو الاستماع، أو المشاهدة.
- 2 - التفكير فيما يقرأ، أو يسمع، أو يلاحظ وتحديد ما يدون عنه الملاحظات.
- 3 - تدوين الملاحظات.

ونظرًا لأننا لا نقدر على القيام بأكثر من عمل واحد في نفس الوقت، فإن هذه الأنشطة تجري في تتابع سريع عندما تقوم بالتدوين الإيجابي لللاحظات. ولا يقتصر أمر التدوين الإيجابي لللاحظات - في العادة - على أنه يؤدي إلى الوصول إلى مجموعة مفيدة من اللاحظات، بل يؤدي كذلك إلى التذكر الجيد والاسترجاع الجيد للواقعة نفسها. فإن قضيت بعض الوقت عقب هذه الواقعه مباشرة وأنت تراجع ملاحظاتك وتضيف إليها من ذاكرتك، فستجد بالتأكيد أن لديك سجلًا مفيدًا صالحًا للاستعمال تماماً.

المذكرات الموجزة

كثيراً ما يطلق على نوع مختلف من اللاحظات المدونة اسم "المذكرة الموجزة". والمذكرة الموجزة هي - في الواقع - ملاحظة مختصرة تكتبها لنفسك بشكل بعدي، أي بعد الفراغ من مشاهدة الحدث أو سماع الكلام. وفي البحث الاجتماعي تستخدم هذه المذكرات الموجزة بعدة طرق. وأهم شيء يفيدك أن تحمل معك في كل وقت دفتراً صغير الحجم لكتابية اللاحظات فيه، أو مفكرة يومية، أو مجموعة بطاقات (كروت) لتدوين اللاحظات العاجلة. ذلك أنك قد ترغب في كتابة ملاحظة سريعة مختصرة [٥٠] عن بحثك في أي وقت. وقد يكون هذا الشيء المكتوب فكرة ما، أو شيئاً تذكر به نفسك (للانتباه إليه وبحثه مستقبلاً)، أو عن متابعة أحد مصادر المعلومات للاستزادة منه، أو للتذكير بموعده قادم ... إلخ)، أو ملحوظة عن أمر حديث. ومن المحتمل أن تحتاج هذه الأنواع من اللاحظات إلى التحويل أو الترحيل إلى أماكن مختلفة بسبأ لنوع الملاحظة. فتحتاج المواجهة لأن تدرج في مفكريتك اليومية، ورسائل التذكير بأمور لاحقة تحتاج لأن تدرج في المفكرة اليومية عند الوقت الذي ترغب فيه تذكيرك بأمر ما. أما الأفكار التي تكتبها عن بحثك، أو عن مبحث معين اقرحة عليه أحدهم، أو السؤال الذي تريده أن تعاود طرحه عند قيامك بتحليل بياناته، أو الكتاب الذي تريده أن تتبع قراءته؛ كل هذه الأمور تحتاج إلى نقلها إلى أماكنها في مفكريتك اليومية عن البحث، أو في خطة بحثك لكي تعود إليها في الوقت المناسب. أما إذا كنت تستخدم مفكرة يومية إلكترونية، فبإمكانك استعمال خدمة: " مهمة " أو " للإنجاز " "to do" أو "task" لضمان تذكيرك بهذه الأمور في وقتها.

كما أن بالإمكان أن ترافق المذكرات الموجزة بمفكريتك اليومية للبحث، أو بمفترج بحثك أو بتقديرك البحثي، وذلك باستعمال بطاقات اللاحظات السريعة أو خدمة " التعليقات " Comment المتوفرة في برامج مايكروسوفت ورد (وهذه الخدمة متوفرة

فى قائمة "المراجعة" Review فى نسخة 2007 من برنامج ورد) . وسوف تسمح لك هذه الخدمة بإضافة كلام قيل لك على انفراد ، أو إضافة تعليق على ما تكتبه لكى يذكرك بأمر ترغب فى إضافته أو تعديله . أو قد تشير هذه الفقرة إلى فكرة خطرت ببالك عن بحثك وتريد أن ترجع إليها فيما بعد .

وتحتوى بعض برامج تحليل البيانات ، مثل برنامج NVivo (فصل 9 باب 4) ، على إمكانية إضافة هذه الملاحظات أو المذكرات العاجلة فى أى مرحلة من مراحل تحليل بياناتك (بل يصل الأمر فى الواقع إلى أنك تستطيع أن تدرج مذكراتك السريعة كجزء من هذا التحليل) .

الاتصال

يحتاج معظم الباحثين الاجتماعيين إلى الاتصال بالآخرين على نحو أو آخر في مرحلة ما من مراحل بحثهم . ويعتبر تحضيرك لقترح مشروع البحث (فصل 6 باب 2) وعرضك للنتائج في هيئة تقرير أو رسالة علمية جامعية (فصل 2 باب 5) ؛ يعتبر هذان الأمان طرفيتين سوف تُعرَف من خلالهما الآخرين ببحثك . كما يقوم معظم الباحثين ببعض الاتصالات مع الأفراد المشاركين في بحثهم ، إما مباشرة أو من خلال الرسائل البريدية ، أو عبر البريد الإلكتروني (الإيميل) ، أو الهاتف . ومن المعهود أن يكون الاتصال متعلقا بالأمور التالية :

- تعريف الناس بالبحث .
- مطالبة الأفراد بالمشاركة في البحث ، أو مطالبة بعضهم أن يتاحوا لك الوصول إلى بيانات عنهم .
- التأكيد لهم على الالتزام بالحفظ على سرية هذه البيانات وغير ذلك من الاعتبارات الأخلاقية .
- مناقشة التدابير الخاصة بمشاركة مشاركتهم في البحث .
- تجميع البيانات .
- تقديم الشكر للمبحوثين على مشاركتهم .
- إخبارهم بما سوف يحدث فيما بعد .

وقد تجد نفسك بحاجة للاتصال بأفراد لا تعرفهم ، وبأنماط مختلفة من الناس ، وبأفراد لا يعرفون إلا القليل عن البحث الاجتماعي .

أفكار مفيدة للاتصال الناجح

- فكر في الغرض من الاتصال الذي تنوى القيام به.
- خطط لما سوف تقوله أو تكتبه، وتدريب على ذلك مقدماً.
- تجنب اللغة المتخصصة أو الفنية.
- تحدث بشكل واضح وعلى نحو مسموع.
- اعتن بقواعد النطق وتهجئة الكلمات في الاتصال المكتوب ، بما في ذلك البريد الإلكتروني.
- فكر في الأمور التالية بشأن الشخص الذي تتصل به:
 - ما على الأرجح معلوماته عن موضوع بحثك؟
 - ما الذي يترجح أن يدور في ذهنه عنك كباحث؟
 - هل ينتمي إلى فئة عمرية، أو ثقافة أو طبقة اجتماعية مختلفة عن حالتك؟
 - هل توقيت هذا الاتصال ملائماً له؟
- استمع إلى الشخص الآخر واقرأ الرسائل التي جاءتك على بريدك الإلكتروني بعناية قبل أن تجيب عليها.

المقابلات

تعد المقابلات التي تجرى مع الأفراد أو الجماعات أشكالاً خاصة من الاتصال التفاعلي ، كما تعد مقابلات البحث الاجتماعي وجماعات المناقشة (البؤرية) أشكالاً خاصة من المقابلات . ويتم تصميم المقابلات ، بصفتها هذه ، لتسهيل جمع بيانات البحث ، كما أن لها خصائص وتقنيات معينة لتمكن الباحث من أن يقوم بال مقابلة بنجاح وفاعلية . وتشتمل هذه التقنيات على نماذج الاستبيان (الفصل 3)، والمقابلة (الفصل 4)، والأدلة الخاصة بموضوعات جماعات المناقشة المركزية (البؤرية) (الفصل 5). كما تشتمل على تقنيات لحث المبحوثين على رواية قصصهم (الفصل 7).

غالباً ما ينظر إليك المبحوثون - بصفتك الباحث والقائم بال مقابلة - طالبين توجيههم إلى الطريقة التي يتوقع أن تسير المقابلة وفقاً لها، وطالبين التأكيد من أنهم يقدمون نوعية البيانات التي تحتاجها لبحثك. لذلك عليك أن تتذكر: أنك قد خططت المقابلة وأنك تعرف كيف ستتطور، بينما مبحثك لا يعرف إلا ما ذكرته له عن البحث والمقابلة. لذلك تأكيد من أن تشرح ما يجري بوضوح، وحاول أن تخبر فهم المبحوثين لحقيقة البحث وطبيعة المقابلة. وإذا سمحت لك الظروف، فيمكنك إنفاق بعض الوقت في خلق نوع من الألفة عن طريق التحدث عن موضوعات عامة، كالطقس مثلاً، أو عن انتقالك إلى هذا المكان الذي تجري فيه المقابلة، وذلك قبل أن تبدأ إجراء المقابلة، ثم اقض - أنت والمبحوث - وقتاً قصيراً معاً عقب انتهاء المقابلة بعد أن تكون قد أغلقت جهاز التسجيل، أو بعد فراغك من كتابة الملاحظات.

فك في الجو المحيط بإجراء المقابلة أو المخصص لالتقاء جماعة المناقشة المركزية، وفك في مدى المساعدة التي سقدمها هذا الجو للتفاعل بينك وبين مبحثك. فالناس يكونون أكثر رغبة في المشاركة والتواصل إذا كانوا يشعرون بالراحة وكانوا قادرين على تكريس كل انتباهم للمقابلة وما يجري فيها. فأنت تبحث - أساساً - عن مكان يناسب المبحوث ويتيح لك أن تقضي كل ما تحتاجه من وقت في المقابلة، لذلك يا حبذا لو أن هذا الوقت كان خالياً مما يقطع اضطرارها. وإن كان ممكناً، فرتّب مكان الكرسيين - إن كانت المقابلة فردية - بحيث تجلسان أنت والمبحوث وبينكم زاوية قائمة. إذ أن هذا الوضع يمكنكم كليكم - أنت والمبحوث - من التلاقي بالعيون ومن النظر بعيداً أثناء الكلام. ويستطيع هذا الوضع أن يكفل توافق تشكيلة متنوعة من المشاعر العميقة خلال الحوار الذي يجري أثناء المقابلة، كما أنه يستطيع أن يمكن المبحوث من التحدث بسهولة أكثر مما لو كان جالساً في مواجهة مباشرة مع الباحث عبر مائدة أو مكتب. وقد يكون من الأمور التي قد تدخل نوعاً من الخوف في نفس المبحوث أن تنظر إليه وتواجهه مباشرة، وذلك بالرغم من أنه إن كانت تجري المقابلة مع شخص ما في مكان عمل - مثلاً - فقد يكون ذلك التصرف ضرورياً.

وتطلب المقابلة مع جماعة المناقشة المركزية أو المقابلة مع جماعة من الأفراد تهيئة مكان كبير. تأكيد من توفر العدد الكافي من المقاعد لجلوس كل فرد من الحضور، ورتّب هذه المقاعد على هيئة دائرة أو حول مائدة. حاول التأكيد من أن كل شخص

يستطيع أن يرى ويسمع الآخرين جمِيعاً. تتحقق من توفر بعض الخدمات والمرافق التي قد يحتاج إليها المشاركون (المبحوثون)، كوجبات الطعام الخفيفة، أو المشروبات، ودورات المياه، وأماكن الانتظار وما أشبه ذلك. وإن كنت محتاجاً إلى لوحات يمكن تقليها، أو أقلام، أو غير ذلك من الأدوات والمعدات، فتحقق مما إذا كان بالإمكان توفيرها من عدمه، أو ما إذا كان عليك تدبير هذه الأدوات بمعرفتك. وعند استعمالك لإحدى الأدوات أو المعدات التي لست على دراية كاملة بها، فتأكد من أنك ستصل إلى مكان المقابلة في وقت يكفي للتحقق مما إذا كانت هذه المعدة تعمل قبل أن يصل أول مشارك في المقابلة. كن على استعداد للترحيب بالمشاركين لك في بحثك، وكن مهيناً للدردشة مع الشخص الأول أو الشخصين الأولين اللذين يحضران قبل غيرهما أثناء انتظارك لوصول الآخرين. ولا تتوارد الخبرة بالمشاركة في هذا النوع من النشاط إلا لعدد قليل من الناس، أما غالبيتهم فيحتاجون إلى شيء من إعادة طمأنتهم بشأن ما يجري في المقابلة.

تذكر أن المشاركين في البحث يبذلون وقتهم طواعية و اختياراً، وأنهم يستحقون منك تمام الانتباه والتقدير. أظهر لهم اهتمامك بهم من خلال تعليقاتك وإيماءاتك الشخصية، فانتبه لهم واصغ لما يقولون.

بعد التدوين الإيجابي للملحوظات بجانب الإصغاء من الأمور ذات الأهمية، خاصة إذا كنت تجمع بياناتك باستخدام المقابلات وجماعات المناقشة المركزية، و كنت غير قادر على تسجيل هذه البيانات بطريقة أخرى. وينبغي عليك أن تكون - خلال المقابلة - متفاعلاً مع الشخص الذي تجري معه المقابلة. ويشتمل هذا التفاعل على النظر إليه والإنصات له بجانب تدوينك للملحوظات. إذ إنه قد يكون من الأمور المزعجة في نظر الشخص الذي تجري معه المقابلة أن يواجه بباحث يقضى معظم وقت المقابلة وهو ينظر في أوراقه ويكتب كل كلمة قيلت. ويركز الباحث الناجح في مقابلته على الشخص الذي يجري معه المقابلة ويصغي إليه في نفس الوقت الذي يدون الملحوظات المتعلقة بال نقاط الأساسية التي أثيرت أثناء المقابلة، ثم يقوم بعد المقابلة بكتابية تقرير نهائي مفصل عن المقابلة معتمداً على هذه الملاحظات وعلى استرجاعه لحتوى المقابلة.

ومن النصائح المهمة أن تقرأ عن الطريقة التي تستخدمها في جمع البيانات، وأن

تخطط معمداً على مهاراتك الشخصية ومستعيناً بخبرتك التي تخزنها في ذهنك. وإن من الأمور النافعة أن تتدرب مع الأصدقاء أو الزملاء (على أداء دور مهام المقابلة) وأن تقوم بنوع من المحاولة الاستطلاعية لجمع البيانات إن كان ذلك ممكناً. حاول أن تتعلم من كل خبرة مستخدماً مفكراً يومياً لتدوين الأفكار والتأملات، أو مستعيناً بسجل المعلومات. وعليك بعد كل مقابلة، أن تتأمل فيما جرى وكان ناجحاً وموفقاً، وفيما كان يمكن أن يؤدي بصورة أفضل.

التسجيل الصوتي، وعلى أشرطة الفيديو

من الممكن أن تسجل بعض البيانات باستخدام جهاز التسجيل الصوتي أو كاميرا الفيديو، وإن كانت هذه الأجهزة متوفرة لديك، وتحل الخبرة اللازم لاستعمالها، فقد ترغب مثلاً في تسجيل جلسات جماعات المناقشة التي تتعامل معها، أو في تسجيل المقابلات الفردية، أو في النقاط فيلم فيديو عن موقف ما أو عن واقعة ما تمهدًا لتحليلها لاحقاً. وإن كانت خبرتك باستخدام أجهزة التسجيل هذه محدودة، فينبغي عليك أن تكون متنبهاً للوقت الذي تحتاجه لتعلم كيف تستعمل مثل هذا الجهاز بثقة وفعالية في جمع بياناتك. وقد تحتاج لتقدير مزايا وعيوب طريقة التسجيل الصوتي أو على شريط الفيديو، مقارنة بالطريقة الأخرى الخاصة بتدوين الملاحظات.

إن كنت تستخدم معدات تسجيل ينبغي عليك:

- أن تكون على دراية وذرية بهذه المعدات.
- وأن تضع الخطة للطريقة التي بها ستستخدم هذه المعدات في موقف جمع البيانات، مفكراً في المكان والزمان اللذين سيتم فيه جمع البيانات.
- تأكد من أن جهاز التسجيل وأى لوازم أخرى، كالبطاريات، أو أشرطة التسجيل، أو الميكروفونات، أو الحوامل ذات القوائم الثلاثة؛ تأكد من أنها ستكون متاحة عندما تحتاج إليها.
- تدرب مع الأصدقاء والزملاء على التحقق من أن هذه المعدات تعمل، وأنها مناسبة لموقف جمع البيانات.

استخدام معدات التسجيل لجمع البيانات الاجتماعية

الميزة الكبرى لاستخدام جهاز تسجيل هي أنه سينت逼 لك - كباحث - أن تأخذ معك تسجيلاً للواقعة لدراسته وتحليله. إذ يتوافر لديك نسخة من البيانات في الصورة التي أنتجت بها، على النحو الذي حدثت به هذه الواقعة. وبذلك تكون قادرًا على معالجة البيانات الخام عندما تبدأ عملية التحليل. ومع ذلك توجد قضايا أخرى لا بد أن تدخلها في اعتبارك، بما في ذلك قضية تأثير عملية التسجيل نفسها على جمع البيانات وعلى الأفراد الذين يُدلون بهذه البيانات، أي الأشخاص الذين تجري المقابلات معهم، أو الأفراد الذين تقوم بلاحظتهم.

لاحظ أن التسجيل الصوتي أمر يوافق عليه الكثيرون، إلا أنه من الضروري الحصول على الإذن منهم بالتسجيل، كما أن هناك من لا يرغبون في أن تسجل أحاديثهم (فصل 5 باب 1). وفي مثل هذه الحالة ستحتاج إلى إعداد طريقة بديلة لتسجيل هذه البيانات، والتي تكون - في العادة - طريقة تدوين الملاحظات. ولا بد أن يتابع للأفراد الذين تم مقابلتهم الحق في تغييرهم لآرائهم بشأن عملية التسجيل في أي لحظة أثناء المقابلة، كما ينبغي أن يكونوا على علم بمن سوف يستمعون إلى هذا التسجيل، ومتى وكيف سيتم التخلص من هذا التسجيل أو محوه. وهناك من الباحثين من يعيد تسجيل المقابلة الشخص الذي أجرى معه المقابلة عندما ينتهي البحث، أو في مرحلة أسبق من ذلك الوقت أحياناً ليطلب منه أن يتحقق مما إذا كان لديه أي شيء يضاف إلى ما قاله أثناء المقابلة.

إن من حسن التصرف أن تبين للشخص الذي تجري المقابلة معه كيف يوقف جهاز التسجيل إن كان لا يرغب في استمرار التسجيل. فقد يجد أحدهم أنه يتذرع عليه الكلام في بعض الموضوعات، وقد يفضل الكلام فيها ولكن بدون تسجيلها، وذلك على الرغم من أنه قد يظل موافقاً على استخدام هذه البيانات في البحث (وهو الأمر الذي ينبغي عليك التتحقق منه). وفي بعض الأحيان قد يحتاج أحد المبحوثين مجرد راحة قصيرة، وبعد دقائق قليلة يصبح مستعداً لبدء التسجيل من جديد ومواصلة المقابلة.

قد تكون مقابلة الجماعات أصعب في تسجيلها، كما أن من اللازم وجود ميكروفون ذي نوعية ممتازة لضمان تسجيل أصوات كل أعضاء الجماعة بوضوح. فإن حدث

تداخل بين المتحدثين المختلفين فقد يتعدد التمييز بين الأصوات . ورغم أن بيانات جماعات المناقشة المركزية (البُورِّيَّة) (الفصل 5) تعتبر بيانات جماعات أو بيانات جماعية وأن الأفراد المشاركين فيها لا يتم تمييزهم كأفراد في العادة ، فقد يكون من المفيد عند معالجة هذه البيانات أن تكون قادراً على تمييز الأصوات المختلفة . وإن كنت تأمل أن تكون قادراً على أن تفعل ذلك ، فقد يقتضي الأمر أن تحدث المشاركين على أن يتحدث كل واحد منهم في وقت لا يتحدد فيه أحد غيره .

يقتضي تسجيل المقابلة ألا يتشتت انتباه الباحث الذي يجري المقابلة بسبب اضطراره لتدوين الملاحظات . ومع ذلك ، ينبغي أن يظل الباحث منصتاً إيجابياً ، فيستمر متقدطاً للكلامات التي تقال ، وممعنا النظر فيما يقوله المبحوث ، ومستعداً لما يتناسب مع أسلوب المقابلة من متابعة وتعقيبات يسبر بها الباحث أغوار المبحوث أو توجيهه مزيد من الأسئلة التي يمكن أن تقوده إلى المزيد من المعلومات .

من الممكن أن يكون التسجيل الفيلمي بالفيديو لبيانات يشترك فيها عدد من الأفراد؛ أن يكون مصدراً مفيدة للبيانات التي تجري ملاحظتها . ومع ذلك فلا بد أن تكون منتبهاً للأثر الذي يحدثه هذا التسجيل على سلوك من يتم تصويرهم ، كما أنه سيكون من الضروري في بعض المواقف أن تحصل على موافقة جميع من يشملهم التسجيل (فصل 5 باب 1) . ويتوقف ذلك على ما إذا كانت ملاحظتك ظاهرة أو مستترة (الفصل 6) ، وعلى طبيعة الموقف الذي يجري تسجيله .

استخدام معدات التسجيل

تتوافر تشكيلة متنوعة من معدات التسجيل الصوتى والفيديو . ويتمثل الاختلاف الرئيسي بين نماذج الأجهزة فيما إذا كانت تسجل على الأشرطة أم تسجل رقمياً . وللت registrazione الرقمي عدد من المزايا حيث تحفظ هذه التسجيلات في صورة ملفات ، كما يمكن نقلها إلى الحاسب الآلي . ولكل عملية تسجيل مؤشر عددي أو توقيت ملخص بها ، مما يعني أنك تكون قادرًا على التنقل في نطاق عملية التسجيل هذه بسرعة وسهولة ، وأنك تستطيع كذلك أن تستعمل هذا المؤشر كوسيلة لإضافة العلامات التي تكون على شكل أعلام ، أو أسمهم تشير إلى مراحل معينة من التسجيل . ويمكن استخدام هذا المؤشر العددي في عملية التحليل (فصل 2 باب 4) . ومع أن للمسجلات ذات الأشرطة نظاماً عددياً أيضاً ، إلا أنها تكون أقل دقة ، كما أن استعمالها أكثر صعوبة عادة .

نسخ البيانات المسجلة

إن أردت أن تكون قادراً على معالجة ما سجله من بيانات في إحدى المقابلات أو في جمادات النقاش معالجة حرفية كاملة (كلمة كلمة)، فسيكون من الضروري نسخ كل مقابلة. وأعني بذلك أن تنقل البيانات السمعية إلى صورة مكتوبة. وهذا نشاط يستند كثيراً من الوقت ويقوم به الباحث بنفسه أحياناً، أو قد يقوم به ناسخ مدرب لقاء آخر. فإن كنت ترجو أن تنسخ بياناتك المسجلة بنفسك، فينبع أن تكون متقبلاً لحقيقة أن كل ساعة من التسجيل الصوتي يمكن أن تستغرق من ثلاثة إلى أربع ساعات لكي تنسخ في صورة مكتوبة.

ورغم أنه يمكنك أن تقوم بعملية النسخ مباشرةً من جهاز التسجيل عن طريق الإنصات إلى أجزاء صغيرة أو قصيرة من الكلام ثم كتابة الكلمات على الآلة وأنت تستمع إليها، فما نوصيك به أن ينما لك استخدام آلة ناسخة بقدر الإمكان. وهذه الآلة هي جهاز تسجيل يعيد تشغيل التسجيل في أجزاء قصيرة، مما يسمح بكتابية الكلمات على الآلة. ويساعد على تسهيل هذه العملية وجود بدائل يدار بالقدم وغيره من أجهزة التحكم في الآلة الناسخة.

فإن كان نسخ كل المقابلات يستغرق وقتاً طويلاً، فإننا نوصيك باتباع عملية تقوم على الإنصات إلى تسجيل كل مقابلة على حدة وتدوين ملحوظات مفصلة تحت عناوين رئيسية أو تحت أفكار محورية (أو موضوعات رئيسية) (فصل 4 باب 4)، بما تتضمنه هذه الملحوظات من مقتبسات حرفية لبعض الكلمات التي نطق بها المستجيب، والتي يتم فيها طرح قضايا وثيقة الصلة بموضوع البحث بصورة خاصة، أو يستعمل فيها المبحوث كلمات أو يعبر عن تصورات فكرية بطريقة تثير الاهتمام أو وثيقة الصلة بموضوع البحث.

مهارات التأمل

لاحظ أن جمع البيانات إنما هي عملية تعلم. إذ إن كل جزئية من أجزاء البحث تعد وبصرف النظر عن خبرة الباحث - شيئاً جديداً ومختلفاً. لذلك يحتفظ بعض الباحثين بذكريات يوميات للبحث طوال مدة إجراء البحث، ويستعمل غيرهم نموذج تسجيل يحوى ملاحظاتهم، وأفكارهم، وتأملاتهم الشخصية.

يمكن لسجل التعلم أو سجل المعرفة، أو لدفتر يوميات البحث أن يحقق واحداً من الأغراض التالية أو يحفظها كلها، وهي:

- توفير سجل لتصورات الباحث وأفكاره بشأن العملية البحثية. وقد يحتوى هذا السجل على الأفكار النظرية الأولية، وعلى الأفكار التي يقرر الباحث الرجوع إليها فيما بعد أثناء تنفيذ العمل، كما يشتمل على ما طرأ على تفكير الباحث أو خططه من تغييرات وعلى أسباب هذه التغييرات.
- توفير سجل مؤرخ بكل مرحلة من مراحل البحث، وبالقرارات التي اتخذت، والأنشطة التي أنجزت، وعملية البحث عن التراث المنشور في موضوع البحث، وأنظمة الترميز، والتحليلات التي أجريت.
- توفير سجل للاحظات الباحث الشخصية عن البحث أثناء تنفيذه: ما الذي يتحقق فيه بنجاح وبسبب ذلك، وما الذي يتغير؟
- توفير سجل للمعرفة التي تحصل عليها الباحث بنفسه من حيث: تحديد ما لديه من مهارات وأوجه قصور، ومشاعره المتعلقة بالبحث ويتقدمه في مراحله، ويتعلم من أخطائه ومن خبراته السارة وخبراته غير السارة؛ فيتعرف بذلك على الطريقة التي يتبعها في تحسين مستوى مهاراته وأدائه.

ويمكن أن يكون سجل التعلم أو دفتر اليوميات نافعاً كل النفع حينما يضاف إليه ما يضاف من الأفكار واللحظات بصورة منتظمة وحين يكون خاصاً بالباحث وحده، فلا يكتب فيه أحد غيره. وتهيئ كتابة سجل التعلم فرصة للتأمل الأمين (أى: الدقيق والنزيه غير المتحيز) في كل جوانب البحث وفرصة لتحديد الطرق التي ستتبع فيما بعد. وينبغي لهذا السجل أن يركز أساساً على الجوانب التي حققت نتائج إيجابية، وعلى سبب هذا النجاح، وذلك حتى تطبق هذه الدروس على جوانب العملية التي لا تسير مثل هذا السير الحسن. ويساعدك الوعي بأن إجراء البحث الاجتماعي عملية تعلم، خاصة إذا كان هذا البحث يجرى تنفيذه كجزء من برنامج دراسي؛ يساعدك الوعي بذلك على التعلم من خلال الخبرة والممارسة وعلى التعرف على جوانب قوتك وكذلك على المجالات التي تحتاج إلى تطوير وتحسين.

بحثك

ابداً دفتر يوميات بحثك

عُذ إلى قائمة مراجعة المهارات واستعمل النموذج أدناه للبدء في كتابة دفتر يومياتك.

موضوع البحث: ----- التاريخ: -----

الطرق الممكنة لجمع البيانات: -----

كيف أستطيع أن أطور وأحسن مستوى هذه المهارة؟	ما أوجه قوتي وأوجه قصورى فيما يتصل بهذه المهارة؟	مهارات ساحتاج إليها
		1
		2
		3
		4
		5

الفصل الثالث

الاستبيانات

محتويات الفصل

ما الاستبيان؟

- استخدام الاستبيانات في البحث الاجتماعي.
- اختيار المشاركين في مسوح الاستبيانات.
- الاستبيانات والقضايا الأخلاقية.
- الاعتبارات العملية.
- طبيعة بيانات الاستبيانات وأسلوب تحليلها.
- جودة البحث.
- المراجع وقراءات الاستزادة.

عن السياق

نعلم جميعاً ما الاستبيانات، أو - في أقل تقدير - نتصور أننا نعلم ما الاستبيانات لأنها شائعة للغاية في حياتنا اليومية. فقد ملأنا استبيانات عن شتى الموضوعات والقضايا المختلفة.

والاستبيانات كذلك أداة شائعة كل الشيوع بين الدارسين كوسيلة لجمع البيانات، وربما يرجع سبب ذلك إلى أنه يُنظر إليها باعتبارها وسيلة «سهلة» (والاستبيانات ليست كذلك). وفي هذا الفصل نتناول عملية وضع الاستبيانات ونتحدث عن مزايا وعيوب استعمالها.

ربما تكون الاستبيانات أكثر الطرق شيوعاً في جمع البيانات من المشاركيين في البحث. وقد تزايد استخدام الاستبيانات كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية بوتيرة سريعة خلال القرن العشرين، جنباً إلى جنب تطور التقنيات الإحصائية التي مكنت الباحثين من التعامل مع أعداد ضخمة من الحالات والمجموعات المعقّدة من البيانات. وكان أحد أوائل الاستبيانات التي استخدمت في المملكة المتحدة متمثلاً في الإحصاء الرسمي لعدد السكان (والذى أجرى لأول مرة سنة 1831). كان الموظفون القائمون بالتلعيم السكاني (العداؤون) يذهبون من باب إلى باب ومعهم استمارات يدونون فيها اسم كل واحد من السكان، وسنّه، ومكان ميلاده، ومهنته. ولا ريب أنهم كانوا يطرون مجموعة من الأسئلة عن كل رب أسرة لمساعدته على ملء هذا النموذج. وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كانت البيانات الواقعية عن الأفراد لا يتم جمعها فقط من جانب الحكومة، بل كانت تجمعها أيضاً الهيئات الصحية، والصناعية، والخيرية محاولة الوصول إلى معرفة المزيد عن الظروف الاجتماعية، خاصة ظروف الأفراد في الدين الصناعية (كما فعل ذلك هنري ما يهو H. Mayhew وشارلز بووث C. Booth، وسيموم راونترى S. Rowntree). ففي الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها توافرت الظروف التي دفعت إلى إجراء مسح العينات الكبيرة، والتي منها "المسح الجديد للحياة والعمل في لندن"، والدراسات التي تناولت البطالة، والإسكان، والصحة (بالمير Bulmer، 1982).

ما الاستبيان؟

- 1 - هو قائمة من الأسئلة لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات.
- 2 - هو استماراة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسياً، والمفنة نسبياً، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة.

كانت معظم البيانات التي جمعت في هذه المسوح المبكرة بيانات واقعية عن الأفراد وخبراتهم. ومع ذلك كان الباحثون الاجتماعيون يرغبون - أيضاً - في استكشاف

آراء الأفراد وقيمهم، كما بدأوا في تطوير طرق لقياس هذه الأمور مستخدمين مجموعة من الأسئلة. وأشهر هؤلاء الباحثين كان رنسيس ليكرت R. Likert، وهو عالم نفس أمريكي (1903 - 1981) كان مهتما بالتنظيمات الإنسانية. ويرجع إليه الفضل في تطوير ما أصبح يعرف باسم «مقياس ليكرت» (انظر موضوع «أنواع الأسئلة» في موضع لاحق من هذا الفصل) ليتمكن مبحوثيه من تقييم العبارات الدالة على الأفكار وتلك الدالة على الاتجاهات على امتداد مقياس ذي خمس نقاط (عادة)، تبدأ بعبارة «أوافق بقوة» وتنتهي بعبارة «أرفض بقوة». ومنذ ذلك الوقت طورت طرق أخرى لتقدير درجات العبارات، وذلك لاستخدامها على وجه الخصوص في الاختبارات السيكولوجية، وفي بحوث التسويق، وبحوث التقويم.

في نفس الوقت كانت بحوث التسويق تتتطور ويترافق استخدامها للاستبيانات كأدلة للتعرف على آراء الناس ورغباتهم. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، أنشئ «المسح الاجتماعي الحكومي» للقيام بمسوح واسعة النطاق لحساب مختلف الإدارات الحكومية، وهي المسوح التي أصبح من المعاد فيها استخدام استبيانات طويلة وتفصيلية. ونظرًا للتطور التقنيات الإحصائية ولظهور الحواسب الآلية، أصبحت التحليلات الأكثر دقة وعمقاً للبيانات أمراً ممكناً وميسوراً. وقد صممت بعض المسوح المقدمة ذات النطاق الكبير في أو أخر القرن العشرين، ومنها مثلاً «مسح الإنفاق الأسري» (والذي أصبح اسمه حالياً «مسح الإنفاق والغذاء»، والمتاح على موقع www.esds.ac.uk) government/efs/.asp، وكان آخر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009). بجانب «المسح العام للأسرة» (والمتاح على موقع www.statistics.gov.uk/satbase/prep/5756.asp، وكان آخر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009)، كما أن فرقاً من الباحثين ما زالوا يجررون المقابلات مع عينة من الأسر مستخدمين في ذلك استبيانات تفصيلية على مدار العام.

وقد أصبح من الشائع اليوم استخدام الاستبيانات على كل مستويات البحث الاجتماعي، ابتداء بالمشروعات البحثية المحدود النطاق كذلك التي يقدمها الطلاب والمشروعات البحثية على مستوى المجتمعات المحلية، وانتهاء بالمسوح الدولية الواسعة النطاق. والأمر المشترك بين كل الاستبيانات يتمثل في صياغة مجموعة من الأسئلة (وكذلك الإجابات) التي تساعد الباحث في الإجابة على أسئلة بحثه أو في اختبار فرضه البحثي.

ما الاستبيان؟

الاستبيان عبارة عن مجموعة من الأسئلة يمكن للمشاركين في البحث أن يجيبوا عليها بعدة طرق . ومعظم الاستبيانات مصممة لجمع البيانات المفتوحة (انظر قائمة المصطلحات) من قبل (فصل 3 باب 1 ، والفصل 4 باب 2) . ولهذا يحتوى الاستبيان على مجموعة من الإجابات التي يمكن للمبحوث أن يختار من بينها ، وذلك بالرغم من أن بعض الاستبيانات قد تحتوى على أسئلة مفتوحة (انظر قائمة المصطلحات) التي تسمح للمبحوث أن يجيب على السؤال بطريقته الشخصية . ويُطرح على جميع المبحوثين نفس الأسئلة ، وبنفس الترتيب ، وباستخدام نفس العبارات ، كما يكون أمام كل سؤال عدة إجابات يجرى الاختيار من بينها .

البحث الواقعى

النوع العشري للسكان (أى كل 10 سنوات)

فى المملكة المتحدة يتم إجراء تعداد سكاني كل عشر سنوات . وقد أجرى أول تعداد سكاني عام 1831 ، ثم ظل ينكرر تنفيذه كل عشر سنوات (باستثناء عام 1941 ، لأنها حلّت أثناء الحرب العالمية الثانية) وحتى وقتنا الحاضر . وأجرى آخر تعداد سكاني فى يوم 27 مارس 2011 .

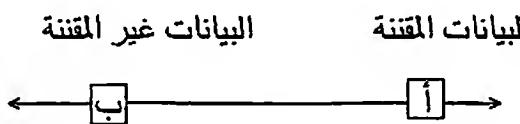
والنوع العشري للسكان عبارة عن مسح لجميع الأسر والأفراد فى البلاد ، وذلك بهدف توفير الإحصائيات التى تستفيد بها الحكومة كما أنها تكون متاحة كذلك - فى الغالب - لمؤسسات وهيئات أخرى ، بما فيها المنظمات الصناعية والتجارية . للاطلاع على تاريخ التعداد السكاني ، انظر موقع www.ons.gov.uk/census/census-history/index.html

يعتبر هذا النوع العشري للسكان استبياناً كبيراً يسلم لكل بيت فى بريطانيا (يوجد نظام معقد لمساعدة الأفراد الذين يجدون صعوبة فى استيفاء بيانات هذا التعداد وحدهم) . ويستخدم التعداد السكاني من جانب الحكومة - خاصة - لخدمة أغراض رئيسية ثلاثة هى :

- ١ - مراقبة حجم السكان، وتركيبهم، وأعمارهم، وانتماءاتهم الإثنية ... إلخ.
- ٢ - تحطيط عمليات توفير الخدمات في المستقبل.
- ٣ - مراقبة أساليب تقديم الخدمات حالياً، ومراقبة السياسات المتبعة.
- ومع ذلك فإنه يعد أمراً استثنائياً لسبعين هما:

- أن استيفاء التعداد إلزامي بحكم القانون. وهذا معناه أن قضية معدلات الاستجابة الضعيفة كان ينبغي ألا تثور^(*) (في الوقت الحالى يغزم من يقترون في استيفاء التعداد السكاني مبلغ ألف جنيه استرلينى - حوالي عشرة آلاف جنيه مصرى).
- العينة والسكان متماثلان (فصل 5 باب 2). وهذا أمر استثنائى للغاية، وذلك بسبب ضخامة الحجم (الذى يتجاوز فى بريطانيا ستين مليون نسمة) وبسبب ضخامة الموارد اللازمة لتنفيذ ذلك.

(*) الإشارة إلى تعبير «المليون المفقودون» إذ قصر حوالي مليون فرد في استيفاء التعداد السكاني الذى أجرى عام 1991 (انظر مثلاً موقع www.independent.co.uk/news/uk/missing-million-indicates-poll-tax-facto-in-census1557887.html) ويقال إن سبب ذلك يرجع إلى أن الحكومة كانت تخطط لفرض ضريبة على الناخبين، وأن هؤلاء المليون كانوا يعتقدون أنهم إن لم يسجلوا في التعداد السكاني فسوف يفلتون من الخضوع للضريبة.



البيانات المقنة وغير المقنة:

- أ - معظم الاستبيانات تحوى إجابات مقننة.
- ب - بعض الاستبيانات بها بعض الأسئلة المفتوحة التي تجمع بيانات شبه مقننة.

الشكل (1-3) : الاستبيانات على متصل البيانات المقنة وغير المقنة

نظراً لأن البيانات تكون في شكل موحد قياسياً، فإن بالإمكان عدّها ومعالجتها كبيانات تم ترميزها (مكتوبة) أو بيانات رقمية. وأياً ما كان الأمر، فإن هذا معناه أن تصميم الاستبيان هو أهم مرحلة، إذ إن التصميم هو الذي يحدد كلّاً من الأسئلة والإجابات التي يتوجب على الباحث معالجتها في نهاية الأمر. فإذا طرحت الأسئلة غير المناسبة - أو أعطيت المبحوث مجموعة من الإجابات غير المناسبة - فلن تجمع البيانات التي تريدها وتحتاج إليها للإجابة على سؤال بحثك. إن صدق استبيانك - أي التأكد من أنك تجمع البيانات التي تتصور أنك تجمعها - أو صدق أداة البحث (انظر الفصل الأول) هي إحدى قضايا جودة البحث الأساسية التي يجبأخذها بعين الاعتبار (انظر فقرة: «اختبار جودة البحث» لاحقاً في هذا الفصل).

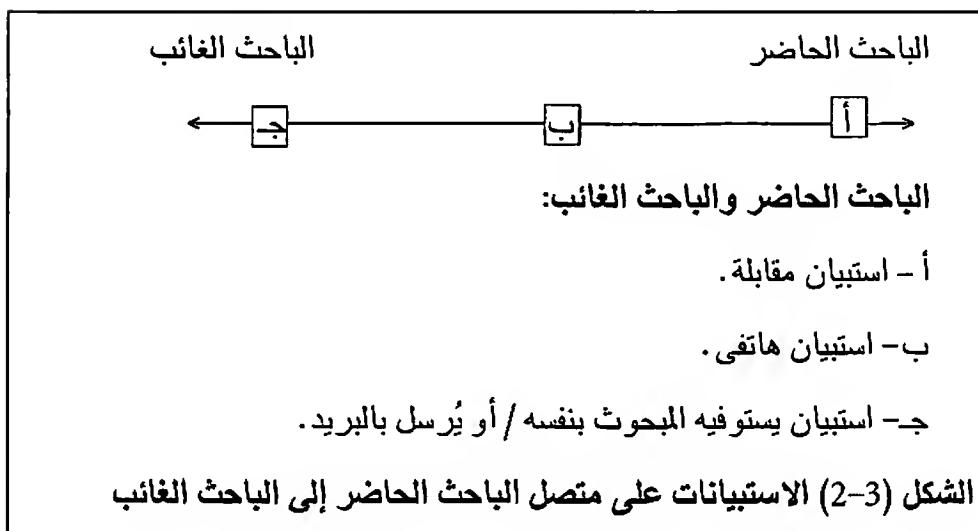
والاستبيان - كما يدل عليه اسمه - عبارة عن مجموعة من الأسئلة، من قبيل:

- هل تعيش في الحي السكنى «ليدى وود»؟
- كم عدد الأطفال دون 16 سنة الذين يعيشون معك؟
- ما مدى رضاك عن الخدمة التي يقدمها المركز资料 فى حي السكنى؟

إلا أن نماذج جمع البيانات التي لا تحتوى على أسئلة بل تسأل عن معلومات، يمكن اعتبارها - هي الأخرى - استبيانات لأن لها سمات مشابهة للاستبيانات. فهذه النماذج يمكن أن تحتوى على استمارات أو نماذج تجمع عدداً من المعلومات عن شخص معين أو موقف ما، ومنها مثلاً النماذج المصممة لتسجيل التحصيل الدراسي للطالب، أو أعداد ونوعيات الأفراد العاملين في موقع معين، أو السمات الشخصية المميزة للأفراد العاملين في موقع معين، أو السمات الشخصية المميزة للأفراد أعضاء ناد معين، أو المعلومات المستقاة من بعض الوثائق. وتستخدم النماذج أيضاً في تسجيل الملاحظات، ومن أمثلتها: عدد الأفراد الذين يتناولون الطعام بمفردهم في أحد المطاعم، أو عدد المرات التي يبتسم فيها كل شخص، أو عدد المرات التي يتحدث فيها الطالب في سيمينار (حلقة المناقشة) (الفصل السادس). وتشتمل هذه النماذج التسجيلية على أسئلة بشكل ضمني، وهي بهذه الصفة تتسم بخصائص مشابهة لخصائص الاستبيان.

ويمكن استخدام الاستبيانات بعدة طرق. فأحياناً يستخدم أحد الاستبيانات كأساس لقابلة. وبذلك يوجد شيء من التفاعل بين المبحوث والباحث (أو الشخص الذي يجري

المقابلة). وقد تكون هذه المقابلة مباشرة، أو بواسطة الهاتف، أو عبر البريد الإلكتروني (الإيميل). وفي مواقف أخرى يصم الاستبيان كاستبيان يستوفيه المبحوث بنفسه دون حضور الباحث بشخصه. وقد يسلم الباحث بنفسه الاستبيان للمبحوث، أو يرسله بالبريد العادي أو بالبريد الإلكتروني، أو يضعه على الإنترنت (الفصل العاشر). وأياً ما كان الأمر، وأياً كان الموقف الذي يجبر فيه المبحوث عن الأسئلة، فإن هذه الأسئلة تكون موحدة ويكون اختيار من بين الإجابات موحداً أيضاً. وإن استخدم الاستبيان مقابلة، فلا بد - حينئذ - أن يقرأ الشخص الذي يجري المقابلة الأسئلة والإجابات بنفس الطريقة لكل فرد من يقابلهم، وعليه ألا يقدم للمبحوث مساعدة إضافية من عنده، أو أى إشارات تتحثه على الإفاضة في الكلام، أو تعليقات لأن هذا قد يؤثر على الطريقة التي بها يسمع المبحوث الأسئلة ويجب عليها. الواقع فعلاً أن التفاعل بين القائم بالم مقابلة والمبحوث يكون مقصوراً على الأسئلة والإجابات.



استخدام الاستبيانات في البحث الاجتماعي

تستخدم الاستبيانات على نطاق واسع في مواقف البحث الاجتماعي، وفي اكتشاف المعلومات عن جميع أنواع القضايا والظواهر الاجتماعية. ورغم أن الاستبيانات مفيدة خاصة في جمع البيانات الواقعية، والتي منها مثلاً: أعمار الأفراد، أو نوعهم، أو

دخولهم، أو انتفاعهم بالخدمات؛ فإنه يمكن كذلك استخدامها في جمع آراء الأفراد، وأفكارهم واتجاهاتهم، ومعارفهم، وخبراتهم. لذلك يجب ابتكار الطرق المختلفة لطرح الأسئلة التي تمكن الباحث من جمع هذه البيانات التقييمية (فصل 3 باب 1)، وسوف نمعن النظر فيما بعد في بعض الاتجاهات والأساليب التي قد تأخذ بها.

وغالباً ما يتم اختيار الاستبيانات لجمع البيانات في تصميم بحثي مقطعي (مقارن) أو طولي (تتبعي) (فصل 3 باب 2)، وحين تجمع البيانات من إحدى العينات (فصل 5 باب 2) المختارة من مجموعة أو مجتمع أكبر. وقد يكون غرض البحث عقد المقارنة بين خصائص وخبرات مجموعات مختلفة من الناس أو البحث عن العلاقات القائمة بين هذه الخصائص المختلفة (فصل 3 و 4 باب 2).

البحث الواقعى

المسح البريطاني للجريمة

تم تنفيذ المسح البريطاني للجريمة على فترات زمنية منذ سنة 1982 (ويتم تنفيذه سنوياً منذ العام 2001). وهو أحد المسوح المقطعي الكبير في إنجلترا وويلز. ويقوم بتنفيذة حالياً «المكتب البريطاني لبحوث التسويق» لحساب وزارة الداخلية. وهذا المسح مصمم للتعرف على مدى انتشار وطبيعة الجريمة في إنجلترا وويلز (ويتم تنفيذ مسوح مشابهة بصورة عارضة في اسكتلندا وأيرلندا الشمالية). وهو يطرح على الأفراد أسئلة تتعلق بخبراتهم عن الجريمة (بما فيها جرائم الأموال وجرائم العدوان على الأشخاص) خلال العام السابق على إجراء المسح. ويشمل هذا المسح الجرائم التي لم تبلغ للشرطة، كما أصبح هذا المسح بعد أداة جيدة لتقدير المدى الحقيقي لانتشار الجريمة ولطبيعتها. كما تم تضمينه عدة أسئلة تستهدف الكشف عن آراء المستجيبين في السياسات الحكومية والقانونية الراهنة المتعلقة بالجريمة.

العينة: يتم سنوياً تغطية ما يقرب من 40.000 شخصاً من تتجاوز أعمارهم 16 سنة.

الاستبيان: يتولى مهمة استيفاء الاستبيان المسحى مجموعات من الباحثين الذين يقومون بتوجيهه معظم الأسئلة إلى أفراد العينة. ويتم إدخال الإجابات في جهاز حاسب آلى محمول (لاب توب) أثناء إجراء المقابلة. ويترك لأفراد العينة قسم يسخونه بأنفسهم ليجيبوا عليه بمعرفتهم على الكمبيوتر. ويشمل هذا الجزء أسئلة تتعلق بالسلوك الشخصى للمستجيبين، بما فى ذلك سؤالهم عما إذا كانوا قد تعاطوا عقاقير محظورة قانوناً. وعن مقدار المشروبات الكحولية التى يتناولونها. (الاستبيان الخاص بالمسح البريطانى للجريمة للعام 2007-2008 متاح على الموقع التالى: www.data-archive.ac.uk/doc/60666/mrdoc/questionnaire-pdf وقد تم آخر دخول عليه فى 15 أغسطس 2009).

وكما هو الحال مع غيره من المسوح الكبرى العديدة، فإن معلومات وتقارير ونسخ هذه الاستبيانات متوافرة فى "إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية" (على موقع www.esdc.ac.uk/about/abou.asp وقد تم آخر دخول عليه فى 15/8/2009). كما أن البيانات المستقة من "المسح البريطانى للجريمة" متاحة لإجراء التحليلات الثانوية عليها، لدى إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية.

مزايا استخدام الاستبيانات فى جمع هذه البيانات

- تكون البيانات التى يتقرر جمعها فى شكل موحد قياسياً.
- يتطلب الأمر إجراء مسح واسع النطاق للتأكد من تغطية مجموعة كبيرة من الأفراد والخبرات، وضمان تعميم النتائج على مجموع مجتمع البحث.
- معظم البيانات التى يتم جمعها واقعية.
- استخدام نفس الأسئلة سنة بعد سنة يتيح فرصة عقد المقارنات على مدى الزمن (تاريخياً)، وكذلك مقطعاً (بين الفئات والشرائح المختلفة).
- يمكن إدخال البيانات فى حاسب آلى، وبذلك تكون جاهزة للتحليل الإحصائى.

اختيار المشاركين في مسوح الاستبيانات

تستخدم الاستبيانات عادة عندما يتم سحب عينة عشوائية من مجموعة سكانية، أو عند استعمال عينة حصبية. وتتوقف مواصفات العينة المختارة على سؤال البحث وعلى طبيعة البيانات الجارى جمعها. ومع ذلك فمن الشائع جداً أيضاً استخدام الاستبيان فى أغراض أخرى ، منها مثلاً: جمع المعلومات عن سائر الأفراد الذين يشهدون حدثاً أو واقعة معينة أو من لهم وضع صحي معين يحتاج لمعالجة طبية. وفيما يتصل بحجم العينة، تذكر في هذا الشأن نقطتين رئيسيتين هما:

(أ) إن كانت العينة عينة عشوائية مسحوبة من مجموعة سكانية، فمن الضروري إدخال الحجم فى الاعتبار مع التأكيد من أن الجماعات الصغيرة العدد ممثلة بصورة كافية.

(ب) وإن لم تكن العينة عشوائية، فتأكد من أن المجموعات التي تزيد عقد المقارنة بينها متضمنة في العينة بأعداد كافية (الفصل 5 باب 2).

البحث الواقعى

باحثو المجتمع المحلى

اهتم عدد من نشطاء المجتمع المحلى في إحدى المناطق المحرومة بسبب افتقار الكبار والصغار لأنشطة قضاء وقت الفراغ داخل هذا الحي السكنى. كما كان هؤلاء النشطاء يدركون أيضاً أن المعلومات المتعلقة بالأنشطة والخدمات المحلية لا تصل دائمًا إلى من هم في حاجة إليها.

لهذا وضع هؤلاء النشطاء استبياناً موجزاً اشتمل على أسئلة عن:

- الاستعمال الحالى للمرافق المخصصة لقضاء وقت الفراغ، ونوادى الحي السكنى، والأنشطة التى يقوم بها الكبار وأطفالهم (إن كان لديهم أطفال دون 16 سنة).

- مقياس لرصد درجة رضاهם عن مرافق وقت الفراغ الموجودة في هذه المنطقة.
 - أنشطة وقت الفراغ التي يحبونهم (وأطفالهم) أن ينال لهم ممارستها في هذا الحي السكني.
 - الطرق التي يتبعها الأفراد في التعرف على ما في هذه المنطقة من أنشطة ومسابقات اجتماعية ورياضية.
 - استعمالهم لأسكال الاتصال المختلفة: كالملصقات، والكتيبات، والصحف، والإنترنت، والإذاعة المحلية.
- أدرج في الاستبيان سؤالاً مفتوحاً للسماح للمستجيبين بطرح أفكارهم وأرائهم الشخصية. فإن أبدى الفرد المختار ضمن العينة رغبة في الإجابة على الاستبيان ساعده باحثو المجتمع المحلي على استيفائه باستخدام الاستبيان كمقابلة.

قام الباحثون باستخدامهم لعينة حصبية وفقاً لسمات: العمر، والجنس، والانتماءات الإثنية الموجودة داخل هذا الحي؛ قاموا بتوزيع الاستبيان الذي يستوفي المستجيب بنفسه في عيادات الأطباء، وفي المدارس الواقعة في أطراف الحي، وفي المركز التجاري، والمركز الاجتماعي، وفي أثناء الاحتفال المحلي المسمى "يوم اللهوا والمرح". وكان هدف هذه المجموعة من النشطاء الحصول على 100 استبيان مستوفى الإجابات.

مزايا استعمال الاستبيان

- يمكن الاستبيان لهذه المجموعة من جمع البيانات من طائفة من الأفراد بأسلوب موحد قياسي، مما يجعل من السهل تحليلها.
- يمكن تصميم الاستبيان بحيث يسهل استيفاؤه في مواقف متنوعة.
- نظرًا لقلة الموارد التي كانت متاحة لهذه المجموعة من النشطاء، كان الاستبيان أكثر الطرق فعالية في جمع البيانات من طائفة متنوعة من الأفراد الذين يعيشون في هذه المنطقة.

الاستبيانات والقضايا الأخلاقية

من الممكن أن يكون الاستبيان غُللاً من ذكر اسم المستجيب ، وليس من الضروري دائمًا الحصول على اسم أو على سمة مميزة تتيح التعرف على المستجيب . فإن أردت الحصول على اسم المستجيب ، فلابد أن يكون لديك سبب وجيه لهذا التصرف ، فربما تكون راغباً في الالقاء شخصياً مع بعض مستجيبيك لتنفيذ مرحلة تالية للبحث . ومع ذلك لابد أن تحرص على لا يكون من الممكن التعرف على الأفراد أو الجماعات الصغيرة العدد عند عرض نتائج بحثك . فإن كنت تتوى أن تحمل نتائجك عن طريق عقد المقارنة بين آراء الأفراد ذوى الأعمار المختلفة والمهن المختلفة مثلاً ، يتعين عليك أن تتأكد من أن لديك من الأفراد في كل مجموعة صغيرة (عمرية أو مهنية . . . إلخ) العدد الذى يكفى لتمثيل تلك المجموعة ، ولتجنب التعرف على هوية أفراد من العينة .

من الممكن أن تكون الاستبيانات ذات طابع استبعادي ، فالاستبيان الذى يملؤه المستجيب بنفسه يستبعد الأفراد الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، وكذلك الأفراد الذين لا يتحدثون باللغة التى كتب بها الاستبيان . كما سيسبعد كل من ليس لديهم بريد إلكترونى أو هاتف من الاستبيانات المرسلة إلكترونياً أو المنفذة عبر الهاتف . ولهذا يجدر بك أن تأخذ فى اعتبارك بعض الوسائل البديلة لاستيفاء الاستبيانات الخاصة بأمثال هؤلاء الأفراد . ولا بد أن تكون التعليمات والإرشادات والمعلومات المذكورة فى الاستبيان واضحة ، لكي تضمن أن الأفراد يستطيعون ملأها على وجه صحيح . وإن كان الباحث حاضراً فى الوقت الذى يستوفى فيه الاستبيان ، فلابد أن يكون التعريف به واضحًا ، كما ينبغي التتحقق من فهم المستجيب له . وعليك التزام الحذر فى صياغة عبارات الأسئلة بحيث لا يفهمها المبحوث بوصفها أسئلة تتضمن أحكاماً أو أسئلة تمس أموراً حساسة ، ولكنك يستطيع الأفراد أن يجibوا عليها من غير حرج أو خجل . ففي المثال الخاص "بالمسح البريطانى للجريمة" ، الوارد في برواز "البحث الواقعى" أعلاه ، والذى يتولى فيه المبحوث الإجابة عن معظم الأسئلة؛ في ذلك المثال كان يسلم لكل مستجيب "لاب توب" (حاسوب محمول) حتى يدخلوا فيه بأنفسهم إجاباتهم عن الأسئلة الحساسة التي تتعلق بتعاطي المخدرات وشرب الخمر . وإن كان الباحث حاضراً في وقت ملء الاستبيان ، فلابد من مراعاة علاقات القوة بين الباحث والمستجيب (فصل 5 باب 1) بحيث تتأكد من أن المستجيب لم يقع تحت ضغط لكي يشارك في الإجابة على الاستبيان أو لكي يدللي بإجابات معينة .

الاعتبارات العملية

تصميم الاستبيان

تصميم الاستبيان هو أهم مرحلة في هذا النوع من البحوث لأنّه بمجرد تصميمك للبحث تكون قد حددت الأسئلة والإجابات، كما أنك لن تكون قادرًا على التراجع والحصول على المزيد من المعلومات. فلا بد أن تكون واثقًا من أن الأسئلة التي تطرحها سوف تتمكنك من جمع البيانات التي تحتاج إليها. وفي هذه الحالة يتبعك أن ترجع إلى تعريفاتك الإجرائية. كيف تطرح مجموعة من الأسئلة من شأنها أن تبين لك ما إذا كان شخص ما سعيدًا أم غير سعيد؟ أو هل أمضى هذا الشخص عطلة ممتعة؟ أو حتى ما إذا كان قد تناول - فعلاً - من الطعام ما قال إنه تناوله؟

لهذا ينبع تصميم الاستبيان بقطفين اثنين في الآن معاً، هما: رسم خطة للطريقة التي ستتبعها في قياس وجود شيء ما، والاعتبارات العملية المتعلقة بالتوصل إلى مجموعة من الأسئلة والإجابات التي من شأنها أن تتمكنك من تحقيق ذلك، ومن شأنها كذلك أن تكون مفهومه لجميع مستجيبيك وقابلة للإجابة عليها.

بحث

يتطلب تفكيرك في موضوع بحثك وتصميم الاستبيان اللازم لجمع البيانات الإجابة على ما يلي:

- ما الذي ترید معرفته؟
- من هم الذين سيكونون قادرين على الإجابة عن الأسئلة؟
- هل سيفهمون هذه الأسئلة؟
- كيف سيجيبون على هذه الأسئلة؟
- هل سيكونون قادرين على الإدلاء بالإجابات التي يريدون إعطاءها؟

الأنماط المختلفة للبيانات

يصمم الاستبيان عادة لجمع أنواع مختلفة من البيانات التي تتضمن:

- بعض الحقائق المحددة عن بعض الأفراد أو الأحداث.
- بعض الأوصاف التي يدلّى بها الأفراد لأمر ما حدث لهم مثلاً.
- المعرفة: أي ما يعرفه هؤلاء الأفراد عن أمر ما.
- الآراء: ما آراؤهم في أمر ما عايشوه أو يعرفون عنه شيئاً؟
- الاتجاهات والقيم: اتجاهاتهم إزاء غيرهم من الأفراد، وإزاء بعض المؤسسات، وبعض الأفكار، وما أشبه ذلك.
- المعلومات المتعلقة بخلفية المستجيب: (أي عن بيئته الاجتماعية والثقافية) والتي قد تكون مرتبطة بموضوع البحث.

الأنماط المختلفة للإجابة

تشتمل الاستبيانات على طرق إجابة الأسئلة وعلى طرق لطرحها. وهاتان المجموعتان من الطرق متراقبتان بشكل واضح، فالطريقة التي يُطرح بها السؤال ستحدد نطاق الإجابات التي يتبعين على المستجيب أن يختار من بينها. وفي الوقت الذي قد يbedo فيه أن هذه الحقيقة واضحة، قد لا يكون واضحًا بصورة مباشرة أنك عند قيامك بتصميم الاستبيان يتوجب عليك أن تستحضر في ذهنك البيانات التي ستجمعها، وكذلك الأسئلة التي يتبعين عليك طرحها لتتحصل على تلك البيانات. ويلاحظ أن طبيعة البيانات التي تجمعها هي التي تقرر مدى قدرتك على معالجتها حينما تصل إلى مرحلة التحليل. ونورد فيما يلى الأنواع الرئيسية للإجابات - أو البيانات - التي ستتحصل عليها من الاستبيان:

- عن الكمية مثل : عدد المرات ، أو عدد الأشقاء ... إلخ .
- عن الفئة مثل : الفئة العمرية من 16 - 25 سنة ، أو فئة العمالة ، كالعامل اليدوى مثلاً ... إلخ .

- إجابات تختار من بين قائمة من الإجابات المحتملة، مثل: نعم / لا / لا أدرى ... إلخ.
- موقع الإجابة على مقاييس ما مثل: مقاييس ليكرت الذي يبدأ بعبارة "راض جداً" أو موافق بشدة"، وينتهي بعبارة "سخط جداً" أو "رافض بشدة" وهكذا ...
- موقع الدرجة أو الرتبة مثل: اختيارك الأول، أو اختيارك الثاني ، .. إلخ.
- البيانات المفتوحة: وهي الإجابات مكتوبة بالكلمات التي نطق بها المستجيبون .

أنواع الأسئلة

هناك عدة طرق مختلفة لطرح أي سؤال تقريباً. والأسئلة التالية مجرد جزء من أشيع الأسئلة استخداماً في الاستبيانات:

نعم / لا : يبحث أبسط الأسئلة عن إجابة بكلمة "نعم" أو كلمة "لا" ، وهو يستخدم كطريقة للتمييز بين مختلف جماعات وفئات المستجيبين . ولا مجال - أساساً - لطرح سؤال يُجاب عليه "نعم" أو "لا" إن كان من الراجح أن جميع المستجيبين سيجيبون بوحدة من هاتين الإجابتين دون الأخرى ، وذلك ما لم تستخدم هذا السؤال كسؤال للتحقق والمراجعة تقصد به التأكد من أنك قد ظفرت بالمستجيبين الذين ترغب في الحصول عليهم . وينبغي أن يكون جميع مستجيبيك قادرین على الإجابة بكلمة "نعم" أو "لا" ، إلا أنه مما نوصيك به أن تضيف فئة "لا أدرى" أو "لا ينطبق" ، لكي يختاره من المستجيبين من يكون غير قادر على الإجابة على هذا السؤال بنعم أو لا . وفي المثال التالي ، من الممكن أن يكون المستجيب غير موجود في بيته أثناء السنة أشهر الماضية لأنه كان راقداً في المستشفى .

هل كنت غائباً عن بيتك في عطلة لمدة أسبوع أو أكثر أثناء الشهور الستة الأخيرة؟

- | | |
|--------------------------|----------|
| <input type="checkbox"/> | نعم |
| <input type="checkbox"/> | لا |
| <input type="checkbox"/> | لا ينطبق |

أى الفئات ؟ كم العدد ؟ ما المقدار ؟ من المحتمل أنك سترغب في طرح أسئلة عن المستجيبين أنفسهم أو عن أحد المواقف . وهذه البيانات الواقعية (عادة) يتوجب جمعها بطريقة تجعل من السهل على المستجيبين تقديم هذه البيانات بشكل دقيق .

(أ) ما عمرك ؟ من فضلك ضع علامة (✓) على الفئة العمرية التي تنتمي إليها .

- | | |
|--------------------------|----------------|
| <input type="checkbox"/> | من 16 - 25 سنة |
| <input type="checkbox"/> | من 26 - 40 |
| <input type="checkbox"/> | من 41 - 60 |
| <input type="checkbox"/> | فوق 60 سنة |

(ب) يهمنا أن نعرف المزيد عن الأشخاص الذين يقضون العطلة معك . من فضلك حدثنا عن الأشخاص الذين أمضوا العطلة الأخيرة معك .

الأشخاص	العمر آخر عيد ميلاد	الجنس (أرجو وضع دائرة)	علاقة الشخص بك ، مثلًا: طفلك ، أو شقيقتك ، أو صديقتك ، أو شريك حياتك ...
	1	ذكر/أنثى	
	2	ذكر/أنثى	
..3		ذكر/أنثى	

عند السؤال عن هذه المعلومات ينبغي عليك التفكير بحرص في سبب حاجتك لهذه المعلومات ، وفي كيفية استخدامك لها . وهذه النقطة وثيقة الصلة بموضوعنا ، خاصة إذا كنت تسأل عن معلومات يمكن أن تكون حساسة ، لأن تكون متعلقة مثلاً : بالجامعة العرقية للشخص ، أو بدينه ، أو بدخله . وتستخدم المنظمات التي تجمع هذا النوع من البيانات كجزء من المعلومات الخاصة بحالة العمل أو الصحة مثلاً؛ تستعمل هذه المنظمات مجموعات موحدة قياسية من الفئات ، كما أنك قد تكون قادراً على الانتفاع بها . (يمكنك معرفة المزيد من المعلومات عن الأسئلة المتعلقة بهذه الموضوعات والمستخدمة في التعداد القومى لسنة 2001 على موقع www.statistics.gov.uk/about/_ethnic_group وتم آخر دخول على الموقع يوم 15 أغسطس 2009).

ومع ذلك فإن أول سؤال يتوجب عليك كباحث أن تطرحه - وفي ذهنك أسئلة بحثك - يتعلّق بما إذا كنت تحتاج إلى هذه المعلومات عن مستجيبك أم لا . فإن كنت تحتاج فعلاً لهذه المعلومات ، فمن اللازم أن تشرح في الاستبيان سبب طرحك لهذا السؤال ، وأن تعطى مستجيبك الفرصة لاختيار عدم الإجابة عليه . وضع في اعتبارك أنه إن لم يجب على هذا السؤال عدد "كبير" من مستجيبك ، فقد لا تستطيع - في النهاية - الانقاص بالبيانات المستمدّة من هذا السؤال في تحليلك . كما أن مجرد طرح هذا السؤال قد يدفع بعض الأفراد إلى رفض المشاركة في بحثك .

كما ينبغي أن تفكّر بعناية في الفئات أو التصنيفات التي سوف تستخدمها مستقبلاً . فعليك مثلاً أن تفكّر - عند تصميمك لسؤال عن عمر المستجيب - أن تفكّر في مدى احتياجك مستقبلاً لاستخدام هذه المعلومات في تحليلك . فإن كنت لم تستقر بعد على الفئات العمرية التي ستحتاج إلى معالجتها ، فقد يكون من الأفضل أن تسأل المبحوث عن عمره في آخر عيد ميلاد له ، بدلاً من أن تطلب منه أن يضع نفسه في مجموعة عمرية معينة . على أنك قد تضطر إلى تأجيل تصنيف هذه البيانات إلى مرحلة التحليل (فصل 2 باب 4) . لذلك يجدر بك عند بلوغك هذه المرحلة أن تفكّر في الفئات العمرية التي تفيدك في بحثك .

فكرة في هذا الموضوع . . .

الفئات العمرية

لاحظ أن مجموعاتك العمرية قد تكون - أو قد لا تكون - متساوية في طولها . وهذا يتوقف على الكيفية التي ستستخدم بها هذه الفئات العمرية وإلى أي مدى ترتبط هذه الفئات بأسئلة بحثك .

إذن كنت مهتماً بسؤال المراهقين عن خبراتهم بالمدرسة فمن المحتمل أنك ستحتاج إلى سؤالهم عن السنة الدراسية المقيدن بها ، بدلاً من سؤالهم عن أعمارهم .

وإن كنت مهتماً مثلاً بمدى تأثير البطالة على الأفراد في المراحل المختلفة من حيواتهم ، فيتوسعك أن تختار مجموعاتك العمرية بحيث تتوافق مع تلك المراحل ،

كأن تختار مثلاً المجموعة العمرية من 16 - 25 سنة، ومن 26 - 40 سنة، ومن 41 - 50 سنة، ومن 51 - 65 سنة، وفوق 65 سنة.

ما في نظرك سبب اختيارنا لهذه المجموعات العمرية؟

الاختيار من بين مفردات قائمة ما : إذا كانت هناك مجموعة من الإجابات تزيد من المستجيبين الاختيار من بينها ، فمن الشائع وضع هذه الإجابات في قائمة ومطالبة المستجيبين أن يختاروا إجابة أو أكثر ، أو أن يضعوا علامة على ”كل الإجابات التي تنطبق على اختيارهم“ . فكر بعناية في : ما المعلومات التي تزيد الحصول عليها من وراء توجيه السؤال . وكثيراً ما يدرج في الاستبيان فئة إضافية عنوانها ”آخر/ أو أخرى“ حتى يستطيع المستجيبون إضافة أي إجابات أخرى يشعرون أنها لا تناسب مع الفئات التي قدمتها لهم ليختاروا من بينها ، وذلك كما هو مبين في المثال الأول أدناه . أما المثال الثاني فلا يتاسب مع إدراج الفئة التي عنوانها ”آخر/ أو أخرى“ .

(أ) خلال الشهور الستة الأخيرة هل قضيت أيًا من أنواع العطلات التالية؟

ضع علامة (✓) على الأنواع التي تنطبق على حالتك:

يوم عطلة داخل المدينة

يوم عطلة على شاطئ البحر

يوم عطلة في مكان ريفي

يوم عطلة آخر

ماذا كان نوع العطلة؟

(ب) عندما تختار قضاء يوم عطلة ، فأى هذه العوامل هو الأهم عندك؟

ضع علامة (✓) على صندوق واحد:

• المكان

- وسائل الإعاشة والتسلية
- طول الرحلة
- من الذي سيرافقني؟
- الأفراد الذين سألتقي بهم
- الأنشطة التي أستطيع المشاركة فيها

ويمكن طرح شكل مختلف لهذا السؤال هو أن تطلب من المستجيبين أن يختاروا أهم عاملين، أو أهم ثلاثة عوامل من وجهة نظرهم. أو يمكنك أن تطلب منهم أن يعطوا هذه العوامل درجات أو رتبًا بحسب أهميتها: فيعطون الرتبة (1) لأهم عامل، إلى أن ينتهيوا بإعطاء الرتبة (6) لأقل العوامل أهمية.

أوافق / لا أوافق على عبارة ما : إن كنت تريده جمع بيانات عن أفكار الناس ، أو قيمهم ، أو آرائهم ، أو اتجاهاتهم ، فيمكن أن تسأل المستجيبين عما إذا كانوا يوافقون أو لا يوافقون على عبارة من العبارات التي تحددها للاختيار من بينها . وتحتاج هذه العبارات نفسها إلى تفكير دقيق قائم على عدد من الاعتبارات :

- إلى أي مدى ترتبط هذه العبارة بسؤال بحثك ، أي ما المعلومات التي تأمل أن تكتشفها من وراء إدراجك لهذا السؤال في الاستبيان؟
- هل سيفهم جميع المستجيبين العبارة بنفس الطريقة ، أي هل يمكن أن تتعدد وتتبادر معانيها في نظر الأفراد المنتسبين إلى ثقافات مختلفة أو الذين لهم خبرات متباعدة؟
- هل تحتاج إلى إدراج عدد من العبارات عن موضوع معين للتعرف من خلالها على ما يتصوره الأفراد أو على ما يشعرون به؟
- هل هذا الحكم واضح لا ليس في معناه؟

يتيح استخدام ”مقاييس ليكرت“ للمستجيبين فرصة لإبداء مدى قوة شعورهم بالعامل الذي طرحته في هذه العبارة ، كما يمكنها أن تميز بين الأفراد تمييزا واضحا . على أنه إن لم تتوافر لك الفرصة لاختبار عباراتك والتأكد من وجود فروق أو

اختلافات حقيقة في درجة الاتفاق بين الأفراد على فهمها، فلا بد أن تلزم جانب الحذر فيما يمكنك ادعاه عن مثل هذه الفروق. كما ينبغي أن تمعن النظر في كيفية استخدام الأفراد للفئة الوسطى (أو قل المحايدة) (ويمكن أن تسمى هذه الفئة أحياناً فئة : "لا أوافق ولا أعارض" ، أو تسمى - كما سيرد في هذا المثال - فئة "غير مهم"). وفي هذه الأمثلة يكون اختيار المستجيب للفئة الوسطى أمراً له دلالته لأنه يشير إلى أن العامل المذكور في تلك العبارة ليس مهماً في نظر ذلك المبحوث.

من فضلك ضع دائرة حول أقرب الإجابات تصويراً لرأيك في كل عبارة من هذه العبارات:

• الطعام هو أهم جزء من نظري في أيام العطلة.

أوافق بشدة	أوافق	غير مهم	لا أافق بشدة
------------	-------	---------	--------------

• أحب أن التقي بالناس العاديين (أهل المنطقة) بينما أذهب لقضاء العطلة.

أوافق بشدة	أوافق	غير مهم	لا أافق بشدة
------------	-------	---------	--------------

• الطقس المشمس الدافئ أساسى لقضاء يوم عطلة جميل.

أوافق بشدة	أوافق	غير مهم	لا أافق
------------	-------	---------	---------

• أتمتع بتكوين صداقات جديدة في العطلة.

أوافق بشدة	أوافق	غير مهم	لا أافق
------------	-------	---------	---------

• أحب أن أقضى عطلة أقوم بالإعداد لها بنفسي.

أوافق بشدة	أوافق	غير مهم	لا أافق
------------	-------	---------	---------

مقياس التدريج : يعد استخدام مقياس تدريج من الطرق الأخرى للسؤال عن آراء المستجيبين أو اتجاهاتهم. وفي هذه الحالة يطلب من المبحوثين أن يحددو إجابتهم على مقياس يمكن أن يبدأ من (1) إلى (5)، أو إلى (7) أو إلى (9). ومن المألوف أن يكون لديك مقياس ذو أرقام عددها وتر (فرد)، لأن هذا يعطى المستجيبين فرصة

اختيار النقاط أو الدرجات الوسطى.

- ما مدى أهمية العوامل التالية عند اختيارك لقضاء عطلة؟ من فضلك ضع دائرة حول الرقم الذي يعكس أهمية كل عامل في نظرك.

	غير مهم							مهم
	على الإطلاق							جدا
• التكلفة	7	6	5	4	3	2	1	
• وسائل الإعاشة والتسلية	7	6	5	4	3	2	1	
• أن أفعل ما أرغب فيه	7	6	5	4	3	2	1	
• أن أكون بصحبة عائلتي/أصدقائي	7	6	5	4	3	2	1	

السؤال المفتوح : يحتوى الاستبيان أحياناً على أسئلة تسمح للمستجيبين بالإجابة عليها كما يرغبون. فإن كان الاستبيان من النوع الذى يملؤه المستجيب بنفسه، فإنه يحتوى حينئذ على صندوق يخصص لإثبات إجابة المستجيب ، وعادة ما يكون حجم هذا الصندوق مؤشراً يدل المستجيب على طول الإجابة المتوقعة وتفاصيلها. وقد يستعمل الباحث الذى يجرى المقابلة أسئلة للتعمر أو لاستئثار المستجيب على الإفاضة فى الكلام بطريقة مشابهة للطرق المستخدمة فى المقابلة شبه المفتوحة (الفصل 4) ليستوثق من أن هذا السؤال قد تمت الإجابة عليه بشكل واف ، وإن كان الباحث لا يسعى - فى العادة - للوصول إلى ما تتضمنه المقابلة شبه المفتوحة من عمق وتفصيل . وسيتم تصنيف وتزميز (نكويدي) البيانات المجموعة بهذه الطريقة حتى يكون بالإمكان إدراجها فى تحليل كمى أو إحصائى (فصل 3 باب 4).

ويمكن استخدام الأسئلة المفتوحة بعدة طرق:

(أ) لشرح إجابة عن سؤال سابق: بإمكان السؤال المفتوح أن يتيح للمستجيب فرصة تقديم المزيد من التفاصيل أو شرح أى إجابة سبق له أن أجاب بها عن سؤال

سابق . وقد رأينا ذلك سابقاً فيما يتصل بالفئة التي عنوتها : “آخر / أو أخرى ” .

- هل سبق لك أن قدمت شكوى رسمية تتعلق بعطلة إلى وكالة سفريات أو إلى مؤسسة أخرى ؟

لا

نعم

[ماذا كان موضوع هذه الشكوى؟]

- (ب) ما رأيك في . . . ؟ كثيراً ما تعد مثل هذه الأسئلة استكشافية يمكن أن تتيح للمبحوثين فرصة طرح أفكارهم الشخصية .

ما في نظرك أهم العوامل التي تحرض على مراعاتها أسرة بها أطفال صغار عندما تخافر قضاة عطلة ؟

(ج) هل تريده أن تقول شيئاً آخر . . . ؟ من حسن التصرف أن تدرج في نهاية الاستبيان سؤالاً يتبع للمبحوثين أن يضيفوا أي شيء آخر يرغبون في قوله عن هذا الموضوع . إذ إن هذا السؤال يتسبب أحياناً في تقديم بيانات تثير الاهتمام ومفيدة تتعلق ببعض عناصر الموضوع التي لم يشملها الاستبيان أو لم يدخلها الباحث في اعتباره . ويمثل هذا السؤال كذلك فرصة للمبحوث ليتحدث بما يراه مهماً من وجهة نظره إذا لم يدرج الباحث هذا السؤال في الاستبيان . ومع أن هذه البيانات قد لا تكون ذات صلة بالبحث ، فإن هذه الفرصة قد تضمن تمكين المبحوث من استيفاء الاستبيان وهو في تمام الرضى لأن رأيه أو خبرته قد سُجلت .

أسئلة التصفية : أحياناً ما تريده أن تسأل - داخل استبيان ما - أنماطاً معينة من الأفراد بعض الأسئلة وتسأل آخرين مجموعة مختلفة من الأسئلة . فلا مجال لمطالبة الأفراد أن يجيبوا على أسئلة لا تنطبق على حالتهم أو تتعلق بموضوعات لا يعرفون عنها شيئاً ، بهذا الشكل تستخدم **أسئلة التصفية** (انظر قائمة المصطلحات) لتساعد الأفراد في الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطرار ، وعادة ما تحتوى على علامات إرشادية لإخبار المبحوثين بما الأسئلة التي يجبون عليها بعد ذلك .

سؤال رقم (2) : هل لديك أطفال عمرهم 16 سنة أو أقل يعيشون معك؟

نعم ← إذهب إلى السؤال رقم (3)

لا ← إذهب إلى السؤال رقم (8)

سؤال رقم (3) : كم عدد الأطفال الذين يعيشون معك وسنهم 16 سنة أو أقل؟

صياغة كلمات الأسئلة : من اللازم أن تكون أسئلتك واضحة ومفهومها للأفراد الذين تتوقع أن يجيبوا عليها ، ومن ثم يتتيح لك إمكانية جمع البيانات التي تحتاج إليها . ويسلط الاستبيان " الشنيع " awful (انظر برواز " فكر في هذا الموضوع " الوارد أدناه)؛ يسلط الضوء على بعض أشهر الأخطاء التي ترتكب في تصميم الاستبيانات . ونورد فيما يلى بعض الأفكار المقيدة التي يمكن أن تيسر هذه العملية .

بحثك

أفكار مفيدة لكتابة أسئلة الاستبيان

- ✓ استخدم اللغة المألوفة لبحوثك ، واجتنب اللغة الاصطلاحية الخاصة بجماعة معينة .
- ✓ اطرح الأسئلة بشكل محايد ، اجتنب الأسئلة " الإيحائية " .
- ✓ عادة ما يكون سؤالان بسيطان أو ثلاثة أسئلة سهلة أفضل من سؤال واحد يكون طويلاً أو مقعداً .
- ✓ تأكد من أن جميع الإجابات الممكنة مدرجة ، أضف خانة " آخر أو أخرى " إن كان ذلك ملائماً .
- ✓ تأكد من أن الإجابات تنفي إحداها الأخرى (أي إن صحت إجابة لم تصح الأخرى) إن كان المطلوب إجابة واحدة فقط .
- ✓ ادرج قليلاً من الأسئلة المفتوحة لإعطاء الأفراد الفرصة لقول ما يرغبون قوله .

- ✓ اسأل الأفراد عن الأمور التي يعرفونها وليس عن الأمور التي قد يكونون -
- أو لا يكونون - قادرین على تخيلها.
- X اجتنب الأسئلة الغامضة أو غير الدقيقة.
- X اجتنب الأسئلة التي تفترض وجود معرفة تخصصية قد لا تتوافر لدى المبحوث.
- X اجتنب الكلمات أو العبارات التي قد تنتطوى على إساءة للمبحوث.
- X اجتنب طرح سؤالين في سؤال واحد.
- X اجتنب الأسئلة المصاغة في عبارات نفي، مثل : "هل تفضل ألا تذهب إلى إيطاليا لقضاء عطلتك؟" (فقد يكون الأفراد غير متأكدين مما إذا كانت الإجابة نعم أم لا).
- X اجتنب الأسئلة التي تعتمد على تذكر أحداث من الماضي البعيد.

ترتيب الأسئلة : ينبغي أن يكون ترتيب الأسئلة في الاستبيان أمراً مفهوماً للمبحوثين. وعادة ما يعني هذا الترتيب أن كل سؤال سيفضي إلى السؤال التالي، أو أن يكون هناك تقديم تعقبه مجموعة جديدة من الأسئلة عن موضوع مختلف أو عن جانب مختلف. ويحتوى التصميم النموذجي للاستبيان على سؤال ذى طابع عام يعقبه عدد من الأسئلة الفرعية الأكثر تفصيلاً. من المفيد للمبحوثين أن يجيبوا على الأسئلة ذات الطابع الوصفى والواقعى عن الموضوع قبل أن يطلب منهم إبداء آرائهم، إذ إن ذلك يساعدهم على أن يستدعوا إلى ذهنهم خبراتهم الخاصة، وما شهدوه من أحداث ومن عرفوهم من أفراد قبل أن يُسألوا عن آرائهم في هذه الأمور.

إذا كان الاستبيان يشمل موضوعات حساسة فإنه يُوصى عادة بوضع هذه الموضوعات في منتصف الاستبيان أو قرب نهايته، لأنه عندئذ يتوفّر للمبحوثين فهم أفضل للاستبيان وليررات طرح هذه الأسئلة في هذه المرحلة. وعادة ما تتوضع السمات الشخصية للمستجيبين والمتعلقة بخلفياتهم الثقافية والاجتماعية - كالانتماء الإقليمي، والعمري، والمهنية - في نهاية الاستبيان مع تفسير لسبب إدراجها فيه.

إن سؤالاً ذا طابع عام في نهاية الاستبيان من شأنه أن يتيح للمبحوث فرصة إضافة أي شيء آخر يود قوله عن الموضوع، فمثل هذا السؤال كفيل بأن يشعر المبحوثين بأن آراءهم تحظى بالتقدير.

الإخراج والعرض: يعتمد إخراج الاستبيان وأسلوب عرضه على ما إذا كان من المقرر أن يستوفي المبحوثون بأنفسهم أم أن الباحث هو الذي يقوم باستيفائه في مقابلة. ومع ذلك فإن من المفيد لك - حتى لو كنت تسجل الإجابات بنفسك - أن يكون لديك استبيان ذو إخراج جذاب، مكتوب بحروف طباعية سهلة القراءة، وبه تعليمات وعلامات إرشادية لمساعدتك على تبيين طريقك خلال الأسئلة وصناديق واضحة تسجل فيها الإجابات.

ينبغي للاستبيان الجيد أن:

- يحتوى على مقدمة للبحث، وشرح لما سوف يتم عمله بالإجابات، وإشارة إلى سرية المعلومات، ورقم هاتف للاتصال يمكن أن يستخدمه من يكون لديه تساولات يريد طرحها بعد إجراء المسح.
- ويحتوى على تعليمات عن استيفاء الاستبيان، وتعليمات داخل الاستبيان لمساعدة الأفراد على التنقل بين أجزائه.
- أن يكون مصمماً تصميمًا طباعياً واضحاً وجذاباً باستعمال حروف طباعة مقرودة بسهولة (فصل 2 باب 3).
- أن يدخل في الحساب احتياجات سائر الجماعات التي ستقوم باستيفاء الاستبيان، بما فيهم ضعاف البصر ومن يعانون من صعوبات في القراءة، ومن يتكلمون بلغة أخرى، وذوى الاحتياجات الخاصة.
- أن يكون مختصراً بقدر الإمكان.

الحصول على معدل استجابة مرتفع: من مكونات عملية تصميم الاستبيان إمعان النظر في تحديد الأفراد المستهدفين كمستجيبين، خاصة التدقيق في كيفية اختيار عينة من مجتمع البحث (فصل 5 باب 2)، وفي الطريقة التي ستتبعها عندئذ في الاتصال الشخصى بهم ودعوتهم للإجابة على استبيانك. فليس من شأن كل من تقاضه في هذه

المسألة أن يكون راغبا في، أو قادرا على المشاركة في بحثك. كما أن من الضروري أن تدخل في اعتبارك هذا الوضع عند تحديد عدد المستجيبين المقرر استهدافهم. وبناء على نوع الاستبيان، يمكن ل معدل الاستجابة الذي تتحصل عليه (أى : النسبة المئوية للاستبيانات المستوفاة إلى إجمالي عدد الاستبيانات المسلمة للمستجيبين) أن يتراوح بين معدل قليل ، مثل 10 % ويتنهى بـ 100 % وفي هذا المقام يوجد عدد من القضايا العملية التي يتعين أخذها في الاعتبار :

فكرة في هذا الموضوع . . .

حدد الأخطاء المتعمدة الواردة في هذا الاستبيان "الشنبع" ،
ثم راجع التصويب والتعليق على الصفحة المقابلة .

مشاركة المستفيد

من المقرر أن يستوفي هذا الاستبيان سائر رواد مركز الرعاية الخارجية.

1 - ذكر أنثى

2 - العمر صفر - 16

20 - 17

30 - 20

45 - 30

50 - 45

أكثر من 50

3 - هل تتردد بكثرة على مركز الرعاية ؟ لا نعم

4 - ما رأيك في مركز الرعاية الخارجية؟

5 - حدد العبارات التي توافق عليها مما يلى :

- أ - أحب الطعام والأنشطة التي تقدم في هذا المركز. أتفق / لا أتفق
- ب -أشعر أنتي مشارك في عمليات رسم سياسات المركز
و اتخاذ القرار فيه
أتفق / لا أتفق
- ج - أشعر بالانتماء
أتفق / لا أتفق
- د - لا أحب الطريقة التي بها لا تحاط علمًا أبداً
بما يقع من أمور
- ه - هذا في الواقع مكان جميل
أتفق / لا أتفق
- و - يتسم العاملون بالمودة والمرح
- ز - تقدم العاملات رعاية أفضل ولكن من الأفضل
أن يكون على قمة المركز رجل
أتفق / لا أتفق

ملاحظات الأخطاء وبعض التصويبات

العنوان: استعمال نوع حروف مطبوعية قد يكون من الصعب قراءتها، بجانب أن العنوان قد يكون غير مفهوم . لا يوجد تقديم للاستبيان ، ولا وجود لشرح له ، ولا تأكيد لسريته . هنا يؤمر المبحوث باستيفاء الاستبيان ولا يطلب منه ذلك .

- 1 - لا وجود لتعليمات ، والصندوقان منمقان بالتلليل .
- 2 - لا توجد صناديق (ل Yoshiro عليها المبحوث) . الفئات العمرية متداخلة وغير متساوية ، ولا منطق لها . من المستبعد وجود مستجيبين تحت سن 16 سنة .
- 3 - لا يوجد في الاستبيان تعريف لكلمة «بكثرة» . سيفهم المستجيبون هذا التعبير على وجوه مختلفة .

- 4 - سؤال مفتوح جدا ليس فيه إشارة للجوانب المهمة في المركز .
- 5 - يطلب السؤال من المستجيب تحديد العبارات التي يوافق عليها ، مع أن العبارات مكتوب أمامها كلمتا «أوافق / لا أافق» كإجابات .
- (5-أ) هذه الجملة تحتوى على شيئين مختلفين هما : «الطعام والأنشطة» ، مع أن المستجيب قد يحب أحدهما ويكره الآخر .
- (5-ب) هذه الجملة تشتمل - كذلك - على شيئين هما : سياسات المركز وعملية اتخاذ القرار . وهل سيفهم المستجيبون ما سياسة المركز وما عملية اتخاذ القرار ؟
- (5-ج) المستجيب منتمى إلى ماذا ؟ أو لأى شيء ؟
- (5-د) عبارة شديدة التعقيد تحتوى على نوعين من النفى . من العسير معرفة الأمر المطلوب الموافقة عليه .
- (5-ه) ما معنى التعبير «جميل في الواقع»؟
- (5-و) عبارة تحوى سنتين أو عنصرين ، والمستجيب قد يوافق على واحدة منها فقط دون الأخرى .
- (5-ز) عبارة أخرى بها فكرتان ، ولكنها أيضا غير واضحة فيما تعنيه من تعبير «على القيمة» .
- 7(*) - ما جماعتك الإثنية؟
- 6(*) - هل هذا المركز أفضل من مركز «ماى فيلدز»؟
- 7(*) - ما رأيك في الوثيقة التي عنوانها «وثيقة سياسة دمج المستفيدين من أبناء المنطقة»؟
- 9 - هل توافق على أنه كان من الأفضل لو أن المستفيدين كانوا مشاركين بمعدل أكبر ؟
- 10 - ما إجمالي دخل أسرتك أسبوعيا من سائر المصادر ، بما في ذلك من أجور وإعانات ومعاشات؟

من فضلك سلم هذا الاستبيان لأحد موظفي المركز.

أيام التردد على المركز الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة

(*) هذا الخطأ في الترقيم موجود بالأصل ، والمقصود به إبراز إهمال واضع هذا الاستبيان «الشنيع» في عمليات الترقيم والترتيب . ولكن يلاحظ القارئ بعمق تعليقات وتصويبات المؤلفين على الصفحة المقابلة . (المترجم) .

(7) خطأ في الترقيم . كما لا يوجد توجيه بشأن كيفية تحديد الجماعة الإثنية . ولا يوجد تفسير لمبرر الحاجة إلى هذه المعلومات أو للطريقة التي سيسنتم بها منها .

(6) سؤال مفتوح ليس به إشارة إلى المعايير التي ينبغي على المستجيب أن يراعيها في تقدير ما إذا كان المركز أفضل أم لا . وقد لا يعرف المستجيب شيئاً عن مركز «ماي فيلدرز» .

(7) سؤال مفتوح آخر يشير إلى وثيقة قد لا يكون المستجيب قرأها . وعنوان الوثيقة مكتوب بلغة فنية خاصة . كما أن حروف المنمرة قد تتعدى قراءتها .

(8) من الأرجح أن يوحى هذا السؤال للمستجيبين أن يجيبوا «بنعم» ، كما أنه ليس واضحاً ذلك الأمر الذي كان يمكن للمستجيبين أن يشاركو فيه بمعدل أكبر .

(9) سؤال من المستحيل على معظم الأفراد أن يجيبوا عليه بدون أن يقضوا وقتاً كبيراً لحساب مصادر الدخل ، كما أنه لم يقدم مبرراً للسؤال عن هذه المعلومات .

• ليس واضحاً كيف يتوجب على المستجيبين أن يسجلوا حضورهم في المركز أو كيف يجب على هذا السؤال المبحوثون الذين يغيرون أيام حضورهم من أسبوع لأسبوع .

• يسأل هذا الاستبيان عن المعلومات الشخصية وعن آرائهم في المركز ، ومع ذلك يطالب المستجيبين بتسليم الاستبيان بعد استيفائه لأحد الموظفين .

••• تصميم الاستبيان وطريقة إخراجه وعرضه تفتقر كلها إلى الاتساق بسبب استعمال أحجام وحروف مطبوعة مختلفة ، ومسافات مختلفة (الفصل بين الفقرات) ، وصناديق مختلفة الأشكال .

١ - الاتصال الشخصى مع المستجيبين المحتملين:

(أ) المقابلات المباشرة لاستيفاء الاستبيان: إن كنت تستهدف إجراء مقابلات مع جميع مستجيبيك ، فمن الضروري عندئذ أن تخطط لكيف ، ومتى ، وأين ستقوم بهذا العمل ، وأن تقوم بالترتيبيات الالزمه لمقابلة الأفراد في الأوقات والأماكن المناسبة والمدحة لهم . وينبغي عليك أن تعرف مقدما من الذين تحتاج إلى إجراء المقابلات معهم ، وأن تكون قادرا على عمل الترتيبات معهم مباشرة ، أو يمكنك - مثلا - أن تكون موجودا في المكان والزمان الذي يرجح أن يوجد فيه أفراد راغبين في الإجابة على استبيانك . ويمكن أن يحدث هذا في أحد المراكز التجارية ، أو في عيادة أحد الأطباء (أثناء انتظار الأفراد لدورهم في مقابلة الطبيب) ، أو في أحد مراكز الشباب ، أو في أحد المقاهى . تأكد أن معك مسند لكتابة مثبت عليه مشبك تمسك به استبياناتك ، وأن لديك - إن أمكن مكان تجلس فيه مع مستجيبيك .

اجعل استبيانك في أوجز صورة يمكنك الوصول إليها ، وقدم للمبحوثين المحتملين تعرضا واضحا بنفسك وبحثك قبل أن تطلب منهم الموافقة على المشاركة أم لا .

(ب) المقابلات الهاتفية لاستيفاء الاستبيان: وهي تشبه المقابلات المباشرة فيما يتعلق بالوصول إلى المستجيبين المحتملين .

(ج) الاستبيانات التي يستوفيها المبحوثون بأنفسهم: يمكن تسليم هذه الاستبيانات شخصيا للمستجيبين المحتملين ليستوفوها ، أو يمكن تركها في أماكن ظاهرة ليلتقطها الأفراد ويستوفوها ، كما يمكن إرسالها بالبريد (العادى) ، أو عبر البريد الإلكتروني (الفصل 10 من هذا الباب لمعرفة المزيد عن الاستبيانات المرسلة بالبريد الإلكتروني) . ويعد التعريف بالبحث وإثارة اهتمام المستجيبين المحتملين أمرين مهمين ، خاصة عندما يكون الباحث غير حاضر . وينبغي على الباحث أن يدقق النظر أثناء اللقاء الأول مع المبحوثين المحتملين فى ضوء تحديدك لهوية الجماعة المستهدفة وطبيعة الأمور التى تثير اهتمامها . ولا شك أن التعليمات والشرح الواضحـةـ المدونةـ بالاستبيانـ ستساعد المستجيبين على أن يقرروا ما إذا كانوا سيجيبون على الاستبيان أم يتجاهلونه .

2 - المتابعات ورسائل التذكير

إن كان المستجيبون يستوفون الاستبيانات بأنفسهم فلا بد أن يكونوا قادرين على إعادة الاستبيان إلى الباحث بأقل جهد ممكن. لذلك يجب أن يحتوى الاستبيان المرسل بالبريد (العادى) على مظروف ملصق عليه طابع بريد ومكتوب عليه عنوان المرسل إليه. أما الاستبيان المرسل بالبريد الإلكترونى فيجب تضمينه تعليمات واضحة بخصوص طريقة إعادة الإجابات، وإذا سلمت استبيانات لمستوفيها المبحوثون بأنفسهم فلا بد من وجود مكان لإعادتها إليه بسهولة. كما ينبغي عليك أن تفكّر بعمق فيما إذا كنت ستبعد رسائل تذكير عن طريق البريد العادى، أو الإلكتروني، أو الهاتف، مل لا يردون في نطاق مهلة زمنية محددة. لاحظ أن الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى قد تصيب في الطريق، لهذا فإن إرسال نسخة ثانية منها قد يستحدث المزيد من المستجيبين على المشاركة والرد.

من الناحية العملية ينبغي عليك أن تستهدف الحصول على أفضل استجابة يمكنك الحصول عليها، وأن تخطط لهذه المرحلة من عملية البحث بعناية. ومن الناحية الواقعية، وحسب مقياس بحثك ومستواه، قد يكون معدل الاستجابة لاستبيانك منخفضا تماماً. ويعتبر معدل 25% أمراً معهوداً في حالة الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى. ومع ذلك فسوف تكون البيانات التي تحصل عليها من الاستبيانات المستوفاة نافعة لبحثك، ولكن:

- تأمل بعمق ما إذا كان يوجد أى تفسيرات محتملة لسبب انخفاض معدل الاستجابة. هل يعود ذلك إلى فترة العطلة الصيفية؟ أم إلى أن الوقت ربما كان وقت اشتغال الأفراد بأمور أخرى؟
- هل تلقيت من بعض الجماعات استجابة أفضل مما تلقينه من جماعات أخرى؟ هل جاءت معظم الاستبيانات التي يستوفيتها المبحوثون بأنفسهم من الأفراد الأصغر سنًا؟ هل يوجد سبب يمكن أن يفسر عدم استجابة الأفراد الأكبر سنًا؟
- إذا كان ثمة جماعات معينة لم ترسل ردوداً، فما تأثير ذلك على تحليلك وعلى نتائج بحثك؟

- يتوجب عليك أن تثبت في بحثك معدل الاستجابة الذي تلقيته، وأن تناقش هذه الأمور في تقريرك أو في أحد فصول رسالتك الجامعية.

بحثك

إن كنت تفكّر في استخدام استبيان يملؤه المستجيب بنفسه في جمع بيانات بحثك:

- فمن هم المبحوثون الذين تستهدفهم؟
- وكيف ستلتقي بهم؟
- وكيف ستجذب اهتمامهم باستبيانك؟
- وكيف ستتأكد من حصولك على أفضل استجابة ممكنة؟

طبيعة بيانات الاستبيان وأسلوب تحليلها

تبين لنا فيما سبق أن البيانات المجموعة باستعمال الاستبيانات تكون مقتنة من قبل ، كما أنها - وبصرف النظر عن بيانات الأسئلة المفتوحة - تكون جاهزة في شكل يمكن معالجتها. إذ تكون البيانات مصنفة ومُكودة (تم ترميزها)، كما أنها تسمح باستخدام التقنيات الإحصائية في التحليل. ونظرًا لأن البيانات المجموعة بهذه الطريقة تكون مقتنة من قبل ، فإنه يصبح من الأمور ذات الأهمية الخاصة أن تفكّر في تحليل بياناتك في هذه المرحلة ، وفي التأكيد من أن البيانات التي تجمعها قابلة للمعالجة بطرق من شأنها أن تساعدك في الإجابة على أسئلة بحثك. لذلك نوصيك بقراءة الفصلين الثاني والثالث من الباب الرابع في هذه المرحلة من العملية البحثية.

جودة البحث

يعد الاستبيان أداة للبحث (فصل 4 باب 2) ووسيلة لجمع البيانات عن موضوع البحث ، أو عن مفهوم معين. وترتّزق صحة الاستبيان على ما إذا كانت أداة بحثك تقيس المطلوب منها أن تقيسه. ويشتمل تصميم البحث على استعمال التعرifications الإجرائية في محاولة إيجاد الأسئلة والإجابات التي من شأنها أن تدل على وجود أو غياب خاصية

معينة، أو رأى معين، أو خبرة معينة. ومن الممكن إجراء تجربة استطلاعية أو اختبار قبلى للاستبيان - فى مرحلة سابقة على مرحلة الاختبار الفعلى - تشمل عدداً قليلاً من المستجيبين أو الأصدقاء أو الزملاء. ولو أمكن تنفيذ هذه التجربة فإنها سوف تساعدك في التعرف على قضايا الصحة، كما تساعد في تحديد غيرها من المشكلات التي يحتمل أن ترتبط بالاستبيان والتي يمكن حينئذ تلافيها بإجراء بعض التعديلات قبل أن تبدأ الدراسة الرئيسية للبحث. وهناك عدة طرق يمكن بها تقدير مدى صحة الأسئلة (انظر البرواز أدناه عن : اختبار جودة البحث). ومع أنه ليس من الميسور دائمًا تنفيذ اختبارات الصحة في ظل قيود البحث التي تحكم البحث المحدود النطاق ، لذلك يكون من المفيد أن تضع هذه الطرق في ذهنك وأنت بصدق تصميم استبيانك.

بحثك

اختبار جودة البحث : استخدام الاستبيانات

- هل تقوم الأسئلة والإجابات بإنتاج البيانات التي تحتاج إليها لمعالجة أسئلة البحث أو لا اختبار فرض البحث؟
- هل تقوم الأسئلة والإجابات بتوفير البيانات المتعلقة بمفاهيم البحث وفقاً لتعريفاتها الإجرائية (فصل 4 باب 1)؟
- هل أدخلت في اختبارك النقاط التالية وأنت بصدق تقدير مدى صحة الاستبيان؟
 - الصحة الظاهرية: يكون للسؤال صحة ظاهرية حينما يبدو واضحاً أن السؤال سوف يستطيع استخراج إجابة صحيحة. مثال ذلك: "كم عمرك؟" (ولكن ماذا يكون الأمر إن كان ثمة سبب لعدم إعطاء إجابة عن العمر الصحيح؟).
 - تأكيد الصحة: وهذه الصحة تعتمد على طرح نفس السؤال بطريقتين، مثال ذلك سؤال المستجيب عن عمره وعن تاريخ ميلاده، أو العثور على مصدر آخر لهذه البيانات كمراجعة السجلات المدرسية، مثلاً.
 - الصحة التلازمية: يوصف الاختبار أو الاستبيان بالصحة التلازمية إن كان

يقودنا إلى نفس النتائج التي تصل إليها الدراسات الأخرى التي تستخدم مقاييس مختلفة لقياس نفس المفهوم.

- الصحة النظرية: وتعنى أن مجموعة من الأسئلة يمكن أن تقودنا إلى نتائج تتواءم مع ما يمكن التنبؤ به من النظرية التي يأخذ بها الباحث.
- التعدد المنهجي: يشير هذا المصطلح إلى جمع تشكيلة متنوعة من البيانات عن نفس الظواهر، أو جمع البيانات بمعرفة باحثين/أو فاخصين مختلفين، أو باستعمال طرق بحث مختلفة، وذلك بقصد التأكيد من أن طريقة جمع البيانات طريقة صحيحة، أى يعتمد بها ويعتمد عليها. وكثيراً ما تستخدم الاستبيانات بالتزامن مع طرق أخرى لجمع البيانات الخاصة بنفس البحث.
- هل يمكن للبيانات التي جمعت أن تكون هي نفسها إذا جمعت في ظل نفس الظروف أو إذا جمعت بمعرفة باحث آخر؟
- هل أجريت تجربة استطلاعية للاستبيان الذي ستستعمله؟
- هل أعملت فكرك فيما إذا كان يتبعن استبعاد أي جماعات عقب استخدام أحد الاستبيانات؟
- هل أخذت في اعتبارك تأثيرات معدل الاستجابة المنخفض على نتائج بحثك؟

بحث

مزايا الاستبيانات

- يمكن استخدامها بصورة فعالة في جمع البيانات من أعداد ضخمة من الأفراد أو الحالات.
- تتيح جمع بيانات كل المستجيبين أو كل الحالات بنفس الطريقة.
- الأسئلة ونطاق الإجابات يتم تحديدها بمعرفة الباحث.

- تكون البيانات قابلة للترميز (للتكميد) تمهيداً لتحليلها.
- إن جمعت البيانات من عينة إحصائية (فصل 5 باب 1)، فقد يكون من الممكن تعميم النتائج على مجتمع البحث.

عيوب الاستبيانات

- لا تتيح للباحث سوى قدر محدود من إمكانية النفاذ إلى الخبرات والمشاعر العميقية للمشاركين (المبحوثين).
- تقدم للمبحوثين فرصاً محدودة للإجابة على الأسئلة بطرقهم الشخصية؟
- أنجح ما تكون إذا استخدمت مع عينة كبيرة العدد.
- معدلات الاستجابة المنخفضة قد تؤدي إلى عينة بحثية متحيزه.
- قد تؤدي إلى استبعاد بعض الجماعات.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.
- Moser, C. and Kalton, G. (1993) *Survey Methods in Social Investigation*, 2nd edn, Aldershot: Dartmouth.
- Munn, P. and Drever, E. (2004) *Using Questionnaires in Small-scale Research: A Beginner's Guide*, Glasgow: SCRE Centre.

الفصل الرابع

المقابلات شبه المقنية

محتويات الفصل

• ما المقابلة؟

- استخدام المقابلات شبه المقنية في جمع بيانات البحث الاجتماعي.
- الأماكن والظروف التي يمكن استخدام المقابلات فيها.
- اختيار العينة.
- القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقنية.
- الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث.
- تصميم دليل المقابلة واستخدامه.
- تنفيذ المقابلة شبه المقنية.
- المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه).
- طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تعد المقابلات من أشيع أشكال جمع البيانات من المشاركين (المبحوثين)، ولعلها كانت ولا تزال مستخدمة بمعرفة الباحثين الاجتماعيين على امتداد تاريخ البحث. ومع أن بالإمكان أن تتحذ المقابلة عدداً من الأشكال، فإن استخدام المقابلات كطريقة مباشرة لطرح الأسئلة وجمع الإجابات أمر شائع في كل من البحث الكمية والكيفية. ويتناول هذا الفصل أنماطاً مختلفة من المقابلة. ويناقش استخدامها في البحث الاجتماعي، ثم يركز على الاعتبارات العملية المتعلقة بتنفيذ المقابلات شبه المقنية.

”بحلول عشرىنات القرن العشرين، والذى تجرى فى شكل عصرى واضح وبصورتها المقتنة وغير المقتنة؛ أصبحت طريقة المقابلة معترفا بها فى جمع البيانات فى علم الاجتماع“ . (لى Lee ، 2004 ، ص 870).

كان من أقدم الاستخدامات الصرىحة للمقابلات فى جمع البيانات ما قام به المصلح الاجتماعى تشارلز بوث فى القرن التاسع عشر ، الذى حاول أن يجرى مسحا اجتماعيا عن طبيعة وحجم الفقر فى لندن . وقد وصفت إحدى مساعداته ، وهى بياتريس بوتر (التي عرفت - فيما بعد - باسم بياتريس ويب)، وصفت اتجاهه قائلة:

”كانت بوسع تشارلز بوث - أو بوسع واحد أو أكثر من أفراد سكرتاريه - أن يستخرجا مما يقوله الوظف المسئول عن مواطنية التلاميذ فى حضور الحصص بالدارس ، وبأسلوب تدريجى؛ يستخرجا المعلومات الشاملة والحميمية المتصلة بكل عائلة ، أى ما تحويه ذاكرة هؤلاء الشهود الواقعون الذين يشهدون فى وصف وتوضيح ما دونوه فى مذكراتهم من وقائع سجلوها تسجيلا دقيقا . . .“ (ويب Webb ، 1938 ، ص 278 ، نقلًا عن بولمر ، 1982 ، ص 12).

تتمثل إحدى السمات الرئيسية للمقابلة فى وجود لقاء شخصى مباشر بين القائم بالمقابلة من ناحية - والذى قد يكون هو الباحث - والباحث من ناحية أخرى ، وفي وجود تفاعل بين هذين الطرفين . وقد تم الاعتراف العام بالمقابلة كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية ، حيث بدأت تستخدم كأداة لجمع آراء الأفراد وخبرائهم وسماتهم الشخصية من جانب الحكومات ، وباحتى التسويق ، والأكاديميين طوال الجزء الأكبر من القرن العشرين . ورغم أن معظم البحوث الحكومية وبحوث السوق أثناء النصف الثاني من القرن العشرين كانت تستخدم المقابلات المقتنة القائمة على استيفاء استبيان معين ، فقد بدأ بعض العلماء الاجتماعيين يستخدمون نوعا أقل تقتينا من المقابلة (أى: المقابلات شبه المقتنة - التى كانت مصممة فى الأساس لجمع البيانات الكيفية) لجمع شتى أنواع البيانات . وسرعان ما تزايد تقبل الباحثين لها ، وتم إقرارها كوسيلة مفيدة لجمع البيانات .

ما المقابلة؟

رأينا في الفصل 3 باب 1 أن البشر يتبادلون معارفهم وتصوراتهم مع بعضهم البعض، وأن هذا التبادل يتم عادة من خلال الكلمات المنطقية. وحين يتحدث فردان أو أكثر مع بعضهم فإن بالإمكان أن يتطور شكل من الحوار كلما تحدث واحد منهم على التالق بعد الآخر، وإن كان يحدث أحياناً أن يتحدث فردان في نفس الوقت. وبينما يكون أحدهما مشتغلاً بالحديث، يكون الآخر مصغياً (وقد لا يحدث ذلك دائمًا) قبل أن يأخذ دوره في الوقت الذي يتحول فيه الآخر إلى الإصغاء. وفي بعض المحادثات قد يسيطر أحد الأشخاص، فيتحدث بالقدر الأكبر من الكلام ويقرر الطريقة التي تتطور بها المعاورة. وقد لا يجد الآخر “فرصة للحديث”， أو يعمد ببساطة إلى “التوقف عن المشاركة”.

ما: المقابلة؟

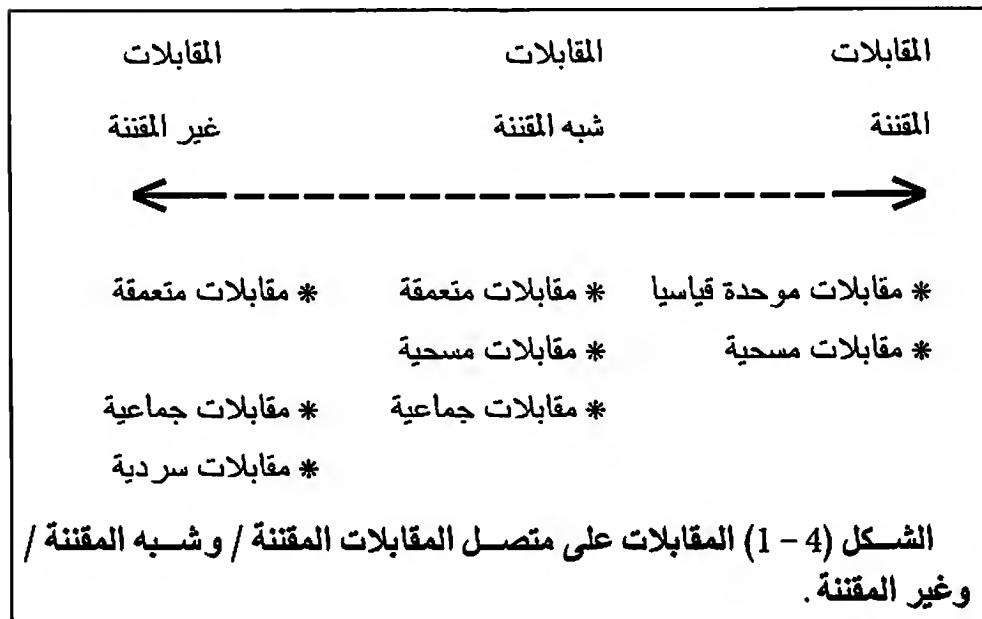
هي طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على:

- تيسير الاتصال المباشر بين فردين، إما وجهاً لوجه وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترن特.
- وتمكين القائم بال مقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والأراء من المبحوث باستعمال الأسئلة وال الحوار التفاعلي.

والمقابلة نمط خاص من الحوار بين فردين أو أكثر. وعادة ما يتم التحكم في المقابلة من جانب شخص واحد هو من يطرح الأسئلة المتعلقة بالفرد الآخر. وتستخدم المقابلات في اكتشاف أو استخراج المزيد من المعرفة عن طريق طرح الأسئلة التي تتناول نطاقاً واسعاً من السياقات، كما يحدث مثلاً: عند الرغبة في إلهاق امرئ ما بإحدى الوظائف، وفي حالة الأطباء الذين يحاولون تشخيص علة مريض ما، وفي حالة المعالجين النفسيين أو الاجتماعيين الذين يحاولون مساعدة الأفراد في حل مشكلاتهم، وفي حالة الباحثين الاجتماعيين الذين يرغبون في استخراج المزيد من المعرفة عما يفكرون فيه الناس، أو عما يشعرون به، أو يمررون به من خبرات.

و تعد المقابلات من الوسائل الرئيسية لجمع البيانات ، والتى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون ، حيث توفر الفرصة للتفاعل المباشر بين الباحث والمشاركين فى البحث (المبحوثين) . وكما يؤكد الباحثان الاجتماعيان الكبيران هامرسلى وأنكنسون ، فإن :

”القدرة التعبيرية للغة توفر أهم مصدر لكتابه التقارير الوصفية . ومن الملائم الأساسية للغة قدرتها على عرض توصيفات وتفسيرات وتقديرات تتبعاً يكاد يكون لا نهائياً عن أي جانب من جوانب الحياة ، بما فيها اللغة نفسها ” . (هامرسلى وأنكنسون ، 1995 ، ص 26).



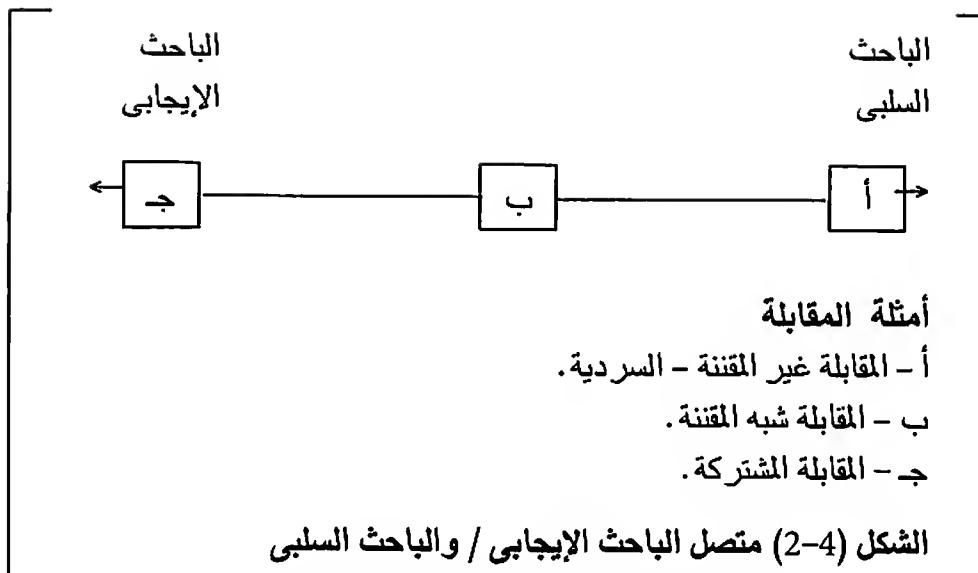
على أن المقابلات المستخدمة كطريقة جمع بيانات تختلف من ناحيتين . أول شيء أنها تختلف في درجة التقنين والتوكيد القياسي داخل المقابلة وبين المقابلات . وعادة ما يتم تحديد ثلاثة أنماط من المقابلة (رغم أنه من الممكن أن تحتوى المقابلة البحثية على اثنين أو أكثر من هذه الأنماط) .

ويمكنا باستعمال متصل شبيه بالمتصل الأول الذى قدمناه فى الفصل الأول من هذا الباب أن نبين كيف أن درجة التقنين والتوكيد القياسي تتبادر على امتداد متصل بأكثر من ثلاثة أنماط متميزة .

وهناك بعْد ثان للمقابلات يتفاعل مع هذا المتصل . ويتعلق هذا البعد بالأدوار التي يقوم بها الباحث والمحوتو الشارك في المقابلة . ويمكن أن تتبادر هذه المقابلات - على متصل ما أيضا - حيث تبدأ بال مقابلة التي يكون الباحث متحكما فيها ، وذلك من خلال طرحوه لمجموعة من الأسئلة يجيب عليها المشارك في البحث (وهذا النوع من المقابلات معروفة باسم **مقابلات الباحث**)^(*) (انظر قائمة المصطلحات) ، وتنتهي بال مقابلة التي يكون المحوتو هو التحكم فيها بصورة أساسية ، حيث يتبع له الباحث الفرصة ليروى قصته بطريقته الشخصية (وتعرف هذه المقابلات أحيانا باسم " مقابلات الإخباري ") (انظر قائمة المصطلحات) . ويلاحظ أن دور الباحث في المقابلات غير المقتنة يختلف عن ذلك تماما . مثال ذلك أنه في جمع البيانات السردية (الفصل 7) لا يتكلم الباحث إلا قليلا . ويقوم المحوتو بخلق وتنظيم البيانات . وهذه الحقيقة مبينة في المتصل الثالث من متصلاتنا المذكورة في الفصل الأول (وانظر الشكل رقم (2-4) الوارد أدناه) .

تتركز بؤرة اهتمام تحليل البيانات السردية على الطريقة التي يصوغ بها المحوتوين رواية قصتهم بدون تدخل من جانب الباحث ، وبذلك يتكلم الباحث قليلا ويكتفى بتسجيل القصة كما يرويها المحوتو . ومن جانب آخر يرى بعض الباحثين ، خاصة النسوين ، أنه نظرا لأن هذه المقابلة تقل في درجة تقنيتها ، وأن الإخباري (المحوتو) يكون أكثر تحكمـا في المقابلة ، فإن بإمكان الباحث أن يصبح أكثر فاعلية في مشاركته في المقابلة ، وذلك باشتغاله مع الإخباري في خلق البيانات . وفي بعض الحالات يميل الباحثون النسويون إلى التماذـى بعيدا في هذا الموقف فيقتربون أن يأتـى الباحثون بخبراتهم وأفكارهم الشخصية داخل المقابلة . وقد قامت آن أوكلـى - المدافعة الشهيرة عن وجهة النظر المذكورة - بإجراء بحث مع النساء طوال فترة حملهن ونفذـتـه باستعمال هذه الطريقة (أوكلـى ، 1981) . وتسمـى هذه المقابلات " المقابلات المشتركة " (انظر قائمة المصطلحات) ، وهـى بذلك تعكس الحقيقة التي تقول إنه في الوقت الذى تكون فيه المقابلة نفسها غير سابقة التقني بمعرفة الباحث (كما هو الحال في المقابلة المقتنـة) ، فإنه يتـاح للباحث أن يتـدخل تـدخلا إيجابيا في خلق البيانات .

(*) ورد في الأصل خطأ تسميتها « مقابلة المحوتو » ، وهو النوع التالي الذي أسمـاه « مقابلة الإخباري » ، وقد أثبتـنا الصواب . (الترجم)



فکر فی هذا الموضوع . . .

تستعمل المقابلة المعايرية المقنة الاستبيان كنموذج للمقابلة. في هذه الحالة يستخدم الباحث نموذجاً مقتناً من الاستبيان ليجري المقابلة مع المبحوث مستخدماً أسئلة وإجابات أعدت بعناية. للاطلاع على المزيد مما يتصل بتصميم الاستبيان الذي يمكن استعماله كمقابلة مقننة، انظر الفصل الثالث.

للاطلاع على مناقشة إرشادات بشأن استخدام المقابلات غير المقنة كطريقة جمع البيانات، انظر الفصل السابع. في هذه الحالة يتم تقنين "المقابلة" بواسطة المبحوث وليس بمعرفة الباحث.

خصائص المقابلات

أ - المقابلات المقنة الموحدة قياسياً

- تقوم على متابعة مجموعة مترابطة من الأسئلة لكل مقابلة.
- تطرح الأسئلة بنفس الطريقة تماماً، مستخدماً نفس الكلمات، ونفس الأسئلة المحفزة . . . إلخ لكل مقابلة.
- تقدم للمبحوث مجموعة من الإجابات ليختار من بينها.

ب - المقابلات شبه المقتنة

- تقوم على متابعة مجموعة متراكبة من الموضوعات أو الأسئلة لكل مقابلة.
- قد تطرح هذه الموضوعات أو الأسئلة بطرق مختلفة أو بترتيب مختلف بما يلاءم مع كل مقابلة.
- تتيح للمبحوث أن يجيب عن الأسئلة أو يناقش الموضوع بطريقته مستعملاً كلماته الخاصة.

ج - المقابلات غير المقتنة

- تركز على مجال واسع للنقاش.
 - تمكن المبحوث من التحدث عن موضوع البحث بطريقته الخاصة.
- وتعتبر المقابلات شبه المقتنة والم مقابلات غير المقتنة مقابلات "لا مقتنة" – non-structured .

سوف نركز في هذا القسم على استخدام المقابلات شبه المقتنة في جمع البيانات أثناء المقابلات المباشرة أو الهاتفية (انظر الفصل العاشر للوقوف على مناقشة للمقابلات التي تنفذ إلكترونياً (عبر الإنترنت) أو من خلال البريد الإلكتروني).

استخدام المقابلات شبه المقتنة

في جمع بيانات البحث الاجتماعي

تستخدم المقابلات شبه المقتنة في جمع البيانات ضمن تشكيلة واسعة واسعة من تصميمات البحث (الفصل 3 باب 2). وهي أشد ما تكون ارتباطاً بجمع البيانات الاجتماعية في البحوث الكيفية، حيث يكون الباحث مهتماً بخبرات الأفراد، وسلوكهم وتصوراتهم وكيفية وأسباب تعاملهم وتصورهم للحياة الاجتماعية بهذه الطريقة. فالباحث مهمّ بكل من المعلومات التي يمكن للمبحوث أن يقدمها بشأن موضوع البحث

من جهة ، والطريقة التي يتحدث بها المبحوث عن خبراته واتجاهاته من جهة أخرى . وبتعبير آخر ، يكون الباحث مهتما بكل من محتوى الحوار الذى يتم أثناء المقابلة من ناحية ، والطريقة التى يعبر بها المبحوث عن نفسه - أى الكلمات التى يستعملها - من ناحية أخرى .

يمكن استخدام المقابلات شبه المقتنة بالطرق التالية :

1 - البحث الاستكشافي (و كذلك الاختبار الاستطلاعى) (انظر قائمة المصطلحات)

وهو ما يحدث مثلا عند محاولة الكشف عما يعده المبحوثون مهما فى موضوع البحث ، وكذلك للتعرف على الطريقة التى يستخدم الأفراد بها اللغة فى الحديث عن موضوع البحث . والبحث الاستكشافى من هذا النوع الشائع فى المجالات التى لا يوجد فيها إلا قليل من البحوث السابقة ، أو المجالات التى يبغى فيها الباحث استكشاف زاوية جديدة أو منظور جديد إلى موضوع البحث . وقد تستعمل المقابلات شبه المقتنة بهذه الطريقة فى المرحلة الاستطلاعية للبحث لتساعد الباحث على صياغة طرق أكثر تقنيا فى جمع البيانات .

البحث الواقعى

مثال للبحث الذى يستخدم المقابلات شبه المقتنة :

البحث الاستكشافى

عن مقال بادلان (2006) العنوان : "الشباب المصابون بتليف المثانة: رؤية متعمقة لخبرائهم الذاتية" ، في مجلة الصحة والرعاية الاجتماعية في المجتمع المحلي ، 14 (3) : ص ص 270-264.

تليف المثانة حالة صحية مزمنة موروثة تؤثر على المصابين بها بعدة طرق تتطلب معالجة يومية . وعادة ما تؤدى هذه الحالة الصحية إلى الوفاة المبكرة ، إلا أن تقنيات العلاج الناجح أصبحت تمكن الأفراد في عصرنا الحاضر من أن يعيشوا مدة أطول ، وأن يتمكنوا من رعاية أنفسهم ، ومن المعيشة بصورة أكثر استقلالا لمدة

أطول . ومع ذلك فإن علاج هذا المرض عمل معقد ويتعارض مع "الحياة اليومية الطبيعية" . وكان هدف هذا البحث "أن يستكشف خبرات الشباب الذين يعانون الإصابة بمرض تليف المثانة ، وتأثير هذه الخبرات على التزامهم بنظم العلاج" .

ماذا فعل الباحثون؟

قام الباحثون بإجراء مقابلات مع 13 فرداً تتراوح أعمارهم بين 17 و 39 سنة ، كما قاموا بإجراء سبع مقابلات جماعية . وقد كانوا يرغبون في التعرف على الطريقة التي بها يتغلب الشباب على مشكلات الحياة اليومية ، بجانب التعرف على الأمور العملية والاجتماعية التي يفرضها عليهم مرضهم هذا .

النتائج

كان معظم الشباب الذين تمت مقابلتهم يشعرون فعلاً أنهم يسيطرون على أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم . ولكن كان من العسير عليهم أن يعيشوا حياة "طبيعية" ، إلا أن معظمهم حاولوا أن يكون لديهم حيوانات شبيهة بحيوانات أقرانهم . وتبيّن وجود مستويات مختلفة من الالتزام بنظام الرعاية الطبية ، كما بدا أن نوعاً ما من عدم الالتزام كان جزءاً من محاولة أن يعيش المريض حياة عادلة . ولا شك أن نتائج البحث يمكن أن تكون مفيدة لأصحاب المهن الطبية الذين يعالجون الشباب المصابين بتليف المثانة ، وأن تتمكن الأطباء من الوصول إلى فهم أفضل لخبراتهم ومشاعرهم .

مزايا استخدام المقابلات شبه المقتننة

- حصل الشباب على فرصة للتحدث عن خبراتهم الشخصية المتعلقة بتولى أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم .
- قد تكون المقابلات الفردية - وليس الجماعية - قد وفرت موقفاً أكثر خصوصية "يعترف" فيه المريض بعدم الالتزام الكامل .
- في هذا البحث كانت المقابلات الفردية ضرورية في بعض الحالات للتأكد من عدم حدوث عدوى متبادل بين المشاركين .
- أتاحت المقابلات المباشرة للباحثين فرصة الإحساس باحتياجات المبحوث إلى التحدث عن الموضوعات التي يحتمل أن تكون مؤلمة له .

2 - البحث التفسيري (راجع قائمة المصطلحات).

تستخدم المقابلات شبه المفتوحة لجمع البيانات التي من شأنها مساعدة الباحث على تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة. وينتشر استخدام المقابلات شبه المفتوحة حين يسعى الباحث لاستكشاف خبرات المبحوثين، وأرائهم ومشاعرهم، وحين يريد جمع البيانات التي تساعد في الوصول إلى فهم أفضل أو تفسير أفضل للسلوك أو الاتجاهات. ويتركز مثل هذا البحث على كيفية تفسير المبحوثين لسلوكهم وتصوراتهم بكلماتهم هم.

البحث الواقعى

مثال للبحث الذي يستخدم المقابلات شبه المفتوحة:

البحث التفسيري

عن كتاب كيتر وكولمان (2006) "الحمل "المخطط" عند المراهقات: آراء وخبرات الفتيات الصغيرات من البيئات الفقيرة والمحرومة بمدينة يورك" ، مؤسسة جوزيف راونترى .

كان من أهداف حكومة حزب العمال التي انتخبت عام 1997 أن تخفض معدل الحمل لدى الفتيات اللاتي يقل سنهن عن 18 سنة إلى النصف بحلول عام 2010. فلدى المملكة المتحدة واحد من أعلى معدلات الحمل لدى المراهقات في أوروبا، ويشير الباحثون إلى أن البحث أثبتت أن الحمل لدى المراهقات يرتبط غالباً بالفقر والحرمان. كما لوحظ أن المراهقات الحوامل اللاتي يتبنين إلى بيئات أكثر ترفاً ولديهن خطط للتعليم والعمل يزداد احتمال قيامهن بعملية إجهاض بأكثر مما هو عليه حال المراهقات الحوامل اللاتي يتبنين لمناطق أكثر حرماناً. ومع ذلك فليس واضحاً كم هو عدد المراهقات اللاتي يخططن لكن يحملن، وإذا كان يخططن لهذا الحمل، فكيف يمكن تفسير هذا القرار.

ماذا فعل الباحثون؟

أراد الباحثون إجراء مقابلات مع الفتيات اللاتي حملن حديثاً واللاتي وصفن حملهن بأنه "مخطط". وكان لزاماً على الباحثين، في بادئ الأمر، أن يحددوا ما يعنيه "بالحمل المخطط"، كما أنهم ابتكروا مجموعة من الأسئلة التي يمكنهم أن يطروها على الأمهات الصغيرات للتأكد من أن حالات حمل هؤلاء الأمهات كانت "مخططة". وكانت المعايير الأربع "لل الحمل المخطط" كما يلي: تعمد الفتاة أن تصبح حاملاً، وتوقفها عن تناول أو استخدام موائع الحمل، وموافقة شريكها الرجل على ذلك، ووقوع الحمل في الوقت المناسب لهن من حيث مراحل حياتهن وأساليب معيشتهن. صمم الباحثون استبياناً للفرز، تم تطبيقه على الأمهات الصغيرات المقيمات في مناطق مختلفة وإلى شركائهن من الرجال. ومن هذا الاستبيان تم اختيار 41 شابة و10 من الشبان الذين سبق لهم أن خططوا الإنجاب طفل، وتمت مقابلتهم بعد ذلك في مقابلات شبه مفتوحة. كانت المقابلات تستغرق 45 دقيقة في المتوسط. وكانت تشمل الحديث عن الحمل وعن طفولة المبحوثين والمحبوثات، وعن البيئة الأسرية، وعن التحصيل الدراسي، وعن طموحات المستقبل، وعن مظاهر تأثير الأسرة والأصدقاء عليهم. وكانت المقابلة تنتهي بطلب إلى المبحوثين والمحبوثات أن يتأملوا في حياتهم قبل الحمل (وإلى أي مدى من الاختلاف قد تكون عليه حياتهم الآن)، وبسؤالهم كذلك أن يتخيلاً حياتهم في المستقبل.

نتائج البحث

- توصل الباحثون إلى تحديد عدد من التفسيرات المحتملة للحمل المخطط، نذكر منها:
 - أدت خلفيات الآباء والأمهات الصغار، بجانب الخبرات التي عايشوها في المدارس؛ أدى ذلك إلى رغبتهما في "تغيير اتجاه" حياتهم.
 - قلة الوظائف وفرص التدريب على المستوى المحلي، بجانب تقبل المجتمع المحلي للأباء والأمهات من الشباب المراهقين.
 - الوالدية فرصة لإنشاء أسرة، قد تعوض هؤلاء الآباء والأمهات الصغار أحياناً عن خبراتهم السيئة فيما قبل.

- قال الكثيرون إن حيوانهم كانت س تكون أسوأ لو لم يصبحوا والدين.
- كان الآباء الشبان يرغبون في أن “يثبتوا وجودهم” من أجل صغارهم، كما أن بعضهم كان يفتقر إلى ”شخصية الأب“.

مزايا استخدام المقابلة شبه المقنية

- لم تتفذ إلا في أعداد قليلة من البحوث السابقة، كما أن المقابلة شبه المقنية أتاحت الفرصة لظهور التفسيرات غير المتوقعة وتأملها واستكشافها.
- أتاح دليل المقابلة المرن وغير الرسمي للوالدين الصغار فرصة التحدث عن خبرتهم بطريقتهم الشخصية.
- أتاح نموذج المقابلة شبه المقنية للباحثين أن يتحدثوا مع المشاركون حديثاً متعمقاً وأن يستكشفوا - مثلاً - تعريفات الوالدين الصغار ”للحمل المخطط“.
- مكنت المقابلات المباشرة للباحثين من الإحساس الحقيقي بحاجة المبحوثين إلى الحديث عن الموضوعات التي يتحمل أن تسبب الحزن والكره.

3 - التقييم (انظر قائمة المصطلحات)

تتيح المقابلات شبه المقنية للباحثين أن يكتشفوا ما يتصوره الناس عن ظاهرة اجتماعية ما لهم بها علم ودرأة، كأن تكون خدمة معينة، أو سياسة جديدة، أو خطة لاقتراح ما. ويتتيح نموذج المقابلة شبه المقنية للباحث أن يستكشف مع البحوث مختلف جوانب الظاهرة الاجتماعية، وأن يحدد بدقة فهمه لأمور معينة، منها مثلاً: المزايا والعيوب المحسوسة لهذه الظاهرة. وتتيح المقابلة شبه المقنية للمشارك أن يتحدث عن خبراته، وتصوراته، وقيمه بطريقته الشخصية (انظر المثال الوارد أدناه في برواز بعنوان ”البحث الواقعى“)..

كثيراً ما يكون البحث الاجتماعي توليفة من عدد من أي نمط من الأنماط المذكورة بعاليه، وكان يكون بحثاً استكشافياً وتقييمياً (انظر المثال الوارد في ”البحث الواقعى“).

البحث الواقعى

مثال لبحث يستخدم المقابلات شبه المقنة:

بحث تفسيري وتقييمي

بحث روس و ويترز (1993) "من النجاة إلى النجاح والازدهار" ، قسم السياسة الاجتماعية والخدمة الاجتماعية، جامعة برمجهام .

أوضحت البحوث السابقة أن النساء اللاتي تعرضن لانتهاك جنسى فى طفولتهن (ويطلق عليهن فى هذا البحث اسم "الناجيات") يمكن أن يتأثرن بهذا الأمر فى حياتهن بعد البلوغ بطريق متعددة، بما فى ذلك مثلاً: صحتهن العقلية وقدرتهم على الاتصال بالآخرين . كان هذا البحث قد نفذ لحساب هيئة محلية كبيرة بقصد "استكشاف" خبرات الناجيات المتعلقة بسعينهن للحصول على المساعدة والدعم بصفتهن راشدات أو باللغات ، وبقصد تقييم خدمات المساعدة والدعم التى تنتفع بها هؤلاء النساء حالياً كراشدات ، وخاصة تقدير قيمة هذه الخدمات فى ضوء دعمها النفسى لهن كناجيات بعد تعرضهن لانتهاك فى الطفولة.

ما الذى فعله الباحثون؟

جمعت تقديرات أعداد الناجيات المنتفعات بمختلف خدمات الدعم النفسي من هذه الهيئات الحكومية باستخدام استبيان موحد قياسياً . وقد تم تحديد خمس وعشرين امرأة سبق لهن التعرض لانتهاك جنسى حين كن أطفالاً . وقد استخدم في تحديد هذا العدد أسلوب عينة كرة الثلج . وصمم دليل مقابلة لتمكين هؤلاء النساء من التحدث عن خبرتهن كراشدات . وبذل اهتمام خاص للتأكد من أن المبحوثات كن يشعرن بالراحة والدعم النفسي أثناء المقابلة التي كانت تمثل بالنسبة لبعضهن مشاعر بالأسى والكرب (انظر المثال (4-1) في موضع لاحق من هذا الفصل).

نتائج البحث

انتفع معظم النساء اللاتي تمت مقابلتهن بمجموعة من الخدمات الاجتماعية، والصحية، والنفسيّة بقصد مساعدتهن على مواجهة ما ترتب على الانتهاك الذي

تعرضن له من نتائج . وقد تم تحديد عدة ”مسارات“ مختلفة كانت متّبعة في تلقى الخدمات المقدمة: فكانت بعضهن تتنقّع بالخدمات بصورة متعاقبة بينما انفع غيرهن بعدد من الخدمات في نفس الوقت . وكانت أكثر الأشياء التي ساعدت هؤلاء النساء هي : جماعات الدعم الذاتي للنساء اللاتي سبق تعرّضهن للانتهاك ، بجانب الخدمات المستمرة على امتداد 24 ساعة في اليوم . وأكّدت الناجيات على أهمية ”الإصغاء إليهن ، وتمكنهن من تحديد ما ترّغب الناجية نفسها أن تفعّله“ .

مزايا استخدام المقابلات شبه المقتنة

- أتيح للنساء اللاتي نجون من تعرّضهن للانتهاك الجنسي في الطفولة ، فرصة التحدث عن خبراتهن المتعلقة بالانتفاع بالخدمات .
- أتاحت مرونة دليل المقابلة للناجيات فرصة التحدث عن خبراتهن بطريقتهن الشخصية الخاصة .
- ساعد وجود دليل للمقابلة على التأكّد من تغطية نفس المجالات في كل مقابلة على حدة .
- تم جمع البيانات المتعمقة بشأن هذا الموضوع الحساس داخل إطار واضح بُسطّ بشكل منظم في دليل المقابلة .
- مكّنت المقابلات المباشرة الباحثين الذين أجروا المقابلة من الإحساس باحتياج المشاركات إلى التحدث عن موضوعات يمكن أن تسبّب لهن الكرب والحزن .

الأماكن والظروف التي يمكن استخدام المقابلات فيها

يمكن استخدام المقابلات شبه المقتنة في مجموعة كبيرة متنوعة من الأماكن والظروف ، ابتداءً من مقابلة شخص مسن في بيته الخاص به وانتهاءً بمقابلة أحد وزراء الحكومة أو رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات . ويطرح كل موقع تحدياته الخاصة به ، كما يتّبعن عليك أن تُعمل فكرك في هذا الموقع وما يحيط به حينما تكون بصدّد إعداد دليل مقابلتك والتحضير للمقابلة . مثال ذلك ، أنه لا بد أن تتأكّد من أن بإمكانك أنت

والشخص الذى تقابله أن يسمع ويفهم كل منكما الآخر (الفصل الثاني). وقد يتبعن عليك أن تأخذ فى الاعتبار إن كان يمكن أن يساعد على تحسين مستوى الاتصال بينك وبين المبحوث وجود شخص (وسيط) يقوم بدور المفسر ، أو المترجم ، أو يتحدث بلغة الإشارة ، أو يقوم بدور الوكيل الذى يتحدث باسمه . تذكر أن المقابلة شبه المقنية إنما هي نوع من الحوار ، وأنه لكي تنجح المقابلة فى توفير البيانات التى تحتاج إليها لبحثك ، فإنه لا بد من حدوث تفاعل بينك وبين الشخص الذى تقابله . وإن كنت تجرى مقابلتك مع المبحوث فى مكان العمل أثناء قيامه بأداء دوره الوظيفى ، فقد يكون وقت المقابلة محدوداً ، كما قد يطلب منك هذا المبحوث تزويدك بإشعار مسبق بالأسئلة المقرر طرحها حتى يستطيع الاستعداد لهذه المقابلة .

اختيار العينة

تبينا من العرض السابق ، أنه جرت العادة على النظر إلى المقابلات شبه المقنية باعتبارها وسيلة لجمع البيانات الكيفية . وفيما يتصل باختيار المبحوثين ، فإن هذا يعني عادة أن تستخدم العينة العمدية (فصل 5 باب 2) إذ يتم اختيار المشاركون بسبب خبرتهم أو آرائهم فى موضوع البحث . وهكذا يتم اختيار الأفراد ”عن عمد“ لمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث أو من تطوير نظرية ما . ويختار المبحوثون على أساس السمات الشخصية أو الخبرات التى ترتبط ارتباطاً مباشرًا ب المجال اهتمام الباحث وبأسئلة بحثه ، والتى تتبع له أن يتمتع فى دراسة موضوعه . وعادة ما يختار المشاركون فى المقابلات شبه المقنية من يكون لديهم شيء يتحدثون عنه . ذلك أنه سيكون من العسير أن تجرى مقابلة مع شخص ما بهذه الطريقة إذا كان لا يعرف شيئاً عن مجال موضوع البحث .

القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقنية (انظر فصل 5 باب 1)

كثيراً ما تستعمل المقابلات شبه المقنية للكشف عن خبرات الفرد ومشاعره . لذلك ينبغي الاهتمام بالتأكد من أن سائر المعلومات المقدمة ستكون محفوظة السرية ولا يمكن إتاحتها للأخرين . وللإطلاع على مزيد من مناقشة القضايا الأخلاقية انظر فصل 5 باب 1 . ونكتفى هنا بتسليط الضوء على ثلث قضايا محددة:

١ - غالباً ما تسجل المقابلات شبه المقنية، ثم تدون محتوياتها بعد ذلك (فصل 2). وقد يعني هذا أن البيانات التي جمعت في المقابلة تظل متاحة لبعض الوقت، وأنه قد يشاهدها أو يسمعها باحثون آخرون أو ناسخون آخرون. لذلك يجب الاحتفاظ بالبيانات المسجلة والمنسوبة في مكان مصون، وإن اشترك آخرون (في التسجيل أو النسخ) فلا بد من أن يوافقوا على كفالة سرية هذه البيانات.

٢ - كثيراً ما تستخدم المقابلات شبه المقنية كجزء من تصميم البحث يشتمل على إجراء مقابلات مع أعداد صغيرة من الأفراد، الذين تم اختيارهم - خصيصاً - بسبب خبرتهم أو آرائهم، كما يشتمل على تجميع المعلومات الفصيلية عنهم. ولا بد من الاهتمام بضمان خلو التقارير البحثية والرسائل الأكاديمية من البيانات التي يمكن أن تؤدي إلى التعرف على هوية المشاركين في البحث (المبحوثين). ونظراً لأن الاقتباسات الحرافية (الكلام الذي نطق به المبحث) والمستخرج من بيانات المقابلة تستعمل أحياناً لإيصال نتائج البحث، فلا بد منأخذ الحذر عند اختيار مقتبسات قد تشتمل على معلومات يمكن أن تدل على هوية المبحوثين. مثال ذلك أنه إن كنت تجري مقابلات مع أفراد ينتفعون بخدمة صحية معينة، وقد يقرأ مقدمو هذه الخدمة ذلك التقرير، فلا بد من التزام الحذر لضمان عدم إمكان تعرف مقدمي هذه الخدمات على شخصيات الأفراد الذين تمت مقابلتهم.

٣ - وسوف نرى لاحقاً أن المقابلات شبه المقنية يمكن أن تستخدم لجمع البيانات عن موضوعات حساسة وأحياناً عن موضوعات تسبب الكرب والأسى للمشاركين. إذ تتمثل إحدى نقاط قوة نموذج المقابلات شبه المقنية في كونه نموذجاً مرنًا وقابلًا للتعديل حسب احتياجات المبحث. كما أنه يمكن الفرد من التحدث عن مثل هذه القضايا. ومع ذلك لا بد من الاهتمام بأن نأخذ في الاعتبار صالح ذلك المبحث، وأن نتأكد من أنه لن يعاني من كرب شديد من جراء هذه المقابلة. ويوجد عدة طرق يستطيع الباحث بها أن يعالج هذا الأمر، نعرض لها فيما يلي:

(أ) أن يتأكد من أن المبحث على وعي ودرأة بموضوع البحث وبالقضايا التي يحمل أن تثيرها في المقابلة.

(ب) أن يوفر بيئه آمنة مريحة نفسياً لإجراء المقابلة فيها.

(ج) أن يعطي المبحث حق التحكم في جهاز التسجيل، وبذلك يستطيع المبحث إغلاق

جهاز التسجيل إن استشعر القلق أو أصبح غير راغب في تسجيل خبراته أو آرائه الشخصية.

(د) أن يضم المقابلة لإبعاد المبحوث عما يجري خلال المقابلة من مناقشات شديدة الحساسية - أعني بذلك أن يحاول إنهاء المقابلة في اللحظة المناسبة (انظر المثال (4-1) الوارد أدناه).

(هـ) أن يوفر للمشارك رقم هاتف للاتصال به، أو ربما ييسر له الوصول إلى أحد مواقع الشبكة، حيث يمكن للمبحوث - إذا أراد - أن يحصل على مزيد من الدعم والمعلومات بعد انتهاء المقابلة.

الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث

في المقابلات شبه المقتنة يكون الباحث مشغولاً - في العادة - بجمع البيانات التفصيلية والمتعمقة، وأعني بها تلك البيانات التي تتغلغل تحت السطح الظاهري لخبرات الفرد وأرائه لتسكّن أسباب السلوك والاتجاهات. لذلك يمكن النظر إلى الباحث باعتباره "الأداة الرئيسية"، معنى ذلك أن الباحث نفسه يقوم بعملين في الآن معاً: يطرح الأسئلة ويمكن المبحوث من تقديم الإجابات. هذا هو ما نعنيه عندما نتكلم عن الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية". ونظرًا لأن الباحث يستطيع بلوغة الأسئلة وطرحها خلال المقابلة، كما يجد تجاوباً للطريقة التي يروى بها المبحوث "حكايته"، لذلك تعد المقابلات شبه المقتنة وسيلة فعالة بصفة خاصة لجمع البيانات حين يكون موضوع المقابلة معقداً، أو حساساً، أو غير مفهوم فهما سليماً.

فكِّر في هذا الموضوع . . .

تصميم المقابلات شبه المقتنة

عند تصميم مقابلة شبه مقتنة نسعى للوصول إلى سبيل للفهم من شأنه أن:

- يتيح للمبحوثين فرصة الإجابة بطرقهم الخاصة وعباراتهم الخاصة؛
- ويتتيح للباحث أن يستكشف القضايا بالاشتراك مع المبحوث؛

- ويشجع المبحوث على التعبير عن آرائه ومشاعره.
- ويكون مرجناً وقابلًا للتكييف مع المبحوثين المختلفين؛ ولكنه: يكفل مناقشة نفس جوانب موضوع البحث مع كل مشارك على حدة.

تصميم دليل المقابلة واستخدامه

يصمم دليل المقابلة (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) لمساعدة الباحث على إجراء مقابلة شبه مقننة. وخلافاً للاستبيان لا يعد دليل المقابلة مجرد قائمة من الأسئلة يتم طرحها من أولها لآخرها. بل الأصح أن هذا الدليل يستخدم كبرنامج للمقابلة، إلى جانب ما يحتوى عليه من الملاحظات والفرادات الإضافية لمساعدة الباحث. ومن الأفضل للمقابلات المباشرة أن تقتصر كتابة الدليل على وجه واحد من وجهي الورقة، حتى يمكن للباحث الرجوع إليه بسهولة.

فكر في هذا الموضوع . . .

دليل المقابلة

- يساعد الباحث الذي يجري المقابلة على تذكر الموضوعات التي ينبغي تغطيتها.
- يقترح سبلًا مختلفة لتناول الموضوعات.
- يذكر الباحث القائم بالمقابلة بالأسئلة المحفزة أو السابرة لأعمق نفسية المبحوث وبطرق طرح الأسئلة.
- يشتمل على تقديم المقابلة، وعلى طريقة لإنهاها.
- يكفل تغطية الباحث لجميع الموضوعات المراد طرحها.
- يقدم ترتيباً معقولاً للموضوعات.
- يساعد الباحث على تمكين الأفراد من التحدث بطريقتهم الخاصة وبأقصى ما يمكنهم من التفصيل والإفاضة.
- دليل المقابلة ليس مجرد قائمة من الأسئلة.

وإليك دليلاً للمقابلة تم تصميمه لبحث نفذته "ليز روس" Liz Ross و "آن ويترز" (Ross و Witterz، 1993) (انظر "البحث الواقعي" السابق). ركز هذا البحث على النساء اللاتي سبق أن تعرضن للانتهاك الجنسي عندما كن طفلاً صغيرات، ثم أصبحن - وقت إجراء البحث - يسعين كراشادات للحصول على المساعدة والدعم النفسي. تقول الكاتبات: كان يهمنا أن نتعرف على مزيد من المعلومات عن الطريقة التي اتبعتها هؤلاء النساء في التماس المساعدة، وكيف كان شعورهن بخدمات الدعم النفسي التي قدمت لهن. ورغم أننا لم نكن نرغب في مناقشة خبراتهن في مرحلة الطفولة أثناء المقابلة، فقد كان من الراجل أن تسبب مشاركتهن في هذا البحث في استثارة ذكرياتهن ومشاعرهن العميقية. كان دليل المقابلة قد صمم بعناية لحاولة التأكد من أن المبحوثات يشعرن بالراحة النفسية، ومن أنهن قادرات على الإسهام في تحسين مستوى الخدمات المقدمة لهن ولغيرهن.

المثال (٤ - ١) . . .

دليل المقابلة

إجراء مقابلات مع نساء سبق أن تعرضن في طفولتهن للانتهاك الجنسي عن موضوع انتفاعهن بالخدمات المساعدة

١ - تقديم المقابلة

دردشة حول وصول المبحوثة لكان المقابلة.. إلخ، وكيف هي أحوالها اليوم؟
شرح معنى السرية: لن يعرف أى إنسان آخر أنه أجريت معك مقابلة، وسيتم مسح أشرطة التسجيل.

ستكون المقابلة حواراً، أشرح للمبحوثة كيف يعمل جهاز التسجيل الصوتي، وإنها تستطيع إيقافه في أي وقت إن كانت غير مرتاحة نفسياً لتسجيل ما تقول.

٢ - هل تستطعين أن تحكى لي قليلاً عن نفسك: كم عمرك، أين تعيشين، من يعيش معك في هذا المكان؟ ماذا عن الأطفال الصغار... إلخ؟

3- الانتفاع بالخدمات

ابداً بالسؤال عن الخدمة التي من المعروف أن المبحوثة تنتفع بها حالياً.

عناصر ينبغي تغطيتها:

- ما نوع الخدمة؟
- ما مدى تكرار الانتفاع بهذه الخدمة داخل نطاق مدة زمنية معينة؟
- ماذا يحدث في ذلك المكان؟
- متى ذهبت إلى هذا المكان لأول مرة؟
- كيف سمعت عن هذا المكان؟
- هل يعرف الأفراد العاملون بهذا المكان أنك “ناجية” أى : تعرضت لانتهاك جنسى فى طفولتك؟
- ما شعورك تجاه التردد على هذا المكان؟

4 - إفشاء السر لأول مرة؟

أريد أن أسألك عن المرة الأولى التي أخبرت فيها أحدها، وأنت راشدة، أنه سيقول لك أن تعرضت لانتهاك الجنسي وأنت طفلة.

نقاط ينبغي تغطيتها:

- من الذى أخبرتـه؟
- أستطيعـين أن تصفـي ما حدثـ حينـذـ؟
- أستطيعـين أن تـذكرـى لماـذاـ وكيفـ آلـ أمرـكـ إخـبارـ هـذاـ الشـخصـ؟
- ما الذى كـنـتـ تـأملـينـ أنـ يـحدـثـ؟
- ما نوع المساعدة التي حصلـتـ عـلـيـهاـ؟
- ما الذى حدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ؟

5 - الانتفاع بالخدمات فيما بعد

عدة نقاط تتصل بالخدمات الحالية.

6 - الجوانب الجيدة وغير الجيدة للخدمات التي تتنفس بها المبحوثات.

7 - راجع الانتفاع بالخدمات الأخرى.

8 - أنواع الدعم الأخرى

ما المساعدة التي تتلقاها المبحوثة من الأسرة ، أو من شريك حياتها ، أو أصدقائها ،
أو من الناجيات الآخريات؟

9 - المستقبل

هل من مساعدة تحتاج إليها المبحوثة في المستقبل؟ ما نوعها؟ وإلى متى ستحتاج
إليها؟

10- إنهاء مقابلة

هل تقر حين إدخال أي تحسينات على الخدمات التي تقدم لك ولغيرك من
الناجيات الآخريات؟ وهل يوجد أي شيء آخر تودين قوله عن المساعدة التي تحتاج
إليها الناجيات؟

11-أغلق جهاز التسجيل ، وتأكد من أن المبحوثة مررتاحة نفسيا ، وأعد التأكيد على
موضوع السرية والاهتمام بها ، بعض الدردشة ، تناول الشاي ... إلخ.

ملاحظات على دليل مقابلة

1 - تأكد من أن المشاركه في بحثك مررتاحة نفسيا وأنها على معرفة تامة بطبيعة
المقابلة ومدىها ونموذجها. إن الوقت الذي تقضيه في بناء الألفة مع المشاركه يساعدها
على الشعور بالمزيد من الارتباط والرغبة في المشاركه في المقابلة. إذا كانت مادة
موضوعك شخصية أو حساسة فلا بد من التأكيد على سرية المقابلة، خاصة عند تفكير
المبحوثة في مسألة: ما الذي سيحدث لأى معلومة تقدمها خلال المقابلة.

2 - من المهم أساساً أن تشجع المبحوثة على الكلام، وأن تساعدها على الشعور بأن لديها خبرات وآراء تsem بھا في المقابلة، وأن تبدى لها أنك تتوقع منها أن تقوم بالكلام والإفصاح . لذلك ينبغي أن يكون أول سؤال أو أول موضوع تبدأ بتقديمه هو ذلك الذي تعلم أنها تستطيع الإجابة عنه ، وأن لديها ما تقول فيه أكثر من مجرد نعم أو لا .

3 - قد يكون من المفيد - في أوائل المقابلة - أن تتحدث عن الأحداث أو المواقف التي يتحمل أن تشغل بالالمبحوثة: وبعد موضوع الانقطاع الحالى بالخدمة ، مثلاً ، بداية طيبة يمكن أن تطلق منها .

الأسئلة المحفزة: نقدم هنا قائمة أسئلة تستهدف حث المبحوث على تغطية كل الجوانب أو الموضوعات المتعلقة بالخدمات الحالية . وهى ليست قائمة بأسئلة تطرح على المبحوثة ، وإنما هي في الحقيقة قائمة لذكر الباحث بأن يطرح أسئلة عن هذه الجوانب إن لم ت تعرض المبحوثة في إجابتها لهذه المعلومات .

4 - بهذا تكون قد وصلنا إلى منتصف المقابلة ، حيث يمكن طرح جوانب الموضوع الأكثر حساسية وشخصية . وهنا نحتاج لتشجيع المبحوثة على تقديم المزيد من المشاعر العميقه بشأن حادثه الأساسية .

أسئلة تفتح الموضوع: لكي تشجع المبحوثة على الإفصاح عن مشاعرها بدون طرح قدر كبير من الأسئلة التفصيلية عليها نلجم إلى استخدام أسئلة تفتح الموضوع ، وهي أسئلة استكشاف عامة تعطى المبحوثة الفرصة للإدلاء بالمزيد عن هذه الحادثة .

5 - والآن نريد أن ننتقل من لحظة إفساء السر لأول مرة وصولاً إلى الوقت الحاضر لنناقش كل خدمة انتقعت بها المبحوثة طوال هذه الفترة . ذلك أن طلبنا من المبحوثة أن تتعرض لسلسلة من الأحداث تبعاً لتاريخ وقوعها يمكن أن يكون مفيداً ، لأنها يساعدها على التذكر . ويمكن أن يساعد مثل هذا السؤال سعينا إلى فهم الكيفية التي يمكن بها للخبرة الناجمة عن انقطاع المبحوثة بإحدى الخدمات أن تؤدي إلى خبرات مشابهة أو مختلفة عند الانقطاع بخدمة أخرى . لاحظ استخدام الأسئلة المحفزة على النحو الذي أشرنا إليه في الفقرة (3) .

6 - عند الوصول إلى هذه المرحلة من المقابلة، وبعد أن تكون المبحوثات قد أفضين بقدر كبير من الخبرة، وفي بعض الحالات يكن قد أفضين بما يشعرون به من أحاسيس عميقية، يطلب منهان استخلاص بعض النقاط العامة التي تتعلق بمجموعة الخدمات التي انتفعن بها. وإنه من المفيد أن يطلب منهان هذا الطلب قرب نهاية المقابلة لأنهن يكن - عند هذه المرحلة - قد استرجعن سائر الخدمات التي انتفعن بها، وتأملنها جيداً. وبعد تذكرهن لخبراتهن ومشاعرهن يكن في وضع مناسب للحكم على تلك الخبرات وتحديد الخبرات "السارة" وتلك التي "ليست سارة بنفس الدرجة".

7 - طرح سؤال مراجعة لاستجماع أي أمر تكون المبحوثة قد غفلت عنه.

8 - في هذا الوقت يتم توسيع نطاق المناقشة ليستوعب الأشكال الأخرى للدعم النفسي.

9 - عندما تشرف المقابلة على الانتهاء يشجع الباحث السيدة المشاركة على النظر للمستقبل بدلاً من الماضي.

10 - اطرح سؤالاً آخر يساعد على أخذ النقاش بعيداً عن الخوض في الأمور التي قد تسبب الكرب أو تزعج النفس، والانتقال إلى البحث عن الطرق التي بها يمكن تحسين مستوى الخدمات المقدمة للمبحوثات وغيرهن من الناجيات. كما يساعد مثل هذا السؤال الباحث على استكشاف أفكار الأفراد عن تحسين مستوى الخدمات. وتكون تلك فرصة للمبحوثة لقول أي شيء آخر عن الموضوع لم يرد له ذكر حتى تلك اللحظة.

11 - يتم الإعلان عن انتهاء المقابلة بإغلاق المجل. وهنا يتم تذكير المبحوثة بأنه سيتم الحفاظ على سرية ما قالته وأنه لن يستخدم إلا لأغراض البحث فقط. يشكر الباحث المبحوثة ويؤكد لها أنها إنسانة ممتازة .

فکر فی هذا الموضوع ...

المقابلة شبه المفنة تشبه إلى حد ما تركيب

أجزاء الصورة اللغز Puzzle

تخيل أنك تركب أجزاء الصورة اللغز . وأنك قد أعطيت هذه الأجزاء ، ولكن الصندوق الذى يحتوى عليها ليس على سطحه الصورة المكتملة لتنسرد بها في تجميع تلك الأجزاء . إلا أنك قد أخبرت بأن الصورة تتعلق - عندما تكتمل - بموضوع بحثك . والآن تقوم أنت والباحثة معا بتركيب أجزاء هذه الصورة المفككة لتصبح صورة متكاملة واضحة .

ما الذي تفعله أولا؟

الثور على القطع أو الأجزاء التي تمثل الحواف والأركان ثم تقوم بتجميعها مع بعضها .

عليك - بوصفك باحثا - أن تضع الخطوط التي تحدد معالم المقابلة ، وتذكر ما سوف تتكلم عنه ، وما سوف تبديه للمبحوث ، وذلك من خلال أسئلتك الأولى ، والطريقة التي تريده منها اتباعها في المشاركة في هذا البحث .

ثم ماذا؟

صنف القطع وفقا للألوان أو الأشكال التي تبدو متناسبة مع بعضها .

سبق أن اتخذت قرارك المتعلق بطرق تقسيم البحث إلى فقرات متتابعة وأنت تصمم دليلاً مقابلتك . ومع ذلك ، فإنك عندما تبدأ في تنفيذ هذا القرار قد تجد أن المبحوث يصنف القطع التي تتكون منها الصورة اللغز بطريقة مختلفة ، أو ربما كانت مدركاً أنه الحسية للألوان مختلفة عنك : هل تلك القطعة زرقاء اللون أم أرجوانية؟

ثم ماذا بعد؟

ابداً بتجميع بعض القطع معاً وضعها داخل الإطار .

عندما ربما يبدأ شريكك في البحث بمعالجة جزء من المقابلة (أى الصورة اللغز) مختلف عن الجزء الذي تبدأ به. وقد يكون من الأفضل لك أن تدع أسلئتك (أى قطع اللغز) جانبًا، وتساعده على استكمال الجزء الذي يريد الاشتغال به قبل أن تعود إلى الجزء الذي اخترت أن تبدأ به عملك.

وأخيرًا

نعتقد أحياناً أن الأجزاء أو القطع متناسبة مع بعضها أو أن كل القطع الزرقاء تتلاطم مع السماء، ثم نكتشف بعد ذلك أن القطع لا تناسب مع بعضها، فنعاود التفكير مرة ثانية، ونحرك القطع هنا وهناك، وقد نطلب المساعدة أو الإيضاح.

هل استطعت تجميع أجزاء الصورة؟ تأكد أن المقابلة نشاط مشترك رغم أن لكل من الطرفين المشاركيين دور مختلف بالفعل.

تنفيذ المقابلة شبه المقنة

بعض الأفكار المفيدة في إجراء مقابلة ناجحة

- إن المقابلة شبه المقنة أشبه بالمحاورة التي يركز فيها شخص (هو الباحث) على الشخص الآخر (هو المبحوث) وي فعل كل ما يستطيع فعله ليمكنه من التحدث عن الأحداث، والمشاعر، والأراء التي ترتبط بموضوع البحث. ويسهل ذلك وجود مكان مريح نفسياً، ليس فيه ما يشتت الذهن، حيث يستطيع الباحث والمبحوث أن يجلسا بحيث يستطيع كل منهما أن يرى وجه الآخر (وهو وضع الجلوس المثالي الذي لا يشعر بالمواجهة، ولذلك لا يجلس الباحث والمبحوث مقابلين وجهاً لوجه).
- بوصفك الباحث ينبغي عليك أن تباشر العمل في كل مقابلة بنوع من حب الاستطلاع البسيط. اطرح من ذهنك أي افتراضات بشأن المبحوث أو الموقف. واستعمل الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع لتشجع المبحوث دائمًا على أن يحكى لك حكاياته بدلاً من أن تفترض أنك تعرف ما يفكر فيه.
- استعمل أسئلة محفزة محابدة (انظر أدناه المثال 2-4) للتأكد من أنك لا توحى للمبحوث بأن يقدم آراء “مفولة”.

- شجع المبحوث بإبداء بعض أشكال الاستجابة له (حتى لو تمثلت في الأصوات والمهمات غير اللفظية) لتجعله يعرف أنك تصغي إليه.
- كنت مستعداً للمفاجآت: والتي تمثل فيما يقوله الأفراد، وكن مستعداً لحدوث بعض الأمور المزعجة، ولتوقف المسجل عن التسجيل، وما أشبه ذلك. واحتفظ بهدوئك دائماً.
- كن مستعداً لأن يروي المبحوثون حكاياتهم بعدة طرق مختلفة (حيث قد لا يتلزم بعضهم بدليل المقابلة الذي تم التخطيط له بدقة وعناء). عليك أن تكون مرتنا وقابلنا للتكيف مع كل مبحث على حدة لا أن تتوقع منهم أن يتوااءموا مع أجندتك.
- انتفع بدليل مقابلتك في التأكد من أن سائر أسئلة البحث قد تم تغطيتها، وفي تذكيرك بالأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع ، إذا حدث ونسئت بعض الأمور .

المثال (2 - 4) . . .

الأسئلة المحفزة تفيد في المقابلات شبه المقتنة

- هل يمكنك أن تحكي لي المزيد عن هذا الموضوع؟
- هل يمكنك أن تحدثني عن شعورك إزاء ذلك؟
- كيف يمثل هذا الأمر خبرة سارة/ أو سيئة بالنسبة لك؟
- ماذا كان شعورك عندما حدث ذلك؟
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- يمكنك أن تخبرني بالمزيد عن . . .؟
- قلت قبل ذلك أن . . . هل يمكنك أن تستفيض قليلاً في هذا الموضوع؟
- ماذا تقصد بذلك؟
- كيف؟

تسجيل المقابلة

غالباً ما يتم تسجيل المقابلات شبه المقتنة (فصل 2 باب 3) ثم تنسخ بعد ذلك . حينما يكون التسجيل غير ممكن ، فمن الممكن تدوين الملاحظات أثناء المقابلة وكتابتها بعد ذلك بصورة مستوفاة في أقرب وقت ممكن عقب المقابلة. من الممكن تصميم نموذج لتدوين الملاحظات بناء على دليل المقابلة (فصل 2 باب 3 للاطلاع على المزيد عن هذه النقطة).

المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه)

باعتبارك "الأداة الأساسية" التي تجمع البيانات مباشرة من المبحوث ، فإن تستطيع أيضاً أن تجمع البيانات من نفسك ومن خبرتك الخاصة. لذلك عليك - بعد كل مقابلة - أن تمضي بعض الوقت للتأمل في المقابلة بطريقتين:

1 - دون ملاحظاتك عن المقابلة:

- كيف بدا شعور المبحوث إزاء هذه المقابلة؟
- هل أبدى المبحوث مشاعره من خلال الأفعال غير اللفظية ، أو إشارات اليدين أو تعبيرات الوجه؟

2 - دون ملاحظاتك عن نفسك كقائم بالم مقابلة:

- ما الذي فوجئت به؟
- ما الجوانب الناجمة فيما يتصل ببناء المقابلة وأسلوبك في إجراء المقابلة؟
- ما الأمور التي لم تتحقق النجاح المنشود؟
- ما الذي يمكنك أن تفعله بطريقة مختلفة؟
- ما تفسيراتك وأفكارك عن التحليل في هذه اللحظة؟
- ما المعلومات التي توصلت إلى استكشافها؟ وما الذي تحتاج إلى إيضاحه؟ راجع هذه الأمور مع المبحوث.
- هل ترغب في تعديل دليل مقابلتك؟

طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل

تكون البيانات المجموعة من المقابلة شبه المقنية مكتوبة بنفس العبارات التي نطق بها المبحوث ، وتعد - بهذا الاعتبار - بيانات "خام". من المعاد تسجيل هذه البيانات والاحتفاظ بها في هذا الشكل في المراحل الأولى للتحليل بحيث يتسمى عند التحليل استخدام العبارات الشخصية للمبحوثين (فصل 2 باب 4). بعد ذلك تحلل هذه البيانات المجموعة في ضوء أسئلة البحث . بالنسبة للباحثين من الطلاب ، فإن التحليل الذي ينصب على الموضوعات أو الأفكار الأساسية (فصل 2 و 4 باب 4) يستخدم مجموعة من الأشكال البيانية ، بعد طريقة مفيدة للبدء في معالجة هذه البيانات . وقد تشمل الطرق الأخرى المستخدمة على طريقة "النظرية المؤثرة" ، وطريقة تحليل الخطاب ، وطريقة تحليل المضمون (انظر الفصلين 6 و 8 باب 4).

بحثك

مزايا المقابلات شبه المقنية

- تفيد خصوصاً في استكشاف الموضوعات بالتعاون مع المبحوثين .
- بإمكانها استكشاف الخبرات والمشاعر بشيء من التعمق .
- يكون الباحث على اتصال شخصي مع المبحوث مباشرة .
- المرونة في السماح للمبحوثين بالتحدث عن موضوعات البحث بطريقتهم الخاصة .
- يكفل وجود بعض التقنيات في هذا النوع من المقابلة تغطية نفس مجالات موضوع البحث مع جميع المبحوثين .
- من الممكن ربطها ببعض الطرق الأخرى في جمع البيانات .
- البيانات تكون في حالتها "الخام" (أى مكتوبة بنفس عبارات المبحوث الخاصة) .

يمكن - مع الإعداد الدقيق - استكشاف الموضوعات الحساسة أو التي يحتمل أن تسبب الكرب والأسى للمبحوث في ظروف مريحة نفسياً وأمنة.

عيوب المقابلات شبه المقتننة

- جمع البيانات يستهلك وقتاً طويلاً .
- لا بد للباحث من أن يطور مهاراته في إجراء المقابلة .
- هناك بعض التأثيرات المحتملة الناجمة عن عدم التنااسب بين المبحوث والباحث من حيث النوع ، أو الانتماء الأثنى أو العمر .
- قد يتم توليد كميات كبيرة من البيانات "الخام" .
- قد يركز المبحوثون على قضايا لا تهم الباحث .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Badlan, K. (2006) Young people living with cystic fibrosis: an insight into their subjective experience, *Health and Social Care in the Community*, 14(3): 264–70.
- Cater, S. and Coleman, L. (2006) 'Planned' teenage pregnancy: views and experiences of young people from poor and disadvantaged backgrounds, York: Joseph Rowntree Foundation. Available from www.jrf.org.uk/publications/planned-teenage-pregnancy-views-and-experiences-young-people-poor-and-disadvantaged-bac (accessed 12 August 2009).
- Hammersley, M. and Atkinson, P. (1995) *Ethnography: Principles in Practice*, London: Routledge.
- Lee, R. (2004) Recording technologies and the interview in sociology, 1920–2000, *Sociology*, 38: 869–89.
- Minichiello, V., Aroni, R., Timewell, E. and Alexander, L. (1992) *In-depth Interviewing: Researching People*, London: Routledge.
- Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.
- Ross, L. and Witz, A. (1993) From surviving to thriving, Departmental Paper, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.
- Webb, B. (1938) *My Apprenticeship*, Harmondsworth: Penguin. Quoted in Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.

الفصل الخامس

جماعات المناقشة (البؤرية)

محتويات الفصل

- ما جماعة المناقشة (البؤرية)؟
- استخدام جماعات المناقشة في البحث الاجتماعي.
- موقع عقد جماعات المناقشة.
- حجم جماعات المناقشة و اختيار المشاركين فيها.
- جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية.
- الجوانب العملية.
- طبيعة بيانات جماعات المناقشة.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يمكن النظر إلى جماعات المناقشة باعتبارها نوعاً من التعديل والتحوير لنموذج المقابلة (الفصل الرابع)، أعني بذلك أنها نمط من المقابلات الجماعية، حيث يتم جمع عدد من الأفراد (يتراوح عددهم عادة بين 5 و 13 فرداً) للجتماع معًا لمناقشة موضوع معين. ويقوم الباحث بجمع البيانات التي تولد من هذا النقاش.

تتيح جماعات المناقشة للباحث أن يقوم بأكثر من مجرد جمع البيانات الواقعية المولدة من النقاش. كما تتيح له جمع البيانات المرتبطة بجماعة المناقشة نفسها (أعني بذلك أن الباحث قد يكون مهتماً بالطريقة التي تستجيب بها جماعة ما، وليس فرداً ما، لأحد المواقف).

ظل الباحثون يستخدمون جماعة المناقشة طوال معظم النصف الثاني من القرن العشرين. من ذلك مثلاً أنه جرى في أربعينيات القرن العشرين استخدام جماعات المناقشة في تقيير الأثر الذي تحدثه البرامج الدعائية التي تبثها الإذاعة في الولايات المتحدة. وقد صرّح عالم الاجتماع روبرت ميرتون مصطلح «المقابلة المركزية» (Merton وKendall، 1946، وميرتون 1987) ليصف به مقابلة تضم 12 شخصاً تقريباً. ورغم أن التقنيات التي طورها ميرتون كانت قبل ذلك تستعمل بصورة رئيسية أساساً للمقابلات الفردية، فإن جماعات المناقشة ظهرت كأداة لباحثي السوق بحلول ستينيات القرن العشرين (ببور Bloor وأخرون، 2001) ثم بدأت - على وجه التأكيد - منذ ثمانينيات القرن العشرين تستخدم على نطاق واسع داخل المجال الاجتماعي العام للتحقق من الآراء السياسية ومن تقيير الأثر الذي تحدثه الخدمات. وفي وقت أقرب زاد انتشار جماعات المناقشة (إلى حدٍ وأن وصفها البعض بأنها أصبحت «موضة») في العلوم الاجتماعية (انظر على سبيل المثال مقال مورجان Morgan وسبانيش Spanish 1984 بعنوان «جماعات المناقشة: أداة جديدة للبحث الكيفي»). كما لاقت جماعات المناقشة كثيراً من القبول لدى حزب العمال البريطاني (وشنينا من سوء السمعة في الصحافة) بوصفها أداة لاختبار الرأي العام وتطوير سياسات الحزب في السنوات السابقة على انتصاره في انتخابات سنة 1997.

ما جماعة المناقشة؟

جماعة المناقشة - في جوهرها - كطريقة لجمع البيانات الكيفية تعد بمثابة شكل معدل أو مغایر لأسلوب المقابلة. ويتمثل هذا التعديل في أن جماعة المناقشة (وكما يعنيه هذا الاسم ضمناً) تختلف عن المقابلة التي تجري بين شخصين وتصبح مقابلة لجماعة. وأيا ما كان الأمر، فإن هذا لا يعني أنها مجرد طريقة لمقابلة عدد من الأفراد مجتمعين معاً. (فقد يقابل بعض الباحثين عدداً من الأفراد مجتمعين معاً مجرد أن يوفر الوقت والنفقات، ولكن يظل يجمع بيانات فردية من كل مبحوث على حدة). ويسمى هذا الأسلوب أحياناً «مقابلة جماعية»، وهي ليست في الحقيقة «جماعة مناقشة»). والأخرى أن جماعات المناقشة تستعمل لجمع البيانات التي تتولد من النقاش بين أعضاء جماعة المناقشة بمساعدة الشخص الذي يدير عمل جماعة المناقشة (أى الباحث).

ما جماعة المناقشة؟

- هي طريقة لجمع البيانات تسمى عادة بأنها:
- تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شخصاً،
 - من يشاركون في أمر معين، ويكون مرتبطاً بموضوع البحث،
 - وذلك للمشاركة في نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته.

رغم أن التعميم هنا أمر عسير، فإن جماعات المناقشة تتكون عادة من 5 إلى 13 مشاركاً، بالإضافة إلى شخص يدير المناقشة، فضلاً عن جهاز تسجيل في أغلب الأحيان أو شخص يقوم بتدوين الملاحظات. ومن الأمور المهمة أن الأعضاء يتم اختيارهم في العادة ليشاركون في النقاش (انظر أدناه وكذلك فصل 5 باب 2)، كما أن هذه الجماعة تتكون من أفراد لديهم شيء مشترك يربطهم بالموضوع الذي تتناوله المناقشة. ومن المعهود أن يشارك أعضاء جماعة المناقشة في نقاش منظم يستمر من ساعة إلى ساعتين، ينصب - غالباً - على موضوع محدد وحيد. والحقيقة أن من السمات المتأصلة لجماعة المناقشة أنه لا بد أن تكون لها بؤرة اهتمام واحدة أو هدف واحد (على الأقل)، كما يتوقع - بجانب ذلك - في الغالب أن تقوم جماعة المناقشة بمهام محددة، من قبيل ترتيب أولوية عدد من البدائل.

استخدام جماعات المناقشة في البحث الاجتماعي

جماعة المناقشة طريقة لجمع البيانات تعتمد على ديناميات الجماعة للحصول على بيانات كيفية متعدمة، وثرية، وتجريبية غالباً (فصل 3 باب 1 و فصل 4 باب 2) ويمكن استخدامها ضمن تشكيلة متنوعة من تصميمات البحث الاجتماعي. وقد تكون جماعات المناقشة طريقة جمع البيانات الوحيدة، أو تكون جزءاً من استراتيجية أكثر تعقيداً لجمع البيانات.

وكما هو الحال مع الطرق الأخرى لجمع البيانات الكيفية (وجماعات المناقشة تتصف بشبه كبير مع المقابلات شبه المقتفنة) (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) فإن البيانات المتولدة داخل نطاق جماعة مناقشة تكون غير مق奉نة إلى حد ما، وتستعمل كلمات الباحثين ومفاهيمهم. وفي معظم الحالات تستخدم جماعات المناقشة للتعرف على مشاعر الأفراد وتصوراتهم للقضايا التي يثيرها موضوع البحث. ومع ذلك يتركز الاهتمام في جماعة المناقشة بشكل خاص على الكيفية التي يتفاعل بها الأفراد داخل هذه الجماعة وكيفية قيامهم مجتمعين بصياغة تصورهم لموضوع البحث. بهذا المعنى تحاول جماعة المناقشة أن تحاكي ما يجري كل يوم من حوارات بين جماعات

الناس (كما هو الحال مثلاً في الحانة، أو حول مائدة الطعام، أو في إحدى جمادات الدعم الذاتي أو في إحدى غرف الدردشة على الإنترنت) وأن تعكس الطريقة التي يتوصل بها الأفراد إلى بلورة فهم قضية ما أو خبرة معينة عن طريق روایة كل منهم «لحكايتها» الخاصة وإنصات كل منهم للآخرين. وخلافاً للمقابلة التي تجري بين طرفين، يمكن لجماعة المناقشة أن تتيح الفرصة للأفراد ليستكشفوا خبرات الآخرين وأراءهم ويعارضوها، وليتأملوا فيما لديهم من خبرات وأراء خاصة بهم في إطار بيئة المناقشة التي تسهل حدوث ذلك. كما أن معظم ما يحدث داخل هذه الجماعة يكون تحت سيطرة المشاركين. ويعمل الباحث كمدير أو وسيط للمناقشة، وليس كباحث يقوم بإجراء مقابلة مع هذه الجماعة. كما ينصب الاهتمام على تمكين هذه المجموعة من الأفراد من مناقشة كل واحد منهم لغيره، وليس مجرد أن يجب على مجموعة من الأسئلة بطرحها عليه الباحث.

تعد جمادات المناقشة طريقة ملائمة لجمع البيانات عندما يكون الباحث مهتماً بجمع البيانات الكيفية عن خبرات الأفراد، وأفكارهم وتصوراتهم، وعندما يكون لديه اهتمام بالسبب الذي يجعل الأفراد يشعرون بحياتهم الاجتماعية بهذه الطريقة. ويتم تحصيل هذه البيانات عن طريق الإصغاء إلى مناقشة أولئك الأفراد ولاحظتها وتسجيلها، وكذلك من خلال ملاحظة وتسجيل طريقة معالجة الجماعة للقضايا التي يثيرها موضوع النقاش. وهكذا يكون الباحث مهتماً - غالباً - بكل من مضمون المناقشة (ما الذي قيل) والطريقة التي نوّقش بها الموضوع.

ونظراً لأن جمادات المناقشة أزدادت شعبية وانتشاراً، وأصبح معترفاً بها كطريقة لجمع بيانات صادقة في العلوم الاجتماعية، فقد وجدها الباحثون مفيدة في مجموعة من مختلف مناهج البحث، والظروف والسيارات (أي الأوساط والبيئات). والواقع أنه يجرى حالياً استعمال جمادات المناقشة في المزيد من الأماكن والمواقع وفي أغراض تتجاوز ما تخيله لها منشئوها الأوائل. وإليك مجرد جزء من الطرق التي تستخدم بها جمادات المناقشة:

1 - **كأداة استكشافية:** أو بحوث المرحلة قبل الاستطلاعية للبحث الاجتماعي ، أعني بذلك: استكشاف ما يبدو في نظر المبحوثين مُهماً بشأن قضية أو موضوع ما، وما نوع اللغة والمفاهيم التي يمكن أن تستخدم في النقاش . بهذه الطريقة يمكن استعمال جمادات المناقشة للمساعدة في تصميم أدوات إضافية لجمع بيانات البحث ، والتي منها مثلاً: الاستبيان أو المقابلة المقتفنة . وأياً ما كان الأمر ، فإن البحث الاستكشافي الذي يستخدم جمادات المناقشة وحدها أو جنباً إلى جنب غيرها من طرق جمع البيانات يعتبر - هو الآخر - من البحوث الشائعة ، خاصة بين الباحثين الطلاب ، أو عند دراسة مجال

لم ينفذ فيه إلا عدد قليل من البحوث . ويتناول برواز «البحث الواقعي» أدناه والذى عنوانه «البحث الاستكشافى الذى يستخدم طريقة جماعات المناقشة»؛ يتناول بحثاً أجرى على النشاط الرياضى للشباب للكشف عن الفروق أو الاختلافات بين فتیان من خلفيات اجتماعية - اقتصادية مختلفة (همبرت Humbert وأخرون ، 2006) . (ولعل تحتاج أيضاً إلى إلقاء نظرة على البحث الاستكشافى الذى أجراه جروجان Grogan وريتشاردز 2002 (Richards) عن صورة الجسد عند الرجال ، وعلى دراسة وونج Wong وأخرون (2006) عن الفروق بين الأطباء الذكور والإإناث فى اتجاهاتهم وممارساتهم أثناء معالجة النساء اللاتى تعرضن للانتهاك من أزواجهن) .

البحث الواقعي

البحث الاستكشافى الذى يستخدم طريقة جماعات المناقشة

بحث: همبرت وأخرين (2006) بعنوان : «العوامل المؤثرة على المشاركة فى النشاط الرياضى بين شباب ذوى مكانات اجتماعية/اقتصادية مرتفعة ، وذوى مكانات متدنية» ، منشور فى مجلة «البحوث الصحية الكيفية» ، 16 : 4 .

أراد الباحثون استكشاف العلاقة بين النشاط الرياضى والمكانة الاجتماعية / الاقتصادية المرتفعة أو المنخفضة بين شباب تتراوح أعمارهم بين 12 و 18 سنة . وأرادوا بصفة خاصة أن يستكشفوا تصورات هؤلاء الشباب عما يكون من شأنه أن يساعد على زيادة النشاط الرياضى ، كما كان الباحثون يريدون بحث الفروق بين الشباب المتنميين إلى بीئات ذات مكانة اجتماعية / اقتصادية مرتفعة و منخفضة .

ماذا فعل الباحثون؟

اختار الباحثون 160 فتى من أربع مدارس (مدرستان منها فى منطقة ذات مكانة اجتماعية اقتصادية منخفضة ومدرستان فى منطقة ذات مكانة اجتماعية اقتصادية مرتفعة) فى كندا بناء على مستوى نشاطهم الرياضى واستعدادهم لاحترام آراء الآخرين والتحدث داخل جماعة ما .

عقدت سبع وعشرون جلسة جماعة مناقشة ، مدة كل جلسة نحو ساعة ، واشترك فى كل واحدة منها ما بين 5 و 7 مشاركين . وقد ركزت الجماعات نقاشها على سؤال يقول: «لو أنك أصبحت مسؤولاً عن زيادة مستويات النشاط الرياضى للفتیان الذين من سنهك ، فماذا ستفعل؟». سُجلت كل جلسة عقدتها جماعة مناقشة وتم نسخها بعد ذلك . وجرى تحليل البيانات باستعمال طريقة تحليل المضمون (انظر قائمة المصطلحات) (فصل 7 باب

4) لتحديد ما تتطوّر عليه تلك البيانات من فئات أو مفاهيم، وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية.

النتائج

اتضح أن اعتبارات التمتع بصحبة الأصدقاء، وتطوير اللياقة البدنية، ودمج الشباب في الحياة الاجتماعية، كانت مهمة في نظر كلتا الجماعتين. ولكن اتضح وجود فروق بين الجماعتين فيما يتصل بقيود الوقت، و اختيار النشاط ، والتکالیف و توفر المرافق اللازم . مثال ذلك أن الشباب ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة ناقشو أهمية الاختيارات المختلفة بينما أكد الشباب ذوو المكانة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة أهمية التکالیف ، وقرب مكان أداء النشاط الرياضي وتتوفر المرافق اللازم .

مزایا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- أتيح للشباب أن يتحدثوا عن خبراتهم وأرائهم .
- يمكن للشبان ذوى مستويات النشاط الرياضى المختلفة أن يتبادلوا خبراتهم وأفكارهم مع بعضهم البعض .
- استطاع الباحثون استكشاف الفروق بين الفتيان ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة والفتيا ذوى المكانة الاجتماعية المنخفضة عن طريق تشخيص وبلورة الفروق بين مناقشات جماعات المناقشة التي دارت حول الموضوعات المهمة .
- أمكن إدخال عدد من الفتيا في البحث أكثر من العدد الذي كان يمكن إدخاله بسبب الظروف والإمكانيات ، لو أن هذه المقابلات أجريت بشكل فردي يتحدث فيها الباحث مع مبحوث واحد في كل جلسة .

2 - توليد فرص أو تطوير نظرية : يمكن استخدام جماعات المناقشة لجمع البيانات التي من شأنها أن تكن الباحث من دراسة التفسيرات الأولية المتصلة بملماذا وكيف آل أمر الأفراد إلى أن يشعروا أو يتصوروا ظاهرة اجتماعية ما بطريقة معينة . وفي برواز «البحث الواقعى» الوارد أدناه (وعنوانه : «البحث الذى يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية») يتم استعراض بحث يدرس كيفية ارتباط الأفكار الشخصية للفرد عن التقدم في السن بخبراته عن الأحوال الصحية المصاحبة للتقدم في السن (Fairhurst 2005). (وربما يحسن بك أيضا أن تلقى نظرة على بحث كتبه دافيدسون وأخرون (2006) يتناول الأفكار الشائعة عند الناس العاديين عن التفاوت في الحصول على الرعاية الصحية ، وأن تلقى نظرة على البحث الذي كتبه ماندai (2006) عن دور «معهد الدراسات النسوية» في خلق الهوية الجمعية).

البحث الواقعي

البحث الذى يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية

بحث: فير هيرست (2006) بعنوان «وضع نظرية عن التقدم في السن والشيخوخة: الرابط بين الصحة البدنية والسعادة والصحة العامة»، مقال منشور في مجلة: الصحة العامة النقدية، 1: 15»

عندما يتقدم الأفراد في السن يكون لهم أفكارهم - أو نظرياتهم الخاصة - المتعلقة بمعنى التقدم في السن. ويتناول هذا البحث كيف يقوم الأفراد العاديون (وليس «الخبراء») بالربط بين أفكارهم المتعلقة بصحتهم البدنية، وبسعادتهم، وبالصحة العامة من جهة، وبين أفكارهم وتصوراتهم عن التقدم في السن. وقد نفذ هذا البحث لحساب مؤسسة «هاجس الشيخوخة» Age Concern، وهي جمعية خيرية كبيرة مهتمة باحتياجات المسنين.

ماذا فعل الباحث؟

كان قد تم تدريب العاملين بهذه الجمعية الخيرية على أن يقوموا بإدارة جلسات جماعات المناقشة، التي عقدها هؤلاء الموظفون مع أفراد تتراوح أعمارهم بين 40 و80 سنة، مقسمين إلى أفواج يفصل بين كل فوج والأخر عشر سنين في العمر، وذلك في سبع مناطق من إحدى المدن في المملكة المتحدة. وقد تم اختيار المشاركين من خلال المكاتب المحلية لهذه الجمعية الخيرية على أساس السن. وهكذا كان كثير من أعضاء هذه الجماعات يعرفون بعضهم بعضاً من خلال بعض الأنشطة الأخرى.

النتائج

كانت الصحة عنصراً أساسياً في الطريقة التي كان يتناقش بها الأفراد ويدون آراءهم عن التقدم في السن، وعن مدى النظر إلى المسنين الأصحاء باعتبارهم أهم دلالة من المسنين المتقدمين في العمر الزمني (الذى يقاس بالسنوات)، وذلك لأن الصحة الجيدة تجلب السعادة ل أصحابها. وقد ساهم في تمنع بعض المسنين بالصحة الجيدة توافر بعض عناصر لخدمات الصحية العامة كوسائل النقل والإسكان الجيد.

مزايا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- تواضع الموارد المطلوبة وقلة الوقت الذي استغرقه العمل.
- ركز البحث على وجهات النظر والتصورات المشتركة (وليس الفردية) عن القدم في السن.
- تكرر جماعة المناقشة المعاورات التي تجري في كل يوم - وهي المعاورات التي يعبر فيها الأفراد «العاديون» عن أفكارهم المتعلقة بالعالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه.

3 - ملاحظة وتسجيل كيف تتفاعل الجماعة : هنا ينصب التركيز على الطريقة التي تتبعها الجماعة في مناقشة الموضوع المطروح : من الذى يشارك فى المناقشة ، ومن الذى يمسك بالزمام ، وكيف يتم تطوير الحوار ، وكيف يتم الاتفاق على اللغة وكيف يتم تعريف المفاهيم وتحديدها حين مناقشة موضوع معين . وغالبا ما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة فى البحث الذى يتناول القضايا الحساسة والمثيرة للتحدى . وكانت دراسة كيتزينجر (1994) عن الصبيان المراهقين ومدى معرفتهم بمرض الإيدز (فيروس نقص المناعة البشرى) إحدى أوائل الدراسات التى استخدمت جماعات المناقشة بشكل واضح فى دراسة ما يحدث داخل جماعة ما من تفاعل بين أعضائها ، وكذلك عملية بناء المعنى . ويستعرض المثال المبين أدناه فى برواز «البحث الواقعى» (وعنوانه استخدام جماعات المناقشة فى دراسة التفاعل داخل الجماعة)؛ يستعرض بحثاً أجرى عن الشباب والسلوك الجنسي (هайд Hyde وأخرين ، 2005)، إلا أنه يهتم - بصفة خاصة - بمدى حاكاة جماعة المناقشة نفسها للتفاعلات اليومية التى تدور داخل جماعة من المراهقين ، وبالأسئلة التى قد تطرحها هذه المحاكاة على الباحث .

البحث الواقعى

استخدام جماعات المناقشة فى دراسة التفاعل داخل الجماعة

بحث هايد وأخرون (2005) بعنوان: «طريقة جماعة المناقشة : رؤية لبعض المقابلات التى أجريت مع جماعة مناقشة عن الصحة الجنسية عند المراهقين ، منشور فى مجلة : «العلوم الاجتماعية والطب»، 61: 2588 - 2599 .

اهتم الباحثون بالتعرف على آراء المراهقين والراهقات المتعلقة بالسلوك الجنسي والصحة الجنسية، بغية تطوير البرامج التعليمية الصحية التي من شأنها أن تساعد من هم في سن المراهقة على ممارسة سلوك جنسي مسؤول وصحي. وكجزء من هذا العمل أراد الباحثون أن يستكشفوا: إلى أي مدى يعكس التفاعل الذي يجرى داخل جماعة الماقشة الحوار الدائر بين جماعتين من الرفاق ، إذ إن هذه المحاورات التي يتبادلون فيها فكاهاتهم ، وشائعاتهم ، وتلميحاتهم ، وردودهم ، وحساسيتهم ، ودينامياتهم داخل الجماعة قد توفر للباحث رؤى ثاقبة جديدة في «الموضوع محل البحث».

ماذا فعل الباحثون؟

تمت دعوة عدد من الفتيات تتراوح أعمارهن بين 14-16 سنة وعدد من الفتيان تتراوح أعمارهم بين 17-19 سنة، من تلاميذ عشر مدارس في أيرلندا للمشاركة في واحدة من 29 جماعة مناقشة (تقتصر كل جماعة على جنس واحد). بلغ عدد المشاركين 226 مراهقاً وراهفة. كان أعضاء كل جماعة يعرفون بعضهم بعضاً، كما كانوا في الغالب من نفس الصف الدراسي. استخدم دليل للمقابلة بفرض استئارة النقاش كما جرى تسجيل جلسات جماعات الماقشة، وقد تم تحليل البيانات باستخدام تقنيات «النظرية الموثقة» (فصل 8 باب 4) لتحديد الأفكار والمواضيع الرئيسية. وفي وقت لاحق للمقابلة قدم استبيان إلى كل مشارك على حدة ، وكان يحتوى على أسئلة عن جماعة الماقشة هذه ، وعما إذا كانت الماقشة انعكasa «صادقاً» للخبرات والأراء الحقيقة للمشاركين فيها. وجرت فيما بعد عملية تحليل إضافية للتفاعلات التي تمت داخل نطاق هذه الجماعة.

النتائج

قال معظم المراهقين والراهفات - حينما سئل كل واحد منهم على حدة - إن المعلومات التي طرحت داخل جماعة الماقشة هذه كانت حقيقة في معظمها ، وذلك بالرغم من أن عدد الفتيات اللائي كن يرين هذا الرأي كان أكبر من عدد الفتيان. ويذهب الباحثون - من واقع تحليلاتهم وخبرتهم - إلى أن جماعات الماقشة قد تكون «تصويراً صحيحاً» للحوار الذي دار في جماعة الرفاق ، وأن من اللازم أن يكون الباحثون على وعي ودرأية بالطرق التي قد يؤثر بها تكوين الجماعة على التباين والتتنوع في الماقشة ، وأنه في أثناء الحوار داخل جماعة الماقشة قد «يخرج» بعض الأعضاء عن موضوع النقاش ، وقد «يطغون على الحوار» ، كما أنهم قد يتبادلون المعلومات مع الآخرين. ووجد الباحثون أن الأعضاء كانوا قادرين على المشاركة في مظاهر الفلق والشكوك المتعلقة بالمسائل الجنسية ، وأن بعض الأعضاء كانوا يعترضون على وجهات نظر الآخرين .

مزايا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- استطاع الباحثون أن يلاحظوا كيف يتفاعل المراهقون عند مناقشة موضوع البحث.
- قد تكون جماعات المناقشة قد حاكت المحاورات التي تدور بين أعضاء الرفاق يوميا، حيث إن المشاركين يعرف بعضهم بعضاً.
- كان بوسع المشاركين الاعتراض على المعلومات التي تطرح في الحوار.
- قد يكون المشاركون أكثر اطمئناناً مما يكونون عليه في المقابلة التي تجري بين الباحث والمحبوث، وأكثر رغبة في تبادل خبراتهم وأرائهم.

ولكن هذا البحث شرع في التساؤل عن مدى إمكان النظر إلى محتوى جماعات المناقشة هذه - أي إلى ما قاله الأفراد فيها - باعتباره صادقاً أو حقيقياً أم لا.

4 - الاستشارة والتقييم : قد تستخدم جماعات المناقشة لاكتشاف المعلومات المتعلقة بما يتصوره الأفراد عن ظاهرة اجتماعية مفترضة أو موجودة فعلاً. مثال ذلك تصورهم عن سياسة جديدة مقتربة ، أو عن خدمة عامة موجودة بالفعل ، أو عن حدث معين وقع فعلاً. وعندما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة ، يتم توليد المناقشة التي تدور حول هذه الظاهرة ويجرى حث المشاركين على التفكير في المزايا والعيوب ، أي الجوانب الجيدة والجوانب السيئة لإحدى خدمات الرعاية الداخلية في مؤسسات الإيواء أو للسياسة التي تحظر التدخين في الأماكن العامة ، وذلك من خلال تبادل الآراء والخبرات والأفكار . كثيراً ما يشتمل هذا النوع من جماعات المناقشة على مهمة تتضطلع بها الجماعة (انظر البحث أدناه). ويستعرض برواز «البحث الواقعى» المذكور أدناه وعنوانه : «البحث التقييمي الذي يستخدم جماعات المناقشة» من تأليف بتلر Butler وأستبرى Astbury 2005؛ يستعرض بحثاً أجرى لتقييم الخدمات المقدمة للأطفال الذين يقدمون خدمات الرعاية للغير . وفي هذا التقييم تم استخدام جماعات المناقشة كجزء من توجيه قائم على التعدد النهيجي . وفي بعض الأحيان تستعمل جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد الذين قد يستبعدون من بحوث الاستشارة والتقييم لو لم يُدعوا إلى جلسات جماعات المناقشة هذه . انظر على سبيل المثال دراسة كمبردج Cambridge وماكارثي McCarthy (2001) التي أشركت أفراداً يعانون من صعوبات في التعلم ، في تقييم «الفائدة المثلثيّة» المرجوة من خدمات الرعاية الاجتماعية.

البحث التقييمى الذى يستخدم جماعات المناقشة

بحث: بتلر وأستيرى (2005) بعنوان: «الصغر مقدمو خدمات الرعاية». دراسة حالة تقييمية لمشروع كورنوجول للرعاية الصغار»، منشور فى مجلة: «الأطفال والمجتمع»، 19: 292-303.

استخدمت تشكيلة متنوعة من الطرق المختلفة لجمع البيانات فى تقييم هذا المشروع ، ومن هذه الطرق : «عقد جلسات جماعة مناقشة مع المشاركين فى تقديم خدمات الرعاية ، وأعني بهم الصغار والشباب الذين يقدمون . . . قدرًا كبيراً من الرعاية بصورة منتظمة» (قانون مقدمي الرعاية ، 1995 ، ص 1). وقد تقرر الاستفادة بنتائج هذه الدراسة التقييمية فى توجيه الخدمات المستقبلية المقدمة للرعاية صغار السن .

ماذا فعل الباحثان؟

جمع الباحثون إحصائيات قومية و محلية وبيانات مستمدة من واقع متابعة المشروع ، كما عقدت جلسة جماعة مناقشة مع سبعة من مقدمي الرعاية الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 11 و 18 سنة ، واثنين من الباحثين لإدارة الحوار .

النتائج

كانت الموضوعات الأساسية الكبرى المبنية مما دار فى جماعة المناقشة تتمثل فى أن مقدمي الرعاية الصغار كانوا يشعرون بما يلي :

- بالعزلة وبالوصمة .
- وبالعرض لبعض المشكلات في المدرسة .
- وبافتقارهم إلى وقت فراغ للراحة .
- وبافتقارهم للتقدير أو الثناء عليهم .

كما تداولت جماعة المناقشة فيما لهذا المشروع وما لغيره من الخدمات من فوائد ونواحي قصور . ومع أن هذا المشروع كان فعالاً كل الفعالية في دعم مقدمي الرعاية الصغار ، فقد استطاع هذا البحث التقييمي أن يسلط الضوء على بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من التحسين ، والتي منها مساعدة مقدمي الرعاية الصغار على الشعور بأنهم أقل عزلة مما هم عليه .

مزايا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- جمعت البيانات الكيفية جنبا إلى جنب البيانات الكمية.
- تمكّن مقدمو الرعاية الصغار - الذين يكونون في عزلة أحياناً كثيرة - من أن يرووا حكاياتهم وينصتوا إلى حكايات الآخرين.
- تمكّن مقدمو الرعاية صغار السن من اقتراح آراء تتعلق بإدخال تحسينات على مستوى الخدمة وأن يناقشوا هذه التحسينات.
- من الممكن التحقق من المعلومات التي جمعت بشكل غير رسمي بواسطة المشاركون في جماعة المناقشة.

5 - مراجعة معطيات سابقة: تُستخدم جماعات المناقشة أحياناً كجماعات مرجعية للباحث الذي يضطلع بتحليل البيانات التي تكون قد جمعت من خلال المقابلات أو الاستبيانات، أو تحليل بيانات جماعات مناقشة شائعة فعلاً. في هذه الحالة يعرض الباحث على جماعة المناقشة هذه تحليله وتفسيره لتلك البيانات، وبذلك يتحقق من تقبل المشاركون لتفسيراته والتأكد من أنها معقوله في نظرهم. وقد ذكر «بلور» Bloor أنه استخدم جماعات المناقشة لمناقشة النتائج المستخلصة من دراسته الإثنوجرافية عن الجمعيات العلاجية التي أجرتها مع الموظفين العاملين بتلك الجمعيات (بلور وأخرون، 2001: 14). كما أن بالإمكان استخدام جماعات المناقشة في الموقف التي تكون فيها البيانات التي جمعت باستعمال طريقة أخرى، كطريقة الاستبيان المسحى مثلاً، قد أدت إلى نتائج غير متوقعة، أو إلى نتائج لا يمكن تفسيرها في ضوء البيانات المتاحة. وبهذا تتيح جماعة المناقشة للباحث أن يدرس حقيقة هذه النتائج مع تلك الجماعة، والتي قد تساعد الباحث على تفسير النتائج على نحو أفضل.

6 - تمكين أو إشراك المشاركون (المبحوثين): كذلك تُستخدم جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد في مناقشة القرارات التي يُرِّزِّعُها (والتي قد تتناول إحدى الخدمات التي ينتفعون بها، أو تتناول المرافق الجديدة في الحي السكني الذي يعيشون فيه) وإعطاء المشاركون في جماعة المناقشة إحساساً بأنهم «أصحاب» هذا البحث. وقد يكون هذا التصرف جزءاً من عملية استشارية أو تقييمية، إلا أنه ينطوي على تأكيد على أهمية المشاركون. وقد تقابل أمثل جماعات المناقشة هذه أكثر من مرة على امتداد فترة من الزمن (فتلقي مثلاً بوصفها «هيئة ملتفين مدنية» - من المواطنين - أو بوصفها حلقة لمناقشة أمور تتعلق بالمستهلكين أو بالمتوفعين بالخدمات).

موقع عقد جماعات المناقشة

يمكن عقد جماعات المناقشة في موقع أو ظروف كثيرة، بعضها «طبيعي» (أو موجود بالفعل)، حيث يعرف المشاركون فيه بعضهم بعضاً من قبل ذلك، لأنهم - مثلاً - يتزدرون على نفس النادي، أو يقيمون في نفس الشارع، أو يذهبون إلى نفس المدرسة. وبعض هذه المواقف «اصطناعي»، أي يؤسس خصيصاً لغرض تجميع البيانات. ومع نمو وتزايد وسائل الاتصال الحديثة - وبالذات الإنترن特 - أصبح من الممكن عقد جماعة مناقشة إلكترونية (فصل 10) حيث لم يسبق للمشاركين فيها قط أن التقوا ببعضهم البعض وجهاً لوجه. بل إنه لم يعد من الصعب - فعلاً - أن يكون المشاركون في جماعة المناقشة موجودين في أماكن شتى من العالم. ومن شأن مثل هذا الوضع أن يضيف بعدها جديداً لقطاع المعلومات التي يمكن الوصول إليها بهذه الطريقة، نظراً لأن جماعة المناقشة الإلكترونية يمكنها أن تحقق اللقاء في إطار هذه الجماعات بين أفراد لم يكن من الممكن أن يتقابلوا بغير هذه الطريقة، كأولئك الذين ينتمون إلى ثقافات وقوميات مختلفة.

إن موضوع موقع عقد جماعة المناقشة يتعلق بما هو أكثر من مجرد المكان المادي. فالتفكير في الموقع يعني التفكير في تكوين هذه الجماعة أيضاً. لذلك يتبعنا أن نفكر في موضوع البحث وفي الواقع والسياسات التي يمكن استدعاء الأفراد وجمعهم فيها معاً لمناقشة ذلك الموضوع. لذلك قد تشتمل المواقع أو السياسات المعتادة لعقد جماعات المناقشة على ما يلى:

- مكان العمل: وفيه يلتقي المشاركون الذين يؤدون أنواعاً معينة من العمل.
- مركز اجتماعي، أو مدرسة أو مبنى عام مشابه: وفيه يلتقي الأفراد الذين يقيمون في الحي ويستفيدون بخدمة محلية معينة، أو جمعية ما، إلخ.
- جماعات من الأفراد ذوى الاهتمامات المشتركة قد يكونون، وقد لا يكونون، مقيمين في نفس المكان أو الحي السكنى.
- المجتمعات الجغرافية الصغيرة: كالأفراد الذين يقيمون في نفس المكان، أو الحي أو المدينة الصغيرة، ويجتمع بينهم اهتمام مشترك أو خبرات مشتركة تتعلق بهذه المنطقة.
- المجتمعات الصغيرة غير المرتبطة بمكان معين: أي الأفراد ذوو الاهتمامات أو الخبرات المشتركة من لا يلتقيون - في العادة - لقاء حسياً.

- الجماعة الإلكترونية: يمكن لجماعة المناقشة الإلكترونية أن تجمع من الأفراد معاً من يكونون متقاربين أو متبعين جغرافياً، كما يمكن أن تجمع أفراداً لهم خبرة معينة أو اهتمام معين له صلة وثيقة ببحثك (وهي الجماعة المكونة أصطناعياً)، أو يمكن أن تضم أفراداً يكون قد سبق لهم أن اشتراكوا في نقاش إلكتروني (وهي الجماعة الطبيعية، أو قل الجماعة القائمة بالفعل) (انظر الفصل العاشر).

حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركيين فيها

- ما - إذن - الحجم الذي ينبغي أن تكون عليه جماعة المناقشة؟ وكم عدد جماعات المناقشة التي ينبغي عليك تشغيلها؟

بحثك

إن كنت تفكّر في استخدام جماعات المناقشة لتجمع البيانات لبحثك:

- فما حجم مجتمع البحث الذي تريده بحثه؟
- كم عدد المشاركيين (الباحثين) الذين يمكنك الوصول إليهم (وكم منهم يمكن أن يوافق على المشاركة)؟
- إن كنت راغباً في استخدام جماعات المناقشة في جمع البيانات، فهل أنت في حاجة لعقد جلسات جماعات مناقشة منفصلة بسبب الاختلافات في الجنس، والعمر، والثقافة، وفي القوة ... إلخ؟
- ما الموارد المتوفّرة لك للقيام بهذا العمل (مثال ذلك: الاعتمادات المالية، والأماكن، والمرافق، والمعدات ... إلخ)؟
- هل تستخدم طرقاً أخرى لجمع البيانات إلى جانب طريقة جماعات المناقشة؟
- ما مقدار الوقت المتاح لك لإنجاز هذا العمل؟

كثيراً ما تتأثر البحوث التي يجريها الطلاب، خاصة إذا كان طالبنا جامعاً لم يتخرج بعد؛ كثيراً ما يتأثر بالقيود (التي ذكرنا بعضها منها قبل ذلك) وأحياناً ما يضطر إلى اتخاذ قرارات ذات طبيعة عملية. ويبدو لنا أنه ليس بالإمكان أن يزيد عدد أفراد جماعة المناقشة عن ثلاثة مشاركيين، وبالمثل نرى أنه من الصعوبة إدارة النقاش في جماعة يزيد عدد أفرادها عن 13 شخصاً.

لعل أول شيء ينبغي عليك أن تذكره أن أعضاء جماعة المناقشة لا بد أن يكون لديهم قدر من الإلمام بالموضوع الذي يجري بحثه. فلا جدوى من الجهد المبذول بغير ذلك. وفي معظم الحالات، تضم جماعات المناقشة مجموعات الأقران، أوى الأفراد «المتكاففين» في القدرات، والخبرات، والإنجازات، إلى آخر الأمور التي لها صلة بموضوع البحث. وبالإمكان توسيع هذا المفهوم الخاص بجماعة الأقران قليلاً لكي يضم أفراداً من نفس البقعة الجغرافية، ومن يشتغلون في نفس المؤسسة، أو من تجمع بينهم خبرات متماثلة - (آسبرى 1995، Asbury). وبطبيعة الأمر قد ترغب في تكوين جماعة مناقشة لا تكون مؤلفة من أقران، ولكن إن فعلت ذلك فسيلزرك أن تهتم اهتماماً خاصاً بأن يكون لكل مشارك على حدة فرصة للإسهام في المناقشة، خاصة إذا كان بعض أعضاء هذه الجماعة ينظرون إلى بعض الأعضاء الآخرين على أنهم أكثر أهمية، أو أرقى درجة في البناء الهرمي للوظائف، أو أنهم يملكون قدرًا أكبر من القوة.

كثيراً ما يوجه الانتقاد إلى بيانات جماعات المناقشة - خاصة ما كان منها ناجماً عن عدد صغير من الجماعات التي تضم أعداداً ضئيلة من المشاركين - بأنها تفتقر إلى الثبات المنهجي والقابلية للتعيم حين لا يحاول الباحث - فعلاً - أن يحقق الثبات المنهجي والقابلية للتعيم بالمعنى الذي يستعمل به هذان المصطلحان عند معالجة البيانات الكمية (فصل 3 باب 1، وفصل 4 باب 2). تذكر أن البيانات التي تجمعها من جماعات المناقشة هي بيانات كيفية وأنك - في العادة - ستختر المشاركين بناءً على ما يتمتعون به من خبرة أو اهتمام يمكن أن يسهوا به في مناقشة موضوع بحثك. يتم تكوين معظم جماعات المناقشة بالاعتماد على العينات العمدية (فصل 5 باب 2)؛ وهي العينات التي تختر عن عمد لتضم أفراداً لديهم خبرة، أو موقف، أو رأي ما يتصل بموضوع بحثك. كما أنها قد تختر أحياناً لتضم - عن قصد - أفراداً ذوين خبرات أو آراء يحملن أن تكون مختلفة. يلزم الباحث أن يكون متتبهاً للتحيز المحتمل داخل هذه العينة، وأن يحاول التأكد من أن الآراء والخبرات المختلفة المتصلة بموضوع البحث قد أدرجت في الجماعة. على أن هذا الوضع ليس ممكناً على الدوام، كما يشرح ذلك مورجان عندما يقول:

«إذا كان من شأن مصدر معين من مصادر تجميع المشاركين أن يفرض - بالفعل - قيوداً على طبيعة البيانات المتأحة، فإن ذلك يفرض على الباحث الاختيار بين التصرف في حدود هذه القيود، أو العثور على مصادر أخرى لتجميع المشاركين من شأنها تقليل هذه التحيزات» (مورجان، 1997).

من الأمور الأخرى التي ينبغي إدخالها في الحسبان عند اختيار المشاركين في جماعة المناقشة، طبيعة دينامييات الجماعة التي تحدد الطريقة التي سوف تتصرف وفقاً

لها هذه الجماعة. فمن النادر أن يستطيع الباحث التنبؤ بدقة بالطريقة التي وفقاً لها سوف تعمل جماعة ما معاً، خاصة إذا كان هؤلاء المشاركون مجهولين للباحث. وأياً ما كان الأمر، فإنك تستطيع من واقع خبرتك الشخصية ومعرفتك الوثيقة بموضوع بحثك أن تصل إلى تقدير التصرف الذي يترجح أن يتحقق لك هدفك.

مثال ذلك أنه إن كان الموضوع متصلاً بجانب ما من سلوك مرحلة المراهقة، كأن يكون متعلقاً بالتدخين، أو المعرفة الجنسية، أو شرب الخمر في الحالات الصالحة، فإن إدارة جماعة مناقشة تضم كلًا من المراهقين والمراهقات وأبائهم وأمهاتهم قد تمثل حُجراً على حرية المراهقين في الإسهام في النقاش، وقد يكون الآباء والأمهات أقل ميلاً إلى التعبير عن الأمور التي تقلقهم. لهذا قد يكون من الأوفق تكوين جماعتين منفصلتين، واحدة للمراهقين والمراهقات، واحدة للأباء والأمهات، وبذلك تكونان أكثر فعالية في توليد البيانات المفيدة.

وبالمثل، قد توجد أعراف وسلمات ثقافية تحكم فيما يمكن وفيما لا يمكن الإفصاح عنه داخل جماعة ما، الأمر الذي قد يعيق المشارك عن التعبير عن مكنون نفسه. ولابد من إدخال هذه الأعراف والسلمات في الحسبان في بعض الحالات التي منها مثلاً جمع الرجال والنساء معاً في جماعة مناقشة، أو جمع أفراد ينتمون لإثنيات مختلفة، أو أفراد يعنون من بعض أنواع العجز البدني (فصل 5 باب 1).

جميل أن تستخدم جماعة موجودة بالفعل، وذلك بالرغم من أنك لابد أن تكون متنبهاً إلى أن ديناميات الجماعة داخل جماعة يعرف فيها الأفراد بعضهم بعضاً ستكون مختلفة مما هو عليه الحال في جماعة لا يعرف أفرادها بعضهم بعضاً. وقد توجد علاقات قوة قائمة فعلاً، وشخصيات مسيطرة، واختلافات في الرأي لا تكون متنبهاً لها (انظر المثال «3-5»).

جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية

يمكن القول بصفة عامة أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بجماعات المناقشة التي تجري عن طريق المقابلة المباشرة وجهاً لوجه، هي نفسها نفس القضايا الخاصة بطرق البحث الاجتماعي الأخرى (هومان، 2004). وهي تدور حول: موضوع السلامة، والحفظ على السرية ومجهولية الاسم، والموافقة عن علم (فصل 5 باب 1). وتوجد قضية خاصة فيما يتصل باستخدام جماعات المناقشة، وهي طريقة تناول البيانات الحساسة، أو السرية داخل الجماعة وبواسطة أعضاء الجماعة (جيبيس 1997، Gibbs)، وهو الأمر الذي سيكون موجوداً دائمًا نظراً لوجود مشاركيين متعددين. فقد يكون المشاركون في

الجماعة غير راغبين في الكشف عن المعلومات المتعلقة بهم لأعضاء الجماعة الآخرين. قد يكون هذا مزعاً بصفة خاصة للمشاركين الذين يعرفون بعضهم بعضاً بالفعل، أو الذين سيلتقون ببعضهم البعض مرة ثانية بعد جلسات جماعة المناقشة. ولا يمكن أن يضمن الباحث سرية البيانات التي تم الإفصاح عنها داخل الجماعة. وذلك إن كان لا يستطيع أن يسيطر - خارج نطاق الجماعة - على طريقة استخدام المعلومات التي كشف عنها داخل الجماعة. وأياً ما كان الأمر، فإن بإمكان الباحث أن يطلب من المشاركين في الجماعة أن يحترموا الطبيعة السرية لكافة المعلومات التي تبادلوها داخل الجماعة، وأن على الواحد منهم أن يحترم نفس هذه الرغبات لدى غيره من الأعضاء. وأفضل ما يعالج به هذا الموقف أن يتأكد الباحث من أن المشاركين يدركون بوضوح ما المعلومات التي يمكن البوح بها خارج الجماعة، هذا إن وجدت معلومة من هذا القبيل أصلاً. كما يتلزم الباحثون بواجبهم المتعارف عليه بالحفاظ على إخفاء أسماء المشاركين وعلى سرية المعلومات.

وهناك بعض القضايا الأخلاقية الأخرى التي يجب التنبه لها فيما يتصل بجماعات المناقشة الافتراضية التي تتفذ على الإنترنت أو من خلال جماعات المناقشة التي تتم من خلال البريد الإلكتروني (الإيميل) (الفصل العاشر).

الجوانب العملية

تجميع المشاركيں في جماعة المناقشة

بعد اتخاذ القرار الذي يحدد حجم جماعات المناقشة التي تسعى إلى تكوينها، وعدد أفراد كل منها، وتركيبة كل جماعة؛ بعد ذلك سيكون عليك أن تفكّر بشكل إبداعي تماماً في ابتكار طرق لتجميع الأفراد في جماعات المناقشة التي تريدها. وإليك بعض الأفكار في هذا الشأن:

- ١ - تحقق مما إذا كان يوجد جماعات قائمة بالفعل أو أماكن اجتماع من شأن الأفراد الذين تريد جمعهم أن يوجدوا فيها، كناد للشباب، أو مركز رعاية نهارية للمسنين، أو مركز طبي، أو مدرسة (للاجتماع بأولئك الأمور من الآباء والأمهات، أو المدرسین، أو الطلبة)، أو أحد بيوت الإيواء، أو مكان من أماكن العمل. وقد تكون قادراً على تعليق ملصق (تأكد إن كنت تحتاج إلى إذن مسبق بذلك) تطلب فيه متطوعين، أو تواصل العمل فتتحدث عن بحثك مع مجموعة من الناس تطلب منهم التطوع للمشاركة في البحث. من المفيد لك في عملية تجميع المشاركيں أن تكون قادرًا على جمع جماعات المناقشة في هذا المكان: تحقق من هذه الإمكانيات أيضًا.

- ٢ - كرّة التّلّاج : اطلب من أوائل الأفراد الذين قبلوا المشاركة أن يزكّوك أو يتصلوا بـ شخصياً بمن يتوفر لديه - كذلك - اهتمام بموضوع البحث (فصل ٥ باب ٢).
- ٣ - تحقق مما إذا كانت توجد جماعات قائمة بالفعل تلتقي بشكل منتظم في المراكز الاجتماعية ، أو دور العبادة ، أو في مكان العمل ، وما أشبه ذلك من الأماكن التي قد يرغب أعضاؤها في المشاركة في جماعة مناقشة كجزء من برنامج حياتهم العادي . من مزايا ذلك أنه سيتوفر لك - بصورة تلقائية - مكان للالتقاء بهذه الجماعة .
- ٤ - أعلن عن جماعات المناقشة التي تريدها ، لأن يكون ذلك في الصحف المحلية ، أو من خلال جماعات البريد الإلكتروني أو على موقع الشبكة التي يترجح أن يستخدمها المشاركون المحتملون . واطلب من الأفراد أن يتصلوا بك ليزودوك بمزيد من المعلومات ، بحيث تستطيع وقتها أن تتحقق من توافر الشروط المطلوبة فيهم ، كما قد تستطيع التتحقق من جماعات المناقشة التي تديرها وتحديد أيها ستكون الأنسب لهؤلاء المشاركين المحتملين .

من الأفكار الجيدة عادة أن تدعوا من الأفراد عدداً أكبر مما تحتاج إليه ، إذ من المحمّل أن لا يحضر بعض الأفراد . ولتحث الأفراد على الحضور ، يحسن بك أن تعد نشرة ذات شكل جذاب تزودهم بكل ما يحتاجونه من معلومات .

المثال (١-٥)

الدعوة إلى جماعة مناقشة
عزيزى المشارك فى جماعة المناقشة
أشكرك على موافقتك على المشاركة فى جماعة المناقشة هذه .

ما الذى تحتاج أن تعرفه عن بحثى :

أنا أقوم ببحث عن موضوع
جزء من دراساتى فى (كلية كذا ، أو جامعة كذا)
وحيثما أكون قد انتهيت من هذا البحث فإن نتائجه سوف
وأدعوك إلى المشاركة فى النقاش داخل جماعة مناقشة مع أفراد آخرين من
ذلك فى يوم الساعة فى (العنوان)
سيستمر النقاش زماناً قدره حوالي وسوف تقدم بعض المشروبات الخفيفة .

أرجو أن يحظى أعضاء الجماعة بفرصة طيبة لتبادل خبراتهم وأرائهم المتنوعة في هذا الموضوع المهم. تأكّد أنه لن يتم الإفصاح عن هويتك الشخصية في أي شيء يكتب أو يسجل عن هذا البحث، كما أن ما سوف تقوله سيبقى سرياً داخل الجماعة.

إن كان لديك أي أسئلة حالاً أو فيما بعد فيمكنك الاتصال بي على هاتف رقم أو على البريد الإلكتروني

أشكرك على مساعدتك، ولاشك أن مشاركتك محل تقدير.

إنني أتطلع لرؤيتك .

جاك (الاسم والتوقع)

يعث بعض الباحثين بخطابات للتذكير أو رسائل إلكترونية، أو يبعثون برسائل مكتوبة، أو يتصلون هاتفياً بالمشاركين في وقت قريب من موعد انعقاد جماعة المناقشة.

من الناحية العملية، يكون من الصعب في كثير من الأحيان إقناع الأفراد بالاشتراك في جلسات جماعة المناقشة ما لم يعرض عليهم حافز ما. وقد يكون هذا الحافز مبلغاً صغيراً من المال، أو بعض قسائم التخفيض، أو فرصة الاشتراك في سحب على إحدى الجوائز. وهناك بعض بدائل لهذه الحوافز - خاصة بالنسبة للباحثين ذوي الموارد المالية المحدودة - يمكن أن تشمل تقديم وجبات خفيفة أو تقديم قدر كبير من المعلومات، أو ربط اجتماع جماعة المناقشة ببعض الأنشطة الأخرى من قبل الدعوة إلى حضور أمسية تقييمها إحدى المدارس للأباء والأمهات، أو حضور مناسبة على مستوى المجتمع المحلي، أو عرض مسرحي أو مشاهدة أحد المعارض، أو ربط جماعة المناقشة باجتماع لجماعة أو «شلة» قائمة بالفعل. وقد يحدث ذلك في مركز رعاية خارجية، أو في مكان لا جتماع سكان عقار ما، أو في أحد نوادي الشباب .

أين ومتى؟

يتوقف تحديد مكان وزمان انعقاد جماعة المناقشة على من يكونون أعضاء هذه الجماعة وما إذا كان اللقاء سيتم وجهاً لوجه أم سيكون لقاء «افتراضياً» باستخدام واحدة من الإمكانيات الإلكترونية المتاحة على الشبكة (الفصل العاشر). وفي كلتا الحالتين لا بد أن تلتقي الجماعة في زمان ومكان يناسبان المشاركين في جماعة المناقشة. كما يمكن استبعاد بعض المشاركين المحتملين من المشاركة في جماعة المناقشة في ضوء اختيار الباحث للمكان والوقت (اللذين قد لا يناسبانهم).

جماعات المناقشة المركزية

من المهم عند التخطيط لتكوين جماعة مناقشة أن يفكر الباحث في المشاركين ، وذلك من حيث الأماكن التي يمكن أن تكون مريحة في نظرهم ، ويكون من السهل عليهم الوصول إليها والشعور بأنها ملائمة لهم . مثال ذلك أن كثيراً من الناس قد يشعرون بالقلق إذا عقدت الجماعة في كنيسة ، أو في مسجد ، وقد تفضل بعض الجماعات أماكن مألوفة لها قرية من بيوتها . ويفضل آخرون ما يوفره لهم المركز الاجتماعي للمدينة - كمكان لانعقاد جماعة المناقشة - من فرصة لعدم الإفصاح عن هوياتهم . وبالنسبة لبعض الجماعات ، كالمسنين أو المصابين بعجز بدني مثلًا ، قد يتوجب مثلاً توفير وسيلة موصلات لنقلهم إلى مكان الاجتماع . فإن انتصاع للمشاركين المحتملين أن الباحث لم يفكر في تلبية احتياجاتهم ، فسيكون من المستبعد موافقهم على الاشتراك في هذه الجماعة .

ذلك يعد توقيت انعقاد الجماعة على نفس القدر من الأهمية ، فالجماعات التي تتعقد أثناء النهار سوف تستبعد - في الغالب - المداومين في وظائفهم ، كما يمثل ذلك شكلاً من أشكال التحيز (فصل 5 باب 2) . أما لقاءات الجماعات التي تعقد في المساء فقد تحول هي الأخرى دون حضور الأفراد الذين لا يحبون الخروج من بيوتهم بعد الغروب بسبب الخوف من التعرض للجريمة أو بسبب عدم توفر وسائل المواصلات المناسبة . وقد يجد الأفراد الذين لديهم أطفال صغار أن عقد اللقاء خلال الساعات الأولى من المساء أمر عسير بسبب مواعيد إطعام الأطفال ومواعيد نومهم .

إن حجرة مضيئة جيدة التهوية بها مقاعد مريحة مرتبة في هيئة دائرة لتساعد الأفراد على الشعور بالارتياح والاسترخاء ، كما أن من شأن تقديم مشروبات خفيفة أن يزيد من إضفاء جو ودى خال من التكلف والرس بيات . تأكيد أن القاعة مجهزة تجهيزاً جيداً قبل وصول أول مشارك ، وتأكد من أنك (وربما مساعدك في إدارة الجلسة) متاهبان للترحيب بالأفراد عندما يصلون ، ولا يعطائهم شارات لتعليقها مكتوب عليها أسماؤهم . وتأكد من وجود لافتات على كافة الداخل المؤدية إلى هذا المبنى تحدد مكان هذه القاعة . وعليك أن تقوم بتقديم الذين يحضرون متأخرین إلى بقية أعضاء الجماعة ، وإتاحة الفرصة لهم للاشتراك في المناقشة في أقرب وقت ممكن . وإن كنت تستعمل أجهزة للتسجيل ، أو سبورة ورقية^(*)

(*) السبورة الورقية Flipcharts هي عبارة عن لوح خشبي - أو نحو ذلك - على هيئة سبورة ، لا تثبت إلى الحائط ولكن ترفع على حوامل (ثلاثة أو أربعة) . ويشتت على تلك السبورة في الجهة المواجهة للجمهور كمية من «أفرخ» الورق ، تكون مهيأة لأن يكتب عليها المحاضر ، وبعد أن يفرغ من صفحة يقلبها إلى أعلى لتسقير خلف السبورة ، ويجد مكانها صفحة جديدة خالية . وقد تكون الأوراق المثبتة على السبورة عبارة عن خرائط ، أو أشكال ، أو رسوم ، أو إحصائيات ... إلخ . تكون جميعها جاهزة لكي تستخدم في الشرح . وكلما فرغ من ورقة قلبها إلى أعلى لتسقير خلف السبورة . ويسعى البعض البعض اللوحات القلابة . ولكن الترجمة التي أوردناها هي الأدق في التعبير عن طبيعة الدور التعليمي (والإيضاحي) لتلك الأداة . (المترجم)

(يتم قلبها للخلف بعد عرضها، لإظهار اللوحات الأخرى) أو غير ذلك من المعدات، فلا بد من تجهيز هذه الأشياء قبل حضور المشاركين. كما يتبعن عليك أن تتدرب جيداً على استخدام هذه الأشياء (الفصل الثاني) بحيث لا يحدث أى تأخير في بدء الجلسة أو نظر أى مشكلة توقف المناقشة الدائرة بين أعضاء الجماعة. وتذكر دائماً أن الأفراد المشاركين في جماعات المناقشة يضخون بوقتهم ويتبادلون خبراتهم مع غيرهم لما فيه صالح بحثك.

جماعات المناقشة الإلكترونية

هذا مجال آخر في الاتساع أمام الباحثين الاجتماعيين (انظر «كنى»، Kenny، 2005) كما أنه يوجد عدد من الطرق والأساليب المختلفة التي يمكن استعمالها (تناول هذا الموضوع في الفصل العاشر).

إدارة جماعات المناقشة

أولى السمات المميزة لجماعة المناقشة أنها كذلك بالضبط - أى إنها جماعة - وأنت بوصفك الباحث تعتبر (عادة) القائم على إدارة هذه الجماعة أيضاً. وهذا معناه أنك مسؤول عن هذه الجماعة، وبصفة خاصة عن تمكن الجماعة من الحديث عن موضوع بحثك وتحقيق التفاعل فيما بين أعضائها والتفاعل معك. وللقيام بهذا العمل عليك أن تكون ذا بصيرة نافذة تدرك بها ما يجري داخل الجماعة وتأكد - كذلك - من أنك قادر على جمع البيانات التي تساعدك في الإجابة على أسئلة بحثك.

وقد وصف البعض دور المدير بأنه دور «منسق إيقاع الحركة»^(٤) (بوكتا Puchta وبوتر 2004، Potter) بما يعطي الانطباع بأن دور المدير أو المنسق هو إيجاد طرق لتوجيه أعضاء هذه الجماعة للقيام بدورها كجماعة مناقشة على الوجه الأفضل. ثم إن جماعات المناقشة جماعات معنية بعملية الأداء (الدرامي). ومهما قيل خلال النقاش، وسواء كان هذا الذي يقال وجهاً نظر تطرح أو حكاية تروى، فإن ذلك يتم أمام جمهور من المستمعين، كما أن هذا الجمهور حاصل بالمؤدين (الDRAMIN) الآخرين. إذ يرى علماء النفس الاجتماعي أن الأفراد - وسط الجماعة - لا يعرضون اتجاهاتهم الفردية المترسخة لديهم، وإنما يقومون بعرض ما لديهم من التقييمات والأراء والخبرات المتعلقة بسوق الموقف (وهو في هذه الحالة: جماعة المناقشة هذه) وذات الصلة بالأفراد الذين يتفاعلون معهم (بوكتا وبوتر، 2004). فجماعة المناقشة إنما تصمم لتتمكن الأعضاء من القيام بذلك تحديداً.

^(٤) ترجمنا هذا التعبير بتصرف محدود لیناسب السياق العربي، فالوصف المستخدم في الأصل، والذي تصرفا فيه هو «منسق الأداء الحركي (في الرقص) التفاعلي» أى: Facilitator (or moderator) in: interactional choreography (المترجم).

السمة المميزة الثانية لجماعات المناقشة هي أنها طريقة تفاعلية وليس مجرد طريقة لطرح نفس السؤال على كل شخص. ولا ريب أن الباحث هو الذي يتولى إدارة هذا التفاعل داخل الجماعة.

وهكذا يكون عليك - باعتبارك القائم على إدارة النقاش - أن تتأكد من:

- أن أعضاء الجماعة يتفاعلون مع بعضهم البعض.
- وأن المناقشة تظل مركزة على موضوع بحثك.
- وأنك «لا تقود» المناقشة أو تؤثر عليها.
- وأنك متتبه لديناميات الجماعة ولطريقة شعور المشاركون بهذه الجماعة وما هو إحساسهم تجاهها.

ويستخدم معظم القائمين على إدارة جماعات المناقشة نوعاً من «دليل الموضوع» (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) لمساعدتهم في القيام بهذا العمل.

ما دليل الموضوع؟

هو مجموعة من الأسئلة أو النقاط الرئيسية أو الأسئلة المحفزة المقرر أن يغطيها الحوار داخل جماعة المناقشة أو أثناء المقابلة، وأهم وظائفه:

- يساعد المنسق على تذكر القضايا أو الأسئلة التي تطرح ،
- ويقترح طرقاً لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسئلة ،
- ويدرك المنسق بأن يطرح أسئلة تفتح الموضوع ويتبع التعليقات ،
- ويشمل على نوع من التقديم وطريقة لإنها اللقاء ،
- يكفل تغطية نفس الموضوعات في كل جماعة ، وذلك إذا كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك في إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين .

يعتبر دليل الموضوع الوارد في المثال (5-2) نموذجاً يتسم باللامح التالي:

- قالب معين لتقديم وإنتهاء جماعة المناقشة ، وذلك للتأكد من أن حديثك يغطي كافة المعلومات المهمة عن : الحفاظ على السرية ، وهدف البحث ، وما سيتم عمله بنتائج البحث وتسجيلاته ، وللتتأكد من أنه تم تقديم الشكر للمشاركين على مشاركتهم .
- سؤال تمهدى لحث الأفراد على الكلام: إذ يوجه السؤال الأول إلى كل مشارك تباعاً ، بحيث تناح لكل واحد مبكراً فرصة لأن يقول شيئاً ما في هذا النقاش .

- أربعة أو خمسة أسئلة عامة لتقديم الجوانب المختلفة للموضوع ، والتى تزيد من الجماعة أن تناقشها .
- أسئلة متابعة لتفتيح الموضوع (مثال ذلك : «كيف حدث ذلك؟» ، و«هل يمكنك أن تحكى لنا المزيد عن ...؟» ، و«ماذا تقصد بهذا...؟»). ومجموعة أخرى من الأسئلة المحفزة: (مثال ذلك : «ماذا تقول عن الأفراد الآخرين الذين يعيشون معك فى بيتك؟ و «ماذا تقول عن جيرانك؟») وذلك لحت الأفراد على الإفاضة بذكر المزيد من التفاصيل وعلى تبادل المزيد من الخبرات والأفكار (انظر الفصل الرابع الذى يحتوى على بعض أسئلة تفتیح الموضوع الفيدة فى إجراء المقابلات ، والتى يمكن استعمالها أيضا فى جماعات المناقشة).
- أسلوب معين للأخذ بيد جماعة المناقشة إلى نهاية الحوار بتکليفهم بمهمة ما أو واجب معين (انظر لاحقا المزيد عن الأفكار الخاصة بالمهام أو الواجبات).

المثال (2-5)

دليل موضوع لجماعة مناقشة عن : ما الذي يجعل من المكان «مكاناً صحيحاً» لمن يعيش فيه؟

أشكركم على الحضور . سوف تستغرق هذه الجلسة نحو ساعة ، وأى شيء تقولونه هنا سيكون سرياً بحيث إنه لن يتم الإفصاح عن هوية أي واحد منكم في أي تقرير يكتب عن هذا الاجتماع . كما نرجوكم أن تتحترموا سرية بيانات الآخرين بعد مغادرتكم هذا اللقاء . إننا نعمل مع أفراد آخرين في «وستروود» لتعرف على تصورات الأفراد بما يجعل مكاناً ما مكاناً صحياً لمن يعيش فيه . ونحن نجري حواراً مع جماعات من الأفراد مثل جماعتكم هذه ، وسوف يستفاد بالنتائج المستندة من هذه الجماعات لمساعدة واضعى السياسات والموظفين المحليين على جعل «وستروود» مكاناً أرقى صحياً لمن يعيش فيه .

بيان
الجلسة

أود أن أبدأ برجاء لكل واحد منكم أن يقدم نفسه ، ويكتفى في ذلك أن يذكر اسمه ، ويتحدث عن المدة التي عاشها أو عمل أثناءها في «وستروود» وبعض الأشياء التي تحبها في المعيشة في هذه المدينة .

١ - أود أن تبدأ الحديث عما يعنيه كون الإنسان ممتنعاً بالصحة في نظرك، هل هو:

الصحة البدنية

الصحة العقلية

الخلو من الأمراض

أسلوب المعيشة

• وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟

٢ - ما أنواع الأشياء التي تعتقد أنها مفيدة لصحتك في المنزل؟

في الحي السكني الذي تعيش فيه؟

• وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟

٣ - ما أنواع الأشياء التي ليست مفيدة لصحتك؟

في المنزل؟

في الحي السكني الذي تعيش فيه؟

• وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟

٤ - ما الذي يمنعكمَا كوالدين من أن تعيشوا حياة صحية؟

• ما الذي يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟

٥ - ما الذي يمنع أطفالكم من أن يعيشوا حياة صحية؟

• ما الذي يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟

٦ - أيمكنك أن تقترح أمراً واحداً من شأنه أن يحسن مستوى صحتك

وسعادتك على نحو ملحوظ؟

(اجمع الإجابات على السبورة الورقية).

٧ - أيمكنك أن تقترح أمراً واحداً من شأنه أن يحسن مستوى صحة وسعادة

طفلك أو أطفالك على نحو ملحوظ؟

(اجمع الإجابات على السبورة الورقية).

٨ - ما الأمور التي يمكن أن تجعل «وستوود» مكاناً أرقى صحياً لمن يعيش فيه؟
 (اجمع الإجابات على السبورة الورقية).

• تحديد أولويات المهام، حيث يطلب من كل شخص أن يحدد أعلى ثلاث أولويات في نظره، ويوشر عليها عن طريق لصق نجوم أمامها.

٩ - أتود أن تصيف أي شيء آخر؟

أشكركم على مشاركتكم في هذا النقاش. إننا نعقد عدداً من جلسات النقاش مثل هذه الجلسة، وسوف نقوم بعد ذلك بتتبيلع نتائج جلساتنا للأفراد الذين يعيشون أو يعملون في هذه المنطقة في نهاية العام. أرجو أن تتقبلوا على الطعام الصحي المقدمة لكم، وقسائم التخفيض المقدمة كمكافأة للمشاركة في جماعة المناقشة.

تساعد هذه المهام - أو الواجبات - المشاركين على التفاعل والعمل معاً، كما توفر للأفراد فرصة للتعبير عن آرائهم. وإليك بعض الأفكار في هذا الشأن:

• **جماعات الهمس:** أثناء جلسة جماعة المناقشة، اطلب من الأفراد أن ينافش كل اثنين منهم بعضهما في قضية ما، ثم يتناقش كل أربعة منهم في هذه القضية، وذلك قبل مناقشة هذه القضية من جانب الجماعة بأسرها. فمن شأن ذلك أن يعين الحضور على تأمل الموضوع وإمعان النظر فيه قبل أن تتناوله الجماعة بأكملها.

• **تحديد الأولويات:** ضع قائمة بكل الأفكار المختلفة التي ذكرها الأفراد في لوحة قلابة، ثم اطلب منهم أن يحددو أهم هذه الأفكار في نظرهم عن طريق سؤالهم أن يضعوا بطاقة لاصقة - كعلامة - أمام ما يرون أنه فكرة، أو ثانية الأفكار أهمية، أو ثالث الأفكار أهمية، فإن ذلك يعطي الأفراد فرصة التعبير بما يعتبر مهمماً في نظر كل واحد منهم.

• **تحديد الجماعة للأولويات:** قدم للجماعة مقداراً من قطع العملة الرمزية (غير الحقيقة): «الماركات») «لينفقوا منها على الخدمات الصحية لختلف جماعات الأفراد، مثلاً. كيف سيوزعون هذا «المال» على وجوه الإنفاق؟ فمن شأن ذلك أن يساعد الجماعة على أن يتقابل أعضاؤها مع بعضهم البعض بأكثر مما يتفاعلون مع مدير اللقاء.

• **عوامل تحفيز المناقشة :** في أثناء انعقاد جلسة جماعة المناقشة، قدم معلومة ما، أو اطرح قضية محل خلاف، أو صورة، أو اعرض فيلم فيديو قصيراً، ثم اطلب منهم تعليقات مباشرة. فيإمكان ذلك أن يكون وسيلة لطرح الآراء المتعارضة، أو تقديم

المعلومات التي قد لا تكون معروفة لجميع أعضاء الجماعة، أو بعض جوانب القضية التي قد لا يمكن طرحها إلا بهذه الطريقة.

بحثك

فك في موضوع بحثك، ثم اشرح كيف تشجع الأفراد على التحدث عنه؟

تصف جماعات المناقشة - بحكم طبيعتها - بأنها شديدة التنوع، كما أن الطريقة التي تناقش بها كل جماعة موضوع بحثك سوف تختلف تبعاً لتركيبة الجماعة، وما إذا كان الأفراد يعرف بعضهم بعضاً، وتبعاً لأنماط الخبرة التي يجلبها أولئك الأفراد إلى هذا اللقاء وعلى مدى تأثيرهم - كأفراد أو ربما كمجموعة إثنية أو نوعية (ذكور وإناث) - بموضوع البحث. وبصنيفك القائم على إدارة اللقاء، يتبعين عليك العمل مع هذه الجماعة لتمكين كل الأعضاء من الاشتراك فيها على الوجه الذي يرغبون فيه. كما أن عليك أن تتأكد من أن الأفراد يشعرون بالراحة النفسية والتقدير داخل المكان الذي تنعقد فيه جماعة المناقشة. وليس هذا بالأمر السهل دائماً، إذ يجب أن تكون جاهزاً المساعدة للجماعة على أداء مهمتها بنجاح.

إذن فماذا يحدث لو أن :

- ... فرداً لم يشارك ؟
- ... أو دب الخلاف بين فرددين ؟
- ... أو أصاب القلق والانزعاج أحدهم بسبب موضوع البحث ؟
- ... أو كذا ، أو كذا ...

المثال (3-5)

إذن ماذا يمكن أن يحدث لو أنك تقوم بإدارة لقاء جماعة مناقشة، وأن النقاش أخذ يتتطور بصورة جيدة تماماً ولكن ...

... بعد برهة تلاحظ أن شخصاً واحداً بعينة هو أول من يجب - دائماً عندما تطرح سؤالاً على الجماعة، كما أنه يقاطع - أحياناً - غيره من الأفراد عندما يتحدثون ، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة في هذه الحالة:

- اصرف نظرك عن هذا الشخص وانظر تجاه مشارك آخر، داعيا إياه إلى أن يسهم في المناقشة.
- ارفع يدك قليلا في إشارة «لি�توقف» أثناء نظرك نحو مشارك آخر.
- قل : «لعلنا نستطيع الاستماع إلى شخص آخر الآن».

..... بعد الدقائق القليلة الأولى ، تبين أن ثلاثة من النساء الحاضرات يجلسن في صمت ولا يشاركن ، ثم يبدأن الكلام مع بعضهن في هدوء ملحوظ ، ويضحكن أحيانا ، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة للتصرف:

- انظر إليهن ، داعيا إياهن للاشتراك في النقاش .
- وجه سؤالا بصورة مباشرة إليهن بالاسم .
- ادعهن ليشاركن أفكارهن مع الجماعة .

... أثناء تطور النقاش ، تجد أن فردين يستحوذان على زمام الحوار ، ويتبنيان وجهتى نظر متعارضتين . وفي أثناء تطور الجدال ، والخلاف ، ينسحب الأعضاء الآخرون تاركين هذين الشخصين «يخوضان هذه المعركة للنهاية» . فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة في مثل هذه الحالة:

- قاطعهما قائلا : «حسنا ، يبدو لي أن (فلانا) يأخذ بوجهة نظر ما ، وأن (الآخر) يأخذ بوجهة نظر أخرى ، فما هي يا ترى وجهات نظر الآخرين؟
- ادع الحاضرين ، واحدا بعد الآخر ، أن يذكروا ما واجهة النظر الرئيسية عندهم ثم افتح باب المناقشة للآخرين .

... يبدي أحد الرجال ملاحظة تتصل بالمرأة تتسبب في إزعاج بعض النساء الحاضرات فيعرضن عليه ويصفه بأنه «مت指控 ضد الجنس الآخر» ، وقد يتصدى أعضاء آخرون للدفاع عنه ، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة

- قاطع ذلك الشخص قائلا: «حسنا ، في بعض الأحيان يقول البعض كلاما قد يزعج الآخرين ، كما قد يكون لهم أفكار مختلفة عما يقبل قوله في جماعة . هل

لى أن أقترح متابعة مناقشتنا عن (موضوع البحث) وتفق على أننا جميعاً سوف نراعى مشاعر أعضاء الجماعة الآخرين؟. هل يمكن أن أطمئن إلى أن طلبى هذا مقبول من كل واحد منكم؟»

- إذا لم يرغب بعض المشاركين في متابعة النقاش مع الجماعة، فاسمح لهم بترك المكان وأخذ فترة راحة قصيرة قبل موافصلة النقاش.

... إحدى السيدات ظلت شديدة الهدوء طوال المرحلة الأولى من النقاش، وبعد ذلك - وحين توقفت المناقشة - تبدأ في رواية حكايتها الشخصية التي ترتبط بال موضوع الذي تناقشه هذه الجماعة. وهي قصة مؤلمة تدفعها إلى البكاء. يكون بعض أعضاء الجماعة شديدي التعاطف ويعبرون عن اهتمامهم بموضوع النقاش، والبعض الآخر يلوذ بالصمت. فماذا يمكن أن تفعل؟

أفكار نافعة

- أشكرها على روايتها لحكايتها.
- أقترحأخذ فترة راحة قصيرة قبل استئناف النقاش، وتحقق مما إذا كانت ترغب في الاستمرار في الجماعة أم لا.
- كن مستعداً بالمعلومات المتعلقة بمصادر المساعدة والمشورة التي يمكن تقديمها للمشاركين عندما يغادرون مكان اللقاء.

تسجيل جلسة جماعة المناقشة

الوضع الأمثل أن يتم تسجيل لقاء جماعة المناقشة باستعمال مسجل رقمي أو شريطي مناسب مع ميكروفونات صوتية تحيط بمكان الجلسة. من شأن ذلك أن يمكن من تسجيل الأصوات المختلفة في لقاء الجماعة بوضوح. إلا أن ذلك لا يكون في الغالب ممكناً، كما أن الباحث قد يعتمد على مذكراته، وعلى قوائم الإجابات المدونة على اللوحات القلابة، وعلى الملاحظات التي يدونها بعد جلسة جماعة المناقشة مباشرة. وفي كل الأحوال يتبعن إعداد تقرير مستوف بقدر الإمكان عن لقاء جماعة المناقشة في أقرب وقت بعد انتهاء الجلسة. وسواء أكان ذلك من خلال نسخ التسجيل أم من خلال تجميع الملاحظات وراجعتها وتدقيقها. لن يكون من الميسور دائمًا أن تلاحظ وتدون في ملاحظاتك من الذي تحدث؟ وماذا قال؟ في جماعة المناقشة، وذلك رغم أنه من المفيد لك أن تقوم بذلك قدر استطاعتك. (الفصل الثاني).

طبيعة بيانات جماعة المناقشة

البيانات التي يتم جمعها من جماعة المناقشة بيانات كيفية قد تشمل على تسجيلات صوتية أو تسجيلات فيديو ، أو على نسخ من تلك التسجيلات ، أو من الملاحظات التي دونها مدير اللقاء ومساعده (أو مساعدوه) ، أو الملاحظات التي جمعت على إحدى اللوحات القلابة ، أو من واقع نشاط جماعي بذل داخل جماعات المناقشة . ومع أنه من الممكن تحديد شخصيات مختلف المتحدثين في التسجيلات وفي الملاحظات المدونة ، فإن ذلك قد لا يكون ميسورا دائمًا ، لأنه يحدث أحيانا أن تغلى أحاديث الأفراد بعضها على بعض ، أو لا يُظهر جهاز التسجيل نطاق الأصوات بوضوح . ونظرًا لأن تمييز «من الذي تحدث؟ وماذا قال؟» ليس ممكنا على الدوام ، فليس بالإمكان تحليل هذه البيانات وفقا لما أسهم به كل فرد فيها على حدة ، أو معالجة هذه البيانات معالجة كمية ، مثلا: حسب عدد الأفراد الذين يؤمنون برأى معين . وعلى أية حال فإن جماعات المناقشة لا تستخدم في العادة لجمع الآراء أو الخبرات الفردية ، إنما تستعمل في توليد البيانات التي تتمثل تفاعلاً جماعياً .

وكما هو الحال مع طرق جمع البيانات الأخرى ، فإن هذه البيانات التي جمعت خلال لقاءات جماعة المناقشة يتم تحليلها من حيث صلتها بطبيعة البيانات وأسلمة البحث . لهذا السبب قد يتم تحليل بيانات جماعة المناقشة باستعمال عدة طرق ، منها مثلا: طرق الاستقراء التحليلي ، أو طريقة «النظرية الموثقة» ، أو طريقة تحليل الخطاب ، أو تحليل المضمون (فصل 7 باب 4) . ويبداً كثير من الطلاب الباحثين هذه المهمة بتحليل موضوعي - أي تحليل للأفكار والموضوعات المتكررة الورود على ألسنة المشاركين - مستعينين بشكل بياني للبدء في تنظيم هذه البيانات (الفصلان 2 و 4 باب 4) .

بحثك

مزايا طريقة جماعات المناقشة

- مفيدة على الخصوص للبحث الاستكشافي وفي توليد الأفكار والموضوعات .
- يمكن تمكين الأعضاء وإشعارهم بالتحرر من القيود .
- يمكن أن تجمع بين مزايا المقابلة والملاحظة .
- يمكنها توفير مكان مريح ويعزز على الشعور بالأمان ، ولا يعوق التعبير ، وربما تتيح دراسة بعض الجماعات في «أماكنها أو أوضاعها الطبيعية».

- توفر الوصول إلى فهم ديناميات الجماعة، وقد توضح بجلاء كيف يتوصل الأفراد إلى اتخاذ قراراتهم أو تحديد اختياراتهم.
- يمكنها أن تكون قليلة التكاليف نسبياً ومجزية اقتصادياً في نفس الوقت، إذ تزودك بمقادير كبيرة من الآراء أو المعلومات.
- من الممكن (في أغلب الأحوال) أن تتحقق بسرعة مما إذا كان يوجد إجماع على الرأي أو تعارض واختلاف.
- يمكن ربطها على نحو مقيد بالطرق الأخرى، كما أنها قد تعزز فاعلية هذه الطرق، ومن أمثلتها طريقة «المراجعة اللاحقة».
- تحقق نجاحاً ملحوظاً، خاصة مع الجماعات ذات التراث الشفاهي.
- هي طريقة مرنة: تسمح باستعمال النماذج والقوالب، والتقنيات المختلفة.
- تتصرف بدرجة عالية من الصدق الظاهري، بمعنى أنها واضحة في الكشف عن القصد وعن المضمون، ولذلك يسهل على أي إنسان أن يفهمها. ومن ثم ستكون النتائج قابلة للتصديق (مارشال Marshall وروسمان Rossman 2006، وميرتون، 1987).

أوجه قصور طريقة جماعات المناقشة

- يعتمد نجاح الجماعة في كثير من الأحيان على مهارة القائم بإدارة اللقاء.
- ليس للباحث إلا سيطرة محدودة على البيانات التي يتم توليدها من النقاش.
- يمكن أن تتأثر نتائج البحث بهذه الطريقة بسبب القصور في أن تؤخذ في الحسبان اعتبارات القوة النسبية، والأوضاع الاجتماعية، والقضايا الثقافية لأعضاء الجماعة، وما أشبه ذلك من أمور.
- قد يكون المكان الاصطناعي غير مريح «وغير طبيعي» بالنسبة للمشاركين في الجلسة.
- يمكن لتصرفات الشخصيات السيطرة والشخصيات الخاضعة أن تؤثر في صدق البحث.
- قد يكون من العسير تسجيل بيانات جماعة المناقشة، لتعارض ذلك مع ما ترسم به طبيعة تلك البيانات من تداخل وتشابك.
- قد يكون رأى الجماعة مختلفاً عن آراء الأفراد، كما قد يكون من العسير الفصل بينهما.
- من الممكن أن تكون مكلفة، خاصة إذا لم يحضر المشاركون.

- لا يكون فى إمكان الباحث - عادة - إلا أن يطرح عدداً قليلاً من الأسئلة أو لا يعالج إلا عدداً محدوداً من الموضوعات.
- توجد مشكلات محتملة فيما يتصل بموضوع الحفاظ على سرية البيانات.
- كثيراً ما يكون من الصعب القيام بأكثر من مجرد تحديد الموضوعات الرئيسية (كروجر ، 1994).
- قد تكون نتائج جماعة المناقشة غير قابلة للتعدين.

بحثك

اختبار جودة البحث : استخدام جماعات المناقشة

- هل يحتاج بحثك إلى آراء واتجاهات وتقديرات الجماعة أم إلى آراء واتجاهات وتقديرات الأفراد؟
- هل ترغب أن تقوم الجماعة بتوسيع الموضوعات والأفكار؟
- هل ستساعدك البيانات التي تجمعها في الإجابة على أسئلة بحثك؟
- هل ترغب (أو تحتاج إلى) قدر كبير من البيانات في زمن محدد؟
- هل تعد تفاعلات الجماعة مهمة لمشروعك؟
- هل أدخلت في اعتبارك ما يلى:
- كيف سيتم تكوين الجماعة؟
- أين ستعقدون الاجتماع؟
- كيف ستسجل الجلسات؟
- كيف «ستدير» لقاء الجماعة وأمورها؟
- ما إذا كنت تستطيع القيام بهذا العمل من غير مساعدة أو إرشاد؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Asbury, J. E. (1995) Overview of focus group research, *Qualitative Health Research*, 5: 414–20.
- Barbour, R. S. and Kitzinger, J. E. (1999) *Developing Focus Group Research*, London: Sage.
- Bloor, M., Frankland, J., Thomas, M. and Robson, K. (2001) *Focus Groups in Social Research*, London: Sage.
- Butler, A. H. and Astbury, G. (2005) The caring child: an evaluative case study of the Cornwall young carers project, *Children and Society*, 19: 293–303.
- Cambridge, P. and McCarthy, M. (2001) User focus groups and best value in services for people with learning disabilities, *Health & Social Care in the Community*, 9: 476.
- Davidson, R., Kitzinger, J. and Hunt, K. (2006) The wealthy get healthy, the poor get poorly? Lay perceptions of health inequalities, *Social Science & Medicine*, 62: 2171.
- Fairhurst, E. (2005) Theorising growing and being older: connecting physical health, well-being and public health, *Critical Public Health*, 15: 27–38.
- Finch, H. and Lewis, J. (2003) Focus groups, in J. Ritchie and J. Lewis (eds) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Gibbs, A. (1997) Focus groups, *Social Research Update*, 19.
- Grogan, S. and Richards, H. (2002) Body image: focus groups with boys and men, *Men and Masculinities*, 4: 219–32.
- Homan, R. (2004) Ethical considerations, in S. Becker and A. Bryman (eds) *Understanding Research for Social Policy and Practice*, Bristol: Policy Press/Social Policy Association.
- Humbert, M. L., Chad, K. E., Spink, K. S., Mahajarinc, N., Anderson, K. D., Bruner, M. W., Cirolami, T. M., Odnokon, P. and Gryba, C. R. (2006) Factors that affect physical activity participation among high and low socio-economic status youth, *Qualitative Health Research*, 16: 467–83.
- Hyde, A., Howlett, E., Brady, D. and Drennan, J. (2005) The focus group method: insights from focus group interviews on sexual health with adolescents, *Social Science & Medicine*, 61: 2588–99.
- Kenny, A. J. (2005) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414–22.
- Kitzinger, J. (1994) The methodology of focus groups: the importance of interaction between research participants, *Sociology of Health and Illness*, 16: 103–21.
- Kreuger, R. A. (1994) *Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research*, 2nd edn, London: Sage.
- Marshall, C. and Rossman, G. B. (2006) *Designing Qualitative Research*, London: Sage.
- Merton, R. K. (1987) The focussed interview and focus group: continuities and discontinuities, *Public Opinion Quarterly*, 51: 550–6.
- Merton, R. K. and Kendall, P. (1946) The focused interview, *American Journal of Sociology*, 51: 541–57.
- Morgan, D. L. (1997) *Focus Groups as Qualitative Research*, London: Sage.
- Morgan, D. L. and Spanish, M. T. (1984) Focus groups: a new tool for qualitative research, *Qualitative Sociology*, 7: 253–70.
- Munday, J. (2006) Identity in focus: the use of focus groups to study the construction of collective identity, *Sociology*, 40: 89–105.
- Puchta, C. and Potter, J. (2004) *Focus Group Practice*, London: Sage.
- Wong, S. H., De Jonge, A., Wester, F., Mol, S. S. I., Romkens, R. R. and Lagro-Janssen, T. (2006) Discussing partner abuse: does doctor's gender really matter? *Family Practice*, 23: 578–86.

الفصل السادس

الملاحظة

محتويات الفصل

- ما الذي يجب أن تلاحظه؟
- أنواع الملاحظة.
- تأثيرات الملاحظة (تأثير هوثرن) .
- الجوانب العملية.
- طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

مادام يوجد البشر ، توجد الملاحظة. فهى واحدة من الطرق الأولية ، كما أنها طريقة أساسية أكثر من غيرها ، والتى بها يجمع كل إنسان المعلومات عن العالم الذى يعيش فيه وعن عناصره الكثيرة المهمة التى يتتألف منها. توفر الملاحظة للباحثين الفرصة لجمع البيانات أثناء توليدها فى العالم资料 الواقعى ، كما توفر لهم - إن رغبوا فى ذلك - الفرصة ليكونوا جزءاً من تلك العملية كملاحظين مشاركين.

غير أن الملاحظة يمكن أن تكون معقدة تعقيداً شديداً ، وتشتمل على حواس أخرى غير حاسة البصر وحدها. فالبيانات المستمدة من الملاحظة قد تجمع بواسطة أي حاسة من الحواس الخمس (البصر ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم) ، أو تجمع في الواقع من خلال تضافر كل هذه الحواس معاً. (للاطلاع على مناقشة لتاريخ الملاحظة في البحث ، انظر أدلر وأدلر ، Adler 1998).

لعل الملاحظة هي الطريقة الأكثر أساسية (وليست الطريقة الأبسط) لجمع البيانات: فالباحث يسجل ما يلاحظه. وفي البحث الاجتماعي تقدم الملاحظة في كثير من الأحيان بوصفها مرتقبة بالبيانات الكيفية. ومع ذلك فليس هذا هو حال الملاحظة في الواقع. فعلى المستوى البسيط يعتبر العد، وبصورة واضحة، أحد أشكال الملاحظة، كما أنه من الأصح ربط الملاحظة بتصنيفات البحث الكمي.

ما الملاحظة؟

- 1 - جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية.
- 2 - هي فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية في العالم الواقعي، وتسجيل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التي تحدث بها. والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعي الملاحظة إلى : الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة.

ما الذي يجب أن تلاحظه؟

الملاحظة - إذن - هي مراقبة الأمور وهي تحدث ، وهو ما يعطي انطباعا بأنها مهمة سهلة أو بسيطة كل البساطة. والواقع أنها - وللأسف الشديد - أشد تعقيدا من ذلك ، ولهذا يتبعنا أن نتساءل : «ما هذا الشيء الذي نلاحظه؟» قد تكون الإجابة على هذا السؤال واضحة ، ولكنها ليست بالضرورة سهلة. فأنت تراقب (أو تنصت ، أو ما شاكل ذلك) مراحل حدوث أي شيء تقوم ببحثه. فينبغي عليك أن تكون قادرا على أن تعرف متى تحدث هذه الأمور ، وذلك لأنك ستعين عليك تحديدها في سؤال (أو سلسلة) بحثك وفي تعريفاتك الإجرائية (فصل 4 باب 1).

في الحياة الواقعية تكون الملاحظة معقدة (وكثيرا ما تستهلك قدرًا هائلًا من الوقت).

فكرة في هذا الموضوع . . .

إلى أي مدى تكون الملاحظة معقدة؟

تخيل أنك كلفت بتقدير درجة التزاحم في مقهى اتحاد الطلبة في الجامعة الفلانية. ستجد العاملين بالمقهى متحمسين لمعرفة متى يشتد الزحام داخل المقهى ، كما أن لديهم بعض الأفكار عما يتبع عمله في هذا الشأن. يوجد بالمقهى 45 مقعدة وإجمالي 180 مقعداً.

كيف ستببدأ الملاحظة؟

لا شك أنك سوف تقوم بخطيط مشروع بحرص وعناية، وسوف تحدد بعض أسئلة البحث وتتصوّغ بعض التعريفات الإجرائية لهذه الأمور (فصل 4 باب 1). وهذه المهمة ليست بالأمر اليسير بالطبع، كما أن استكمال هذا الإعداد قد يحتاج بعض الوقت (وربما يحتاج لشيء من المحاولة والخطأ) حتى تصوّغ هذه التعريفات على الوجه الصحيح.

ماذا يمكن أن يكون تعريفك الإجرائي لكلمة «مزدحم».

كيف تجمع بياناتك؟

حسناً، إذا فرغت من صياغة التعريفات الإجرائية على الوجه الصحيح، فإن كل ما يتبع عليك عمله هو المراقبة (أى الرصد والملاحظة)، أليس كذلك؟ ثم إنك ستحتاج أيضاً إلى طريقة ما لتسجيل ما ستتوصل إليه من نتائج (الفصل الثاني).

ما الذي سوف تراقبه وتسجله؟

ادخل في حسابك الجوانب العلمية

من تلك الجوانب مثلاً:

- قد يكون من غير الممكن لشخص واحد أن يقوم بهذا العمل وحده، إذن فكم عدد الملاحظين الذين ستحتاج إليهم؟
- إلى أي مدى سيؤثر حضور ملاحظيك على العملية التي تقوم بمراقبتها؟ (على الأقل: يتحمل أن يشغلوا عدداً من المقاعد التي كان يمكن لرواد المقهى أن يشغلوها لو لا حضوركم).
- هل لشكل المكان الذي يشغل المقهى أهمية معينة؟ هل سيؤثر هذا الشكل على الملاحظات؟
- كيف ستتأكد من أنه لم يحدث تطابق جزئي في ملاحظاتهم، أعني بذلك: كيف ستكشف أن كل ملاحظة مستقلة عن غيرها، وأن نفس البيانات لم يسجلها أكثر من ملاحظ واحد؟
- كم من الوقت يمكن للملاحظ أن يعمل بدون أن يصبحه الملل؟ ما القضايا الأخرى التي قد تكون مهمة ولم يرد ذكرها هنا؟

بإمكان تفويذ أي نوع من أنواع الملاحظة (انظر ما يلى) إما بصورة ظاهرة (صريحة)، (حيث يعرف المشاركون أنه تجرى ملاحظتهم)، وإما بصورة مستترة (حيث لا يعرف المشاركون في البحث أنهم واقعون تحت الملاحظة). ومن الواضح أن هذا الوضع يطرح بعض التساؤلات الأخلاقية التي لا بد من معالجتها قبل المضي قدما في مشروعك (فصل 5 باب 1).

هل من المقبول أخلاقيا إجراء بحث عندما لا يكون لدى المشاركون علم بإجراء هذا البحث؟ لا توجد إجابة واضحة على هذا السؤال، إلا أن من طرق التفكير فيه أن تأسّل نفسك بما إذا كان «بالمكان» الحصول على هذه البيانات عن طريق الملاحظة الظاهرة، أم أنه ليس بالممكان. فإن كانت الإجابة «نعم»، فإنه يصبح من غير المحتمل لبحث قائم على الملاحظة المستترة أن يكون سليما من الناحية الأخلاقية، أما إن كانت الإجابة «لا» فسوف يكون عليك أن تقرر ما إذا كان من الملائم أن تواصل المضي في البحث أم لا، مع عمل تقدير للمخاطر التي يتضمنها ذلك العمل في هذه الحالة. من ذلك مثلا (انظر البرواز أدناه بعنوان: «فكّر في هذا الموضوع»)، ماذا يحدث إن كنت قد بدأت مشروعا للملاحظة المشاركة المستترة لعصابة إجرامية من مشجعي كرة القدم ثم كشف أمرك؟ قد لا يحدث شيء واضح (بالرغم من أن هذه العصابة سترansom على ألا تتمكنك من أن تكشف شيئاً مهماً، مما قد يجعل نتائج بحثك غير مجده)، إلا أنك تكون ساعتها قد وضعت نفسك في موقف شديد الخطورة. لا خلاف على أن هذا المثال يمثل حالة متطرفة مستبعدة الحدوث، إلا أنه سيكون عليك دائمًا أن تدخل في الحساب سلامتك الشخصية وسلامة مشاركيك (مبحوثيك) عند القيام بهذا النوع من البحث.

فكّر في هذا الموضوع . . .

الملاحظة المشاركة المستترة

الانحراف وسط حثالة المجتمع

استخدم جون صجدن (J. Sugden 2002) الملاحظة المشاركة المستترة للتغلغل في العصابات الإجرامية لشجعى كرة القدم ولاكتشاف بعض المعلومات المذهلة المتعلقة بخلفية هذه العصابات وعلاقتها بالأنشطة الإجرامية وببعض القوى الدافعة التي تكمن وراء العنف المرتبط بشجع كرة القدم. كان من غير المحتمل أن تُكشف هذه المعلومات باستعمال الوسائل الظاهرة، إلا أن هذه العملية كانت تحمل مخاطر شخصية بالغة لهذا الباحث.

عصابات مانشستر

قام بيتر وولش (Walsh 2005) بنفس هذا العمل في كتابه المشار إليه، حيث استخدم بعض الأفراد «كمصادر للمعلومات من داخل» بعض عصابات الإجرام العنيفة التي كانت تثير الرعب في مانشستر. ونلاحظ هنا أيضاً أن احتمالات المخاطر التي كان يمكن أن تصيب الباحث، كانت مرتفعة جداً.

اقض بعض دقائق تتأمل فيها قيمة هذا النوع من البحث، خاصة عند موازنته بالمخاطر التي يتعرض لها الباحث (فكلا الكتابين يذكران بالتفصيل حالات من الضرب العنيف والقتل غير المشروع).

أنواع الملاحظة

كثيراً ما يقسم الباحثون الملاحظة إلى نمطين متميزين : **الملاحظة البسيطة** (انظر قائمة المصطلحات) **والملاحظة المشاركة** (انظر قائمة المصطلحات)، مع النظر إلى الملاحظة البسيطة باعتبار أنها «علاقة بالغة الفقر» (الفقر بمعنى الضعف الواضح في العلاقة بين القائم بالملاحظة والطرف موضوع الملاحظة - المترجم). ويرى أدлер وأدلر (1998) أن سبب ذلك أن للملاحظة المشاركة - خاصة - أساساً نظرياً قوياً في مبحث التفاعالية الرمزية^(*)، حيث يشيران إلى أن:

«يريد الملاحظون التفاعليون - عادة - أن يجمعوا البيانات من محوئتهم أشاء تفاعلهم معهم».

والواقع أن الملاحظة البسيطة أداة مفيدة أكبر فائدة في جمع البيانات ، ويمكن القول - على الأقل - إن المفاضلة بين هذين الأسلوبين أمر في غاية الصعوبة (انظر الشكل 1-6 أدناه).

(*) التفاعالية الرمزية Symbolic Interactionism: نظرية أمريكية بارزة في علم النفس الاجتماعي تركز اهتمامها على طرق تكوين المعاني خلال عملية التفاعل . وهي تضع في محل الأول من اهتمامها تحليل معاني الحياة اليومية، عن طريق الملاحظة المباشرة، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع البحوثين، ثم تعتمد على ذلك في الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنساني . وعلى امتداد عقد الثمانينيات قدمت التفاعالية الرمزية تحليلات لجامعة من الظواهر الجديدة، وأصبحت أكثر دقة وإحكاماً على المستوى النظري . (المترجم)

الملاحظة البسيطة

في الملاحظة البسيطة لا يكون الباحث جزءاً من العملية التي يجري بحثها، بل يكون شخصاً موضوعياً غريباً. وتقوم الملاحظة البسيطة (شأنها شأن جميع أنواع الملاحظة) بجمع البيانات الأولية الأصلية أثناء حدوثها في الواقع . من الأهمية التأكيد من أن التعرifات الإجرائية (فصل 4 باب 1) المستخدمة لتحديد الواقع المقرر ملاحظتها واضحة ، والتأكد من أن الاستراتيجيات الملائمة موجودة في موضعها الصحيح لتسجيل هذه البيانات .

الملاحظة المشاركة

الهدف الرئيسي للملاحظة المشاركة (والمجال الرئيسي الذي تختلف فيه عن الملاحظة البسيطة) هو اكتساب المعرفة الوثيقة المتعمرة عن جماعة الأفراد الذين يمثلون المبحوثين موضوع الدراسة (وقد يكون موضوع هذا البحث محدداً أشد التحديد ، فيسعى لفهم بعض الممارسات الثقافية مثلاً ، وقد يكون ذا طابع عام كل العمومية)؛ وجمع هذه المعرفة في المكان الطبيعي لحياة تلك الجماعة . وفي كثير من الأحيان تستمر الملاحظة المشاركة فترات زمنية طويلة (قد تصل أحياناً إلى سنوات) . وقد نشأت الملاحظة المشاركة على يد علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وأعقب ذلك أن استخدمها علماء الإثنوجرافيا^(*) . وقد انتشرت بصورة موسعة في السنوات الأخيرة (انظر البرواز أعلاه بعنوان « فكر في هذا الموضوع ... »).

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لاستخدام الملاحظة المشاركة :

- 1 - يؤكد البعض (انظر مثلاً دي ولت De Walt ، 2002) أن استخدام الملاحظة المشاركة يعني أن الباحثين لا يحاولون فرض واقعهم الاجتماعي وتفسير أنهم الاجتماعية الخاصة بهم على العالم الاجتماعي الذي يقومون بدراسته ومحاولته فهمه .
- 2 - بإمكان الملاحظة المشاركة أحياناً أن تظفر بالوصول إلى مناطق لا يمكن في العادة دراستها (انظر البرواز أعلاه بعنوان « فكر في هذا الموضوع ... ») . ومع ذلك ينبغي عليك أن تتبّع إلى أن هذا النوع من الدراسة يرتبط في بعض الأحيان ببعض المجازفات والمخاطر البالغة .

(*) راجع عن البحث الإثنوجرافي : إيمeson وزملاؤه ، البحث الميداني الإثنوجرافي في العلوم الاجتماعية ، ترجمة هناء الجوهرى ، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، 2010 . (المترجم)

3 - تحاول فهم سبب حدوث بعض ممارسات بعينها (والتي قد تكون ممارسات ثقافية مثلاً، إلا أنها قد تشمل - أيضاً - على ممارسات عملية جارية فعلاً (انظر مثلاً: Mayo، 1933)، وكيف نشأت تلك الممارسات وكيف تتغير بمرور الزمن. يصف جولد Gold (1958) أربعة أساليب للملاحظة والتي يسميها : أسلوب المشارك الكامل أو الخالص ، وأسلوب المشارك كملاحظ ، وأسلوب الملاحظ كمشارك ، وأسلوب الملاحظ الكامل أو الخالص .

• **المشارك الكامل أو الخالص :** في هذه الحالة سيحاول الباحث أن يصير عضواً كاملاً العضوية في الجماعة التي يجري دراستها. ولتحقيق ذلك ينبغي أن يكون دوره كباحث مستترًا على الدوام (أو قد يعرف أفراد الجماعة - أحياناً - أنهم موضوع للبحث ، ولكنهم لا يعرفون الهدف الحقيقي لهذا البحث). ويعتقد أن من شأن هذه الطريقة أن توفر أدق البيانات لأن تصرفات المبحوثين واستجاباتهم ستتم «بشكل طبيعي» ، أعني بذلك أنهم سيتصرفون كما لو أنه لا يوجد باحث بينهم . يضاف إلى ذلك أن استخدام هذه الطريقة يمكن أن يتبع للباحث - أحياناً - الظفر بالوصول إلى جماعات لم يكن لينفذ إليها بغير هذه الطريقة . ولكن لهذه الطريقة عيوبها أيضاً : أشدّها وضوحاً أنه ليس بالإمكان دائمًا أن ينفذ الباحث إلى داخل جماعة ما بهذا الأسلوب (فكرة مثلاً في الباحثين البيض الذين يحاولون دراسة جماعة «من السود» ، أو في النساء اللاتي يحاولن دراسة جماعة من الرجال . فهذا نموذجان بسيطان يوضحان هذه النقطة بجلاء) . أحياناً ما يعبر البعض عن قلقهم من أن الباحث سيقدر موضوعاته بتحوله إلى عضو بالجماعة وبسبب تبنيه لكافة قيمها وممارساتها (كما يسلم بذلك القائلون بهذا الرأى) . ويعد هذا ، إلى حد ما ، خطراً حقيقياً يتعين مواجهته في كل حالة على حدة .

البحث الواقعى

الملاحظة المشاركة : نموذج للتغلغل في المنظمات

بحث جي فيتن Vinten (1994) بعنوان : «الملاحظة المشاركة : نموذج للتغلغل في المنظمات» ، منشور في : المجلة العلمية لعلم النفس الإداري 9(2) : 39-30.

في هذا البحث يناقش «فيتن» مجموعة من الأمثلة التي تبين بالتفصيل إلى أي مدى يمكن للملاحظة المشاركة المستترة أن تكون - أحياناً - الطريقة الوحيدة لاكتشاف سلوك ما . فهو يقدم وصفاً تفصيلياً لإقدامه - كباحث - على السرقة من مقر العمل ، ولتظاهره بأنه ذو ميول جنسية مثالية لكي يتمكن من دراسة سلوك المثليين جنسياً ،

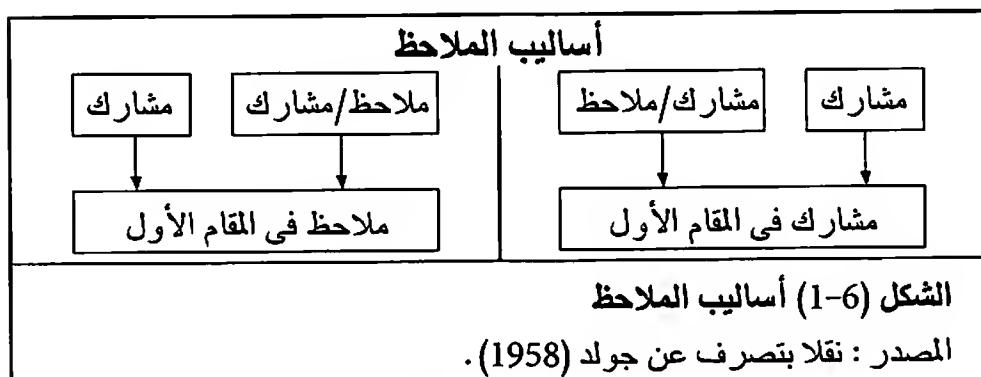
وافتراضه بعض الممارسات غير المعتادة أو غير الملائمة في مكان العمل، وإقدامه على ممارسة مرعبة، بالظاهر بأنه مريض في مستشفى للأمراض العقلية بهدف أن يتمكن من ملاحظة العلاج الطبي الذي يقدم لمرضى الفحص. (وهو يتتبه كذلك إلى أن استخدام الملاحظة كطريقة لجمع البيانات يتعرض للانتقاد في أحيان كثيرة، مع أنه يؤكّد أنها طريقة فائقة الدقة والجدوى.

• المشارك كملاحظ: وهو يختلف عن وضع المشارك الكامل أو الخالص في أن الباحث يتخذ موقفاً ظاهراً ويكشف لهذه الجماعة عن حضوره بينهم وعن دوره البحثي. تتشابه مزايا هذه العملية مع مزايا الأسلوب الأول، من حيث توافق الفرصة لدراسة جماعة ما داخل بيئتها الطبيعية. وبالنسبة للباحث لا توجد مشكلة أخلاقية خاصة بإشارة خداع الجماعة فيما يتعلق بدور الباحث. وتوجد بعض العيوب الأخرى التي لا توجد عادة في حالة الباحث الكامل أو الخالص: والمشكلة الأبرز وسط هذه العيوب أنه إن عرف الأفراد أنهم موضوع بحث، فمن الراجح عندئذ أن يتغير سلوكهم (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه).

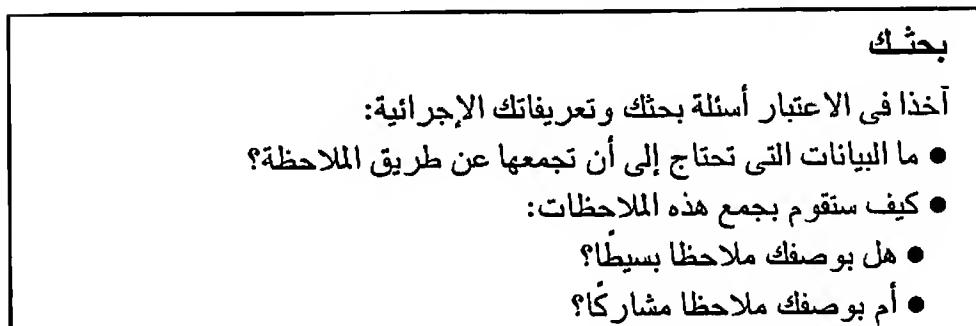
• الملاحظ (الباحث) كمشارك: الآن يشرع الباحث في التخلّي عن فكرة المشاركة في جماعة البحث كعضو من أعضائها، ويترجح أن تكون عملية جمع البيانات أكثر رسمية وتقيناً من وضع الاستراتيجيتين السابقتين. وتمثل المزايا في أنها لا تتطلب -في الغالب- إلا قدرًا قليلاً للغاية من الالتزام بوقت معين. كما أنها، من حيث المبدأ، تزيد من موضوعية الباحث لأنّه يبعد نفسه عن هؤلاء الأفراد. وتتضمن عيوب هذه الاستراتيجية إمكانية عدم فهم الباحث لتفاصيل بتصوره وافية تماماً، واحتمال أن تفوت الباحث مشكلات أخرى، فلا يتتبه لها لأنّه لن يكون مدركاً لأهميتها.

• الملاحظ الكامل أو الخالص: يمثل هذا النمط نقىض المشارك الكامل. ففي هذا الدور يحاول الملاحظ تحقيق الموضوعية الكاملة أو الخالصة، بأن يظل منفصلاً عن الأنشطة التي تجري ملاحظتها ولا يشارك فيها. والوضع الأمثل هنا أن يبقى الباحث بعيداً عن أعين المبحوثين. وتمثل المزايا التي ينسبها البعض إلى هذه الطريقة في أن الباحث سيكون محايدها وغير متحيز (بسبب عدم انخراطه في أنشطة الجماعة) وفي أنه لن يكون له تأثير - إلا قليلاً - على الأفراد موضوع البحث. وتمثل أوجه القصور، أساساً، في العيوب التي ذكرناها عن الملاحظ كمشارك. يضاف إليها أنه إن ظلّ الباحث - بالفعل - منفصلاً انتصاراً تماماً عن الجماعة التي يلاحظها، فلن يستطيع الدخول في حوار مع أفراد الجماعة حتى يزيل مظاهر سوء الفهم.

والأفضل في رأينا أن نفك في الأدوار الأربع التي قال بها «جولد» بوصفها نقاطاً أو تنويعات على متصل (ذى طرفين) وليس بوصفها موضع منفصلة، فتمثل بذلك تشكيلاً متنوعاً لا نهاية له من الأشكال المتغيرة الممكنة. يضاف إلى ذلك أن بإمكان الباحث أن يلاحظ نفسه (الملاحظة الذاتية)، مضيفاً بذلك نمطاً آخر من الملاحظة الممكنة.



يحدرك أن تقضي دقائق قليلة تفك في هذه الأنماط المختلفة من الملاحظة حتى تستطيع أن تقدر مدى فائدتها لمشروعك البحثي.



تأثيرات الملاحظ (تأثير هوثورن) (*)

لا مجال للشك في أن الأفراد إذا عرفاً أن سلوكهم موضع ملاحظة ورصد، فإن هذا السلوك سوف يتغير. فلدينا جميعاً خبرات تشهد بذلك. تأمل سلوك قائدى السيارات الذين شاهدوا سيارة الشرطة على جانب الطريق. لهذا بعد إحداث الملاحظ لغيرات في الشيء

(*) ويعرف في تراث العلوم الاجتماعية باسم : «تأثيرات الباحث القائم بالتجربة أو القائم بالملاحظة». ويعنى الطرق التي يؤثر من خلالها الملاحظ أو القائم بالتجربة على نتائج التجربة أو الملاحظة، وذلك بسبب حضوره في أثناء قيامه بالتجربة أو بالملاحظة. ولعل أشهر مثال لهذا الطرف في علم الاجتماع هو التجارب التي عرفت باسم دراسات هوثورن التي أجرتها إلنون مايو وزملاؤه. (المترجم)

الذى يقوم بملاحظته مشكلة لا يمكن تجاوزها بسهولة، كما يمكن أن تكون لها تأثيرات بعيدة المدى. وهناك من الشواهد ما يدل على أن بعض التغيرات فى السلوك تظل مستمرة حتى بعد أن تنتهى عملية الملاحظة (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه) وهو الأمر الذى يشير - مرة أخرى - قضية أخلاقية مفادها : هل يتواافق مع الأخلاق إجراء بحث عند وجود احتمال لأن يغير القيام بهذا البحث سلوك المشاركين تغييرا دائما؟

البحث الواقعى

تأثير هوثورون (أى تأثير السلوك بالملاحظة)

من العجيب أن تأثير هوثورن سمي باسم مكان وليس باسم الشخص الذى اكتشفه. فقد استخدم «مايو» (1933) الملاحظة الظاهرة لبحث الأثر الذى تحدثه ظروف العمل على أداء العمال فى مصانع شركة وسترن إلكتريك بمنطقة هوثورن الواقعه فى بولايـة اللـينـوى (وـهـى إـحدـى ضـواـحـى مدـيـنـة شـيكـاغـوـ، فـيـما بـيـنـ سـنـة 1927 Cicero وـسـنـة 1932). كان «مايو» مهتماً بمعرفة كثـيرـ من الملامـحـ والسمـاتـ المـيـزةـ لـمـكـانـ العملـ هـذـاـ، مـثـلـ: الإـضـاءـةـ، درـجـةـ الـحرـارـةـ، الرـاحـةـ، والأـحوالـ النـفـسـيـةـ كـذـلـكـ.

ويمكن إيجاز النتيجة الرئيسية التى وصل إليها «مايو» على النحو التالي: « يؤدى المستخدمون عملهم بجهد أكبر ، كما ترتفع إنتاجيتهم عندما يعرفون أنهم تحت الملاحظة ». ولعل الأمر هنا لا يدعو للدهشة . كما اكتشف «مايو» - إلى جانب ذلك - أن هذه التغيرات فى الإنتاجية ظلت مستمرة حتى بعد انتهاء هذه الدراسة البحثية . كما ذهب إلى أن كون الموظفين موضوعات للدراسة أدى - في حد ذاته - إلى جعلهم يشعرون شعوراً أفضل ، ويعملون بصورة أكثر إنتاجية بسبب اهتمام الملاحظ بهم .

الجوانب العملية

ثمة عدد من القضايا تتطلب التفكير فيها مليا قبل الشروع فى إجراء بحث قائم على الملاحظة:

اختيار العينة

من النادر أن يكون مكتنا أو ضروريا ملاحظة كل شيء طوال وقت الملاحظة . وربما يلف النظر أنك تستطيع تطبيق نفس إجراءات اختيار العينة على اختيار الأوقات والأماكن التي ستقوم فيها بالملاحظة ، كما لو كنت تقوم باختيار أفراد للمشاركة فى مسح أو فى مقابلات شبه مقننة . كما أن اتجاهك فى اختيار العينة سيعتمد على طبيعة البيانات التى ستشرع فى جمعها .

المرحلة الأولى أن تقرر متى وأين يجري الحدث الذي تقرر ملاحظته. ثم إنك ستحتاج - وأنت واضعاً نصب عينيك أسللة بحثك وتعريفاتك الإجرائية - لتحديد أي الأوقات وأى الأماكن التي ستدخلها ضمن عينتك. ويوجد في هذا الشأن عدد من الاتجاهات التي قد تأخذ بها :

- فقد يكون اختيارك للعينة قائماً على أساس البعد الزمني لذلك الحدث، من هذا أن يكون عليك القيام بإجراء تسجيل ملاحظة كل 15 دقيقة مثلاً.
- وقد تكون مهتماً بالطريقة التي يتغير بها الحدث الذي تلاحظه أثناء فترة زمنية معينة، ولهذا تختر ترتيباً معيناً للقيام بالملاحظة ثم تستمر في الملاحظة، وأنت تسجل التغيرات أثناء حدوثها.
- إن كنت ملاحظاً مشاركاً فقد لا يتسع لك القيام بالتسجيل في توقيتات بعينها، ولكنك تستطيع - وأنت واضعاً نصب عينيك أسللة بحثك - أن تدون الأحداث والأنشطة والتفاعلات التي لها أهمية عندك ثم تسجلها في نهاية جولة الملاحظة.

فكرة في هذا الموضوع . . .

اختيار العينة في مفهوي اتحاد الطلبة
ما الاتجاه الذي سوف تأخذ به في اختيار العينة؟

- فقد تلاحظ المقهى بأكمله كل 15 دقيقة على امتداد اليوم.
- وقد تلاحظ المقهى بأكمله بصورة مستمرة لمدة ساعة في الأوقات المعروفة عنها أن المقهى يكون فيها في ذروة الازدحام، وتسجل تدفق الأفراد وحركتهم داخل المقهى (وقد يتطلب هذا الأمر اشتراكاً أكثر من ملاحظ واحد لتغطية المقهى بأكمله).
- وقد تلاحظ كل عاشر شخص يدخل المقهى وتسجل خبرته، والمدة التي ينتظرها (قبل الحصول على مقعد)، وما يختاره من المقاعد، وعدد الأشخاص الذين كانوا معه . . . إلخ.

هل يمكنك أن تفكّر ملياً في اتجاهات أخرى قد ترى الأخذ بها؟

تسجيل البيانات

بنفس الطريقة التي قد تتبعها في تصميم استبيان لجمع البيانات من شخص ما، أو في تصميم دليل مقابلة لتأكد من أنك تغطي كل عناصر موضوع بحثك في المقابلة التي تجريها؛ بنفس هذه الطريقة تحتاج إلى أن تصمم قالباً يمكنك أن تصوغ فيه ملاحظاتك.

وقد يتمثل هذا القالب في نموذج أو استماراة، حيث تدل هذه الاستماراة على كل واقعة يتم ملاحظتها وفقط لعدد مرات حدوثها، أو تتمثل في وصف تفصيلي، أو في ملحوظة تدونها تذكر فيها ما يحدث أمامك - أي تذكر فيها ما تقوم بملحوظته (الفصل الثاني). ينبغي أن يتاح لك تصميم هذا النموذج تسجيل كل واقعة بمقابل التفصيل الذي تحتاج إليه، وأن يكون من السهل استيفاؤه، لأن من الراجح أن تقوم بتسجيل الحدث في موقعه الطبيعي.

الصدق

من الأمور الحاسمة في كافة البحوث أن تفهم ما تقوم ببحثه فهما صحيحاً، وأن تكون واثقاً من أن عملياتك البحثية توصلك فعلاً إلى البيانات التي أنت في حاجة إليها. وهذا الأمر بالذات صعب في الملاحظة. فثمة أشياء كثيرة جداً يمكن أن تراها، وتسمعها، وتلمسها، وتشملها. وهذا معناه أنك - بوصفك الباحث - لا بد أن تكون أشد حرصاً مما قبل على معرفة ما الذي يتوجب عليك أن تلاحظه. إن من السهولة البالغة أن يتشتت انتباحك بسبب الأحداث الهامشية، مما ينتقص من صدق بحثك (فصل 1 باب 1). ونحن نحتث على لا تحاول جمع قدر أكبر بكثير عن الحاجة من المعلومات المختلفة عند قيامك بالملاحظة. إذ إن كثيراً من الباحثين يحاولون جمع أمثل تلك الملاحظات المتباينة (مثلاً ذلك أنهم قد يحاولون جمع الكلمات التي نطق بها الأفراد، وأوضاعهم، ولغة الجسد عندهم، وتعبيرات الوجه... إلخ). وهذا أمر ليس بالمستهان، إلا أنه شديد الصعوبة أو يستهلك قدرًا هائلاً من الوقت. كما أنه سيلزمك أن تبتكر استراتيجيات خاصة للتسجيل حتى تستطيع التعامل مع هذه الكمية الضخمة من البيانات: ثم لا تنسى أنك لا بد أن تحللها كلها في مرحلة ما من مراحل البحث. إننا نلح عليك أن تلتزم الحرص الشديد.

التركيب والتعقيد

هذه القضية هي - إلى حد ما - جزء من القضية التي تناولناها أعلاه، إلا أن كل البحث القائم على الملاحظة تتصرف بالتعقيد واستهلاك الوقت. وكجزء من قضية تعقد البحث، أمعن النظر في مدى احتمال أن يتوجب عليك توظيف ملاحظين متعددين للعمل في مشروعات معقدة أو ضخمة. (ولا يمثل ذلك مشكلة على الدوام، فبإمكانك أن تنتفع بمالحظين متعددين في ملاحظة نفس الظاهرة أو نفس الشخص، وتستخدم هذا الأسلوب كنوع من «أسلوب التعدد المنهجي» لدعم صدق بحثك).

كما أن عليك أن تدرك أنه من العسير على باحث واحد أن يلاحظ أكثر من شيء واحد (أو أكثر من شخص واحد) في وقت واحد. وحتى بالرغم من أن بالإمكان التغلب على هذه الصعوبة جزئياً باستعمال التسجيل بكاميرات الفيديو، فإن مثل هذه الصعوبات لن تخفي كلياً، كما أنها تتطلب إدارة يقظة لعملية الملاحظة.

طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل

كما رأينا، يمكن للبيانات المستمدّة من الملاحظة أن تتحذّم مجموّعة من الأشكال المختلفة ابتداءً من الأشكال المقنة وانتهاءً بالأشكال غير المقنة. وستعتمد أساليب التحليل التي تستخدمها على طبيعة البيانات التي جمعتها، كما أن هذه الأساليب قد تشتمل على كل من الاتجاهات الكمية والاتجاهات الكيفية. فقد تكون مشغلاً بمعالجة بيانات سبق لك أن أحصيّت عددها (مثال ذلك: كم عدد المرات التي تقع فيها حادثة ما)، مع اشتغالك بمعالجة بيانات وصفية بصورة أكبر، وتتطلّب هذه البيانات منك أن تقوم بتصنيفها كجزء من عملية التحليل. وعلى الملاحظ - كما هو الحال بالنسبة للباحث - أن يهتم بتدوين ملاحظاته عن المشاهدات التي لاحظها، بما في ذلك الملاحظات عن انطباعاته الشخصية عن الأمور التي يقوم بلاحظتها، والمشاعر التي يحس بها تجاهها، كلما كان ذلك مناسباً.

بحث

مزايا استخدام الملاحظة

- تحدث في العالم الواقعى.
- يمكنها أن تزودنا بصور تفصيلية كاملة للظواهر الاجتماعية.
- تتصرف البيانات بالثبات النهجى، كما تتصف بدرجة عالية من الصدق (شريطة أن تكون التعريفات الإجرائية واضحة).
- فى أغلب الأحيان تكون البيانات التى تجمع باستعمال الملاحظة المشاركة بيانات فى غاية الثراء والأهمية.
- لا يعتمد هذا الأسلوب على استخدام الكلمات التى نطق بها المشاركون بعينها، ولذلك لا يكون أمراً مهماً ما إذا كان المشاركون وأصحاب فى الإفصاح بالكلمات.

عيوب استخدام الملاحظة

- قد يكون عسيراً تحديد ما يتعين ملاحظته وتسجيله.
- قد تكون مستهلكة لقدر هائل من الوقت.
- قد يصيب الضجر الباحثين ويفقدون الموضوعية.
- قد يكون التحدي الذى تفرضه محاولة «ملاحظة كل شيء» مثبطاً للهمة، وقد يؤدى إلى فقدان الملاحظ للدافعية.

- القضايا الأخلاقية، خاصة ما يدور منها حول استخدام الملاحظة المشاركة المستترة.
- في الملاحظة البسيطة قد تكون البيانات سطحية.
- تأثيرات الباحث (مثال ذلك: تأثير هوثرن).

بحثك

اختبار التحقق من جودة البحث: الملاحظة

- هل أدخلت في حسابك القضايا الأخلاقية الكامنة في أسلوب الملاحظة المستترة؟
- كيف ستتأكد من أن تظل (بوصفك الملاحظ) محافظاً على موضوعيتك؟
- هل تعرِيفاتك الإجرائية واضحة (أى إنك تعرف ما الذى تحاول ملاحظته)؟
- هل لديك الوقت الكافى لتنفيذ هذه الملاحظة؟
- إن كنت تعمل مستتراً، فكيف ستظفر بالوصول إلى الجماعة المشاركة (المبحوثة)؟
- هل تدرك حقيقة النتائج التى تحدثها تأثيرات الملاحظ في تغيير السلوك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Adler, P. A. and Adler, P. (1998) Observational techniques, in N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (eds) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.
- De Walt, B. R. (2002) *Participant Observation: A Guide for Fieldworkers*, Walnut Creek, CA: Alta Mira Press.
- Denzin, N. K. and Lincoln, Y. S. (eds) (1998) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.
- Ely, M. (1991) *Doing Qualitative Research: Circles within Circles*, London: Taylor & Francis.
- Gold, R. I. (1958) Roles in sociological field observations, *Social Forces*, 36: 217–23.
- Jorgensen, D. L. (1989) *Participant Observation: A Methodology for Human Studies*, Applied Social Research Methods Series, vol. 15, London: Sage.
- Mayo, E. (1933) *The Human Problems of an Industrial Civilisation*, New York: Macmillan.
- Sanger, J. (1996) *The Compleat Observer? A Field Research Guide to Observation*, London: Falmer Press.
- Sugden, J. (2002) *Scum Airways: Inside Football's Underground Economy*, Edinburgh: Mainstream Publishing.
- Vinten, G. (1994) Participant observation: a model for organizational involvement, *Journal of Managerial Psychology*, 9(2): 30–9.
- Walsh, P. (2005) *Gang War: The Inside Story of the Manchester Gangs*, London: Milo Books.

الفصل السابع

البيانات السردية

محتويات الفصل

- ما السردية؟
- كيف يختلف البحث السردي عن غيره من البحوث الكيفية؟
- أساليب السرد .
- لماذا ترغب في استعمال السرد.
- الجوانب العملية .
- البيانات السردية .
- معايير البحث السردي «الجيد».
- مزايا البحث السردي وعيوبه .
- النتائج غير المتوقعة .
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

عادةً ما يتم الربط بين السرد، الذي هو أسلوب لجمع البيانات وتحليلها، وبين البحث الكيفي، فضلاً عن ارتباطه ارتباطاً شديداً بالنموذج الفكري التأويلي. وتبعد فكرة الإنصات إلى الحكايات التي يرويها الناس فكرة شبيهة، كما تبدو للوهلة الأولى – سهلة الاستعمال إلى حد بعيد. ولكن الواقع أنها قد تكون شديدة التعقيد: في جمع البيانات وفي مراحل التحليل.

لعل السردية – وأعني بها الحكايات – كانت ولا تزال موجودة بوجود البشرية. ومن المؤكد أنها تسبق الكتابة – تاريخياً – كوسيلة للتسجيل وحفظ التراث. كما أن كثيراً من المجتمعات لا تزال تستخدم هذه التواريخ الشفاهية في عصرنا الحاضر. والسرديات

التي نعنيها هنا تمثل الأساس الذي يقوم عليه البحث السردي ، الذي سوف تتناوله بشيء من التعمق في هذا الفصل ، وهي في الحقيقة نوع آخر مختلف عن السردية المستخدمة كحكايات للتسليه .

ما : السرد؟

هو الوصف الذي يتناول تسلسلاً لأحداث ماضية كما تبدو للراوى في الوقت الحاضر ، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هذه الأحداث ، وحللها ، وصاغها في صورة حكايات .

سبق أن استخدم السرد كبحث ، وليس كوسيلة للاحتفاظ بالسجلات ، في بعض فروع العلم الاجتماعي ، وذلك على امتداد المائة سنة الماضية على الأقل . وكان أبرز هذه الاستخدامات في مجال تحليل الكتابات الأدبية . وأيا ما كان الأمر ، يمكن القول أن تاريخ الاستخدام الحديث للسرد في العلوم الاجتماعية يرجع إلى عشرينيات القرن العشرين (إليوت Elliot، 2005:3) . وفي ستينيات القرن العشرين كتب الناقد الأدبي رائد علم العلامات (السيميولوجيا) الفرنسي رونالد بارت كلاماً شهيراً عن أهمية السرد ، قال فيه:

«إن السردية التي عرفها العالم لا تقع تحت حصر .. فالسرد موجود في كل عصر ، وفي كل مكان ، وفي كل مجتمع ... وكل الطبقات ، وكل الجماعات البشرية لها سرديةاتها الخاصة بكل منها ... فالسرد عالمي ، ومستمر عبر التاريخ ، ومنتشر عبر الثقافات» (بارت ، 1977).

وعلى الرغم من هذا الدعم القوى ، فقد استغرقت فكرة البحوث السردية زماناً لتنتشر في العلوم الاجتماعية كلها . إلا أن هذا الأسلوب في جمع البيانات السردية وتحليلها قد أزداد ذيوعاً وانتشاراً خالل السنوات العشرين الماضية أو نحو ذلك . (ليبليش Lieblich ، وأخرون ، 1988).

ما السرديةات؟

السرديةات حكايات من صنع الجماعة . والقصة (المسرودة) هي تصوير تسلسل لأحداث ماضية كما يراها الراوى الذي يحكىها في الوقت الراهن ، وذلك بعد أن يكون ذلك الراوى قد عالجها وحللها وركبها في صورة حكايات . ولفهم التصوير هذا أهمية بالغة ، فالسرديةات ليست تسجيلات للأحداث ، بل هي تصورات ذهنية لسلسلة من

الأحداث. وهكذا يمكننا على المستوى الشديد البساطة أن نقرر أو نؤكّد - في كثير من الأحيان - الواقع المتعلق بمناسبة معينة (في الإمكان مراجعة سجلات الطقس للتأكد مما إذا كانت السماء قد أمطرت في ذلك الوقت أم لا ، مثلا). أما تحديد ما إذا كانت مسألة الطقس لها دلالتها في هذه الحكاية ، فأمر يجب تركه للقاص والراوى .

كيف يختلف البحث السردي عن غيره من البحوث الكيفية؟

ثمة أمر غير مألوف إلى حد بعيد ولكنه مهم بالنسبة لهذا النمط من جمع البيانات؛ أمر لا يجعل هذا النمط مختلفاً عن معظم الطرق الأخرى . وسبب ذلك أن البيانات التي نجمعها ، والتي سنحللها فيما بعد ، ليست تماماً من نوع البيانات الأكثر ألفة لنا والتي لنا دراية بها أكثر من غيرها . فنحن هنا لسنا بصدده جمع «الواقع» (وسيرد مزيد من الكلام عن هذه النقطة فيما بعد) ، ولكن ما نقوم بجمعه فعلا هو الطريقة التي نظم بها المشارك (أو المشاركون) هذه المعلومات في حكاية . ولهذا تكون هذه الحكاية (وكذلك عملية التنظيم - أو الصياغة - هذه) هي البيانات التي نجمعها .

فما - إذن - السردية أو القصة الشفهية؟ عندما طرحتنا هذا السؤال قبل ذلك ، قدمنا إجابة بسيطة . ولكن الحقيقة أن هذا السؤال يحتاج فعلا إلى إجابة معقدة نوعاً ما . فالسرديات - فيما يتعلق بالبحث الاجتماعي - تعتبر على وجه العموم أكثر من مجرد حكاية بسيطة . فعادةً ما نجد أن الراوى قد «عالج» هذه البيانات ، أعني بذلك أنه رتبها وفسر ما حدث ليصور هذه الأحداث كسلسلة من الأحداث الماضية ، وذلك في ترتيب زمني مسلسل إلى حد ما ، وبالصورة التي يراها الراوى في الوقت الراهن . والشيء المعقّد هنا هو أننا (رغم وعينا بأننا متهمون بهذه الحكاية) قد لا نهتم كثيراً - في الحقيقة - «بالواقع» ذاتها ، اللهم إلا باعتبارها وسيلة لمقارنة وجهات نظر المشاركين بالأمور الثابتة التي نعلم أنها حدثت فعلا . بل إن بعض المفكرين - مثل فوكو^(*) - يتمادي في هذا

(*) ميشيل فوكو M , Foucault ١٩٢١ - ١٩٨٤ : فيلسوف فرنسي شهير ينتهي لتيار ما بعد البنية ، كان أستاذاً للتاريخ المذهب الفكرية ، ومارس تأثيراً عميقاً على علم الاجتماع منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين . من أهم أعماله: «الجنون والحضارة» (١٩٦١) ، و«ميلاد العيادة الطبية» (١٩٦٣) ، و«النظام والعقاب» (١٩٧٥) ، و«تاريخ السلوك الجنسي» (١٩٧٦) .

وتعود هذه الدراسات الأربع الأكثر دراسات فوكو بسرا على الطلاب . ولكن لا توجد بين هذه الدراسات دراسة واحدة يمكن النظر إليها على أنها تاريخ يسير إلى الأمام في تقدم . على العكس من ذلك ، لقد استهدف فوكو توضيح التحولات الرئيسية في صور «الخطاب» الذي أصبحت هذه الموضوعات تتشكل من خلاله: لكي يوضح كيف تربّ «النظم الجديدة للحقيقة» معرفتنا ، وأنماط التصنيف التي تبنيناها ، ومعتقداتنا وممارساتنا . (المترجم)

الأمر إلى حد أن يقول: «لا وجود للواقع، وإنما كل ما هناك تأويلات فقط» (ميجيل Megill، 1985). ويؤكد ريسمان Riessman أن هدفنا كباحثين هو:

«أن نعرف كيف يضفي المستجيبون (المبحوثون) في المقابلات نوعاً من النظام على سيل الخبرة المتذبذب لفهموا الأحداث والأفعال التي في حيواتهم. فهذا الاتجاه النهجي يتناول بالفحص والدراسة الحكاية التي يرويها الإخباري ويحلل الطريقة التي بها ركبت وجمعت أجزاءها معاً، ويستكشف المصادر اللغوية والثقافية التي تستند إليها، كما يحلل الطريقة التي بها تقع هذه الحكاية من يستمع إليها بأنها صحيحة». (ريسمان، 1993).

ونعتقد أنه قد يوجد قدر كبير من الخلط في هذا الموضوع. إذ يبدو أن بعض الخبراء (انظر مثلاً برايمان Bryman، 2004: 322) يرون أن مقابلات تاريخ الحياة أو مقابلات التاريخ الشفاهي تولد لنا بيانات سردية. ولكننا لسنا مقتنعين بذلك تماماً، وذلك بسبب الخلاف حول طبيعة هذه البيانات. فإذا كان الأمر يتعلق فقط بالمعلومات (أو إذا أحببت أن تقول «الواقع»)، فإن هذه البيانات ليست بيانات سردية. ولكن إذا كان الأمر متعلقاً بالطرق التي بها تنظم هذه البيانات وبهدف هذه الحكاية، فإن البحث حينئذ يكون بحثاً سردياً. ونرى أنه ينبغي على الباحثين دائماً أن يسألوا أنفسهم: «هل بالإمكان إخضاع البيانات المجموعة بالأساليب غير السردية للتحليل السردي؟» نحن لا نعتقد أن هذا الأمر جائز، بالرغم من أن رأينا هذا لا يعني أن من المحال استخدام مضمون السرد في التحليل.

والآن نتأمل: لماذا يرغب شخص ما في أن يروي حكايته لنا؟ يرى كثير من المفكرين أن الأفراد يميلون إلى إضفاء نوع من النظام على خبراتهم لكي يتمكنوا من أن يفسروها ويفهموها على حقيقتها. إذن يتمثل هذا الرأي في أننا نعلم - بالأساس - أن خبراتنا معقدة ومتباينة، وأن الحكايات التي نصوغها هي التي تساعدنا على فهم هذه الفرضي. يقول «جي» Gee: «إن واحدة من الطرق الأساسية - ولعلها الطريقة الأساسية الوحيدة - التي يستطيع بها البشر فهم خبراتهم، هي أن تصاغ هذه الخبرات في قالب سردي» (جي، 1985). والعبارة المؤكدة في هذا النص وردت هكذا في الكتاب الأصلي)، كما يقول «أمبا» شيئاً قريباً من ذلك: «يقوم الأفراد بإضفاء المعنى على الخبرات المختلطة المشوشة ويحاولون «إيقاع» الآخرين بوجهات نظرهم عن طريق رواية الحكايات» (أمبا Amba، 1998).

على أنه حتى لو وافقنا على أن الفهم (أو إضفاء المعنى) هو الغرض الرئيسي للقصة الشفاهية في أغلب الأحوال، فإننا على يقين أن هناك علاوة على ذلك أدبيات أخرى

تجعل الأفراد يحكون قصصهم. علينا - كباحثين - أن ننتبه لبعض هذه الاحتمالات الأخرى، لأن ذلك سيعزز فهمنا لحقيقة هذا الأمر.

وعلينا أن ننتبه إلى احتمال أن يكون للأفراد دوافع مختلفة لرواية حكاياتهم. وهذا ليس بالأمر السريع، بل إنه قد يمثل نقطة قوة من نواح كثيرة. إلا أن الحال هنا شبيه بالحال في كثير جدًا من نتائج البحث، حيث لا يرى أحد أى ضرر من إمعان النظر في دوافع الأفراد لرواية الحكايات، والتي قد تشمل على:

- إيقاع الآخرين.

- تبرير السلوك الماضي أو القرارات الماضية.
- التسويف العقلاني (أى تفسير المراء لسلوكه بأسباب معقولة أو مقبولة، ولكنها غير صحيحة - المترجم).
- تقديم تفسيرات للأحداث وتصورات لها.
- الماضي قديماً على الطرق التي سلوكها والفضية إلى تحقيق أغراضهم» (رسمان، 1993).
- استثنارة الشفقة أو الاهتمام (جرجن Gergen، 1994).

فك في هذا الموضوع . . .

سرديات الحفلة

اقرأ القصة الشفاهية القصيرة التالية. اختار لك خمسة مواضع في هذه القصة لتقرر ما يجري فيها (وستجد تفسيراتنا في موضع لاحق من هذا الفصل).

الباحث : «احك لي عن هذه الحفلة».

الراوى : «كانت حفلة مملة للغاية. كان المسنون جمیعاً يجلسون في إحدى الحجرات، وكانتا يتكلمون عن الحرب أو عن شيء ما. (1) كنت أرغب في استعمال جهاز العاب الفيديو الخاص بي (البلاي ستيشن)، ولكن والدى قال إن هذا تصرف يفتقر إلى اللباقة والتهذيب. وأنا أسألك : هل هذا من العدل والإنصاف؟ (2) على أى حال ، ذهبت أبحث عن «جيسيون» (تم تغيير الاسم)، ولكنه كان يقوم بأداء بعض الواجبات الدراسية ولم يكن يرغب في أن يزعجه أحد. لذلك رأيت أنه يمكنني أن أخرج وألعب بالكرة في الحديقة. صدقني أتنى لم أتعمد كسر زجاج «صوبية» النباتات. ولكن أريد القول إنه من الغباء الشديد

أن نقام هذه الصوبة في هذا المكان على أى حال (3). فلك أن تتصور أن أى شخص قد يركل الكرة فتخترق زجاج هذه الصوبة. لم يكن الخطأ خطئي، بل هو خطأ جدي أن أقام هذه الصوبة في هذا المكان. المهم أنتي قفت بإصلاح الكسر الذي حدث في الزجاج باستخدام شريط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخبر به أى إنسان (4). وكيف كان لي أن أعرف أنه سيحدث صديق في تلك الليلة، وأن الظهور سوف تموت؟ إننى أتعجب ما الذى يتصور الناس أنتي أعرفه عن العناية بالحدائق؟ (5).

- | | |
|-----------|-----------|
| ----- - 2 | ----- - 1 |
| ----- - 4 | ----- - 3 |
| | ----- - 5 |

أساليب السرد

من الممكن تصنيف السرديةات بطرق مختلفة تعكس أغراضها الأساسية، وهو الأمر الذي أشرنا إليه من قبل. وهذا التصنيف يبدو أكثر «علمية» من القائمة التي ذكرناها في أول الكلام (قبل البرواز المعنون «فکر فی هذا الموضوع»)، ولذلك قد يكون أكثر فائدة في الأوساط الأكاديمية. ونورد فيما يلى قائمة بالأساليب الممكنة للقصة الشفاهية. من المستبعد أن تشتمل أى قصة واحدة على جميع هذه الأساليب، ولكن الشائع أن تشتمل عدة قصص على العديد من هذه الأساليب.

مثال (1-7)

أساليب السرد

- الأسلوب التاريخي .
- أسلوب الأجندة الظاهرة .
- أسلوب الأجندة المستترة .
- أسلوب إضفاء الشرعية .
- أسلوب السعي للحصول على موافقة الباحث .
- أسلوب السعي للحصول على المعلومات .
- أسلوب إفشاء المعلومات .
- أسلوب الانتقاد .

فکر فی هذا الموضوع . . .

أسلوب السرد

عد إلى القصة الشفاهية القصيرة المذكورة في البرواز السابق بعنوان «فکر فی هذا الموضوع»، ثم أجب : ما أسلوب السرد المتبع في هذه القصة في نظرك؟ ولماذا؟

لماذا ترغب في استعمال السرد؟

يميل كثير من الناس لفكرة السرد (الرواية الشفاهية)، إذ يبدو الأمر سهلاً وممتعاً أن تجلس وتنصت إلى ما يحكىه الأفراد من روايات. ولا ريب أن هذه الاعتبارات ليست هي أهم أسباب اختيار طريقة لجمع البيانات. ومع ذلك فإنه إن كنت تريد مثلاً أن تعرف - عن طريق الاستماع للأفراد - كيف يفهمون عالمهم وكيف يتصورونه (انظر القائمة التي وردت فيما سبق)، و كنت مهتماً بعملية رواية الحكايات بجانب اهتمامك بالرواية نفسها - أي : إن كنت تريده اكتشاف الفروق بين «الواقع» و «الحقيقة» عند شخص ما - في هذه الحالة تكون الرواية الشفاهية مناسبة لك. وهي عملية مثيرة للاهتمام في كثير من الأحيان : فالطريقة التي بها يبدع الرواوى حكايته أمر أسر جذاب، كما أن من الأمور التي سوف تستحوذ على اهتمامك أن تكتشف الأغراض التي رویت هذه الحكاية من أجلها. فالوقوف على وجهات نظر الأفراد ومدى ارتباطها بالعالم الاجتماعي أمر شيق دائمًا، ويعمل على إثراء المعرفة في كثير من الأحوال، ثم إنه مثير للاهتمام في بعض الأحيان . ولعل أفضل سمة يتتصف بها البحث السردي هي أنه، إن طبق بصورة ملائمة، يستطيع أن يكشف عما يراه الرواوى مهما.

الجوانب العملية

بعض طرق جمع البيانات السردية

كثيراً ما يطلق على جمع البيانات السردية باسم «المقابلة السردية»^(٤)، إلا أنها تسمية غير دقيقة تماماً. ويمكن أن تُفضي إلى الخلط والتشوش ، لأننا قبل ذلك أن المقابلات في حد ذاتها لا تقوم - بالضرورة - بجمع بيانات سردية، حتى بالرغم من أن هذا الإجراء (الذى يقوم بتنفيذها شخصان: أحدهما مصدر البيانات (المبحوث) والأخر هو من يستمع إليه (الباحث) يشبه المقابلة السردية ظاهرياً فقط (الفصل الرابع).

^(٤) Narrative Interview.

هناك طريقتان رئيسيتان لجمع البيانات السردية هما:

- 1 - طريقة عدم المقاطعة.
- 2 - طريقة المقاطعة (بأسلوب المقابلة).

في كلتا هاتين الطريقتين يتم - في العادة - تعریف المشارکین بموضوع البحث، ويتوجب مناقشتهم في بعض تفاصیل هذه العملية، كما أن الترتیب المعتمد للمقاعد واستراتیجیات التسجیل يجب أن تجرى بصورة صحيحة. فضلاً عن ذلك يعمد الباحث - في العملية الأولى (أى بطريقة عدم المقاطعة) - إلى استخدام عبارة واحدة أو سؤالاً واحداً ليبدأ جلسة جمع البيانات. وقد تكون هذه العبارة مثلاً: «احك لي عن كذا...». وبعدها لا يقوم الباحث بأى عمل، ويكتفى بالإنصات إلى المشارك وهو يروي حکایته، دون أن يقوم بمقاطعته. من الواضح أنه يلزم أن يكون تصميم هذا البحث شاملاً ومفصلاً، كما هو الحال دائمًا. ويتعنی على الباحث أن يكون قد قرر ما إذا كانت الملاحظات المحفزة غير اللغوية (والتي تسمى أحياناً المحفزات «غير المعجمية»)، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أن الهميمة - مثلاً - صوت مسموع ولكنها لا تعد كلمة؛ نقول يتعنی على الباحث تقریر: ما إذا كانت المحفزات غير اللغوية مقبولة أم لا ، أو قرر ما سيفعله عندما يسأل الرأوى مباشرة أثناء قص الحکایة. وفي لحظة ما، ستنتهي الحکایة (ويحدث ذلك - غالباً - عندما يصل المشارك بحکایته إلى الوقت الحاضر) وتكون جلسة جمع البيانات قد انتهت .

تقوم هذه الطريقة - التي لا يقاطع فيه الباحث الرأوى - على فكرة أن الحکایات «ذاتية الانتهاء» (أى تنهى نفسها بنفسها)، وأعني بذلك أنها تصل إلى نهايتها (عادة) عندما يصل بها رأوها إلى الزم من الحاضر ، أو عندما تتحقق الهدف الذي رُويت من أجله. (انظر كونللی Connolly وكلاندینین Clandinin ، 1990 ، وريسمن ، 1993 ، ومايثوز ، 2001). ويتربّ على ذلك منطقياً أنه إن قوّطعت الرواية الشفاهية (وال المصدر الأرجح للمقاطعة في هذه الحالة هو الباحث ، وذلك مادام أنه يكون حريضاً على تجنب احتمال أن يدق جرس الهاتف ، أو يقتصر عليهم أحد الحجرة ، أو ما أشبه ذلك من الاحتمالات)؛ نقول إن قوّطعت الرواية الشفاهية فإنها تنتهي ، وحتى لو بدا في الظاهر أنها مستمرة ، فالحقيقة أنه بعد استئناف الحکى تبدأ رواية جديدة. ونعتقد أن أسباب حدوث ذلك أشد تعقيداً من أن تتناولها هنا بكل تفاصيلها ، كما أنه لا يوجد اتفاق عام على مدى أهمية التوقف أو الانقطاع في قص الرواية الشفاهية.

أما في حالة استخدام الباحث لطريقة «المقاطعة»، فإنه سيسأل طلباً للإيضاح ، أو

لمزيد من التفاصيل، أو ربما للعودة إلى الموضوع من «مسار جانبي». ورغم أن هذا قد يعني أن قدرًا كبيراً من جلسة جمع البيانات ينصب على التركيز على الموضوع، وهو ما يترتب عليه تقليل المادة غير الجوهرية، مما يوفر جهد النسخ فيما بعد، فهذا هو الفارق البارز الذي يميز «طريقة المقاطعة» عن «طريقة عدم المقاطعة»، حيث يُترك الرواوى ليحكى كما يحلو له. وقد تعنى طريقة «المقاطعة» أن الرواوى قد يقوم بإعادة صياغة حكايته باستمرار مستخدماً الأسئلة والتعليقات التي يوجهها إليه الباحث المقابل، باعتبارها محفزات تجعله يستفيض في الكلام. وليس هذا بالأمر السهل بالضرورة، مع أنه من الواضح أن طريقة المقاطعة مختلفة تماماً عن طريقة عدم المقاطعة، كما أنه يمكن أن تشعر حكاية مختلفة اختلافاً كبيراً. مثال ذلك ما يحدث لو أن الرواوى كان يسعى للحصول على الموافقة (انظر أعلاه) ويستخدم تعليقات الباحث في قص روايته بنوع مختلف من التأكيد (بالتأكيد على معانٍ أخرى تتفق مع تعليقات الباحث).

الموقع أو الأماكن

الموقع أو المكان (الفصل الثاني) الذي يجري فيه بحثك أمر مهم، ومن المحتمل أن يكون عامللاً له شأنه في نجاحك. لا ريب أن الراحة البدنية والنفسية للمشارك يمكن أن تؤثر على إنتاجه لروايته الشفهية، ورغم وجود قضايا هامة أخرى، خاصة ما يتصل منها بالسلامة الشخصية (فصل 5 باب 1)، فإن هناك بعض الأمور الأساسية التي يمكن أن تجعل جمعك للبيانات السردية أكثر نجاحاً:

- تأكد من أن مشاررك (المبحوث) يعرف من أنت وكيف يتصل بك (أو يتصل بمؤسسوك، أو بالشرف عليك).
- تأكد من أن لديك موافقة عن علم من جانب المبحوث (فصل 5 باب 1) وأنه يفهم الغرض من بحثك، وما الذي سيحدث لهذه البيانات.
- أبعث برسالة للمشاركين تعرفهم فيها ببعض المعلومات الأساسية قبل جلسة الاستماع إلى رواياتهم الشفاهية (وقد تشمل هذه المعلومات تفصيلات تخص أمور الاتصال الشخصي، ومعلومات عن البحث، وما إلى ذلك).
- تأكد من أن المبحوث موجود في المكان المناسب الذي يكون فيه مرتاحاً. وقد يعني هذا أن تلتقي بالمشاركين (المبحوثين) في محل إقامتهم، أو تسمح لهم باختيار مكان اللقاء. والهدف من ذلك أن يكون الرواوى أكثر ارتياحاً، ومن ثم يكون أقوى رغبة في التعاون.

- أجعل الحجرة التي تستعملها لجلسة الاستماع مريحة بقدر الإمكان ، ضع الكرسيين -الخاصين بك وبالراوى- قربيين من بعضهما بقدر الإمكان ، متقاديا بذلك أن تحدث مواجهة مباشرة مع الراوى .
- تحقق من أن المشاركين سعداء بتسجيل حكاياتهم ، وبين لهم كيفية إغلاق المسجل عندما يرغبون في ذلك . حاول أن تكون معدات التسجيل ظاهرة للراوى .
- سواء كنت تستخدم أسلوب «المقابلة» (أى حيث يقاطع الباحث المبحوث) أو كنت تستخدم أسلوب «عدم المقاطعة»، فتأكد من أن مبحوثك لديه الوقت ليقول كل شيء يريد أن يقوله.

المهارات

لا تختلف المهارات المطلوبة للبحث السردي - في الحقيقة - عن المهارات المطلوبة للبيانات الكيفية الأخرى . ولكن الأمر الحاسم هنا هو التأكيد من وضوح تصميم بحثك (أعني أنه تصميم قائم على أسلوب مقاطعة الراوى ، أو قائم على أسلوب عدم مقاطعته) ومن التزامك بهذا التصميم .

البيانات السردية

من المعتمد في أيامنا هذه تسجيل جلسات جمع البيانات السردية (وهو لفظ غير دقيق ، ولكننا نرى أنه أفضل من لفظ «المقابلات»)؛ يتم تسجيلها إما على أشرطة كاسيت أو على مسجل صوتي رقمي . أما ما يحدث بعد ذلك فيخضع - بالطبع - لتصميم البحث ولاستراتيجيته في التحليل (انظر الفصلين 1 و 3 باب 1 ، وفصل 2 باب 4). ولكن الباحث سيقوم - عادة - بنسخ التسجيل لإعداد البيانات للتحليل (الفصل الثاني) . وهذه عملية تستنفذ قدرًا هائلًا من الوقت ، وذلك بالرغم من أننا نعتقد أنه لا توجد طريقة أفضل من تلك الطريقة لأنغمس الباحث في البيانات . ويتمثل عيب هذه الطريقة -طبعاً- في طول المدة التي تستغرقها هذه العملية الشاقة .

كن حذرًا: فالباحث السردي يميل إلى الإطناب إلى حد ما . لأنه ما أن تعطى الأفراد فرصة للكلام حتى يستفيضون في الكلام . وقد يعني ذلك تضخم حجم المواد المطلوب نسخها . وعليك أن تتنبه لهذه الصعوبة المحتملة وأنت في مرحلة التخطيط للبحث ووضع تصميمه ، وذلك لكي لا تقع في فخ قلة الوقت المحدد في جدولك لإنجاز هذا العمل بصورة صحيحة .

ونظرًا لأن القرار المتعلق باختيار النمط الفعلى للتحليل سيكون قد اتخاذ من قبل مرحلة التخطيط ، فلن نتعرض له هنا (فصل 5 باب 4) .

معايير البحث السردي «الجيد»

فى سياق استعراضنا فى الفصل (1) من باب (1) لطبيعة «البحث الجيد»، حددنا بعض المعايير التى يمكن استخدامها فى الحكم عليه. ولكن تواجهنا فى حالة البحث السردى مشكلة بسيطة. فالبحث السردى أقل اهتماماً «بالوقائع»، ولكنه أشد اهتماماً بالقصة الشخصية التى صاغها الرواى من هذه الواقع. كما أن الأمور المتعارف عليها مثل الثبات المنهجى، والصدق، والقابلية للتميم - والتى تعتبر من الخصائص المفيدة البعض تصميمات البحث (فصل 1 باب 1) - ليست مفيدة دائمًا فى الحكم على جودة البحث السردى (انظر متلا: كوخ Coch و هارنجلتون Harrington ، 1998). ونحن نرى أنه لا تزال توجد طرق مفيدة لتقييم جودة هذا النوع من البحوث، وأن بالإمكان إجراء هذا التقييم عن طريق فحص «الاتساق الداخلى» للحكاية (ونحن نميل للقول أنه يتبعين - فى حالة تقييم البحث ذات المستوى المتقدم - أن يجرى هذا التقييم فى ضوء المفهوم الأساسى للمنظور الفكري «للحقيقة». وعمل التقييم استناداً إلى فكرتى كوخ و هارنجلتون (1998) عن «المصداقية»، والثقة .

مزايا البحث السردى وعيوبه

مزايا الرواية الشفاهية

من أفضل ما يتصف به البحث السردى الجيد التقييد أنه يعطى المشاركين الفرصة «ليرروا حكاياتهم». وتؤدى الخبرة باستخدام هذه الطريقة بأن هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها هذا الأمر، أو على الأقل : المرة الأولى التي يكون فيها الباحث المستتر راغباً ومهتماً بهذا النوع من البحث.

كما أن روایة القصة تتبع للمشاركين أن يحددوا اختياراتهم بل وتشجعهم على ذلك، وعلى صياغة التعريفات ، سواء ما كان منها متعلقاً بأنفسهم أو متعلقاً بالأحداث التي يقومون بوصفها. وبإمكان ذلك أن يساعدهم على الإحساس بأنهم شركاء في هذا البحث ، وبالإحساس - بناء على ذلك - بدورهم فيه . وكثيراً ما يبدو هذا الإحساس بصورة جلية فعلاً في عمق البيانات المجموعة وفي طبيعتها التي تميزها عن سواها من البيانات.

بحث

«الأمومة المبكرة والنساء السود»: المشاركة في المعلومات

كتبت آن فونيكس Phoenix عن اتجاهات الناس إزاء الأمهات السود حديثات السن (1984) وهن يروين حكاياتهن المتعلقة بالتعصب العنصري الصريح الذى تعرضن له . ومن الملامح البارزة لهذه الحكايات الشفاهية أنها تقدم بأسلوب يوحى

[بأن هؤلاء الروايات يعتقدن أنه - إن تشاركن معلوماتهن هذه مع أحد - فإن هؤلاء الآخرين سوف يستخدمون تلك المعلومات في التخفيف من وطأة هذه المشكلة عليهم .]

لا شك أن هذا الاتجاه ينطوى على بعض المزايا لنا ، نحن الباحثين أيضا . فالبحث السردى يتسم بأنه متعدد التخصصات ، كما أنه يتيح لنا فرصة التوصل إلى فهم مواقف متعددة في نفس الوقت . فقد وجد ما�يوز (2001) في ثنايا رسالته للدكتوراة أن المشاركين يميلون ، في كثير من الأحيان ، للكلام عن القضايا الحساسة المتعلقة « بالعرق » ، و « العنصرية » في ظل تشكيلة متنوعة من الواقع والظروف الاجتماعية والمهنية ، مما أدى به إلى التوصل إلى مفاهيم واستبصارات لم يكن من الممكن الوصول إليها بغير هذه الطريقة . (كما كان هذا يعني أن هناك حاجة لمراجعة مجموعة من المسلمات التي صاغها الباحث ، وهو الأمر الذي يشكل أساس فائدة القصة الشفاهية للبحث الاستكشافي) .

ذلك يكاد يكون من المستحيل أن يتقادى الباحث وضع نفسه في موقف الرواى . فهذا الوضع التأملى النقدي يساعد على تحديد موقع الباحث كجزء من العملية البحثية (ماسون 1996 ، Mason) .

كما أن الطرق المختلفة التي يمكن بها للبحث السردى أن يصل إلى المعلومات الحساسة ، تنقسم إلى الأخرى بالأهمية . وقد استخدم وورد Ward (2005) الحكاية الشفاهية للوقوف على توارىخ حياة السحاقيات ، كما استطاع دايوت Daiute و تيرنيسكي Turniski (2005) أن يتوصل إلى فهم حكايات الشباب في فترة ما بعد الحرب في كرواتيا . وكانت هذه الحكايات معقدة ، ومؤثرة في النفس و مؤلمة بحيث كان من العسير الوصول إلى فهمها وتحليلها باستخدام طريقة أخرى (انظر برواز « البحث الواقعى » أدناه) .

البحث الواقعى

حكايات الشباب عن الصراع والتطورات في فترة ما بعد الحرب في كرواتيا
[هذا نص مستخلص من رواية شفاهية حقيقة ، يوضح أن بإمكان الروايات الشفاهية أن تكون مثيرة للمشاعر ، بل قد تكون فاجعة ومربيكة للذهن . وهو أمر يلزم الباحثين أن يتتبهوا إليه] .

بدأ هذا الصراع بيني وبين صديقى لأنها كذبت على . لقد أصابنى الروع . كانت من قومية مختلفة ، ولكنى لا أعبأ بهذا أبدا لأننا جميعاً بشر من لحم ودم ، كما أن من حقنا أن نعبر عن آرائنا . بينما كانا ذاهبين إلى Suncokrit (اسم مكان) عائدين من [

الدراسة حكت لي أمورا رهيبة عنى وعن عائلتى أثارتني فعلا إلى حد أتنى شرعت فى البكاء. لم أشأ أن أقول لها شيئاً رغبة منى فى أن الطف من حدة الموقف. إلا أن الخلاف بيننا لم يتوقف. ثم قذفتى بكرة من الثلج فأصابتني في عيني. أحمرت عينى وأحسست بالألم. غادرت المكان متوجهاً للبيت، وحكت كل شيء لأمى. كانت أمى في غاية الغضب وأرادت أن تستدعى جدتها، إلا أتنى طلبت منها أن تنتظر حتى تعود والدتها من «جفوزد» Covozd (اسم المدينة).

فى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة، وبينما كنت أستعد لحضور الحصة الدراسية طلبت منى مدرسة الفصل أن آتى لأكلمها. كنت مندهشة لأننى لم أكن أعلم سبب رغبتها فى أن تراني. ولكن كانت «صديقتي» قد شكتنى إلى مدرسة الفصل. سألتني المدرسة لماذا شتمت والدة صديقى الصربي، ولماذا أقول أمورا سيئة ضد الصرب. شرعت في البكاء وحاولت أن أبين لها أن ذلك ليس حقيقياً، وأنه لا يهمنى ما إذا كان إنسان ما بلقاني، أو رومانى، أو أفريقي، أو صربى، أو كرواتى، أو من البوسنة، أو كان أبيض اللون، أو شعره طويلاً أو أنفه كبيرة... المهم عندى فقط أن يكون شخصاً طيباً. لا يهمنى شكله الذى يبدو به، المهم أن يكون ذا قلب طيب.

(دايوت وتيرنرسكى، 2005، 218).

عيوب الرواية الشفاهية وأوجه قصورها

عندما يروى المبحوثون حكاياتهم فإنهم يقومون بنوع من المجازفة المحفوفة بالخطر، وذلك لأنهم «يكشفون» أو يفضحون أنفسهم للباحث، مما يجعلها في نهاية الأمر مكشوفة لكل من يقرأ هذا البحث. صحيح أنه لن يتم التعريف بشخصياتهم في أي تقرير، إلا أن نقوسهم تنطوى رغم ذلك على إحساسات بهشاشة موقفهم لا بد من أخذها في الحسبان. قد يشغل بال بعض الأفراد أن الباحث سيرى أن حكاياتهم محرجة أو سخيفة. وقد يزعج غيرهم إن صرحا بأنهم ارتكبوا عملاً إجرامياً، فقد تتخذ ضدتهم الإجراءات القانونية (وهذه قضية أخلاقية بارزة ينبغي مناقشتها مع أحد المشرفين على الدراسة في مرحلة مبكرة حتى يكون اتجاه الباحث إزاء أي قضية تشبه تلك القضية اتجاهها متلقاً منهجاً ومتتفقاً مع التشريعات التي تنظم هذه الأمور. وفي وقتنا الحالى يؤدى أي إفصاح عن عمل إرهابى أو عن جريمة تقع تحت طائلة قانون الأطفال إلى إلزام الباحث بإبلاغ الشرطة بذلك). وقد تناولنا هذه القضايا بمزيد من التفصيل في فصل (5) باب (1).

كثيراً ما يفاجأ الباحثون المبتدئون بهذه الأمور التي يرويها المبحوثون لهم. ومن المعاد أن تسمع من المبحوثين عن مخالفات قيادة السيارات، وعن تعاطى العقاقير

المحظورة، وغير ذلك من أمثل تلك الأمور. ويعتبر الاستعداد لهذا أمراً مهماً، وقد ناقشناه تفصيلاً في فصل (5) باب (1)، مع ما يتصل به من القضايا المتعلقة بالقدرة.

في كثير جداً من الأحيان يشعر الرواى بشيء من الانزعاج والقلق من أن الباحث قد «استولى» على حكايته، وأنها - بذلك - لم تعد ملکاً له. وليس واضحاً ما إذا كان الأفراد يرون هذا الوضع شيئاً على طول الخط أم لا. ويذهب بعض الخبراء إلى أن هذا الإفشاء بالحكاية الشفافية قد يمثل تجربة لتحرير النفس (Atkinson 1988، 469)، إلا أنها نرى أنه وأخرون، 1993، 443؛ Zimbardo 1988، 469)، إلا أنها نرى أنه ينبغي النظر إلى هذا الرأي بحذر. إذ ينطوي مثل هذا الموقف على مشكلة من نوع خاص مفادها أن المبحوثين كثيراً ما ينظرون إلى الباحثين باعتبارهم «خبراء». والغالب أن يسعى المبحوثون إلى الحصول على رأى الباحثين في مضمون ما حكوه لهم من روايات شفافية (يحدث مثل هذا في البحوث الكيفية الأخرى). وتوجد أدلة متحمّلة كثيرة لهذا، ابتداءً من حاجة المبحوثين إلى إخفاء مشروعية على تصرفاتهم السابقة، وانتهاءً بالحصول على مشورة طرف ثالث فيما يتعلق بالمستقبل. ومع أنه من العسير إلا يجيب الباحث عن هذه الأسئلة وألا يستجيب لهذه المطالب، فإنه ينبغي عليه دائماً أن يأخذ حذره حتى لا يجيب (على الأسئلة) ولا يستجيب (للمطالب) بصورة غير ملائمة.

النتائج غير المتوقعة

كثيراً جداً ما يحدث في البحث السردي أمر غير مألوف نوعاً ما. إذ إن من الخبرات الشائعة أن تتوصل - وبغض النظر عن بؤرة اهتمام بحثك - إلى نتائج غير متوقعة. من أدلة ذلك أن طبيعة البحث السردي لا يمكن التحكم فيها أبداً، أو على الأقل لا يتحكم فيها الباحث عادة بمثيل ما يتحكم في بعض الطرق الأخرى (فصل 1 باب 3). فمن المؤكد أن طبيعة البحث السردي شديدة المرونة - وحتى بالرغم من وجود تركيز واضح للاهتمام - وذلك لأن الرواى هو الذي يتحكم في مجريات هذا البحث، وعلى نحو يفوق مقدار تحكم الباحث. غير أن قضية الاختيار تحظى بأهمية بالغة، كما هو شأن معظم عمليات جمع البيانات الكيفية (انظر باب 1 وباب 4).

وهكذا يحتمل أن يوجد في إحدى الحكايات قدر من المادة الداعمة، التي يكون أحياناً مقرفة لا رابط يجمعها. إلا أن تلك المادة قد تكون عظيمة الفائد، على نحو لم يخطر لك أبداً على بال.

البحث الواقعى

بعض النتائج غير المتوقعة فى أحد البحوث الصحية

عندما كنت أدرس الخبرات الصحية للأفراد الذين ينتمون إلى أعراق مختلطة (ماتثيوز Matthews، 2001)، كنت استخدم طريقة لجمع الروايات الشفاهية قائمة على عدم المقاومة، مما يعني أننى كنت أكتفى بالجلوس والإنصات، فقد كانت هذه الطريقة لا تسمح لي بالمقاطعة. وقد انتفعت إحدى البحوثات بهذه الجلسة في الكشف عن تاريخ خبرات الإيذاء البدنى والتفسى التى تعرضت لها. كانت هذه الخبرة مرعبة و摩وجة، ولا شك عندى فى أنك تستطيع أن تخيل ذلك. كما أنها أثارت عددا من القضايا بالنسبة لي، وهو ما لم أكن أتوقع أن يحدث على الإطلاق.

على أنه اتضح - بعد التغلب على هذه العقبة الأولية - أن جلسة جمع البيانات كانت هي الشيء المفيد في الواقع لمشروعى، وذلك لأنها فتحت عددا من الأبواب التي لم يسبق لي مجرد التنبه لوجودها. وهى أمور ذات صلة بمشكلة القوة في العلاقات الأسرية التي لها بُعد إثنى .

من المهم في كل البحث التي تتناول الناس أن تهيأ نفسك بقدر الإمكان لغير المتوقع. مثل ذلك أنه يتوجب عليك أن تبلغ الشرطة عن أنشطة معينة (وهي أمور - مثل إيذاء الأطفال - تقع تحت طائلة أحكام قانون الأطفال لسنة 2004، والممارسات التي تخضع لقانون الإرهاب لسنة 2006). فإلى أى مدى يمكن أن يؤثر ذلك على بحثك؟

بحث

مزايا البحث السردى

- الحكاية / الرواى أمر محورى .
- يتبع الفرصة لرواية الحكاية .
- يمكن للراوى أن يمارس الاختيار .
- الرواة «يملكون» رواية الحكاية .
- يستطيع هذا البحث التوصل إلى بعض التأويلات وإلى «فهم الأمور المهمة» .
- يصل إلى معلومات قد لا تكون متاحة في مكان آخر .
- يصل إلى معلومات حساسة .
- قادر على أن يوصلك إلى بعض المعلومات «غير المعروفة» .
- يخدم البحث الاستكشافى على نحو ممتاز .

- لا يحتاج إلى فهم مسبق للقضايا.
- لا يوجد فيه أسئلة محفزة، ولا توجد فيه مقاطعة.
- يجمع مقادير «وافرة» من البيانات.
- نطاق البيانات التي يمدك بها منسع.

عيوب البحث السردي

- يتطلب توفر الرغبة عند المبحوثين في رواية حكاياتهم.
- قد يتذرع الوصول إلى الرواية.
- الرواية «يفضلون» أنفسهم.
- بمجرد أن يحكى الراوى قصته يفقد ملكيته لها.
- قد يكون السرد تنفيساً للراوى عن متابعيه النفسية، وهذا الأمر قد يكون ميزة أو عيباً.
- يثير بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بإفشاء الراوى للأسرار.
- يكون من الصعب تحليل الرواية الشفاهية (أحياناً).
- هل يوم وضع «الحقيقة» في مواجهة «الواقع»؟
- الاختيار، أي ضرورة الانتقاء بغرض التحليل.
- لا مجال للكلام (مع الراوى)، وهو ما يعني لا مجال للمراجعة اللاحقة.
- لا يوجد وقت أو مجال لتطوير العلاقة بين الباحث والراوى.
- قد ينظر المبحوث للباحث بوصفه خبيراً.
- صعوبات تحقيق الفهم المتبادل.
- أعمال نسخ التسجيلات تستغرق وقتاً طويلاً جداً، وتتولد عنها مقادير ضخمة من البيانات.
- قد تشتمل الحكاية الشفاهية على بعض المضامين التي لا صلة لها بموضوع البحث.

بحث

اختبار جودة البحث : السرد

- هل أنت مهتم بالواقع أم بالتأويلات؟
- هل تريد جمع المعلومات التي قام المبحوث بمعالجتها (أى إعادة ترتيبها وتكليفها بما يناسب غرضه)؟
- هل تريد معرفة مدى اتصال الحكاية بالواقع؟.

- هل تهتم بالأسباب الكامنة وراء إنشاء (أو صياغة) هذه الحكاية؟
- هل تبحث عن معلومات «غير مألوفة» أو من العسير الوصول إليها؟
- هل فكرت في طريقة التعامل مع المحتوى غير المتوقع؟
- هل أدخلت في حسابك طريقة معالجة كميات ضخمة جداً من البيانات؟

فكرة في هذا الموضوع . . .

حكاية الحفلة

هناك تفسيرات عديدة محتملة للرواية الشفاهية. وفيما يلى بعض تفسيراتنا:
الباحث: «احك لي عن الحفلة».

الراوى: كانت حفلة مملة للغاية. كان المسنون جميعاً يجلسون في إحدى الحجرات، وكانوا يتكلمون عن الحرب أو عن شيء ما. (1) كنت أرغب في استعمال جهازألعاب الفيديو الخاص بي (البلاي ستيشن)، ولكن والدى قال إن هذا تصرف يفتقر إلى اللياقة والتهذيب. وأنا أسألك: هل هذا من العدل والإنصاف؟ (2) على أي حال، ذهبت أبحث عن «جيسيون» (تم تغيير الاسم)، ولكنه كان يقوم بأداء بعض الواجبات الدراسية ولم يكن يرحب في أن يزعجه أحد. لذلك رأيت أنه يمكنني أن أخرج وألعب بالكرة في الحديقة. صدقني أنتي لم أتعمد كسر زجاج «صوبة» النباتات. ولكنني أريد القول أنه من الغباء الشديد أن تقام هذه الصوبة في هذا المكان على أي حال (3). فلنك أن تتصور أن أي شخص قد يركض الكرة فتخترق زجاج هذه الصوبة. لم يكن الخطأ خطئي، بل هو خطأ جدي أن أقام هذه الصوبة في هذا المكان. المهم أنتي قمت بإصلاح الكسر الذي حدث في الزجاج باستخدام شريط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخبر به أي إنسان (4). وكيف كان لي أن أعرف أنه سيحدث صديق في تلك الليلة، وأن الزهور سوف تموت؟ إنني أتعجب ما الذي يتصور الناس أنتي أعرفه عن الغنائية بالحدائق؟ (5).

(1) قد لا يكون لذلك التعبير صلة «بالواقف» التي كان الأفراد يتكلمون عنها. ولكنه أسلوب شخص ما في وصف خبراته.

(2) هذه الجملة محاولة لاستدرار الشفقة على (ما يفترض أنه) معاملة سيئة.

(3) هذا سلوك تبريري، فالخطأ خطأ شخص آخر.

(4) في هذه اللحظة يقوم المحوث بالتسويف العقلاني لتصرفه، فقد كان الأمر حادثة طفيفة لا تستحق ازعاج الناس.

(5) نلحظ في هذه المرة مزيداً من التسويف العقلاني لتصرفه واستثاره الشفقة.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Abma, T. A. (1998) Storytelling as inquiry in a mental hospital, *Qualitative Health Research*, 8: 821–38.
- Atkinson, R. L., Atkinson, R. C., Smith, E. E. and Bem, D. J. (1993) *Introduction to Psychology*, 11th edn, Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovich.
- Barthes, R. (1977) Introduction to the structural analysis of narratives, in *Image-Music-Text*, Glasgow: Collins.
- Bryman, A. (2004) *Social Research Methods*, Oxford University Press.
- Clandinin, D. J. and Connelly, F. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.
- Connelly, F. M. and Clandinin, D. J. (1990) Stories of experience and narrative inquiry, *Educational Researcher*, 19: 2–14.
- Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.
- Daiute, C. and Turniski, M. (2005) Young people's stories of conflict and development in post-war Croatia, *Narrative Inquiry*, 15(2): 217–40.
- Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.
- Gee, J. P. (1985) The narrativization of experience in the oral style, *Journal of Education*, 167: 9–35.
- Gergen, K. J. (1994) *Realities and Relationships: Soundings in Social Construction*, Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Koch, T. and Harrington, A. (1998) Reconceptualising rigour: the case for reflexivity, *Journal of Advanced Nursing*, 28(4): 882–90.
- Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.
- Mason, J. (1996) *Qualitative Researching*, London: Sage.
- Matthews, R. N. (2001) Mixed ethnicity, health and healthcare experiences, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.
- Megill, A. (1985) *Prophets of Extremity: Nietzsche, Heidegger, Foucault, Derrida*, Berkeley, CA: University of California Press.
- Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, Sage: London.
- Phoenix, A. (1994) Early motherhood and Black women, in M. Wilson (ed.) *Healthy and Wise: The Essential Health Handbook for Black Women*, London: Virago.
- Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.
- Ward, N. J. (2005) Social exclusion and mental wellbeing: lesbian experiences, University of Birmingham.
- Zimbardo, P. G. (1988) *Psychology and Life*, 12th edn, New York: HarperCollins.

الفصل الثامن

الوثائق

محتويات الفصل

- مجالات البحث الاجتماعي التي يناسبها استخدام الوثائق.
- أنواع الوثائق.
- استدامة الوثيقة وطول عمرها.
- الوصول إلى الوثائق.
- السياق.
- طرق التفسير والتحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل استخدام الوثائق في البحوث الاجتماعية. وسنحاول خلاله التعريف بالأشياء التي تعتبر وثائق ونقدم تعريفاً لها.

ثم نناقش استخدام الوثائق كمصدر وفير للبيانات، في نفس الوقت الذي نشير فيه إلى احتمال صعوبة الوصول إليها أحياناً وصعوبة تفسيرها (أو تأويلها). ومع ذلك يمكن أن تكون الوثائق عظيمة الفائدة إلى حد بعيد.

فإن كنت تستخدم الوثائق في بحثك، فنوصيك بمراجعة الفصل (٢) من الباب (٢)، وكذلك الفصل (٩) من الباب (٣).

تفصي طبيعة المادة التي نناوشها فيما يلى أن يتناول هذا الفصل كلا من جمع البيانات و«تحليل» البيانات، وذلك على الرغم من أننا سنعالج موضوع التحليل بصفة عامة بمزيد من التفصيل في الباب الرابع من هذا الكتاب.

لعل تحليل الوثائق أو التحليل الوثائقى كان معروفاً منذ اختراع الكتابة على أيدي السومريين وسكان جنوب ما بين النهرين (دجلة والفرات) نحو سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد (انظر موقع www.ancientscripts.com/sumerian.htm) ومن المؤكد أن المؤرخين استخدمو التحليل الوثائقى منذ عرف علم التاريخ، كما كان يلقى على الدوام رواجاً وقبولاً في البحث الاجتماعي.

ولخدمة أهداف هذا الفصل، افترضنا أن معظم الوثائق (انظر قائمة المصطلحات) المستخدمة ستكون حديثة نسبياً. وعلى هذا لم نتوغل في مناقشة قضايا الترجمة من الإنجليزية القديمة التي كتب بها تشورسر Chaucer^(٤) قصائده إلى الإنجليزية المعاصرة. فإن ذلك يمثل مجموعة مختلفة من القضايا والصعوبات التي ليس لدينا متسع للخوض فيها واستكشافها.

ما: الوثيقة؟

من العسير تعريف الوثائق، إلا أنها نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها سجلات مكتوبة عن أفراد وأمور تولد من خلال الممارسات الحياتية، ووفقاً لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل: الفيلم السينمائي، وشريط التسجيل الصوتى، وفيلم الفيديو... إلخ. ولكن يُستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهي.

قد تكون الصورة التي تبادر إلى ذهان معظمنا عندما نفكّر في الوثائق هي صورة حزمة من الأوراق، التي قد تكون مضمومة إلى بعضها ببعض أو محفوظة داخل ملف. وليس هذا سوى جزءٌ فقط من الحقيقة، وسنعود إلى مناقشة هذا الموضوع بمزيد من التفصيل فيما بعد في سياق هذا الفصل.

^(٤) جيفرى تشورسر Geoffrey Chaucer (١٣٤٢-١٤٠٠) شاعر إنجليزى، يعد أبرز الشعراء الإنجليز قبل عهد شكسبير، وأكبر شاعر هزلي في تاريخ الأدب الإنجليزى كلّه. عمل في خدمة الدولة وعُهد إليه بأداء بعض المهام الدبلوماسية في الفلاندر، وفرنسا، وإيطاليا. وقد مكنته رحلاته هذه من الاطلاع على الأدبين الفرنسي والإيطالي. أشهر آثاره: «حكايات كانطبرى»، التي شرع في وضعها حوالي العام ١٣٨٦ ولم يقدر له أن ينها. (المترجم)

مجالات البحث الاجتماعي التي يناسبها استخدام الوثائق

الوثائق «ظواهر اجتماعية»، بمعنى أنه يتم إنتاجها، وتبادلها، واستعمالها بطرق ينظمها المجتمع. وهي مع ذلك ليست تصويراً صريحاً للطرق الروتينية المتبعة في النظم، أو لعمليات اتخاذ القرار. إنما هي تنشيء وتؤسس لأنواع معينة من التصورات في حدود أعرافها الخاصة بها. لهذا لا ينبغي استخدام المصادر الوثائقية كبدائل لغيرها من أنواع البيانات. (أنتكسنون وكوفي، في سيلفرمان *Silverman*، ١٩٩٧، ٤٧).

كل وثيقة تم إنتاجها أو كتابتها بواسطة شخص معين، وفي سياق محدد، ومن أجل غرض معينه. ولكن محتويات الوثيقة لا تشير واقعاً أو حقيقة لمجرد أنها دونت. قد تكون بؤرة الاهتمام في البحث الاجتماعي منصبة على المحتوى الفعلى داخل الوثيقة، إلا أنه من الملائم أيضاً أن تنصب على فهم دراسة سبب وكيفية إنتاج الوثيقة في شكل معين وفي سياق محدد.

إن استعمال الوثائق في البحث شبيه جداً باستعمال الطرق الأخرى لجمع البيانات. وأهم فارق بين الوثائق والطرق الأخرى هو أن البيانات الموجودة في الوثائق، نظرياً على الأقل، تُدوّن في شكل ثابت نهائي بمجرد كتابتها. والواقع أن هذا قد لا يصدق على الوثائق تماماً، إذ ليس خاصيّاً أن يحاول المؤلفون «إعادة كتابة» التاريخ. للاطلاع على مناقشة لهذه النقطة انظر سوthingit Southgate، ٢٠٠١. ولعل أشهر الأمثلة على ذلك ما نجده في المؤلفات التي تتناول الحروب والتي تكتب في أغلب الأحوال دائمًا على أيدي المنتصرين، كما أنها تميل إلى التمويه فتقدم صورة برافة خادعة تغطي على عيوبهم بينما تُبرّز عيوب المنهزمين. تُعد بعض الوثائق «الإلكترونية» (انظر أدناه) أقل في دققها مما قد تتصوره عنها في الولهة الأولى، كما أنها في أغلب الأحيان عُرْضة للحذف و/أو التغيير على يد المؤلف أو على أيدي الآخرين. ورغم ذلك، فإن بالإمكان الاتفاق على أن معظم الوثائق يمكن أن تُزوّدنا بسجل ذي شكل محدد لأمر حدث في وقت معين.

يمكن للوثائق أن تحتوي على أصناف مختلفة من البيانات، وذلك بناءً على نمطها، وغضّها، ووسيلتها. وبإمكان الوثائق أن تستوعب أطياف الحياة الاجتماعية، كما أنها قد تشمل - رغم طول القائمة - على سبيل المثال ما يلي:

- فقرات الأخبار (والتعليقات).
- البيانات الرقمية (الإحصاء السكاني، والمسوح).
- البيانات الكيفية (التقارير ونتائج المشروعات البحثية).

- الوثائق السياسية (الوثائق الحكومية وغيرها من الوثائق «الرسمية»).
- المعلومات الشخصية والتفصيات المتعلقة بها (المذكرات اليومية، أو الخطابات أو قوائم المشتريات).
- المعلومات التاريخية.
- المادة البصرية (الأفلام السينمائية، أو الصور الفوتوغرافية أو أفلام الفيديو).
- المادة السمعية (المجموعة).
- المواد «الأخرى» (انظر فيما بعد).

بطبيعة الأمر، فإن الوثائق لا تقتصر على صنف واحد من البيانات، كما يمكن أن تصادف كثيراً من أشكالها المختلفة في وثيقة واحدة.

لماذا تستعمل الوثائق؟

- ١ - لأن الوثائق مُتاحة بسهولة في كثير من الأحيان، كما أن بإمكانها أن تشمل مقداراً كبيرة من المعلومات.
- ٢ - لأن الوثائق ثابتة وتقدم «لقطة» لأحد جوانب الحياة في لحظة زمنية معينة.
- ٣ - تعتبر الوثائق، لسبب لا يقل أهمية عن الاعتبارين السابقين - أكثر من مجرد مصدر للبيانات، إذ إن بالإمكان دراسة الوثائق في حد ذاتها باعتبارها «ميداناً من ميادين البحث» (بربور، ٢٠٠٣، ٢٦).
- ٤ - الوثائق منتج من صنع المجتمع: وهذا معناه أنها تدلنا على ما هو أكثر من مجرد البيانات والمعلومات التي تشتمل عليها.
- ٥ - يمكن للوثائق أن تكون عظيمة الفائدة في الحصول على البيانات التي تجمع باستخدام طرق البحث المتعددة: أعني بذلك أنها مفيدة فيما يتعلق بالوصول إلى فهم أدق للبيانات التي سبق جمعها للبحث من مصادر مختلفة.

أنواع الوثائق

عدها - من باب التيسير - إلى تقسيم الوثائق إلى مجموعتين رئيسيتين: مجموعة الوثائق «المكتوبة» ومجموعة الوثائق «الأخرى». لم يكن هذا قراراً سهلاً، إذ إن بعض الوثائق «الأخرى» تحتوى - لا محالة - على كلمات. وأياً ما كان الأمر، فإننا نرى أن كل إنسان يفهم جيداً فكرة الوثيقة «المكتوبة»: كالمفكرة اليومية، ومحاضر اللجان، والسجلات الرسمية، وما شابه ذلك.

ومع ذلك يوجد هنا نوع من التشابك والتعقيد. فعلى امتداد معظم فترات التاريخ الحديث، كانت السجلات «المكتوبة» تتكون من شكل ما من أشكال الكتابة على الورق (ونحن ندرج تحت هذا المفهوم: المطبوعات وما كتب على الآلة الكاتبة). ومع ذلك، فإنه منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، أصبح يزداد بسرعة الاحتفاظ بالسجلات، إما في شكل إلكتروني (في ذاكرة الحواسب الآلية وفي مشغلات الأقراص)، وإما في شكل لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة الحاسب (مثل السي دي. روم - أى الأقراص المدمجة للقراءة فقط، والدى فى دى. روم - أى الأقراص متعددة الاستعمالات للقراءة فقط، ومشغلات الفلاشات، ومحركات الذاكرة memory sticks، وبطاقات الذاكرة ... إلخ). وهذا ما نقصده بالتشابك والتعقيد، إلا أننا نرى أنه من الأفضل - في الأغلب الأعم - تجاهل هذا التغير في النماذج، وأن أيسر طريقة لفهم هذه الوثائق هي تركيز تفكيرنا في الوسيط الذي وضعت فيه. ومن ثم يمكن النظر إلى الوثيقة المدونة ببرنامج معالجة الكلمات بنفس الطريقة التي ننظر بها إلى الوثيقة الورقية الماظرة لها، أو يمكن النظر إلى الصورة الرقمية بوصفها صورة فوتografية. ولا يخلو ذلك من بعض القضايا الإشكالية المتعلقة باستدامة الوثيقة، وطول عمرها، وإمكانية الوصول إليها، وهي الأمور التي سنتناولها لاحقاً. كما توجد عدا ذلك قضايا أخرى تتعلق بأمن البيانات الإلكترونية التي تناولنا بعضها بالمناقشة في الفصل (٥) من الباب (١).

وهناك عدد من الطرق المختلفة، أو أساليب التنميط المختلفة، التي يمكن استخدامها لتنظيم الوثائق، إلى جانب التقسيم الثنائي البسيط إلى «مكتوبة» و«أخرى» الذي عرضناه من قبل (والمتضمن في المجموعة الأولى من طرق التنميط المذكورة أدناه). ونعتقد أن أفضل أساليب التنميط هي، ما يلي:

١- أسلوب تنظيم الوثائق حسب الوسيط: أي نوع الوثيقة والمادة المصنوعة منها (والتي يندرج تحتها - اليوم - الأشكال الإلكترونية غير المادية، كالإنترنت).

٢- أسلوب تنظيم الوثائق، حسب المصدر : لماذا وضعت الوثقة، ومن وضعاها؟

٣ - أسلوب تنظيم الوثائق حسب الغرض منها : وهذا النمط أحياناً ما يكون هو نفسه نمط التقسيم حسب «المصدر» (ولكن ليس على الدوام . انظر أدناه) : وهو الأسلوب الذي يشمل الأرشفة (أي الحفظ في سجلات) ونقل المعلمات .

وتشمل هذه الأنماط ما يلى:

• الوسيط رقم (١)

- **الوسیط الورقی** : المكتوب باليد / أو المطبوع .

- الوسيط الإلكتروني: ذاكرة الحاسوب، والأقراص الدمجية للقراءة فقط (دي في دي) والأقراص متعددة الاستعمالات للقراءة فقط، وال فلاشات . . . إلخ.

• الوسيط رقم (٢)

- الصور الفوتوغرافية (بما فيها الصور الفوتوغرافية الرقمية).
 - الفيلم السينمائي.
 - الفيديو (الشريط ، أو القرص ، أو الذاكرة الصلبة).
 - السمعي (الشريط ، أو القرص ، أو الذاكرة الصلبة).
 - الكتابات الرسمية (اللواحات التذكارية ، وأحجار الأساس - للمنشآت - والكتابات المكتوبة على المباني ... إلخ).
 - كتابات أخرى (الشعارات المكتوبة على الملابس ، والنقوش الجدارية ، وشهادت القبور ... إلخ).
 - وسائل الإعلام الجماهيرية (الصحف ، والمجلات ، والتلفزيون ، والإذاعة ... إلخ).
 - الإنترنـت.
- (هذه قائمة ليست شاملة ، كما أن المكن بسهولة جعلها أكثر تعقيداً بلا داع).

• المصدر رقم (١)

- المصدر الأولى: وثائق كتبها الفرد/أو الأفراد الذين شاهدوا أو شاركوا في الأحداث الموصوفة في الوثيقة.
- المصدر الثانوى: وتشمل تقارير شاهدتها أو سجلها آخرون (عدا المشاركين فيها). ومن الم肯 أيضاً أن يكون لدينا:
- المصدر الثالثى : توليفات معقدة قائمة على الوثائق الثانوية وغيرها من البيانات.

• المصدر رقم (٢)

- المصدر الشخصى: وثائق كتبها أفراد عاديون (لا يتولون منصباً أو عملاً عاماً).
- المصدر الرسمي: وثائق كتبتها «مؤسسات» كالحكومات ، والشركات ، والمنظمات عابرة القوميات (الجمعيات الخيرية ، مثل مؤسسة «أوكسفام Oxfam» ، والمؤسسات فوق القومية (الاتحاد الأوروبي ، أو الأمم المتحدة ، والدولية ، وحلف شمال الأطلنطي).
- المصدر التاريخي: وهى الوثائق التى وضعت خصوصاً لتسجيل «التاريخ» (وهناك خلاف حول وجود هذه الفئة ، حيث يرى البعض أنها تتدرج ضمن فئة الوثائق «الشخصية» ، أو الوثائق «الرسمية»). وقد أدرجناها هنا بقصد الاستفادة).

• الغرض: بعض الأغراض هي نفسها المذكورة في فقرة المصدر رقم (٢) التي سبقت الإشارة إليها، أعني بذلك الغرض الرسمي أو التاريخي. والغرض الرئيسي الآخر من وضع الوثائق هو جعل المعلومات متاحة للأخرين. وفي بعض الأحيان تكون هذه الوثائق فرعاً من الوثائق «الرسمية»، فتسمى حينئذ «أرشيفاً». والأرشيفات في العادة عبارة عن كميات ضخمة من البيانات المخزنة وفق بعض الأساليب المنظمة لتسهيل البحث عنها والوصول إليها.

وفيما يلى مثالان على هذه الأرشيفات:

• أرشيف الملاحظة الشامل:

(www.sussex.ac.uk/librarymassobs)

• أرشيف البيانات الكيفية : Qualidata

(www.essex.ac.uk/qualidata)

تکاد جميع الأرشيفات الحديثة تكون قائمة على أساس الكمبيوتر. في حين تقوم الأرشيفات الأقدم - عادة - على الورق. وينطوى هذا التقسيم على دلالات واضحة فيما يتصل بمدى إمكان الوصول إلى الأرشيفات والبحث فيها.

فکر في هذا الموضوع . . .

موضوع للتأمل

من غير المحتمل أن يكون الغرض الأصلي لإنشاء الوثيقة هو نفس الغرض الذي يحرك بحثك (وإن كان الغرض الأصلي للبحث قد يكون مجهولاً في الحقيقة). ومن شأن ذلك أن يجعل من الصعب (أو ربما المستحيل) أحياناً استخدام الوثيقة في بحثك.

سيقرر معظم الباحثين أي نمط ، أو أي مجموعة من الأنماط ، هي الأكثر ملاءمة لمشروعهم ، وذلك في ضوء ما يحاولون اكتشافه أو التعرف عليه ، وعلى تصميم بحثهم (الباب الثاني). وأيا ما كان الأمر ، فإن ثمة قضايا أخرى يتوجبأخذها في الاعتبار.

استدامة الوثيقة وطول عمرها

لا شيء يبقى مستمراً على الدوام. وتصدق هذه الحقيقة على الوثائق بصفة خاصة. فالوثائق الورقية هشة ، وقابلة للاحتراق ، وعرضة للتدمير أو التلف بفعل الماء والحشرات. وبعض أنواع الحبر تباهي بمرور الزمن أو بسبب تعرضها للضوء.

وتتعرض الوثائق للضياع ، أو لوضعها في غير أماكنها الصحيحة ، أو للإخفاء أو التدمير (الذى يكون متعدداً أحياناً). بل إن وسائل الاتصال التي تبدو أذوم بقاء - كالأقراس المدمجة مثلاً - تتحلل بمرور الزمن .

إن عمر وسائل الاتصال المغناطيسية (وتشتمل هذه الوسائل على الأشرطة الصوتية والأوعية الموضوعة فيها) ، وأشرطة الفيديو وأوعية حفظها ، وأقراس الكومبيوتر المرنة ... إلخ) نقول إن عمر هذه الوسائل المغناطيسية محدود ، كما أن مدة صلاحية معظمها تقدر بنحو ٣٠ سنة (بوجارت Bogart ، ١٩٩٥). ومعلوماتنا عن الوسائل البصرية (مثل السى دى روم ، والدى فى دى ، وما أشبه ذلك) أقل من ذلك على الرغم من أن صانعيها يزعمون أن مدة صلاحيتها تتراوح ما بين ٥٠ سنة ، و٢٠٠ سنة (ماركين Marken ، ٢٠٠٤). وتتحلل أشرطة الأفلام السينمائية بمعدلات مختلفة تبعاً لنوعية المادة المصنوعة منها وتبعاً للطريقة التي تخزن بها . ولو توفرت لها ظروف مناسبة فقد يكون مكناً أن تظل صالحة لمدة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ سنة .

إلا أن بعض الوثائق أسرع زوالاً من غيرها . فالخطابات الشخصية قد تدمر عقب قراءتها أو يتم التخلص منها بعد وفاة صاحب البيت وبعث ما لا حاجة إليه من تراثه . وكثيراً ما يدمر الشخص يومياته (المذكرات اليومية - أو اليوميات) في نهاية السنة . إلا أن هناك وسيلة واحدة أصبحنا معطادين على أنها أقصر الوسائل عمرًا : وهي الإنترن特 . قد يطول عمر بعض الوثائق المشورة على الإنترن特 لفترة تقدر بالسنوات ، ولكنشرط أن تظل بلا تغيير أو بلا حذف . بل إن موقع الشبكة التي قد نعتقد أنها دائمة (مثل موقع ويكيبيديا) . تتعرض للتغير - في الواقع - طوال الوقت لأنها تتعرض دائمًا للتحديث ولعمليات التحرير (أى التنفيذ والتعديل والتغيير) . وهناك بعض الوثائق التي لا تُعمر سوى لمدة يوم واحد تختفي بعده في اليوم التالي . لهذا السبب يتوجب على الباحثين أن يتعاملوا مع هذه المصادر بحرص وعناء ، كما ينبغي عليهم أن يسجلوا تاريخ اليوم الذي طالعوا فيه هذه الوثائق .

الوصول إلى الوثائق

كثيراً ما يكون الوصول إلى الوثائق أمراً عسيراً . و واضح أن الدخول على الإنترن特 شرط لابد منه بالنسبة للوثائق الموجودة على الشبكة جميماً ، ولكن بعض شروط الوصول الأخرى أقل وضوحاً من ذلك . وبعض السجلات الحكومية متاحة للجمهور (كشهادات الميلاد ، وعقود الزواج ، وشهادات الوفاة ، وبعض سجلات الإحصاء السكاني ، والوصايا الموثقة) ، إلا أنه لا بد في أغلب الأحيان من دفع رسوم للاطلاع عليها . وقد كفل القانون حرية المعلومات (ال الصادر عام ٢٠٠٠) لكل إنسان

حرية الوصول إلى الوثائق التي تنشرها طائفة عريضة من جهات الاختصاص في بريطانيا: كالحكومة المركزية والحكومات المحلية، ووزارة الصحة، والجامعات، والمدارس. إلا أن هناك قائمة طويلة من الجهات المستثناء من هذه الممارسة، فلا تنشر وثائقها على الشبكة. (للاطلاع على مزيد من التفاصيل انظر موقع: www.justice.gov.uk/guidance/foi-exemptions-about.htm). وجدير باللاحظة أن بعض الوثائق الرسمية في المملكة المتحدة تظل سرية بموجب «قاعدة الثلاثين سنة» التي استحدثها قانون السجلات الحكومية (الصادر سنة ١٩٥٨). لذلك قد يتذرع في كثير من الأحيان بحث الموضوعات الحساسة في نفس الوقت الذي تكون فيه محل اهتمام الناس.

وغالباً ما تكون المشكلة المتعلقة بتحديد أماكن وجود الوثائق (وهي مشكلة ليس لدينا حل لها يمكن الاعتماد عليه) هي توفر العلم بوجودها أساساً. وإن كان من الواضح أنه يمكن دفع المال لبعض الشركات المتخصصة لتحديد لك أماكن وجود الوثائق، إلا أن هذه العملية مكلفة جداً، كما أن الأرجح أنها تفوق قدرات معظم الطلاب الباحثين، إن لم يكونوا كلهم. كذلك يمكن أن يكون البحث على الإنترنت مفيداً في هذا الصدد، وذلك فضلاً عن مجرد التوجّه بالسؤال إلى الجهات التي يتحمل أن يكون لديها معلومات عما إذا كانت تحتفظ بالمعلومات التي تحتاج إليها أم لا. والأرجح أن الاستراتيجية الدؤوبة المتعددة الشعب هي أنجح الاستراتيجيات في هذا الشأن.

السياق

نظرًا لأن الوثائق هي أشياء من صنع المجتمع، فإن السياق الذي يتم وضعها فيه يصبح أمراً مهماً. لذلك يتوجب على الباحثين أن يطروها مجموعة من الأسئلة عند استعمالهم للوثائق حتى يستطيعوا أن يفهموا أقصى ما يمكنهم فهمه عن هذا السياق (انظر البرواز بعنوان «بحثك» الوارد فيما بعد).

الأصالة (أو الصحة)

من الواضح أن تحديد ما إذا كانت وثيقة ما أصلية أم مزيفة، أمر مهم (حتى لو كان بحثك معنياً بوثائق مزيفة، فمن الأهمية - مع ذلك - أن تكون على دراية بأصولها الحقيقة). ليس ممكناً على الدوام أن تحكم على أصالة الوثائق، إذ إن هناك بعض الحالات الشهيرة التي ارتكبت فيها أخطاء في هذا الصدد (انظر برواز «البحث الواقعى» على الصفحة التالية). ونحن نرى أن الأسلوب الأفضل في هذا الصدد أن تتسلح بقدر معقول من الشك، خاصةً إذا كنت تتصور أنك قد اكتشفت أمراً بالغ الأهمية. ونعتقد

- على وجه العموم - أن بالإمكان التأكيد من أصالة معظم الوثائق الرسمية (رغم أن هذا الوضع أيضا يتغير بمرور الزمن وبوصول نظم حكم جديدة . حيث أصبح من الصعوبة البالغة أن تتأكد من صحة بعض الوثائق الصادرة عن حكومة ألمانيا الشرقية السابقة مثلا). وأيا ما كان الأمر ، فإن احتمال اكتشاف الطالب الباحث لتزوير الوثائق أو تزييفها هو - في اعتقادنا - احتمال ضعيف جداً.

البحث الواقعى يوميات هتلر

في سنة ١٩٨٣ نشرت مجلة ألمانية أجزاء مما زعم أنه يوميات أدolf هتلر . وقد دفعت هذه المجلة مبلغا ضخماً من المال للحصول على هذه الوثائق ، كما أن بعض المؤرخين البارزين اعتبروها وثائق أصلية (صحيحة) . غير أنه اتضح فيما بعد - يقينا - أنها مزورة ، كما ثارت شكوك في تواطؤ أحد المؤرخين في هذه الخديعة [فقد كانت هذه اليوميات مكتوبة بحبر حديث على ورق معاصر . وقد أدين هذا المزور لاحقا ، وقضى نحو أربع سنوات في السجن تنفيذا لحكم أصدرته المحكمة بحقه].

لماذا تعتقد أنه كان من السهل تماما إقناع الناس بأن هذه اليوميات أصلية؟

مشكلات تتعلق بالوثائق والإحصائيات الرسمية

رغم أننا لا نريد إعطاء الانطباع بأن الحكومات وغيرها من المصادر الرسمية تعمل على تضليل قراء وثائقها ، فإن هناك بعض القضايا الخلافية التي تستحق أن نفكر فيها :

• من المألوف أن تتغير التعريفات بمرور الزمن ، وكثيرا ما يكون هذا هو حال الوثائق الرسمية . من ذلك مثلا ، أن الأسماء التي تطلق على الفئات «العرقية» تتغير بشكل ملموس بمرور الزمن . فمجموعة الناس كانوا يُعرفون في وقت مضى باسم مجموعة «أبناء جزر الهند الغربية» قد يُعرفون حاليا باسم «أبناء الكاريبي الأفارقة» أو «السود» (وتختلف هذه المسميات في البلاد الأخرى كذلك) . من هذا أن المجموعة الإثنية التي أسميناها هنا مجموعة أبناء الكاريبي الأفارقة تعرف عادة في الولايات المتحدة باسم «الأمريكيين السود» (الأمريكيين الأفارقة) . كذلك تغيرت طبيعة اللفظ الأساسي : «العرق» وكثيرا ما أصبح يستعمل (وهو أمر خطأ في رأينا) كمرادف للفظ «الإثنية» والعكس بالعكس .

• المألوف في المملكة المتحدة حدوث تغيير في الحدود الإدارية . فقد تغيرت حدود الأقاليم في إنجلترا تغيرا ملحوظا في سنة ١٩٧٤ مع استحداث أقاليم «جديدة» . ثم

حدثت تغيرات أخذت تتلاحق منذ ذلك التاريخ. وهذا التغير في الحدود الإدارية للأقاليم يجعل من الصعوبة البالغة مقارنة المعلومات الواردة في بعض الوثائق، وذلك مجرد أن الأشياء التي تشير إليها قد تغيرت، وإن كانت ولا تزال تحفظ أحياناً بنفس الاسم.

• أحياناً ما تكون الوثائق الرسمية «خطأ» لأسباب غير مألوفة. شاهد ذلك أنه من المحتمل أن الحالات الأولى للوفيات الناجمة عن الإصابة بمرض الإيدز في المملكة المتحدة قد حدثت في أواخر سبعينيات القرن العشرين. ولكن المؤكد أنه قد تم تسجيل عدد من الوفيات الراجعة إلى هذا السبب في أوائل ثمانينيات القرن العشرين. إلا أن البعض يعتقد أن عدداً كبيراً من الوفيات الناجمة عن مرض الإيدز قد سُجلت خطأ باعتبار أنها راجعة إلى أسباب أخرى (وهو مرض الالتهاب الرئوي، كما هو معهود في هذه الحالات). وليس واضحاً ما إذا كان هذا الخطأ راجعاً إلى:

- جهل الأطباء الذين صدقوا على شهادات الوفاة.
- أو أن ذلك كان جزءاً من عملية لإخفاء السبب الحقيقي لهذه الوفيات.
- أو أنه كان هو عين الحقيقة، لأن الأفراد الذين يعانون من مرض الإيدز غالباً ما يموتون بسبب ما يرتبط به من إصابات العدوى.

إن وجهة النظر التي نحاول التدليل عليها هنا هي أنه من المهم أن تعرف أقصى ما يمكنك معرفته عن أي موضوع قبل أن تتصدى لإصدار حكم عليه.

فكرة في هذا الموضوع . . .

اطرح الأسئلة التالية عن البيانات المجموعة وفقاً لكل من السيناريوهين التاليين:

(أ) من المؤلف؟

(ب) ما الذي يحاول المؤلف قوله؟

(ج) إلى من يتوجه المؤلف بكلامه؟

(د) لماذا كتب هذا التقرير؟

(هـ) ما الذي يسعى المؤلف إلى تحقيقه؟

١- افترض أن بحثك الذي يتناول طريقة تواصل الشباب مع بعضهم البعض في المملكة المتحدة في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين شمال - كجزء

من عملية جمع البيانات - عينة من الإعلانات الشخصية المأخوذة من موقع على الإنترنت (أو في إحدى الصحف) مخصص للشباب والشابات الراغبين في تحديد مواعيد لقاءات عاطفية.

٢ - افترض أن بحثك الذي يتناول طرق تقديم الأحزاب السياسية نفسها للجمهور كان يشمل - كجزء من عملية جمع البيانات - دراسة متعمقة للبيانات الحزبية لكل الأحزاب الرئيسية المشاركة في الاقتراع .

بحث

أسئلة ينبغي أن تطرحها على نفسك عند استخدام الوثائق في البحث

- ما مصدر هذه الوثيقة؟
- هل الوثيقة أصلية؟ هل يمكنني أن أثق بها؟
- ما عمر الوثيقة؟
- من الذي كتب الوثيقة؟
- ما الذي كان يحدث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حينما وضعت هذه الوثيقة؟
- لماذا ظلت هذه الوثيقة باقية (أو لماذا تم الحفاظ عليها)؟
- هل لهذا السياق المحيط بإنتاج الوثيقة تأثير على الثبات المنهجي لهذه البيانات وعلى دقتها؟
- ماذا كان غرض الوثيقة؟
- من كان الجمهور المستهدف أصلاً بهذه الوثيقة؟
- هل الغرض الأصلي للوثيقة يجعلها غير ملائمة لبحثي؟
- ما أهمية الوثيقة لبحثي؟
- هل أنا على بينة من احتمال تغير الحدود (الإدارية) والتعريفات منذ وضع هذه الوثيقة؟

طرق التفسير والتحليل

يمكنك أن تطرح أسئلة عن الوثائق بنفس الطرق التي قد تتبعها في طرح أسئلة عن مبحثيك، كما أن طبيعة البيانات التي تجمعها قد تكون كمية أو كيفية. وكما هو الحال في الطرق الأخرى لجمع البيانات، فإن نقطتي البدء تتمثلان في: أسئلة البحث والتعرifات الإجرائية. ومن واقع هذه الأسئلة والتعرifات يمكن صياغة مجموعة من الأسئلة التي توجه لكل وثيقة على حدة، كما أنه قد يكون مفيداً تصميم نموذج يمكن تسجيل البيانات فيه. قد تكون البيانات كمية، بمعنى - مثلاً - كم عدد المرات التي استعملت فيها كلمات معينة، أو عبارات، أو مفاهيم معينة؟ أو قد تكون ذات طبيعة كيفية أو وضع؟ وعندها نتساءل: ما الأفكار التي تم التعبير عنها في الوثيقة؟ وما الاتجاه الأساسي للوثيقة؟ أو قل: ما «الخطة» أو الأجندة الأساسية للوثيقة؟

هناك عدة طرق لتفسير وتحليل الوثائق وبياناتها. وأبسط هذه الطرق هي قراءة الوثيقة لاستخلاص المعلومات. ومع ذلك، فإن بالإمكان تطبيق معظم أشكال التحليل الأخرى على محتويات الوثائق، وهو ما سوف نتناوله بمزيد من التفصيل في الباب الرابع من هذا الكتاب.

بحث

مزایا استخدام البيانات الوثائقية

- الوثائق متاحة بسهولة، كما أنها تحتوى في غالب الأحيان على كميات ضخمة من المعلومات.
- يمكن استخدام الوثائق في البحث المتعدد الأدوات لمعالجة البيانات المجموعة من مصادر أخرى.
- تنسم بيانات بعض الوثائق بأنها طويلة العمر، وبذلك يمكن بحثها على امتداد الزمن.
- تفيد الوثائق في تزويد البحث بمعلومات عن السياق الذي وضعت فيه.

عيوب استخدام البيانات الوثائقية

- قد تفقد الوثائق أو يُغيّر فيها شيء.
- قد تتغير التعرifات المستخدمة في الوثائق بمرور الزمن.
- الأشياء التي تشير إليها الوثائق وترتبط بها (كالأقاليم الإنجليزية مثلاً) قد تتغير دلالتها عبر الزمن.
- قد تكون الوثائق مضللة إذا لم تكن الظروف المحيطة بإنتاجها معروفة تامة.

بحث

اختبار جودة البحث: الوثائق

- هل تدرك حقيقة مصدر وثائقك؟
- هل أنت واثق من أصالتها (صحتها وجيئتها)؟
- هل تدرك حقيقة الغرض الأصلي للوثائق ، وما إذا كان بالإمكان ، بسبب هذا الغرض ، أن تكون مفيدة لبحثك أم لا؟
- هل تغيرت التعاريفات والمصطلحات منذ كتابة الوثيقة؟ هل تستطيع أن تعالج نتائج هذا التغيير؟
- هل يمكن دراسة بيانات الوثيقة باستخدام طرق أخرى لجمع المادة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bogart, J. W. C. (1995) *Magnetic Tape Storage and Handling: A Guide for Libraries and Archives*, Washington, DC: National Media Laboratory.
- Marken, A. (2004) CD and DVD longevity: how long will they last? *Audioholic Magazine* available online at www.audioholics.com/education/audio-formats-technology/cd-and-dvd-longevity-how-long-will-they-last (last accessed 21 August 2009).
- Prior, L. (2003) *Using Documents in Social Research*, London: Sage.
- Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.
- Southgate, B. C. (2001) *History: What and Why? Ancient, Modern and Postmodern Perspectives*, 2nd edn, London: Routledge.
- University of Liverpool and The Wellcome Trust (2008) *Understanding Epidemics* available online at www.liv.ac.uk/geography/research_projects/epidemics/HIV_intro.html (last accessed 21 August 2009).

الفصل التاسع

المصادر الثانوية للبيانات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات الثانوية.
- الإحصائيات الرسمية.
- استخدام البيانات الثانوية.
- الجمع بين البيانات الأولية والثانوية.
- طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل المصادر الثانوية للبيانات. ولكنه لا يتناول على وجه التحديد تحليل هذه الأنواع من البيانات، لأننا نعالج هذا الموضوع في موضع آخر، وبالتحديد في الباب الرابع من هذا الكتاب.

يمكن تقسيم مصادر البيانات، وبصورة ملائمة، إلى فتنين (للاطلاع على التعريفات والأنمط الأخرى انظر فصل 3 باب 1):

- 1 - البيانات الأولية: وهي البيانات التي جمعها (أى: الباحث أو أحد أعضاء فريق البحث) بصورة مباشرة.
- 2 - البيانات الثانوية: وهي البيانات التي يجمعها شخص آخر (والذى لا يكون عضواً فى مشروعنا البحثي).

ويقتصر هذا الفصل على معالجة المصادر الثانوية، ويركز بصفة خاصة على «البيانات التي تصدرها المنظمات والهيئات» وعلى «الإحصائيات الرسمية».

إن البهجة العظيمة في الاستغلال بمصادر البيانات الثانوية قد ترجع إلى أن شخصاً ما غيرنا قد قام من قبل بهذا العمل من أجلنا ! للأسف الشديد ، ليس هذا هو الحال دائمًا . ففي كل يوم يتم تسجيل مقادير ضخمة من البيانات في تشكيلة مختلفة من الأماكن . شاهد ذلك أن قدرًا كبيرًا من حيوانات تُعد مادة للتسجيل شبه الرسمي ، (ونقول شبه الرسمي ، لأن من الراجح أن البيانات التي سنكون قادرين على الوصول إليها بيانات ليس فيها ذكر للأسماء بشكل ما ، وذلك بقصد لا يكون ممكناً التعرف على هويات الأفراد) .

وعلى الرغم من أن البعض قد يظن في بداية الأمر أن معظم البيانات متاحة للاستخدام الثنائي بيانات رقمية (وأنه من الأرجح ، لهذا السبب ، أن تكون عبارة عن نتائج بحوث كمية أو عملية جمع البيانات) . ولكن الأمر ليس كذلك بالضرورة ، كما أن البيانات الكيفية الشاملة المتعلقة ب مجالات موضوعات كثيرة تكون متاحة هي الأخرى للاستخدام كبيانات ثانوية . شاهد ذلك أن مجالس البحوث التي تمولها الحكومة في المملكة المتحدة تشتّرط أن توضع البيانات التي تجمع بالاستفادة بدعمها في أرشيف بيانات المملكة المتحدة www.data-archive.ac.uk وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس 2009 حيث تكون متاحة بسهولة لاستعمالها الباحثون الآخرون .

ما: البيانات الثانوية؟

هي البيانات التي يستخدمها الباحث وتكون قد سبق أن أنتجها غيره من الباحثين .

طبيعة البيانات الثانوية

تشتمل السجلات الرسمية (والتي تكون في الغالب وثائق أيضاً) على: وقائع المواليد ، حالات الزواج ، والوفيات؛ وسجلات الدخول والجمارك الخاصة بوزارة الصحة وبالملكة (في بريطانيا)؛ وأعداد المقبولين الجامعات ، وال Redistributions السكانية ، والملفات الحاسوبية الوطنية للشرطة ، وما شاكل ذلك . والغالب تماماً في هذه الأيام أن تخزن المعلومات في ملفات حاسوبية تكون متاحة للمستفيدين المرخص لهم بذلك . ومن الواضح أن هذه المعلومات تمثل قدرًا عظيماً من المعلومات الشخصية . وقد أحدثت الإنترنت ثورة حقيقة في إمكانية الوصول إلى البيانات الثانوية . فالمعلومات - المتعلقة بما لا يزيد عن عشر سنوات مضت - والتي لم تكن متاحة إلا في صورة مطبوعة أو على أقراص كومبيوتر أصبحت متاحة الآن لأى إنسان قادر على الدخول على الإنترنت . يضاف لذلك ، أن

المزيد من المعلومات التفصيلية مُتاحة على الإنترنت بتكلفة رخيصة تماماً. شاهد ذلك أنه من الممكن الآن الوصول إلى الكترونياً إلى النتائج الخاصة بـتعداد السكان لسنة 1911 ، وهي عملية كان يمكن أن تستغرق قدرًا هائلًا من الوقت لو نفذت على الورق.

البحث الواقعي

مصادر البيانات الثانوية

الأرشيفات الوطنية (والمتحف على موقع www.nationalarchives.gov.uk تاريخ آخر دخول على الموقع 21 أغسطس 2009) هي الأرشيف الرسمي لحكومة المملكة المتحدة. يعود تاريخ هذه السجلات إلى ما يقرب من ألف سنة، كما أن قدرًا عظيماً منها قد تم رقمنته (حفظه بالنظام الرقمي) (بما في ذلك سجل الأراضي وملوكها الذي أعد في عهد وليم الفاتح ، والمسمي *Domesday Book*)، كما أنه متاح على الإنترنت. أما بالنسبة للباحث الاجتماعي فيشتمل هذا الأرشيف على كل من البيانات الثانوية والبيانات الوثائقية.

وتشتمل المشروعات الحديثة على الرسوم البيانية للتعدادات السكانية ابتداء من سنة 1871 ، والأفلام السينمائية ، واللصقات الخاصة بالخدمات الصحية العامة ابتداء من القرن العشرين ، وتشتمل على تاريخ خدمة المرأة في الجيش ، وتاريخ السجون ، وأرشيفات مستمدة من وثائق دور إيواء الفقراء ووثائق اتحاد الخاضعين لقانون الفقر .

وتقوم بجمع المعلومات أيضًا منظمات أخرى كثيرة (كالشركات الكبيرة ، والجمعيات الخيرية ، والمعاهد التعليمية ، والمنظمات الشبابية وما أشبه ذلك). ويمكن القول على وجه الإجمال أن هذه المجموعة من البيانات التي تقدمها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية توصف بأنها «بيانات مؤسسات». وقد احتفظنا بهذه الفئة من البيانات منفصلة عن «الإحصائيات الرسمية / وغير الرسمية» لأسباب ستتضح لنا لاحقاً. ولا شك أن بيانات المؤسسات مصدر وفير للمعلومات المتنوعة.

بحث

مزایا استخدام بيانات المؤسسات

- يمكن أن تكون أحجام العينات كبيرة جدًا من حيث العدد ومن حيث النسبة (شاهد ذلك أن التعداد السكاني يفترض فيه أن يكون بنسبة 100 في المائة من سكان المملكة المتحدة).

- الغالب على هذه البيانات أن تكون منظمة تنظيماً جيداً، كما أن بالإمكان البحث فيها باستعمال الحواسب المختلفة.
- قد تكون طريقة رخيصة جدًا لجمع البيانات (فالمعلومات الخاصة بالتعداد السكاني، مثلاً، متاحة على الإنترنت لأى جامعة، ولكثير من الباحثين الآخرين، وبدون مقابل عادة). وتُوجَد بالمثل مصادر أخرى كثيرة للبيانات الشاملة متاحة للجميع، منها: موقع أرشيف بيانات المملكة المتحدة (www.data-archive.ac.uk/) وهو موقع يستحق الزيارة فعلاً، ولو للتعرف على أنواع البيانات المتاحة فقط.
- من الممكن الجمع بين البيانات الأولية والثانوية للظرف بمزيد من العمق والإدراك الثاقب.
- أحياناً ما يكون بالإمكان استعمال البيانات الثانوية لإجراء بحث تتبعي (طولي) لم يكن يتيسر إجراؤه بغير تلك البيانات (ولكن انظر التحذير الوارد في برواز «بحثك» بعد التالي، عن المشكلات المحتملة مع استخدام الإحصائيات الرسمية).
- قد يكون ممكناً ربط عدد من الدراسات السابقة لاستخلاص نتائج جديدة. وهذا الإجراء قد يكون مفيداً - بصفة خاصة - في البحوث الدولية المقارنة.

بحث

مشكلات استخدام بيانات المؤسسات

- قد لا تكون السجلات محفوظة بصورة جيدة أو مضبوطة : وقد يرجع ذلك في جزء منه إلى اعتبار المحافظة على السجلات عملاً متمني المكانة، كما أنه إذا لم تكن السجلات مكتوبة أصلاً بشكل جيد، بواسطة الأطباء^(٢) أو المسؤولين الحكوميين مثلاً، فإن القائم بحفظ السجلات (ومن يعتمدون على هذه السجلات لاحقاً) قد لا يستطيعون فهمها على الوجه الصحيح . وقد تستعمل فيها لغة اصطلاحية فنية أو مهنية لا تكون مفهومة للباحث.
- لا يستطيع الباحث أن يقدر مدى دقة السجلات أو يتحكم فيها، لذلك يكون من المهم أن يتوافر لديه إدراك صحيح للطريقة التي بها تم إعداد هذه السجلات.

^(٢) بسبب ما هو مشهور عن رداءة خط اليد بين أغلب الأطباء. (المترجم)

- يمكن أن تضيّع الملفات خاصّة النسخ المخطوطة (المكتوبة بخط اليد) للبيانات المنقوله من ميكروفيلم أو من ذاكرة الحاسب. وقد يعود سبب هذا الضياع إلى حادث عارض، كما قد يكون متعمداً أيضاً. وقد يكون ضياع الملفات هذا مساعدًا للخطة الخفية للقائم على حفظ السجلات.
- من الأهمية البالغة معرفة أسباب حفظ هذه السجلات، ومعرفة الظروف المحيطة بجمع هذه المعلومات.
- بيانات المؤسسات قد لا تزودك بالمعلومات التي تحتاج إليها.
- التعريفات المستخدمة قد لا تكون واضحة بما فيه الكفاية أو لا تكون مفيدة لبحثك.
- لا يتوافر لك سيطرة على جودة البيانات، وغالباً لا يتوافر لك أي طريقة للحكم عليها.

البحث الواقعي

البيانات الثانوية وأخلاق عالم الأعمال

في سنة 1998 أشار كريستوفر كاوتون Cowton إلى أنه، ورغم وجود قدر كبير من الأبحاث الجارية في موضوع أخلاق عالم الأعمال، فإن أغلبها لا يستخدم إلا البيانات الأولية. ولهذا قام كاوتون بدراسة كل من طبيعة ومدى وفرة البيانات الثانوية في هذا المجال، وانتهى إلى نتيجة مفادها أن الباحثين كانوا يجهلون مزايا استخدام البيانات الثانوية (يلاحظ كاوتون أن الميزة الأساسية لاستخدام البيانات الثانوية هي رخص التكاليف). ولكنه توصل كذلك إلى أنه ثمة مزايا لاستخدام بيانات جمعت لتحقيق هدف محدد في الماضي عند المقارنة بالوقت الحاضر.

ذهب كاوتون في نتيجته النهائية إلى ما يلى:

يبدو الأمر - كقاعدة عامة - وكأن الباحثين ليسوا على المستوى الذي ينبغي أن يكونوا عليه من حيث الوعي بالإمكانيات الوعاء للبيانات الثانوية في تقديم رؤى قيمة عميقه لحقائق طائفه متعددة من القضايا بأسلوب يتسم بالتكلفة المنخفضة. ويرى ستيفورات (1984) مثلاً أن الأفراد والمؤسسات لا يستفيدون الاستفادة الكاملة من ذلك الكم الهائل من المعلومات الثانوية المتاحة لهم. وربما يرجع ذلك إلى الانفجار الهائل للمعلومات الذي تحقق في السنوات الأخيرة. ومن الأسباب الأخرى لاستثمار البيانات الثانوية بدرجة أقل مما ينبغي أن العلماء الاجتماعيين يتوجهون عندما يبذلون العمل في مشروع بحثى للتفكير على أساس جمع بيانات جديدة (كاوتون، 1998، 431).

الإحصائيات الرسمية

تجمع الحكومات كميات ضخمة من البيانات ، وتقدم تحليلات لها . وللإحصائيات الرسمية كثير من الخصائص التي تمثل خصائص بيانات المؤسسات: فهي توفر عينات كبيرة بتكلفة زهيدة ويسهل الوصول إليها . كما أنها تنزع إلى تكرار إنتاجها بمرور الزمن ، مما يسمح بدراسة العمليات الجارية بالفعل في الوقت الحاضر .

وأيا ما كان الأمر ، فإن استخدام الإحصائيات الرسمية يمكن أن يثير بعض المشكلات . فمما يهم الباحث أن يتذكر أن الأغراض الرئيسية للإحصائيات الرسمية هي تعريف الحكومة بنوعية أدائها وبحالة أداء المجتمع وتطوراته . وهكذا يتم إنتاج الإحصائيات الرسمية للتغيير عن الحاجة إلى تغيير سياسة أو تنفيذ سياسة ما ، أو لتقديم معلومات لتابعه الأداء ولخدمة الإدارة . على أنه يمكن النظر - أيضاً - إلى الإحصائيات الرسمية كجزء من حماية العملية الديمقراطية . معنى ذلك أن بالإمكان أن يستعملها الجمهور في الحكم على ما إذا كانت الحكومة تقوم بعملها بصورة جيدة في تقليص قوائم الانتظار لدخول المستشفيات مثلاً . وهذا معناه أن الدورين اللذين وصفناهما قبل ذلك يكونان في صراع مباشر : فالحكومة قد لا ترغب في الكشف عن المعلومات لأنها قد تتسبب في إثارة «حملات صحفية» ضدها . والساخرون سيدهبون إلى أن البيانات قد تم التلاعب بها لتقديم «أخبار سعيدة» ، وإلى أن المعلومات المثيرة للخلاف يتم إيقاؤها طى الكتمان . ومع ذلك ، فقد تظل هذه البيانات موجودة حتى يقوم باحث حتى الضمير بالكشف عنها .

ولعل الأمل الأشد إشكالية من ذلك أن الباحث الذي يرغب في استخدام المعلومات المجموعة في الإحصائيات الرسمية ليست له أى سيطرة على السياق الذي جمعت فيه هذه البيانات و / أو على تصميم الأسئلة والتعرifات المستخدمة في إنتاجها .

بحث

بعض المشكلات المحتملة عند استخدام الإحصائيات الرسمية

- 1 - الطريقة التي تصور بها الحكومة هذه المعلومات - بجانب الأسئلة الدقيقة التي تطرحها - قد لا تكون مطابقة تماماً دقيناً مع الأسئلة / أو المعلومات التي تريدها أنت . وقد يعني هذا أنه يتوجب عليك أن تعدل أو تنفح تعرifاتك الإجرائية لتنطابق مع البيانات المتأحة . وقد يقتضي الأمر أن تقوم بعمليات التقييم ، أو الحساب أو الاستدلال من واقع هذه المعلومات .

2 - قد تتعرض بعض البحوث لشكّلات منهجية رئيسية. من ذلك مثلاً أنه معروض يقيناً الآن أن حوالي مليون فرد ليسوا موجودين في التعداد السكاني للمملكة المتحدة لسنة 1991. وكان هذا التعداد قد أجري في وقت قريب من وقت فرض «ضريبة المجتمع المحلي» (المقصود بها ضريبة الاقتراع)، وهكذا اعتقد بعض الناس أنهم إن لم يسجلوا في التعداد السكاني فلن يتوجب عليهم دفع هذه الضريبة.

استخدام البيانات الثانوية

هناك قضيّتان لا بد من التصدّى لهما حين يرحب الباحثون في استخدام البيانات الثانوية. الأولى أنه يلزمك أن تعرف ما إذا كانت هذه البيانات موجودة أصلاً أم لا. من المحتمل أن يلجأ الطلاب الباحثين إلى استخدام أحد محرّكات البحث على الإنترنّت كخطوة أولى، والأرجح أن يوفق باستخدامه هذه الاستراتيجية. إلا أن الموقف قد يكون أشد صعوبة إذا كانت المعلومات التي يبحث عنها قديمة أو لم تنشر «بصفة رسمية». ولعل أفضل نهج للعمل في هذه الحالة أن تحاول مناقشة عملية البحث عن تلك البيانات مع «خبير» ذي دراية (كان يكون محاضراً أو مدرساً جامعاً، أو ممثلاً لأحد الشركات العاملة في هذا المجال المختص، أو مع أمين مكتبة).

بمجرد أن تتأكد من أن المعلومات التي أنت بحاجة إليها موجودة على الأرجح (ولا ريب أن اكتشاف أنها غير موجودة هو في حد ذاته نتيجة بحثية مهمة)، وعندما تكون المهمة التالية هي تحديد مكانها والوصول إليها. وبينما لك المثال رقم (9-1) بعض الخطوات الأولى المفيدة في هذا الشأن.

مثال (9-1)

بوابات الإنترنّت

• Directgov (وهو موقع الشبكة الحكومي الرسمي المتاح للمواطنين): «مدخل سهل للوصول إلى الخدمات العامة التي تستخدمها، وإلى المعلومات التي تحتاج إليها، والتي تقدمها حكومة المملكة المتحدة».

<http://direct.gov.uk./en/index.htm> Directgov. 2008

• أرشيف بيانات المملكة المتحدة: مجموعة من البيانات المستمدة من دراسات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في المملكة المتحدة، مع بعض وصلات بالأرشيفات الأخرى.

UK Data Archive: www.data-archive.ac.uk/

• Intute : «خدمة إلكترونية مجانية توفر لك الوصول إلى أفضل مصادر الشبكة في مجال التعليم والبحث ، والتي تم تقييمها وانقاوتها بمعرفة شبكة من التخصصين في هذه الموضوعات www.intute.uk/socialsciences/ (Intute ، 2008)

• Europa : «بوابة الاتحاد الأوروبي» (Europa ، 2008) <http://europa.eu>.

كما يوجد العديد من قواعد البيانات المتخصصة في موضوعات محددة ، والتي قد تكون مفيدة لك . وينبغي أن تكون مكتبة جامعتك أو كلية قادر على مساعدتك في هذا الشأن .

بحثك

هل سيفيد بحثك من استخدام مصادر البيانات الثانوية؟

فكرا في هذه الاحتمالات :

- سيؤدي إلى زيادة كبيرة في حجم عينتك (فصل 5 باب 2).
- سيجعلك أقدر على مقارنة الفترات الماضية بالوقت الراهن.
- يتيح لك استخدام بيانات بنوعية ممتازة ورخيصة التكاليف.
- يتيح لك الجمع بين البيانات الأولية والثانوية ، الأمر الذي يثرى بحثك .

الجمع بين البيانات الأولية والثانوية

تبعد فكرة الجمع بين البيانات الأولية والثانوية جذابة لكثير من الباحثين . والواقع أن معظم المشروعات البحثية ستقوم بهذا الجمع بقدر معين ، إذ من العتاد أن تحدد سياق المشروع عن طريق استعراض الدراسات السابقة ، وإبراد البيانات التي تمثل خلفية للمشروع . وقد تكون هذه البيانات إحصائيات قومية متصلة بموضوع البحث ، أو تكون بيانات مستمدة من الماضي تبين إلى أي مدى تغيرت طبيعة مجال البحث .

غير أنه بوسع الباحثين كذلك أن يستخدموا البيانات الثانوية كنكلمة للبيانات التي سيعملونها هم أنفسهم . وتخالف أسباب ذلك ، إلا أنها قد تشمل ما يلى :

- الوصول إلى مقدار كبير من البيانات أو إلى حجم عينة كبير.
- البحوث التبعية (الطويلة) : التي يحاول أصحابها في الغالب الاستفادة من البحوث السابقة لتوسيع المدى الزمني لمشروعهم الذي يقومون به .

فإذا نفذ هذا الجمع بين نوعي البيانات بنجاح ، فينبغي على الباحث حينئذ أن يطرح على نفسه سؤالين :

1 - هل الأسئلة والبيانات والتعريفات متوافقة؟ هذه هي الصعوبة التي أشرنا إليها من قبل . لذلك يصبح من المهم أن تعرف أن الأسئلة المطروحة والتعريفات المستخدمة في جمع البيانات الثانوية متوافقة مع البحث الجارى تنفيذه . فإن لم يكن ذلك التوافق متحققا ، فربما كان من المستحيل - حينئذ - أن تستخدم كلا نوعي البيانات . ومع ذلك تستطيع البيانات الثانوية أن توفر - رغم هذا - البيانات المتعلقة بخلفية المشروع والبيانات المتعلقة بسياقه والتى ناقشناها من قبل ، مادام أن الاختلافات بين طبيعة كلا نوعي البيانات مذكورة بوضوح .

2 - هل العينات متوافقة؟ عادة ما يكون حجم العينة مسألة غير مهمة ، إلا إذا كنت تسعى إلى استخلاص أحكام عامة من النتائج . ومع ذلك قد يكون اختيار العينة وطبيعة تكوينها على قدر كبير من الأهمية : فإن كانت العينة الأصلية قد جمعت في مدينة كبرى ، فمن المستبعد حينئذ أن تكون النتائج مفيدة لبحث يجرى تنفيذه في بيئة ريفية (وإن كانت هذه النتائج يمكن أن تكون مفيدة في المقارنة بطبيعة الأمر) . كذلك إذا كانت العينات ممثلة لجماعات عمرية ، أو لجماعات إثنية ، أو لجماعات دينية مختلفة ، أو عينات لجماعات مختلفة - في الواقع - من بعض الفوائح الجوهرية ؛ فإن البيانات السابقة (أى القديمة) قد لا تكون حينئذ مفيدة في التحليل الثنوى .

ويتوجب على الباحث دائمًا أن يعالج هاتين القضيتين بطريقة نقية ، وذلك لينقادى التوصل إلى نتائج مضللة ، لمجرد أنه توافر لديه ثروة من البيانات التي يبدو أنها ذات صلة ببحثه .

طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل

يمكن أن تظهر البيانات الثانوية - كما رأينا - في أشكال كثيرة مثل أشكال البيانات الأولية ، وهى تتطلب - بصفتها هذه - المعالجة والتحليل باستخدام أساليب التحليل الملائمة . في بعض البيانات الثانوية تكون قد جرى تحليلها قبل ذلك ، كما أنه ليس من الميسور دائمًا الرجوع إلى البيانات «الخام» الأصلية . فإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الباحث حينئذ أن يعي تماماً الطرق التي تعرضت بها تلك البيانات للتغيير والتعديل أثناء عملية التحليل . كما يتوجب عليه أن يقدر ما إذا كانت هذه البيانات لا تزال مفيدة له في معالجة أسئلة بحثه أم لا .

البحث الواقعى

استخدام البيانات الثانوية

بحث كرونك Cronk ، وسارفلا (1997) Sarvela بعنوان: «تعاطى الخمر ، والتدخين ، وغير ذلك من تعاطى المخدرات بين شباب الريف والمدن الصغيرة والمدن الكبرى: تحليل ثانوى لعملية رصد مجموعة البيانات المستقبلية» ، منشور فى: المجلة الأمريكية للصحة العامة 87 (5) ص ص 760-764.

قامت كريستين كرونك وبول سارفلا (1997) بدراسة البيانات التى جمعت عن تعاطى المخدرات ، والخمر ، والتدخين لدى طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية بالولايات المتحدة عن الفترة من سنة 1976 - 1992 . (تذكر أن طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية تتراوح أعمارهم عادة بين 16 سنة و 18 سنة ، وأنه بالنسبة لمعظم الولايات الولايات المتحدة يكون السن الأدنى المسموح فيه بشراء الخمر وتعاطيه 21 سنة . كما أن أغلب الولايات تحدد السن الأدنى للتدخين بـ 18 سنة .

قام الباحثان بدراسة مجموعات ضخمة من البيانات المتوافرة وقت إجراء البحث ، وانتهيا إلى أنه على الرغم من أن تعاطى هذه المواد بين طلبة السنوات النهائية فى المدارس الثانوية الريفية كان مختلفاً عن نظرائهم من طلبة المدارس الثانوية الحضرية ، فإن أنماط التعاطى أصبحت في الحقيقة متماثلة في سنة 1992 . لم يكن من الممكن إجراء مثل هذا البحث بدون استخدام مصادر البيانات الثانوية .

تحذير

بحثك

عند استخدامك لأى بيانات لم تجمعها بنفسك ، فمن اللازم دائمًا أن تسأل عن المصدر الذى أخذت منه هذه البيانات ، وعمن يريد لك أن تصل إليها ، ولماذا ، ثم لماذا هى متاحة في الوقت الراهن؟ .

ولكن المؤكد - على أية حال - أن البيانات الثانوية مهمة ، فمن اليسير الوصول إليها ، كما أن من السهل - في كثير من الأحيان - تكييفها لتحقيق أغراض أخرى . إنها مصدر مهم من مصادر البحث .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Cowton, C. J. (1998) The use of secondary data in business ethics research, *Journal of Business Ethics*, 17(4): 423–34.
- Cronk, C. E. and Sarvela, P. D. (1997) Alcohol, tobacco, and other drug use among rural/small town and urban youth: a secondary analysis of the monitoring the future data set, *American Journal of Public Health*, 87(5): 760–4.
- Hakim, C. (1982) *Secondary Analysis in Social Research*, London: Allen & Unwin.
- Huston, P. and Naylor, D. (1996) Health services research: reporting on studies using secondary data sources, *Canadian Medical Association Journal*, 155(12): 1697–709.
- Mort, D. (ed.) (2006) *Sources of Non-Official UK Statistics*, 6th edn, Aldershot: Gower.
- Office for National Statistics (2000) *Guide to Official Statistics*, www.statistics.gov.uk/downloads/theme_compendia/GOS2000_v5.pdf (also available in hard copy from Palgrave Macmillan).
- Reed, J. (2006) Secondary data in nursing research, *Journal of Advanced Nursing*, 17(7): 877–83.

الفصل العاشر

جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلي

محتويات الفصل

- الاتصال بواسطة الحاسب الآلي .
- استخدام الحاسب في جمع البيانات .
- لماذا نختار الاتصال عبر الحاسب في جمع البيانات؟
- الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب.
- المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب .
- جماعات المناقشة التي تستخدم الاتصال عبر الحاسب .
- الملاحظة على الإنترن特 .
- اختيار العينات وتجميع المشاركين في حالات: الاستبيانات ، والمقابلات ، وجماعات المناقشة الإلكترونية .
- القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب في البحث الاجتماعي .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

تناول هذا الفصل استخدام الحواسب والإنترنت في جمع البيانات البحثية. وهذا مجال أخذ في النمو بوتيرة متتسعة ، وي تعرض للتغير المتواصل ، وقد يبدو الأمر عجيا أنه - وحتى سنة 1998 - لم تكن الأسر التي يمكنها الدخول على الإنترت تزيد عن 9% من مجموع الأسر. أما الآن - في سنة 2009 - فقد تجاوزت هذه النسبة 70% من الأسر (إدارة الإحصائيات القومية، 2009/أ، 2009/ب). لقد أدى استخدام الحواسب في جمع البيانات وفي الاتصال إلى تغيير العالم الذي نعيش فيه . فأصبحنا اليوم نستطيع إجراء مشروعاًات بحثية في الأماكن النائية التي لا نستطيع تحمل تكاليف زيارتها ، بل نستطيع أن نعالج هذه البيانات بأساليب وطرق لم يكن يتخيّلها أحد في تسعينيات القرن العشرين .

أدى هذا الوصول السهل (نسبة) للأفراد والبيانات إلى توسيع نطاق البحث الاجتماعي بشكل هائل، إلا أنه يقضى كذلك أن نقوم - كباحثين اجتماعيين - بتطوير تقنيات جديدة للتحكم في هذه التشكيلة المتنوعة من البيانات، وذلك لكي تظل نتائج بحوثنا على مستوى عالٍ من الجودة.

تنصب بؤرة اهتمام هذا الفصل على الاتصال باستخدام الحاسب والانتفاع بالإنترنت في البحث.

لا شك أن ظهور الإنترت وما صاحبها من أنظمة الاتصال - التي منها البريد الإلكتروني، وغرف الدردشة، وموقع التدوين - قد وفر إمكانيات جديدة واعدة للباحثين اجتماعيين. وتدرج هذه الفرص في أربع فئات هي:

1 - يمكنك الآن كباحث اجتماعي أن تصل إلى مجال من المعلومات أوسع بكثير مما كان قبل ذلك. ويشتمل هذا المجال على: الكتب، والمجلات العلمية، والتقارير البحثية، والصحف، والإحصائيات، وما أشبه ذلك. كما يتاح لك هذا المجال الوصول إلى المعلومات المتعلقة بموضوع بحثك، والتي يمكنك أن تستمدّها من بعض الواقع التي منها - مثلاً - موقع المؤسسات على الشبكة، وجماعات المناقشة للمساعدة الذاتية، والواقع التي تقدم المشورة لجماعات معينة من الأفراد، أو لأفراد يعيشون خبرة مشتركة، كخبرة الشيخوخة مثلاً، أو خبرة الوالدية، أو خبرة الإصابة بمرض معين. تستطيع هذه الواقع أن تساعدك في تطوير ما تجمعه بهدف استعراض التراث العلمي النشور عن موضوعك، وفي التفكير في أسئلة بحثك والقضايا المرتبطة بها. وقد تناولنا هذا الاستخدام للإنترنت في فصل (2) باب (2) وفصل (9) من هذا الباب.

2 - قد تحتاج لدراسة بيئه الإنترت نفسها : كيف «يتكلم» الأفراد مع بعضهم البعض في البيئة الافتراضية لغرفة دردشة أو للمقهى الإلكتروني؟ وما أنواع القضايا التي تثار في الرسائل الإلكترونية أو في جماعات المناقشة التي تلقى على الشبكة، وكيف يناقش الأفراد هذه القضايا؟ وما نوع البيئة الافتراضية التي ينشئها مستخدمو الإنترت؟ وكيف يقدمون أنفسهم في بيئه يندر أن يوجد فيها لقاء مباشر وجهاً لوجه؟

البحث الواقعى

دراسة طريقة استخدام الأفراد للإنترنت

دراسة هيلير وهاريسون (Harrison 2007) بعنوان : «بناء الشباب لواقع أخف قيودا من راقعهم الذي يعيشونه: الشباب يمارسون عرض مفاتنهم على أمثالهم في الجنس على الإنترنت» ، منشور في: مجلة السلوك الجنسي ، العدد (10) ، ص ص 82-100.

تناول بحث هيلير وهاريسون بالدراسة طريقة استخدام الشباب للإنترنت «كفضاء» يمارسون فيه جوانب مختلفة من حيواناتهم الاجتماعية والجنسية.

3 - تمارس الإنترت وغيرها من التكنولوجيا الجديدة تأثيراً كبيراً على الطريقة التي نحيا بها معاً، وتنقاض وتنظم عالمنا الاجتماعي . وهو أمر يمثل - في حد ذاته - موضوعاً للبحث . شاهد ذلك أن برنامج الجمعية الإلكترونية التابعة لمجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (فى بريطانيا) هو برنامج كبير للبحوث الأكademie (مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية = ESRC ، 2007)، يقوم بدراسة تأثير التكنولوجيات الرقمية - خاصة الإنترت - بقصد تعريف صناع السياسات وممارسى المسئولية العامة فى مختلف قطاعات المجتمع . وقد انتهى هذا المشروع فى أكتوبر 2007 ، ولكن موقعه على الشبكة لا يزال موجوداً، كما تجد وصلات للمشروعات التى نفذها البرنامج على الموقع التالى:
www.york.ac.uk/res/e-society/projects.htm

(تاریخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009).

كما يهيئ الإنترت الفرص لاستخدام بعض طرق جمع البيانات ، كالاستبيانات الإلكترونية ، أو المقابلات عبر البريد الإلكتروني ، أو جماعات المناقشة الافتراضية.

فکر فی هذا الموضوع . . .

الإنترنت والبحث الاجتماعي

هناك أربع طرق رئيسية لاستخدام الإنترت في البحث:

- 1 - الوصول إلى المصادر «الترااث المنصور عن الموضوع» (فصل 2 باب 2).
- 2 - دراسة الإنترت نفسها والبيانات التي تنشئها .
- 3 - دراسة تأثير الإنترت على المجتمع.
- 4 - جمع البيانات : الاتصال عبر الحاسب .

سوف يركز هذا الفصل - في المقام الأول - على الفقرة رقم (4) في البرواز السابق، وهي: استخدام الاتصال عبر الحاسب (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب)، واستخدام أدوات الاتصال عبر الإنترنت في جمع بيانات البحث الاجتماعي. وتشتمل هذه الفقرة، بطبيعة الأمر، على جمع البيانات بقصد مساعدتنا على استكشاف المسائل التي أثرناها في الفقرتين رقم (2) ورقم (3) في البرواز السابق.

ما : البحث الاجتماعي الإلكتروني؟

البحث الاجتماعي الإلكتروني هو جمع البيانات بواسطة الحاسوب، كما يقوم - بالطبع - بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات، والتي منها مثلاً: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة . . . إلخ، بحيث تكون صالحة للاستخدام في بيئة افتراضية إلكترونية.

ولكن لاحظ أن استخدام الاتصال بواسطة الحاسوب في جمع البيانات ليس بالضرورة أفضل طريقة لاكتشاف الكيفية التي يستخدم بها الأفراد الإنترنت. فالمقابلات المباشرة التي تتم بين الباحث والمبحوث وجهاً لوجه، أو جماعات المناقشة يمكن أن تقدم بالفعل ولو في أقل تقدير - إسهاماً مفيدة في دراسة سلوك التعامل على الإنترنت. وإذا كانا نبحث طرق جمع البيانات التي تستخدم الإنترنت فسوف يتبعين علينا أيضاً أن ندخل في اعتبارنا الدراسات التي أجريت على طريقة استخدام الأفراد للإنترنت، وطريقة تصرفهم أثناء ذلك. لهذا سنقوم هنا - في المقام الأول - بدراسة استخدام الأدوات المعتمدة على الحاسب في جمع البيانات، والتي سمعكنا من دراسة السلوكيات والإدراكات الحسية البشرية بوجه عام.

بحث

كلمة تحذير

من مشكلات كتابة فصل مثل هذا الفصل أن تكون لو جيا المعلومات، والحواسب الآلية، وغيرها من وسائل الاتصال (كالهواتف المحمولة) تتغير باستمرار. كما يجرى طول الوقت العمل على إدخال خدمات جديدة وطرق جديدة للمرة الأولى لخدمة مهام الاتصال. ويعنى هذا أن كثيراً مما يكتب الآن قد يبدو عقيقاً إلى حد ما في الوقت الذي تقرؤه فيه. ولذلك ستقتصر مهمنا في هذا الفصل على محاولة تسلیط الضوء على ما هو متاح الآن من الطرق الأساسية في جمع البيانات باستخدام الإنترنت، وعلى القضايا التي عليك أن تدخلها في اعتبارك عندما تقوم بتقرير ما إذا

كنت ستستعمل طريقة معينة، كما نقدم لك بعض نقاط الانطلاق التي تبدأ بها بحثك. والأمر الواضح في نظرنا - حال كتابة هذا الفصل - أنه من المرجح أن يواصل الاتصال بواسطة الحاسوب نموه وقوته، وأن الباحثين الاجتماعيين سوف يتزايد اهتمامهم باستخدام ما يوفره هذا الاتصال الحاسوبي من أدوات لجمع البيانات.

علينا قبل النظر في الطرق المختلفة لجمع البيانات، أن نلقى نظرة إلى بعض ما تميز به الإنترن特 من سمات تؤهلها لأن تكون مفيدة للباحثين الاجتماعيين.

الاتصال بواسطة الحاسوب الآلي

البريد الإلكتروني

أصبح الاتصال بين فرددين أو أكثر عبر البريد الإلكتروني واحداً من الأساليب الأثيرية لبقاء الأفراد على اتصال ببعضهم البعض. وهذا الاتصال - في جوهره - نمط اتصالي قائم على نصوص مكتوبة يبعث الرسائل فوريًا (أو يكاد يكون كذلك) من حاسب لحاسب آخر. هنا لا تشكل المسافة قضية ذات شأن، كما أن الرسالة سيتم تلقيها على الجانب الآخر من العالم بنفس سرعة تلقي رسالة من الغرفة المجاورة. وحيثما تتعين على المتقى فتح هذه الرسالة وقراءتها قبل الإجابة عليها، أو إرسالها للأخرين. ذلك لأن بالإمكان إرسال رسالة واحدة من البريد الإلكتروني إلى عدد من المتقين في نفس الوقت.

ومن الممكن إرفاق رسالة البريد الإلكتروني نفسها ببعض الملفات التي يتم توليدها من جهاز الحاسوب. وقد تكون هذه الملفات وثائق نصية (أي مكتوبة)، وصوراً فوتографية، ولقطات تلفزيونية، وبرامج حسابات^(*)، وما أشبه ذلك. كما أن رسالة البريد الإلكتروني قد تحتوى على وصلات إضافية كثيرة بمواقع الشبكة أو ببعض عناوين البريد الإلكتروني الأخرى.

ويتعين على كل من يستخدم البريد الإلكتروني أن يكون لديه عنوان بريدي إلكتروني، وهو العنوان الذي تزوده به الجهة التي توفر خدمات الإنترن特^(**). كما يلزم أن يعرف العنوان البريدي الإلكتروني للشخص الذي يتراسل معه إلكترونياً. ولا يوجد في وقتنا الحاضر قواعد بيانات قومية أو دولية تحتوى على جميع عناوين البريد الإلكتروني. ومع ذلك، فإن معظم المؤسسات الكبيرة - كالجامعات - تنشئ دليلاً خاصاً ببريداتها الإلكتروني.

^(*) برامج الحسابات Spreadsheets : هي برامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة. (المترجم)

^(**) ISP – Internet Service Provider.

جماعات المناقشة على البريد الإلكتروني - القوائم

توفر جماعة المناقشة التي تستخدم البريد الإلكتروني فرصة «الدردشة» للأفراد ذوى الاهتمام المشترك معتمدين فى ذلك على إمكانيات البريد الإلكتروني العادية. فقد يكونون مشتغلين بالبحث فى نفس المجال ، أو يكونون مهتمين بنفس الهواية أو يشجعون نفس الفرقة الموسيقية . يشارك كل شخص فى قائمة البريد الإلكتروني هذه (وعادة ما يكون هذا الاشتراك مجانيا) ، وعن طريقها يتلقى جميع الرسائل البريدية التى يبعث بها أعضاء هذه الجماعة . وفي بعض الأحيان تقوم هذه الجماعات عادة بطرح قضية معينة للمناقشة ، كما نجد في أحيان أخرى أن نشاطها ينصب بالأساس على تبادل المعلومات . ويكون أحد أفراد الجماعة مسئولا عن مراقبة الرسائل البريدية الإلكترونية ، وقد يستطيع - أو لا يستطيع - إيقاف بث وتوزيع رسائل البريد الإلكتروني التى تعتبر غير مناسبة أو مزعجة ، وذلك تبعا للطريقة التى أعدت بها قائمة الجماعة هذه .

ويمكن بسهولة بالغة إعداد قائمة بريد إلكترونى تضم مجموعة من الأفراد عن طريق إضافة عناوينهم كلها إلى كل عنوان من عناوين أعضاء الجماعة الموجودين فى قائمة البريد الإلكتروني . ومع هذا ، فإنه عندما تتسنم هذه القائمة بالتنوع ، وتكون الجماعة متطلعه لضم أعضاء جدد إليها ، فقد تعتمد على جهاز خادم Server يستعمل برنامجا مثل برنامج «ليست سيرف» LISTSERV لإعداد هذه القوائم . فى هذه الحالة قد يتم ضم بعض الأعضاء الجديد عن طريق رسائل البريد الإلكتروني الموجهة إليهم ، أو من خلال الإعلان على أحد مواقع الشبكة . إن كنت ترغب فى المزيد من المعلومات المفصلة ، فجرب الدخول على موقع الشبكة www.lsoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm . LISTSERV

(وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009)

من الأمور المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن «النقاش» بين الأفراد الذين يستخدمون طريقة جماعة المناقشة على البريد الإلكتروني يعتبر «اتصالا غير متزامن أو لا متزامن» (انظر قائمة المصطلحات) . وهذا التعبير معناه أن أعضاء هذه الجماعة الذين يشاركون فى النقاش لا يكونون بالضرورة جالسين جمیعا إلى حواسيبهم الآلية فى نفس الوقت . فقد يجيب العضو على إحدى رسائل البريد الإلكتروني أو ينضم إلى المناقشة فى أى وقت .

جماعات المناقشة على موقع الشبكة

تنقسم هذه الجماعات إلى فئتين متميزتين . أولا : هناك جماعات مناقشة على الشبكة (تسمى أحيانا «منتديات») تشبه جماعات المناقشة على البريد الإلكتروني ، إلا أن

مناقشاتها تدور على أحد مواقع الإنترن特 على الشبكة. وقد يعني هذا أنها تكون متاحة لأن يطلع عليها المشاركون بدون الحاجة إلى تسجيل عنوان لبريد إلكتروني. ومع ذلك فإن الكثير من مواقع الشبكة تطلب - بالفعل - من المشاركون المحتملين أن يسجلوا عناوين بريدهم الإلكتروني قبل السماح لهم «بإرسال» الرسائل. لاحظ أن هذه الجلسات النقاشية تكون جلسات لا متناظمة أيضاً. وأحياناً ما يتم تنظيم هذه المناقشات تحت موضوعات مختلفة، وغالباً ما يختار هذه الموضوعات التنظيم المشرف على موقع الشبكة. وقد يتتيح ذلك للمشاركون أن يساهموا في المناقشات التي تهمهم بشكل خاص، أو يتيح لهم أن يحددو بأنفسهم مسار المناقشة الذي يريدونه.

إلى جانب ذلك توجد «غرف الدردشة» (انظر قائمة المصطلحات). وهي عبارة عن مناقشات تجرى في ذات الوقت، أو قل هي حوار أو اتصال متزامن (انظر قائمة المصطلحات). وفيها يستطيع المشاركون «الدردشة» من خلال الرسائل النصية التي يراها جميع أعضاء الجماعة الآخرون المشاركون في ذات الوقت، وذلك بمجرد أن تكتب هذه الرسائل (وأحياناً ما يراها المشاركون أثناء كتابتها). أما الرد على الرسالة فيمكن أن يكون فورياً، وقد يأتي من أكثر من عضو واحد من أعضاء الجماعة. من السهولة البالغة أن تتشكل غرفة الدردشة الخاصة بك. ويكتفى أن تقوم ببحث سريع على الإنترنط لكى تجد عدداً من الواقع التى تتيح لك إنشاء مثل هذه الغرفة، كما أن بوسنك أن تقصر غرفة الدردشة التي تتشكل على من تدعوه إلى المشاركة عن طريق البريد الإلكتروني. كما أن بعض الجهات التي توفر خدمات الإنترنط توفر إمكانية التراسل الفوري (مثل موقع MSN Yahoo) وإمكانية عقد المؤتمرات التي يمكن فيها لعدد من الأفراد أن «يدرسوا» مع بعضهم إلكترونياً.

وهذا الوضع أخذ في الاتساع والتعاظم مع تزايد استعمال كاميرات الشبكة والتوصيلات الصوتية بين الحواسيب الشخصية. والأرجح أن يستطيع الباحثون الاجتماعيون في المستقبل الانتفاع بشكل متزايد بهذه الإمكانيات (ومع أن عقد المؤتمرات عن طريق الاتصال التليفوني ظل، بطبيعة الحال، ممكناً لسنوات كثيرة، فإن عقد المؤتمرات الإلكترونية على الشبكة أصبح في أيامنا هذه ميسوراً لمزيد من الأفراد). هذا ويمكن تحميل برامجيات عقد المؤتمرات، كما تتوفر منها حالياً حزم مجانية تتيح لك القيام بإعداد وتنظيم المؤتمرات التي تريده تنظيمها. ونؤكّد مرة أخرى أن قيامك ببحث سريع على الإنترنط سيعرفك على عدد من الواقع التي توفر هذه الخدمات (وبعضها مجاني)، على الرغم من أن هذه الخدمات موجودة أساساً إلى مؤسسات قطاع الأعمال أكثر مما هي موجهة إلى الباحث الاجتماعي الفرد.

The screenshot shows a web browser displaying the 'The Higher Education Academy' forum. The page title is 'The Higher Education Academy'. At the top right, it says 'Logged In as: Guest'. Below the title, there's a navigation bar with links like 'Home', 'About', 'Events', 'Resources', 'Data', 'Help', and 'Logout'. The main content area shows several forum threads:

- Issue 5**: Discusses articles in Issue 5 of the Academy's Exchange magazine, which focuses on Internationalisation. It has 3 posts, 7 replies, and was last updated at 12:38 PM on 21/12/2009.
- Issue 6**: Discusses articles in Issue 6 of the Academy's Exchange magazine, which focuses on Lifelong Learning. It has 3 posts, 1 reply, and was last updated at 12:12 PM on 21/12/2009.
- Issue 7**: Discusses articles in Issue 7 of the Academy's Exchange magazine, which focuses on Excellence. It has 3 posts, 1 reply, and was last updated at 12:12 PM on 21/12/2009.
- [Special Interest Group in Assessment]**: A forum for discussion about assessment. It has 1 post, 1 reply, and was last updated at 12:12 PM on 21/12/2009.
- [Annual Conference Online Forum]**: A forum for the Annual Conference online. It has 6 posts, 17 replies, and was last updated at 12:12 PM on 21/12/2009.
- Supporting Teaching & Learning**: A forum for teaching and learning support. It has 2 posts, 4 replies, and was last updated at 12:12 PM on 21/12/2009.
- [Centres for Excellence in Teaching & Learning]**: A forum for centers of excellence. It has 0 posts and 0 replies.

شكل رقم (10-1): منتدى جماعات المناقشة على موقع الشبكة - أكاديمية التعليم العالي.

المصدر : أكاديمية التعليم العالي / www2.heacademy.ac.uk/forum

تم التصريح بالنشر

اليوميات، والمدونات، وموقع الشبكة

هناك مجموعات ضخمة من المادة منشورة على الإنترن特، ابتداء من يوميات أفراد عاشوا في الماضي والتي كانت محفوظة في شتى الأرشيفات وانتهاء بالمدونات وهي مفكرة يومية أو تعلقيات معاصرة يقوم السياسيون، والمشاهير، والأفراد العاديون بنشرها على الشبكة بصفة يومية. والمادة المنشورة بهذه الطريقة متاحة بسهولة لأى مستخدم للإنترنرت، كما أن بعضها قد يكون مرتبطاً ببعض جماعات المناقشة، أو يتوافق لها الفرصة للتواصل بين كتابها وقرائها. مثل ذلك أن لكثير من أعضاء البرلمان (البريطاني) مدونات (من فيهم رئيس الوزراء)(*) . كما أن أعضاء البرلمان من حزب المحافظين يساهمون في المدونة المسماة «المدونة الزرقاء لحزب المحافظين».

(*) ورد في الأصل اسم رئيس الوزراء وقتها : جوردون براون باسم موقعه (وتاريخ آخر دخول عليه المترجم) (<http://gordon-brown.blogspot.com>) (٢٠٠٩/٨/٢١)

(تاریخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009)

البحث الواقعي

استعمال الإنترنط

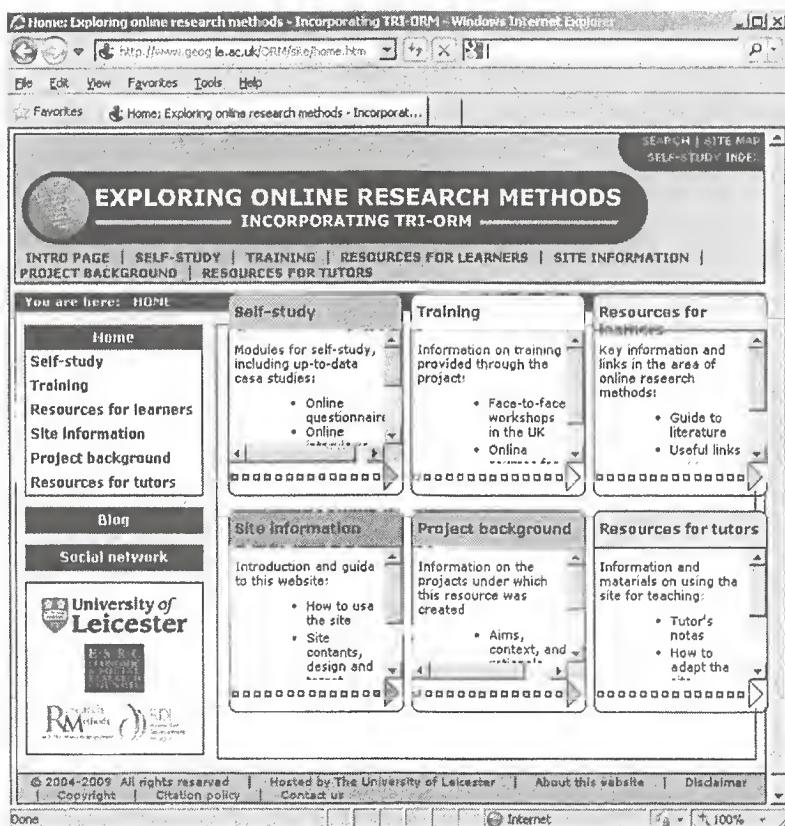
في أوائل سنة 2007 قدر أن نسبة 62% من سكان المملكة المتحدة كانوا يستعملون الإنترنط (انظر موقع www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu)

(آخر دخول عليه بتاريخ 14/8/2009) ثم ارتفعت هذه النسبة بما يقارب 218 % خلال الفترة من سنة 2000 حتى سنة 2008.

استخدام الحاسوب في جمع البيانات

هناك من الشواهد ما يدل على استخدام الباحثين الاجتماعيين للحواسيب الآلية في جمع البيانات ابتداء من أوائل تسعينيات القرن العشرين فصاعدا (فريكر Fricker وشونلاو Schonlau، 2002، مان Mann وستورات Stewart، 2000). وكان كل واحد من أولئك الباحثين يستخدم التقنيات والتكنولوجيا المتاحة آنذاك والمتوفقة مع سياق البحث. ونظراً لزيادة أعداد الباحثين الذين اكتسبوا تلك الخبرة وتقاسمواها فيما بينهم، فقد قام بعضهم بإجراء البحوث التي تعلي من شأن طرق جمع البيانات هذه ومن إمكانيات الانتفاع بها في مختلف سياقات البحث الاجتماعي وفي ظل مختلف النماذج الفكرية (انظر على سبيل المثال: فريker وشونلاو، 2002، وروستر Roster وأخرين، 2004، وستورات وويليامز، 2005). وكما هو الحال في المجالات الأخرى للبحث الاجتماعي، فإن المؤسسات التي تقوم بدراسات السوق قد لعبت دوراً حاسماً في تطوير طرق استخدام الإنترنط في جمع البيانات، إلا أنه توجد الآن أعداد متزايدة من الدراسات الأكاديمية التي نفذت باستخدام التقنيات الإلكترونية لجمع البيانات.

في سنة 2004 رعى «مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية» مشروعه للتدريب على البحث عنوانه «استكشاف طرق البحث الإلكترونية في بيئة تدريب افتراضية». اشتمل المشروع على تصميم مجموعة من الدروس الخصوصية الإلكترونية لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على استخدام الطرق الإلكترونية في جمع البيانات (انظر موقع www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009).



شكل رقم (10-2): استكشاف طرق البحث على الشبكة

المصدر: قسم الجغرافيا، جامعة لايسستر (www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.html).

وقد أسس مجلس البحث الاقتصادي والاجتماعية مشروعًا آخر هو «المركز الوطني للعلوم الاجتماعية الإلكترونية» (على موقع: www.ncess.ac.uk وكان آخر دخول عليه في 21/8/2009) والذي أنشأ صفحة تفاعلية على الشبكة تورد بالتفصيل نتائج البحث الجاري تنفيذها.

من الواضح أن قدرة الباحث الاجتماعي على استخدام الإمكانيات البحثية التي توفرها الشبكة - والتي أوضحتها فيما سبق - ستعتمد على عدد من الأمور:

- 1 - المعرفة والمهارة الشخصية للباحث في استخدام تكنولوجيا المعلومات.
- 2 - أن يتوفر للباحث جهاز الحاسب والبرمجيات التي تمكنه من تنفيذ البحث ، فضلاً عن الموارد المالية إن كان الأمر يقتضي تحمل تكاليف مالية.

3 - كما ستعتمد قدرة الباحث على ما إذا كان متوفراً لدى المشاركين المحتملين في البحث الإمكانيات التكنولوجية المطلوبة والمهارة المناسبة لاستخدامها أم لا.

وهذا الأمر الثالث هو أكثرها جمِيعاً أهمية. فمع أن الباحث قد يكون قادرًا على تطوير معرفته بـ التكنولوجيا المعلومات ومهاراته الشخصية في استخدامها، وتتوفر له التكنولوجيا الالزامية، فإن المشاركين في البحث لن يستطيعوا المشاركة - وربما يكونون غير راغبين فيها - إن لم تتوفر إمكانية الدخول السهل على البريد الإلكتروني وعلى الإنترنت، ولم تكن لديهم ألمَّةً باستخدام هذه التكنولوجيا. ولا ريب أن هذا الوضع قد يؤدي إلى استبعاد جماعة من الأفراد لها أهميتها بسبب استخدام هذه الطريقة في جمع البيانات. ورغم أن استخدام الإنترنت أخذ في التزايد بسرعة، كما أنه يغطي اليوم قطاعات عريضة ومتعددة من السكان، فإنه ما زال يوجد في مجال استخدام الإنترنت قدر من التباين في صفات الأفراد المتعلقة بالتعليم، والعمر، والنوع، والثروة .. إلخ، الأمر الذي قد يؤدي إلى وجود تحييز ظاهر في عينة المستجيبين. ونظرًا لأن استخدام الحواسب الآلية، وخاصة الإنترنت، آخذ في الانتشار، فالأرجح أن يصبح هذا الوضع أقل إشكالية بالنسبة للباحثين الاجتماعيين.

ولا ريب أن مجرد إمكان استخدام هذه التكنولوجيا لا يعني أن هذا الاستخدام سيكون أكثر الطرق ملائمة لجمع البيانات.

لماذا نختار الاتصال عبر الحاسوب في جمع البيانات؟

إذن فما عساها أن تكون بعض الأسباب التي تدعو لاختيار الاتصال عبر الحاسوب في جمع البيانات؟

1 - لأنه رخيص التكلفة. فمعظم الخدمات التي سلفت الإشارة إليها مجانية، أو أن الباحث قد يستطيع - على الأقل - الحصول عليها مجانًا، لأنه - مثلاً - قد سبق له أن دفع ثمن توصيله الإنترنت فائقة السرعة (البرودباند)، أو أنه يستطيع استخدامها مجانًا بصفته طالبًا في إحدى الجامعات، أو لأنه يعمل في مكان معين يوفر له ذلك. وليس مطلوباً أن يكتب الاستبيان المرسل بالبريد الإلكتروني في صورة مطبوعة على الورق، أو يرسل عبر البريد (العادى)، أو ينشر. كما أنه لا يتوجب على الباحث أن يتوجه في مختلف أحياط المدينة ليجري عشرين مقابلة يلتقي فيها بالمشاركين وجهاً لوجه. ويستطيع المشاركون في جماعة مناقشة افتراضية أن يشاركون فيها من بيئتهم بدون الحاجة إلى استخدام وسائل الواصلات، أو تدبير من يقوم برعاية أطفالهم، وبدون أن يتكلف الباحث مصاريف الوجبات الخفيفة أو المشروبات التي تقدم للمشاركين. ولكن لاحظ أنه قد توجد بعض التكاليف التي

- يتحملها المشارك في البحث والذي لا يتوافر له وصول سهل لحاسِب آلي ، وربما يتبعين عليه الانتقال إلى مكتبة عامة أو دفع تكاليف الخدمة بأحد مقاهي الانترنت .
- 2 - يمكن دعوة المشاركين - المنتشرين على نطاق جغرافي واسع - إلى المشاركة من مختلف أنحاء الوطن أو من أي مكان حول العالم مادام يتوافر لهم إمكانية الوصول إلى هذه التكنولوجيا . ويمكن لهذا الوضع أن يفتح الباب أمام إجراء الدراسات المقارنة ، التي تشمل على استعمال عينات أكبر عدداً ، وعلى جمع البيانات على امتداد فترة من الزمن ، أو على عدة مراحل .
- 3 - قد يكون الاتصال عبر الحاسوب ملائماً بصفة خاصة عند القيام بدراسة جماعات معينة من الناس . نذكر منها على سبيل المثال :
- (أ) الأفراد الذين يعجزون عن مقابلة الباحث أو مقابلة غيرهم من المشاركين بسبب من الأسباب . فقد يكون المانع لدى بعض الأفراد هو شدة الاشتغال فحسب . وبالنسبة لأمثال تلك الجماعات قد تكون الفرصة المحددة الوقت للمشاركة من بيوبتهم أو من مكان عملهم (في المقابلات الافتراضية مثلاً) بمثابة حافز يشجعهم على المشاركة .

البحث الواقعى

دراسة الأفراد غير القادرين على المشاركة بأشخاصهم

بحث بوكر Bowker و توفن (2004) *Tuffin* بعنوان: «استخدام الوسيط الإلكتروني (الإنترنت) في تحليل الخطاب المتعلق بالأفراد ذوي العجز البدني» ، منشور في: «مجلة الحاسوب في العلوم الاجتماعية» ، العدد (22) ص ص 241-228 . قام بوكر وتوفن بدراسة الخبرات الإلكترونية لأفراد ذوى عجز بدنى باستخدام المقابلات عبر الإنترت .

بحث أوكونور O'Connor ومادج (2001) *Madge* بعنوان: «أمهات الفضاء الإلكتروني : مقابلات إلكترونية متزامنة باستخدام برامح عقد المؤتمرات» ، منشور في مجلة: «البحث الاجتماعي على الشبكة» ، العدد (5) .

قام أوكونور ومادج بجمع البيانات من الأمهات الواضعات باستخدام طريقة جماعة المناقشة عبر الإنترت .

(ب) من الأرجح أن تتقبل بعض الجماعات مناقشة موضوعات حساسة أو أقل قبولاً لدى المجتمع باستخدام الاتصال عبر الحاسوب وليس بطريقة المقابلة وجهاً

لوحة ، وذلك نظراً لما يوفره التفاعل عبر الإنترن트 من الحفاظ على إخفاء هوية أفراد هذه الجماعات .

(ج) قد يتضليل - أو يستحيل - احتمال أن تستجيب بعض الجماعات لباحث له سمات مرئية معينة كذلك المتعلقة بالفئة العمرية ، أو فئة النوع ، أو الانتماء الإثني . أما على الإنترنست ، فلا تظهر هذه السمات بوضوح . كما أنه قد يكون بإمكانك أن تخفي هويتك ، رغم أن هذا التصرف يتسبب فعلاً في إثارة بعض القضايا الأخلاقية (فصل 5 باب 1) . إن جمع البيانات عبر الإنترنست يوفر - بالفعل - إمكانية تقليل الأثر الذي يحدثه الباحث على الإجابات التي يحصل عليها .

4 - قد يكون استخدام الحاسب طريقة مفيدة ينتفع بها عندما يأتي مشاركون محتملون من مجتمع بحث خفي أو غير متظاهر (انظر قائمة المصطلحات) ، أعني بذلك: الجماعات التي يتغدر تحديد هويات أفرادها ، كتجار المخدرات مثلاً .

البحث الواقعى

اكتشاف مجتمعات البحث الخفية

بحث كومبر (Coomber 1997) بعنوان: «استخدام الإنترنست في البحوث المسحية» ، منشور في مجلة «البحوث السوسيولوجية عبر الإنترنست» ، العدد (2) . استهدفت دراسة كومبر تجار العقاقير المحظورة الذين يجلبونها عبر الحدود الدولية . دراسة سكوت (Scott 2004) بعنوان : «دراسة الخجل: هل هو تضارب في المصطلحات؟» ، منشور في : «مجلة البحث الكيفية» ، العدد (4) ص ص 91 ، 105 . استخدمت دراسة سكوت طريقة المقابلة المباشرة وطريقة الاتصال عبر الحاسب في التحدث إلى الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم خجولين .

يعد الإنترنست بمثابة مصدر للمجتمعات الأفتراضية (انظر قائمة المصطلحات) وبين لها: وهي جمادات من الأفراد الذين يلتقيون بغيرهم من لهم نفس الخبرات أو السمات الشخصية بصورة افتراضية على الشبكة وليس وجهاً لوجه . فإن كنت تقوم بدراسة جمادات من ذلك النوع ، فإن الإنترنست قد تكون هي أنسنة مكان للعثور على مشاركيين في بحثك ، كما أنها ربما تكون أيضاً المكان المناسب لجمع بياناتك .

5 - إن كان بحثك يدور حول الإنترنست نفسها: كيف يستخدم الأفراد الإنترنست ، وكيف تقوم جمادات معينة بمناقشة القضايا في غرف الدردشة . . . إلخ ، فربما يتعين عليك أن تجمع بعض بياناتك - على الأقل - عبر الشبكة .

6 - يمكن لهذه البيانات أن تكون في صورة نص مكتوب . وهذا معناه أنه لا يلزم نسخ المقابلة ، أو أن الاستبيان يمكن تحميله مباشرة في حزمة إحصائية ، أو في برنامج حسابات كومبيوترى^(*) ، أو في قاعدة بيانات بغرض التحليل دون الحاجة إلى نسخ هذه البيانات من الاستبيان (وهذا النسخ مصدر محتمل لوقوع الباحث في الخطأ) . سوف ندخل في اعتبارنا أربع طرق لجمع البيانات إلكترونيا ، تعتمد كل طريقة منها على الإمكانيات المتاحة حالياً لمعظم مستخدمي الحاسوب الآلية . أما بالنسبة لطرق البحث المباشرة (انظر قائمة المصطلحات) ، فإن دور الباحث في جمع البيانات يختلف ، وذلك على الرغم من أنه سيكون من النادر أن يلتقي بالباحثين لقاء مباشرا . كما أن البيانات التي يتم جمعها قد تكون بيانات مقتنة ، أو شبه مقتنة ، أو غير مقتنة .

بحثك

ملحوظة مهمة

نفترض هنا أن معظم الطلاب سيكونون على دراية بالإجراءات والحزم القياسية للحاسب ، ولكننا لا نتوقع أن يكون الطلبة مبرمجين (مصممي برامج) مهرة ومتربسين ، أو قادرين على تصميم موقع على الشبكة . فإن كنت تتمتع بهذه المهارات ، فمن المحتمل أنك ستكون قادرًا على استخدام طرق جمع البيانات هذه بصورة أسهل وعلى نحو أكثر فعالية . أما إذا لم تكن بمثيل هذه المهارة ، فإننا نرى مع ذلك ، أنه بإمكان الطالب ذي الدرأية المتوسطة باستخدام الحاسب الآلي ، والبريد الإلكتروني ، والإنترنت أن يستفيد من الطرق المذكورة في جمع البيانات . وبالنسبة لمن يهتمون بالجوانب الأكثر دقة وتخصصا ، في مجال تصميم المسح الذي ينفذ على الشبكة مثلا ، فهناك بعض المراجع التي تشير إلى مصادر لتقديم المشورة في هذا المجال ، وقد أوردناها في فقرة المراجع وقراءات للاستزادة في نهاية هذا الفصل .

الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسوب

يمكن لاستبيانات المسح الاجتماعي أن توزع وتسوفى إلكترونيا (على الشبكة) بسهولة بالغة ، وذلك بثلاث طرق على الأقل :

1 - إن كانت لديك عناوين البريد الإلكتروني للأفراد الذين ترغب في إدراجهم في عينة بحثك ، فيإمكانك أن تقتصر فحسب على إرسال الاستبيان بالإيميل محتواها على

(*) Spreadsheet وهو برنامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة . (المترجم)

الأستلة مكتوبة في صلب رسالة البريد الإلكتروني هذه. حينئذ يستطيع المستجيب أن يدق الزر الخاص بالإجابة على لوحة مفاتيح الحاسب، ويضيف إجاباته على تلك الأسئلة، ثم يعيد الرسالة إلىك.

ولكن يعيّب هذه الطريقة بعض نواحي القصور. فالبريد الإلكتروني حالياً ليس له نفس أدوات التحرير والتنسيق الشكلي التي تتميز بها برامج معالجة الكلمات مثلًا. وهذا يعني أنك لا تستطيع تقديم الاستبيان بنفس درجة الوضوح والجاذبية التي يتتصف بها الاستبيان الذي تقدمه برمجية أخرى. وعلى العموم يتوقع الأفراد أن تكون رسائل البريد الإلكتروني مختصرة تماماً، مع إمكان رؤية محتواها كله داخل شاشة واحدة. ذلك لأن هذه الرسائل الإلكترونية قد يعرض عنها المشاركون بسبب ظهرها الخارجي وطولها الواضح.

2 - من البديل الآخر للطريقة السابقة: أن تبعث إلى مستجيبك المحتمل برسالة بريد إلكتروني ترفق بها استبياناً. وإليك الطريقة التي يعمل بها هذا البديل:

(أ) تقوم بتصميم استبيانك الإلكتروني (انظر قائمة المصطلحات) مستعملاً ببرنامج معالجة كلمات به صناديق (أو براويز) لكتابته بداخلها وجداول وبرنامج لتصميم «النموذج»، وذلك مثل برنامج «مايكروسوفت ورد» (وبهذا البرنامج إمكانيات لإنشاء النماذج باستعمال حزم «فورمز» Forms (أي النماذج) وأسمها التجاري Word 2003) أو حزمة «المطور» Developer والمسمى تجارياً (Word 2007) والتي يمكن للمستجيبين أن يلمؤها - حينئذ - إلكترونياً (فصل 2).

(ب) تقوم بتحزين أو حفظ النموذج وتبعثه بالبريد الإلكتروني كخطاب مرفق إلى مستجيبك المحتمل.

(ج) يقوم المستجيبون بفتح هذا الخطاب المرفق ويجيبون على الأسئلة.

(د) يقوم المستجيبون بحفظ استبياناتهم المستوفاة مستعملين اسم ملف مختلف تكون قد أعطيته لهم من قبل (أو قد يقumenون - إن رغبوا في ذلك - بطبع الاستبيان من على الحاسب وإعادته إليك بالبريد العادي).

(هـ) يقومون بالإجابة على رسالتك الإلكترونية ويرفقون بها الملف المحفوظ.

(و) تستطيع حينئذ أن تفتح الخطاب المرفق وتسجل إجاباتهم، أو تنقل هذه البيانات مباشرة باستعمال برنامج ما، فتضعها في برنامج حسابات كومبيوترى أو في قاعدة بيانات.

ولهذه الطريقة مزاياها وعيوبها. فبإمكانك أن تقدم استبياناً إلكترونياً أكثر جاذبية وأيسر استيفاء باستعمالك الإمكانات الكاملة للبرنامج الذي تستخدمه. ويمكن لهذا البرنامج أن يحتوى على إمكانيات، مثل صناديق الكتابة (انظر قائمة المصطلحات) التي يمكن لمستجيبك أن يكتب فيها إجاباته. كما يمكن أن تستخدم صناديق الإجابة (انظر قائمة

المصطلحات). ويمكنك أيضاً أن تستوفى قوائم الإجابات المحتملة (انظر قائمة المصطلحات) (فصل 2). وحسب مهارتك يمكنك بهذه الطريقة أن تصمم استبياناً جذاباً وسهلاً الاستيفاء.

ولكن هل تستطيع أن تفترض أن مستجيبيك على دراية كافية بهذه البرامج الكومبيوترية وبفارق الوثائق بالرسائل الإلكترونية؟ كما أن بعض المستجيبين قد يكونون غير راغبين أو غير قادرين على قبول رسائل البريد الإلكتروني ذات الخطابات المرفقة لأنهم يخافون من فيروسات الحاسوب التي تنتشر كثيراً بهذه الطريقة. وقد يساعد على مواجهة هذه المشكلة أن تبعث للمستجيبين برسالة إلكترونية تمهيدية تعلمهم فيها بأن رسالة إلكترونية بها رسالة مرفقة سوف تصل إليهم، وأن تزودهم في سياقها بتعليمات واضحة عن استيفاء الاستبيان وإعادته إليك.

3 - واستطراداً في هذا الاتجاه نقول: إن كان لديك هذه المهارات واستطعت أن توفر لنفسك هذه الموارد، فإنك تستطيع أن تصمم استبياناً إلكترونياً على أحد مواقع الشبكة. وقد يكون هذا الموقع موقعاً شخصياً، أو موقعاً تابعاً لإحدى المؤسسات، أو قد يكون موقعاً يستعمله مجتمع البحث الذي تستهدفه (بتصرير من مدير الشبكة). فمن الممكن تصميم استبيان على الشبكة باستعمال برمجية قياسية لمعالجة الكلمات. وإذا كنت على دراية كافية بالتقنيات التي منها تقنيات «الماكرو» macro (التي يمثل فيها أمر كومبيترى واحد سلسلة من العمليات) فستكون قادراً على تصميم نموذج يتضمن عمل مراجعات على البيانات أثناء إدخالها، كما يحدث مثلاً عندما يدخل المستجيب تاريخ ميلاد لا يتطابق مع عمره، فيقوم البرنامج بلفت نظر الباحث إلى هذا الخطأ. أو أن يشتمل تصميم نموذجك على «تنبيهات» reminders تلفت انتباه الباحث في حالة عدم إجابة المشارك على بعض الأسئلة. ويمكن تقديم الأسئلة للمستجيبين واحداً واحداً، كما أن بإمكان الباحث أن يفرز الأسئلة التي يراد تسريبيها لجماعات معينة من المستجيبين وينحيها جانباً فلا تظهر لغيرهم. فإن لم تكن تتمتع أنت نفسك بهذه المهارات، فلما أن تعلم أن هناك عدداً من مواقع الشبكة التي يمكن أن تساعدك على إعداد الاستبيان وتزودك بوصلة على الشبكة يمكن أن توجه مستجيبيك إليها. مثل ذلك: اذهب إلى موقع Smart Survey (المسح الذكي) وبيانه كالتالي: www.smart-survey.co.uk (تاريخ آخر دخول 21/8/2009) وأبحث فيه عن عينة من المسح التي يحويها هذا الموقع. ويقوم موقع Survey Monkey (أدوات المسح) وبيانه كالتالي: www.surveymonkey.com (تاريخ آخر دخول 21/8/2009); يقوم بمعظم ما يقوم به الموقع السابق. ويسمح كلاً هذين المصدرين بالاستخدام المجاني (وإن كان في حدود ضيقه) لوجعيهما وبرمجياتهما، كما أن لهما تعليمات معينة بخصوص الاستخدام . ويبين شكل (3-10) جزءاً من مسح التطوع

بين الطلاب الجامعيين . وهو يوضح كيف ينبغي أن يظهر الاستبيان للطالب الذى يجب على الأسئلة .

فإن كنت قادرًا على إدخال هذه الطريقة في الحساب باعتبارها طريقة لجمع البيانات ، فعليك أولاً أن تفك فى كيفية عثور مستجيبك على هذا الاستبيان (بإمكانك أن تبعث إليهم بالبريد الإلكتروني (الإيميل) رسالة تعرفهم بتوصيلة الشبكة أو تحصل على توصيلة من موقع على الشبكة يستعمله مجتمع بحثك المستهدف فتضعها على موقعك على الشبكة ، أو تصر الدخول إلى استبيانك على مستخدمي موقع معين من مواقع الشبكة يكون استبيانك موضوعاً فيه .

ولأن التكنولوجيا تتطور ، وصار هناك المزيد والمزيد من الناس الذين يستخدمون البريد الإلكتروني والإنترنت كوسيلة رئيسية للاتصال ، فمن الأرجح أن يتزايد استخدام الاستبيانات الإلكترونية في مجال البحث الاجتماعي ، كما سيكون ممكناً تقييم فعالية استخدام هذه الوسيلة بهذه الطريقة . وقد أجريت دراسات قليلة العدد تتناول مقارنة المسوح المقيدة بالحاسوب بالاستبيانات التي تنفذ بصورة مباشرة (بحضور الباحث والمشارك وجهاً لوجه) والاستبيانات الهاتفية والاستبيانات البريدية . وإليك بعض نتائج هذه الدراسات :

● قد تختلف طريقة استجابة الأفراد باختلاف وسائل الاتصال المستخدمة في جمع البيانات . مثال ذلك أن فريكر Fricker وجد أن استبيانات المقابلة المباشرة تؤدي على الأرجح إلى الحصول على إجابات مقبولة اجتماعياً بدرجة أكثر من الاستبيانات الإلكترونية التي يستوفيها المشارك بنفسه (فريكر وشونلاو ، 2002) .



فيما يلى بعض الأسئلة عن نشاطك التطوعى الذى قمت به أثناء السنة الدراسية الثانية:

1 - ما اسم المؤسسة التى تطوعت للعمل بها أثناء السنة الدراسية الثانية؟

▲ -----	شغل البرنامج
▼ -----	بهدوء

2 - كيف عرفت بهذه الفرصة للتطوع لخدمة هذه المؤسسة؟

ل) موقع من مواقع الشبكة.

(وكالة تطوع .

(اتحاد الطلاب .

(المعبد

(اتصالاتك الشخصية

(سبق لك العمل بهذه المنظمة

(طرق أخرى (حددها من فضلك)

3 - كيف قمت بالاتصال الأول مع هذه المؤسسة؟

(خطاب

ل) بريد إلكتروني (إيميل)

(هاتف

(نموذج طلب تطوع .

(زيارة للمؤسسة .

(طرق أخرى (حددها من فضلك).

4 - هل كان عليك أن تقوم بأى تدريب قبل أن تبدأ التطوع؟

ل) نعم

(لا

5 - في حالة الإجابة بـ«نعم» على السؤال رقم (4):

ما نوع التدريب الذى تلقيته؟

الصحة والسلامة - العمل مع الأطفال



شكل (10-3): مسح إلكترونى

- قد يرغب بعض المستجيبين في ترك بعض الأسئلة أو عدم استكمال الاستبيان عندما يقومون باستكماله إلكترونياً (روستر وآخرون، 2004).
- قد لا تكون معدلات الإجابة كافية بالقدر المطلوب (روستر وآخرون، 2004).
- كما أنه قد يكون عسيراً - إن لم يكن مستحيلاً - جمع عينة مماثلة (انظر قائمة المصطلحات) (انظر أدناه، وكذلك فصل 5 باب 2).

المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب

المقابلة وسيلة تفاعلية لجمع البيانات للبحث الاجتماعي. ومع أنها قد تتخذ الشكل البسيط للسؤال والإجابة، فإننا نتوقع - في العادة - أن تزود المقابلة الباحث بالفرصة التي تجعله أكثر تدخلاً في المقابلة، كما تجعله يستخدم هذا التفاعل كوسيلة لجمع البيانات. ومن الممكن النظر إلى درجة تقنن المقابلة باعتبارها خطأ متصلًا (فصل 1)، بينما بالاستبيان المباشر المقنن ويستمر حتى ينتهي بال مقابلة غير المقتننة التي فيها يتحكم شريك البحث (الباحث) في عرض البيانات إلى حد بعيد. ورغم أن الباحث لا يكون له وجود حسّي في المقابلات الإلكترونية، فإنه يستطيع - مع ذلك - أن يكون أداة البحث (انظر قائمة المصطلحات) الأساسية، مثلاً عليه الحال في المقابلات المباشرة وجهاً لوجه. كما يستطيع أن يسعى باحثاً عن توليد البيانات عن طريق إيجاد الطرق التي تشجع طرف المقابلة (الباحث) على «الكلام».

إلى أي مدى - إذن - يكون بالإمكان إعادة إنتاج سمات المقابلة المباشرة باستعمال البريد الإلكتروني والإمكانيات الموجودة على الإنترن特؟

هناك على أساس نمطان مختلفان للمقابلة الإلكترونية هما:

- 1 - نمط المقابلة المتزامنة: حيث يقوم الباحث والباحث «بالتحدث معاً» إلى بعضهما في نفس الوقت. وعادة ما يجري هذا النمط من المقابلة داخل غرفة للدردشة أو باستعمال برنامج كميبيوترى للتراسل أو لعقد الاجتماعات الإلكترونية. والمقابلة المتزامنة أقرب شبهاً بالمقابلة المباشرة وجهاً لوجه. كما أن بإمكان الباحث أن يعد لهذه المقابلة بطريقة مشابهة للإعداد للمقابلة المباشرة. ويتم ذلك عن طريق إعداد دليل مقابلة واستخدام الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتح الموضوع.
- 2 - نمط المقابلة غير المتزامنة: حيث لا يشترط بالضرورة أن يكون الباحث والباحث على اتصال ببعضهما في نفس الوقت، كما أن بالإمكان لا يرد أحدهما على الآخر فوراً. ومن المعهود أن يتم تنفيذ هذا النمط من المقابلة باستعمال البريد الإلكتروني أو باستعمال برنامج للمراسلات.

ويمكن القول إن بناء مناقشة تفاعلية إلكترونيا، سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أو غير متزامنة، يعد أمراً حافلا بالتحديات. فبينما توفر المقابلة المتزامنة الفرصة للتبع إجابات المبحوث وتشجيعه على أن «يروى حكايته»، فإن بإمكان المقابلة غير المتزامنة أن تصبح سلسلة من الأسئلة والأجوبة. ولمعالجة هذا العيب قد يكون مفيداً أن تبعث بسؤال أو سؤالين إلى الشخص الذي تجري معه المقابلة مرة واحدة، ثم تجيب مباشرة على رسالته التي بها إجاباته، بدلاً من أن تكتفى بمجرد إرسال السؤال التالي. فهذا التصرف يمكن الباحث الذي يجري المقابلة من تفصيل الأسئلة على المقاس المناسب لأجوبة الشخص المبحوث. كما يمكنه من توليد قدر من النقاش، معطياً بذلك مزيداً من «مذاق» المقابلة شبه المقنة (بامبتون Bampton، وكاوتون Cowton، 2002).

ومن شأن المقابلة غير المتزامنة أن تعطي المستجيبين مزيداً من الوقت للتفكير في إجاباتهم أو في جمع البيانات، وهو أمر ليس سيئاً بالضرورة. فالمستجيبون يسعدهم أن يكونوا غير خاضعين للضغط الذي يفرض عليهم الرد فوراً، مثلما هو الحال في المقابلة المتزامنة المباشرة. ورغم ذلك تثور هنا مشكلة تتمثل في أن المبحوثين قد يحتاجون إلى ما يحثهم على الإجابة، كما أنه لا يكون من الواضح دائمًا سبب عدم إجابة شخص ما على سؤال معين. وقد يكون من المناسب في مثل هذه الحالات إرسال التنبهات أو رسائل التذكير للبقة (التي يبعث بها الباحث إلى المستجيب ويدركه فيها بالأسئلة التي لم يجب عليها)، ولو أنه قد ينظر إليها أيضاً بوصفها أداة ضغط للاستمرار في المقابلة. لذلك ينبغي أن تشتمل المادة التمهيدية التي تقدم للمبحوثين على إشارة لطول الفترة التي يتحمل أن يستغرقها إجراء المقابلة وال المجالات الرئيسية المقرر تغطيتها في النقاش.

ولا ريب أن بإمكان الباحثين أن يجروا عدداً من المقابلات غير المتزامنة عن طريق البريد الإلكتروني في نفس الوقت. كما أن هذا التصرف قد يكون مفيداً، لأن البيانات التي تجمع من إحدى المقابلات يمكن أن توضع داخل أسئلة تطرح في مقابلة أخرى، فتكون بذلك عملية من عمليات الإثراء المتبادل (بامبتون وكاوتون، 2002).

ومن الواضح أن إدارتك لمقابلة ما (سواء أكانت متزامنة أم غير متزامنة) وأنت بعيد عن الطرف الآخر في المقابلة خبرة شديدة الاختلاف عن خبرة المقابلة المباشرة، لأن التفاعل البشري يشتمل على ما هو أكثر من الكلمات المنطقية أو المكتوبة. لذلك فإن المقابلة التي تجري عن طريق البريد الإلكتروني أو الإنترنت تفتقر إلى المفاتيح الحسية للغة الجسد، ونبرة الصوت، ومظاهر الانفعال التي يستطيع الباحث أن يتقطن إليها، ويلاحظها، ويستجيب لها في حالة المقابلة المباشرة. ولا ريب أنه لا بد من أن نلاحظ كذلك

أن هذه المفاتيح ليست متاحة للمبحوث أيضاً، وأن هذا قد يعني ضالة تأثير الباحث الذي يجري المقابلة على البيانات التي تجمع داخل نطاق المقابلة. ولكن تبين بعض الباحثين أن من الصعوبة البالغة بناء الألفة والثقة داخل نطاق المقابلة بدون مثل هذه المفاتيح المرئية (انظر على سبيل المثال أورجاد 2005 ، Orgad 2005 ، Kivits 2005 ، Kivits 2005 ، وأوكونور ومادج ، 2001)، بفضل ما تتضمنه هذه الاتصالات من معلومات عن شخصك وعما تقوم به من عمل، وذلك لأن هذا يساعد المبحوث على المشاركة الجادة في الحوار بدلاً من مجرد الاقصار على الإجابة على الأسئلة. وأياً ما كان الأمر، فإن الأفراد - وكما هو الحال في الاستبيانات الإلكترونية - قد يكونون أكثر استعداداً لتقديم إجابات تعتبر أقل قبولاً من جانب المجتمع، أو لمناقشة القضايا الحساسة بصرامة أكبر عبر الشبكة.

لبريد الإلكتروني والرسائل النصية عبر الشبكة لغاتها الخاصة بها، وهي تتضمن طرقاً لمعالجة ما تفتقر إليه من مفاتيح مرئية لفهم متاحة في المقابلة المباشرة. وقد استحدث مستخدمو الشبكة أيقونات معبرة عن الانفعالات (أيقونات انفعالية Emoticons – انظر قائمة المصطلحات) وغيرها من التعبيرات النصية المكتوبة ليتغلبوا على هذه المشكلة، كما أن الباحثين قد يجدون أنفسهم في حالات كثيرة يستخدمون هذه الأيقونات والتعبيرات.



ومن مزايا إدارة المقابلات إلكترونياً أن البيانات تكون في صورة نص مكتوب في نفس وقت المقابلة، ومن ثم لا توجد حاجة لتسجيلها ونسخها. ويمكن قص ولصق بيانات المقابلة داخل برامج تحليلية أو داخل وثيقة منفدة ببرنامج Copy & Paste لمعالجة الكلمات تمهدًا لتحليلها.

جماعات المناقشة التي تستخدم الاتصال عبر الحاسب

تعمل جماعات المناقشة على جمع مجموعة من الأفراد معاً، لكي يتحدثوا عن موضوع من موضوعات البحث، وهو أمر يمكن - بطبيعة الحال - تحقيقه بشكل افتراضي حيث لا يكون الأفراد موجودين في نفس المكان المادي. وكما هو الحال في المقابلات الإلكترونية، يمكن عقد جماعات المناقشة الإلكترونية بشكل متزامن أو غير متزامن، رغم أننا نميل في العادة إلى توقع أن تكون جماعة المناقشة متزامنة، حيث يكون جميع المشاركين حاضرين

في نفس الوقت وعلى اتصال ببعضهم ، ويستعملون غرفة دردشة موجودة من قبل أو تنشأ خصيصا لهم ، أو يستعملون برنامجا لعقد الاجتماعات إلكترونيا .

بحث

جماعات المناقشة الإلكترونية

بحث كيني (Kenny 2004) بعنوان: «التفاعل في الفضاء الإلكتروني : جماعة مناقشة إلكترونية» ، منشور في : مجلة التمريض المتقدم ، العدد (49) ، ص ص 422-414.

استخدم «كيني» برنامج WebCT (وهو برنامج يستخدم كوسيلة تدريس في جامعات كثيرة ويشتمل على إمكانيات لعقد جماعات مناقشة وتنظيم غرف الدردشة ، كما يعرف هذا البرنامج بوصفه بيئه تعلم افتراضية) لعقد جماعة مناقشة افتراضية لا متزامنة بين الطالبات اللائي يدرسن التمريض .

انظر أيضا أوكونور ومادج (2001): «أمهات الفضاء الإلكتروني: إجراء المقابلات المتزامنة الإلكترونية باستخدام برامج عقد الاجتماعات أو المؤتمرات» ، منشور في : مجلة البحث السوسيولوجية الإلكترونية ، العدد (5).

وقد اتفق أوكونور ومادج بحزمة برامج لعقد الاجتماعات ، وهي متحركة مجانا للتحميل على الحواسيب؛ اتفقا بها في إدخال آباء وأمهات جدد في جماعة مناقشة إلكترونية متزامنة.

ستيورات Stewart وويليامز (Williams 2005) ، «دراسة بعض مجتمعات البحث الإلكترونية: استخدام جماعات المناقشة الإلكترونية في البحث الاجتماعي» ، منشور في مجلة : البحث الكيفية ، العدد (5) ، ص ص 395 - 416.

تقدم هذه الدراسة رؤية عامة مفيدة لاستخدام جماعات المناقشة الإلكترونية في البحث ، وذلك بالاعتماد على مثالين – جماعة مناقشة لا متزامنة وجماعة مناقشة متزامنة عقدتا في بيئه تصويرية ثلاثة الأبعاد.

وكما هو الحال في جماعات المناقشة المباشرة ، يمكن للباحث أن يعد دليل موضوعات يحتوى على بعض الأسئلة المحفزة (وهي كلمات وعبارات لحدث المشاركين على الإفاضة في الكلام) مما يساعد على تركيز النقاش ، وذلك في حالة قيام الباحث بدور الميسر . ويدرك بعض الباحثين المترسرين إلى أنه قد يكون مفيدا أن يتواافق للباحث أسئلة ومحفزات مكتوبة من قبل ليقوم بقطعها ووصلها حسب الحاجة واستخدامها أثناء انعقاد جماعة المناقشة ، وذلك بالرغم من أن الميسر سيكون - بطبيعة الأمر - متباوبا مع البيانات التي يسمم بها المشاركون .

ذلك يمكن إدارة جلسة نقاش لا متزامنة تضم أعضاء جماعة مناقشة يستطيع كل المشاركين فيها أن يقرأوا ما كتبه الآخرون وأن يدلوا بإجاباتهم في أي وقت، وقد توجد فترات يتواصل فيها أكثر من عضو من الأعضاء، ولكن ليس كلهم، توائلاً إلكترونياً (على الشبكة) ويساهمون بآرائهم في نفس الوقت. والوضع الأمثل أن تشكل جماعة المناقشة للحديث عن موضوع بعينه، كما ينبغي أن تكون طبيعة موضوع النقاش معلنة بوضوح. في هذه الحالة يترجح أن يكون للميسر دور يزيد عن مجرد كونه ملاحظاً، لأنه لا يقدر أن يظل طوال الوقت موجوداً بشخصه على الخط للتجابو مع المخاطرين، وذلك رغم أنه قد يكون من الضروري أن يقوم ببث النشاط في النقاش أحياناً بطرحه أسئلة جديدة، أو بإدائه بتعليقات أو إجابات على ما كتبه الأعضاء.

فكرة هذا الموضوع . . .

جماعات المناقشة الأفتراضية

- قد يكون عسيراً جمع كل الناس على الشبكة في وقت واحد، كما أن من المحتل أن يضطر الباحث إلى إجراء نوع من التفاوض عن طريق البريد الإلكتروني أو عبر الشبكة لضمان أن تكون أوقات النقاش ملائمة للمشاركين.
- من الممكن أن يكون تبادل بعض البيانات الاجتماعية - الديموغرافية (السكنية) في بداية انعقاد الجماعة مفيداً في التغلب على تحفظ الأعضاء وفي بدء الحديث بينهم، كما أنه يوفر معلومات مفيدة عن خلفياتهم الاجتماعية. كما يمكن لهذا التبادل للبيانات أن يدعم المناقشة إن كان الباحث مستعداً لأن يتبادل مع أعضاء الجماعة بعض البيانات عن نفسه أيضاً.
- نظر العدم وجود مفاتيح تواصل مرئية يراها الباحث على وجوه المشاركين فتساعده على مواصلة الكلام، فقد يكون من المفيد أن تتضمن بعض الوقت، إما قبل تعرف أعضاء الجماعة على بعضهم وإما أثناء ذلك، وأنت تكتشف الطرق المختلفة التي يعبر بها المشاركون عن أنفسهم، كأن يستعملوا - مثلاً - أيقونات انفعالية (أي صوراً دالة على مواقفهم الانفعالية) (انظر قائمة المصطلحات) أو لغة منتفقاً عليها عبر الشبكة أو لغة خاصة بجماعة ثقافية ما.
- ومن شأن بعض الأفراد أن يفكروا ويكتبو مشاركاتهم على نحو أبطأ من غيرهم، كما أنك - كميسر - تحتاج إلى أن تتبين للأفراد الذين يبدوا عليهم دائمًا أنهم غير موافقين للنقاش، وأن تحرص على أن تشعرهم بأنك تتلقى رسائلهم أو ترد عليهم بشكل ما.

- بوصفك الميسّر، فلن تعرف ما إذا كان المشاركون هم أنفسهم من يقولون أنهم مشاركون، كما أنك لن تعرف هل يوجد معهم أفراد آخرون أو هل توجد أنشطة أخرى تجري ممارستها في هذه الأثناء، مما قد يشتت انتباهم، أم لا.
- من السهل أن تؤثر الخروج من جماعة مناقشة افتراضية، إما قبل انعقاد الجماعة أو في أثناء انعقادها، وذلك بمجرد قيامك بإغلاق سجلها. فهل ستعرف متى يحدث ذلك، وهل ستعرف لماذا يحدث ذلك؟ إن هذا التصرف أسهل كثيراً من مغادرتك لمكان انعقاد جماعة مناقشة تلتقي فيه بالمشاركين وجهاً لوجه.
- ثم ماذا عن فترات الصمت؟ بصفتك ميسّراً، ماذا تستنتج من لحظات التوقف عن الرد قبل أن تبدأ الإجابات في الوصول إليك؟

الملاحظة على الإنترن特

تتيح لك الإنترنط إمكانية هائلة وفرصة عظيمة للملاحظة كمشارك في غرف الدردشة أو في جماعات المناقشة، أو بوصفك «مرصدًا خفيًا»، وأعني به الشخص الذي يراقب أو يلاحظ غرفة دردشة أو جماعة مناقشة بدون المشاركة في هذا النشاط. وبالنسبة للباحث الاجتماعي، تتوافر الفرصة لجمع البيانات المطلوبة لأسئللة البحث والتي تتعلق بالطرق التي بها يستخدم الأفراد الإنترنط، والطرق التي يتبعونها في مناقشة القضايا على الإنترنط، والقضايا التي يثيرها المشاركون. وعادة ما تكون البيانات المجموعة في شكل حوارات مكتوبة تجري بين المشاركين. وقد يتم اختيار المشاركين بقصد جمع مادة عن مجموعة بعينها من الأفراد، وقد يتم اختيار أحد مواقع الشبكة على امتداد فترة من الزمن. ويوصى بعض الباحثين بـ «الملاحظة إحدى غرف الدردشة أو «مرصدها خفية» كمرحلة تمهيدية قبل تجميع المشاركين في الاستبيانات، أو المقابلات، أو جماعات المناقشة. إن القضية الرئيسية التي تهمك هنا – إن كنت تفكّر في جمع البيانات بهذه الطريقة – إنما تتعلق بأخلاقيات البحث، كما تتعلق بدورك كباحث مشارك أو باحث «يرصد خفية» ما يدور في جماعة ما. وتشبه هذه القضايا – في جوهرها – القضايا التي تثيرها الملاحظة المباشرة التي تقوم بها كمشارك، والتي تسمى ملاحظة «العالم الحقيقي»، أو القضايا التي تثيرها الملاحظة المستترة (انظر فصل 5 باب 1 ، والفصل 6 من هذا الباب). كما يميل كثير من الباحثين الاجتماعيين المتمرسين إلى الموافقة على أن تجمع البيانات كـ «الملاحظة دون إخبار الأفراد الذين تقوم بـ «الملاحظة» في بعض المواقف». والحقيقة أن هذا الرأي مفاده أنك إن أخبرت الأفراد الذين تقوم بـ «الملاحظة» سلوكهم بهذا الأمر، فإنك تجازف بتغيير هذا السلوك أو تجازف بتعریض نفسك للعجز التام عن الاستمرار

فى جمع البيانات لأنه لا يتوافق لديك الموافقة عن علم ، والتى يعطيك إياها المشاركون فى بحثك (انظر فيما بعد للاطلاع على المزيد من مناقشة القضايا الأخلاقية فى البحث باستعمال الاتصال عبر الحاسب).

اختيار العينات وتجميع المشاركين فى الاستبيانات ، والمقابلات ،

وجماعات المناقشة الإلكترونية

يمكن لقوائم الإنترنت والبريد الإلكتروني أن تستخدم كمصادر معلومات عن المشاركين فى البحث ، وذلك فى كل من عملية جمع البيانات عبر الشبكة أو جمع البيانات باستعمال وسائل أخرى خارج الشبكة.

(10-1) المثال

اختيار جمع البيانات عبر الشبكة أو خارجها

يحتاج الباحث الطالب إلى دراسة الطريقة التى يتبعها الطلاب الذين يدرسون العلوم الاجتماعية فى اختيار مهفهم فى المستقبل ، وفى اختيار اللجوء إلى استخدام قسم العلوم الاجتماعية (الذى هو واحد من طلبه) لتجميع المبحوثين .

يمكن الاستفادة بدليل البريد الإلكتروني الخاص بالقسم الذى يدرس به الطالب باعتباره مجتمع البحث الذى تستخرج منه عينة عشوائية (وقد تكون مقسمة تبعاً للسنة الدراسية أو النوع). بعد ذلك يمكن الاتصال بالطلاب عن طريق إرسال خطابات إليهم ، أو الحديث معهم بالهاتف ، أو إرسال بريد إلكترونى لهم يدعوهם للمشاركة فى أحد البحوث .

يمكن أن يتم جمع البيانات عن غير طريق الشبكة ، وذلك فى مقابلات مباشرة يتم تنظيم مواعيدها بالبريد الإلكتروني (الباب الأول) ، أو يمكن جمع البيانات إلكترونياً باستعمال استبيان إلكترونى أو جماعة مناقشة إلكترونية ، مع توجيهه للطالب - داخل رسالة البريد الإلكتروني - إلى أحد مواقع الشبكة (الباب الثاني) .

جدول رقم (10-1): طرائقنا جمع البيانات إلكترونياً ولا إلكترونياً

جمع المعلومات إلكترونياً	جمع المعلومات لا إلكترونياً	
ب	أ	تجميع المشاركين بطرق غير إلكترونية
د	ج	تجميع المشاركين إلكترونياً

ويمكن كبديل لذلك أن توضع على موقع الشبكة الخاص بالقسم العلمي صفحة بيانات تفصيلية (وصلة) تشمل على معلومات عن البحث أو عن عنوان البريد الإلكتروني للباحث، ويطلب من الطالب أن يضغطوا على «الماؤس» للدخول على هذه الصفحة إن كانوا راغبين في المشاركة في البحث. ونلاحظ مجدداً أنه يمكن إجراء جمع البيانات بطرق غير إلكترونية من خلال المقابلات المباشرة أو جماعات المناقشة (الباب الثالث) أو قد يوجه الطلاب إلى أحد الاستبيانات الإلكترونية أو يرسل إليهم استبيان إلكتروني بالبريد الإلكتروني (الباب الرابع).

نحن هنا مشغولون بالقضايا التي تدور حول موضوع اختيار العينة وتجميع المشاركين في البحث إلكترونياً (انظر فصل 5 باب 2 للاطلاع على مناقشة وافية لاختيار العينة). هنا بنا نفك في عملية التجميع بالنسبة للحالة (جـ) (أى جمع البيانات بطرق غير إلكترونية، والحالة (دـ) (أى جمع البيانات إلكترونياً) عند تجميع المشاركين إلكترونياً، في المثال رقم (10-1) المذكور أعلاه. فمن هم الذين يمكن إدراجهم في البحث ومن هم الذين يمكن استبعادهم منه؟

1 - في هذا المثال، من الراجح تماماً أن يتوافر لمعظم الطلاب الوسيلة والمهارات الازمة للتمكن من زيارة موقع القسم العلمي على الشبكة.

2 - ولكن إن لم يكن مطلوباً من الطلبة أن يقوموا بزيارة هذا الموقع، كأن تكون هذه الزيارة واجباً دراسياً عليهم إنجازه، فمن النادر أن يقوم بعض الطلبة بتسجيل أسمائهم والدخول عليه.

3 - من يقومون بزيارة الموقع قد يسجلون أسماءهم لتحقيق غرض خاص جداً ويفوتهم الحصول على صفحة البيانات التفصيلية (عن البحث وكذلك البريد الإلكتروني للباحث).

4 - قد يتصور طلبة آخرون أن هذا البحث شيق، فيدقون الماؤس ليطلبوا الحصول على صفحة البيانات التفصيلية وحينئذ يكتشفون أنه يتوجب عليهم أن يبعثوا برسالة بريد إلكترونية إلى الباحث الطالب، أو يتوجب عليهم أن يستوفوا كتابة معلومات مفصلة عن أنفسهم فيقرون - من فورهم - ألا يزعجو أنفسهم بهذا البحث لأن عليهم واجباً دراسياً يجب أن ينجزوه في بحر ساعات قليلة.

5 - أما أولئك الذين يقومون - فعلاً - باتخاذ الخطوة الأولى في المشاركة في البحث عن طريق إرسال رسالة إلكترونية أو كتابة المعلومات في الخانات المخصصة لها على طلب الاشتراك قد يكتشفون وقتها أنهم مطالبون بالمشاركة في جماعة مناقشة وأنه ليس لديهم الوقت لذلك، أو يبدأون ملء الاستبيان ثم يتشتت انتباهم بسبب وصول رسالة مكتوبة إليهم أو بسبب صديق يتصل بهم تليفونياً.

6 - وهكذا قد تكون الاستجابة قليلة بشكل لافت، أمّا ما هو أكثر من ذلك : فهو أن الطالب الباحث لن يعرف السبب الذي جعل الآخرين لا يستجيبون . وسيكون الأفراد الذين يشاركون فعلاً عبارة عن مجموعة منتقاة ذاتياً ، حتى وإن يكن هذا الانتقاء من بين مجتمع بحث معروف ومحدد الهوية .

تسبيت طريقة التجميع في تقديم أنماط بعضها من التحيز (فصل 5 باب 2) داخل العينة ، مما يعني ضمناً أنه لا يمكن النظر إلى هذه العينة باعتبارها عينة ممثلة ، إلا أن بالإمكان النظر إلى البيانات المجموعة من هذه العينة باعتبارها - رغم ذلك - بيانات «دالة» على جماعة الأفراد التي استخرجت منها هذه العينة .

في هذه الحالة يكون مجتمع البحث الذي استخرجت منه العينة معروفاً . وفي كثير من الحالات التي يتم فيها تجميع المستجيبين إلكترونياً يكون من المتعذر مجرد تقدير الحجم الذي قد يكون عليه حجم مجتمع البحث . من ذلك مثلاً أنه لو تم جمع المستجيبين من أحد الواقع الموجودة على الشبكة ، والتي يستخدمها أفراداً مهتمون بفرقة موسيقية معينة ، فمن المستبعد أن نجد طريقة لمعرفة عدد الأفراد الذين زاروا هذا الموقع أو عدد الذين اهتموا بالمشاركة في البحث . ومرة أخرى نقول إن هؤلاء المستجيبين يتم اختيارهم ذاتياً ، وإنه بدون وجود دافع ما لديهم للمشاركة ، فالأرجح أن تسفر هذه العملية في نهاية الأمر عن عينة صغيرة الحجم . ولن يعرف الباحث ما إذا كان الذين استجابوا له ممثلين لجمهور المعجبين بهذه الفرقة الموسيقية أو ممثلين لم يستخدمون هذا الموقع بعينه .

هل هذه الطريقة في البحث «جيدة بما فيه الكفاية» ؟

علينا أن نفكر ملياً فيما إذا كانت توجد طرق أخرى لتجميع المشاركين في البحث مع مراعاة عامل الزمن ، والموارد ، وإمكانية الوصول إلى مجتمع البحث ، وكذلك مراعاة طبيعة البيانات التي يحتاج الباحث لأن يجمعها - فقد تكون هذه أفضل وسيلة متوافرة للعثور على مشاركي بحث لهذه الدراسة وقد تكون «جيدة بما فيه الكفاية» .

وقدرأينا فيما سبق أن استخدام الإنترن特 في العثور على مجتمعات البحث الخفية قد يعني أن بالإمكان تنفيذ دراسة لا يمكن تنفيذها بغير هذه الطريقة . كما قد يزداد احتمال استجابة بعض جماعات الأفراد إن كانوا يستطيعون المشاركة باستعمال الاتصال عبر الحاسوب وليس الاتصال المباشر . وقد يكون هذا بالذات هو ما يحدث عندما تكون بصدده دراسة بعض الموضوعات الحساسة .

القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب في البحث الاجتماعي

يشير القيام بأى بحث اجتماعى بعض القضايا الأخلاقية، لأن البحث الاجتماعى يتناول البشر والمعلومات المتعلقة بهم، وظروفهم، ومشاعرهم وأرائهم، كما تنشأ علاقة اجتماعية بين الباحث والشخص موضوع البحث بوصفه كائناً إنسانياً مماثلاً. وقد سبق أن شرحتنا هذه القضايا وألقينا الضوء على معالمها (فصل 5 باب 1)، ولذلك سوف نقتصر هنا على الإشارة إلى عدد من القضايا التي تثار في مجال الاتصال عبر الحاسب.

الموافقة عن علم (فصل 5 باب 1)

إذا كان التفاعل بين الباحث والمحوثين قد تم إلكترونياً، فكيف يستطيع الباحث أن يتأكد من أن المحوث متواافق لديه كل المعلومات اللازمة لتقديم موافقته على المشاركة في البحث عن علم؟ وكيف يستطيع الباحث معرفة أن المشارك قد وافق بدون توقيعه على إقرار بذلك أو بدون تأكيد من ذلك نابع من اللقاء المباشر وجهاً لوجه؟

يمكن إتاحة المعلومات الكاملة عن البحث على موقع الشبكة ومن خلال البريد الإلكتروني، كما ينبغي أن تحتوى على بريد إلكترونى للاتصال الشخصى أو عنوان بريدى للمستجيبين الذين يرغبون فى متابعة البحث بالأسئلة والتعليقات. ويمكن إعطاء الأشخاص الذين يتحملون المشاركة فرصة لأن يبعثوا برسالة بريد إلكترونى بالموافقة أو أن يدققا «الماوس» عند ظهور صندوق خاص بالموافقة على الشاشة بين رغبتهما في المشاركة. ويذهب البعض إلى أنه حيث يقوم المحوثون باختيار أنفسهم، فإن هذا يعد - في حد ذاته - شكلاً من أشكال الموافقة على المشاركة عن علم. إلا أن مسؤولية الباحث تقتضى أن يستوئ من أنه قد تم تبييه المشارك إلى كل المعلومات المتعلقة بالبحث. لاحظ أيضاً أن المشاركين لديهم اختيارات أسهل للانسحاب عندما يتم الاتصال عبر الحاسب - فهم يستطيعون ببساطة لا يجيبوا وأن يخرجوا من التسجيل في البحث.

السرية، وتجهيل الهوية، والخصوصية (فصل 5 باب 1)

عندما يجرى استخدام الاتصال عبر الحاسب في جمع البيانات، قد لا يكون المستجوبون معروفين إلا من خلال عنوان بريد إلكترونى أو ربما عن طريق اسم مستخدم يختاره المستجيب نفسه. وربما يكون بعض المشاركين قد قاموا - قبل ذلك - بإخفاء هويتهم بشكل ما داخل غرفة الدردشة أو داخل جماعة المناقشة، وقد يكون لكل منهم واحدة أو أكثر من «الهويات الافتراضية». وقد لاحظ تشوش Larose وLaRoz (Larose 1999) أن من الشائع استخدام الهويات الزائفية - على الإنترنت، ونحن

نرى أنه يجب على الباحث أن يُفكِّر في سبب حدوث ذلك. فهذا في حد ذاته يمكن أن يزور دنا بالقدر المنشود من إخفاء هوية المبحوث وضمان عنصر السرية أثناء جمع البيانات وأثناء كتابة أي تقرير عن البحث. وأيًّا ما كان الأمر، فإن الإنترنت ساحة عامة، وحتى لو كان بالإمكان أن نضع أيدينا على بعض البيانات المستمدَّة من غرف دردشة خاصة أو رسائل بريد إلكترونيَّة شخصية، أو تلك التي تغاضى عنها الآخرون في هذه الغرفة، أو التي تم تمريرها للآخرين، فلا بد أن يستوثق الباحث من اتخاذ الحيطنة البالغة لضمان السرية.

إذا اشتراك عدد من الأفراد في جماعات مناقشة متزامنة أو غير متزامنة، مثلاً، فلا بد أن يفهم هؤلاء الأعضاء بوضوح أن كل المشاركين سيقرؤون رسائلهم وربما سيكتونون قادرٍين على تمييز عناوين رسائل البريد الإلكترونيَّة التي يبعث بها الآخرون. فإن كانت هذه الغرفة عامة للدردشة، فإن البيانات التي يجري حينئذ جمعها تكون بيانات عامة بالفعل. كذلك تعتبر بيانات عامة تلك المادة المستمدَّة من المدونات ومواقع الشبكة الشخصيَّة التي ينبغي الإشارة إليها كمادة معلنة للجمهور. ومعروف أن بعض غرف الدردشة وجماعات المناقشة شروطها المتعلقة بالخصوصية، فعليك أن تستوثق من أنك تلتزم بهذه القواعد والأعراف المتبعة.

الخداع (فصل 5 باب 1)

في التفاعلات التي تجرى أثناء الاتصال عبر الحاسوب بين الباحث والمحبوثين، قد يكون للباحث، وكذلك للمحبوثين، هوية افتراضية. لذلك لا يمكن للباحث أن يتأكَّد بشكل قاطع أبداً من عمر، أو جنس، أو إثنية محوثيه على الشبكة (هيوزن Hewson وأخرون ،2003). كما لا يكون المحبوثين على يقين أبداً من هوية الباحث. فإن كنت تشارك في غرفة دردشة أو ترصدها خفية، فقد تسعى عامداً لخداع أعضاء هذه الجماعة لكي تستطيع ملاحظتها وجمع بياناتها. وقد يعتبر بعض الباحثين هذا التصرف تصرفاً غير أخلاقيًّا، كما يتعين عليك أن تفكِّر - بعبارته - في سائر القضايا التي ينطوي عليها هذا التصرف وأن تناقشها مع مشرِّفَك العلمي، ومع لجنة أخلاقيات البحث (في كليةك أو جامعتك) قبل مباشرتك لمثل هذا الخداع .

حتى لو كان الباحث صريحاً وواضحاً فيما يتعلق بموضوع البحث ، فإن المحبوثين سيفتقدون مفاتيح الإدراك البصرية، التي تتوفر تلقائياً في المقابلة أو جماعة المناقشة المباشرة، وهي المفاتيح التي قد تساعد على تقرير ما إذا كانوا سيشاركون أم لا ، أو تقرير ما يقال وما لا يقال ، وما إذا كانوا يتقدون بالباحث أم لا . وقد يكون مفيداً، خاصة في جماعة مقصورة على مشاركي البحث فقط ، وضع صورة فوتغرافية للباحث ، مثلاً، مع تزويد المحبوثين بمعلومات عن خلفية البحث وكذلك معلومات عن خلفية الباحث.

وأيا ما كان الأمر ، فلا بد كذلك من الحرص على التأكيد من كفالة سلامتك الشخصية ، كما أن عليك أن تفكك بعمق في النتائج التي يمكن أن تترتب على إفصاحك عن معلومات تتعلق بشخصيتك لأفراد مجهولين لك على موقع من مواقع الشبكة متاح للجميع .

بحثك

الخصوصية في مسوح الإنترنت

قام شو Cho ولا روز (1999) بدراسة موضوع الخصوصية في المسوح الاجتماعية التي تجرى على الإنترنط . وقد تناول البحث هذه القضية انطلاقاً من منظور دراسة العلم الاجتماعي للخصوصية ، في محاولة لفهم ما يتسم به البحث المسحي عبر الإنترنط من وضع فريد للخصوصية . فالباحثون الذين يجرؤون المسوح الاجتماعية الإلكترونية يرتكبون من الانتهاكات المتعددة للخصوصية المادية ، والمعلوماتية ، والنفسية ما يمكن أن يكون أكثر حدة من الانتهاكات التي ترتكب عند استخدام طرق المسح التقليدية . كما أن مسوح الإنترنط تنتهك حرمة الخصوصية التفاعلية للمجتمعات الإلكترونية ، وهو شكل من أشكال انتهاك الخصوصية ينذر أن يواجهه الباحثون في حالة استعمال طرق المسح التقليدية .

وقد توصل الباحثان إلى هذه النتيجة من واقع تحليل ما يقرب من 15 دراسة مسحية أجريت على الإنترنط نفذها باحثون أكاديميون على امتداد فترة 12 سنة (وقد أجرى أحد هذه المسوح في سنة 1986 ، وهو ما ينبغي - فعلاً - أن ينظر إليه كعمل رائد في هذا المجال ، نظراً لأن هذا التاريخ كان تاريخاً مبكراً جداً لإجراء البحث باستعمال البريد الإلكتروني !) .

يختتم الباحثان مقالتهما بتقديم بعض التوصيات النافعة في تحسين مستوى معدلات الاستجابة للمسح الإلكتروني ، والتي تتضمن ما يلى :

- قدم للمشاركين حواجز ، كشهادات استحقاق لمنحة (وقد تكون المنحة كبيرة إن كان يتواافق لك اعتماد مالي ، إلا أن كثيراً من الدارسين لا يفعلون ذلك؛ لأن هذا التصرف يثير بعض القضايا الأخلاقية ، أيضاً) .
- أجمع البيانات المعروضة على امتداد صفحة الشبكة ، فهذا أيسر بالنسبة للمشارك ، لأن في هذا التصرف ، عادة ، قدرًا من الجهد أقل مما هو موجود ، مثلاً ، في اضطراره للإجابة عن طريق البريد الإلكتروني .

- استعمل في المسوح التي تقوم بها خيارات تحوى إجابات متعددة.
- حاول أن تبدو ذا صداقية . فإن كان بإمكانك الانقاض بموقع الشبكة الخاصة بكليتك / أو جامعتك كأساس للمسح الذي تقوم به ، فإن هذا التصرف جدير بأن يعد نصراً «وأقيعاً» و «مفيدةً».
- خذ في الاعتبار موضوع الأمان . لا تتوقع من المشاركين أن يقدموا لك معلومات حساسة إن كنت لا تستطيع أن تؤمن بهذه المعلومات في المستقبل من اطلاع بعض الأطراف الخارجية عليها .
- ونقترح عليك أيضاً أن تدخل في حسابك القضايا الأخلاقية التي ناقشناها في الفصل 5 من الباب 1 .

صدق البيانات المجموعة إلكترونيا

مع أن نفس القضايا المتعلقة بصدق البيانات تطبق على كل من البيانات المجموعة إلكترونياً (الفصلين 3 و 4 باب 1) والبيانات التي تجمع بالطرق الأخرى ، فإن مجہولیة الهوية على الإنترت وإمكانية مغادرة المشارك لموقع البحث بسهولة بدون أى لقاء مباشر مع الباحث أو مع المشاركين الآخرين يمكن أن يعني أن من السهل على المستجيبين أن يكذبوا على الباحث ، أو يضللوه ، في أقل تقدير . ومع أن بالإمكان إدراج أدوات المراجعة في داخل الاستبيان الإلكتروني (وهي أساليبتحقق من أن الإجابات متسقة منطقاً مع بعضها وليس بينها تعارض أو تناقض) ، فقد يكون من العسير على الباحث أن يكتشف أوجه التضارب في الإجابات ، أو أن يستكشف أعمق روايات المستجيبين خلال المقابلات الإلكترونية أو جماعات المناقشة الإلكترونية ، حيث يكون بوسع المستجيب أن ينسحب بكل بساطة من البحث . وكما هو الحال مع معظم طرق جمع البيانات الأخرى ، يظل بالإمكان دائمًا أن تكون هذه البيانات المجموعة بمثابة تحريف متعدد للواقع الاجتماعي الذي يُرّعى أنها تمثله . كذلك يجب على الباحث أن يتتبّع لهذا الاحتمال ، وفي نفس الوقت الذي يدرك فيه جيداً أن إخفاء الهوية على الإنترت قد يترتب عليها أن يحرصن بعض المستجيبين على تقديم قدر من خبرائهم وأراءهم أكبر مما يمكن أن يقدموه في اللقاءات المباشرة وجهاً لوجه .

إتيكيت النت (آداب التعامل اللائق على الشبكة)

لا يزال الاتصال عبر الحاسوب ممارسة جديدة نسبياً وإن كانت آخذة في التطور بسرعة ، وهي قادرة على تجاوز الحدود القومية والحدود الثقافية ، حتى إنه ليس من الواضح تماماً ما هو القانوني والمقبول عند التواصل إلكترونياً . وأن ما كان الأمر ،

فإنه يجرى حالياً تطوير مواثيق السلوك وتطوير القواعد في كثير من مجالات التعامل الإلكتروني، والتي تهدف أساساً للحيلولة دون استخدام لغة بذئنة، أو مهينة، أو مثيرة للغضب. وتشتمل هذه المواثيق على النصائح الخاصة بالمارسة القوية داخل مختلف سيارات التعامل الإلكتروني. عليك أن تقوم بمراجعة بعض الأمثلة على الشبكة. راجع دليلاً مفيداً هو دليل المستخدم لـ LISTSERV على الموقع التالي: www.Isoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm (وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس 2009). كما يمكنك إلقاء نظرة على دليل آلبيون www.albion.com/netiquette على الموقع التالي: www.albion.com/netiquette وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس سنة 2009، وتأكد من أنك على دراية بنوع دليل этиكيت (آداب التعامل) على الشبكة الذي يخص البيئة التي تجمع منها بياناتك.

بحث

إتيكيت الشبكة للباحثين الاجتماعيين

- ينبغي ألا تشتمل الرسائل واللافتات التي تظهر في رسائل البريد الإلكتروني الخاصة أو في غرف الدردشة العامة؛ ينبغي ألا تشتمل على لغة بذئنة، أو مهينة، كما ينبغي أن تراعى منع مشاركى البحث إن استخدموا مثل تلك اللغة.
- كن مقدراً تماماً لثقافة مبحوثيك المتعلقة بما تستعمله أنت من اللغة، والدعابة، والأسلوب.
- حاول استعمال «لغة» مبحوثيك - أيقوناتهم العاطفية، واختصاراتهم، وجملهم الموجزة، إلى آخره - ولكن لا تفعل ذلك إلا إذا كنت متأكداً أنك لا تستبعد - بذلك - أفراداً قد لا يفهمون ما تقوله.
- احرص على احترام خصوصية رسائل البريد الإلكتروني الخاصة - خاصة عندما تبعث برسائل إلكترونية أو ترد عليها داخل جماعة مناقشة تستخدم هذه الرسائل الإلكترونية.
- كن شديداً التنبه لما هو متاح لمبحوثيك من مهارات ووسائل تتعلق بإمكان الوصول إلى الحواسيب والبرمجيات.
- راجع على الدوام رسائلك ولا فتاوىك فيما يتصل بمحتوها، ولغتها، و«أسلوبها العام» - فمن السهل أن «تبدوا حادة» أو تبدوا متباوبة.
- تجنب أن تبعث برسائل جماعية يمكن أن ينظر إليها كأنها معلمات (أى: موحد الصياغة لا تراعى الفروق بين المشاركين).

بحث

- مزايا استخدام الاتصال عبر الحاسوب في جمع بيانات للبحث الاجتماعي
- مفيد في البحث الذي يشتمل على أفراد متبعدين جغرافياً عن بعضهم البعض أو عن الباحث.
 - مفيد في البحث الذي يتعامل مع مجتمعات بحث خفية.
 - مفيد في البحث الذي يضم جماعات من الأفراد لا يستطيعون أن يلتقا وجهًا لوجه.
 - قد يكون من الأسهل كفالة تجاهيل الهوية وضمان السرية.
 - يشعر بعض الأفراد بأن مناقشة القضايا الحساسة أو الشخصية إلكترونياً أسهل من مناقشتها في المواجهة بصورة مباشرة.
 - قد يكون «تأثير الباحث في المبحوثين»، وهو التأثير الناجم عن صفاتيه الشخصية المرئية، كالعمر، أو الجنس، أو الإثنية مثلاً، أقل في حالة الاتصال الإلكتروني.
 - ربما يقل احتمال أن يقدم المستجيبون إجابات تحظى بدرجة عالية من القبول الاجتماعي.
 - من الممكن للاتصال عبر الحاسوب أن يكون أرخص تكلفة من طريقة الاتصال الورقي (من خلال الاستبيانات) أو طريقة الاتصال المباشر، وذلك في حالة ما إذا كان الباحث والمبحوثون لديهم وسيلة اتصال رخيصة أو مجانية عبر الحاسوب.
 - لا تحتاج المقابلات أو جماعات المناقشة إلى تسجيلها ونسخها.
 - إن كان لديك المهارة والوسائل الخاصة بالاتصال عبر الحاسوب فقد تكون قادرًا على نقل بيانات ما تقوم به من مسح اجتماعي أو مقابلة مباشرة وإدخالها في برنامج تحليلي كمبيوترى (كـبرنامج إكسيل Excel، أو الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية أو «إن فيفو» NVivo^(*)).

(*) الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS : هي أشهر حزم برامج الكمبيوتر وأكثرها استخداماً بين علماء الاجتماع الأكاديميين. وقد تم تطويرها في الولايات المتحدة بواسطة بعض علماء الاجتماع من أجل تقديم عدد من التسليفات، مثل الجدولة، والتحليل المتعدد المتغيرات، وجميع اختبارات الدالة الإحصائية التي تناسب بيانات المسح بالعينة. وكانت الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS قد وضعت في الأصل لاستخدام الحاسوبات الآلية الكبيرة، وحتى عقدين مضياً كانت أحدث نسخة من هذه الحزمة (واسمها SPSS-X) هي الوحيدة التي تصلح للاستخدام على مثل هذه الحاسوبات الآلية الكبيرة. وإن كانت قد صدرت مؤخرًا نسخة للاستخدام على الحاسوبات الشخصية ماركة آي بي أم IBM-PC وتعرف باسم (SPSS-PC+)، وقد اكتسبت شهرة واسعة تدريجياً. وللاحظ أن الذين يقومون ببحوث السوق، ويحتاجون إلى نتائج من نوع التقارير، وكذلك الباحثين الذين يتعاملون مع إحصاءات المسح والتعداد الضخمة التي تتم لصالح الحكومات يلجأون في العادة إلى لغات برامج وحزم أكثر كفاءة وأكثر قوة. وقد بدأ علماء الاجتماع يهجرن تدريجياً الحزمة الإحصائية

- تتوفر للجميع على الإنترن特 تشكيلة كبيرة من البيانات الشخصية والاجتماعية، بما فيها من مناقشات تجرى في غرف الدردشة وفي المدونات .
- عادة ما تكون البيانات في صورة مكتوبة بالفعل ، ومن ثم فلا حاجة لنسخها.
- عيب استخدام الاتصال عبر الحاسب في جمع بيانات البحث الاجتماعي لا بد أن يتوافر للباحث والباحثين المهارات والوسائل اللازمة للانتفاع بالاتصال عبر الحاسب .
- قد تستبعد بعض جماعات الأفراد من البحث لعدم توافر هذه المهارات والوسائل لهم ، مما يؤدي إلى أن تكون العينة متحيزة .
- يقل احتمال الوصول إلا عينة ممثلة إذا كان الباحثون هم الذين اختاروا أنفسهم إلكترونياً .
- لن يعرف الباحث إلا معلومات قليلة ، أو لن يعرف شيئاً ، عن الأفراد الذين لا يشاركون أو الذين يتركون البحث قبل استيفائه .
- تفتقر المقابلات وجماعات المناقشة الإلكترونية إلى مفاتيح التواصل المرئية ، ونبرة الصوت والتعبيرات عن المشاعر ، وهي الأمور التي غالباً ما تكون موجودة في حالة جمع البيانات مباشرة .
- قد تزداد صعوبة التأكد من أن المشاركين قدموا موافقتهم على الاشتراك في البحث عن علم .
- قد لا يكون الباحثون نفس الأشخاص الذين يقولون أنهم هم ، بمعنى أنه قد يدعى الباحثون لأنفسهم شخصيات لا تمثل حقيقتهم الفعلية .
- لابد للباحثين الراغبين في الملاحظة أو في «الترصد خفية» على الإنترن特 أن يدخلوا في حسابهم ما يتضمنه هذا التصرف من قضايا أخلاقية عند جمع البيانات بدون أن يحصلوا من الباحثين على موافقتهم الدالة على علمهم بذلك .

لـ«العلوم الاجتماعية ويقللون على حزم أقوى منها وأسهل في الاستخدام. انظر باللغة العربية: عبد الحميد عبد اللطيف، استخدام الحاسوب الآلي في مجال العلوم الاجتماعية، مطبوعات مركز البحث والدراسات الاجتماعية، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠. (المترجم)

بحث

اختبار جودة البحث: جمع البيانات عبر الحاسوب

- هل البيانات التي يمكنك أن تجمعها «جيدة» بما فيه الكفاية؟
- ألا يضرك عدم رؤيتك للمشاركين؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره؟)
- هل يقلقك أن يستغل كثير من مستخدمي الإنترنت هويات زائفه؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره).
- إذا كانت معدلات الاستجابة منخفضة بشكل واضح، فهل من الأمور المهمة أنه قد لا يتوافق لك طريق لاكتشاف سبب هذا الانخفاض؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bampton, R. and Cowton, C. J. (2002) The e-interview, *Forum Qualitative Social Research*, 3.
- Bowker, N. and Tuffin, K. (2004) Using the online medium for discursive research about people with disabilities, *Social Science Computer Review*, 22: 228–41.
- Cho, H. and Larose, R. (1999) Privacy issues in internet surveys, *Social Science Computer Review*, 17: 421–34.
- Coomber, R. (1997) Using the internet for survey research, *Sociological Research Online*, 2.
- ESRC (2007) E-society – Innovative Academic Research on the Digital Age, available online at www.york.ac.uk/ucs/e-society/projects.htm (accessed 21 August 2009).
- ESRC Virtual Online Research Methods Modules, www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm (accessed 21 August 2009).
- Flicker, R. D. and Schonlau, M. (2002) Advantages and disadvantages of internet research surveys: evidence from the literature, *Field Methods*, 14: 347–67. Available from www.websm.org/uploads/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).
- Hewson, C., Yule, P., Laurent, D. and Vogel, C. (2003) *Internet Research Methods*, London: Sage.
- Hillier, L. and Harrison, L. (2007) Building realities less limited than their own: young people practising same-sex attraction on the internet, *Sexualities*, 10: 82–100.
- Higher Education Academy (2009) www2.heacademy.ac.uk/forum/ (accessed 15 August 2009).
- Internet World Stats (2009) Internet Usage in European Union, available online at www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu (accessed 12 December 2009).
- Johns, M. D., Chen, S. S. and Hall, G. J. (eds) (2004) *Online Social Research: Methods, Issues, and Ethics*, New York: Peter Lang.
- Kenny, A. J. (2004) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414–22.

- Kivits, J. (2005) Online interviewing and the research relationship, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.
- Madge, C. (2006) Online Questionnaires, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/questionnaires/quescontents.htm (accessed 22 February 2007).
- Madge, C. (2006) Online Research Ethics, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/ethics/ethcontents.htm (accessed 22 February 2007).
- Mann, C. and Stewart, F. (2000) *Internet Communication and Qualitative Research*, London: Sage.
- O'Connor, H. (2006) Online Interviews, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/interviews/intcontents.htm (accessed 22 February 2007).
- O'Connor, H. and Madge, C. (2001) Cyber-mothers: online synchronous interviewing using conferencing software, *Sociological Research Online*, 5.
- Office for National Statistics (2009a) Statistical Bulletin: Internet Access 2009, available online at www.statistics.gov.uk/pdfdir/iahi0809.pdf (accessed 12 December 2009).
- Office for National Statistics (2009b) Historical Households with Access to the Internet dataset, available online at www.statistics.gov.uk/StatBase/Product.asp?vlnk=5672 (accessed 12 December 2009).
- Orgad, S. (2005) From online to offline and back: moving from online to offline relationships with research informants, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.
- Roster, C. A., Rogers, R. D., Albaum, G. and Klein, D. (2004) A comparison of response characteristics from web and telephone surveys, *The International Journal of Market Research*, 46. Available from www.websm.org/upload/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).
- Scott, S. (2004) Researching shyness: a contradiction in terms? *Qualitative Research*, 4: 91–105.
- Stewart, K. and Williams, M. (2005) Researching online populations: the use of online focus groups for social research, *Qualitative Research*, 5: 395–416.

الباب الرابع

تحليل البيانات

الفصل الأول : بدء التحليل

الفصل الثاني : معالجة البيانات.

الفصل الثالث : التحليل الإحصائي.

الفصل الرابع : تحليل الموضوعات.

الفصل الخامس : تحليل السرد.

الفصل السادس : تحليل الخطاب .

الفصل السابع: تحليل المضمون.

الفصل الثامن: النظرية المؤتقة.

الفصل التاسع: استخدام الحاسب فى تحليل البيانات.

الفصل العاشر: وماذا بعد؟ استخلاص النتائج .

الفصل الأول

بدء التحليل

محتويات الفصل

- ملامح التحليل.
- فكرة موجزة عن النتائج.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

لا يكفي أن تتوافر لك بعض أسئلة البحث وتجمع بعض البيانات (حتى حينما تكون على فهم ودرأة بالنظرية التي تستند إليها فيما تفعله). فالبيانات التي تجمعها تعد بمثابة المادة الخام للإجابات التي ترد على أسئلة بحثك، ولكن هذه الأسئلة لا تستطيع - للأسف الشديد - أن تجيب عن نفسها، ولذلك يتبعن عليك أن تباشر بنفسك المرحلة التحليلية لبحثك. يقدم هذا الفصل مفهوم التحليل كتمهيد للنقاشات التحليلية المفصلة التي سوف نستفيض فيها في الفصول التالية.

الخبر السعيد هنا هو أنك قد بدأت بالفعل تحليلك!

فالتحليل (انظر قائمة المصطلحات) يبدأ بمجرد تفكير الباحث في مشروع بحثه. لهذا عندما تكتمل عمليات تصميم المشروع وتحقيقه، لابد أن تكون خطة التحليل وعملياته قد أصبحنا واضحتين (انظر الباب الثاني). وتكون لهذا الأمر أهمية ملحوظة في حالة استخدام بعض الطرق المعينة في جمع البيانات (انظر الباب الثالث) لأن طريقة جمع البيانات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالاتجاه التحليلي الذي تختاره. من ذلك مثلاً أن بيانات المقابلة المقمنة لا يمكن عادة تحليلها باستعمال الطرق السردية (فصل 7 باب 3).

وهكذا يبدو واضحاً أن عملية جمع البيانات أمر على جانب كبير من الأهمية. ومع ذلك، ليست القضية الأساسية هي مجرد الجمع وحسب. فالمرء لا يمكنه، عقلاً، أن يقتصر على جمع البيانات وتقديمها كبحث (رغم أن الأفراد كثيراً ما يفعلون ذلك)، وعادة ما يكون ذلك التصرف مُؤدياً إلى نتائج غير محمودة). فبيانات البحث ليست مفسرة لنفسها بنفسها ولا تتحدث (أبداً!) عن نفسها؛ لأن التحليل أمر لا بد منه.

ولما كانت مشروعاتنا البحثية تقوم بجمع البيانات (فصل 3 باب 1) فمن الطبيعي أن نتكلم عن تحليل البيانات. غير أن تحليل البيانات ليس شيئاً أحادياً أو عملية أحاديد، بل الأصح أنه مجموعة من الطرق التي يمكننا تطبيقها على البيانات التي جمعناها بهدف رسم صورة لها، وتأويلها، وشرحها وتقييمها (وقد لا تقوم بكل هذه الأمور، انظر فصل 4 باب 1). ويمكننا أيضاً استخدام بعض هذه العمليات عنها نكون بصدده استخراج الأنماط الموجودة في البيانات (કأن يكون لمشاركين مختلفين خبرات متشابهة، مثلاً) واستعمالها في الإجابة على أسئلة بحثنا، وفي اختبار فرضتنا. كما يستخدم التحليل، أحياناً، في تغيير شكل البيانات حتى يصبح من الميسور فهمها بصورة أوضح (أو ربما ليفهمها عدد أكبر من الأفراد). إن كل علم - اجتماعياً كان أم غير اجتماعي - يستخدم تحليل البيانات، كما أنه يستخدم في المبيعات، والإدارة العامة، وقطاع الأعمال، وفي صنع السياسة.

ويحاول هذا الباب من الكتاب إلقاء الضوء على تقنيات مختلفة للتحليل وكيفية تطبيقها عملياً. ومع ذلك، وبصرف النظر عن عمليات تحليل البيانات التي تستخدمها، فثمة بعض الملامح التي تشتراك فيها كلها.

ملامح التحليل

يهدف تحليل البيانات إلى رسم صورة لمضمون وسمات البيانات التي جمعتها في مشروعك البحثي، ومناقشتها، وتقييمها، وشرحها. وتسمى هذه المرحلة (أو: هذا الفصل في الرسالة العلمية) عموماً «نتائج» البحث. لاحظ أنه لا ضرورة لأن يكون لديك فصل مستقل للنتائج، وإن كان كثير من الباحثين يفعلون ذلك. ويقوم غيرهم بربط قرآن النتائج بالمناقشة. وأخيراً ينبغي أن يقودنا التحليل إلى خاتمة البحث.

إن أهم ملمحين تشتراك كل طرق التحليل في الاتصال بهما هما أن هذه الطرق:

- 1 - منهاجية: أي إن كل وحدة بيانات في المشروع (سواء أكانت دراسة حالة، أو شخصاً، أو حدثاً، إلى آخره) يجب أن تعالج بنفس الطريقة.

2 - شاملة : أي إن جميع البيانات التي جمعت لهذا المشروع تكون متضمنة في التحليل . وثمة ملحوظة ثالث لطرق التحليل يتعين النظر إليه بصورة مستقلة ، رغم أنه بنفس أهمية الممرين الأوليين وهو كما يلى :

3 - تذكر أنك مهمت بالإجابة على أسئلة بحثك (أو ربما تقوم باختبار أحد الفرض). ونحن نؤكد على أهمية الحرص على الإجابة على أسئلتك لأنك يكاد يحدث في كافة المشروعات البحثية أن يتم اكتشاف أمور كثيرة مثيرة للاهتمام ، ولكنها لا تتصل بسؤال البحث (وعليك ألا تتجاهل هذه الاكتشافات ، ولكن يجب ألا تفقد التركيز على بؤرة اهتمام المشروع الذي تقوم به ، وألا تسمح لنفسك أن يصر فيها شيء عن قصدتها (انظر مثلاً فصل 7 باب 3).

كيف تبدأ تحليلك ؟

ترسم الفصول التالية (من الثالث حتى التاسع) صورة لمجموعة من تقنيات التحليل المختلفة التي قد تستعملها ، ومع ذلك يحسن بك أن تقول كلمات قليلة عن الفكرة العامة للتحليل وكيف ستشرع في هذه العملية .

1 - فكر فيما قمت بعمله: تذكر أن هذا مشروع بحثي محدد وأنك ظلت تجمع البيانات لتجيب على السؤال (أو الأسئلة) التي فكرت فيها في مرحلة مبكرة للغاية .

2 - ارجع إلى أسئلة بحثك: من الأهمية أن تذكر نفسك بأسئلة بحثك ويتعرifاتها الإجرائية وكيف قمت بتوظيفها (فصل 4 باب 1). فإن لم تفعل ذلك ، فإنك تجازف بفقدان بؤرة الاهتمام في البحث ، وبذلك تهدى وتقلك وجهك .

3 - كرر مراجعتك لخطة بحثك: لا ريب أن خطة بحثك ينبغي أن تكون دائمة في بالك . ورغم ذلك ، لا يضررك أن تعاود النظر إليها ، وأن تتأكد أنك تتابع الإطار العام الذي استقر رأيك عليه (الباب الثاني) .

4 - تذكر: هدف البحث أن يرسم صورة للبيانات ، ويناقشها ، ويقدم تأويلاً لها ، ويشرحها ، ويقيّمها ، وأن يصل إلى خاتمة البحث .

5 - راجع: أعد النظر في تصورك للعملية التي ستستخدمها للتحليل الفعلى للبيانات :

- التحليل الإحصائي (فصل 3).
- تحليل الموضوعات (فصل 4).
- تحليل السرد (فصل 5).

- تحليل الخطاب (فصل 6).
 - تحليل المضمون (فصل 7).
 - النظرية المؤثرة (فصل 8)
 - استخدام الحاسوب في تحليل البيانات (فصل 9).
- 6 - اقرأ الفصل التالي لكي تضمن أنك تجهز ببياناتك للتحليل الذي ستقوم به.

فكرة موجزة عن النتائج

كلنا نطمح إلى أن يقوم بحثنا بتغيير العالم، إذ يوجد إحساس هائل بالإنجاز في اكتشاف شيء جديد وهام، وقد يكون شيئاً يجعل العالم مكاناً أفضل مما هو عليه. ولكن مما يُؤسف له أن أمثل تلك الاكتشافات قليلة العدد وتقع في فترات متباينة. لذلك من المناسب أن تتذكر أنه :

- حتى إن لم تكتشف أى شيء جديد، فسوف ينجح بحثك في توسيع نطاق المعرفة عن طريق تعزيزك للعمل الذي قام به آخرون قبل ذلك .
 - لا تنزعج إن لم تكتشف أى شيء. فعدم اكتشاف حدث ما قد يكون بنفس أهمية اكتشافه تماماً. إذ إن معرفة ما لا يحدث في العالم الاجتماعي يساوى في الأهمية معرفة ما يحدث بالفعل.
- غالباً ما يكون التحليل أكثر أجزاء المشروع البحثي إرضاء للنفس وإشعار الها بالإنجاز. ففيه شعور بالإثارة لأنك فهمت، أخيراً، مالياراتك من دلالات (كما يوجد فيه، عادة، شعور بالراحة النفسية لأن عملك له معنى وفائدة) كما أن فيه شعوراً بالإنجاز نظراً لدخول المشروع مرحلة النهاية.

بحثك

قائمة مراجعة بدء التحليل

هل ...

- فكرت بعناية فيما يجب عليك عمله لكي تتمكن من بدء التحليل؟
- هل رجعت إلى سؤال بحثك أو فرضه للتأكد من أنهما واضحان فيما يتصل بما يتوجب عمله؟ (فصل 4 باب 1، فصل 1 باب 2).

- هل راجعت تفاصيل التقنية التي تستعملها؟ (الفصول من الثالث حتى التاسع من هذا الباب).
- هل راجعت تعريفاتك الإجرائية حتى تعرف ما الذي تبحث عنه في البيانات.
(فصل 4 باب 1)
- هل راجعت تقد خطة مشروعك لذكر نفسك بالاستراتيجية التحليلية التي وضعت خطتها؟ (فصل 1 وفصل 6 باب 2).
- هل تذكرت أن هدف التحليل هو الوصول إلى نتيجة البحث؟ (الفصل العاشر من هذا الباب)

المراجع وقراءات للاستزادة

- Cramer, D. (2003) *Advanced Quantitative Data Analysis*, Buckingham: Open University Press.
- Miles, M. B. and Huberman, A. M. (1994) *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثاني

معالجة البيانات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات ومعالجتها.
- الإعداد لتحليل البيانات.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

إنه أمر طيب أن تكون قد فرغت من جمع البيانات، إلا أن جمع البيانات، في حد ذاته، ليس سوى مرحلة واحدة من مراحل هذه العملية. والآن سيتوجب عليك أن تبدأ معالجة البيانات التي جمعتها حتى يمكنك استخدامها للعثور على أجوية أسئلة بحثك أو لاختبار فرضيتك.

يبحث هذا الفصل كيفية البدء في معالجة بياناتك. ونحن نوصيك بقراءة هذا الفصل قبل الرجوع إلى الفصول الخاصة بتقنيات التحليل المحددة في هذا الباب، وهي:

- الفصل الثالث : التحليل الإحصائي.
- الفصل الرابع : تحليل الموضوعات.
- الفصل الخامس : تحليل السرد.
- الفصل السادس : تحليل الخطاب.
- الفصل السابع : تحليل المضمون.
- الفصل الثامن : النظرية المؤثرة.
- الفصل التاسع : استخدام الحاسب في التحليل.

المهم أنك فرغت من جمع بياناتك، والآن عليك أن تقوم بمعالجة هذه البيانات حتى تكون قادرًا على استخدامها للإجابة على أسئلة بحثك أو اختبار فرضك. وتعني معالجة البيانات عدداً من الأمور:

- 1 - فهي تعنى التأكيد من أن البيانات مكتملة.
 - 2 - وتعنى الوصول إلى أن تعرف بياناتك حق المعرفة، فتصبح - حقاً - على دراية تامة بما وصلت إليه من بيانات.
 - 3 - وتعنى نجاحك في تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك لتكون قادرًا على أن تجد ما تريده عندما تحتاج إليه.
 - 4 - وتعنى أيضًا تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك على الإفاده منها في خدمة بحثك.
 - 5 - وتعنى أن تصمم خطة التحليل التي ستسير على نهجها من أول البحث حتى نهايته، كما يمكنها تزويدك بالأساس الذي تبني عليه سجلًا كاملاً لعمليات التحليل.
- وهناك عدد من الطرق لمعالجة البيانات، يعتمد بعضها على نمط البيانات التي تعالجها، كما يفيدك بعضها الآخر في معالجة مجموعة من مختلف أنماط البيانات. وحتى إن كانت بياناتك كمية كلها أو كيفية كلها، فإننا نرى أنك ستجد من المفيد لك أن تستوفى قراءة هذا الفصل كله، أو معظمه.

طبيعة البيانات ومعالجتها

حاولنا في الفصل الثالث من الباب الأول إلقاء نظرة على طبيعة البيانات. وأشارنا في حينه إلى أن البيانات التي يمكننا جمعها وتحليلها كباحثين اجتماعيين يمكن أن تتسم بالصفات التالية:

- أن تكون مكتوبة أو منطقية أو غير لفظية.
- وأن تكون منصبة على الواقع أو القيم.
- وأن تكون بياناتك مفترة / أو شبه مفترة / أو غير مفترة.
- وأن يكون لها مضمون ومعنى (أي هدف وقصد).
- وأنه يقوم بإنتاجها فرد أو جماعة.
- وأن تكون بيانات تأملية ينتجها الباحث الاجتماعي نفسه.
- وأن تكون بيانات أولية قام الباحث بجمعها، أو بيانات ثانوية تم إنتاجها لغرض آخر.

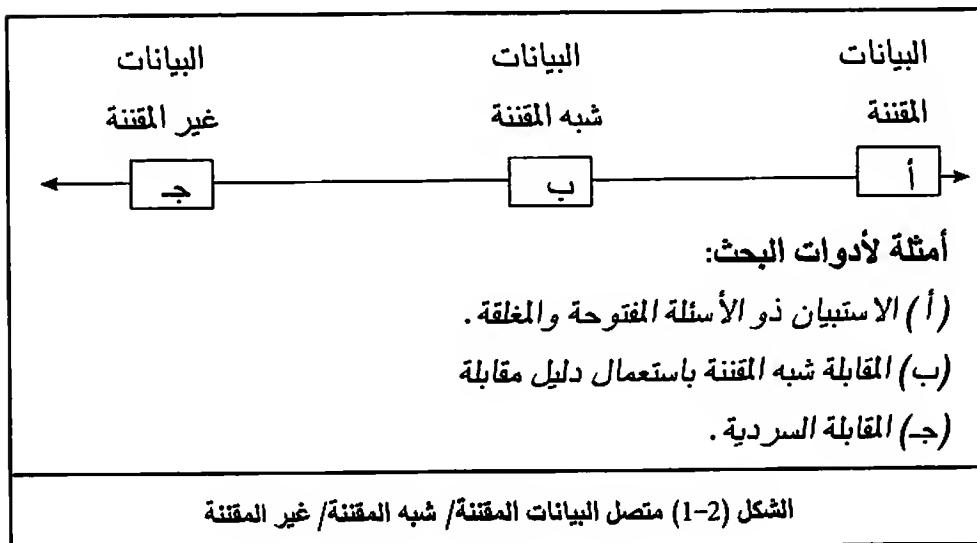
واستعرضنا في الباب الثالث عدداً من الطرق المختلفة لجمع البيانات والتقنيات التي يمكن استخدامها للتأكد من أن البيانات تمثل تعبيراً دقيقاً عن الواقع الاجتماعي الذي ندرسه، وأنها ستؤدي في الإجابة عن أسئلة بحثنا أو اختبار أحد الفروض.

والآن يتوجب عليك أن تدخل في حسابك طبيعة البيانات التي جمعتها من حيث مدى قدرتك على معالجتها للإجابة على أسئلة البحث المذكورة. والقضايا الرئيسية التي يتوجب علينا أن ندخلها في اعتبارنا هنا هي قضية : ما إذا كانت بياناتك مكتملة و ذات ثبات منهجي ، وقضية : كيف يمكنك البدء في تنظيم هذه البيانات حتى تستطيع استخدام مختلف تقنيات التحليل لمساعدتك في استكشاف وتفسير الظاهرة الاجتماعية التي تقوم بدراستها. من المفيد ابتداء أن تفك وفقاً لما إذا كانت البيانات التي جمعتها بيانات مقتنة / أو شبه مقتنة / أو غير مقتنة ، لأن ذلك يؤثر على أساليب التحليل التي سوف تتبعها في معالجة بياناتك.

البيانات المقتنة

المعتاد أن يتم جمع البيانات المقتنة باستعمال استبيان أو نموذج آخر مقتن يطرح مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بفرد ما أو موقف معين . وتنقسم البيانات المقتنة بالخصائص الأساسية التالية :

- (أ) توجه نفس الأسئلة لكل مشارك أو لكل حالة .
- (ب) وتفتقر إلى الأصول أن توجد مجموعة مشتركة من الإجابات لكل سؤال .



تفتضي طبيعة البيانات المقنة أن تكون أساليب التحليل الأشعّي استعمالاً قائمة على أساس إحصاء عدد الحالات التي لها سمات معينة أو إجابات معينة. وتعتمد التقنيات الإحصائية المتأخر لـك استخدامها على اتساق الأداة التي استخدمتها في جمع البيانات. ويعنى ذلك بعبارة أخرى أن: هذه البيانات قد تم جمعها بطريقة موحدة بالنسبة لكل المشاركين أو لكل الحالات.

البيانات شبه المقنة وغير المقنة

في حين يندر - بل يكاد يستحيل - ألا يقوم الباحث أو المشارك بتقنين البيانات، فإنه توجد درجات مختلفة من تقنين البيانات على امتداد متصل (فصل 1 باب 3) يبدأ بالبيانات المقنة وينتهي بالبيانات غير المقنة.

وعادة ما تتصف البيانات التي يتم جمعها باستخدام الطرق شبه المقنة وغير المقنة إلى حد ما؛ عادة ما تتصف بالسمات التالية:

(أ) قد لا تصاغ الأسئلة دائمًا بنفس الطريقة، كما قد تستعمل أشكال مختلفة من أسئلة المتابعة وتقييم الموضوع والأسئلة المحفزة (وهي العبارات التي تشجع المشارك على الاستفاضة في الكلام) التي تستخدم بما يناسب كل موقف على حدة.

(ب) تباين وتتنوع الإجابات التي تقال ردًا على الأسئلة.

(ج) غالباً ما تدون الإجابات التي تقال ردًا على الأسئلة من واقع كلمات المشاركين (أو أفعالهم).

(د) قد تختلف البنية العامة للبيانات من حالة لحالة، من ذلك مثلاً أن الأسئلة قد تطرح وفق ترتيب مختلف، وقد لا يتم الإجابة على بعض الأسئلة في كل حالة.

إن طبيعة البيانات شبه المقنة تقتضي أن تكون أساليب التحليل المتاحة لك قادرة على معالجة البيانات التي تنسق بالتنوع، وكثيراً ما تكون شاملة ومصوّفة في تشكيلة متنوعة من القوالب. يضاف إلى ذلك أنه يجب أن يتيح لك أسلوب التحليل معالجة البيانات بنفس الصورة التي جمعت فيها، مثل الكلمات كما نطق بها المشارك أثناء المقابلة. وغالباً ما تسمى هذه البيانات بالبيانات الخام (انظر قائمة المصطلحات).

الإعداد لتحليل البيانات

تقدم هذه الفقرة عدداً من التقنيات التي ستفيدك وأنت تستعد لتحليل بياناتك، وذلك في كل حالة تسعى فيها لإعداد البيانات المقنة والبيانات شبه المقنة.

عليك أن تكون على اطلاع تام على البيانات

قد يبدو غريباً إلى حد ما أن يقال إنك ستكون «غير مطلع» على بيانات بحثك الذي تقوم به أو لست على ألفة بها. ومع ذلك، فإن العملية البحثية نفسها يمكن أن تستغرق شهوراً قليلاً في الحد الأدنى، فوق أنها يمكن أن تكون على جانب كبير من التعقيد، وذلك بسبب ما يحدث من أمور مختلفة بشكل متزامن. ولا ريب أنك تواجه في حياتك أموراً من هذا القبيل أيضاً. يضاف إلى هذا أنك قد تجد - كذلك - أن تصورك الخاص لدراستك البحثية يتطور، أو ربما يتغير، أثناء الوقت الذي تستغل فيه بالقراءة وجمع البيانات، والبدء في معالجة هذه البيانات.

إذا كنت قد جمعت بياناتك باستعمال نموذج مقتن، فربما تكون قد تصرفت بهذا الشكل بدون أي لقاء شخصي مباشر (كاللقاء وجهاً لوجه) مع المشارك أو مع موقف الحال. في هذه الحالة قد تكون تواقاً إلى الاطلاع على الإجابات التي تصل إليك في الردود الأولى، ولكنك قد تجد، رغم ذلك، أنه كلما يصل إليك المزيد من الردود، يقل الوقت المتاح لك كما يقل ميلك لقراءة كل رد على حدة، وهكذا يمكن أن يكون حماسك الطبيعي (أو افتقادك لهذا الحماس!) عاملًا مؤثراً على عملية معالجة البيانات.

وفي مقابل ذلك، فإنك إن كنت قد جمعت بياناتك بنفسك مستعملاً، مثلاً، طريقة المقابلة، أو جماعات المناقشة، أو الوثائق، فقد تشعر أنك تعرف - بالفعل - بياناتك معرفة جيدة لأنك كنت حاضراً أثناء جمعها. إلا أنك قد تجد، مع ذلك، أنه كلما أجريت المزيد من المقابلات أو قرأت المزيد من الوثائق، قلت قدرتك على تمييز كل واحدة منها عن الباقيين، كما أن النقاط المهمة التي وضعتك يدك عليها في المقابلة الأولى قد طواها النسيان كلما أضيف إليها المزيد والمزيد من البيانات.

من الأهمية أن تعاود الاطلاع على بياناتك عندما تبدأ تحليلك، كما يوجد أمران ستجد أنهما مفیدان لك، سواء أكانت بياناتك مقتنة أو شبه مقتنة هما:

1 - استوف قراءة جميع الاستبيانات، والنصوص المنسوبة (أي: المنشورة من تسجيل صوتي، مثلاً، إلى نص مكتوب) ولاحظاتك الميدانية عن البحث (أما في حالة ما إذا كنت قد سجلت مادة تليفزيونية أو مادة صوتية مسموعة، فعليك أن تقوم بمعاودة مشاهدة المادة المصورة تليفزيونياً ومعاودة الاستماع للمادة المسموعة) حتى يتوافق لك إحساس جيد بما هو موجود لديك.

2 - اكتب مذكرات موجزة (انظر فصل 2 باب 3، والفصلين 4 و8 من هذا الباب) لنفسك وأنت تقرأ، مع الاهتمام بكتابة ملاحظات عن:

(أ) أي شيء ترغب في العودة إليه أو مراجعته، مثال ذلك: المعلومات الناقصة، أو حالات عدم الاتساق أو الكتابة المستغلقة التي تتعذر قراءتها، أو التسجيل الصوتي الذي يتغدر سماعه بوضوح.

(ب) التعليقات، والإجابات، والتمحיתات الشبيهة (عندما تقول لنفسك: هذا شيء مثير للانتباه!) دونها لترجع إليها لاحقاً.

(ج) التحليل الذي ترغب في القيام به، والأسئلة التي تريد أن تدخلها في اعتبارك، والجدال الذي ترغب في إعدادها، والعلاقات التي ترغب في استكشافها.

تأكد من أن بياناتك مكتملة ومسجلة تسجيلاً دقيقاً

قبل أن تبدأ معالجة بياناتك يلزمك أن تتأكد من أنها مكتملة ودقيقة بقدر الإمكان. فحتى البحث المعد إعداداً في غاية الجودة والمصمم تصميمها كاملاً قد يتعرض لبعض المشكلات الصغيرة المتعلقة باستيفاء البيانات ودقتها، لهذا يجب أن تكون في هذه المرحلة متتبهاً للمشكلات المحتملة ولكيفية مواجهتها. في أثناء قراءتك لبياناتك من أولها لآخرها بقصد إعادة الاطلاع عليها وإدراكها من جديد، قد تجد بعض صور التضارب أو عدم الاتساق، أو تكتشف نقص بعض المعلومات. حينئذ، يتوجب عليك أن تراجع بياناتك من أولها لآخرها بعناية، وأن تتحذذ بعض القرارات المتصلة بما يتعين عليك عمله. وتحاول القرارات الفرعية التالية أن تتناول معظم المواقف التي يغلب أن تواجهها في مشروعك البحثي.

مراجعة الاستبيانات

محددات الهوية

يحتاج كل استبيان أو حالة إلى محدد هوية مقرر. يحدث أحياناً أن يختار هذا المحدد قبل جمع البيانات عن طريق ترقيم الاستبيانات أو النماذج قبل استخدامها. فإن لم يتم هذا الاختيار، فينبغي حينئذ إعطاء محدد هوية لكل مصدر من مصادر البيانات في هذه المرحلة. وقد يحتوى محتوى محدد الهوية نفسه على بعض المعلومات. مثال ذلك، أن جميع الاستبيانات الواردة من أفراد يعيشون في لندن قد تبدأ برقم (1) (فترقم هكذا: 101، 102، 103، إلى آخره) وتبدأ الاستبيانات المتنقلة من برنجهام برقم (2) (فترقم هكذا: 201، 202، 203، إلى آخره). فمن شأن ذلك أن يسهل تحديد وتصنيف المكان الذي أنت منه الاستبيانات، كما أن يأخذ بعين الاعتبار، مثلاً، تحليل هاتين الجموعتين من الاستبيانات بصورة مستقلة.

ذلك ينبع في هذه المرحلة إزالة أي معلومات يمكن أن تكشف هوية أي فرد، أو أي جماعة أو أي مؤسسة بالاسم. (فصل 5 باب 1). غالباً ما يحفظ الباحث بهذه المعلومات

لتمكنه من الرجوع إلى محوثيه (في حالة ما إذا رغب ، مثلا ، في ضمهم إلى بحث تال ، أو ليخبرهم أنهم قد فازوا بجائزة إن كان يستخدم نوعا من أنواع سحب الجوائز لتشجيع الأفراد على المشاركة في البحث). ولضمان تحقق السرية وإخفاء الهوية ، لابد من الاحتفاظ بأى معلومات تدل على هوية الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات بمعرض عن البيانات نفسها ، مع إمكان ترقيمها بنفس محدد الهوية المذكور بحيث يستطيع الباحث (والباحث وحده) أن يضاهي المعلومات المحددة للهوية بهذه البيانات.

ما العمل مع الأسئلة أو المعلومات الناقصة؟

توجد ثلاثة أسباب رئيسية لاحتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة.

جدول (1-2) : أسباب احتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة.

التصرف	المشكلة
في هذه الحالة يكون المبحوث على حق في عدم إجابته على هذا السؤال ، كما يمكن حينئذ تسجيل إجابة من النوع المسمى « لا ينطبق » .	١- ربما يكون هذا المبحوث قد تم استبعاده (فصل ٣ باب ٣) من هذا الجزء من الاستبيان عند طرح سؤال سابق .
في هذه الحالة يتوجب إثبات أن المبحوث لم يجب على السؤال ، والغالب أن يستعمل كود ٩٩ (انظر أدناه). إن لم يجب على هذا السؤال عدد كبير من المحوثين ، فينبغي عليك النظر في الفقرة ٣ أدناه .	٢- ربما لم يجب المبحوث على هذا السؤال (خطأ أو عمدا)
في هذه الحالة يتوجب عليك التفكير فيما إذا كنت ستتمكن من استخدام الإجابات على تلك الأسئلة في تحليلك أم لا ، وذلك لأن صدق هذه البيانات (فصل ٣ باب ١ ، فصل ٣ باب ٣) يكون محل شك في هذه الحالة.	٣- قد يكون السؤال ، أو التعليمات المصاحبة له ، قد صيغت في عبارة ملتبسة المعنى ، أو بأسلوب غير صحيح أو غير لائق ، الأمر الذي أدى إلى قيام عدد ملحوظ من المحوثين بإغفال هذا السؤال .

ما العمل مع الإجابات الجزئية أو المبتسرة؟

إن حدث أن أجاب المبحوث على أسئلة استبيان أو نموذج بيانات بصورة جزئية ، فربما يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب ، كما يكون عليك أن تمعن النظر في النقاط التي ذكرناها أعلاه ، والتفكير في احتمال وجود أسباب أدت إلى غياب المعلومات

بالنسبة لقسم كبير من الاستبيان . قد يكون السبب راجعاً إلى أن طول الاستبيان حال دون مشاركي بحثك والإجابة عليه بالكامل ، أو أنهم لم يكونوا راغبين في الإجابة على سؤال معين أو إلى قسم معين من الاستبيان لأنه يتناول - مثلاً - موضوعاً حساساً ، ولهذا قرروا ألا يجيبوا على الاستبيان بعد هذه النقطة (وذلك بالرغم من أنك قد لا تعرف أبداً لماذا حدث هذا - وهو أحد الإحباطات الكبرى التي يمكن أن تواجهها أثناء إجراء البحث الاجتماعي !) . ويتوقف نوع تصرفك في هذه البيانات على ما يلى :

- عدد الحالات .

- الأسباب الممكنة لعدم استكمال بعض الإجابات .

- مدى إمكان استخدام هذه البيانات ، فقد تستخدمها في الإجابة على جزء من أسئلة بحثك . وفي هذه الحالة يجب عليك أن توضح ، عند كتابة تقرير بحثك ومناقشة نتائجك ، أن هذا هو وضع هذه البيانات .

عند هذه المرحلة سيكون عليك أن تقرر : إما أن ترفض بعض الاستبيانات التي لم يتم الإجابة عليها بشكل كامل ، أو أن تضمن المعلومات الجزئية في تحليلك .

البيانات غير المتتسقة

ستجد أحياناً أن المعلومات التي قدمها أحد المبحوثين في استبيان أو مقابلة ، مثلاً ، تتسم بالتضارب أو عدم الاتساق . وقد يحدث ذلك مع البيانات المتعلقة بالواقع والبيانات المتعلقة بالقيم ، وقد يتعدى على الباحث أن يقرر ماذا يفعل إزاء هذا الوضع . من ذلك مثلاً أن يدلّي أحد المبحوثين بأن تاريخ ميلاده هو سنة 1990 ، ولكنه يُسجل أيضاً أن عنده أطفالاً مولودين سنة 2000 . يمكن أن يرجع هذا النطء من التضارب إلى عدد من الأسباب . فقد يكون أحد تاريخي الميلاد المقدمين (أو كلاهما) غير صحيح ، أو ربما قرئ خطأً أو سمع خطأ . أو ربما أساء المشاركفهم السؤال وسجل أشقاءه وشقيقاته ومن يعيشون معه باعتبارهم أبناءه ، أو ربما كان يقصد أطفال شريك حياته (من زوجة أخرى سابقاً) .

كما هو الحال في تعاملك مع المعلومات الناقصة ، سيكون عليك هنا أن تمعن النظر في الأمور التالية :

- هل بالإمكان مراجعة هذه البيانات بطريقة ما (ربما عن طريق الرجوع إلى أسئلة أخرى وردت عنها إجابات تحتوى على معلومات عن هؤلاء الأطفال ، أو عن طريق الاتصال بالبحوث شخصياً) .

- ما مدى حدوث أشكال مشابهة من التضارب في إجابات أخرى ، من عدمه؟

- ما مدى إمكان الاستفادة بهذه البيانات في بحثك ، من عدمه؟

وقد تتبين أيضاً أن بعض المبحوثين قد قدموا لك إجابات تبدو لك منضارة، ولكنها كانت إجابات على أسئلة تطلب منهم رأياً أو حكماً فقيهاً. فقد يقول أحد المبحوثين مثلاً:

أحب تناول رقائق البطاطس المقليّة في
معظم الأيام، ولن يعني أي كلام
تقوله المربّية من تناول أصناف الطعام
التي أحبها.

أعتقد أنتي ملزّم بنظام
حميّة غذائيّة صحّية جداً

مثل هذا الأمر متّير للانتباه ولاشك. ومع أن هاتين العبارتين تبدوان منضادتين، فإنه يتّعّن على الباحث أن يمعن النظر في كيفية فهم المبحوث للأسئلة التي طرحت عليه، ناهيك عن إمعان النظر فيما هو أهم: وهو كيف يمكن تأويل هذه الأجوبيّة؟ كما ينبغي على الباحث أن يفتش عن الأنواع الأخرى من الآراء المشابهة، وال المختلفة التي يطرحها المشاركون الآخرون.

مراجعة المقابلات المسجلة وجماعات المناقشة والنصوص المدونة محدّدات الهويّة

يمكن أن تتّسّع البيانات الكيفيّة، ومن الممكن أن تقوم، مثلاً، بجمع عدد من مختلف أنماط البيانات المتعلقة بشخص معين، أو موقف معين (بما في ذلك ملاحظاته الشخصية). ستجد من المفيد أن يكون لديك نظام واضح لتحديد الهويّة، حيث يعطي كل مصادر بيانات محدد خاص للهويّة. كما يمكنك أن تأخذ في الاعتبار ما إذا كنت ستتضمن في محدد الهويّة هذا بعض المعلومات التي إما أن تدل عن مصادر البيانات (كأن تضع نظاماً يشير إلى جنس المشارك، فتقول مثلاً 1 F ، 2 F ، 3 F للدلالات على الأنثى). وكذلك تقول: 1 M ، 2 M ، 3 M للدلالة على الذكر).

وإما أن تقوم هذه المعلومات بتوضيح كيفية ارتباط المصادر المختلفة للبيانات. مثال ذلك أنه قد يكون لديك عدد من المقابلات الفردية وجماعة مناقشة، وبعض الوثائق، بجانب ملاحظاتك الشخصية التي استخرجتها من كل مؤسسة من ثلاث مؤسسات، وملاحظاتك الشخصية التي استخرجتها من كل مجموعة من الوثائق، كما يمكن تحديد هويّة كل مجموعة من الوثائق بوضع بادئة حرفية (أبجدية) لها، أو بادئة رقمية، وعلامة تدل على نمط البيانات، فيكون محدد الهويّة 3 ج ن يعني بالتفصيل كما يلى: 3 (المؤسسة

رقم 3)، ج ن (جماعة مناقشة)؛ ويكون محدد الهوية 3 و 4 معناه بالتفصيل هكذا: 3 معناها (المؤسسة رقم 3) ومعناها (مصدر البيانات : وثيقة)، 4 معناها (الوثيقة رقم 4).

عندما يكون لديك كميات ضخمة من البيانات الكمية، التي يجب معالجتها، فمن الأهمية غالباً - أن تكون قادراً على معرفة مصدر هذه البيانات بسهولة، وإذا كنت تستخدم برنامج حاسب لمساعدتك في معالجة هذه البيانات فسيكون بوسنك أن تربط بسهولة محدد الهوية هذا (وأى : الوثيقة رقم 9) بأى بيانات موجودة داخل هذا المصدر من مصادر البيانات (انظر الفصل التاسع).

أما بالنسبة لاستيفاء الإجابة (على أسئلة الاستبيانات مثلًا)، فينبع عليك أيضاً أن تتأكد من ربط المعلومات المتعلقة بمتنى وأين جمعت البيانات وبين جمعها بكل مصدر من مصادر البيانات.

مراجعة السجلات

إن كنت قد نفذت بنفسك طرقاً لجمع البيانات مثل المقابلات، وجماعات النقاشة، والللحاظة، فالغالب أنك ستكون متبنهاً للمشكلات المحتملة في تسجيل البيانات المباشرة وبشكل فوري. ومن المستصوب هنا بعد كل جلسة جمع بيانات أن تخصص وقتاً لمراجعة عملية التسجيل (سواء أكان تسجيلاً سمعياً أم بصرياً أو فلماً، أم كان ممثلاً في ملاحظاتك الخاصة). وحين يقوم شخص آخر بجمع البيانات أو تزويدي بها (كما يحدث مثلاً حين يقوم شخص آخر بإدارة جماعات مناقشة، أو حين يقوم المشاركون بتدوين مذكرات يومية)، فإنه ينبغي عليك حينئذ أن تتأكد من أنك تخصص لنفسك وقت لمراجعة هذه البيانات من حيث الاستيفاء والدقة بمجرد تلقيك لها قدر الإمكان.

الجدول (2-2): مراجعة السجلات

المشكلة	التصرف
التسجيل الناقص أو المتعذر سماعه	<p>حدد أولاً حجم المشكلة:</p> <ul style="list-style-type: none"> إن كان قدر كبير من التسجيل غير صالح للاستخدام أو ناقص أصلاً، فانظر إن كان من الممكن جمع هذه البيانات مرة ثانية. إن كانت الملاحظات التي كتبها الباحث (وذكرته) حاضرة، فانظر هل يمكن ملء فجوات التسجيل ببيانات مأخوذة من الملاحظات ويجب تمييز هذه البيانات بصفتها هذه بأنها مأخوذة من الملاحظات، في أي نسخة مدونة من واقع هذا التسجيل. فكر في مقابلة مصدر هذه البيانات (المبحوث الذي تمت مقابلته مثلاً) لترابع معه البيانات الناقصة وتسكملها. <p>تأكد من أن هذه المشكلة لن تحدث في جلسات جمع البيانات في المستقبل، وذلك براجعتك لمعدات التسجيل وأوضاعها (فصل ٢، باب ٣).</p>

<p>ابداً بتحديد حجم المشكلة:</p> <ul style="list-style-type: none"> • فكر في إعادة كتابة الملاحظات ومراجعة أي تسجيل آخر أو استئنارة ذاكرتك. • فكر في مقابلة مصادر هذه البيانات (كالمجروث الذي تمت مقابلته مثلاً) لتراجع معه البيانات الناقصة. 	عدم وجود ملاحظات عند الباحث، أو وجود ملاحظات غير دالة أو غير مفهومة.
<p>احرص على ألا يحدث هذا في الحالات القادمة، وذلك عن طريق تحسينك لمهاراتك في تدوين الملاحظات (فصل ٢ باب ٣) وتخصيصك لوقت ما بعد كل جلسة جمع بيانات لاستكمال ملاحظاتك.</p>	

تنظيم بياناتك

بدء تنظيم البيانات الكمية

البيانات المقمنة هي بالضبط : تلك البيانات المقمنة من قبل وفقاً للطريقة التي سبق أن جمعت بها. لذلك ، قد يوجد قليل من الجهد الإضافي الذي يتبع عليك بذلك حتى يجعلها جاهزة لعملية التحليل . وقد لا تزيد هذه العملية عن كونها إحصاء لعدد الأفراد الذين قدمووا كل إجابة لكل سؤال ورد في الاستبيان ، أو إحصاء عدد مرات حدوث واقعة معينة أو عدد مرات استعمال كلمة معينة.

بحث

في هذه المرحلة ينبغي عليك أن تمعن النظر فيما إذا كنت مستعداً لاستعمال حزمة برامجيات لمساعدتك في التحليل ، إذ إن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلاً في إدخال البيانات وتحضيرها للتحليل (فصل ٩ من هذا الباب).

وأيا ما كان الأمر ، فإن أبسط عمليات التحليل تحتاج إلى وصف واضح لما يجري إحصاؤه وحسابه . وإذا كان التحليل يتطلب عمليات إحصائية أكثر تعقيداً ، فمن الأهمية أن تكون قادراً على أن تميز بوضوح تلك البيانات التي بدأت بها . ولكن تكون قادراً على عمل ذلك يتوجب عليك أن تلقى نظرة فاحصة على كل مجموعة من الإجابات التي أجبت بها على أحد الأسئلة ، أو على كل نشاط قمت بتسجيله (كمقابلة أو جماعة مناقشة مثلاً) ، وأن تخصص له اسمًا مميز له . وعادة ما يسمى هذا الاسم «متغيراً» ، والسبب في ذلك أن لكل سؤال مجموعة من الأجروبة المختلفة أو المتنوعة . فالمتغير هو الاسم الذي يطلق على تلك المجموعة من الأجروبة .

العرف المألوف هنا أن تبدأ بإعطاء أسماء «متغيرات» لكل سؤال من الأسئلة التي لديك إجابات عنها، أو لكل نشاط من الأنشطة التي أحصيتكها.

المثال رقم (1-2)

المتغيرات والأكواود

اسم المتغير	الكود				
الجنس	١ ٢	<input type="checkbox"/> <input type="checkbox"/>	ذكر أنثى		هل أنت
العمر	١ ٢ ٣ ٤	<input type="checkbox"/> <input type="checkbox"/> <input type="checkbox"/> <input type="checkbox"/>	٢٥ - ١٦ ٤٥ - ٢٦ ٦٥ - ٤٦ أكثر من ٦٥		ما عمرك

عندما تفك في ما تأكله في يوم عادي، فهل يمكنك أن تقول إن غذائك يعتبر
الغذاء
(ضع علامة في الصندوق المناسب):

صحي جدا	صحي بدرجة معقولة	لا هو صحي ولا غير صحي	غير صحي إلى حد ما	غير صحي للغاية
٥	٤	٣	٢	١

لا ريب أن بإمكانك أن تقوم بترقيم المتغيرات : المتغير رقم 1 ، والمتغير رقم 2 ، وهكذا، إلا أن بعض الأفراد يجدون أنه من المفيد استعمال أسماء للمتغيرات مثل : العمر، الجنس ، إلى آخره ، لتنكيرهم بما يعنيه المتغير أو بما يتصل به من موضوعات. سوف يوجد بالنسبة لكل متغير مجموعة من الأجرة أو السمات: وهذه المجموعة هي البيانات التي ستحتاج إلى معالجتها ، وهكذا تحتاج كل إجابة أو سمة إلى قدر من التحديد. وعند معالجة البيانات المقيدة يسمى هذا العمل تكويداً، وذلك لأن «الكود (أى: محدد هوية) يضاف إلى كل إجابة ويرتبط بها» (انظر قائمة المصطلحات).

وعادة ما يستعمل نظام للترقيم في تكوييد أو ترميز الإجابات ، وذلك كما هو مبين في نموذج الاستبيان أعلاه. بالنسبة لكل اسم متغير ستجد سلسلة من الأكواود والأجرة أو السمات التي تمثله. وبالنسبة لكل متغير ، يمكن إحصاء عدد الأفراد الذين أعطوا كل إجابة وهذا يسمى التكرار (انظر قائمة المصطلحات) - أى عدد المرات - التي أعطيت بها كل إجابة على حدة .

الأكواود المتعددة

يمكن لبعض الأسئلة أن تستفسر عن أكثر من إجابة واحدة (انظر المثال رقم 2-2). في هذه الحالة يوجد أكثر من متغير واحد مرتبط بالسؤال. وبإمكانك أن تعتبر كل واحد من الأطعمة المذكورة في القائمة متغيراً، وتعطى الكود (1)، لكل متغير عليه علامة تدل على اختيار المشارك لهذا النوع من الطعام، أو تعطيه الكود (2)، إذا لم يكن عليه علامة الاختيار. حينئذ يمكنك إحصاء عدد الأفراد الذين يأكلون - على سبيل المثال - رقائق الحبوب أكثر من مررتين في الأسبوع.

المثال (2-2)

سؤال متعدد الأكواود
أى هذه الأطعمة تأكله أكثر من مررتين في الأسبوع؟
(ضع علامة على الأطعمة التي ينطبق عليها هذا الكلام)

اسم الكود	الكود	رقائق الحبوب
ح	١ أو ٢	الخبز
خ		الفاكهة الطازجة
ف ط		الخضروات الطازجة/ المجمدة
خ ط م		البيض
ب		اللحم
ل		السمك
س		

توجد طريقة أخرى للتعامل مع الأسئلة التي لها عدد من الأجبوبة، ويمكن لهذه الطريقة أن تكون مفيدة عند تكويد الأسئلة المفتوحة (انظر فيما بعد)، في هذه الحالة يتم تخصيص عدد من المتغيرات - كالمتغير المسمى «الرأي 1»، «الرأي 2»، «الرأي 3» إلى آخره - لسؤال معين. وتستعمل نفس مجموعة الأكواود مع كل متغير من المتغيرات كما هو مبين في المثال (رقم 2-4).

استحداث متغيرات جديدة

أثناء تخطيطك وتطويرك لتحليلك قد تجد أنك بحاجة إلى استحداث متغيرات جديدة عن طريق ربط بعض الأجرية باثنين أو أكثر من الأسئلة، أو عن طريق ضم الأجرية التي أجبت بها على سؤال واحد. فبإمكان هذا الإجراء أن يساعدك على استكشاف العلاقات القائمة بين الأسئلة المختلفة وعلى تطوير تحليلات أشد تعقيداً. من المعاد أن يكون للمتغيرات الجديدة مجموعة من الأكوا德 التي تحدد الطريقة التي يتم بها ربط البيانات المأخوذة - في بعض الحالات - من سؤالين أو أكثر (انظر المثال رقم (3-2)).

يمكن أن تجد أبسط شكل للمتغير الجديد حيث يتم تجميع أو ربط الأسئلة التي أجبت بها على سؤال واحد بهدف تبسيط التحليل. مثال ذلك، أنه ربما تكون قد سألت المشاركين أن يذكروا أعمارهم بالسنوات، ولكنك لا ترغب في تحليل سائر بياناتك تبعاً للأعمار المحسوبة بالسنوات الفردية (أي المحسوبة سنة سنة)، لذلك يلزمك أن تستحدث متغيراً جديداً يضم هذه الأعمار داخل فئات عمرية مختارة لتعكس اهتمامك بأوجه الاختلاف أو أوجه التشابه بين أفراد كل فئة أو مجموعة عمرية.

فكرة هذا الموضوع

يمكنك ضم الأجرية الواردة في المثال رقم (1-2) الذي عرضناه فيما سبق. فالمتغير المسمى «الغذاء» يمكن تبسيطه عن طريق ربط الكود رقم (1) بالكود رقم (2)، وربط الكود رقم (4) بالكود رقم (5)، لإعطاء متغير أبسط يبين ما إذا كان الأفراد يرون أنهم يتناولون غذاء «صحيًا» أو غذاء غير «صحي».

المثال رقم (3-2)

استحداث متغير جديد

لنفترض أنك رغبت في معرفة ما إذا كان الرجال يأكلون غذاء أكثر صحية مما تأكله النساء، ولكنك كنت إلى جانب ذلك تشك في مدى وجود اختلافات في الطريقة التي يأكل بها الأفراد في المراحل المختلفة من حيوانهم. قد يكون مفيداً أن تستحدث متغيراً جديداً يربط متغير الجنس بمتغير العمر كالتالي:

الاسم الجديد للمتغير = «جنس / عمر» GENAGE

الأكواود

- الرجال / من سن 16 - 25 سنة = 1
 الرجال / من سن 26 - 45 سنة = 2
 الرجال / من سن 46 - 65 سنة = 3
 الرجال / فوق سن 65 سنة = 4
 النساء / من سن 16 - 25 سنة = 5
 النساء / من سن 26 - 45 سنة = 6
 النساء / من سن 46 - 65 سنة = 7
 النساء / فوق سن 65 سنة = 8
 غير مبين = 9

يمكنك بعد ذلك البدء في استكشاف ما إذا كان الرجال والنساء ذوو المجموعات العمرية المختلفة، مثلاً، يرون أنهم يتناولون غذاء صحيًا «أم لا» عن طريق استخدامك لتبويب مزدوج بسيط للمتغيرين جنس/عمر × الغذاء GENAGE x DIET

غير صحي للغاية	غير صحي إلى حد ما	غير صحي ولا غير صحي	لا هو صحي ولا غير صحي	صحي بدرجة معقولة	صحي جدا	العمر والجنس كمتغيرين مضري وبين في متغير الغذاء (%)
						الرجال: من سن ٢٥-١٦ سنة من سن ٤٥-٢٦ سنة من سن ٦٥-٤٦ سنة فرق ٦٥ سنة إجمالي الرجال
						النساء : من سن ٢٥-١٦ سنة من سن ٤٥-٢٦ سنة من سن ٦٥-٤٦ سنة فرق ١٥ سنة إجمالي النساء
						الإجمالي الكلي
						غير مبين

تقويد الأسئلة المفتوحة

يحتوى كثير من أدوات جمع البيانات المقيدة أو نماذجها على أسئلة مفتوحة (فصل 3 باب 3). وهذه الأسئلة ليس لها مجموعة من الأجوبة المحددة سلفاً، بل هي تتيح للمشارك أن يقدم أجوبته الشخصية، والتي تكتب غالباً بنفس الكلمات التي نطق بها المشارك

شخصياً. لكي تكون قادراً على معالجة هذه البيانات مستعملاً التحليل الإحصائي (والذى يعتمد على القدرة على إحصاء عدد الأفراد الذين قالوا شيئاً ما أو عملوا عملاً ما)، يجب تصنيف البيانات المأخوذة من أجوبة الأسئلة المفتوحة إلى أنماط مختلفة حتى يمكن تطبيق أحد الأكواب على كل نمط منها. غالباً ما تحتوى الإجابة على أكثر من فكرة أو حكم، وبذلك يخصص لها أكثر من كود واحد، كما أن الأسئلة تكون لهذا السبب متعددة الأكواب.

في المثال رقم (4-2) الوارد أدناه، سيتم تخصيص مجموعة من المتغيرات - والتي منها مثلاً المتغير المسمى INFL1 (الدال على وجود عنصر واحد من عناصر التأثير على اختيار المشارك للغذاء)، والمتغير المسمى INFL2 (الدال على وجود مؤثرتين اثنين على اختيار الغذاء، والمتغير المسمى INFL3 (الدال على وجود 3 مؤثرات على اختيار الغذاء؟؛ نقول: سيتم تخصيص مجموعة من المتغيرات لتسمية هذه العوامل المؤثرة على اختيار الغذاء)، كما أن من خُصص لأجوبتهم كود واحد (كالإجابة G) سيكون لهم كود واحد يخصص للمتغير المسمى INFL1 الدال على وجود عامل واحد مؤثر على اختيار الغذاء)، بينما من خُصص لأجوبتهم كودان أو أكثر (مثل الإجابة 'A') سيكون لهم كودان يخصصان للمتغير، أو ثلاثة أكواب تخصص للمتغير INFL3 إلى آخره. (أى إن كل كود سيعطى رقماً مماثلاً لعدد المتغيرات التي تؤثر على اختيار المشارك لنوع الغذاء).

المثال رقم (4-2)

تقويد الأسئلة المفتوحة

إليك بعض الأسئلة التي أجبت بها على هذا السؤال :
ما الأشياء التي تؤثر على ما تتناوله من غذاء؟

الأكواب	
١ ، ٢	(أ) أذهب إلى محلات العروض الخاصة للأغذية للحصول على أرخص العروض التي أقدر على دفع ثمنها في العادة ، ولكنني أراجع - بالفعل - بعض الأمور : مثل ما يحتوى عليه الغذاء من السكر ، كما أن من عادتنا تناول الكثير من الفاكهة. حينما يكون لديك أطفال تكون هذه الأمور هامة .
٣	(ب) ليس لدى وقت كثير للتفكير في هذا الموضوع ، لذلك أكتفى بالنظر إلى ما في الثلاجة أو أذهب لتناول البطاطس المقلية .

٩	(ج)
٧	(د) أرى - في الواقع - أن هذا الأمر المؤثر في اختياري للغذاء هو الطريقة التي رببت بها. فقد كانت أمي تطبخ طعاماً جيداً على الدوام، كما كانت تطبخ لحماً و خضروات، لذلك أحارو أن أفعل نفس الشيء.
١ ، ٨	(هـ) أنا بنيتي، كما أنتي حريص جداً فيما أكله - فلابد أن يكون طعاماً عضويًا إن أمكن ^(٤) . كما أنتي أتناول مقادير كبيرة من الخضروات.
(*) الطعام العضوي هو ذلك الذي لم تُستخدم في زراعته مخضبات كيميائية، أو منشطات نمو، أو مضادات حيوية، أو مبيدات الآفات الزراعية (المترجم).	
٤	(و) يتوقف الأمر على ما أشعر به - فأحياناً أشعر باشتئاء الطعام المطبوخ، وأحياناً لا أشعر بذلك فأذهب لتناول طعام جاهز من المطعم. وأحياناً يبلغ الشعور بالتعب الشديد حداً لا يسمح لي بإزجاج نفسي بهذا الأمر.
٨	(ز) يبين لي ديني ما يمكنني وما لا يمكنني أن أتناوله من غذاء، لهذا يجب على الالتزام بتلك الأوامر.
٥	(ح) زوجي - فهو الذي يطبخ الطعام لي.
٦ ، ١	(ط) أرى أنه من الأهمية حقاً أن يتناول الأطفال غذاء صحياً، لذلك فانا أحرص على أن يتضمن غذاؤهم مقادير كبيرة من الفاكهة والخضروات، وأراقب ما تحتويه أغذيتهم من دهون وسكر، كما أنتي لا أسمح بالمشروبات الفوارة.

- بعد القراءة الشاملة لجميع الأجوبة التي وردت على هذا السؤال يتم صياغة مجموعة من الأكواب لتشتمل على معظم الإجابات. ويمكن لهذه المجموعة من الأكواب أن تبدو هكذا:
- 1 - إشارات عابرة للغذاء الصحي الذي يحتوى على السكر، والدهن، والملح، والفاكهه، والخضروات.
 - 2 - تكلفة الطعام - البحث عن أرخص طعام.
 - 3 - الوقت.
 - 4 - المشاعر تجاه طهو الطعام / الطعام.

- 5- شخص آخر يطهو الطعام.
- 6- صحة الأطفال.
- 7- عادات الأسرة.
- 8- الأديان أو المعتقدات الأخرى.
- 9- لا إجابة.

هذه الأكواود موجودة بالعمود الأيمن – هل تتفق عليها؟ هل لديك مقتراحات أخرى لتكويد هذه البيانات؟

حالات التكرار

بعد مراجعتك لبياناتك والبدء في تنظيمها عن طريق تخصيص أسماء المتغيرات والأكواود، تكون أصبحت مستعداً لخطيط تحليلك. وأيا ما كان التحليل الإحصائي (انظر فصل 3) الذي تفك في استعماله، فالمناسب لك أن تبدأ بوضع بعض جداول التكرار، حتى تعرف بالنسبة لكل متغير، عدد ما قدم من كل إجابة أو كل كود. حينئذ يمكنك أن تلقي نظرة أولية على الطريقة التي بها يتم توزيع الإجابات التي أجبت بها على أسئلتك: في المثال المذكور أعلاه، كم عدد الموجودين في كل مجموعة عمرية؟ وكم عدد من يرون أنهم أصحاب؟ وما إلى ذلك. في هذه المرحلة ستكون قادراً على تمييز توزيعات الإجابات المثيرة للانتباه، مما قد ترغب في استكشافها إلى مدى أبعد من ذلك.

الجدولة المزدوجة

إنشاء اختبارك لجدوال التكرار وأنت مستحضر في ذهنك لأسئلة بحثك، يكون من المناسب لك أن تبدأ في بحث العلاقة القائمة بين المتغيرات المختلفة. هذا هو الموضوع الذي يدور حوله التحليل الإحصائي، كما أنشأنا عالجناه بمزيد من التعمق في الفصل 3 من هذا الباب. ومع ذلك فلكي تبدأ تحليلك، فإنك قد تحتاج إلى أن تسجل في قائمة أي جداول بسيطة أو جداول مزدوجة ستحتاج مستقبلاً إلى أن تصنعنها لتساعدك على استكشاف تلك العلاقات (انظر المثال رقم 2-3). ونحن – في العادة – نشير باستعمال الحروف الاستهلاكية الكبيرة: «الكابيتال» إلى الجدول الذي بين العمر ، مثلاً، بكلمة (AGE) وحسب النوع بكلمة (GEN) كما نشير إلى جدول العمر والنوع بكلمة (DIET). (GENAGE) من حيث صلتها بالغذاء ، باستعمال كلمة (DIET).

بحث

العلاقات والجداول المزدوجة

فى أثناء تفكيرك فى سؤال بحثك الخاص ، سجل فى قائمة أى علاقات بين المتغيرات قد ترغب فى استكشافها مستقبلاً ، وذلك عن طريق وضع جدول مزدوج .

ما سبب احتمال أن تكون هذه العلاقة بين هذين المتغيرين مثيرة لانتباھ؟	من حيث صلته بالمتغير «كذا»	المتغير «كذا»

إن كنت تخطط لاستعمال حزمة برمجيات إحصائية (كحزمة SPSS مثلاً) أو استعمال نوع خاص من البرامج الحاسوبية للحسابات مثل برنامج الإكسيل ، فإننا نرى أن تقرأ الآن أيضاً الفصل التاسع من الباب الرابع ليساعدك في إعدادك للبيانات وفي تطبيقك للتحليل بهدف تحقيق أفضل استعمال فعال لهذه الحزم (ثم ينبغي عليك أن تعود إلى هذه الفقرة من جديد) .

بعد تنظيم البيانات الكيفية

البيانات الكيفية التي تعد غير مقنة إلى حد ما (أو شبه مقنة) يتم جمعها بأساليب مختلفة ومتعددة وفي حالتها الخام كما هو معهود فى شأنها - أعني بذلك أنها تسجل بنفس الطريقة التى نطق بها أو كتبت بها أو لوحظت بها أثناء جمعها . وبجانب ذلك ، فإن معظم طرق تحليل البيانات التى تستعمل فى معالجة البيانات شبه المقنة تتطلب الاحتفاظ بهذه البيانات فى حالتها الخام أثناء المراحل الأولى من عملية التحليل على الأقل . ويجب أن يضمن أي تنظيم أولى للبيانات الكيفية ، مثلاً ، توافر هذين الأمرين :

(أ) أن يسهل على الباحث دائمًا الوصول إلى البيانات الخام .

(ب) وأن يستطيع الباحث العثور على أي بيانات معينة بسهولة .

نفترض عليك في هذه الفقرة طريقة أولية أساسية يمكنك اتباعها في تحليل بياناتك الكيفية: تسمية بياناتك «بأسماء أو عناوين محددة»، وإنشاء دليل أو فهرست، وبعد ذلك يجري البدء في القيام بنوع من التكويذ الأولى، أو قل التصنيف الأولى لبياناتك. ونفترض أن تقوم بعد ذلك بتطوير مجموعة من الأشكال البيانية التي ستساعدك في إدراك مدى ارتباط الأجزاء المختلفة من بياناتك ببعضها.

تسمية بياناتك «أو : عنونتها»

كمارأينا ، فإنه عندما تجمع بياناتك الكيفية فقد تنتهي إلى جمع مقدار كبير تماماً منها ، وإلى جانب الحرص على أن لكل مصدر بيانات رقمه الذي يميزه ، فمن المفيد كذلك أن ترقم صفحات كل مصدر بيانات ، وأن ترقم - في بعض الحالات - كل فقرة ، أو كل سطر من سطور النص المكتوب ، أو كل مصدر بيانات سمعي أو مصور بالفيديو على هيئة لقطات أو مشاهد . سوف يمدك هذا الترقيم بعد ذلك بمصدر مرجعي دقيق ترجع إليه بحثاً عن جزئية معينة من البيانات أو وحدة معينة من تلك البيانات . وحينما تستغل بمعالجة البيانات الكيفية ، فكثيراً ما يتوجب عليك أن ترجع إلى نفس الكلمات أو العبارات التي استعملها مصدر بياناتك ، سواء أكان مقابلة ، أو جماعة مناقشة ، أو وثيقة ، أو سلسلة من اللقطات أو المشاهد المصور بالفيديو فعلاً . وسوف يساعدك على القيام بهذا العمل أن يكون لديك بيان دقيق يبين رقم الصفحة ورقم السطر أو عدد الفيديو الدال على مكان وجود الكلمات أو العبارات المطلوب الرجوع إليها .

بحث

في هذه المرحلة ينبغي أن تمعن التفكير فيما إذا كنت ستستخدم حزمة برمجيات حاسوبية لتساعدك في تحليلك ، أم لا ، وذلك لأن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلاً في إدخال البيانات وإعدادها للتحليل (انظر الفصل التاسع).

عندما تصبح على دراية جيدة ببياناتك ستبدأ في تقدير حجم جزئيات أو وحدات البيانات التي ستقوم بمعالجتها ، كما سيمكنك بناء نظامك الترقيمي وفقاً لذلك . فإن كنت تستخدم برمجية حاسوبية لمساعدتك في معالجة بياناتك فستجد أن معظم الحزم تقدم تشكيلاً متوفعاً من طرق عوننة أو تسمية بياناتك (انظر فصل 9) . وإن كنت تقوم بعملك على الورق أو باستعمال حزمة معالجة كلمات ، فإن بإمكانك حينئذ أن تضيف الأرقام المرجعية لوحدات البيانات بنفسك .

إنشاء فهرست

من طرق بدء تنظيم البيانات إنشاء نظام فهرسة يمكن تطبيقه على البيانات الخام. ويقتصر عمل الفهرس على أنه يضع في قائمة جميع الموضوعات وأنماط البيانات المختلفة التي قد توجد في كل مقابلة، وجماعة مناقشة، ووثيقة وما إلى ذلك، ثم يخصص رمزاً أو علامة دالة (وعادة ما يكون هذا الرمز رقماً أو توقيف حروف أو كود لوني) لكلمات أو العبارات، أو الجمل أو اللقطات والمشاهد المضورة الموجودة في البيانات التي تحتوى على وحدة من نوع معين.

إن كنت تستعمل حزمة برمجيات حاسوبية لمساعدتك في تحليل بياناتك فستجد أن معظم الحزم بها تقنية تتيح لك إنشاء نظام فهرسة (انظر فصل 9). وإن كنت تستعمل معالج كلمات فإن بإمكانك أن تستخدم بعضًا من نفس تقنيات البحث هذه في العثور على البيانات، وبإمكانك أن تستخدم نظامك الخاص بك والمكون من رأيات وعلامات الفت الانتباه لتمييز الأنماط المختلفة للبيانات. وإن كنت تعمل على الورق، فإيمانك حينئذ أن تستخدم الأقلام الملونة، أو العلامات الملونة لفت الانتباه، أو الرموز الملونة. الواقع أنه لا يوجد أسلوب «صحيح» أو أسلوب «خطأ» في مباشرة هذا العمل – إذ عليك أن تختار نظاماً يعمل لصالحك.

من الأهمية أن تتبه إلى أن الفهرسة ليست معايير للتوكيد. فالفهرس يخبرك – فحسب – بالمكان الذي يمكن أن توجد فيه البيانات وينبغي أن يمكنك من العثور بسرعة على نفس نوع البيانات في كل مصدر من مصادر بياناتك. والفهرس الأساسي يمكن إنشاؤه باستعمال العناوين الرئيسية أو الأسئلة التي سبق أن استعملتها في دليلك الخاص بالموضوعات (انظر فصل 4 و 5 من باب 3). ويمكن تدقيق هذا الفهرس بعد ذلك والتوضع فيه عندما تتمكن من تحديد جوانب معينة للموضوع، أو أفكار جديدة أو نقاط تستدعي الاهتمام تعلم أنك ستحتاج للرجوع إليها وللتعمق في التفكير فيها أثناء قيامك بعملية التحليل.

بعد المثال (2-5) والوارد أدناه مقطعاً موجزاً من مقابلة متخيّلة مع أم شابة كجزء من بحث كان يدرس تصورات الناس ومفاهيمهم عن «الطعام الصحي».

المثال (5-2)

مقطع من مقابلة شبه مقننة (مفهرساً)

الفهرس	
	الباحثة: إذا، عند التفكير في الطعام الذي تتناولينه في أسبوع عادي، ما الأمور التي تؤثر على ما تقررين تناوله من طعام؟

المستجيبة: حسنا، يبأ لي أتنا جميعاً تأثر بشيء من الروتين في عاداتنا في تناول الطعام - فكما تعرفين، يحدث كثيراً في كل أسبوع هذا الأمر، وهو أن نتناول الكاري (وهو بهار هندي أصفر اللون) في إحدى الأمسىات، ونتناول السمك في أمسية أخرى ، ونتناول اللحم المشوى ، كالعادة ، في نهاية الأسبوع . كانت أمي تقدم اللحم المشوى دائمًا في أيام الأحد، وكانت في الواقع طاهية بارعة، لذلك أحاب أن أفعل مثل ما كانت تفعل، وذلك بالرغم من أنها لم تقدم أبداً أطعمة كالكاري والمكرونة بطبيعة الأمر لأن معظم الناس لم تكن تتناول هذا النوع من الطعام في تلك الأيام . والواقع أن كثيراً من الأطعمة التي تأكلها في أيامنا هذه مختلفة عما كنت تأكله وأنا طفلاً، فالاطعمة تطهى الآن بشكل مختلف حيث تستعمل الزيوت النباتية التي هي صحية أكثر من الدهون الحيوانية، مثلاً، كما أنت لا تتناول وجبات إفطار ضخمة مثل لحم الخنزير والبيض إلا في الإجازات. إلا إنني تعلمت شيئاً واحداً - بالفعل - من أمي وهو كيف أطهو الأطعمة الأساسية، لذلك فإنني غالباً ما أطهو وجبات من لحوم الدجاج ولاأشترى وجبات جاهزة.

الباحثة: هل يوجد أي شيء آخر يؤثر على ما تأكلينه؟

المستجيبة: أعتقد أن الوقت عامل مهم . فحينما يكون الزوجان يعملان خارج المنزل ، فلا يتوافر لهما وقت كثير ليعدا طعاماً كاللحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك - فهذه الأصناف من الطعام لأنأكلها كثيراً، ولكن إذا أردنا تناولها فإننا نميل إلى شرائها. إنني أحب أن يتوافر لي المزيد من الوقت لأندمج في طهو الطعام فعلاً، إذ توجد في هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية في برامج التليفزيون . كل ما أتمناه أن يتوافر لي الوقت والطاقة لأجرب إعداد بعض الأطعمة الجديدة .

ثم إن الأمر الآخر هو محاولة تشجيع الأطفال على تناول طعام متوازن - أو على الأقل يأكلون مقادير أقل من الحلويات ورفاقن البطاطس المقليّة. أنا أشعر فعلاً أنه ينبغي الإقلال من الإعلانات التليفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتليفزيون - فقد أصبح من العسير إلا نستجيب لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئاً تعرّضه الإعلانات ويوجد على رفوف السوبرماركت. إن القائمين على برامج التليفزيون يقومون بعرض بعض البرامج الجيدة

فعلاً والتي تتناول أنظمة الغذاء الصحية ثم تكون جميع الإعلانات التي تعرض في الفاصل عن بعض أنواع الأطعمة التي ينبغي ألا يتناولها الأطفال. أو على الأقل ينبغي أن تكون هذه الأطعمة أحد مصادر المتعة وليس شئنا تناوله يومياً. أنا نفسي أحب تناول قطعة شيكولاتة أحياناً خاصة إذا كنت أشعر بشيء من الاكتئاب أو الإجهاد ولكنني أحاول ألا أتمادي في ذلك في أغلب الأحيان.

الباحثة : هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشتريه منه؟

المستجيبة: أوه، لا شك في ذلك طبعاً، فلابد، أن تكوني ميسورة الحال لتشترى بعض قطع اللحوم المميزة أو تشتري الفطائر الباهظة الثمن. ولكن الوضع ليس هكذا بالضبط، فأنا أبحث دائمًا عن العروض والأرخص ثمناً: «اشتر واحدة وخذ الأخرى مجاناً»، كما أنها نحتفظ بالأطعمة في الفريزر إن لم تتناولها. وهذا معناه أحياناً أن نوعية السلعة مختلفة، كما تعلمين، وهو سبب بيع هذا الطعام بسعر أرخص في ذلك الأسبوع. وأنا في الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلاً من شراء الفاكهة والخضروات من السوبرماركت - ينبغي على أن أفكر في نوع الأطعمة التي أستطيع الحصول عليها بسعر أرخص وأنا في مرحلة الاستعداد للتسوق. كل ما في الأمر أنه لا يتواافق في الوقت اللازم، فلا بد أن تكون الظروف مواتية، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه من محل واحد.

من الممكن أن تكون بهذه الدراسة قد صممت في المملكة المتحدة في أوائل القرن الواحد والعشرين مع ظهور المخاوف والاهتمامات الصحية والاجتماعية الحالية بسبب المستويات المتزايدة للبدانة بين السكان واستهلاك الأطعمة الجاهزة. لذلك يمكن لدليل الموضوعات أن يشتمل على الأسئلة التالية:

- أيمكنك أن تخبرني عن نوعيات الطعام التي تناولتها في 24 ساعة الأخيرة؟
- أيمكنك أن تخبرني عن أحوال أسرتك: من الذين يعيشون معك، ومن الذي يتولى شراء الطعام ، ومن الذي يعد الطعام؟
- إذا فكرنا في أحوال أسبوع عادي، ما الأمور التي تؤثر على اختيار الطعام الذي تشتريه وعلى الوجبات التي تعدد؟

- إلى أى مدى يعتبر الطعام مهما فى نظرك؟ لماذا وكيف يعد مهما فى نظرك؟
- ما تصورك «للطعام الصحى»؟

وقد يحتوى الفهرس على الموضوعات التالية:

1 - معلومات عن الأسرة.

2 - أمثلة من الطعام الذى جرى تناوله فعلا.

3 - العوامل المؤثرة على الطعام الذى تشتريه الأسرة.

4 - العوامل المؤثرة على الطعام الذى تعده الأسرة.

5 - أهمية الطعام.

6 - التصور الذهنى للطعام الصحى.

إن الفهرس لا يميز بين أنماط المعلومات المختلفة أو الأفكار أو الآراء المختلفة المتعلقة بكل موضوع ، ولكنه يكتفى بلفت نظرك إلى وجود بعض البيانات التى قد تحتاج لإمعان النظر فيها عندما تبحث مستقبلا قضية معينة.

بعد التكوييد

أثناء اشتغالك بالفهرسة يغلب أن تصبح أكثر تنبها لجوانب فى بياناتك تحتاج أن تتعمق فى استكشاف معالها وأن تخضعها لمزيد من التحليل الدقيق. أحرص أثناء الفهرسة على تدوين هذه الجوانب أو الموضوعات المتضمنة فى بياناتك ، والذى تزيد استكشاف معالها ، ولاحظ الطرق المختلفة التى تتبع فى مناقشة أو عرض موضوعات معينة فى كل مصدر من مصادر البيانات . وينبغى عليك أيضا أن تستحضر فى ذهنك أسئلة بحثك (فصل 4 باب 1) وأن توافق البحث عن العبارات ، والحكايات ، والخبرات ، والأراء الموجودة فى هذه البيانات ، والذى قد تساعدك على فهم أسئلة بحثك والإجابة عليها.

إن ما تكتبه لنفسك من ملاحظات ومذكرات موجزة سريعة يوفر لك الأساس لبدء تكوييد بياناتك أو تصنيفها. أيا ما كان الأسلوب التحليلي الذى تستخدمه ، فإن شيئاً من التكويid الأسasى - أو شيئاً من تحديد وتجميع المادة المتعلقة بموضوع ، أو رأى ، أو خبرة ما - سيوفر لك منطقاً تبدأ منه التكويid.

ومع ذلك ، فإنه يتبعن عليك - مبدئياً - أن تحدد ما الذى تبحث عنه؟ وما الذى يهمك فى هذه البيانات؟ وأن يجعل نفسك على دراية وحسن معرفة بمجموعة البيانات المتعلقة

بذاك الموضوع ، وذلك قبل اللجوء إلى استخدام نوع من التكويذ الاستكشافي للبدء في تفسير هذه البيانات بصورة تجريبية مبدئية .

في المثال المبين أعلاه قد تبدأ بالقاء نظرة أدق على العوامل المؤثرة على الأفراد حينما يقررون نوع الطعام الذي يشتريونه ويعدونه . في أثناء قراءتك الشاملة لكافة مصادر بياناتك ربما تبدأ في العثور على بعض الموضوعات الأساسية المتكررة التي تتبلور أمام ناظريك ، كما يمكنك أن تبدأ في تمييزها عن طريق تطوير نوع من التكويذ الأساسي لهذه البيانات . ينبغي عليك أن تنظر إلى هذا الأمر على أنه مجرد حركة ينتقل بها فهرسك إلى مستوى أبعد مدى ، وأنه بداية لتحديد بعض الموضوعات الموجودة في بياناتك ، والتي تحتاج إلى أن تتعقب في استكشافها في تحليلك .

وكما هو الحال مع الفهرسة ، فإن من المفيد البدء بتمييز الموضوعات الأساسية عن طريق استعمال نظام للتکويذ وإعطاء كل موضوع اسمًا . وفي مثالنا المذكور فمنا بتحديد مجموعة أولية من الأکواد المتعلقة بالعوامل المؤثرة على شراء الطعام وإعداده . لاحظ أن كل کود معرف تعریفاً واضحًا وأن هذا التعريف يحاول أن يصف كل البيانات التي يجب إدراجها ضمن التعريف . إذا بدأت في العثور على بيانات لا تتماشى مع هذا التعريف فقد تحتاج إلى التفكير في استحداث کود جديد ليتلاءم مع هذه البيانات - أو قد تحتاج إلى تعديل تعريفك حتى يتم إدراج هذه البيانات فيه . هنا تكون قد بدأت في المعالجة الفعلية للبيانات وفي التفكير في طريقة تفسيرك لها .

المثال (2-6) الأکواد جدول رقم (2-3): أمثلة من الأکواد

التعريف	اسم الكود
الإشارة إلى الأسرة ذات الأطفال بوصفها عاملًا مؤثراً سلباً أو إيجابياً على اختيار الطعام الذي يتقرر شراؤه و / أو إعداده .	تأثير الأسرة ذات الأطفال (ت أط) (ICF)
الإشارة إلى وسائل الإعلام التي تؤثر على اختيار الأطعمة التي تعتبر غير صحية .	وسائل الإعلام - سلبي (و إس) (IMN)
الإشارة إلى وسائل الإعلام التي تؤثر على اختيار الطعام الذي يعتبر صحياً .	وسائل الإعلام - إيجابي (و إإ) (IMP)

الإشارة إلى الوقت أو نقص الوقت، الذي يؤثر على اختيار ما يُشتري من الطعام.	الوقت - وشراء الطعام (ITB) (و-ش-ط)
الإشارة إلى الوقت، أو نقص الوقت، الذي يؤثر على اختيار ما يُعد من الطعام.	الوقت - إعداد الطعام (ITP) (و-إ-ط)

المثال رقم (7-2)

الكود	مقطع من مقابلة شبه مقننة (تقويد أولى)
	الباحثة: إذا، عند التفكير في الطعام الذي تتناولينه في أسبوع عادي، ما العوامل التي تؤثر على ما تقررين تناوله من الطعام؟
ت أ ط (TCF)	المستجيبة: حسناً، يهـاـلى أـنـاـ جـمـيـعـاـ نـتـأـثـرـ بـشـيءـ مـنـ الرـوـتـينـ فـيـ عـادـاتـنـاـ فـيـ تـنـاـولـ الطـعـامـ.ـ فـكـماـ تـعـرـفـينـ،ـ يـحـدـثـ كـثـيرـاـ فـيـ كـلـ أـسـبـوـعـ هـذـاـ الـأـمـرـ،ـ وـهـوـ أـنـ تـنـاـولـ الـكـارـىـ (ـوـهـوـ بـهـارـ هـنـدـىـ أـصـفـرـ اللـونـ)ـ فـيـ إـحـدـىـ الـأـمـسـيـاتـ،ـ وـتـنـاـولـ السـمـكـ فـيـ أـمـسـيـةـ أـخـرـىـ،ـ وـتـنـاـولـ الـلـحـمـ الـمـشـوـىـ،ـ كـالـعـادـةـ،ـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـأـسـبـوـعــ.ـ كـانـتـ أـمـيـ تـقـدـمـ الـلـحـمـ الـمـشـوـىـ دـائـمـاـ فـيـ أـيـامـ الـأـهـادـ،ـ وـكـانـتـ فـيـ الـوـاقـعـ طـاهـيـةـ بـارـعـةـ،ـ لـذـكـ أـحـاـولـ أـنـ أـفـلـ مـثـلـ مـاـ كـانـتـ تـفـعـلـ.ـ وـذـكـ بـالـرـغـمـ مـنـ أـنـهـاـ لـمـ تـقـدـمـ أـبـداـ أـطـعـمـةـ كـالـكـارـىـ أـوـ الـمـكـروـنـةـ بـطـبـيـعـةـ الـأـمـرـ لـأـنـ مـعـظـمـ النـاسـ لـمـ تـكـنـ تـنـاـولـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الطـعـامـ فـيـ تـلـكـ الـأـيـامـ.ـ الـوـاقـعـ أـنـ كـثـيرـاـ مـنـ الـأـطـعـمـةـ الـتـيـ نـأـكـلـهـاـ فـيـ أـيـامـنـاـ هـذـهـ تـخـتـافـ عـمـاـ كـنـتـ أـكـلـهـ وـأـنـ طـفـلـةــ.ـ فـالـأـطـعـمـةـ تـطـهـيـ الـآنـ بـشـكـلـ مـخـتـالـ فـيـ الـرـيـوـيـتـ الـنـبـاتـيـةـ الـتـيـ هـىـ صـحـيـةـ أـكـثـرـ مـنـ الـدـهـوـنـ الـحـيـوانـيـةـ،ـ مـثـلاـ،ـ كـمـ أـنـتـاـ لـاـ تـنـاـولـ الـآنـ وـجـبـاتـ إـفـطـارـ ضـخـمـةـ مـثـلـ لـحـمـ الـخـنزـيرـ وـالـبـيـضـ إـلـاـ فـيـ الـإـجـازـاتـ.ـ إـلـاـ أـنـتـيـ تـعـلـمـ شـيـئـاـ وـاحـدـاــ.ـ بـالـفـعـلــ.ـ مـنـ أـمـسـ وـهـوـ أـطـهـوـ الـأـطـعـمـةـ الـأـسـاسـيـةـ،ـ لـذـكـ فـيـنـتـىـ أـقـوـمـ فـيـ أـغـلـبـ الـأـهـوالـ،ـ بـطـهـيـ وـجـبـاتـ مـنـ لـحـومـ الدـاجـاجـ وـلـاـ أـشـتـرـىـ وـجـبـاتـ جـاهـزةــ. ـ</td
ت أ ط (TCF) وـإـطـ ITP	الباحثة: هل يوجد أي شيء آخر يؤثر على ما تأكلينه؟
	المستجيبة: أعتقد أن الوقت عامل مهم. فعinemما يكون الزوجان يعملان خارج المنزل، فإنه لا يتواافق لهما وقت كثير لبعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك - فهذه الأصناف من الطعام لا تأكلها كثيرا، ولكن إذا أردنا تناولها، فإننا نميل إلى شرانها. إنني أحب أن يتواافق لدى المزيد من الوقت لأندمج

في طهو الطعام فعلاً - إذ توجد في هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية في برامج التلفزيون - كل ما أتمناه أن يتوافر لى الوقت والطاقة لتجربة بعض لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئاً تعرضه الإعلانات موجود أصناف الطعام الجديدة.

ثم إن الأمر الآخر هو محاولة جعل الأطفال يأكلون طعاماً متوازناً -

أو على الأقل يأكلون مقادير أقل من الحلويات ورائق البطاطس المقليّة، أنا أشعر فعلاً أنه ينبغي الإقلال من الإعلانات التلفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتلفزيون - فمن العسير جداً، لا تستجيب لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئاً تعرضه الإعلانات موجود على رفوف السوبرماركت. إن القانونين على برامج التلفزيون يقومون بعرض البرامج الجيدة فعلاً والتي تتناول أنظمة الغذاء الصحية ثم تكون الإعلانات التي تعرض في الفاصل عن تلك الأطعمة التي ينبغي ألا يتناولها الأطفال. أو على الأقل يمكن أن تكون هذه الأطعمة أحد مصادر المتعة وليس شيئاً نتناوله يومياً. أنا نفسي أحب تناول قطعة شيكولاتة أحياناً، خاصة إذا كنت أشعر بقليل من الافتئاب أو الإجهاد ولكنني أحارّ - غالباً - ألا أتمادي في ذلك.

الباحثة: هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشترينه منه؟

المستجيبة: أوه لاشك في ذلك طبعاً، فلابد أن تكوني ميسورة الحال لتشترى بعض قطع اللحوم المتازة أو تشتري الفطائر الباهظة الثمن. ولكن الأمر ليس بهذا الوصف تماماً، فأنا أبحث دائمًا عن العروض الأرخص ثمناً: "اشتر واحدة وخذ الأخرى مجاناً"، كما أتناحف بالألطعمة في التريلز إن لم تتناولها. وهذا معناه أحياناً أن لدينا مستوى مختلف من الجودة ، كما تعلمين ، ولهذا يباع هذا الطعام بسعر أرخص في ذلك الأسبوع . وأنا في الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلاً من شراء الفاكهة والخضروات من السوبرماركت. ينبغي على أن أذكر في نوع الأطعمة التي أستطيع الحصول عليها بسعر أرخص إن كنت أستعد للتسوق. كل ما في الأمر أنه لا يتوافر لى الوقت اللازم - فلابد أن يكون الوقت متاخماً، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه تحت سقف واحد.

استخدام الرسوم البيانية

بعد أن تبدأ استكشاف معالم بيانتك باستعمال نوع من التكوييد الأولى ، ربما تحتاج إلى التحرك بهذا التكوييد إلى مدى أبعد بواسطة إنشاء رسم بياني ذي بعدين . وهذا النمط من الرسم البياني أو الإطار الذي نقدمه هنا مبني على طريقة «الإطار» في

تحليل الموضوعات الأساسية، وهي الطريقة التي شرحها بالتفصيل ريتشى ولويس (2003) (انظر الفصل الرابع، للوقوف على مزيد من التفاصيل). وأيا ما كان الأمر، فإننا نشعر أن بالإمكان أن يكون هذا الرسم البياني طريقة أولية يفيدك الأخذ بها أيا ما كانت طريقة في التحليل، لأنك تستطيع من خلال استعمال الرسم البياني:

(أ) تستطيع إدراك نطاق المادة المتعلقة بموضوع معين داخل أي مصدر بيانات.

(ب) وتستطيع أن تقارن ما ي قوله أحد مصادر البيانات (كأحد المشاركيين مثلاً) عن هذا الموضوع بما يقوله المصادر الأخرى.

والمعتاد أن يكون لكل رسم بياني موضوع أساسى أو قل إنه يغطي جانباً من موضوع بحثك، كما أنه قد تحتاج لإنشاء عدد من الرسوم البيانية في بداية الأمر لمساعدتك على استكشاف معالج بياناتك. وفي مثالنا المذكور نستعمل الموضوع الأساسي المتمثل في السؤال: «ما الذي يؤثر على الأفراد عندما يختارون الطعام الذي يشترونه ويدعونه؟». وقد يكون لدينا أيضاً رسم بياني يركز على موضوع «تصورات الأفراد عن الطعام الصحي».

بإمكانك أن تعد رسماً بيانياً بطرق كثيرة، ابتداء بالفكرة البسيطة الخاصة باستخدام صحيفة كبيرة من الورق مرسوم عليها شبكة، (أى شكل بياني ذو أعمدة وصفوف مقاطعة)، وانتهاء بالطريقة الأكثر تعقيداً والمتمثلة في استخدام الجداول وكشوف الحسابات على حاسبك لتتوفر لك هذا الرسم البياني. من واقع المثال المبين في الجدول رقم (4-2) أدناه سترى ضمن قائمة مكتوبة أسفل هذا الرسم البياني مصادر البيانات العديدة (والتي تضم في هذه الحالة: مقابلات، وجماعات مناقشة، ووثيقة)، كما توجد على امتداد قمة الرسم البياني الأكواذ المختلفة التي حددناها.

فى هذه الشبكة يمكنك أن تدخل شواهد أساسية (أى: جملأ أو عبارات مقتبسة على سبيل الاستشهاد بها)، تستخرجها من مصادر بياناتك، وملخصات للمسائل التي أثارها المستجيبون، ومعلومات واقعية عن مصدر البيانات هذا. لاحظ أنه قد تحتاج إلى أكثر من صحيفة ورقية واحدة لكل رسم بياني إن كان لديك من مصادر البيانات عدد أكبر من أن تتناسب به سهولة صحيفة ورقية واحدة. قد تكون بعض الصناديق التي في هذه الشبكة فارغة نظراً للعدم وجود مادة مناسبة لها في مصدر البيانات ذاك. ستجد أن من المفيد في هذه المرحلة أن تضيف رقم الصفحة ورقم السطر أو الفقرة لأى مقتبسات تدرجها، حتى تكون قادراً على العثور بسهولة على هذه المواد الخام وعلى النظر إلى تلك الشواهد داخل سياقها الأصلى.

فکر فی هذا الموضوع . . .

الرسوم البيانية

أفق نظرية على امتداد الجدول رقم (2-4)، لترى ما العوامل المؤثرة التي حددتها كل مصدر من مصادر البيانات؟، وكيف تم وصف ومناقشة هذه العوامل المؤثرة؟ ثم انظر أدنى كل عمود لترى كيف قامت هذه المصادر المختلفة للبيانات بوصف ومناقشة كل عامل مؤثر من هذه العوامل.

اكتب بعض الملاحظات عن كل واحد من هذه الأعمدة، مميزاً لأى تشابهات أو اختلافات في النقاط التي أثارها المحوثون في كل مصدر من مصادر البيانات.

إن كنت تخطط لاستخدام حزمة برامجيات للتحليل الكيفي (كحزمة إن فيفو NVivo) فإننا نرى أن تقرأ الآن الفصل التاسع من هذا الباب لمساعدتك في إعداد بياناتك وتخطيط تحليلك لتحقيق أقصى درجات الانفاع الفعال بهذه الحزم.

بحثك

الشروع في التحليل

سواء أكنت تعالج بيانات كمية أو كيفية فأنت الآن متاهب للدخول فعلاً في عملية التحليل. ومن المستصوب في هذه المرحلة أن تقوم بثلاثة أعمال :
1 - أن تعيد تفقد أسلئلة بحثك. فكر في الطريقة التي بها ستمكنك بياناتك من الإجابة على أسئلة بحثك أو اختبار فروضك.

2 - خطط تحليلك : ضع قائمة بالمهام التي ستقوم بأدائها في أول الأمر. وقد تحتوى هذه القائمة على مجموعة من جداول التكرار والجداول المزدوجة، أو قد تتمثل هذه القائمة في تطوير مجموعة من الرسوم البيانية.

3 - احتفظ بسجل أو قائمة بكل العمليات التحليلية التي تقوم بتنفيذها وأضف بجانب كل عملية ملاحظاتك الشخصية عما اكتشفته أو تعلمنه من جدول معين ، أو اختبار إحصائي أو رسم بياني إحصائي معين . ينبغي أن يحتوى سجلك على أى متغيرات جديدة تستحدثها أو أ��وا درجاتها مع ذكر تعريفاتها.

قائمة المراجعة
هل بياناتك كاملة؟
هل تعرف بياناتك؟
هل قررت كيف تنظم بياناتك بحيث تستطيع العثور على ما تزيد العثور عليه؟
هل خططت تحليلك؟

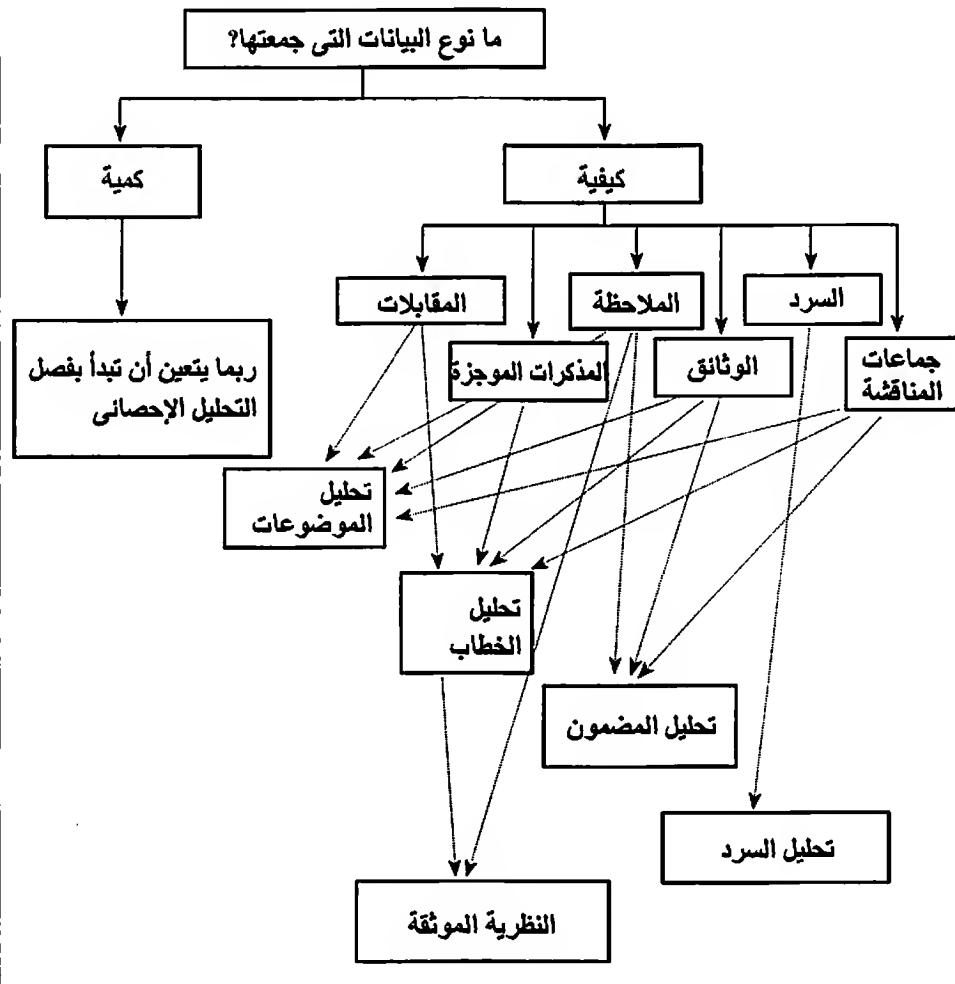
جدول رقم (٤-٢) : العوامل المؤثرة على اختيارات الأفراد عند شراء الطعام وإعداده

العنوان	الوقت	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	نوع الأسرة	مصدر البيانات [المصدر]
		اعتقد أن الوقت عامل مهم «لأنني أبحث دائمًا عن البروتو الأرجوانيين الذين يأكلون الزوجان .. وهذا معناه أحياناً أن لدينا شيئاً مختلفاً، كمساً تقطيعي، إذا كان هنا طعاماً بـ سعر أرخص ..	«... ينبع الإقبال من العروض التي تتيحني: فحينما يكون الزوجان كلاهما يعيشان خارج .. لدينا شيئاً مختلفاً، كمساً تقطيعي، إذا كان هنا طعاماً كاللحوم الشهية ..»	كانت أمي تقدم الهم إنهم يغرسون بعض البرامج الجديدة فـ «... البعض في العروض التي نعرف «الأغذية عن الطيور والوجبات كلها .. يعيشان خارج ..»	والدان + طفلان الشروى دائمًا في أيام الأحاد، وكانت في الواقع طاهية بارعة لذلك الصحبة». «...	الافتتاح رقم ١

العنوان	الموقف	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	تأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	نطء الأسرة	مصدر البيانات [المصادر]
العنوان	هذا هو العامل المؤثر عدما لا ينافر لك وقت - عذرا لا ينافر لك وقت - كثير فناك لا تستطيعين - أنت تحملني اشتغالى أنا وزوجي في الواقع - أن تحملني خارج المنزل لا ينافر الشعور بالقلق البالغ من مسأله نكهة الطعام - كل شئ كثير في الواقع بالغ من أنه ينبعى على أن يكون لدى وقت لمعبو شراءه . ملحوظة : الصلة بين الطعام لطفي.	إنسا ذهبت دافنا إلى تزدد في أيامنا هذه معلومات كثيرة للغاية لا تستطيعين أن تعرفي عنها شيئا في الواقع.	إنسا ذهبت دافنا إلى والدان + طفل واحد	القابلة رقم ٢	القابلة رقم ٢	والدان + طفل واحد
الوقت	أنا أم عزبة ، أذلك لا ينافر لدى قدر كبير من المال ، ولكنني أعرف كيف أعد وجبة صحيحة جيدة من عناصر المقادمة أهم عامل موثر في اختيار الطعام.	إنسا أغيرا كل البلات إن ما يجذبني أصباب في الواقع أنا استفتح بخطو الطعام وأتأمرى بتناول الطريوات والمياه شاور الطرفيات والمياه المغاربة في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون.	«أذكركم كدت أفتح كثيرا بما ظهرت أمي والجلوس حول اللاده كل مساء ونحن تحدثت إلى حد ما - الطعام - أنا أزيده السجي.	إنسا أغيرا كل البلات إن ما يجذبني أصباب بالاكتساب فعلاء هولذلك الإعلانات التي تدور شاور الطرفيات والمياه المغاربة في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون.	إنسا أغيرا كل البلات إن ما يجذبني أصباب بالاكتساب فعلاء هولذلك الإعلانات التي تدور شاور الطرفيات والمياه المغاربة في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون.	أم + طفلين
الوقت والكلفة	أنت ألم عزبة ، أذلك لا ينافر لدى قدر كبير من المال ، ولكنني أعرف كيف أعد وجبة صحيحة جيدة من عناصر المقادمة أهم عامل موثر في اختيار الطعام.	إنسا أغيرا كل البلات إن ما يجذبني أصباب في الواقع أنا استفتح بخطو الطعام وأتأمرى بتناول الطريوات والمياه شاور الطرفيات والمياه المغاربة في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون.	«أذكركم كدت أفتح كثيرا بما يجذبني أنا أزيده السجي.	القابلة رقم ٣	القابلة رقم ٣	القابلة رقم ٣

العنف	الوقت	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	المؤثرات الإيجابية لوسائل الإعلام	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	نمط الأسرة	مصدر البيانات [المعين]
كانت التكالفة أهم عامل	كانت التكالفة أهتم عامل	«أنا استفتح فسلاً بطهو طهو الطعام، لكنني أشوف به مؤثر في اختيار الطعام، إن الزيادات في أسعار الطعام، في سببها أنا لا يشكل علينا كبيراً، وهو لا يحدث كل يوم - بالفعل - لأن تلك بصفتها على الآباء وجهة من هذه المعيقات:	«ما أحتاج إليه هو: «كثيرون جداً من برامج الطعام لذلك أشوف به مؤثر في اختيار الطعام، أن الزيادات في أسعار الطعام، في سببها أنا لا يشكل علينا كبيراً، وهو لا يحدث كل يوم - بالفعل - لأن تلك بصفتها على الآباء وجهة من هذه المعيقات:	كان بعض الآباء يشعرون أن زوجاتهم ملحوظات جيدة بهامرة، لم يكن ظاهرات جديات عصاً هو سليم أو غيره زوجته بالجلوس إلى الطيفيون ومشاهدتها أنه كانوا يطالعون بشأوال ما يحصل بالأطفال - وهي لا تخلو أبداً من التغذية، وكون الطعام أمم شيء،	جنبه أعضاء كان بعض الآباء يشعرون أن زوجاتهم لم يكونوا معهم كلامهم، تذكر منهم سليم بالنسبة لـ - خاصة أطفال دون أنهما كانوا يطالعون بشأوال الصغار».	جمعية الجامعة من الآباء الذين يعيشون مع زوجاتهم ولم ينجبوا أطفالاً دون أنهم كانوا يطالعون بشأوال الصغار، وكان بعضهم يشعرون بأنهم لا يريدون أن يكونوا شديدي التزمت مع صغارهم في تناول الطعام.
الإجازة في السوق	«الجول في الأسواق	معناه قضاة تصف يوم	«الجول في الأسواق	هذا الكتب	كتيب أصدرته وزارة الصحة عن الأطفال والطعام الصحي.	
ليس من الصعب	ليس من الصعب روى أن	يعتاج إعداد وجبة مكونة بالفشل - أحياناً منها أكثر قليلاً، ولكنه يتحقق هذه من عناصر طازجة إلى الكثافة حتى نعرف أن وقت طهيل، حاولى طفله سبکر وهو يتناول الطعام الذي يغده...».	الطعام الجديد يتكلف - أحياناً منها أكثر قليلاً، ولكنه يتحقق هذه من عناصر طازجة إلى الكثافة حتى نعرف أن وقت طهيل، حاولى طفله سبکر وهو يتناول الطعام الذي يغده...».	«في هذا الكتب أجلى من تناول الطعام مسألة أسرة مهيبة، أب نهادف إلى تزويده معلومات وأوضاع عما هو مفيد للأطفال ولـ - وهذه المعلومات تقتضي إلى الدليل الصحي والطبي».	كتيب أصدرته وزارة الصحة عن الأطفال والطعام الصحي.	

اختيار أساليب التحليل



تبين الخطوط المكونة من شرط بعض تقنيات التحليل التي من الممكن تطبيقها على بياناتك. أرجو أن تتذكر أن هذه التقنيات ليست إلا خطوطا إرشادية عامة - فتقنيات جمع البيانات التي تستخدمها تعتبر خاصة بمشروعك وحده.

(*) هذا الرسم البياني يفرق بين البيانات الكمية والكيفية. والهدف من ذلك هو التوضيح فحسب! (إذاً البيانات المستدمة من الملاحظة، مثلاً، قد تكون كمية وكيفية أيضاً).

المراجع وقراءات للاستزادة

- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Seale, C., Gobo, G., Gubrium, J. F. and Silverman, D. (2007) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثالث

التحليل الإحصائي

محتويات الفصل

- تحليل البيانات الكمية.
- استعمال التحليل الإحصائي لتلخيص بياناتك ووصفها.
- تطوير التحليل .
- استخدام التحليل الإحصائي في معالجة أسئلة البحث.
- اختبار العلاقات : اختبار باستعمال كاي تربيع .
- اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون .
- التحليل الإحصائي كعملية .
- عرض نتائج التحليل الإحصائي .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

يمكّنا التحليل الإحصائي من :

- تلخيص البيانات التي جمعناها ووصف هذه البيانات.
- وصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا على تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا.
- استكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات.

في هذا الفصل سمعمن النظر في كل ملمح من هذه الملامح التي يتتصف بها التحليل الإحصائي من حيث صلتها بعملية معالجة وتحليل البيانات بهدف المساعدة في الإجابة على أسئلة البحث.

نقترح أن تقرأ الفصل الثاني من هذا الباب قبل قراءة هذا الفصل.

في هذا الفصل نقدم تقنيات التحليل الإحصائي التي تمكنك من فحص البيانات الكمية التي جمعتها. ونظراً لتطور البحث الاجتماعي، وخاصة ما تم منه باستعمال كل من المسوح الاجتماعية الواسعة النطاق والتي تهدف لاكتشاف ما يفكر فيه الناس وما يعلوونه، من جهة، وما قامت به الحكومة وغيرها من المنظمات من جمع وتحليل للبيانات بهدف توفير المعلومات الازمة لصناعة القرار السياسي ولتطوير الخدمات وتقسيمها من جهة أخرى؛ نقول : نظراً لذلك تم تطوير التقنيات الإحصائية للمساعدة في فهم البيانات المجموعة. وقد أصبح التحليل الإحصائي ميسراً من خلال تكنولوجيا المعلومات والاستعمال المتامٍ للحواسيب الآلية في عد وحساب الإحصائيات المعقّدة بمقادير ضخمة من البيانات التي من شأن عدّها يدوياً أن يكون عملاً شاقاً ومستنفذًا للوقت.

ورغم أن التقنيات الإحصائية معقّدة أحياناً، فإنها لا تعدوا أن تكون أدوات تساعدنا في معالجة البيانات التي جمعناها بطريقة منهجية. وهذه التقنيات لا تقوم بالتحليل نيابة عنا، وإنما هي تزودنا ببعض الطرق البسيطة، وكذلك بعض الطرق المعقّدة، لفحص ومعالجة بياناتنا. إذ تعتمد هذه التقنيات الإحصائية - فعلاً - على النظريات والصيغ الإحصائية، كما أن كثيراً من دارسي البحث الاجتماعي لا يملكون المعرفة والمهارات في الرياضيات الازمة لفهم والاستعمال الكاملين للتقنيات الأكثر تعقيداً.

بحث

مع أن حزم البرمجيات الحاسوبية، والتي منها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS (فصل 9) توفر - بالفعل - للدارسين وسيلة الاستفادة بالتقنيات الإحصائية بدون أن يكون لديهم الاستيعاب الكامل للنظرية الرياضية التي ترتكز عليها هذه التقنيات، فإنه ينبغي عليك أن تتتبّع إلى أن من الضروري أن تفهم جيداً هدف كل تقنية إحصائية حتى تكون قادرًا على استخدامها استخداماً فعالاً، وعلى ما هو أَهم من ذلك : وهو أن تفسّر هذه النتائج .

إن مانحاول القيام به هنا هو إطلاعك على مجموعة من الطرق الأساسية للمعالجة الإحصائية لبياناتك تتناسب مع كثير من البحوث ذات النطاق الصغير ، وإرشادك للأساليب الأكثر تعقيداً إن كنت ترغب في الانتقال بدراستك التي تجريها في هذا المجال إلى مدى أبعد من ذلك. إننا نطلعك على استعمال حزم البرمجيات ، التي منها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية في الفصل 9 من هذا الباب ، كما سنشير إلى هذه الحزم في هذا الفصل أيضاً.

1 - هي «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)

وفي البحث الاجتماعي ينطبق مفهوم الإحصائيات على البيانات المبنية القابلة للعد والحساب أو المعبأ عنها فعلاً بعبارات عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمار (فصل 3 باب 3).

2 - هي أي سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية).

وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائي من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما (فصل 5 باب 2) بوصف هذه التقنيات الأساس الذي يقوم عليه جمع البيانات في كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هي سمات العينة التي يمكن عدتها، مثل ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التي يقرؤون جريدة الدليلي ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «ممتاز».

كلا التعريفين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير في إجراء تحليل إحصائي.

سوف تشمل معظم البحوث الاجتماعية التي ستطيع عليها وتنتفع بها على شئء من التحليل الإحصائي للبيانات. فالمسوح ذات النطاق الكبير، والتعدادات السكانية والبحوث التي تستخدم الاستبيانات المبنية أو الاستمار في جمع البيانات تتلاءم مع تحليلها إحصائيا لأن البيانات مجموعة داخل قالب مفروض سبق تجهيزه لهذا الغرض. وينصب التأكيد هنا على حساب عدد الإجابات المختلفة التي أجبت بها على كل سؤال، وعلى النتائج التي يتم - في العادة - عرضها في جداول وخرائط ورسوم بيانية. إن أنساب استعمال التحليل الإحصائي هو في البحث الذي يجمع البيانات المستمدة من عينة احتمالية لجتماع بحث معروف، حيث يمكنك تطبيق تقنيات التحليل الإحصائي على هذه العينة ثم تستخلاص استقراءً، أو تعميم نتائجك لتنطبق على مجتمع البحث بأكمله، وليس على هذه العينة فقط. وأيا ما كان الأمر فإن كثيراً من هذه التقنيات تعتبر مناسبة كذلك لنوع المجموعات البحثية الاجتماعية الصغيرة النطاق، والتي يقوم بها الطلاب وغيرهم وليس قائمـة على أساس عينة احتمالية بل تجمع البيانات المبنية من مجموعة حالات ممثلة باستعمال طريقة مناسبة لا اختيار العينة، كطريقة العينة الحصبية مثلاً. (فصل 5 باب 2).

ما الدلالة الإحصائية؟

الدلالة الإحصائية أو المعنوية الإحصائية هي حكم يتعلق بمدى رجحان النتيجة الملاحظة، ليس إلا. وهي لا تضمن أن شيئاً مهماً أو حتى شيئاً له معناه قد عثر عليه. (هايس ، 1993 ، ص 68).

1 - يتم تصميم اختبارات الدلالة الإحصائية لاستعمالها مع البيانات التي تجمع من عينة مأخوذة من مجتمع بحث ما. وعادة ما يتم اختيار هذه العينة لتمثل مجتمع بحث محدداً تمثيلاً إحصائياً. والهدف الرئيسي لاختبار الدلالة الإحصائية هو توفير مقياس يقيس مدى احتمال أن العلاقات الموجودة في البيانات المستمدة من هذه العينة سوف توجد أيضاً في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً. ومن شأن هذا الاختبار أيضاً أن يبين مدى الاحتمال الإحصائي لأن تكون العلاقات القائمة بين البيانات الموجودة في العينة غير موجودة في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً.

يجب على الباحث أن يحدد ما هو مستعد لقبوله من مستوى الخطير المائل في كون بيانات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع في مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطير الذي يشيع استعماله أكثر من غيره هو : احتمال < 0.05 ، أو 5% احتمال أن العلاقات الموجودة في بيانات العينة لن توجد في مجتمع البحث الكبير.

ولا ريب أننا لا نستطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر ، أو لا تعتبر ، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5 %، إلا أنها نستطيع بواسطة إمعان النظر في مستوى الاختبار الإحصائي أن نتوصل إلى شيء من الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التي من شأنها أن توجد في مجتمع البحث الأكبر .

2 - تستعمل الدلالة الإحصائية كذلك لبيان احتمال أن تكون نتيجة معينة مثل كاي تربيع ، قد حدثت مصادفة. ففي المثال الخاص بكاي تربيع في موضع لاحق من هذا الفصل ، طرحتنا فرضياً صفرياً بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين . فإن وجدنا أن هذه النتائج ذات دلالة إحصائية أمكننا حينئذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى . والمستوى المقبول للدلالة الإحصائية ، والذي يستعمله معظم الباحثين الاجتماعيين هو ح (احتمال) < 5.0 أي : احتمال 5 % لعدم وجود علاقة بين المتغيرين .

من الملائم كذلك أن يعتمد الباحثون الاجتماعيون على أبحاث غيرهم ، لذلك يتعين عليهم أن يكونوا قادرين على قراءة وفهم التقنيات الإحصائية التي يستعملها غيرهم من الباحثين . وسوف يساعدك هذا الفصل في فهم بعض التقنيات التي يستعملها الباحثون الآخرون وفي الوصول إلى فهم أفضل لنتائج بحوثهم .

بحث

الاتجاهات الاجتماعية

يُنشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعية» كل عام (وهو الآن متاح للجمهور وتم آخر دخول عليه في سبتمبر 2009، على موقع www.socialtrends.gov.uk). يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية. وتقدم البيانات في تشكيله من القوالب - كالجدوال، والخرائط والرسوم البيانية - ويوفر موجز للنقط الرئيسية ذات الأهمية في هذه البيانات الأساسية الذي تقوم عليه المناقشة. من خلال قراءتك لثلث تلك التقارير تستطيع اكتساب فهم للبيانات الإحصائية وللطريقة التي يمكن أن تعرض بها في أفضل صورة.

تحليل البيانات الكمية

إن أي تحليل للبيانات الاجتماعية يزيد عن مجرد كونه تلخيصاً للبيانات التي سبق جمعها. فالتحليل (انظر قائمة المصطلحات) هو عملية معالجة للبيانات بهدف تلخيص وبيان وتفسير هذه البيانات في ضوء أسئلة البحث أو فرض المشروع البحثي. وتحليل البيانات الكمية عملية (انظر قائمة المصطلحات) تجري في ثلاثة مراحل. وتعد كل مرحلة من هذه المراحل مهمة لأننا نعمل بهدف الوصول إلى مجموعة من النتائج التي ستساعدنا في الإجابة على أسئلة بحثنا أو في اختبار أحد الفروض.

يمكنا التحليل الإحصائي للبيانات من:

- تلخيص البيانات التي جمعناها ووصف هذه البيانات.
- ووصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا في تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا.
- واستكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات.

وسوف نصحبك في هذه الفقرة على امتداد مراحل هذه العملية ونحن نبحث الطريقة التي يتتطور التحليل وفقاً لها. سوف نستعمل بعض البيانات المتخيلة والمستمدة من استبيان عن التواصل الاجتماعي عبر شبكات الكمبيوتر في أجزاء من هذه الفقرة. يمكن أن

يستعمل هذا الاستبيان فى جمع بيانات عن الطريقة التى يتبعها الأفراد فى عقد اللقاءات الاجتماعية والحفاظ على الاتصال بالأصدقاء والأسرة ، كما يهتم الباحث بصفة خاصة بما إذا كان الرجال والنساء مختلفين فى الطرق التى يتبعونها فى هذا الشأن أم لا ، ومهتم كذلك بما إذا كان السن مرتبطا باستعمال الوسائل المختلفة للاتصال أم لا . نقدم أدولا جزءاً مستخلصا من هذا الاستبيان التخيلي ، وبه أسماء المتغيرات ملحة بكل سؤال / متغير .

فكرة في هذا الموضوع . . .

نذكر : في الفصل 2 من هذا الباب ، قدمنا بعض السمات الأساسية للطريقة التحليلية في معالجة بياناتك .

البيانات المقتننة

السمات الأساسية لبيانات المقتننة هما:

- (أ) أن الأسئلة تكون هي نفسها لكل مشارك أو لكل حالة؛
- (ب) وأنه توجد ، نموذجيا ، مجموعة مشتركة من الأجوبة لكل سؤال .

المتغيرات واستحداث متغيرات جديدة

- المتغير هو مجموعة أجوبة على سؤال ما .
- يمكن استحداث متغيرات جديدة من واقع البيانات عن طريق جمع الأجوبة التي أجبت بها على متغير أو أكثر من متغير ، مثل السن / الجنس .
- يبين عدد مرات تكرار كل متغير مدار ظهور كل إجابة أو ترميزه أعطيت لكل متغير .
- تبين الجداول المزدوجة العلاقة بين متغيرين أو أكثر داخل قالب جدولى .

الأكواود

الأكواود هي الأسماء أو محددات الهوية المعطاة لكل إجابة من الأجوبة الموجودة في مجموعة متغير ما . سوف نستعمل هذه الأكواود في هذه الفقرة ، كما أنك قد ترغب في الرجوع إلى الفصل 2 من هذا الباب .

المثال (1-3)

استبيان التواصل عبر الشبكات الاجتماعية

اسم المتعير

النوع

ذكر

أنثى

1 - هل أنت

2 - أى مجموعة عمرية يقع سنك فيها؟

	٢٤-٦٢ سنة
	٤٤-٥٤ سنة
	٦٤-٩٥ سنة
	٩٥ سنة فما فوق

المجموعة العمرية

وقت الفراغ

3 - أى هذه الأنشطة تشارك فيها أثناء وقت فراغك؟

(الرجاء وضع علامة على كل الأنشطة التي تنطبق على حالتك)

تلفزيون	مشاهدة التليفزيون
موسيقى	الاستماع للموسيقى
النت	الإنترنت (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)
أصدقاء/أسرة	قضاء الوقت مع الأصدقاء/الأسرة
حانة	الذهاب إلى الحانات/النوادي
ألعاب رياضية	الألعاب الرياضية/أنشطة التدريبات
ألعاب الكمبيوتر	ممارسة ألعاب الكمبيوتر

4 - ما مدى تكرارك استخدامك للإنترنت في

وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)؟

	كل يوم
	من ثلاثة أيام إلى ستة في الأسبوع
	يوماً أو يومين في الأسبوع
	أقل من مرة في الأسبوع
	لا أستخدمه إطلاقاً

5 - ما عدد الساعات التي تقضيها كل أسبوع ، تقريريا ، في استخدام الإنترنت؟

ساعات النت

ساعة ---

٦ - ما الطرق التي أنت معتمد على اتباعها في الحفاظ على الاتصال بأصدقائك المقربين أو أسرتك (خلاف من يعيشون مثلك في نفس المنزل)؟
 (الرجاء وضع علامة على الطرق التي ينطبق على حالتك)
 (كود متعدد)

شخصيا	المقابلة الشخصية
التليفون	المكالمة التليفونية
نص	إرسال رسالة مكتوبة
إيميل	البريد الإلكتروني
خطاب	الخطابات البريدية
اتصال النت	الإنترنت ، مثل ذلك: غرفة الدردشة ، وموقع التواصل الاجتماعي ، مثل الفيس بوك ، والرسائل الفورية ، والتويتر .

(٦ «أ») إن كنت استخدمت الإنترنت بالأمس للاتصال بغرفة دردشة ، أو موقع تواصل اجتماعي ، أو رسائل فورية ، أو تويتر وما أشبه ذلك – فكم دقيقة قضيتها في هذا النشاط بالأمس .

(الرجاء إعطاء إجابتك لأقرب 15 دقيقة (أى: أقرب ربع ساعة)

وقت التواصل على النت

الدقائق	الساعات
-----	-----

7 - أتميل إلى وصف نفسك باعتبار أنك :

(الرجاء وضع دائرة حول الرقم الذي ينطبق على حالتك) اجتماعي

社会效益 تماما	غير اجتماعي حد ما	غير اجتماعي ولا غير اجتماعي	لا اجتماعي إلى حد معقول	社会效益 جدا
٥	٤	٣	٢	١

الأنماط المختلفة للبيانات الكمية

قدمنا في الفصل الثاني من هذا الباب فكرة المتغير باعتبار أنه تلك المجموعة من فئات أو أكواود البيانات المتصلة بسؤال واحد أو بمعلومة واحدة؛ لذلك، فإنه في الاستبيان الخاص بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، في السؤال الأول («هل أنت ذكر أم أنثى؟»)، يكون المتغير هو «ال النوع ». وتشكل المتغيرات الأساس الذي يقوم عليه التحليل الإحصائي، إذ إن البيانات التي تعالجها هي مجموعة الإجابات أو الأكواود المتصلة بكل متغير على حدة، ونحن الآن نركز على دراسة وبحث هذه البيانات. يوجد عدد من الأنماط المختلفة للمتغير، كما أن بإمكانك أن تستخدم تقنيات مختلفة بأساليب مختلفة مع كل نمط على حدة، لذلك يتوجب علينا أن تميز بينها. ويصف الجدول رقم (1-3) الأنماط الرئيسية الأربع لـ المتغير.

الجدول رقم (1-3) الأنماط الأربع الرئيسية للمتغيرات

نط المتغير	الوصف التفصيلي
متغير النسبة	متغير النسبة هو متغير يكون فيه الفرق بين كل إجابة أو فئة متماثلاً، كما يوجد فيه صفر مطلق على المقياس. من الممكن إجراء عملية الضرب وعملية القسمة (أى: تكوين النسب أو المعدلات) بين قيم المتغيرات.
متغير النسبة	في هذا المثال يتساءل المتغير المسمى «نت وقت فراغ» ^(*) عن متغير نسبي، وذلك لأن كل الإجابات عبارة عن وحدات لساعة واحدة، لذلك فإن من يقول إنه استخدم الإنترنت لمدة عشر ساعات يكون قد استخدمها ضعف المدة التي استغرقها من استعمالها لمدة خمس ساعات، كما أن من الممكن لأحد المشاركين ألا يستعمل الإنترنت إطلاقاً – أى إن عدد الساعات هنا صفر.
متغير الدورة/ الفترة	متغير الدورة/ أو الفترة مماثل لمتغير النسبة في كون الفرق بين كل واحدة من الإجابات أو الفئات متماثلاً، إلا أنه لا يوجد به صفر مطلق. أو مثال ذلك، أن مقياس فهرنهايت و مقياس سلسیوس لدرجات الحرارة فيما درجتان مختلفتان للصفر.

(*) المتغير الذي تظهر كل إجاباته في صورة وحدات مكونة من ساعة واحدة وتكراراتها هو المتغير المسمى «ساعات النت» inthours، وليس «نت وقت الفراغ» inttime . (المترجم)

متغير الرتبة

متغير الرتبة هو المتغير الذي يمكن فيه وضع الفئات أو الأكواود في رتب مقاومة - أعني بذلك أن بالإمكان أن نقول أن فئة أو كودا أكبر أو أهم من فئة أخرى أو كود آخر . إلا أن الفرق بين كل اثنين من الفئات ليس متماثلا . ففي السؤال رقم ٧ يعتبر المتغير المسمى «اجتماعي» متغير رتبة بسبب وجود نظام رتب لفئات الأجوبة . فالشخص «الاجتماعي جداً» يعتبر أكثر اجتماعية من الشخص «الاجتماعي إلى حد معقول» (ولكنه ليس بالضرورة ضعيف) في صفة الاجتماعية . وبالمثل ، فإن المتغير «المجموعة العمرية» يعتبر متغير رتبة ، إذ إن الأفراد الموجودين في الفئة رقم ٢ (ما بين ٤٤-٢٥ سنة) يعتبرون أكبر سنا من أفراد الفئة رقم ١ (ما بين ٢٤-١٦ سنة) ، كما أن هاتين الفئتين ليستا متماثلين في الحجم . والكود الرقمي المخصص للأفراد من حيث مدى اتصافهم بالاجتماعية يعكس نظام الرتب الخاص بهذه الفئات .

المتغير الاسمي

المتغير الاسمي هو مجرد مجموعة من الأسماء . بعبارة أخرى ، لا ترتبط مجموعة فئات هذا المتغير ببعضها البعض من حيث الكمية . يعتبر الكود المتعدد «وقت الفراغ» متغيرا اسميا حيث لا تزيد كل إجابة عن ذكر اسم النشاط ، كما أن أي نشاط ليس أكثر أهمية أو أضخم من أي نشاط آخر . يتم تخصيص إجابتين اثنين ، أو كودين اثنين فقط لعدد كبير تماما من التغييرات ، مثل: ذكر/أثني ، نعم / لا . وتعرف هذه التغييرات بالتغييرات الثنائية . في معظم المواقف يمكننا النظر إلى هذه التغييرات باعتبارها نمطا معينا من المتغير الاسمي ، إذ إن الأجوبة تكون مختلفة ولكنها ليست مرتبة تبعا لدرجة الأهمية .

استعمال التحليل الإحصائي لتلخيص بياناتك ووصفها

بوصفك باحثا ، لابد أن تصرف كوسط بين البيانات التي جمعتها والأفراد الذين سيهتمون بما توصلت إليه من نتائج . ويتمثل دورك في معالجة البيانات الخام وفي تقديم تفسير لهذه البيانات في شكل يلخصها ويظهر مدى ارتباطها بأسئلة بحثك . وتكون الأولوية عند معظم الباحثين هي العثور على طرق لتلخيص البيانات - ومع ذلك ، فإن قارئك لن يرغب في معظم الأحوال في قراءة كل استبياناتك من أولها لآخرها ليعرف أحوال مستجيبيك .

ولمساعدتك على القيام بهذا العمل ، سنقدم عددا من الطرق التي تتبعها في النظر إلى بياناتك وفي استخدام ما يسمى كثيرا بالإحصائيات الوصفية . وهى إحصائيات تلخص البيانات التي سبق لك أن جمعتها فيما يتصل بكل متغير ، وذلك في ضوء :

- تكرار ظهور كل إجابة أو كود.
- وكيفية توزيع هذه الأجرة على هذه الأكواب.
- والإحصائيات الموجزة: والتي منها مثلاً: المتوسطات، والوسائل (جمع وسيط)، والمنوالات، والنسب المئوية.

وقد ذهبنا في الفصل 2 من هذا الباب إلى أنك تستطيع أن تبدأ استكشاف معالم بياناتك بالنظر إلى الكيفية التي تتوزع وفقاً لها أجوبة أسئلة بحثك أو أكوابها - ويعتبر آخر ، كم عدد الحالات التي سجلت لكل كود على حدة؟ ويمكن لهذه الحقيقة أن تعرض في جدول تكراري ، وهو الذي يعد نقطة البداية في تحليلك (وقد أدرجنا مثلاً لجدول تكراري في المثال رقم (3-2) . حينئذ يمكنك أن ترى «شكل» بياناتك ، وأن تصنف أو تلخص البيانات ذات العلاقة بكل متغير باستخدام أشكال بيانية بسيطة مع بعض الإحصائيات الوصفية.

وصف العينة

من المفيد أن تبدأ بوصف الخصائص التي تتسم بها عينتك أو حالاتك . قد يشمل هذا الوصف ، مثلاً على سلسلة من الرسوم البيانية أو الجداول التكرارية التي تظهر ما في هذه العينة من توزيعات العمر ، ومستويات الدخل والنوع . كثيراً ما يستخدم الأعمدة البيانية البسيطة لتبيّن توزيع خصائص عينتك في صورة مرئية - تستطيع حزم البرمجيات مثل SPSS وإكسل مساعدتك في القيام بهذا العمل (انظر فصل 9)؛ سيساعدك ذلك في التعرف على ملامح عينتك حتى تستطيع البدء في استكشاف العلاقات القائمة بين هذه الخصائص من جهة والتغيرات الأخرى من جهة أخرى .

المثال رقم (2-3)

وصف العينة

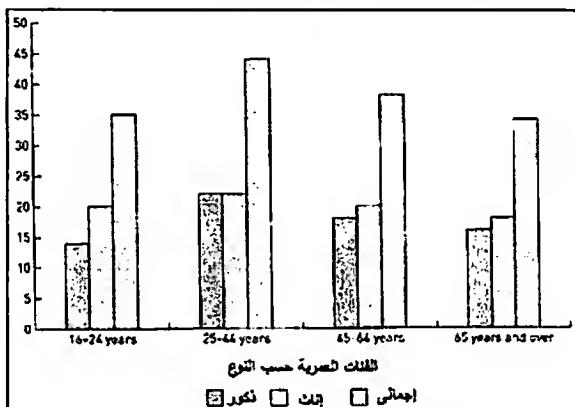
في المثال الخاص بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية قد تحتاج لأن تبدأ باستكشاف الفروق في التواصل عبر الشبكات الاجتماعية بين المستجيبين الذكور والإإناث ، وكذلك بين المجموعات العمرية المختلفة . ابدأ باكتشاف توزيع عينتك عبر الفئات العمرية وفقاً لنوع ، وذلك حتى تتمكن من التحقق مما إذا كانت توزيعات الذكور والإإناث تختلف باختلاف السن من عدمه .

جدول رقم (3-2) : مستجبيو التواصل عبر الشبكات الاجتماعية موزعين تبعاً للمجموعة العمرية والتوع (أ)

النسبة المئوية للإجمالي	الإجمالي	النسبة المئوية للإناث	عدد الإناث	النسبة المئوية للذكور	عدد الذكور	المجموعة العمرية	هذا أمر لافت للنظر
% ٢٢,٦	٣٤	% ٢٥	٢٠	% ٢٠	١٤	٢٤-١٦ سنة	
% ٢٩,٣	٤٤	% ٢٧,٥	٢٢	% ٣١,٤	٢٢	٤٤-٢٥ سنة	
% ٢٥,٣	٣٨	% ٢٥	٢٠	% ٢٥,٧	١٨	٦٤-٤٥ سنة	
% ٢٢,٦	٣٤	% ٢٢,٥	١٨	% ٢٢,٩	١٦	٦٥ سنة فأكثر	
% ٩٩,٨	١٥٠	% ١٠٠	٨٠	% ١٠٠	٧٠	الإجمالي	

يصف المثال رقم (3-2) توزيع عينة من 150 فرداً. تضم هذه العينة عدداً من النساء أكبر قليلاً من عدد الرجال، كما يوجد عدد أكبر من الرجال والنساء في المجموعات العمرية الوسطى الواقعة بين 25-44 سنة وبين 45-64. بعد التوزيع العمري للذكور والإإناث مختلطاً اختلافاً طفيفاً حيث يوجد، مثلاً، 20% من الذكور فقط في المجموعة العمري الأصغر مقارنة بنسبة 25% من الإناث. ونظراً لأن أحد أهداف تحليلنا هو بحث الفروق بين الرجال والنساء وبحث المجموعات العمرية المختلفة فيما يتصل بخبراتهم بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، فإنه يتوجب علينا أن نتوقف ونفكر في الدلالات الضمنية لتحليلنا لهذه الفروق.

يمكن عرض هذه البيانات في رسم بياني مكون من أعمدة يظهر توزيعات العمر المختلفة للرجال والنساء والإجمالي في هذه العينة.



الشكل رقم (3-3): مستجبيو التواصل عبر الشبكات الاجتماعية موزعين تبعاً للمجموعة العمرية والتوع.

قد نسأل أنفسنا عما إذا كانت توجد حالات في المجموعة الصغرى كافية لأن تمكنا من القول بأن إجاباتهم تمثل بالفعل هذه المجموعة أم لا . في هذه الحالة فإن المجموعة الصغرى هي مجموعة الرجال الواقعة أعمارهم بين 16-24 سنة ، وعدهم 14 حالة . والمجموعتان الكبيرتان هما مجموعة الرجال الواقعة أعمارهم بين 25-44 سنة ومجموعة النساء الواقعة أعمارهن بين 25-44 سنة وكل واحدة من المجموعتين تتكون من 22 حالة . ونظرًا لأن هذا بحث ذو نطاق محدود ، فمن المستبعد أننا سنكون قادرين على معالجة هذا الوضع بالحصول ، مثلا ، على المزيد من الحالات .

عند هذه المرحلة من التحليل ينبغي أن نسجل هذه الفروق وأن نحتفظ بها في أذهاننا ونحو نواصل المضي قدما في التحليل . وقد نفكر لاحقا في جمع المجموعات العمرية في مجموعتين بدلا من أربع مجموعات ، مثنين بذلك مجموعتين بكل واحدة منها عدد أكبر من الأفراد .

المثال رقم (3-3)

استعمال النسب المئوية

تبين النسبة المئوية كل قيمة في جدولك التكراري باعتبارها جزءا من هذا المقدار الكلي (في حالة أن الكل يساوى 100%). يتم استخراج النسبة المئوية على النحو التالي:

$$\frac{\text{عدد الحالات في الفتنة}}{\text{العدد الإجمالي للحالات}} \times 100$$

مثال ذلك أن النسبة المئوية للرجال الذين في المجموعة العمرية من 16-24 سنة تساوى :

$$\frac{14 \text{ (عدد الرجال في تلك المجموعة العمرية)}}{20 \text{ (العدد الإجمالي للرجال)}} = 100 \times 70\%$$

ويمكن أن يكون تحويل ما في بياناتك الخام من توزيعات تكرارية إلى نسب مئوية مفيدا لك في هذه المرحلة ، إذ إن هذا سيمكنك من مقارنة المجموعات ذات الأحجام المختلفة . في المجموعة العمرية من 25-44 سنة يوجد 22 رجلا و 22 امرأة . إلا أن العدد الإجمالي للرجال يبلغ 70 رجلا ، والعدد الإجمالي للنساء 80 امرأة ، وبهذا يشكل 22 رجلا نسبة مئوية أكبر ، أو قدرًا أكبر نسبيا ، من إجمالي الرجال - هو 31.4% - بينما تشكل 22 امرأة نسبة 27.5% من إجمالي عدد النساء .

ماذا يكون لو احتجنا إلى معرفة توزيع الرجال والنساء في كل مجموعة عمرية؟

يمكن استعمال نفس الجدول ولكن تستخرج النسب المئوية على أساس المجموعات العمرية (الموجودة في كل صفحه) وليس في كل عمود (حيث توجد مجموعات النوع). لاحظ أن النسبة المئوية الكلية (وهي 100%) موجودة في العمود الأيمن في هذه الحالة.

بحساب النسب المئوية لكل مجموعة عمرية يمكننا أن نرى أن توجد نسبة مئوية من النساء أعلى من نسبة الرجال في كل مجموعة عمرية، وذلك بصرف النظر عن المجموعة العمرية الواقعة بين 25-44 سنة والتي يمثل الرجال 50% منها وتمثل النساء 50% منها. وهذا أمر متوقع لأنه يوجد في هذه العينة عدد من النساء أكبر من عدد الرجال. ومع ذلك يظهر حساب النسب المئوية أيضاً أن أصغر المجموعات العمرية سناً تتألف من 58.8% من النساء (حاصل قسمة 20 امرأة في هذه المجموعة على إجمالي أفراد المجموعة وهو 34، مضروباً في 100) بجانب أصغر مجموعة رجالية عدداً (وهي 14 فرداً). لا بد من تدوين ذلك واستحضاره في الذهن عند إمعان النظر في الخصائص والسمات الأخرى لهذه المجموعة العمرية.

جدول رقم (3-3) مستجيبو التواصل عبر الشبكة الاجتماعية موزعين تبعاً للمجموعة العمرية والنوع (ب)

النسبة المئوية للإجمالي للإناث	الإجمالي	النسبة المئوية للإناث	عدد الإناث	النسبة المئوية للذكور	عدد الذكور	المجموعة العمرية	هذه النسبة لافقة للنظر
% ١٠٠	٣٤	% ٥٨,٨	٢٠	% ٤١,٢	١٤	٢٤-٢٦ سنة	
% ١٠٠	٤٤	% ٥٠	٢٢	% ٥٠	٢٢	٤٤-٤٥ سنة	
% ١٠٠	٣٨	% ٥٢,٦	٢٠	% ٤٧,٤	١٨	٦٤-٦٥ سنة	
% ١٠٠	٣٤	% ٥٣	١٨	% ٤٧	١٦	٦٥ سنة فأكثر	
% ١٠٠	١٥٠	% ٥٣,٣	٨٠	% ٤٦,٧	٧٠	الإجمالي	

بحث ١ اختبار جودة البحث

- كن حذراً عند استعمال النسب المئوية إذا كان الإجمالي أقل من 20 حالة لأن من المحتمل أن تكون الأرقام في كل فئة قليلة. قد تعكس الفروق الكبيرة في النسب المئوية الفروق الخاصة بحالة واحدة فقط أو حالتين. فكر في ضم الفئات لإنشاء مجموعات أكبر حجماً.

- تحقق من أن النسب المئوية تصل في مجموعها إلى 100 % (أو قريباً من ذلك). عند حساب النسب المئوية يكون من الممارسات الشائعة أن تقرب هذه النسب إلى درجة عشرية واحدة أو إلى أقرب عدد صحيح - لذلك عندما تجمع النسب المئوية إلى بعضها فقد لا تكون 100 % على وجه الدقة، وذلك كما في الجدول الوارد في المثال رقم (3-2) (حيث بلغ إجمالي النسب المئوية 99.8 %).
- تأكد دائماً أنك تعمل على أساس الإجمالي الصحيح باعتباره 100 %، وتحقق من اتجاه النسب المئوية في الجداول المزدوجة - الصنوف أو الأعمدة؟
- عند كتابتك لنقرير عن نتائجك اذكر دائماً ما الذي ترتبط به هذه النسب المئوية، فاذاً، مثلاً، أن 20 % من جميع الرجال في العينة كانوا من المجموعة العمرية الواقعة بين 16-24 سنة.

شكل التوزيع

يمكن للوحة الأعمدة البيانية والمدرجات التكرارية أن تساعدننا في تصوير شكل توزيع القيم لكل متغير من متغيراتنا، كما أنها تعد أسلوباً فعالاً في تلخيص بياناتنا وفي مساعدتنا على تمييز ما في بياناتنا من ملامح لافتة للنظر أو مخالفة للشائع أو المتوقع. في المثال رقم (3-4) سنستعمل البيانات المستخرجة من الاستبيان المتعلق بمدى تكرارية استخدام الرجال والنساء الذين شملتهم العينة للإنترنت، سنتعاملها في إمعان النظر في توزيعات المتغير المسمى «وقت النت» Inttime .

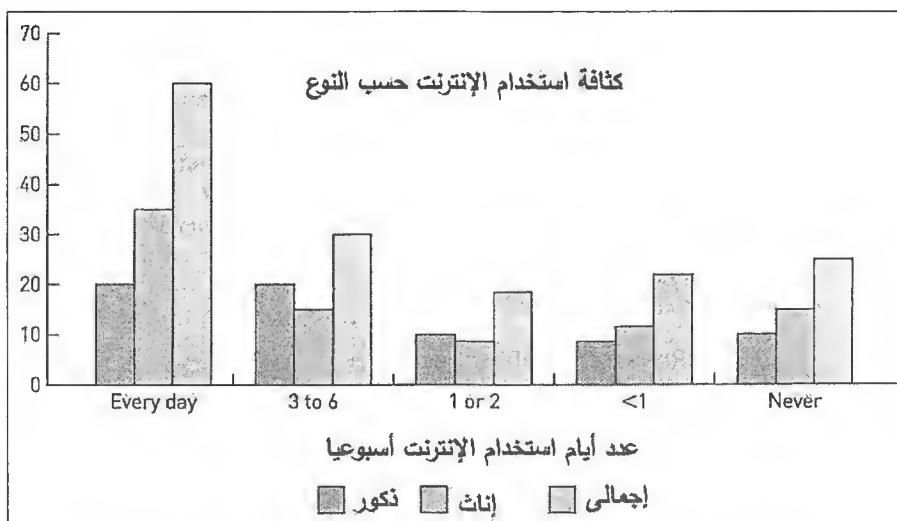
ما المدرج : التكراري؟

المدرج التكراري هو رسم بياني يظهر معدل تكرار متغير النسبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة. يتركز كل عمود في المدرج التكراري حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التي يمثلها (انظر المثال رقم (3-5) لاطلاع على نموذج للمدرج التكراري).

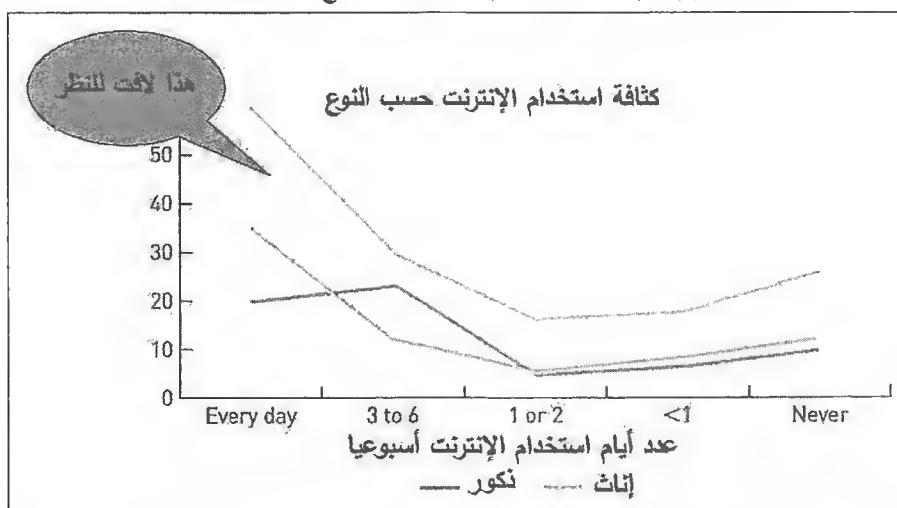
المثال رقم (4-3)

شكل التوزيع

سؤال - 4 : ما مدى تكرار استخدامك للإنترنت في وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)؟ وقت النت Inttime



شكل رقم (3-2) : كثافة استخدام الإنترنت تبعاً لنوع : لوحة أعمدة بيانية



الشكل رقم (3-3) : كثافة استخدام الإنترنت تبعاً لنوع : رسم بياني خطى

إذا وصلنا النقاط الوسطى لكل عمود من الأعمدة المشابهة اللون ، فإننا نستطيع أن نرى هذا الشكل بصورة أكثر وضوحاً. بين الخط الممثل للأرقام الإجمالية (أى الخط الواسع بين النقاط الوسطى لأعمدة الأرقام الإجمالية) أن عدد الإجابات تكون في أعلى مستوى لها عند الطرفين: أى عند طرف «كل يوم» وطرف «لاتاماً». وأيا ما كان الأمر ، فإننا إذا نظرنا إلى قيم الرجال وقيم النساء كل على حدة ، فإننا نستطيع أن نرى أن شكل التوزيع بالنسبة للرجال والنساء مختلفاً واضحاً.

في هذه المرحلة قد تسبب نتيجة كهذه في إثارة مزيد من الأسئلة:

- هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرار استخدام الإنترنت؟
- هل تعنى هذه النتيجة أن النساء يقضين وقتاً أكثر في استخدام الإنترنت؟
- هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء فيما يتصل بطريقة قضاء وقت الفراغ؟

من شأن استخدام الجداول والرسوم البيانية - كما في هذا المثال - أن يمكننا من رؤية الطريقة التي تتوسع وفقاً لها الإجابات على أسئلتنا، عبر مجموعة من القيم المتصلة بالمدى - ابتداء من أقل قيمة وانتهاء بأعلى قيمة - والمتعلقة بالموقع الذي تتركز فيه معظم الأجوبة. فمقارنة شكل البيانات الخاصة بالمجموعات المختلفة كالمجموعات العمرية أو المجموعات الجنسية مثلاً، يمكن أن تكون طريقة مفيدة للبدء في تمييز الفروق اللافتة للنظر بين هذه المجموعات.

المتوسط (الوسط الحسابي)، والوسيط، والمنوال

ثمة طرق أخرى لتلخيص البيانات قد تستخدم في التعرف على الفروق القائمة بين المجموعات أو الفئات المختلفة. يعد المتوسط (الوسط الحسابي)، والوسيط، والمنوال، طرقاً لتلخيص البيانات المتعلقة بمتغير واحد في قيمة واحدة، في كل حالة تتعلق هذه القيمة بقيمة مركزية لهذه البيانات، ومن هنا تسمى هذه الطرق أحياناً بمقاييس التوزع المركزية (انظر قائمة المصطلحات)

- المتوسط أو الوسط الحسابي يقدم متوسطاً لكل القيم، ويمكن حسابه باستخراجه من بيانات النسبة أو بيانات الفترة .
- الوسيط (انظر قائمة المصطلحات) هو النقطة الوسطى في مجموعة من البيانات، ويمكن استخدامه في بيانات الدرجة، والفترات، والنسبة .
- المنوال (انظر قائمة المصطلحات): يمكن استخدام المنوال مع أي بيانات تضم بيانات اسمية nominal، وهو يشير إلى القيمة الأكثر شيوعاً .

مع أن بالإمكان استخدام أي من هذه الطرق في المراحل المبكرة للتحليل، فإن من المهم أن ننظر أيضاً بإمعان في الطريقة التي تتشتت بها البيانات حول المتوسط، أو الوسيط، أو المنوال - لذلك تأكد من أنك تأخذ في الحسبان شكل التوزيع «انظر المثال رقم (3-4)» ومدى القيم (أى الفجوة بين أدنى قيمة وأعلى قيمة).

ما هو التوزيع الاعتدالى؟

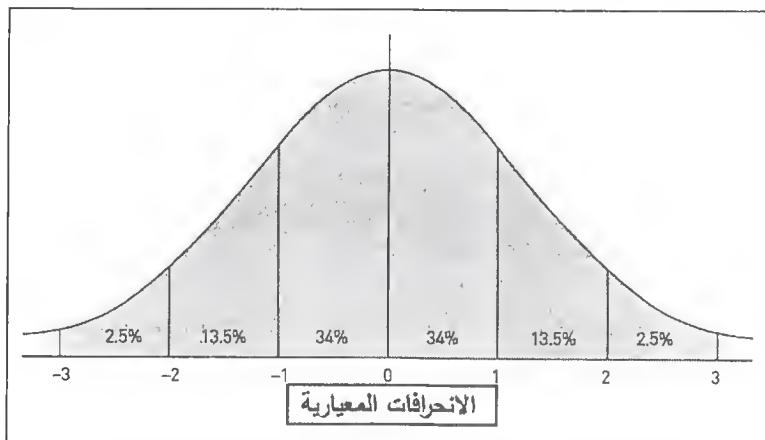
يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». (وقد ناقشنا موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون خصائص العينات المسحوبة من مجتمع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا).

فى البحث الاجتماعى الفعلى، نادراً ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماماً، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

مثال ذلك :

- إذا قشت أطوال عينة مماثلة لأطفال من نفس السن، فبإمكانك أن تتوقع أن معظم أطوال الأطفال ستتجمع حول نقطة مركزية، مع وجود أطفال قليلى العدد أطوالهم قصيرة نسبياً وأطفال قليلى العدد طوال جداً.
- النتائج التي يتحققها الطلبة في الاختبارات أو الدرجات التي يحصلون عليها في الامتحانات يتوقع غالباً أن تتوزع بهذه الطريقة، مع وجود طلبة قليلين حاصلين على درجات عالية جداً أو درجات منخفضة جداً.

في التوزيع الاعتدالى تكون قيم المتوسط، والوسط، والمنوال موجودة كلها عند النقطة المركزية. وتكون بعض التوزيعات ملتوية Skewed، بمعنى أن لها طرفاً أو ذيلأطولاً من الطرف الآخر أو الذيل الآخر، كما أن المتوسط، والوسط، والمنوال سيكونون مختلفين في قيمهم.



الشكل رقم (4) المنحنى الناقصى الشكل مبين الانحرافات المعيارية

ما الانحراف المعياري؟

الانحراف المعياري مقاييس لتشتت الحالات حول المتوسط (الوسط الحسابي). حين توزع البيانات في توزيع انتدالي، حيث يقع ما يقرب من ثلثي قيم البيانات الموجودة داخل نطاق انحراف معياري واحد موجود على كل جانب من جانبي المتوسط، ويقع 95% من القيم داخل انحرافين معياريين من المتوسط.

ويحسب الانحراف المعياري على النحو التالي :

$$\text{الانحراف المعياري} =$$

$$\sqrt{\frac{\text{المجموع الكلى (انحرافات كل قيمة لكل حالة عن المتوسط)}}{\text{عدد الحالات}}}$$

أو

$$\sqrt{\frac{\sum (s - m)^2}{n}}$$

(حيث $\sum s$ = مجموع ، s = القيمة العددية ، m = المتوسط ، n = عدد الحالات)

المتوسط (المتوسط الحسابي)

يحسب المتوسط (الوسط الحسابي) بتجميع كل القيم ثم قسمتها على عدد الحالات. ويمكن القيام بهذا الحساب على طريق استخدام جداول تكراري، كما في المثال رقم (5-3). يعطى المتوسط قيمة وسطى للمتغير، كما أن بالإمكان أن يكون مفيداً في هذه المرحلة في عقد المقارنة بين متواسطي مجموعتين - كالرجال والنساء مثلاً - من أجل التعرف على الفروق التي قد تكون مهمة. وأيا ما كان الأمر، فإن المتوسط لا ينبع بكل شيء عن مدى القيم (نطاق القيم) أو كيف تتوزع هذه القيم. فقد يكون لتوزيعات مختلفة عن بعضها جداً نفس المتوسط. مثال ذلك، حين نحسب مجموعتين من درجات الامتحانات (ولتكن امتحان علم الاجتماع وامتحان علم النفس مثلاً) بالنسبة لمجموعة من 50 طالباً، فقد يكون كلاً المتوسطين 60 %. ومع ذلك، فإن درجات الطلبة في امتحان علم الاجتماع قد تتراوح من 50 % إلى 70 %، بينما قد تتراوح درجات امتحان علم النفس من 10 % إلى 90 %. في هذه الحالة تحتاج إلى إلقاء نظرة على شكل هذا التوزيع وحساب الانحراف المعياري لمساعدتنا على أن نفهم - بصورة أفضل - هذه الفروق القائمة بين هاتين المجموعتين من درجات الامتحان.

فکر فی هذا الموضوع . . .

مقارنة المتوسطات

في كلتا الحالتين المذكورتين سابقاً، قد يكون لأعضاء هيئة التدريس الذين يضعون هذين الامتحانين مبرر ما للاهتمام بنطاق الدرجات. فقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظر فيما إذا كان هذا الامتحان قد وضع في مستوى يراد منه التمييز بين الطلبة «المجيدين» والطلبة «العاديين»، وذلك لأن سائر الطلبة حاصلون على علامات تقع داخل نطاق 20 %. وقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظر - أيضاً - فيما إذا كان من قاموا بتصحيح الامتحان قد استفادوا تماماً من نطاق الدرجات ولم يميزوا - بشكل فعال - بين من يستحقون تقدير «جيد» ومن يستحقون تقدير «جيد جداً» مثلاً.

وقد يشغل أساتذة علم النفس بالطلبة الذين يستحقون الرسوب بينما حاز غيرهم من الطلبة درجات عالية جداً. وربما لم يساعد مستوى التدريس ونطاق الطلبة الصعاف على التعلم، في نفس الوقت الذي جاء في صالح الطلبة الذين يتمتعون بقدرات خاصة في هذا الموضوع أو في هذا النمط من الامتحانات.

للوصول إلى فهم أفضل لهذه الدرجات تم حساب الانحرافات المعيارية لكل مجموعة:

بالنسبة لدرجات علم الاجتماع، وجد أن الانحراف المعياري = 5.883217

بالنسبة لدرجات علم النفس، وجد أن الانحراف المعياري = 17.54644

ومن واقع هذين الانحرافين المعياريين نستطيع أن نقول :

● كانت درجات علم النفس مشتتة حول المتوسط الذي قدره 60 % بصورة أكثر اتساعاً من تشتت درجات علم الاجتماع التي كانت، وكما نتوقع، متجمعة حول المتوسط.

● لو أن : درجات علم النفس كانت موزعة توزيعاً اعتدالياً، لكان 68 % منها واقعة داخل (60 ± 17.54644) أو أقل واقعة بين 53 % و 77 %، بمعنى أن 95 % منها تكون واقعة بين 35 ± 60 (وهو ما يساوى تقريباً $2 \times$ الانحراف المعياري) أو أقل واقعة بين 25 % و 95 %.

● كانت درجات علم النفس موزعة على امتداد هذا النطاق (أو المدى) وليس متجمعة في شريط ضيق حول المتوسط مع وجود عدد قليل من القيم المتطرفة.

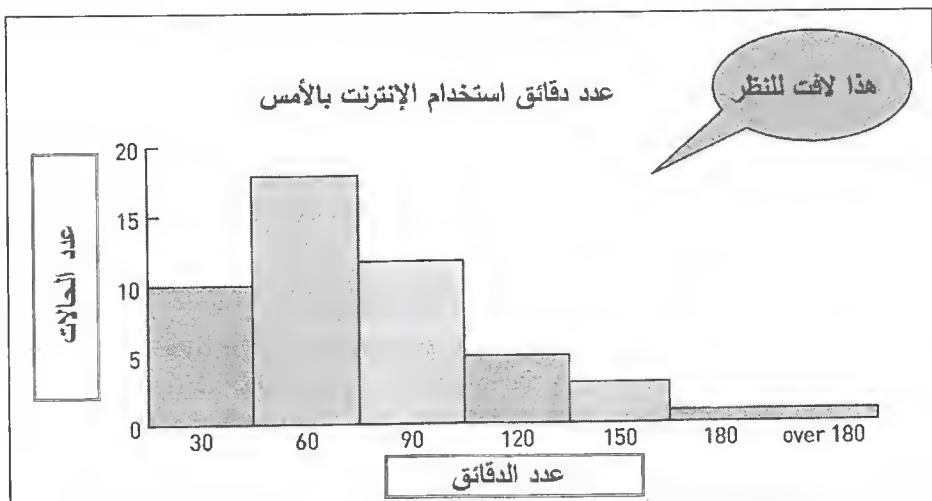
المثال رقم (5-3)

حساب المتوسط، والوسيط، والمنوال

(سؤال 6/أ) إن كنت استخدمت الإنترن特 بالأمس للتعدد على غرفة دردشة أو موقع تواصل اجتماعى، أو إرسال رسائل فورية أو تويتر وما أشبه ذلك:

- فكم عدد الدقائق التي قضيتها فى هذا النشاط بالأمس؟

الرجاء إعطاء إجابتك منسوبة إلى أقرب 30 دقيقة (أى نصف ساعة)
أجاب على هذا السؤال خمسون شخصا.



يبين هذا المدرج التكرارى أن التوزيع ملتو حيث له ذيل طويل فى اتجاه اليمين

حساب المتوسط

الجدول رقم (4-3): حالات استعمال الإنترن特 في التواصل الاجتماعي تبعاً لعدد الدقائق التي تقضي في هذا النشاط - حساب المتوسط.

م س (عدد الدقائق × عدد الأفراد)	عدد المستجيبين م	عدد الدقائق س
300	10	30
1080	18	60
1080	12	90
600	5	120
450	3	150
180	1	180
300	1	أكثـر من 180 (الإجابة المعطـاة = 300)
3990	50	الإجمالي

$$\text{المتوسط} = \frac{3990}{50} = 80 \text{ دقيقة}$$

المتوسط في هذه الحالة هو القيمة الوسطى (القيمة رقم 25، والقيمة رقم 26، من بين 50 قيمة) واللتان ستكونان كلاهما 60 دقيقة. والمنوال هو القيمة الأكثر شيوعاً وهي أيضاً 60 دقيقة.

في هذه الحالة يكون المتوسط متأثراً بعنصر خارجي - والمتمثل في وجود قيمة متطرفة هي 300 دقيقة - والتي تضخم المتوسط. أما الوسيط والمنوال فليساً متأثرين بهذه الحالة المفردة.

الوسيط

الوسيط هو القيمة الوسطى للتوزيع ما. وبتعبير آخر: سيوجـد في هذا التوزيع عدد من الحالـات المتساوية فوق الوسيـط وتحـتـه. فإنـ كان عـددـ الحالـاتـ فـرديـاـ، يـكونـ الوسيـطـ هوـ الـقيـمةـ الوـسـطـىـ (ـالـواـقـعـةـ فـيـ أـوـسـطـ هـذـهـ الحالـاتـ)،ـ وإـذاـ كانـ عـددـ الحالـاتـ زـوـجيـاـ (ـكـمـاـ فـيـ هـذـاـ المـاـلـ)ـ فإنـ قـيـمةـ الوـسـيـطـ تـقـعـ فـيـماـ بـيـنـ الـقـيـمـيـنـ الوـسـطـيـنـ.

المنوال

المنوال هو القيمة الأكثر شيوعاً في التوزيع، ليس إلا. في مثالنا هذا، تكون 60 دقيقة هي الوقت الأكثر شيوعاً. ومن الممكن أن يتواافق لنا توزيع به نقطتان منواليتان أو أكثر. مثال ذلك، أن في المثال رقم (3-4) كان من الممكن أن يوجد من الأفراد الذين لا يستخدمون الإنترنت أبداً عدد مماثل لمن يستخدمونها كل يوم، ولكن لهذا التوزيع حينئذ نقطتان منواليتان.

الربيعات، والخمسات، والعشيرات

يمكن استخدام جدول توزيع تكراري متجمع (انظر قائمة المصطلحات) لوصف نفس البيانات المتعلقة بمقدار الوقت الذي يقضى في استخدام الإنترنت في التواصل الاجتماعي بطريقة مختلفة. ستري من واقع هذا الجدول أننا، عند حساب التوزيع التكراري المتجمع، مضطرون لإعادة التعبير عن استخدامنا للإنترنت بكلمات مناسبة وللتفكير في هذا الأمر في ضوء عدد الأفراد الذين استخدمو الإنترنت لمدة 30 دقيقة أو أكثر، ولدورة 60 دقيقة أو أكثر، وهكذا.

جدول رقم (3-5) جدول توزيع تكراري متجمع

عدد الدقائق	عدد الأفراد	النسبة المئوية من الإجمالي	هذا أمر لا يقتضي للنظر
30 أو أكثر	50	% 100	
60 أو أكثر	40	% 80	
90 أو أكثر	22	% 44	
120 أو أكثر	10	% 20	
150 أو أكثر	5	% 10	
180 أو أكثر	2	% 4	

بعقدورنا أن نستخدم جدول توزيع تكراري متجمع لتقسيم الحالات بطرق مختلفة. مثال ذلك، أننا بعد أن رأينا أن 44% من عيتنا استخدمو الإنترنت في التواصل الاجتماعي لمدة 90 دقيقة أو أكثر في اليوم السابق، فإن باستطاعتنا أن نقسم عيتنا إلى مجموعتين (أى : فئتين) : مجموعة من استخدمو الإنترنت في التواصل الاجتماعي لمدة أقل من 90 دقيقة (مستفيدين مُقلون).

ومجموعة من استخدموها لمدة 90 دقيقة أو أكثر (مستخدمو مُكثرون) ويمكننا حينئذ أن نستعمل هذا التغير في استكشاف ما إذا كانت توجد فروق بين المستخدمين المكثفين والمستخدمين المقلين أم لا. يقوم المثال المذكور في البرواز العنوان «البحث

الواقعي» الوارد أدناه على أساس مستويات الدخل الأسرى للمستجيبين ، كما أنه يقسم هذا التوزيع للمستجيبين إلى خمس مجموعات ، تمثل كل واحدة منها 20 % من العينة . في هذه الحالة يكون إجمالي العينة (100 %) مقسما إلى خمس مجموعات بناء على مستوى الدخل - وتسمى كل مجموعة مكونة من 20 % خميسا (أى : خمس) (انظر قائمة المصطلحات) . كما أن بالإمكان تقسيم العينات إلى أربع مجموعات (هي الرّبعات) (انظر قائمة المصطلحات) أو إلى عشر مجموعات (هي العشائرات) (انظر قائمة المصطلحات) .

بالإمكان كذلك أن نستخدم الخميسات ، والرّبعات ، والعشائرات كأساس لتقديرات جديدة يمكن استعمالها بعد ذلك في تحليل لاحق كما في مثال «البحث الواقعي» التالي :

البحث الواقعي

استخدام الخميسات

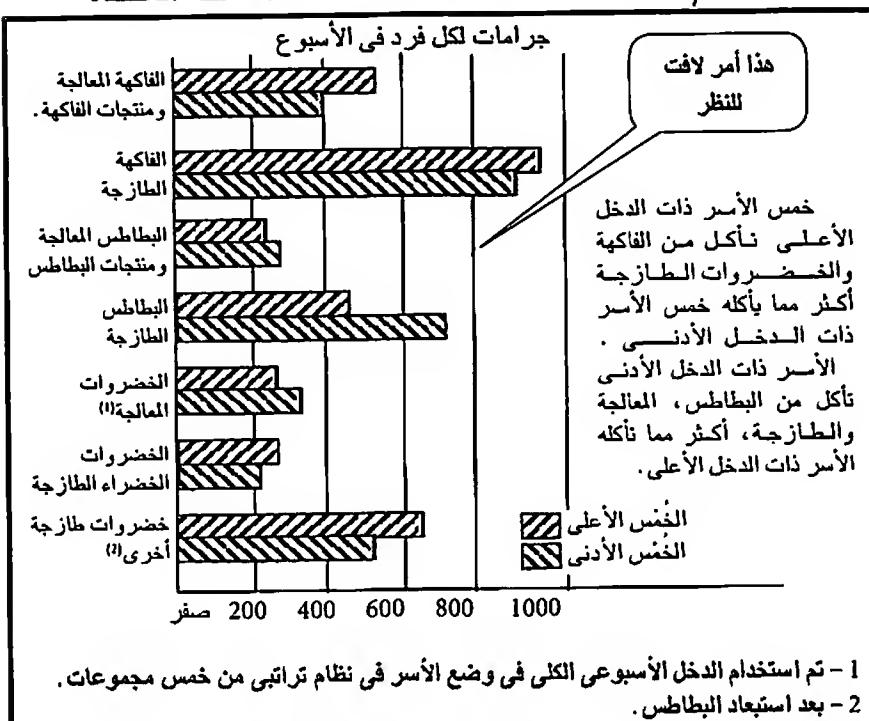
كثيرا ما تقوم التقارير الحكومية والتقارير البحثية بتقسيم عيناتها إلى أربع مجموعات (أى رّبعات) أو خمس مجموعات (أى خميسات) وفقاً للدخول الأسرية للمستجيبين . بهذه الطريقة يتشكل متغير جديد يمكن بعده استخدامه في مقارنة إجابات الأفراد داخل كل مجموعة من مجموعات مستوى الدخل .

إن دخول جميع المستجيبين موضوعة في قائمة مكتوبة على أساس الرتبة . فالعشرون في المائة من المستجيبين ذوى الدخول الأقل موضوعون في فئة مستقلة - وهى فئة خميس الواقع (أو الخميس الأدنى) ، والعشرون في المائة التالون موضوعون في الخميس الرابع ، والتالون في الخميس الثالث .. وهكذا ، وصولاً إلى الخميس الأعلى المتكون من العشرين في المائة من الأفراد ذوى الدخل الأعلى .

اشتمل العدد 38 من التقرير الحكومي السنوى «الاتجاهات الاجتماعية Social Trends (ال الصادر سنة 2008) على رسم بياني يستخدم الخميس الأدنى والخميس الأعلى في مقارنة هاتين المجموعتين فيما يتصل باستهلاكهما لمواد غذائية مختلفة بالграмм في الأسبوع . تمكننا هذه المقارنة من إدراك مقدار ما تتناوله الأسر ذات الدخل الأعلى والأسر ذات الدخل الأدنى من كل نوع من أنواع المواد الغذائية .

**استهلاك الفاكهة والخضروات وفقاً لتقسيم الأسر على أساس الدخل⁽¹⁾،
المملكة المتحدة**

2006/2005



الشكل رقم (6-3) : استهلاك الأسرة للفاكهة والخضروات وفقاً لتقسيم الأسر على أساس الدخل، 2006/2005.

المصدر: مكتب الإحصاءات القومية (2005) «الاتجاهات الاجتماعية» عدد 38، الشكل رقم 9، الفصل 7، ص 98. المادة الخاضعة للقانون الملكي لحق النشر تم استنساخها بإذن من الجهة المشرفة على هذا البحث ، وهي : مكتب معلومات القطاع العام بموجب شروط «رخصة كلايك يوس» Click-Use Licence

تطوير التحليل

تسبيت المرحلة الأولية للتحليل ، حتى الآن ، في إثارة بعض الأسئلة التي من الممكن التوسع في إلقاء الضوء عليها (انظر إلى الفقاعات المكتوب فيها «هذا أمر لافت للنظر» كنقطة انطلاق) . والآن حان الوقت لعمل ما يلي:

(أ) فكر في استحداث متغيرات جديدة أخرى تجمع متغيرين أو تربط بين فئات مختلفة في إطار بعض المتغيرات. فلو كان لديك ، مثلاً ، فئات داخل متغير واحد به عدد قليل من الحالات ، فإنه ينبغي عليك أن تفكّر فيما إذا كان بالإمكان جمع فئتين لغرض التحليل . ولعلك تفكّر أيضاً في استحداث متغيرات جديدة تقوم على أساس توزيع عينتك على متغير أو أكثر من متغير ، مثال ذلك ، أن تستعمل الخمسات أو الربيعات كما في المثال المأمور من تقرير «اتجاهات اجتماعية» العدد 38.

(ب) ضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال الانتشار ، والرسوم البيانية على شكل أعمدة ، والتي تحتاج إليها الآن لتساعدك في الإجابة على الأسئلة التي أثيرت .
وسوف نقدم بعض الاقتراحات في هذا الصدد في المثال رقم (3-6) التالي :

المثال رقم (3-6) تطوير التحليل (أ)

ما الذي يتعين عمله بعد ذلك	أسئلة تظهر حتى الآن من واقع الأمثلة
كون جدولًا مزدوجاً يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذي يجمع الفئة العمرية والنوع من جهة وتكرارية استخدام الإنترنت من جهة أخرى - وهو متغير : وقت النت inttime .	هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرارية استخدام الانترنت؟
كون جدولًا مزدوجاً يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذي يضم المجموعة العمرية والنوع من جهة والتغير الجديد - وهو «ساعات النت» inthours مفسمة على الجنسين .	هل تقضي النساء وقتاً في استخدام الانترنت أكثر مما يقضيه الرجال؟
كون جدولًا مزدوجاً لإظهار العلاقة بين المتغير (الجديد) الذي يضم الفئة العمرية والنوع من جهة والمتغير المتعدد الأكواب المسمى وقت الفراغ ، مبيناً للنسبة لكل فئة جنسية / عمرية تشارك في كل نشاط من هذه الأنشطة .	هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء من حيث طريقةقضاء وقت فراغهم؟

<p>استحدث متغيراً جديداً لمن سبق لهم أن استخدمواً الإنترن特 في التواصل الاجتماعي في اليوم السابق، استحدث هذا المتغير بحيث يضم فتنتين: المستخدمين المئتين (لمدة ٩٠ دقيقة فأكثر في استخدام الإنترن特) والمستخدمين المقلين (أقل من ٩٠ دقيقة).</p>	<p>هل يختلف الأفراد المئتين من استخدام الإنترنط في التواصل الاجتماعي؛ هل يختلفون في نواحٍ أخرى عن المقلين في استخدامه؟</p>
<p>كون جدولًا مزدوجاً لإظهار العلاقة بين المتغير (الجديد) الذي يضم الفتنة العمرية والجنس والمتغير المتعدد الأكواب «الاتصال» مبيناً للنسبة المئوية لكل فئة جنسية/عمرية تستخدم كل طريقة من طرق الاتصال مع أصدقائها وعائلاتها.</p>	<p>أسئلة أخرى قد تظهر لنا في هذه المرحلة: ما الوسائل التي يستخدمها الرجال والنساء من الفئات العمرية المختلفة في الحفاظ على اتصالاتهم بالأصدقاء والعائلة؟</p>
<p>ألق نظرة على المتغير المتعدد الأكواب، المسمى «وقت الفراغ»، وفكِّر في أيِّ الأنشطة التي يمكن اعتبارها اجتماعية (وهي الأنشطة التي تشمل على اتصال ما بين الأفراد) وضع جداولًا مزدوجةً لكل نشاطٍ من هذه الأنشطة تبعًا للجنس (والسن).</p>	<p>هل يتواافق النساء من أنشطة وقت الفراغ «الاجتماعية» ما يزيد على أنشطة الرجال؟</p>
<p>كون جدولًا مزدوجاً لإظهار العلاقة بين المتغير المسمى «اجتماعي» والمتغير المسمى «اتصال». يمكن بعد ذلك أن تضع جدولًا مزدوجاً للعلاقة بين المتغير «اجتماعي» والمتغير المسمى « النوع ». إن وُجدت فروقٌ بين الرجال والنساء من حيث رؤيتهم لأنفسهم كاجتماعيين، أمكن حينذاك استحداث جدولٍ مزدوجٍ مستقلٍ للعلاقة بين المتغير «اجتماعي» والمتغير «اتصال» عند الرجال، وجدولٍ آخر مثلاً للعلاقة بين هذين المتغيرين عند النساء، وذلك بغرض البحث عن الفروق الناجمة عن اعتبارات النوع.</p>	<p>هل يستعمل الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيين جداً، هل يستعملون طرقاً معينةً للحفاظ على الاتصال بأصدقائهم وعائلاتهم؟</p>

بحثك

قائمة المراجعة

	هل استخرجت المعدلات التكرارية لسائر متغيراتك؟
	هل أقيمت نظرة إلى «شكل» البيانات وأنت تبحث عن المتغيرات التي تهمك بعينها؟
	هل قمت بحساب قيم المتوسطات والوسائل ، والمواallets بطريقة مناسبة؟
	هل فكرت في استخدام متغيرات جديدة؟
	هل دونت في ملاحظاتك ما استخرجته حتى الآن من أمور لافتة للنظر؟

عند هذه المرحلة من تحليلك، قد يكون من المفيد لك أن تكتب تقريراً موجزاً عن النتائج التي توصلت إليها حتى الآن. وفيه يمكنك تلخيص بيانات عينتك وتحديد أي نتائج لافتة للنظر يتبعها عليك أن تتبعها. وربما يستعمل هذا التقرير بوصفه الجزء الأول من القسم الخاص بالنتائج التي توصلت إليها، والذي تكتبه في تقريرك النهائي أو رسالتك الجامعية.

من واقع استبيانك أو نموذجك لجمع البيانات، ضع قائمة بأى متغيرات جديدة ترى الآن أنها ستكون مفيدة في تحليلك.

سيساعدني المتغير الجديد في ...	كيف يكون المتغير الجديد	المتغيرات المستخدمة لتكوين المتغير الجديد	اسم المتغير الجديد

من واقع أى أسئلة أثارها تحليلك حتى الآن - ومن واقع أسئلة بحثك - ضع قائمة بالجدال المزدوجة التي يمكنك تصميمها والتي من شأنها أن تساعدك مستقبلاً في الاستكشاف والفهم.

هذا الجدول المزدوج سيساعدني في ...	المتغير الرأسى	المتغير الأفقي

استخدام التحليل الإحصائي في الإجابة على أسئلة البحث

بعد تلخيص البيانات عن طريق إمعان النظر في المعدلات التكرارية وتوزيع قيم كل متغير، يمكنك القيام بأمررين هما : العودة إلى أسئلة بحثك لتبدأ في تركيز تحليلك على جوانب البيانات التي سوف تساعدك في معالجة هذه الأسئلة، وإمعان النظر في الأسئلة التي كانت مطروحة في المرحلة الأولى. ولعلك ستحتاج ، للقيام بذلك ، إلى إمعان النظر في متغيرين أو أكثر معاً . ويسمى بحث متغيرين معاً (انظر قائمة المصطلحات) .. ويسمى تحليل ما يزيد على متغيرين معاً : «التحليل المتعدد المتغيرات» (انظر قائمة المصطلحات).

رأينا حتى الآن مثلاً لهذا التحليل في فصل 2 باب 4 حيث استخدمنا متغيراً جديداً (والسمى السن والنوع AGEGEN) جامعين بين فئتي العمر والنوع في متغير واحد. ويمكن لهذا المتغير الجديد بعد ذلك أن يستخدم من حيث صلته بمتغير ثالث (وهو المتغير المسمى «وقت الفراغ» في الثالث المذكور) بهدف بحث تباين هذا المتغير الثالث تبعاً للمتغير الجامع لمتغيرى السن والنوع معاً.

الجدولة المزدوجة

إن أفضل طريقة لاستكشاف العلاقات القائمة بين المتغيرات والبدء في تمييز الجوانب اللافتة للنظر هي أن تصمم مجموعة من الجداول المزدوجة. وقد سبق أن أكملنا (فصل 2 باب 4، وفصل 4 باب 4)، أن بالإمكان تخطيط تحليل البيانات الكمية في مرحلة مبكرة من البحث، وذلك قبل جمع البيانات ، كما أن بالإمكان إعداد قائمة بما هو محتمل من الجداول المزدوجة المهمة نتيجة استخدام أداة جمع البيانات (كالاستبيان ، مثلاً، أو غيره من استمارات جمع البيانات). وبعد أن تمعن النظر فيما لديك من جداول التكرار والمتغيرات المستحدثة، قد ترغب في هذه اللحظة في أن تضيف لقائمتك جداول مزدوجة أخرى ترى الآن أنها ستكون مهمة ومفيدة.

تقدم الجداول المزدوجة البيانات المأخوذة من متغيرين في جدول واحد مما يتتيح لك الوقوف على ما هو موجود في داخل هذه البيانات من أوجه تشابه أو اختلافات لافتة للنظر. وكما رأينا من قبل ، فإن النسب المئوية تستعمل كثيراً لتسهيل هذا الأمر عندما نبحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الجماعات ذات الأحجام المختلفة. ففي مثالنا الذي يستعمل المتغير المصمم حديثاً والذي يضم فئتي العمر والنوع معاً، نستطيع أن نضم ثلاثة متغيرات – وهي: العمر ، والنوع ووقت الفراغ (السؤال الثالث). وحقيقة الأمر في الواقع ، أن متغير «وقت الفراغ» نفسه يتكون من سبعة متغيرات. ويعد «وقت الفراغ» متغيراً متعدداً من حيث أن كل شخص يستطيع أن يضع علامات على سبعة من أشطبة وقت الفراغ. كما يعد كل واحد من هذه الأنشطة – كذلك – متغيراً منفصلاً يمكن أن يعطي ترميزه بـ «نعم» أو «لا».

فكـر فـي هـذـا المـوضـوـع . . .

ما الـذـى يـمـكـنـكـ أـنـ تـتـلـعـمـهـ مـنـ الـجـدـولـةـ المـزـدـوـجـةـ؟

- يبـينـ الـجـدـولـ رقمـ (3-6)ـ الـأـعـدـادـ،ـ معـ إـيـرـادـ النـسـبـ المـثـوـيـةـ دـاخـلـ الـأـقـواـسـ،ـ وـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـ فـئـةـ عـمـرـيـةـ اـشـتـرـكـتـ فـيـ كـلـ نـشـاطـ مـنـ أـنـشـطـةـ وـقـتـ الفـرـاغـ.
- أـيـ هـذـهـ الـأـنـشـطـةـ هـوـ الـأـكـثـرـ شـيـوـعـاـ؟ـ وـأـيـهاـ الـأـقـلـ شـيـوـعـاـ؟ـ
 - أـيـ هـذـهـ الـأـنـشـطـةـ الـذـىـ يـظـهـرـ أـشـدـ الـاـخـتـلـافـاتـ بـيـنـ النـسـاءـ وـالـرـجـالـ؟ـ وـبـيـنـ الـفـاتـ الـعـمـرـيـةـ الـمـخـلـفـةـ؟ـ
 - ضـعـ دـائـرـةـ حـوـلـ أـيـ أـرـقـامـ تـتـبـرـ دـهـشـتـكـ أـوـ تـجـدـ أـنـهـاـ لـافـتـةـ لـلـنـظـرـ بـصـفـةـ خـاصـةـ.
 - حـاـوـلـ كـاتـبـةـ مـلـخـصـ لـهـذـاـ الـجـدـولـ فـيـمـاـ لـيـزـيدـ عـنـ خـمـسـ جـمـلـ.

الـجـدـولـ رقمـ (3-6):ـ جـدـولـ مـزـدـوـجـ لـفـئـةـ الـعـمـرـ وـالـنـوـعـ تـبـعـاـ لـنـمـطـ نـشـاطـ وـقـتـ الفـرـاغـ

الـعـرـ وـالـنـوـعـ تـبـعـاـ لـأـنـشـطـةـ وـقـتـ الفـرـاغـ	مـاـشـاهـدـةـ التـلـيـزـيـونـ	الـاسـتـمـاعـ لـلـموـسـيـقـيـ	الـإـنـتـرـنـتـ عـدـاـ الـأـعـابـ الـكـوـمـبـوـيـرـ	مـعـ الـأـصـدـقـاءـ وـالـعـانـةـ	فـيـ الـحـانـاتـ وـالـنـوـادـيـ	الـأـلـعـابـ الـرـياـضـيـةـ وـالـتـرـمـيـنـاتـ	الـأـلـعـابـ الـكـوـمـبـوـيـرـ	الـإـجـمـالـيـ فـيـ كـلـ فـئـةـ
الذكور من 24-16 سنة	10 (% 71)	8 (% 57)	12 (% 86)	8 (% 57)	10 (% 71)	8 (% 57)	10 (% 71)	14 (% 100)
الذكور من 44-25 سنة	14 (% 64)	14 (% 64)	18 (% 82)	16 (% 73)	12 (% 55)	12 (% 67)	16 (% 73)	22 (% 100)
الذكور من 64-55 سنة	6 (33%)	6 (33%)	12 (% 67)	10 (% 55)	10 (% 55)	12 (% 67)	16 (% 88)	18 (100%)
الذكور من 55 سنة فأكثر	2 (% 13)	4 (% 25)	6 (% 38)	4 (% 25)	8 (% 50)	8 (% 50)	16 (% 100)	16 (% 100)
إجمالي الذكور الذين يمارسون الأنشطة	32 (% 46)	32 (% 46)	48 (% 69)	38 (% 54)	38 (% 54)	48 (% 69)	58 (% 83)	70 (% 100)
الإناث من 24-16 سنة	4 (% 20)	10 (% 50)	18 (% 90)	16 (% 80)	14 (% 70)	10 (% 50)	18 (% 90)	20 (% 100)
الإناث من 44-25 سنة	4 (% 18)	14 (% 64)	16 (% 73)	14 (% 64)	8 (% 36)	14 (% 64)	16 (% 73)	22 (% 100)
الإناث من 64-55 سنة	4 (% 20)	8 (% 40)	10 (% 50)	10 (% 50)	16 (% 80)	16 (% 50)	10 (% 50)	20 (% 100)
الإناث من 55 سنة فأكثر	8 (% 44)	4 (% 22)	8 (% 44)	4 (% 22)	12 (% 67)	8 (% 44)	16 (% 88)	18 (% 100)
إجمالي الإناث اللاتي يمارسن الأنشطة	40 (% 57)	36 (% 51)	52 (% 65)	44 (% 55)	62 (% 78)	52 (% 65)	66 (% 83)	80 (% 15)
إجمالي من سنهم من 24-16 سنة	18 (% 41)	18 (% 53)	24 (% 71)	30 (% 88)	22 (% 65)	30 (% 88)	28 (% 82)	34 (% 41)
إجمالي من سنهم من 44-25 سنة	18 (% 41)	28 (% 63)	34 (% 77)	30 (% 68)	20 (% 45)	26 (% 59)	32 (% 72)	44 (% 100)
إجمالي من سنهم من 64-55 سنة	10 (% 26)	14 (% 37)	20 (% 53)	22 (% 58)	20 (% 53)	28 (% 74)	32 (% 84)	38 (% 100)
إجمالي من سنهم 65 سنة فأكثر	2 (% 6)	12 (% 35)	14 (% 41)	8 (% 24)	12 (% 35)	26 (% 76)	32 (% 94)	34 (% 100)
إجمالي كل من يمارسون الأنشطة	44 (% 29)	72 (% 48)	82 (% 55)	100 (% 67)	74 (% 49)	110 (% 73)	124 (% 83)	150 (% 100)

ملاحظة : تم تقريب النسب المئوية إلى أقرب عدد صحيح. بعض النسب المئوية قائمة على أساس إجماليات أقل من 20 فرداً، لذلك ينبغي التعامل معها بحذر. النسبة المئوية محسوبة بالنظر إلى إجمالي كل فئة على حدة، مثلاً ذلك، أن 90% من النساء الواقعة في سن 16-24 سنة يشاهدن التلفزيون في أوقات فراغهن. لا تصل النسبة المئوية إلى 100% على امتداد الصور لأن هذا التغيير ذو أكوا德 متعددة ولأن كل فرد على حدة قد يمارس أكثر من نشاط واحد.

اختبار العلاقات : الاختبار کای تربیع

الاختبار باستعمال کای تربیع يمكن استخدامه للحكم على ما إذا كان الفرق بين قيمتي متوسطي عينتين دال إحصائياً (ونعني بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة). ويمكن استخدامه لمقارنة التغييرات الاسمية أو متغيرات الرتب، كمتغير الذكر والأثنى مثلاً. وسوف نستخدم هذا الاختبار لاختبار الدلالة الإحصائية للبيانات الواردة في الجدول المزدوج الوارد في المثال رقم (3-7). في هذا المثال تتمثل العينتان في مجموعة الرجال ومجموعة النساء.

المثال (7-3)
إلى أي مدى يعتبر الرجال والنساء أنفسهم اجتماعيين؟

الجدول رقم (7-3) تصورات الأفراد لدى كونهم اجتماعيين، تبعاً لنوع

هذا أمر لافت
للنظر

الإجمالي	النساء	الرجال	تصورات الأفراد لدى كونهم اجتماعيين تبعاً لنوع
35 (% 23.3)	25 (% 31.3)	10 % 14.3	اجتماعي جداً
50 (% 33.3)	30 (% 37.5)	20 (% 28.6)	اجتماعي إلى حد معقول
23 (% 15.3)	8 (% 10)	15 (% 21.4)	لا اجتماعي ولا غير اجتماعي
32 (% 21.3)	12 (% 15)	20 (% 28.6)	غير اجتماعي إلى حد ما
10 (% 6.7)	5 (% 6.3)	5 (% 7.1)	غير اجتماعي تماماً
150 (% 100)	80 (% 100)	70 (% 100)	الإجمالي

يتضح من هذا الجدول المزدوج أن ما يقرب من ثلث النساء في عينتنا يرين أنفسهن اجتماعيات جداً بالمقارنة بنسبة 14.3% فقط من الرجال. وأن أقل من نصف الرجال (43%) يرون أنفسهم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيين جداً. وهكذا يبدو واضحاً تماماً من هذا الجدول المزدوج أن النساء أشد من الرجال ميلاً لأن يرين أنفسهن اجتماعيات. ولكن هل يمكننا أن نقول إن العلاقة بين هذين المتغيرين: متغير «الاجتماعي» ومتغير «النوع» علاقة دالة؟

بعد الاطلاع على هذا الجدول المزدوج يمكننا القول بأن لدينا فرضاً بحثياً مفاده أن النساء أكثر من الرجال ميلاً لأن يرين أنفسهن اجتماعيات.

للبحث عن الدالة الإحصائية نقدر فرضاً صفررياً (أو سليباً) بأنه لا توجد علاقة بين النوع وتصورات الأفراد عن أنفسهم كاجتماعيين – أي إن هذين المتغيرين مستقلان عن بعضهما. يقوم الاختبار باستعمال كاي تربيع على أساس قياس مدى اختلاف القيم التي تمت ملاحظتها (من واقع البيانات التي تم جمعها)، عن تلك القيم التي يمكن توقعها لو أن هاتين الفتنتين أو المجموعتين (وهما في هذه الحالة الرجال والنساء) كانتا متماثلتين فيما يتصل بالمتغير «الاجتماعي». والفرض الصفرى يقول إنه لن يوجد فرق. فإن رفض الفرض الصفرى فإن الفروق بين الرجال والنساء تكون – حينئذ – دالة إحصائية.

$$\text{كاي تربيع} = \frac{\text{مجموع القيم (الملاحظة فعلاً - المتوقعة)}^2}{\text{البيانات المتوقعة}} \div \text{البيانات المتوقعة}$$

حيث تكون القيم الملاحظة هي بياناتك.

(لا يُنصح باستخدام اختبار كاي تربيع حينما تكون القيم الملاحظة أو المتوقعة المذكورة في خانات الجدول أقل من 5. وإن وُجدت أعداد أقل فمن المستصوب ضم بعض الفئات كما سنفعل هنا. سيتم تجميع البيانات داخل ثلاث فئات، هي: (1) اجتماعي جداً/اجتماعي إلى حد معقول؛ (2) لا اجتماعي ولا غير اجتماعي؛ (3) غير اجتماعي إلى حد ما أو غير اجتماعي تماماً).

تُستخرج كل قيمة متوقعة على حدة عن طريق (ضرب إجمالي الصفوف الأفقية وإجمالي العمود) ويقسم الإجمالي الكلى: أي إن إجمالي الصفوف للفئة المسماة اجتماعي جداً/اجتماعي إلى حد معقول (وهو 85) يُضرب في إجمالي العمود للرجال (وهو 70) ويقسم الناتج على الإجمالي الكلى (وهو 150) فتكون النتيجة = 39.7.

$$\text{كاي تربيع} = 10.47 = 4.88 + 5.59$$

الجدول رقم (3-8): اختبار العلاقات باستخدام کای تربيع

الإجمالي	النساء (الملاحظ - المتوقع) ²			الرجال (الملاحظ - المتوقع) ²			
	الملاحظ	المتوقع	الملاحظ	المتوقع	الملاحظ	المتوقع	
85	2.08	45.3	55	2.37	39.7	30	اجتماعي جداً/ اجتماعي إلى حد معقول
23	1.50	12.3	8	1.73	10.7	15	لا اجتماعي ولا غير اجتماعي
42	1.30	22.4	17	1.49	19.6	25	غير اجتماعي تماماً أو غير اجتماعي إلى حد ما
150	4.88		80	5.59		70	الإجمالي

بعد ذلك يتم تدقيق نتيجة هذا الحساب تبعاً لحجم هذا الجدول - أي تبعاً لعدد الفئات في كل متغير من المتغيرات على حدة (مجموعه «الاجتماعي» بها 3 فئات، ومجموعه «النوع» بها 2 فئات). ومن هذا الحساب تستخرج درجات الحرية (انظر قائمه المصطلحات). في حالتنا هذه توجد درجات حرية كال التالي : $(1-2) \times (1-3) = 2$: أي درجتان للحرية.

إذن، فهل هذه الدرجة من الحرية دالة إحصائي؟ بمقدور جداول كاي تربيع (والتي يمكن أن تجدها في معظم الكتب الدراسية) أن تدلنا على ما إذا كانت هذه الدرجة من الحرية دالة إحصائي أم لا . وفي حالتنا هذه تدلنا جداول كاي تربيع (ذات الفرعين أو ذات الذيلين two-tailed) أنه في حالة وجود درجتين للحرية تكون قيمة كاي تربيع التي تزيد عن 9.21 دالة إحصائي عندما يكون مستوى الاحتمال = 0.01 وهذا معناه أنه يوجد احتمال مقداره أقل من واحد في المائة أن تكون هذه النتيجة قد حدثتصادفة، وأن الفرق بين النساء والرجال في هذه الحالة دال إحصائي، وأن الفرض الصفرى مرفوض.

لاحظ أن جميع حزم البرمجيات الإحصائية الحاسوبية، والتي منها (SPSS) ومايكروسوفت إكسيل مثلاً، بها وظائف تمكّنك من حساب كاى تربيع.

فکر فی هذا الموضوع . . .

الاختبارات الإحصائية - دراسة إضافية

يمكن استخدام اختبار كاي تربيع مع عينتين اسمية أو رتبية. تشمل الاختبارات الأخرى التي يمكن تطبيقها على الأنماط المختلفة من البيانات، على ما يلي:

جدول رقم (3-9) الاختبارات الإحصائية

يمكن استخدام هذا الاختبار بتطبيقه على المتغيرات الاسمية للتحقق من الفروق القائمة بين فئتين أو أكثر (أى : مجموعتين أو أكثر).	تحليل التباين المسمى أنوفا ANOVA
يمكن استخدامه لمقارنة الفروق الموجودة بين متغيرات النسبة أو الفترة لمجموعتين زوجيتين ..	الاختبار الزوجي الثاني (الدلالة الإحصائية للفروق بين متسطفين أو مجموعتين)
يمكن استخدامه لمقارنة البيانات النسبية أو الدورية التي ليس لها توزيع اعتدالي.	اختبار ويلكوكسون لإشارات الرتب

الأشكال البيانية للتشتت

جزء من تحليلنا نقوم بالبحث عن العلاقات القائمة بين المتغيرات - وهو ما يعني بعبارة أخرى ، نحن مهتمون بالتعرف على ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أو أكثر أن يتباينوا أو تتأثر علاقة كل منهما بالآخر بطريقة يمكن ملاحظتها وقياسها . وقد تكون العلاقات القائمة بين المتغيرات علاقات سببية/ أو عملية (انظر قائمة المصطلحات) إذا كانت قيمة أحد المتغيرين تتسبب في إحداث قيمة معينة في المتغير الآخر في حالات كثيرة أو في بعض الحالات على الأقل . ويندر في البحث الاجتماعي أن تكون متأكدين من وجود علاقة سببية ، إلا أن ظهور علاقة ما أو ارتباط ما بين اثنين أو أكثر من المتغيرات قد يحثنا على الاستكشاف بحثاً عن الأسباب المكنة لهذه العلاقة . لاحظ أنه ليس واضحاً - على الدوام - تحديد ما المتغير الذي يعتمد على الآخر؟

ما : المتغير المستقل؟

المتغيرات المستقلة هي متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها، مثال ذلك ، أن سن المستجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة .

المتغير التابع

المتغيرات التابعة يمكن أن تباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات - المستقلة - الأخرى ، كما أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات ، مثال ذلك ، أن إحساس المستجيب بصحته الشخصية قد يكون مرتبطاً بسنّه .

ونحن نكرر هنا مثلاً لبرواز (عن العلاقات) سبق أن قدمناه في الفصل 4 باب 1، الذي يبحث مسألة طبيعة العلاقات بين البيانات فيما يتصل ببلورة أسئلة البحث. وكثيراً ما تشمل أسئلة البحث على أسئلة عن العلاقة المحتملة بين متغيرين، ونحن هنا نركز الاهتمام على إحدى طرق البدء بتمييز تلك العلاقات المحتملة بين متغيري فترة أو متغيري نسبة عن طريق إنشاء شكل بياني للتشتت (انظر قائمة المصطلحات).

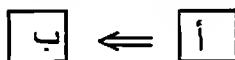
ويوضح لنا الشكل البياني للتشتت بكل جلاء ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أن يكونا مرتبطين ببعضهما، ولدى هذا الارتباط.

المثال رقم (8-3)

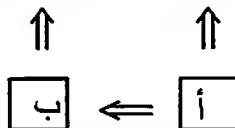
العلاقات

العلاقات السببية (العلية)

كثيراً ما تُعرض العلاقة السببية في شكل بياني كالتالي :



مثال ذلك، أن بإمكاننا أن نؤكد أن زيادة ما في القراءة المركزية ينتج عنها الحصول على درجات أعلى في الامتحانات للطلبة الجامعيين. ويمكن أن نبين هذه العلاقة بهذا الشكل:

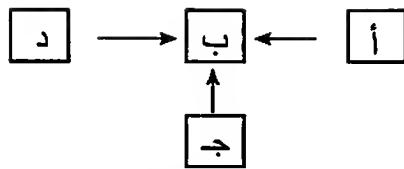


هنا تتسبيب زيادة ما في «أ» - وهي القراءة المركزية - في إحداث زيادة ما في «ب» - أي: درجات الامتحانات.

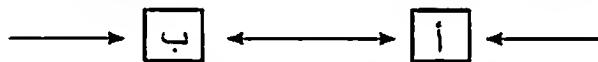
علاقات الارتباط

ومع ذلك، فإنه بالرغم من وجود علاقة إحصائية بين القراءة المركزية المتزايدة ودرجات الامتحانات المرتفعة، فقد لا نستطيع إثبات أن «أ» يتسبب في إحداث «ب». وقد يرجع ذلك لعدد من الأسباب:

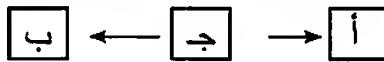
1 - توجد أسباب كثيرة لحصول طالب ما على درجات امتحان مرتفعة، كما أن من العسير إثبات أن القراءة المركزية وحدها هي التي سببت هذه الدرجات المرتفعة.



2 - يحتمل أن يكون الطلبة الذين يؤدون الامتحان بصورة جيدة هم أنفسهم الطلبة الذين يجدون أن القراءة المركزية تناسب طريقتهم في الاستذكار.



3 - وقد يكون لعامل ثالث تأثير فعال، إذ يؤثر على كل من مقدار القراءة المركزية وعلى درجات الامتحان المرتفعة. مثال ذلك، أنه قد يكون لبعض الطلبة أستاذة توقع أن يقوم طلبته بالقراءة المنتظمة قبل حضور السeminars، ووضع أسئلة الامتحانات. وكان يرى أنهم يستعملون هذه القراءات كمراجعة للمنهج الدراسي.



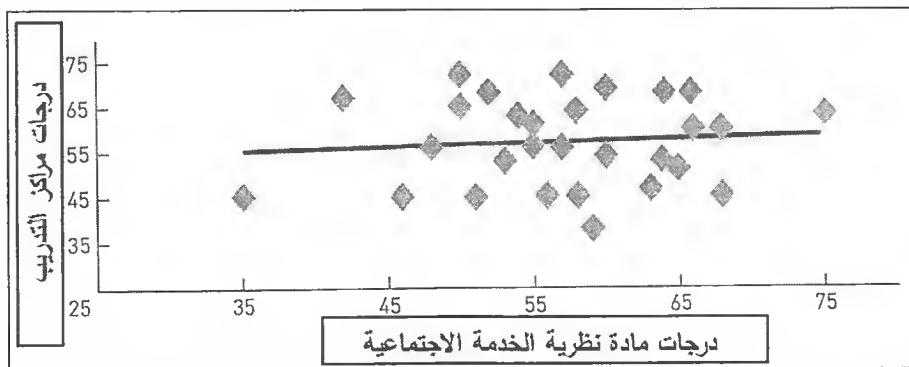
المثال رقم (9-3)

الأشكال البيانية للتشتت (أ)

الطلبة الذين يتدرّبون ليكونوا أخصائيين اجتماعيين مهنيين، يحصل كل واحد منهم على درجتين: الدرجة الأولى عن امتحانهم في مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية»، والدرجة الأخرى عن أدائهم في مركز التدريب العملي. بإمعان النظر في حالة كل طالب من مجموعة الطلبة على حدة نتساءل : أتوجد علاقة ما بين هاتين الدرجتين؟ وهل الطلبة الذين يحصلون على درجات مرتفعة في امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» يحصلون كذلك على درجات مرتفعة عن أدائهم في موقع التدريب العملي؟

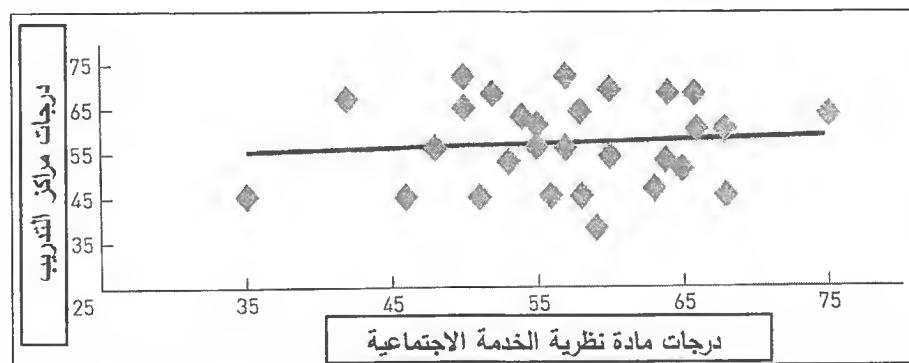
- يتم تحديد مكان لكل زوجين من العلامات على شكل بياني للتشتت (أو للانتشار). ويمثل بعلامة مميزة. بإمكاننا أن نرى بمجرد القاء نظرة عامة على توزيع هذه العلامات المميزة، أن الطلبة الحاصلين على درجات منخفضة في امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» حصلوا أيضا على درجات منخفضة في موقع التدريب العملي.

- يكون الخط المدود بين هذه العلامات المميزة هو خط أفضل مطابقة - فهذا الخط يقع أقرب ما يمكن من كل تلك العلامات - أو أن الفرق بين كل علامة وهذا الخط أصغر ما يمكن.
- يشير انحدار هذا الخط إلى اتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد الآخر كذلك.
- يمكننا أن نرى أنه توجد بعض العلامات على مسافة ما من الخط . هذه العلامات هي الحالات النائية المتطرفة أو الحالات التي لا تتفق كثيرا مع هذا الاتجاه العام.



الشكل رقم (7-3): شكل بياني لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملي (أ)
(ب)

إليك الشكل البياني لتشتت درجات فوج آخر من الطلبة. مما الذي يبينه هذا الشكل البياني للانتشار؟



الشكل رقم (8-3): شكل بياني لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملي (ب)

اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون

استخدمنا شكلًا بيانياً للانتشار بهدف تقديم صورة مركبة للارتباط الممكن بين متغيرين نسبيين . يعد معامل الارتباط (انظر قائمة المصطلحات) هذا قيمة إحصائية توفر لنا مقاييسًا لقوة واتجاه هذه العلاقة . يقوم هذا الارتباط على أساس انتظام خط مستقيم على هذه البيانات «انظر مثال رقم (9-3)»، وعلى الفرق بين كل قيمة على حدة والمتوسط الحسابي لمجموعة القيم . ويحسب باستعمال المعادلة التالية:

$$r = \frac{\text{مجد}(س - \bar{s})(ص - \bar{c})}{\sqrt{\text{مجد}(س - \bar{s})^2 \text{مجد}(ص - \bar{c})^2}}$$

حيث s ، \bar{s} هما قيمة المتغير (s) والمتغير (c) على التوالي ، بينما \bar{s} ، \bar{c} هما المتوسطان الحسابيان للمتغير (s) والمتغير (c) على التوالي .

تعد هذه المعادلة الخاصة بحساب معامل الارتباط معقدة تماماً ، كما أنها تعتمد على مفاهيم إحصائية تقع خارج نطاق هذا الكتاب . ومع ذلك ، فإن بالإمكان اعتبار هذا الحساب طريقة لقياس مقدار اختلاف كل قيمة عن متوسط كل الحالات الشاملة لكلا المتغيرين ، ولتقدير مدى إسهام كل المتغيرين في إحداث ذلك التباين عن هذا المتوسط - أي تقدير مدى اعتبار هذا التباين مرتبطاً بهذين المتغيرين على نحو ما .

وتكون نتيجة هذه المعادلة قيمة تتراوح بين -1 ، 0 ، $+1$.

- تدل النتيجة -1 - (ناقص واحد) على وجود علاقة سلبية كاملة بين المتغيرين - وهو ما يعني بعبارة أخرى : أنه كلما ازداد أحد المتغيرين نقص الآخر .

- تدل النتيجة $+1$ على وجود علاقة إيجابية كاملة بين المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك .

- النتيجة التي مقدارها صفر تدل على عدم وجود علاقة إحصائية بين المتغيرين - مما يعني بعبارة أخرى ، عدم وجود نمط يمكن التعرف عليه للعلاقة بين المتغيرين .

- يندر - بالطبع - أن تكون نتيجة هذا الحساب -1 ، أو صفر ، أو $+1$ تماماً . ويظهر اقتراب النتيجة من -1 ، أو صفر ، أو $+1$ مقدار قوة هذه العلاقة .

في المثالين المعرضين في صورة أشكال بيانية للانتشار ، في المثال رقم (9-3) ، يكون معاملاً الارتباط كما يلى :

(أ) معامل الارتباط (ر) يساوى $+0.701$. وهذا يدل على :

- وجود علاقة إيجابية - فعندما يزداد أحد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك ، كما يدل على :

- وجود علاقة قوية - أي إن كثيرا من الحالات قريبة من خط أفضل مطابقة لهذا التوزيع.

(ب) معامل الارتباط (ر) يساوى $+0.074$ وهذا يدل على:

- وجود علاقة إيجابية ضعيفة جدا بين المتغيرين - أي لا يوجد دليل على أن هذين المتغيرين مرتبطان ببعضهما.

بحث

تذكر أن معامل الارتباط يبين العلاقة الإحصائية بين مجموعتين من البيانات . ويستطيع الباحث أن يستخدم هذه العلاقة للبحث عن الأسباب المكنة لأن تكون المتغيرات ، أو لا تكون ، مربطة ببعضها ، ولكن معامل الارتباط لا يقوم وحده بإظهار أنه توجد علاقة فعلية .

لاحظ أن جميع حزم البرامج الكومبيوتورية الإحصائية ، والتي منها SPSS ومايكروسوفت إكسيل مثلا ، لديها وظائف تمكنك من حساب معامل الارتباط - أي معامل ارتباط بيرسون ، المعبر عنه بحرف «ر» .

فكرة هذا الموضوع ..

معاملات الارتباط : دراسة أخرى

يستخدم معامل ارتباط بيرسون ، والمعبر عنه بحرف «ر» بتطبيقه على أزواج متغيرات الفترة أو النسبة .

توجد معاملات ارتباط أخرى يمكن استخدامها في معالجة أنماط مختلفة من البيانات ، بما فيها البيانات الواردة في الجدول رقم (3-10) ، المذكور فيما بعد .

جدول رقم (3-10) : معاملات الارتباط

معامل ارتباط بيرسون «ر»	يمكن استخدامه على أزواج لمتغيرات الرتبة (ذات الدرجات) أو حينما يكون أحد المتغيرات رتبية والآخر دورياً أو نسبياً.
معامل فاي	يمكن استخدامه على المتغيرات الثانية.
معامل «في» V لكرامر	يمكن استخدامه على المتغيرات الإسمية ليدل على قوة الارتباط (وليس على اتجاهه).
معامل جاما	يمكن استخدامه مع متغيرات الرتبة.

يمكن حساب درجة العلاقة الإحصائية القائمة بين مجموعات المتغيرات باستعمال تقنيات التحليل متعدد المتغيرات ، كتحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملی .

التحليل الإحصائي كعملية

قدمنا التحليل الإحصائي بوصفه عملية وليس بوصفه سلسلة من التقنيات . وكما هو الحال مع أي طريقة تحليلية ، يعد التحليل الإحصائي طريقة للاشتغال بالبيانات بهدف تمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث التي سبق طرحها والإجابة عليها ، ومن عرض نتائجه على جمهوره (فصل 1 باب 5) . والعملية التي نعرض لها هنا تتناسب مع الأبحاث الصغيرة التي تشمل على بيانات كمية جمعت من عينة من الحالات . وعلى الرغم من أن معظم التحليلات الإحصائية تبدأ بالإحصاءات الوصفية ثم تمضي قدماً خلال البيانات للبحث عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر ، فإن هذه العملية لا تكون دائماً بهذه الصورة المباشرة . فعندما يتتطور تحليل ما وتكتشف ملامحه بالتدريج ، يكون بالإمكان ظهور أفكار جديدة تتعلق بالبيانات ، كما أن الباحث ، وبالرغم من أنه عند اشتغاله بالبيانات الكمية المقتنة لا يمكنه أن يضيف شيئاً إلى البيانات أو يعيد تفسيرها ، فإنه يستطيع اختبار كل التفسيرات والأفكار الممكنة عن طريق الاشتغال بهذه البيانات ومعالجتها بطرق مختلفة . ففي المثال الذي استخدمناه في هذه الفقرة ، دفعتنا النتيجة التي تقول إن النساء أكثر من الرجال ميلاً لأن يصنفن أنفسهن بأنهن اجتماعية؛ دفعتنا للرجوع إلى البيانات المتعلقة بأنشطة وقت الفراغ والتفكير فيما إذا كان بالإمكان أن تكون هذه الأنشطة مرتبطة بما لدى مستجيباتنا من تصورات عن نزاعتهن الاجتماعية أم لا ، كما دفعتنا هذه النتيجة إلى التفكير فيما إذا كان الإحساس بالنزععة الاجتماعية مرتبطاً أيضاً بوسائل الاتصال المستخدمة في الحفاظ على التواصل مع الأصدقاء والعائلة ، أم لا .

من المستصوب أن تحفظ سجل يومي يمكنك أن تدون فيه جميع التحليلات التي تقوم بها ، وجميع التغيرات التي تنشأها ، وسائل النتائج الملافة للنظر . أضف إلى هذه الأمور أفكارك الخاصة بجانب «الأمور التي يتعين القيام بها فيما بعد» .

المثال رقم (3-10)

تطوير التحليل (ب)

في المثال رقم (3-7) أظهر الجدول المزدوج الجامع للمتغير «اجتماعي» والمتغير « النوع » (كما أظهر اختبار كاي) أن النساء اللاتي في العينة كن أقل إلى اعتبار أنفسهن اجتماعية أكثر من اعتبار الرجال أنفسهم اجتماعيين . ونظرًا لأن أسئلة بحثنا تعنى بالشبكات الاجتماعية والاتصال بين الأصدقاء والعائلة ، فقد نظر في هذا الوقت في البحث بمزيد من التعمق في مدى اختلاف الأفراد الذين يصفون أنفسهم بأنهم اجتماعيون ؛ مدى اختلافهم في الاتصال بالأصدقاء والعائلة بالمقارنة يصفون أنفسهم بأنهم غير اجتماعيين . وإن بإمكاننا أن نقوم بهذا العمل على عدة مراحل .

الجدول رقم (3-11) : تطوير أسئلة البحث باستخدام الجداول المزدوجة

ما الذي يتعين عمله فيما بعد؟	الأسئلة التي تظهر من واقع التحليل حتى الآن بجانب أسئلة البحث
صمم جداول مزدوجة للمتغير «اجتماعي» تبعاً لكل متغير من المتغيرات الأخرى .	<p>هل يقومون أيضاً بالمزيد من الأنشطة الاجتماعية في وقت فراغهم؟</p> <p>هل يستخدمون أيضاً أشكالاً معينة من الاتصال؟</p> <p>هل يقضون وقتاً أطول في استخدام الإنترنت في التواصل الاجتماعي؟</p>
استحدث متغيراً جديداً يجمع بين «الاجتماعي» و«النوع» . ثم صمم جدولًا مزدوجاً للمتغير الجديد تبعاً لكل متغير جديد من المتغيرين أعلاه .	هل الرجال الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين / غير اجتماعيين يتصرفون بطرق مشابهة لطرق النساء اللاتي يعتبرن أنفسهن اجتماعية / غير اجتماعية؟
صمم جدولًا مزدوجاً للمتغير يجمع بين فئتي العمر والنوع معاً وبين متغير «الاجتماعي» .	هل توجد أيضاً فروقاً أو اختلافات عمرية فيما يتعلق بالاجتماعية (بالنسبة الاجتماعية)؟ <p>وهل النساء اللاتي يعتبرن أنفسهن اجتماعية ارجم أن يكن قادمات من فئات عمرية معينة؟</p> <p>وماذا عن الرجال في هذه الجزئية؟</p>

- بالتعتماد على النتائج المستخرجة من الجداول المزدوجة، سيكون بإمكاننا:
- وصف أكثر الأنشطة شيوعاً وأكثر أشكال الاتصال شيوعاً بين الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين / غير اجتماعيين، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف.
 - تقدير ما إذا كانت توجد فروق بارزة بين الرجال والنساء فيما يتصل بوجوه الشبه والاختلاف، أم لا.
 - تقدير ما إذا كان السن عاملاً يجب تتبعه بالدراسة إلى مدى أبعد من حيث ارتباطه بالأنشطة الاجتماعية والاتصال.

في مشروع بحثي كامل، قد ترتبط هذه المجموعة من الأسئلة بجزء صغير من البيانات التي جمعت، كما يجب إدخال العوامل الأخرى في الحسبان أيضاً في هذا الوقت.

عرض نتائج التحليل الإحصائي

بعد أن تطور تحليلك الإحصائي يلزمك حينئذ أن تقدم هذا التحليل لجمهورك (الباب 5) بطريقة توضح بجلاء كيف اشتغلت بيبياناتك، وما الذي انتهيت إليه من نتائج، وكيف ساعدك هذا التحليل في الإجابة على أسئلة بحثك. وكما اقررنا في موضع سابق من هذا الفصل، فإن من المفيد أن تكتب تقريراً، عن تحليلك المبدئي لأن ذلك قد يزودك بالجزء الأول من نتائجك. وانطلاقاً من هذا الجزء يتبعن عليك حينئذ أن تبين مستعملات الجداول والرسوم والأشكال البيانية المستمدة من بياناتك، كيف طورت تحليلك. يجب أن تبين كيف توصلت إلى نتائجك - أي أن تروي قصة العملية التحليلية التي قمت بها. فإن حالت قيود الحيز دون التعبير عن ذلك في تقريرك أو في رسالتك العلمية، فإن بإمكانك أن تدرج هذه القصة كملحق في بحثك. إن توضيحك لكيفية اشتغالك بالبيانات، ولكيفية تفسيرك لها على الأخص، جزء لا يتجزأ من صميم تقريرك أو رسالتك العلمية لأنه يوفر لك نوعاً من التأكيد من أن تحليلك وتفسيراتك صادقة ويمكن أن يعتمد بها. بعد تقديمك لنتائجك وتحليلك، يكون من الملائم أن تركز مناقشتك على النتائج الأساسية وعلى الطريقة التي تجيب بها هذه النتائج - بشكل ما - على أسئلة بحثك أو إلقاء الضوء عليها.

بحث

إذا كنت تشغلى ببيانات كمية وتقوم بتحليل إحصائي لها، فحاول أن تتبع هذه الخطوات:

- 1 - نظم بياناتك باستخدام أسماء وأكواب للمتغيرات.
- 2 - أنشئ أي متغيرات جديدة ترى أنك ستحتاج إليها.
- 3 - صمم جداول تكرارية لكل متغير من متغيراتك.
- 4 - صف العينة في ضوء خصائصها الأساسية التي ستستخدمها في التحليل كالسن والنوع مثلاً.
- 5 - انظر إلى شكل البيانات بحثاً عن متغيرات أساسية.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

6 - وضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال الانتشار البيانية المطلوبة وقم بتصميمها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

- 7 - قم بالمراجعة بحثاً عن العلاقات أو الارتباطات الموجودة بين المتغيرات مستعملاً الأشكال البيانية للانتشار، والنسب المئوية، والاختبارات الإحصائية الملائمة.
- 8 - وضع قائمة بأسئلة التي أثارتها التحليلات حتى هذه اللحظة، وبالطريقة التي ستتبعها في الإجابة عليها.
- 9 - وضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال البيانية للانتشار، ونفذها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

10 - ابحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المجموعات (أو الفئات) وابحث عن البيانات التي من شأنها أن تساعدك في تفسير هذه الاختلافات والتشابهات.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

11 - أعد مراجعة أسئلة بحثك للتأكد من: هل ساعدك هذا التحليل في الإجابة على أسئلة بحثك؟

اختبار جودة البحث

في هذه المرحلة من العملية البحثية ينصب اهتمامك بالأساس على صدق تفسيراتك وشفافية تحليلك.

- هل تحققت من أن نتائجك دقيقة على امتداد عمبة التحليل كلها؟
- هل راجعت فهمك الشخصى للنتائج مع أشخاص آخرين؟
- أيمكنك أن تبين للأخرين كيف قمت بهذا التحليل؟
- هل نتائجك مفهومة في ضوء الأبحاث والنظريات الأخرى في هذا المجال؟
- أيمكنك أن تبرر أي دعوى تدعى بها بخصوص قابلية تعميم نتائج بحثك على مجتمع البحث الذي أخذت منه هذه العينة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS14, 15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.
- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Hays, W. (1993) *Statistics*, 4th edn, New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Hinton, P. R. (2004) *Statistics Explained: A Guide for Social Science Students*, Hove: Routledge.
- Social Trends 38 (2008) www.statistics.gov.uk/downloads/theme_social/Social_Trends38/Social_Trends_38.pdf (accessed 21 August 2009).
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الرابع

تحليل الموضوعات

محتويات الفصل

- الاشتغال بالبيانات الكيفية.
- ما تحليل الموضوعات؟
- عملية التحليل.
- عرض تحليل الموضوعات.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

من الممكن استعمال شكلية متنوعة من الطرق والأساليب في معالجة البيانات الكيفية: وأكثر هذه الطرق شيوعاً (على الأقل في بداية العمل) طريقة تحليل الموضوعات التي تمكنك من تمييز الموضوعات أو القضايا الرئيسية المبثوثة داخل البيانات، واستعمال البيانات التي جمعتها بلورة وتدقيق هذه الموضوعات، والبحث عن الصلات الموجودة داخل هذه البيانات، وتمييز الأنماط والبحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف داخل الحالات: بين أفراد كل فئة أو نمط، وفيما بين الفئات أو الأنماط المتعددة.

الرجاء قراءة فصل 2 باب 4، قبل قراءة هذا الفصل ..

الاشتغال بالبيانات الكيفية

يبدأ تحليل البيانات الكيفية من لحظة الانتهاء من تطوير سؤال بحثنا، وبدء التفكير في المفاهيم التي نشتغل بها و اختيار عينة حالاتنا. بعد الاشتغال بالبيانات الكيفية عملية تنتقل بين جمع البيانات الاجتماعية، والاشتغال بها، والتأمل فيها على امتداد البحث كله، من أوله لآخره. وباعتبار أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات، فإنه

يكون على اتصال مباشر لا ينقطع بالبيانات التي يجري جمعها وعامل على التفكير فيها. ونظراً لأن تحليل البيانات الكيفية يعتمد إجمالاً على ما يقدمه الباحث من تفسيرات للبيانات الخام، فإن هذه العملية تبدأ بمجرد البدء في جمع البيانات. وهذا هو السبب في أننا نوصيك بالاحتفاظ بذفتر يوميات للبحث يمكن أن يكون بمثابة سجل شخصي لأفكارك وملحوظاتك وأثناء كل من فترة جمع البيانات وفترة تحليل البيانات. ونلاحظ أنه في بعض المشروعات البحثية يمضى جمع البيانات وتحليلها معاً في نفس الوقت، وذلك مع ما يتم إدخاله من حالات إضافية بهدف ضمها إلى التحليل عندما تبرز الموضوعات المكررة أو الأفكار من داخل البيانات مثلاً (انظر بخاصة فصل 8 باب 4). ومع ذلك فإن المعمود في معظم المشروعات البحثية المحدودة النطاق أن توجد فترات مخصصة لجمع البيانات يعقبها فترات لتحليل البيانات.

يمكن للبيانات الكيفية أن تتخذ أشكالاً عديدة، كما أنها بيانات غير مقنة نسبياً. ولكن نستوئن من أن تحليلنا موثوق به وشفاف (واضح) في نظر الآخرين، فإننا نحتاج إلى طرق تحليلية تكون:

● **منهجية وشاملة**: إذ يتسع أن يتبع التحليل مجموعة من الإجراءات، كما يتسع تطبيق نفس هذه الإجراءات على كل الحالات وكل البيانات.

● **مؤثقة**: عادة ما تكون البيانات المجموعة في حالتها الخام -أعني بذلك أنها تكون في الصورة التي قيلت بها أو كتبت بها، كما يتوجب علينا أن نكون قادرين على الرجوع إلى هذه البيانات في حالتها الخام على امتداد عملية التحليل من أولها لآخرها.

● **دينامية**: لا يمكن تخطيط عملية التحليل بأكملها في بداية البحث، لأن الأفكار والقضايا «تنبثق» كجزء من عملية المعالجة، لذلك يتوجب أن تكون هذه الطرق في حد ذاتها دينامية ومرنة، وتدخل في حسبانها حدوث بعض التغييرات.

● **متاحة وميسورة الفهم**: يتسع أن تكون التفسيرات التي يقدمها الباحث وطريقة استخدام هذه التفسيرات في تطوير التحليل متاحة للجميع أن يطلعوا عليها، وقابلة لأن يفهموها.

في فصل 2 باب 4، بدأنا الحديث عن عمليات تنظيم ومعالجة البيانات الخام التي تكون في العادة مرتبطة بالطرق الكيفية في جمع البيانات، وذلك عن طريق إنشاء فهرس لمساعدتنا في العثور على التفاصيل الصغيرة للبيانات المتعلقة بموضوعات معينة أو بموضوعات لها أهمية خاصة في نظرنا. وبعدها بدأنا في تحديد بعض الأكواب أو الفرات التي يمكن استخدامها لمساعدتنا في البحث عن قطاعات البيانات التي كان نرغب في معالجتها، كما أننا تناولنا المادة المتعلقة ببعض الموضوعات المختارة أو بعض

المجالات ذات الأهمية فعرضناها في جداول ورسوم بيانية. والآن نطور هذه العملية التي بدأناها هناك فنبحث مسألة معالجة الأفكار الأساسية أو الموضوعات الأساسية التي يمكن تمييزها داخل هذه البيانات.

ما تحليل الموضوعات؟

تحليل الموضوعات (انظر قائمة المصطلحات) «هو عملية تفصيص وتصنيف وإعادة ربط مختلف عناصر البيانات قبل القيام بالتفسير النهائي لها» (Grbich 2007، ص 16). إن معالجة البيانات الكيفية أمر يتعلق، أساساً، بتفسير ما ذكره مبحوثونا من عبارات، وحكايات، وأحكام، وتفسيرات وفهمها فيما سلیماً. ونحن نبدأ هذه المعالجة بكل ما ذكره كل مستجيب من كلمات ونضعها جنباً إلى جنب كلمات المستجيبين الآخرين، أو يتم ترتيب مضمون مجموعة من الوثائق بجانب بعضها لتمكننا من:

- وصف البيانات.
 - الوصول إلى معنى البيانات عند الشخص الذي قدمها.
 - استكشاف البيانات بحثاً عن المعاني.
 - البحث عن العلاقات القائمة بين الأجزاء المختلفة من البيانات.
 - التفسير (بصورة مؤقتة غير نهائية) للتشابهات والاختلافات والعلاقات الواضحة.
- على امتداد العملية التحليلية، من أولها لآخرها، يتعين علينا التحقق التام من صحة تفسيراتنا وتصوراتنا في ضوء مقابلتها بكل دفعة من دعوات البيانات المعاقبة.

تحليل الموضوعات عبارة عن عملية، أي طريقة لمعالجة البيانات تقوم بعملها انطلاقاً من البيانات الخام - أي البيانات اللغوية أو البيانات المرئية التي جمعناها - وتستمر على اتصال مباشر بتلك البيانات الخام حتى النهاية. وهذه سمة هامة تنسق بها طرق معالجة البيانات الكيفية، إذ إنه، وبالرغم من أن هذه البيانات لا بد من تفسيرها، وتلخيصها وتصنيفها، لا بد لنا أن تكون «على اتصال مباشر» بالبيانات الخام أو قل: لا بد أن تكون «راسخى الأقدام» فيها لا نبارحها بحال. بهذا الشكل، فإن تقنياتنا التحليلية لا بد أن تمكننا من الرجوع إلى البيانات الخام في بعض الأوقات على امتداد هذه العملية، وذلك للتحقق التام من صحة تفسيراتنا، وللنظر إلى هذه البيانات بطرق مختلفة، وللبدء في الربط بين الأجزاء المختلفة للبيانات الموجودة في داخل كل حالة (في هذه الفقرة سنستخدم لفظ «حالة» للدلالة على كل مجموعة بيانات، مثل: كل مقابلة، وكل جماعة مناقشة، وكل وثيقة، وكل حدث تمت ملاحظته).

تم معالجة البيانات وهي في صورة «نُف» (مكتوبة عادة) من البيانات التي قد تكون كلمات مفردة، أو عبارات، أو جمل أو فقرات. ومع أن بالإمكان أن تقسم بياناتك إلى نُف قبل معالجتها، فإن ما هو أكثر شيوعاً وفائدة أن تقسم البيانات حسب الحاجة إلى ذلك، وأن تنتفع بالفهرس وبأنظمة التكويذ في تحديد ما في البيانات من نُف لها دلالتها أو معناها.

عملية التحليل

بینا لك في الفصل 2 باب 4 كيف تنظم البيانات:

- 1 - عن طريق إنشاء فهرس - وهو أسلوب للعثور على البيانات عندما تحتاج إلى ذلك.
 - 2 - وعن طريق استخدام بعض الفئات الأولية أو الأكواود الأولية المرتبطة ببعض الموضوعات أو القضايا التي استطعت أن تحددها أثناء قيامك بعملية تذكير نفسك بالمعلومات والبيانات حتى تكون على دراية ووعي بها.
 - 3 - عن طريق وضع رسوم وجداول موجزة لتساعدك في النظر إلى البيانات بطرقين:
 - (أ) طريقة للنظر إلى مجموعة بيانات مأخوذة من حالة واحدة.
 - (ب) طريقة للنظر إلى كل فئة من فئاتك الأولية بتتبعها عبر حالاتك.
- عند هذا الحد ستكون على وعي ودرأية تامتين بالبيانات، وقد تتوصل إلى أفكار تتعلق بالموضوعات أو القضايا التي تأخذ في التكشف والظهور.

ما الموضوعات الأولية؟

قبل أن تبدأ تحليلاً للموضوعات قد يكون لديك بعض الأفكار المتعلقة بنمط البيانات التي أنت بسيبك إلى الاهتمام بها. سوف تتبثق هذه الأفكار من واقع أسئلة بحثك، واختيار عينتك، ومن نفس عملية جمع البيانات. والآن تبدأ في معرفة أنواع الأمور التي يتكلم عنها الأفراد أو التي يكتبون عنها، ويتوافق لديك إحساس بالقضايا التي تعتبر مهمة ولو في نظر بعض المستجيبين على الأقل، كما أنك تحتاج أن تستكشف هذه القضايا إلى مدى أبعد عن طريق طرح أسئلتك الاستكشافية عن بياناتك:

- ما الذي يقولونه عن ؟
- ما السبب الذي قد يجعلهم يقولون أن ؟
- ما الذي قد يعنون من قولهم ؟

الآن أصبحت تتحرك بالفعل داخل المرحلة الثالثية، كما أن من المهم خاصة أن تسجل تصوراتك وأفكارك الشخصية في هذه المرحلة لأنك شرعت فعلاً في تفسير البيانات الخام، وبدأت في فهم روح البيانات، وفي طرح المزيد من الأسئلة عن هذه البيانات.

إن ما تقوم به من فهرسة أولية، وتكوين ووضع للبيانات في صورة رسوم وأشكال بيانية يجب أن يرتكز على الموضوعات التي بدأت الآن في تحديدها، كما أن الرسوم والأشكال البيانية تساعدك - بصفة خاصة - في التركيز على هذه الموضوعات بمعالجتها بمزيد من التفصيل، لأنك تستطيع أن تربط مجموعة البيانات المتعلقة بموضوع معين ببعضها البعض.

المثال رقم (1-4)

الموضوعات الأولية

ستعتمد هذه الفقرة على المثال المستخدم في فصل 2 باب 4 (إن لم تكن قرأت فصل 2 باب 4 منذ مدة قريبة، فإن الوقت الحالي سيكون مناسباً للرجوع لهذا الفصل قبل الاسترسال في قراءة هذا الفصل).

استعمل هذا المثال بيانات مستمدّة من بحث خيالي يدرس مدركات الأفراد الحسية وتصوراتهم عن «الطعام الصحي» في المملكة المتحدة في القرن الواحد والعشرين. وقد تم إدراج البيانات المستمدّة من المقابلات، وجماعات المناقشة، والوثائق في شكل بياني أولى لخاص المصادر المختلفة للبيانات تحت موضوعات أولية هي: الوقت، والتكلفة، وتأثير الطفولة / العائلة، وتأثير وسائل الإعلام. (انظر الجدول رقم (4-2) في الفصل 2 من هذا الباب).

إن كنت وضعتم شكلاً بيانياً موجزاً يشتمل على أجزاء ذات أهمية خاصة مستخرجة من كل حالة، فأنت الآن قد تحتاج إلى وضع أشكال بيانية أكثر تفصيلاً للموضوعات التي تنبثق من الشكل الموجز الأولى. مثال ذلك، وفي الشكل البياني الذي طورناه في فصل 2 باب 4، أثيرت قضية «الوقت» في معظم الحالات ولكنها أثيرت بطرق مختلفة من حيث صلتها بأفكار الأفراد عن الطعام الصحي، وعند هذه المرحلة يبدو أن موضوع «الوقت» يصبح جديراً بالمزيد من الإيضاح. من الممكن أن يقال إن «الوقت» واحد من الموضوعات الأولى الجوهرية في هذه المرحلة من التحليل. وقد يكون الأمر التالي الذي يتبعن القيام به هو إعداد رسم بياني أكثر تفصيلاً يركز على «الوقت» - حيث يستعمل بعض الأفكار المستخلصة من تلك البيانات كعنوانين لأعمدة هذا الشكل البياني. يبيّن المثال رقم (4-2) إحدى الطرق التي بها يمكن القيام بهذا العمل.

المثال رقم (2-4)

شكل بياني لموضوع «الوقت»

الجدول رقم (4-1) : شكل بياني لموضوع «الوقت»

أسباب أولويات اختياريات الطعام الصحي والتسوق	وقت طهو الطعام	الإحساسات تجاه الوقت	
إننى أسلم بأن الوقت أمر مهم . وأحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت.	لا يوجد وقت كاف لإعداد أطعمة كاللحوم الشوية إلا خارج المنزل ، فإنه لا يتوافر لها وقت كثير أو الحلوى ...	حينما يكون كلا الزوجين يعملان فى نهاية الأسبوع . كما لا يلقو ما به ...	المقابلة رقم 1
هذا هو العامل المؤثر فى نظرى ، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل لا يتوافر لنا وقت كاف فى الواقع . إننىأشعر بالذنب رغم أنه ينبغي على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى .		هذا هو العامل المؤثر فى نظرى ، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل ...	المقابلة رقم 2
		فى الواقع أنا استمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية .	المقابلة رقم 3
		كان الوقت ثانى أهم العوامل المؤثرة على اختيار الطعام .	جامعة المناقشة رقم 1

إنه لا يشكل عيناً كبيراً، فهو لا يحدث كل يوم .	التجول في الأسواق معناه قضاء نصف الإجازة نهاية الأسبوع في التسوق .	أنا أستمتع فعلاً بظهور الطعام لذلك تقوم به بالتناوب أنا وزوجي .. وهو لا يشكل عيناً كبيراً، فهو لا يحدث كل يوم .	جامعة المناقشة رقم 2
	ليس من الضروري أن يحتاج إعداد وجبه مكونة من عناصر طازجة إلى وقت طويل .		الوثيقة رقم 1

هذا جدول مقترن لمساعدتنا في استكشاف بعض التعليقات التي طرحت وتناولها بمزيد من التفصيل . وبطبيعة الأمر ، سيكون من المحمى وجود مزيد من البيانات ، وفي هذه الحالة سيكون من المستصوب أن نعود إلى بياناتنا الخام التي قد يكون لها حينئذ مكان مناسب توضع فيه داخل الفئات الجديدة للجدول . إن عودتنا إلى هذه البيانات مع تركيزنا على مفهوم «الوقت» ، وعلى الطريقة التي تم الحديث بها والكتابة عنها داخل كل حالة؛ نقول : إن عودتنا إلى هذه البيانات بهذه الصورة سيساعدنا في النظر إلى هذه البيانات بطريقة معينة - كما لو كانت هذه النظرة من خلال عدسات ملونة - كما أن من الرا�ح أن يزغ المزيد من البيانات المتصلة بموضوع «الوقت» بمرور الوقت . وقد نجد أيضاً أننا بحاجة إلى إضافة أعمدة إلى الجدول الذي وضعناه - أو ، وفي مقابل ذلك ، قد نقرر أن مفهوم «الوقت» ليس شديد الأهمية كما بدا لنا في أول الأمر ، وأن هذا الجدول ربما يحتاج إلى إعادة تصميم .

قد توجد جداول أو أشكال بيانية أخرى يتبعن تطويرها : في هذا المثال ، ربما نبحث عن جدول أو شكل بياني يعبر عن كل موضوع من الموضوعات الأولية الأخرى ، وهي : تأثير وسائل الإعلام على اختيار الأفراد للطعام ، وتأثيرات مرحلة الطفولة والعائلة على الطعام ، وتكلفة الطعام .

تفسير البيانات

وأنت تشرع الآن في تفسير البيانات يكون مهما أن تسجل هذه العمليات التي تخوض خلالها أثناء تطويرك للفئات. وعلى نهج المثال المذكور في ريتشي ولويس (2003)، نقترح أن يتم ذلك على مراحل (لاحظ أنتا، في المثال المذكور أدناه، أضفنا بيانات مستمدة من مقابلتين آخريين).

المرحلة رقم 1: أقرأ البيانات الخام ثم دون تفسيرك لها بصورة نهائية – أي : معنى ما يقال في هذا المقام بعبارات ذات طابع عام .

المرحلة رقم 2: ألق نظرة فاحصة إلى تفسيراتك بتتبعها عبر جميع الحالات.

المرحلة رقم 3: حدد الفئات التي تقع في المستوى التالي من مستويات التصور العقلي والتي تدرج ضمن تفسيراتك .

من الأمور اللافتة للنظر أنتا، في فصل 4 باب 1 ، ألقينا نظرة فاحصة إلى موضوع وضع التعريفات والمفاهيم الإجرائية (ويعد «الوقت» أحد هذه المفاهيم) مما أدى إلى حصولنا على تعريفات إجرائية، يمكننا أن نستعملها ونقيسها أو نميزها عندما تكون ماثلة في بياناتنا. والآن نحن نعمل في الاتجاه المعاكس لأننا نبحث عما يعنيه مفهوم «الوقت» في نظر مبحوثينا في ضوء الطريقة التي يتكلمون بها أو يكتبون بها عن الطعام الصحي . فكلماتهم تعطينا مجموعة من أمثلة الطريقة التي بها يتفاعلون الوقت مع الطعام الصحي . كما أنتا ، وننظر الاهتمام بما كيفية فهم وإدراك الأفراد لخبرتهم هذه وكيفية تعبيرهم عنها ، نحتاج لاستكشاف الطرق المختلفة لشعور الأفراد «بالوقت» من حيث صلته بالطعام الصحي . ولمساعدتنا في القيام بهذا العمل ، يتم تحديد عدد من الفئات المتعلقة بالطريقة التي بها يتفاعل الوقت والطعام الصحي .

فكر في هذا الموضوع ...

قدمنا في المثال رقم (3-4) بعض التفسيرات لتلك البيانات ، واقترحنا بعض الفئات التي سنحتاج إلى التعمق في استكشافها ، فما رأيك فيها ؟ هل ستكون تفسيراتك مختلفة ؟ هل تستطيع أن تميز أي فئات أخرى سيكون من المهم استكشافها ؟

المثال رقم (3-4)

تفسير وتحديد فنات الموضوعات

الجدول رقم (2-4): تفسير وتحديد فنات الموضوعات

فنات الموضوعات	التفسير الأولى	الوقت	الموضوع الأول:
<ul style="list-style-type: none"> ● طهو الطعام يستغرق وقتا. ● طهو الطعام يمكن أن يكون أمراً ممتعاً. 	<ul style="list-style-type: none"> ● ينتظر إلى طهو الطعام باعتباره مستنفداً الوقت. ● بعض أنواع الطهو تستغرق وقتاً كبيراً. ● من المرغوب فيه توافر المزيد من الوقت. ● يمكن لطهو الطعام أن يكون استخداماً ممتعاً للوقت. 	<p>«أعتقد أن الوقت عامل مهم. حينما يكون الزوجان كلامهما يعلان خارج المنزل، فإنه لا يتواافق لهما وقت كافٍ ليعداً طعاماً كاللحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع. كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الحلويات... إنني أحب أن يتواافق لي المزيد من الوقت لأندمج في طهو الطعام فعلاً - إذ توجد في هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية في برامج التليفزيون - كل ما أنساه أن يتواافق لي الوقت والطاقة لتجربة بعض الأطعمة الجديدة».</p>	<p>المقابلة رقم 1</p>
<ul style="list-style-type: none"> ● أدوار العمل/الأسرة. ● طهو الطعام مرتبط بالوالدية «الصالحة». 	<ul style="list-style-type: none"> ● أدوار العمل تؤثر على الوقت المناخ. ● ولا واحد من الزوجين لديه وقت للقيام بأداء دور طهو الطعام. الشعور بالذنب في حق الطفل. هل طهو الأم الطعام للطفل - معناه أنها أم صالحة؟ 	<p>«هذا هو العامل المؤثر في نظري، ففي حالة اشتغالى أنا وزوجي خارج المنزل، لا يتواافق لنا وقت كثير فى الواقع. إننى أشعر بالذنب، بالرغم من أنه ينبغي على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى».</p>	<p>المقابلة رقم 2</p>

فاتنات الموضوعات	التفسير الأولى	الوقت	الموضوع الأول:
<ul style="list-style-type: none"> ● يمكن أن يكون طهو الطعام ممتعًا/ نشاط لقضاء وقت الفراغ/ يتم تحضيره بغير من قضاء الوقت فيه. 	<ul style="list-style-type: none"> ● طهو الطعام استخدام ممتع للوقت - يمكن أن يكون من أنشطة وقت الفراغ. 	<p>«في الواقع أنا أستمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية».</p> <p>ملحوظة: هل تتعلق هذه العبارة باستخدام الورقة؟</p>	<p>المقابلة رقم 3</p>
<ul style="list-style-type: none"> ● الطعام الصحي مرتبط بالتنظيم واختيار الأصناف المقدمة. ● الوقت يرتبط باختيار الطعام والأصناف المقدمة. 	<ul style="list-style-type: none"> ● يمكن لطهو الطعام أن يكون سريعاً وبسيطاً. ● الطعام الصحي مسألة تتعلق بتنظيم الوقت 	<p>«أعتقد أن بإمكانى طهو الطعام صحي بسرعة - فهي مسألة أن تكون منظماً وأن تختار أطعمة بسيطة، وهذا أمر ليس شديد التعقيد».</p>	<p>المقابلة رقم 4</p>
<ul style="list-style-type: none"> - تمييز طهو الطعام - الشعور بالذنب؟ ● أولويات الوقت. 	<ul style="list-style-type: none"> ● ليست المسألة مسألة أولوية وقت. ● الشعور بالذنب، الضغط- من؟ 	<p>«في الواقع أنا لست مهتمة بطهو الطعام وما يشبهه من أمور - كل ما في الأمر أنه ليس شيئاً أرغب في قضاء الوقت فيه. أنا أعلم أنه ينبغي على طهو الطعام، ولكن كل ما في الأمر أنني لست هذا الشخص المناسب».</p>	<p>المقابلة رقم 5</p>

المصدر : بتصرف نقاً عن: ريشي ولويس (2003 ، ص 240) حقوق الطبع 2003 محفوظة لدار نشر سيدج . مصرح بالنشر .

فكرة في هذا الموضوع . . .

الاشتغال بالوثائق

أنت الآن تقوم ببحث الطرق التي يتبعها الأفراد في العثور على أفراد آخرين يقيّمون معهم علاقة تواصل في المملكة المتحدة في القرن الواحد والعشرين ، ثم إن أحد مصادر بياناتك هو مجموعة من الإعلانات الشخصية المنشورة في جريدة قومية. يمكن النظر إلى كل إعلان من هذه الإعلانات باعتباره وثيقة صغيرة ، لذلك أسأل نفسك أولاً :

- (أ) من كاتب هذا الإعلان؟
 (ب) ما الذي يحاول كاتب الإعلان قوله؟
 (ج) إلى من يتحدث كاتب الإعلان؟
 (د) لماذا كتب هذا الإعلان بهذه الطريقة؟
 (هـ) ما الذي يسعى الكاتب إلى تحقيقه؟

ابداً بعد ذلك بتناول الوثائق عن طريق التدوين السريع الموجز لتفسير اتك وللفالات الممكن استخلاصها.

جدول رقم (3-4) : البدع في تفسير الموضوعات ووضع فناتها . (الإعلانات الشخصية الواردة هنا منقوله بتصرف عن ركن «أشقاء الروح» SoulMates بجريدة الجارديان).

الإعلانات الشخصية	التفسير الأولى	فنات الموضوعات
1- أنا صاحب مهنة محترمة، لأنزال في صحة جيدة، وأنا سليم جسمياً ونفسياً، كما أنتي وسيم على نحو فيه شيء من الجلافة. تشمل اهتماماتي: رياضة المشي، والموسيقى، وطهو الطعام.		
2- مدرسة جميلة تبحث عن رجل وسيم ذي بنية متنية ليتقاسما حلوى الشيكولاتة.		
3- لا تقاضن عني - أنا إنسان دود، منبسط وعملي، أتمتع بقدر يسير من الرومانسية، أبحث عن شقيق للروح عمره ما بين 35 و 50 سنة.		
4- أنا مجنون بشكل طفيف وأبحث عن شخص ذي طبيعة خاصة ليشاركتني هذه الحياة المجنونة.		
5- أنا شخص عطوف، وحساس ولست مملاً، أبحث عن شخص يشاركتني تناول القهوة والحلوى.		
6- أنا مليئة بالحيوية والنشاط، شقراء، ذات قلب شاب ، أبحث عن فتى مخلص أنيق حاصل على شهادة GSOH ، السن غير مهم.		
7- أنا في حالة طيبة ولدي قلب عطوف ، أبحث عن علاقة ناضجة مع شخص تزيد سنه عن 40 سنة يشاركتني شغفي بالفنون الإبداعية.		
8- أنا عاطفية، شقراء، 40 سنة، أبحث عن فتى وسيم ممتاز لا يبحث عن الحب.		

الإعلانات الشخصية	التفصير الأولى	فئات الموضوعات
9- أنا هادئ الطباع ، بل ورائع ، أود أن أتقاسم الوقت ، وأتمنى أن أتقاسم الوقت ، وأتمنى أن أتقاسم ما هو أكثر من ذلك ، مع سيدة رائعة الجمال سنها دون الأربعين .		
10 - أنا محام ، سني 35 سنة ، أبحث عن امرأة ذات جمال لا يقاوم ، وانفة نفسها ، ذكية ، جديرة بالحب ، من أجل اقسام الحب والوقت والترويح عن النفس .		

البحث عن العلاقات في البيانات

الآن وقد استكشفنا معالم مفهوم "الوقت" من حيث صلته بالطعام الصحي فلعلنا سنحتاج إلى إلقاء نظرة فاحصة إلى الموضوعات الأولية الأخرى وإلى كيفية ارتباط كل واحد منها بالآخر. بهذا الشكل ، يمكن تنفيذ جداول وأشكال بيانية مشابهة ، وطرح تفسيرات وفئات مشابهة ذات صلة ، في مثالنا هذا ، بتأثيرات الطفولة ، وبوسائل الإعلام ، وبالتكلفة.

قد يكون مفيداً أن تكتب تقريراً وصفياً عن بياناتك يرتكز على أساس هذا المستوى من التفسير الذي بلغته عند هذه المرحلة ، لأن هذا التقرير يمكن أن يزودك بأساس لنتائجك. ومهمة التقرير الوصفى أن يبرز ما توصلت إليه من نتائج حتى هذه اللحظة ، وهو :

- أن بعض الموضوعات الأولية قد تم تحديدها.

● ويتبين من واقع هذه البيانات أن لكل موضوع على حدة مجموعة طرق يرتبط وفقاً لها بالموضوع المورى (وهو موضوع الطعام الصحي في هذا المثال).

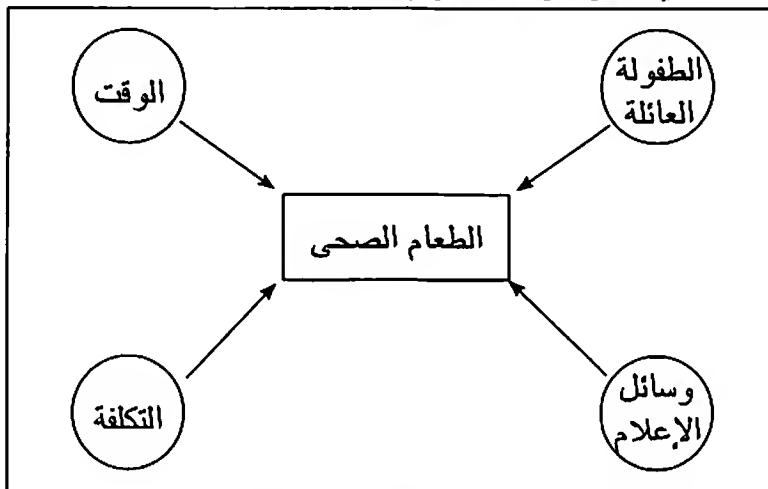
أنت الآن بحاجة للمضي في تأمل الطرق التي بها ترابط الموضوعات الرئيسية مع بعضها واستكشاف أوجه التشابه والاختلاف الممكنة بين حالاتك.

ومن المفيد لكثير من الباحثين أن يفكروا في العلاقات التي بين الموضوعات والفئات بأسلوب الجداول والأشكال البيانية ، كما توجد طرق متعددة للقيام بهذا العمل. يتوافر لأغلب حزم برامج الكومبيوتر الخاصة بتحليل البيانات الكيفية طريقة ما لاستكشاف البيانات باستعمال الأشكال البيانية.

أبسط طريقة للبدء هو أن تصمم مخططاً أو ترسم خريطة تحدد فيها موقع موضوعاتك بالنسبة لبعضها. من شأن هذا أن يبدأ في صورة شكل بسيط عن طريق ربط كل موضوع بالقضية المحورية للبحث.

المثال رقم (4-4)

خريطة أساسية للموضوعات الأولية



الشكل رقم (4-1): خريطة الموضوعات الأولية المرتبطة بالطعام الصحي

الآن يمكنك أن تضيف المزيد إلى الفئات الرئيسية أو إلى الموضوعات الفرعية التي تأخذ في الظهور، والمتصلة بكل موضوع من الموضوعات الأولية. في المثال رقم (4-5) الوارد أدناه يتم تكويد هذه الموضوعات الفرعية بألوان مختلفة تشير للموضوعات الأولية. من المحتمل أن تتولد هذه الفئات أو قل هذه الموضوعات الفرعية من واقع تفسيراتك وفئاتك الخاصة. وفي أثناء قيامك بتجميع هذه الموضوعات الفرعية حول كل موضوع أولى على حدة، فكر في مدى احتمال ارتباطها بالموضوعات الأولية الأخرى. حاول أن تقلبها على مختلف أوجهها لتساعدك في استكشاف شتى الاحتمالات. فإن أقيمت نظرية فاحصة على ما لديك من أشكال بيانية أو على قائمة بكل البيانات التي لديك عن كل فئة على حدة، فسوف تبدأ في رؤية روابط ممكنة – أو قل: أوجه اشتراك وتشابه.

تببدأ هذه العملية في الظهور بشكل معقد تماماً، إلا أن الشكل يبدأ في الكشف عن بعض الروابط اللافتة للنظر. مثال ذلك أنه لو ألقينا نظرة فاحصة على الفئات المحبوطة بموضوع «الوقت» لامكنا أن نرى أنها قد انتظمت بحيث تكون على مقربة من الفئات ذات الارتباط بموضوع (أ) الطفولة وتأثيرات العائلة و(ب) موضوع التكلفة. وهذا يوحى بأنه يوجد طرائقان مختلفان في الواقع يتم التحدث عن موضوع «الوقت» بهما.

(أ) في إحدى هاتين الطريقتين يُتخذ نفس «الوقت» كحيلة، أو ذريعة، ويتذكر إلى الطعام الصحي باعتباره مكلفاً من حيث الوقت والمالي كلديهما. وقد تم تمييز هذه الفئات بحرف (أ) في هذا الشكل البياني بالتفصيل التالي :

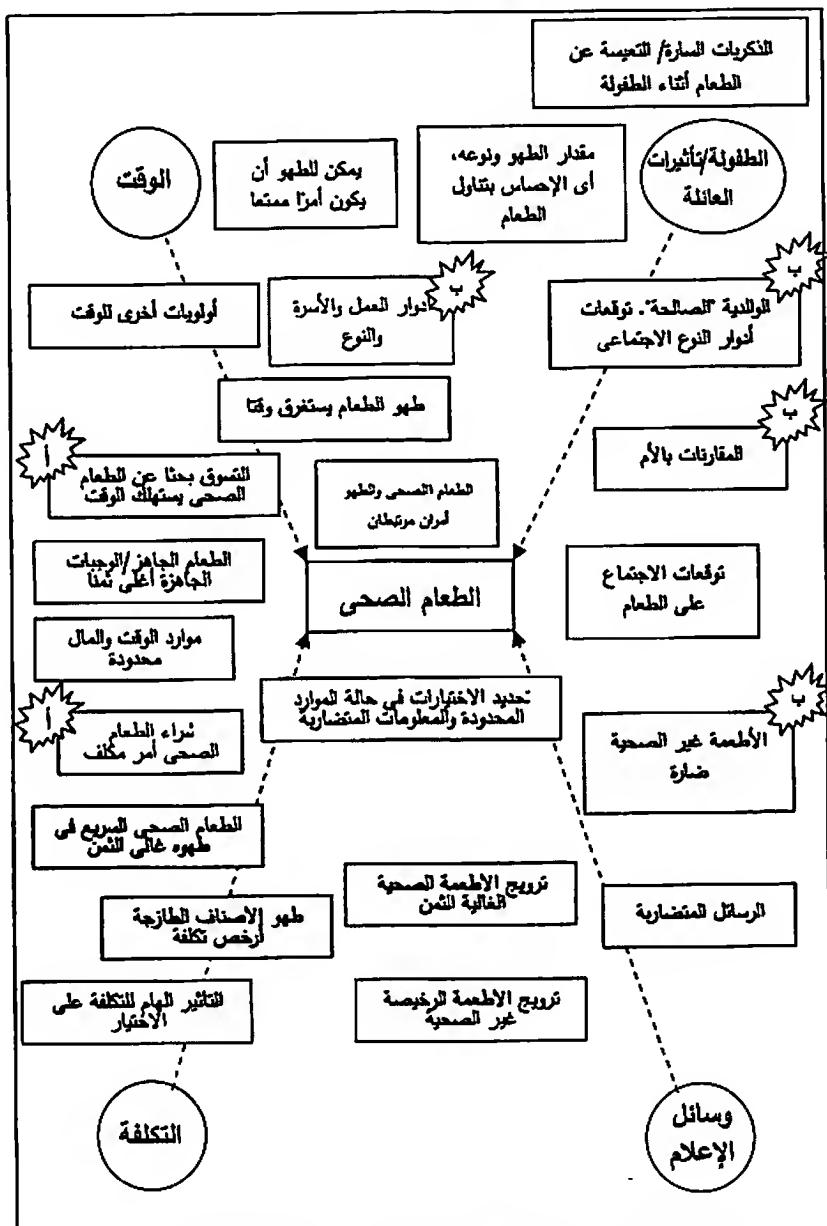
- الوقت : التسوق بحثاً عن الطعام الصحي يستهلك الوقت.
- التكلفة : شراء الطعام الصحي أمر مكلف.

ملاحظة سريعة : كلا هذين الموضوعين يرتبطان بتوفر الموارد.

(ب) الطريقة الأخرى للتتحدث عن الوقت تكون من حيث ارتباطه بأدوار العمل وأدوار الأسرة، ومن حيث توفير الوقت لظهور الطعام (للآخرين، خاصة للأطفال، كما هو في بعض الحالات). وقد تكون هذه الطريقة مرتبطة بالخبرات التي ترجع للطفولة، والأفكار المتعلقة بالوالدية وتوقعات الأدوار. قد يوجد هنا فروق بين الجنسين (الذكور والإناث). وفي مقابل ذلك، قد توجد رابطة بين التوقعات المنتظرة من كون المستجيب «أبا صالحًا» أو من كون المستجيبة «أمًا صالحة» من جهة، وما تبثه وسائل الإعلام من رسائل تتعلق بالتأثيرات الضارة لبعض أنماط الطعام من جهة أخرى. وهذه الفئات التي يمكن الربط بينها قد رمنا لها بحرف (ب) في هذا الشكل البياني .

المثال رقم (5-4)

وضع خريطة للموضوعات والفنانات



الشكل رقم (4) خريطة الموضوعات والفنانات المتعلقة «بالطعام الصحي»

- تأثيرات الطفولة والعائلة : الوالدية الصالحة / توقعات أدوار النوع الاجتماعي . المقارنات « بالأم » .
- وسائل الإعلام : الأطعمة غير الصحية ضارة .
- الوقت : أدوار العمل / الأسرة / النوع .

ملاحظة سريعة: قد ترتبط هذه الموضوعات الفرعية جميعها بموضوع يتعلق بالتوقعات المنتظرة من الأفراد (قد يكون هؤلاء الأفراد هم الوالدين بصفة خاصة ، أو الأمهات تحديدا؟) وبالتالي توقعات المرتبطة بتوفير الطعام الصحي للآخرين ، وبالشعور بالذنب المرتبط بعدم الوفاء بهذه التوقعات . يبدو أن هذا الموضوع يتسم بالأبعاد التالية : أدوار النوع ، أولويات الوقت ، الضغوط المتبعة من داخل النفس (كالإحساس الذاتي بتأثيرات الطفولة) والضغوط الآتية من خارج النفس (أى: من وسائل الإعلام) فيما يتصل بتوفير الطعام الصحي للآخرين .

باشتغالنا بهذا الشكل البياني بهذه الطريقة مع الرجوع المستمر للبيانات الخام لاختبار صحة التفسيرات ، فإننا نرى بصورة مؤقتة أن بإمكاننا الانتقال من هذه الموضوعات الأولية إلى موضوعات أربعة عامة ذات مستوى أعم وأعلى قد تساعدنا في تفسير كيف يحدد الأفراد اختياراتهم المتعلقة بتناول الطعام . هذه الموضوعات العامة الأربع هي تلك التي بيننا كل واحد منها في قطاعات هذا الشكل البياني ، كما أنها ترتبط أساساً بالعلاقة القائمة بين اثنين أو ثلاثة من الموضوعات الأولية ، كما أنها مظلة باللون الغامق في هذا الشكل البياني :

وهذه الموضوعات الأربع العامة هي :

الطعام الصحي والطهو مرتبطان ببعضهما .

الموارد المحدودة لكل من الوقت والمال .

الوفاء (أو عدم الوفاء) بالتوقعات الخاصة وتوقعات الآخرين .

تحديد الاختيارات في حالة الموارد المحدودة والمعلومات المتضاربة .

عند هذا الحد قد نشعر بأننا قمنا بقفزات كبيرة من البيانات إلى مجموعة من الأحكام . وهذا معناه أن الوقت حان للعودة لمراجعة البيانات حتى تعرف ما إذا كانت هذه الأحكام تستوعب - بصورة ملائمة - تلك البيانات التي سبق لك أن جمعتها أم لا ، وللننظر مرة ثانية من خلال عدسات هذه الأحكام .

المثال رقم (4-6)

المراجعة في ضوء البيانات الخام

بالنسبة لكل موضوع عام ، ضع قائمة بالموضوعات الفرعية أو فئات الموضوعات المرتبطة بذلك الموضوع العام . ثم :

في داخل كل حالة على حدة

ابحث عن نماذج للفئات داخل المجموعة الكاملة للبيانات بالنسبة لهذه الحالة ، وانظر ما إذا كان هذا الموضوع العام متسقاً في ضوء هذه الحالة .

• بالنسبة لبعض الحالات قد يكون موضوع معين ارتبط طفيف بهذه الحالة أو ربما لا يرد لهذا الموضوع ذكر أصلاً . وهذا أمر لا يأس به ، فكل حالة ستكون مختلفة عن الحالات الأخرى .

• سوف يختلف الموضوع بالنسبة للحالات المختلفة . مثال ذلك ، أن بعض الأفراد قد يعطى الأولوية لطهو الطعام الصحي لأطفالهم - جزئياً - لأنهم لم يحصلوا على طعام صحي عندما كانوا أطفالاً ، وقد يشعر غيرهم بأنهم مذنبون نظراً لأنهم لا يعطون الأولوية لطهو الطعام ، وذلك بسبب أن أمهاتهم كن يطهين الطعام لهم ، ولهذا فهم يتظرون توقعات لأفعال تصدر عنهم . إن هذه الاختلافات مثيرة للاهتمام كما أنها تعتبر نتائج رئيسية بالنسبة للبحث .

من واقع كل الحالات

الآن نظرة فاحصة على البيانات التي ترتبط بكل فئة في جميع الحالات وتحقق مما إذا كان يوجد أي حالات لا "تناسب" مع هذا الموضوع العام ، وأمعن النظر فيما إذا كان هذا الموضوع العام يجب تعديله أم لا .

• من شأن ذلك أن يساعدك في توضيح مجموعة البيانات المدرجة داخل كل موضوع .
• قد يساعدك ذلك على تمييز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الحالات .

لدينا الآن إطار بحث في داخله عن أوجه التشابه والاختلاف بين حالاتنا . فبإمكانك مثلاً ، أن تلقي نظرة فاحصة إلى مدى اختلاف الرجال عن النساء من حيث الطريقة التي يتكلمون بها عن كل موضوع من تلك الموضوعات العامة . مثال ذلك :

• هل يميل الرجال إلى تأكيد أهمية جوانب مختلفة، أو هل لديهم تصورات مختلفة عن «الوقت»؟

• هل النساء اللاتي لديهن أطفال يزداد احتمال أن يتحدثن عن التوقعات المتعلقة بظهور الطعام والطعام الصحي أكثر من النساء اللاتي ليس لديهن أطفال؟

قد توجد تشابهات واختلافات أخرى تكون قد لاحظتها أو فكرت فيها أثناء اشتغالك بالبيانات، والآن حان الوقت لاستكشافها إلى مدى أبعد. بإمكان هذا الاستكشاف أن يفضي إلى تفسيرات (مؤقتة غير نهائية) للاختلافات أو للعلاقات الخاصة بين بعض الأمور.

لعلك تفكر أيضاً في تطوير نوع من عمليات التتمييز typology - والتتمييز في الواقع طريقة لتقسيم حالاتك إلى مجموعات متراقبة وفقاً لمجموعة من الخصائص. وبالنسبة لتحليل الموضوعات تشير هذه الخصائص إلى موقعها من هذه الموضوعات. ومن طرق استكشاف الأنماط الممكنة في المثال المذكور أن تحدد موقع كل حالة من هذه الحالات ضمن الموضوعات العامة الأربع، فتنظر أى هذه الحالات متشابهة ثم تنظر فيما إذا كان يوجد تشابهات أخرى بين هذه الحالات من عدمه. فإن تبيناً - على وجه الإجمال - وجود تشابهات واختلافات بين المجموعات قائمة على أساس النوع والأطفال، فقد تتوصل إلى تتمييز يربط بالجنس والأطفال على النحو التالي:

- رجال لديهم أطفال.

- رجال ليس لديهم أطفال.

- نساء لديهن أطفال.

- نساء ليس لديهن أطفال.

من جانب آخر، قد تجد أن بإمكاننا تطوير تتمييز يعتمد على الموضوعات العامة الأربع وفقاً للأسس التالية:

1 - الطعام أمر مهم بصرف النظر عن الوقت والتكلفة؛ الاستمتاع بظهور الطعام؛ الصحة أعلى قدرًا.

2 - اختيارات الأفراد للأطعمة لا بد أن تتم في إطار قيود ضابطة، إلا أنهم سيحاولون بذل جهدهم لظهور الوجبات الصحية نظرًا للتوقعات المنتظر منهم القيام بها.

3 - المشاعر الناجمة عن الضغط والإحساس بالقصير، أو العجز عن تحقيق الإنجاز المطلوب بشأن الطعام الصحي.

4 - لا اهتمام أو انشغال بأن يكون الطعام صحيًا، فالوقت والتكلفة هما العاملان الحاسمان.

لا ريب أنك ملزم بالاختبار الشامل لأحد التزميمطات حتى تعرف إن كان العمل به مجدياً (بدرجة أو بأخرى) فيأتي بنتيجة مع كل حالة من حالاتك، إلا أن هذا التزميمط يمكن أن يمثل ركيزة للمناقشة التي ستوردها في تقرير بحثك أو رسالتك العلمية.

فكرة في هذا الموضوع

لنفترض أنا كنا نقوم بالبحث عما لدى الأفراد من مدركات حسية وتصورات تتعلق بالطعام الصحي، وكان هذا البحث ينفذ لصالح جهة حكومية ترغب في الحث على تناول الطعام الصحي بين السكان في المملكة المتحدة. يزودنا هذا المثال الخاص بتحليل الموضوعات ببعض المفاتيح المتعلقة بالأسباب التي تجعل الناس يقبلون، أو لا يقبلون، على تناول الطعام الصحي، كما قد تتوافق لنا بعض الأفكار المتعلقة بالطريقة التي بها يمكن تشجيعهم : بناء على هذا المثال ، ما المشورة التي تود تقديمها لمسئولي حكومي يفكرون في القيام بحملة إعلانية للحث على تناول الطعام الصحي؟

عرض تحليل الموضوعات

بعد أن تطور تحليل للموضوعات ، يتبعن عليك وقتها أن تعرّضه لجمهورك بطريقة من شأنها أن تبين كيف تعاملت مع بياناتك ، وما الذي انتهيت إليه من نتائج ، وكيف ساعدك هذا التحليل في الإجابة عن أسئلة بحثك. وقد سبق أن أشرنا في هذا الفصل إلى أن من المفيد أن تكتب تقريراً عن التحليل الأولى للموضوعات لأن هذا سيكون بمثابة الجزء الأول من نتائجك. وفي ثنايا هذا التقرير يتبعن عليك أن تبين ، ربما عن طريق استعمال الأشكال البيانية (انظر قائمة المصطلحات) وبعض المقاييس الحرفية المختار (أى: بعض الجمل والعبارات التي صدرت من المستجيبين ، وبنفس حروفها وألفاظها ، بدون تصرف) من واقع بياناتك ، وكيف تم تطوير فئات موضوعاتك ، وأخيراً كيف تعاملت مع هذه الفئات لتنتج موضوعات عامة ، وربما لتقدم نوعاً ما من التبني. ذلك أن قيامك ببيان كيفية معالجتك لهذه البيانات ، وكيفية تفسيرك لها بصفة خاصة ، يعد جزءاً جوهرياً من تقرير بحثك أو رسالتك العلمية لأنك يوفر نوعاً من التحقق من أن تحليلك موثوق به وأن تفسيراتك صحيحة يعتمد بها. وقد تحتاج إلى أن تدرج بعضاً من هذه البيانات في ملحق ترافقه بتقريرك أو رسالتك العلمية إن كانت اعتبارات الحيز تحول دون ذكرها تفصيلاً في المتن. بعد عرضك لنتائجك وتحليلك ، يكون من الملائم أن تتركز مناقشتك على الموضوعات العامة ، وعلى أي عمليات تبني ، وعلى الطريقة التي تقوم بها هذه الموضوعات العامة والتميمطات بالإجابة ، بشكل ما ، على أسئلة بحثك وإبداء الملاحظات بشأنها.

بحثك

إن كنت تعالج بياناتك مستخدماً تحليل الم الموضوعات، فحاول اتباع نفس خطوات العملية التي استخدمناها في هذا المثال، هي :

1 - نظم البيانات.

2 - حدد بعض الم الموضوعات الرئيسية الأولية.

3 - استكشف هذه الم الموضوعات مستخدماً للجداؤل والرسوم البيانية.

4 - دون تفسيراتك.

راجع باستخدام البيانات

5 - قارن هذه التفسيرات من واقع جميع الحالات.

6 - طور فئات الم الموضوعات التي يمكن وضع بياناتك فيها.

راجع باستخدام البيانات

7 - استخدم شكلابيانيا لمساعدتك في التصور الشامل للعلاقات الممكنة بين هذه الفئات.

راجع باستخدام البيانات

8 - اختبر هذه العلاقات من أولها لأخرها بالرجوع إلى البيانات والنظر إليها من خلال عدسات مختلفة.

9 - ابحث عن الم الموضوعات العامة التي تشتمل على العلاقات التي قمت بتحديدها.

راجع باستخدام البيانات

10 - عد إلى بياناتك مراجعا لها لنرى ما إذا كانت الم موضوعات العامة شاملة أم لا.

11 - استخدم الم موضوعات العامة في استكشاف البيانات وابحث عن التفسيرات الممكنة للعلاقات.

راجع باستخدام البيانات

12 - ابحث عن التشابهات والاختلافات الموجودة بين الحالات، وابحث عن البيانات التي تساعد على تفسير هذه الاختلافات والتشابهات.

13 - هل بدأ يتبلور نوع من التنميظ؟

14 - عد إلى أسئلة بحثك - هل ساعدك هذا التحليل في الإجابة على أسئلتك؟

بحثك

اختبار جودة البحث

في هذه المرحلة من العملية البحثية ينبغي أن تكون مشغولاً أساساً بصحة أو مصداقية تفسيراتك وبشفافية تحليلك.

- هل راجعت تفسيراتك باستعمال البيانات على امتداد عملية التحليل من أولها لآخرها؟
- أيمكنك أن تبين للآخرين كيف اخذت قراراتك بشأن موضوعاتك وكيف قمت بتعريف تلك الموضوعات؟
- أيمكنك أن تبين كيف قررت أن تصنف «نُفَ» البيانات؟
- هل تعتبر نتائجك وتفسيراتك معقوله في ضوء البحوث والنظريات التي تتناول هذا المجال؟ وهل هذه النتائج والتفسيرات ذات مصداقية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
- Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

الفصل الخامس

تحليل السرد

محتويات الفصل

- النسخ (أي: النقل من وسيلة إلى أخرى).
- التحليل
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

قدمنا في الفصل 7 باب 3 وصفاً للروايات الشفاهية باعتبارها حكايات تمت صياغتها اجتماعياً، وبيننا كيفية جمع هذا النوع من البيانات. والآن ننتقل إلى دراسة موضوع كيف يمكن تحليل هذه البيانات واستخدامها في البحث الاجتماعي.

تذكر أن ما نحاول تحليله هنا ليس بالضرورة وقائع قصة ما، بل الأصح النهج أو الطريقة التي رتب بها راوي القصة، أي (القاص / أو الراءى) الأمور التي يريد الحديث عنها.

«القصة الشفاهية تصوّر لسلسلة من الأحداث الماضية كما تبدو للراوى في الوقت الحاضر، وذلك بعد أن تكون قد عولجت، وحُللت، ورُكبت في هيئة حكايات. لهذا يحظى مفهوم «التصوير» هذا بأهمية بالغة، فالروايات الشفاهية ليست سجلات للأحداث، إنما تصورات ورؤى لسلسلة من الأحداث». (فصل 7 باب 3).

ويمكن القول بصورة عامة أن عملية تحليل الرواية الشفاهية تنقسم إلى ثلاثة أقسام (انظر، على سبيل المثال، ريسمان، 1993، 2008) أو (ليليش وأخرين، 1998). وهذه الأقسام هي:

1 - القص (أى: حكاية القصة) (فصل 7 باب 3).

2- النسخ / التنظيم، أى تحويل القصة من كلام مسموع إلى كلام مكتوب (فصل 2 باب 3، وفصل 2 باب 4).

3 - التحليل (فهم البيانات واستخراج النتائج).

نفترض في هذا الفصل أن الخطوة رقم (1) أعلاه قد استوفيت، ولذلك ننتقل إلى خطوة النسخ.

النسخ (أى : النقل من وسيلة إلى أخرى)

بعد أن تجمع بياناتك الشفاهية (والتي تكون في شكل تسجيل صوتي عادة) فإن المرحلة الأولى للتحليل هي أن تنسخ (أى : ننقل) هذا الصوت إلى وثيقة معالجة كلمات. وهذه خطوة جوهريّة لا بد منها في هذا التحليل (بالرغم من أن كثيراً من تقنيات التحليل الكيفي الأخرى تلجم إلى عملية النسخ، فإنه ليس من اللازم دائمًا أن تقوم بهذا العمل). وغنى عن القول إن النسخ عملية مستهلكة جداً للوقت، إلا أنها مهمة لسبعين رئيسين (سبق أن تناولنا هذين السبعين بمزيد من التفصيل في فصل 2 باب 4) وهم:

1 - الوصول إلى معرفة بياناتك بشكل أولي.

2 - إعداد القصة للتحليل: ومن الأمور الحيوية على وجه الخصوص أن تبقى القصة موجودة كشيء يمكن النظر إليه كوحدة متكاملة.

نود أن نؤكد على أهمية التفكير في هاتين المسألتين معاً؛ فمعروف لك لبياناتك ولطريقة تنظيمها وترتيبها أمر مهم لعملية تحليل الرواية الشفاهية. أما انفاعك بشخص آخر غيرك لنسخ هذه البيانات فيعد (أ) أمراً مكلفاً دائمًا، و (ب) قد يكون محفوفاً بالمخاطر. ويلاحظ ريسمان في هذا الصدد قائلاً :

«في المرحلة المبكرة من دراسة أجريناها عن موضوع الطلاق، عندما عادت زميلتي في البحث لمراجعة دقة النصوص المنسوخة، اكتشفت وجود أصوات وكلمات موجودة في شريط التسجيل لم تظهر في النص المنسوخ على الآلة الكاتبة. وعندما سئلت عن ذلك الموظفة التي قامت بنسخ التسجيل الصوتي إلى نص مكتوب ردت على سؤال أنا عنها تحت كل ما هو بعيد عن الموضوع جانباً، أى الكلام الذي «لم يكن رداً على سؤال من الباحث». ومع ذلك فإن تلك الأمور التي تبدو غير ذات صلة بالموضوع تمثل السياق الجوهري الذي لا غنى عنه للتفسير، كما أن هذه الأصوات والكلمات البعيدة عن موضوع السؤال كانت، وعلى نحو غير نادر، روایات شفاهية، أى إنها لب الموضوع» . (ريسمان، 1993، ص 57).

عندما يتم نسخ الروايات الشفاهية، يكون من الممكن الانتقال إلى المرحلة التالية: وهي مرحلة التحليل.

التحليل

يمكن القول في الواقع أن التحليل قد يبدأ فعلاً في مرحلة مبكرة للغاية من البحث ويستمر خلال مرحلة النسخ. إلا أنه يصبح الآن أكثر تنظيماً.

المرحلة الأولى لتحليل الرواية الشفاهية هي القراءة. وتنتمي القراءة من أجل الفهم التام للحكاية (وأنت بطبيعة الأمر قد قمت بقراءة هذه الحكاية عندما كنت تقوم بعملية النسخ - ومع ذلك، فإننا نعتقد أن قراءة مستقلة للنص بعد أن تم نسخه عمل مفيد). ولا ريب أنه يتبعن عليك أن تقرأ سائر الحكايات التي جمعتها - وهذا يستغرق وقتاً كبيراً بطبيعة الحال.

يوجد عدد من الأساليب التي يمكن استخدامها في تحليل الروايات الشفاهية (انظر ريسمان ، 2008 ، على سبيل المثال) ، ويعد بعضها مماثلاً للتقييمات المستخدمة في تحليل الأنماط الأخرى من البيانات الكيفية (الباب 4). وتفيدنا هنا - بصفة خاصة - تقنية «تحليل الموضوعات» التي يمكن أن تأتي بنتائج جيدة.

البحث الواقعي

تحليل بعض الروايات الشفاهية لقصص حياة مراهقين مضطربين السلوك

قام ساندرسون وماكوا (Sanderson and McKeough 2005) بدراسة لعشرين شاباً تقع أعمارهم بين 16 و 21 سنة من يعيشون في الشوارع بلا مأوى. كان قصد الباحثين أن يتعرفوا على قصص حياة المشاركون بحثاً عن دليل يثبت أن ما مرروا به من خبرات سلبية قبل ذلك هي التي أدت إلى أوضاعهم الحالية.

كانت جلسات جمع البيانات السردية تدار بينما كانت القصص تسجل على شريط تسجيل صوتي في جلسات من النوع الذي يتبع فيه أسلوب تدخل الباحث باستعمال الأسئلة والتعليقات المحفزة. وقد تم تحليل البيانات باستعمال مزيج من تقييمات تحليل الموضوعات وتحليل المضمن (فصل 7 باب 4).

انتهى هذا البحث إلى نتيجة مفادها أنه توجد مؤشرات قوية على أن المعاملة السلبية السابقة هي التي أدت إلى المشكلات السلوكية التي يعاني منها المبحوثون وإلى معيشتهم في الشارع. كما انتهى الباحثان إلى أن البحث السردي كان طريقة فعالة - بصفة خاصة - في الوصول إلى مجتمع البحث هذا، وكذلك في الحصول على بيانات مفيدة للبحث.

من تقنيات التحليل الخاصة التي تمكنت من الوقوف على الطريقة التي يتم وفقاً لها صياغة الرواية الشفاهية تقنية التحليل البنائي للرواية الشفاهية. وهي فحص لطريقة صياغة الرواية الشفاهية من أجل تحقيق مقاصد الراوى. ويمكن القول إن أكثر أساليب حكاية القصص شيئاً هى (انظر فصل 7 باب 3):

- إقناع الآخرين.
- تبرير السلوك الماضي أو القرارات الماضية.
- التسويف التبريري (وليس الحقيقى أو المنطقى).
- تقديم تفسيرات أو تصورات معينة للأحداث.
- انطلاق رواة الحكايات الشفاهية في سبلهم الخاصة الموصولة لغایاتهم الخاصة.
- إثارة الشفقة أو الاهتمام.

في التحليل البنائي للرواية الشفاهية، تقرأ القصة في أثناء البحث عن الطرق التي بها حاولت الراوية أن تعرض قضيتها. من الممكن القيام بذلك بأساليب كثيرة، إلا أنك قد تبحث عن أمثلة يستخدم فيها الراوى أموراً مثيرة للشفقة أو حججاً ذات منطق قوى ليضمك إلى جانبه بأسلوب عقلى. ويستحق هذا الأمر أن تعاود تفقد قائمة «أساليب الحكايات» (المذكورة أدناه) والمثال الذى قدمناه في فصل 7 باب 3، وذلك لأنهما يعطيان بعض المؤشرات الدالة على أصناف الأمور التي يتبعن عليك البحث عنها عند استخدام التحليل البنائي.

المثال رقم (1 - 5)

أساليب الحكايات

أسلوب التاريخ.

أسلوب الأجندة الصريرة.

أسلوب الأجندة المستترة.

أسلوب السعي إلى إضفاء الشرعية.

أسلوب السعي إلى الحصول على موافقة الباحث.

أسلوب البحث عن المعلومات.

أسلوب الإفصاح عن المعلومات.

أسلوب الانتقاد.

كما هو واضح في الأمثلة الواردة في "البحث الواقعي" أدناه، يكون من الملائم أن يعتمد تحليل السرد على مجموعة من التقنيات والطرق الخاصة بمعالجة البيانات. بجانب ذلك يقوم الباحث بالنظر الفاحص إلى الرواية الشفاهية وهي تحكي ، كما يقوم بترصد الإشارات التي توحى بها الطريقة التي تجري وفقاً لها صياغة المادة السردية وقت روايتها، كما يترصد السبب الذي جعل هذه الرواية تصاغ بهذه الطريقة. لهذا يكون من الملائم عند عرض النتائج ومناقشتها أن ينصب الاهتمام على : كيف آل أمر كل رواية شفاهية على حدة إلى أن تصاغ بهذه الطريقة، وكيف يتجلّى ذلك في القصة نفسها من خلال الأسلوب الذي تستخدم به مفاهيم التحليل الموضوعاتي ولغة التحليل الموضوعاتي فيما يقدمه الباحث من توصيات وتفسيرات.

البحث الواقعي

تحليل رواية شفاهية لاستعمال الوالدين الدواء التكميلي أو البديل في علاج الأطفال المصابين بمتلازمة داون (أي: المونغوليين).

قام بروسينج Prussing وأخرون (2005) بعقد جلسات لجمع بيانات سردية (من الروايات الشفاهية) مع 30 عائلة لديها أطفال مصابون بمتلازمة داون ، ملقين نظرة فاحصة إلى مسألة استخدام هذه العائلات للعلاج التكميلي والبديل (المسمى CAM سي . إيه . إم) .

ما الذي قام به الباحثون؟

تناول هذا المشروع الطريقة التي صاغ بها الوالدان هوياتهم كوالدين «صالحين» طوال الرواية الشفاهية. تراوحت مدة جلسات جمع بيانات الروايات الشفاهية من 45 دقيقة إلى 3 ساعات (بمتوسط 90 دقيقة) وأجريت باستعمال طريقة تدخل الباحث (فصل 7 باب 3) في جمع البيانات السردية. وقد تم نسخ هذه الروايات الشفاهية وحللت باستخدام طريقة تحليل الموضوعات.

وجد الباحثون أن الوالدين «كانوا يستخدمون استراتيجيات السرد التي من خلالها صاغوا تعرفياتهم الخاصة (المتلازمة داون) كما أكدوا التفرد الشخصي الجوهرى لأطفالهم ولأنفسهم» (بروسينج وأخرون، 2005، ص 590).

فى نفس الوقت، تحصل الباحثون على بيانات مفيدة عن استعمال المشاركون للعلاج المسمى CAM (سي إيه إم)، وعن الطرق التي أوصلتهم للإيمان بأن هذا العلاج قد ساعدتهم في حياتهم.

ومن الأمور المثيرة للاهتمام ، أن الباحثين وجدوا أيضاً أن المشاركون حكوا قصصهم بطرق اشتغلت على معظم أساليب الحكايات (فصل 7 باب 3) الشائعة في الروايات الشفاهية .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
- Richards, I. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Clandinin, D. J. and Connelly, F. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.
- Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.
- Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.
- Josseelson, R. and Lieblich, A. (1999) *Making Meaning of Narratives in the Narrative Study of Lives*, London: Sage.
- Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.
- Prussing, E., Sobo, E. J., Walker, E., and Kurtin, P. S. (2005) Between 'desperation' and disability rights: a narrative analysis of complementary/alternative medicine use by parents for children with Down syndrome. *Social Science & Medicine*, 60: 587-98.
- Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.
- Riessman, C. K. (2008) *Narrative Methods for the Human Sciences*, London: Sage.
- Sanderson, A. and McKeough, A. (2005) A narrative analysis of behaviourally troubled adolescents' life stories. *Narrative Inquiry*, 15(1): 127-60.

الفصل السادس

تحليل الخطاب

محتويات الفصل

- ما الخطاب؟
- الخلية النظرية.
- ما تحليل الخطاب؟
- استخدامات تحليل الخطاب.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل موضوع تحليل الخطاب ، وهو تقنية ترتكز نظرياً على أساس النزعنة التصورية الاجتماعية (فصل 2 باب 1) . ويناقش الفصل تلك النظرية الأساسية وطبيعة «الخطاب» ، كما يصف بالتفصيل التقنيات المستخدمة في تنفيذ هذا النوع من التحليل .
ونقترح عليك أن تبدأ بقراءة فصل 2 باب 4.

ما الخطاب؟

تعد محاولة تعريف الخطاب (انظر قائمة المصطلحات) أمر إشكاليًا لأن هذا المصطلح مثير للجدل ومختلف عليه ، وقابل لتعريفات وتفسيرات واستعمالات كثيرة مختلفة . يستخدم علماء اللغة هذا المصطلح للإشارة إلى وحدة الحديث التي تزيد عن جملة واحدة . إلى جانب ذلك ، ينظر كثير من النقاد إلى الأدب باعتباره خطابا . وبالمثل ، فإن بالإمكان أيضًا أن يعد الحوار بين فرددين أو أكثر خطابا ، كما أن هذا المصطلح تستعمله جماعات عدّة بدءًا من العلماء الاجتماعيين ووصولاً إلى وسائل الإعلام ، وقد تحول

بسبب ذلك إلى مصطلح يجمع بين المزد من الغموض والمزيد من الانتشار. ويقول ميلز عن هذا المصطلح :

«أصبح عملة شائعة التداول في تشكيله متعددة من التخصصات العملية مثل : النظرية النقدية ، علم الاجتماع ، اللغويات ، الفلسفة ، علم النفس الاجتماعي وكثير من المجالات الأخرى ، وقد بلغ من الرواج حد ذات معه يستخدم ، في كثير من الأحيان ، من غير أن يعرف ، كما لو كان استعماله معرفة مشتركة لدى الكافة». (ميلز ، 1997 ، ص 1).

وهناك مفكرون آخرون يستخدمون هذه الكلمة بشكل مختلف : فالبعض يشترطون أن يكون الخطاب طويلاً ، والبعض يشترطون أن يكون حواراً ذاتياً (جينة وذهاباً بين فردین على الأقل) وهو المعنى الذي يقترب بشكل ملحوظ من الجذر اللاتيني للمصطلح ، وهو كلمة *discursus* ، والذي يمكن ترجمته «بالحركة من وإلى»؛ كما يستعمله فوكو كطريقة لمناقشة المناطق المتداخلة بين التخصصات التي لا يمكن أن ينافش فيها من المفاهيم إلا القليل.

وقد سلمنا مساراً أكثر بساطة . ورعاية لأهداف هذا الفصل يتم تعريف الخطاب بأنه «نص» ، سواء أكان منطوقاً أو مكتوباً.

الخلفية النظرية

يستخدم تحليل الخطاب أساساً في البحث الكيفي ، وهو يرتكز نظرياً على أساس النزعة التصورية الاجتماعية . والنزعـة التصورـية الاجتماعية نظرـية معقدـة ، كما أنتـا ، ورغم أنـ الحيز المـتاح لـهـذه الفـقرـة لا يـسمـح بـمناقـشـة هـذا المصـطلـح بالـتفـصـيل ، فإنـنا نـريد أنـ نـيرـز المـسلمـات الأـأسـاسـية فـيهـ:

• **الحقيقة تصور اجتماعي:** إن المنحى العلمي القائل بأن بالإمكان دراسة العالم دراسة كمية وأن الأشياء التي يمكن قياسها هي وحدتها الأشياء «الحقيقة»؛ هذا المنحى مرفوض لأن اللغة والوجود الاجتماعي هما اللذان يشكلان المقولات العقلية التي بها يمكن إنجاز مثل هذا التحليل . لذلك يكون إحساسنا بالحقيقة، بدوره، إحساساً من صنع المجتمع الذي نعيش فيه.

• لا يمكن للأفراد أبداً أن يكونوا موضوعين تماماً: مهما بذلنا من الجهد في المحاولة، فنحن من صنع مجتمعنا، ونحن نحمل معنا «أمنتنا الاجتماعية» في صورة المعايير وال المسلمات . وهذا معناه، حتماً، أن الباحثين لا يبدؤون بحثهم من نقطة الصفر، بل إن لديهم مجموعة من المعتقدات ، والقيم ، والتوقعات التي تؤثر على أي بحث يقومون به.

ما تحليل الخطاب؟

لا يوجد تعريف واضح وحيد لتحليل الخطاب. وأيا ما كان الأمر، فإن جميع تحليلات الخطاب قائمة على «النصوص»، بالرغم من أن هذا اللفظ نفسه مختلف عليه. ونحن نتولى أن نستعمله بمعنى «الكلمات المنطقية أو المكتوبة، والموجودة في أي وسيلة اتصال». وهذا يعني أنتانرى أن بالإمكان تطبيق تحليل الخطاب على المحادثات، والخطابات، ورسائل البريد الإلكتروني، وبرامج التليفزيون، والوثائق، والسجلات وعلى كثير من الأشياء الأخرى. ونحن نرى أنه ينبغي استعماله كمصطلح شامل بقدر الإمكان.

كثيراً ما يستخدم تحليل الخطاب عند دراسة الموضوعات اللغوية وفي علم اللغة، كما أنه شائع في علوم اجتماعية كثيرة، بما فيها علم الاجتماع وعلم السياسة.

عند تحليل خطاب أو تقرير، قد يكون الباحث معنياً بفحص نمط اللغة الجاري استعماله، وأنواع الأفكار التي يرتكز عليها النص وكيفية تجلّي تلك الأفكار في هذه اللغة. وقد استعمل بعض الباحثين تحليل الخطاب في دراسة الطريقة التي بها تتطور الأفكار وتتغير عبر الزمن أو بين البيئات الثقافية المختلفة. وبتعبير آخر، كيف يتم تشكيل الأفكار اجتماعياً من خلال الطريقة التي بها يتصور الأفراد العالم الاجتماعي المحيط بهم، وبها يتحدثون عنه ويشعرون به.

فكرة في هذا الموضوع . . .

بعض أنواع الخطاب عن «الخُضر»

إن قدر لك أن تقرأ التقارير الصحفية عن المنظمات البيئية (والتي منها، مثلاً، منظمة «أصدقاء الأرض») في سبعينيات القرن العشرين، فمن الراجح أن تجد فيها أو صافاً لمن يؤيدون هذه المنظمات بأنهم غرباء الأطوار نوعاً ما، وأنهم من الأقليات «التي تدافع عن الطبيعة لتحميها»، كما ستجد أن الأفكار المتعلقة بالاحتباس الحراري والتغيير المناخي، محل سخرية واستخفاف، في كثير من الحالات.

هل أصبح مثل هذا «الخطاب» مختلفاً في وقتنا هذا؟ وكيف تغير هذا الخطاب؟

يُحمل جي Gee وصف طبيعة تحليل الخطاب عندما يقول:

«خلاصة الموضوع أن تحليل الخطاب يعد طريقة للاشتغال بر رسالة إنسانية مهمة. تمثل هذه الرسالة في التفكير بمزيد من العمق في المعانى التي نضفيها على ما ينطق الناس به من كلمات من أجل أن يجعل أنفسنا أفراداً أفضل وأكثر إنسانية، ولنجعل العالم مكاناً أفضل وأكثر إنسانية (جي، 2005).

من الواضح إذا أن تحليل الخطاب طريقة قائمة على اللغة أو طريقة لغوية للتحليل الكيفي.

استخدامات تحليل الخطاب

توجد اتجاهات عديدة ذات طبيعة متخصصة في تحليل الخطاب. ونحن لا ننوي مناقشتها بالتفصيل هنا، بيد أنه توجد موضوعات في فقرة «المراجع وقراءات للاستزادة» من شأنها أن تعد من يرغبون في معرفة هذه الاتجاهات بمعلومات فيها مزيد من التفصيل. وتتضمن هذه الاتجاهات المتخصصة ما يلى:

● التحليل النقدي للخطاب^(٤).

● دراسات الخطاب الاجتماعية المعرفية.

● تحليل الخطاب السياسي.

● الدراسة السيكولوجية للخطاب.

● تحليل المحاورات.

من الطرق الأخرى لتصور هذا الموضوع أن تمعن التفكير في أنواع الخطاب التي يمكن تحليلها باستعمال طريقة تحليل الخطاب. وتشتمل هذه الأنواع على ما يلى:

● أشكال الخطاب التي تجرى في موقع اجتماعية معينة، مثل ذلك، أنماط الخطاب المستخدمة في تنبؤات الطقس أو في التدريس بالمدارس.

● المحاورات غير الرسمية بين الأفراد، سواء أتمت بصورة مباشرة وجهاً لوجه أم عبر نظام اتصال إلكتروني.

● المحاورات /الاتصالات الرسمية، كالممناقشة بين الطبيب والمريض مثلاً.

● النصوص الدائمة وشبه الدائمة، كالرسائل البريدية أو الصحف.

● دراسة «شكل» الخطاب، وهو ما أسماه فوكو «تكوينات الخطاب» discursive formations (هول، 1997).

ونعتقد أن بالإمكان استخدام تحليل الخطاب على مستويين متميزين بالنسبة للباحث الطالب. يتعلق المستوى الأول من هذين المستويين بالطلبة الذين يستخدمون تخصصهم الأكاديمي تحليل الخطاب بصورة روتينية بطرق ذات صلة بتخصصهم (كالتحليل

^(٤) CDA= Critical Discourse Analysis.

اللغوي مثلاً) بوصفه واحداً من الطرق الرئيسية التي بها يجمع البيانات ويعالجها. وهذا مستوى تخصصي تماماً، كما أنه يقع خارج نطاق هذا الكتاب. وأياً ما كان الأمر، فإننا نقدم قائمة بأسماء عدد من الكتب المفيدة التي يمكنها أن تضيف إلى الدرس التفصيلي الذي يتبعه لك معهدك العلمي.

يتضح المستوى الثاني لتحليل الخطاب حينما يريد الطلبة الذين يدرسون تخصصات أخرى أن يستخدموا تحليل الخطاب ليساعدونهم في الإجابة على بعض الأسئلة البحثية بالذات وفي الاشتغال بالوثائق بصفة خاصة. فإن كنت تفكير في تناول بعض أنماط الخطاب المكتوبة أو المنطقية، فإن استعمالك لتحليل الخطاب سوف ينطوي بلا شك على بعض المزايا الحتملة، وكذلك على بعض العيوب، وهو ما يفرض عليك أن تكون على وعي بها.

ويصلح تحليل الخطاب للتطبيق على معظم موضوعات البحث وعلى معظم الظروف البحثية، كما أنه يمكن أن يزودك بمنظور جديد تستطيع أن تستخدمه عند تحليل البيانات. من ذلك - على وجه الخصوص - إمكانية الكشف عن المعانى «الخفية» في النص من خلال طرح أسئلة مختلفة عن النص. ويعتمد تحليل الخطاب على التقنيات الألسنية وعلى غيرها من الأساليب والطرق القائمة على أساس اللغة. وهذا معناه أن تحليل الخطاب لا يقتصر على كونه ذا تخصص لغوي أو ذا تخصص نصي، بل يضم إلى ذلك كونه ذا تخصص ثقافي أيضاً. مثال ذلك، أنه لا توجد، في العادة جدو وأوضحة من محاولة القيام بتحليل خطاب لنص مترجم، لأن التغييرات التي تفرضها عملية الترجمة (وذلك التغييرات التي يقوم بها المترجم نفسه) سوف يستعصى علينا معرفتها أو فهمها. بالإضافة إلى ذلك، فإن تحليل نص ترجمة باحث من خلفية ثقافية مختلفة سيكون مشكوكاً في مصداقيته. ومع ذلك، فإن كنت تدرس ظاهرة اجتماعية داخل سياق لغوي وثقافي معين و كنت مهتماً بطريقة صياغة الأفكار المتعلقة بها صياغة اجتماعية من قبل الأفراد الذين يكتبون عنها ويتحدثون بشأنها، حينئذ يستطيع تحليل الخطاب أن يمكنك من استخدام بياناتك في دراسة هذه الظاهرة.

فكرة هذا الموضوع . . .

اقرأ المقالة الافتتاحية في أي صحفة (إن أردت أن تكون ممتازاً وتقوم بتحليل مقارن، فاختر صحيفتين لهما خلفيات سياسيتان متعارضتان - كصحفية الصن Sun وصحيفة الجارديان مثلاً).

عالج المقالة الافتتاحية باعتبارها نصاً، وحاول أن تفهم وتحلل استعمال اللغة داخلها. اسأل نفسك:

- 1 - ما نوع اللغة المستعملة (مثلا، هل هي لغة انفعالية، أم عقلية، أم لطيفة التعبير، إلى آخره)؟ فكر في سبب استعمال هذا النوع من اللغة.
- 2 - ما الذي تستهدفه كلمات هذه المقالة؟ فكر في طريقة توصيل هذا النص.
- 3 - ما متوسط أعمار قراء هاتين الصحفتين اللتين اخترتهما؟ (استخدم واحدة من المعادلتين المذكورتين أدناه لحساب هذا العمر).

معادلنا حساب العمر القرائي:

$$(أ) \text{ معادلة التقريب: } \text{العمر القرائي} = \frac{n}{10} - 25$$

حيث (ن) تساوى عدد الكلمات ذات المقطع الصوتي الواحد في فقرة مكونة من 150 كلمة.

$$(ب) \text{ مؤشر التشوش: } \text{العمر القرائي} = \frac{2}{5} \left(\frac{أ}{ن} + \frac{100}{ل} \right)$$

حيث أ = عدد الكلمات في الفقرة .

ن = عدد الجمل في الفقرة .

ل = عدد الكلمات المكونة من مقطعين صوتيين أو أكثر (تجاوز النهايتين «ing» و «ed»)

هل للإجابة عن السؤال رقم 3 أهمية في تحليل الخطاب؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Gee, J. P. (2005) *An Introduction to Discourse Analysis*, London: Routledge.
- Hall, S. (1997) The work of representation, in S. Hall (ed.) *Representations: Cultural Representations and Signifying Practices*, London: Sage.
- Jorgenses, M. W. (2002) *Discourse Analysis as Theory and Method*, London: Sage.
- Macgilchrist, F. (2008) Discourse analysis, available at www.discourse-analysis.de/
- Mills, S. (1997) *Discourse*, London: Routledge.
- Titscher, S. (2000) *Methods of Text and Discourse Analysis*, London: Sage.
- Wetherell, M. (2001) *Discourse as Data: A Guide for Analysts*, London: Sage.
- Wetherell, M., Taylor, S. and Yates, S. J. (eds) (2001) *Discourse Theory and Practice: A Reader*, London: Sage.
- Woofit, R. (2005) *Conversation Analysis and Discourse Analysis: A Comparative and Critical Introduction*, London: Sage.

الفصل السابع

تحليل المضمون

محتويات الفصل

- ما تحليل المضمون؟
- كيف يستخدم تحليل المضمون؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تحليل المضمون تقنية تستخدم في تحليل النصوص (ولو أن النصوص تسمى -عادة- «رسائل» في هذه التقنية). لتحليل المضمون أوجه تشابه مع تحليل الخطاب ، إلا أنه يميل لأن يكون أكثر دقة في التطبيق. من الناحية التاريخية، استخدم تحليل المضمون ، غالبا ، في الدراسات الأدبية والإعلامية ، إلا أنه أدأة مرننة يمكن استخدامها في كثير من فروع العلم الاجتماعي.

ما تحليل المضمون؟

تحليل المضمون: تقنية تطبق في العادة ، وليس حصريا ، على البيانات «النصية» (أو الرسائل)؛ إلا أن بالإمكان أيضا استخدامها مع بعض الأشكال الأخرى للبيانات ، مثل تحليل الصور ذات الأشكال البيانية (ستملر 2001 ، Stemler 2001). وينفق معظم المحللين على أن هذا التحليل لا يمكن استخدامه إلا مع البيانات الثابتة ، أعني بها البيانات التي لا تكون قصيرة الأمد. وبعد تحليل المضمون – في جوهره – تقنية للتعرف على الفئات التي تشتمل عليها البيانات ولتركيزها في فئات أقل عددا حتى يكون من الأسهل فهمها. وبتعبير آخر ، يبحث تحليل المضمون عن وجود الكلمات (أو العبارات أو المفاهيم) في نص ما ويحاول فهم معانيها وعلاقاتها ببعضها البعض. وهكذا يمكنك أن تتصور تحليل

المضمن باعتباره طريقة لاكتشاف الأنماط المتكررة في البيانات، والتي تعزز فهمنا للظواهر الأساسية التي يتناولها النص. في مبدأ الأمر، عادة ما كان ينظر إلى تحليل المضمن باعتبار أنه يبحث عن معدل تكرار ورود كلمات معينة في النص - ومن شأن هذه الكلمات المختارة أن تعتمد على التعريفات الإجرائية وأسئلة البحث، بطبيعة الأمر (فصل 4 باب 1). ويرتكز هذا الاهتمام بمعدل تكرار استخدام كلمات معينة على أساس الفكرة التي تذهب إلى أن الكلمات أو العبارات التي تستخدم أكثر من غيرها يكون من الراجح أنها أهم الكلمات أيضا. لا يزال إحصاء عدد الكلمات أمراً مهماً ولكن، نظراً لأن الأزمنة تغيرت، ونظراً لأن القدرة على إحصاء عدد مرات ورود الكلمات في نص ما باستعمال الكمبيوتر قد أصبحت أكثر شيوعاً، فقد اتسعت هذه التقنية لتدخل في اعتبارها تحليل المعنى والدافع بمزيد من التفصيل كذلك.

ما تحليل المضمن؟

- 1 - «أى تقنية ل القيام بالاستنتاجات عن طريق التحديد الموضوعى والمنهجى لبعض السمات الخاصة للرسائل» (هولستى 14 ، 1969 ، Holsti).
- 2 - «التحليل المنهجى، الموضوعى، الكمى لخصائص الرسالة (نويندورف Neuendorf ، 2005 ، 1

يمكن النظر إلى ما في تحليل المضمن من جزء خاص بإحصاء عدد بعض الكلمات باعتباره طريقة كمية، إلا أن هذه العملية يكن أن تتناول ما هو أكثر من إحصاءات أعداد الكلمات، كما أن كثريين (انظر ستمлер ، 2001 ، مثلا) يرون أن قوة هذه العملية ترجع إلى عمليات التصنيف والتوكيد الدقيقة للبيانات بغرض التحليل (فصل 2 باب 4). يصف فيبر (1990 ، 37) الفئات باعتبارها «مجموعة من الكلمات التي لها معنى متشابه أو دلالات ضمنية متشابهة». ويلاحظ أنه يتسع أن تكون هذه الكلمات سهلة التمييز وأن ترتبط بمفهوم واحد فقط. ومن المهم التأكيد على أن إنشاء أكواود وفئات دقيقة المقاييس ودقيقة التعريف يؤثر على عملية التحليل بنفس الطريقة التي تؤثر بها التعريفات الإجرائية (فصل 4 باب 1) على الصدق والثبات المنهجى عند جمع البيانات. فالغموض سيكون كارثة على البحث. (سبق لنا مناقشة موضوع التوكيد في موضع سابق من هذا الكتاب: انظر مثلاً فصل 2 باب 4 ، وفصل 4 باب 4).

يكون تحليل المضمن مفيداً بصفة خاصة في تحديد الاتجاهات العامة والتغيرات التي تحدث بمرور الزمن، خاصة في الأدب (فصل 2 باب 2)، كما يكون مفيداً أيضاً في بحث موضوعات كالتغيرات في الرأى العام (خاصة الطريقة التي يتم بها التعبير عن هذه التغيرات في وسائل الإعلام).

كيف يستخدم تحليل المضمن؟

يمكن استعمال تحليل المضمن لتحليل أي نص. وبسبب هذه المرونة، يستعمل في كثير من فروع العلوم الاجتماعية. ومع ذلك، فإن موطنه، من الناحية التاريخية على الأقل، كان في الدراسات الإعلامية وما يرتبط بها من مجالات.

إن تفصيل تحليل المضمن أعقد من أن يكون بالإمكان الخوض فيه هنا. إن كنت تخطط لاستعمال هذه التقنية، فإننا نوصيك بكتاب نويندورف (2005) باعتباره كتابا شاملاً موجهاً للطالب الجامعي.

فكرة في هذا الموضوع . . .

في المؤتمرات السياسية الحزبية، يقوم الصحفيون أحياناً بتحليل خطبة زعيم الحزب في ضوء عدد المرات التي تستعمل فيها كلمة أو عبارة معينة - مثل كلمة «جديد» أو كلمة «فرص» أو كلمة «مسئوليتي» - والتي تستخدم أكبر عدد من المرات.

مارأيك فيما يمكنك أن تتعلمك من تحليل لطرق استخدام كلمة معينة أو عبارة معينة في هذا السياق؟

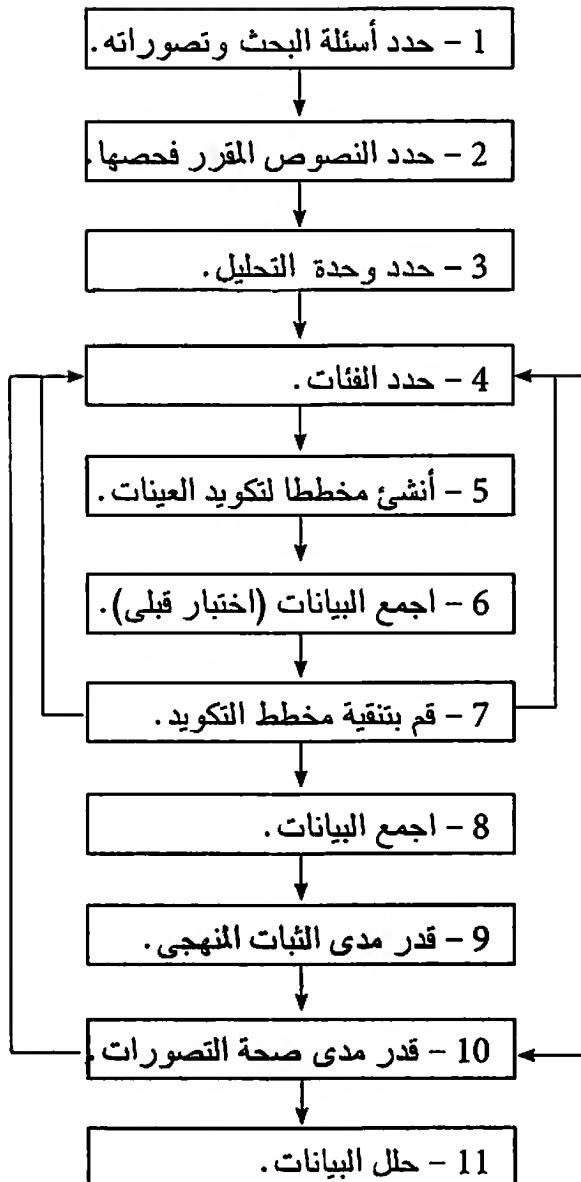
البحث الواقعى

تحليل المضمنون في أبحاث القيادة

كتب إينش Insch وآخرون (1997) مقالاً يناقش استخدام تحليل المضمنون عند القيام بالبحث عن القيادة (يحتوى المقال على تعريفات مفيدة واقتراحات منهجية كذلك). من الأمور اللافتة للنظر إلى حد ما، أن هذا المشروع يستخدم تحليل المضمنون في دراسة تحليل المضمنون.

ووجد أصحاب هذا المقال أنه يوجد عدد من الدراسات البحثية السابقة التي استخدمت تحليل المضمنون في دراسة موضوع القيادة في البحث، كما أنهم قاموا بتحليل مضمون لهذه الدراسات. ورغم أن نتائجهم تعد غير قاطعة إلى حد ما، فإن العملية التي طوروها لتجيئه أنفسهم - والباحثين في المستقبل - خلال مثل هذا التحليل تعتبر مفيدة جدًا، حتى وإن كانت لا تصل إلى ما نتوقعه.

ونحن نعيد تقديم «أسلوبهم المقترن» (إينش وآخرون، 1997، 8) فيما يلى:



الشكل رقم (1-7) : استخدام تحليل المضمون

المصدر: بنصرف نقلًا عن إينش جي إس ، مورجي، أى . وميرفى إل . دى . (1997): تحليل المضمون في القيادة: أمثلة، إجراءات، واقتراحات للاستخدام في المستقبل ، مجلة القيادة ، 8 (1)-25. النشر بتصريح من شركة Elsevier المحدودة .

يمكن لتحليل المضمون أن يكون تقنية فعالة تبلغ مدى أبعد مما يبلغه الإحصاء البسيط لعدد الكلمات . ولو طبق بصورة ملائمة ، فإن تقنياته الشكلية يمكن أن تكون دقيقة وقوية .

بحث

مزايا تحليل المضمون

- بعد طريقة مرنة بشكل معقول بحيث يمكن تطبيقها على معظم أشكال البيانات ، وخاصة البيانات غير المقنة (فصل 3 باب 1) . وهو مفيد في تحليل البيانات الإعلامية على وجه الخصوص .
- إذا نفذ مشروع تحليل المضمون بطريقة سليمة ، وتم تكويده بصورة جيدة ، وصممت فئاته تصميمًا جيداً ، فلا بد حينئذ أن يكون من السهل تكراره .
- نظرًا لأن من الممكن استخدام تحليل المضمون بتطبيقه على أي بيانات ، فمن السهولة تطبيقه على مجموعة من الوثائق (المجلات ، مثلاً) ، كما أنه ، لهذا السبب ، يستطيع توفير مقياس ما للتغير الاجتماعي على امتداد الزمن (التحليل الطولي «التبعي») (هولستي ، 1999) .

عيوب تحليل المضمون

- ينظر البعض إلى تحليل المضمون - وبسبب اعتماده الجزئي على التقنيات الآلية ، كتقنية عد الكلمات - ينظرون إليه باعتبار أنه يميل نحو نموذج فكري وضعى (فصل 2 باب 1) ومن ثم لا يعتبر مناسباً للبحث الكيفي على الدوام .
- بإمكان الاختيار غير السليم للفئات أو الأكواдов أن يقلل من درجة الصدق والثبات المنهجي .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Berelson, B. (1952) *Content Analysis in Communication Research*, Glencoe, IL: Free Press.
- Holsti, O. R. (1969) *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities*, Harlow: Addison-Wesley.
- Insch, G. S., Moore, J. E. and Murphy, L. D. (1997) Content analysis in leadership: examples, procedures, and suggestions for future use, *Leadership Quarterly*, 8(1): 1-25.
- Krippendorff, K. (1980) *Content Analysis: An Introduction to its Methodology*, London: Sage.
- Neuendorf, K. A. (2005) *The Content Analysis Guidebook*, London: Sage.
- Sternler, S. (2001) An overview of content analysis, Practical Research, Assessment & Evaluation, <http://PAREonline.net/getvn.asp?v=7&n=17> (accessed August 2009).
- Weber, R. P. (1990) *Basic Content Analysis*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثامن

النظرية الموثقة

محتويات الفصل

- كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟
- تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة.
- التصنيف والكتابة.
- الملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

من وجوه كثيرة ، تعد النظرية الموثقة « مجرد طريقة أخرى » من طرق جمع البيانات والتحليل ، على نحو ما بينا في فصل 3 باب 2. ومع ذلك ، فإن لها من الشهرة الفائقة - خاصة في الولايات المتحدة - ما جعلنا نقرر أنها تستحق فصلاً يخصها وحدها .

ونحن نوصيك بأن تنظر إلى هذا الفصل بمقدار ما من الشك نظراً لأن لدينا بعض مظاهر القلق الشديد من هذه الطريقة ككل . وأيا ما كان الأمر ، فإننا مقتنعون بأن هذه العمليات المحددة - المضمنة في إجراءات هذه النظرية - يمكن أن تؤدي في أشكال كثيرة من البحث ، حتى وإن كانت لا يمكن أن تؤدي إلى توليد نظريات .

أشرنا في فصل 3 باب 2 إلى أن الادعاء « الكبير » الذي تذهب إليه النظرية الموثقة هو أن البحث الاجتماعي لا نظري *a theoretical* ، وأن النظرية تت بشق (أو « تبني ») من داخل البيانات أثناء تنفيذ العملية . كما أوضحنا أن هذا الادعاء ليس محل قبول من جانب كل الباحثين . لذلك ، ورغم أن النظرية الموثقة تبدو عملية بسيطة في ظاهرها ، فإننا نريد أن نذكرك بأنها ليست بنفس الوضوح الذي تبدو عليه في أول الأمر ، كما أن من الشائع لهذه العملية أن يتم تغييرها بحيث يتم استبعاد عنصر « بناء النظرية » منها .

(انظر فصل 3 باب 2).

ويلاحظ لاروسا (2005، ص 41) في هذا الصدد أنه :

«اللماحظ عملياً، أن كثير من الباحثين قد عمدوا إلى تبني شكل محور من التحليل القائم على النظرية الموثقة معتمدين على الطرق التي تقدمها، ولكن بدون بناء نظرية موثقة بمعنى الكلمة».

وهذه هي خبرتنا أيضاً: فنحن نجد أن هذه «العمليات» مفيدة لأنها مقننة، إلا أنها تعاني صعوبات تتعلق بالقدر الأعظم من الأسس النظرية التي تقوم عليها. ويلخص دي (1999، ص 23) كثيراً من هذه المشكلات عندما يقول :

« هنا أمر يدعى إلى السخرية - وربما يكون نوعاً من المفارقة - : وهو أن منهجة بحث قائمة على أساس «التفسير» يتضح في النهاية أنه من العسير تفسيرها ».

ويبدو لنا (ولكثير من الباحثين) أن أهم انتقاد موجه إلى النظرية الموثقة هو الزعم ضمناً أن بالإمكان إجراء البحث بدون أساس نظري (انظر فصل 2 باب 1). ونحن لا نتصور أن هذا ممكن بأي طريقة معقولة .

عادة ما تركز الانتقادات الأخرى الموجهة للنظرية الموثقة على وصفها «بالنظرية»، وذلك على أساس أن ما تقدمه هذه النظرية ليس «نظريّة». ونحن نرى ، صراحة ، أن هذا الانتقاد عسير الفهم للدرجة التي يتذرع علينا متابعته هنا. فإن كنت ترغب في الإطلاع على مناقشة حديثة لهذا الانتقاد ولغيره من الانتقادات ، فإننا نقترح أن تطلع على مقال توماس وجيمس ، الذي نشر سنة 2006 ، بعنوان : «إعادة اختراع النظرية الموثقة : بعض الأسئلة عن النظرية ، والأساس المنطقى ، والاكتشاف».

كما يتساءل النقاد عن طبيعة «الأساس المنطقى» وطبيعة التوثيق في البحث ، ولهم كذلك تحفظات على مدى صلة هذه المفاهيم بالبحث وعلى أهميتها أيضاً. ويذهبون عموماً إلى أن عملية النظرية الموثقة تحاكي تقاليد البحث التجريبية في العلوم الطبيعية لدرجة زائدة عن الحد ، ولهذا السبب تكون غير مناسبة للاستخدام في البحث الاجتماعي.

كانت النقطة الأخيرة في شرحتنا السابق للنظرية الموثقة هي القول بأن كثيراً من الباحثين يستخدمون هذه الطريقة بدون الموافقة على ما فيها من جانب يتعلق بتوسيع النظرية. ويرجع سبب هذا جزئياً ، على الأقل ، إلى أن كثيراً من الباحثين لا يشعرون أن ما في هذه الطريقة من توثيق ، (أياً ما كان معنى هذه الكلمة) يعد ميزة ذات شأن.

كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟

لا يوجد اتفاق حقيقي بشأن الفلسفه التي ترتكز عليها النظرية الموثقة، فالبعض يقولون إنها تفصل النظرية عن البيانات، بينما يرى غيرهم إنها تجمع بينهما. ولا شك من الناحية العملية، أن جمع البيانات وتوليد النظرية والتحليل أمران تتم كلها بشكل متزامن. (وبطبيعة الأمر، يميل معظم الباحثين الاجتماعيين إلى القول بأن جمع البيانات والتحليل كثيراً ما يكونان متلازمان، إلا أنهما ليس بهذا الوضوح دائمًا) (انظر فصل 3 باب 2 للاطلاع على مناقشة لسمات الرئيسية لهذه العملية).

تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة

يمكن جمع البيانات بغرض تحليلها باستعمال النظرية الموثقة بعدة طرق مختلفة. ويمكن القول على وجه العموم أن هذه التقنية تستعمل مع البيانات الكيفية فقط، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب حقيقي يمنع الاستفادة بها في البحوث التي تستخدم الطرق المختلطة. وفي حدود معرفتنا لا يستخدم الباحثون الكمبيوتر هذه الطريقة.

يبدأ البحث الفائم على النظرية الموثقة حينما تكون موجوداً في موقع البحث. وبوصفه الباحث يكون دورك هو محاولة فهم العمليات التي يجري حدوثها والطرق التي يتصرف بها الفاعلون المختلفون أثناء ذلك. وأكثر الطرق التي يشيع فيها استخدام النظرية الموثقة هي: المقابلات والملاحظة، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب يمنع الاستفادة بها مع طرق البحث الكيفية الأخرى. وبعد نهاية كل جلسة جمع بيانات (وأياً ما كانت الطريقة المستخدمة)، تسجل «النتائج» (وهذه النتائج قد تكون بيانات، أو قضايا أساسية، إلى آخره) وتستخدم فوراً كجزء من عملية المقارنة المستمرة (انظر قائمة المصطلحات) التي تعتبر - إلى جانب التوكيد (انظر قائمة المصطلحات) وتسجيل الملاحظات (أى: استخدام المذكرات السريعة الموجزة - انظر قائمة المصطلحات)؛ تعتبر عناصر محورية في عملية التحليل. وسوف تقوم في بادئ الأمر بعقد المقارنة بين البيانات المأخوذة من مصادر مختلفة (والتي قد تضم، بطبيعة الأمر، الدراسات السابقة والنتائج الإمبرييقية كذلك). والادعاء هنا أنه مع استمرار هذه العملية سوف تظهر النظرية بحيث يصبح من الممكن حينئذ مقارنة البيانات والنظرية. وهذا الرفع محل اعتراض وخلاف، ولكن لاشك أن العمليات المستخدمة عمليات مفيدة، كما أن المقارنة المستمرة، مثلاً، تكون في كثير من الأحيان طريقة ناجحة جدًا لتحديد الموضوعات الأساسية والفنانات المختلفة. ويدعُ بعض مؤيدي هذه العملية إلى أنه ينبغي أن تسجل المقارنات التي يتم إجراؤها مع البيانات، وأن تستخدم كأكواود (انظر أدناه). في

نفس الوقت، يسعى الباحثون للتعرف على الحالات السلبية (أى الحالات التي تبدو أنها تتعارض مع النظرية الآخذه في الظهور أو تقوم بتنفيذها) (انظر قائمة المصطلحات). في حالة العثور على مثل هذه الحالات فإن ذلك سعيد مؤشراً يدل على ضرورة القيام بمزيد من البحث (الذى سيعمل ، بدوره ، النظرية الآخذه في الظهور) ، ويدل على أن البحث لم يصل بعد إلى مرحلة تشبّع البيانات (انظر قائمة المصطلحات).

يقع التكويid وكتابة المذكرات السريعة الموجزة في صميم التحليل القائم على النظرية الموثقة. وهناك كتب كثيرة تتناول هذه العملية بالتفصيل ، ولهذا لا ننوي الخوض فيها هنا. ولكننا سنعمد - بدلاً من ذلك - إلى تسليط الضوء على السمات الأكثر أهمية ودلالة ، لكي يستطيع القراء أن يتبعوها بمزيد من التفاصيل - فيما بعد - إن كانوا في حاجة لذلك. ونحن نرى - على وجه الخصوص - أن هاتين العمليتين مفيدتان جداً لأنواع كثيرة من التحليل الكيفي ، وأنه لا ينبغي بالضرورة أن ينظر إليهما باعتبارهما تخضان النظرية الموثقة وحدها.

المذكرات الميدانية

تحت الدراسات القائمة على النظرية الموثقة الباحثين على تدوين المذكرات الميدانية أثناء إجراء البحث. وتستعمل هذه المذكرات فيما بعد لتوفير السياق للتحليل (انظر برواز «البحث الواقعي» أدناه).

التكويid (أو الترميز)

التكويid عملية تستخدم في الكثير من أنماط التحليل المختلفة ، بيد أنها تستخدم بصورة أكثر شيوعاً في البحوث الكيفية . وبالرغم من أن التكويid متعدد الاستعمالات جداً ، فإن فكرة التكويid ، في جوهرها ، هي وضع علامة على جزء من البيانات يكون «لافتاً للنظر» لكي يمكن العثور عليه مرة ثانية لإجراء المزيد من الدراسة عليه. فكر بهذه المناسبة في استخدام علامة لفت النظر (كالأسماء ونحوها) لتأكيد أهمية نص ما لكي : (أ) تبرز أهميته و(ب) أن تغتر عليه مرة ثانية عندما تحتاج لذلك. يمكن استخدام التكويid بعدة أساليب مختلفة ، مثال ذلك ، أنك قد ترغب في ملاحظة جميع مرات حدوث واقعة أو ظاهرة معينة ، أو قد تريد تسليط الضوء على شيء ما لمقارنته بشيء آخر . في النظرية الموثقة تعد من الأغراض الرئيسية للتکويid : العثور على «اللغة الأساسية» (تستعمل النظرية الموثقة كلمة «الفئات» وكلمة «الموضوعات الأساسية» بصورة متبادلة ، فيأتي أحدهما محل الآخر ويدل عليه .

توجد ثلاثة أنماط من التكويid في النظرية الموثقة. فهناك التكويid المفتوح ، والتکويid المحوري ، والتکويid الانتقائي .

- التكويذ المفتوح (انظر قائمة المصطلحات): هو المرحلة الأولى من التكويذ، وهو قائم — حسبما يرى جلاسر Glaser وشتراوس (1967) — على مبدأ «إظهار ما بداخل البيانات» كخطوة أولى في تمييز الموضوعات والفنات. الواقع أن هذا التكويذ يتعلق بتحديد ووصف الطواهر محل البحث، وبإعطائها أسماء مناسبة. فإن كان هذا مفيداً لك، يمكنك أن تتصور هذه الأسماء بوصفها لافتات (أو بطاقات تمييز) تكون في العادة في صورة أسماء (وهي الأشياء التي يجري وصفها) أو أفعال (وهي العمليات التي يجري وصفها). ومع ذلك فسيكون من الأهمية أيضاً أن تحدد خصائص هذه الأكواد المبدئية التي سيتم وصفها باستعمال الكلمات الدالة على الصفات والكلمات الدالة على الأحوال والظروف، وذلك بقصد أن نعرف حجم الأمور التي تقوم باكتشافها، وشكلها، ومدة بقائهما، ومعدل تكرارها وأهميتها إلى آخره. وعادةً ما تكون الأكواد المفتوحة ذات طابع عام. وعلى الرغم من أنها تعد في كثير من الأحيان أو صافاً مادية محددة للواقع، فإنه من المهم (بالنسبة للنظرية المونقة على الأقل) أن يكون لديك أكواد مجردة أيضاً لأن هذه الأكواد هي التي تنتج النظرية بصورة أفضل.
 - التكويذ المحوري (انظر قائمة المصطلحات): هو المرحلة الثانية من عملية التكويذ وهو يتعلق بربط الأكواد ببعضها البعض. وهو أمر لا يمكن القيام به إلا عن طريق التفكير، ويكون أفضل تنفيذه، في أغلب الأحيان، عن طريق الجمع بين التفكير الاستنتاجي والتفكير الاستقرائي. ويرى بعض الباحثين أن من الأسهل إنشاء مصفوفة لمقارنة مختلف العناصر والسمات.
 - التكويذ الانتقائي (انظر قائمة المصطلحات): هو الجزء الأخير من نظام التكويذ، وهو عملية اختيار «فئة مركزية» أو «فئة أساسية»، ثم ربط كل ما عداها من الأكواد والموضوعات والفنات الأخرى بها. وتوجد في النظرية المونقة مسلمة تقول بوجود فئة مركزية دائمة.
- ومع استمرار العمل في البحث، يتزايد حجم العينة بسبب ما يسميه جلاسر وشتراوس «الاختيار النظري للعينة» (انظر قائمة المصطلحات) (لا أنه شبيه بالمعاينة العدمية (انظر قائمة المصطلحات)). لا يقتصر غرض هذه المعاينة النظرية على زيادة حجم العينة، بل يهدف كذلك إلى زيادة ما فيها من تنوع واختلاف حتى يمكن اكتشاف خصائص أخرى ومتقدمة مستقبلاً. حينما يصبح من المتعذر الحصول على بيانات جديدة عن الفنات التي حدتها (وخاصة البيانات المتصلة بالفئة المركزية لبحثك) يُقال حينئذ أنا قد وصلنا إلى حالة تشبع بالبيانات. في هذه اللحظة تتوقف عن إضافة المزيد من البيانات عن هذه الفئة وتنتقل إلى القيام بالتصنيف. وأياً ما كان الأمر، وقبل أن تطرق إلى هذا الموضوع، فإن ثمة عملية أخرى ينبغي أن تكون قائمين بتنفيذها في نفس وقت قيامنا بعملية التكويذ، ألا وهي عملية «تدوين المذكرات السريعة الموجزة».

المذكرات السريعة الموجزة

غالباً ما يتم إغفال فكرة كتابة الملاحظات السريعة الموجزة للبحث، حتى بالرغم من أنها طريقة رائعة لتسجيل المشاعر، والأفكار والروابط المحتملة، إلى آخر هذه الأمور التي تلتقي بها مصادفة عند القيام بالبحث. والفكرة الأساسية هنا هي أن تسجيل ملاحظاتك (أو أي ما ت يريد تسميتها) بطريقة تربطها بالبيانات. وليس من الضروري أن يكون هذا الرابط ربطاً حسياً (رغم أنه قد يكون كذلك)، فإنه مع الاستخدام الواسع الانتشار للحاسوب يكون من التيسير تماماً ربط الملفات المختلفة أو استخدام نوع ما من المؤشرات لإظهار أن ملحوظة ما تعد ذات دلالة بالنسبة لمسألة معينة. يقول جلاسر (1998) إن تدوين الملاحظات السريعة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) هي المرحلة الجوهرية في النظرية الموثقة (حتى هذه اللحظة لا بد أن تكون قد لاحظت أن مختبر على هذه العملية يرون أن كل جزء من أجزائها يعتبر في الأعم الأغلب جوهرياً بشكل ما)، ويلاحظ في هذا الصدد قائلاً:

«الملاحظات السريعة الموجزة هي التدوين التنظيري للأفكار المتعلقة بالأكواد الأساسية وبعلاقتها المكودة تكييداً نظرياً، وذلك عندما تظهر هذه الأكواد والعلاقات أثناء تكييد، وجمع وتحليل البيانات، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة».

يقول مؤيدو النظرية الموثقة إن كتابة الملاحظات السريعة الموجزة يعد أمرالله أهمية خاصة في المراحل الأولى من المشروع البحثي عندما يكون الباحث بصدق صياغة المفاهيم وتحديد الأحداث والواقع التي ستكون أساساً للبحث.

يمكن للملاحظات السريعة الموجزة أن تظهر في أي قالب، إلا أن وظائفها الرئيسية في حالة استخدام النظرية الموثقة تمثل في:

- تشارك في عملية المقارنة المستمرة المشار إليها قبل ذلك.

• تتيح لك أن تسجل الأفكار (والأفكار «النظرية» على وجه الخصوص) التي تتراءى لك وأن تشارك في هذه العملية.

حتى هذه المرحلة كانت عملياتنا المختلفة التي تقوم فيها بجمع البيانات وتكييدها وكتابة الملاحظات السريعة الموجزة تتم بشكل متزامن، كما أنها، وباستعمال المعاينة النظرية، تكون قد أفضت إلى ما نرجوه لها من تشبع البيانات (انظر أعلاه). والآن يمكننا موصلة العمل بالانتقال إلى عملية التصنيف والكتابة.

البحث الواقعي

الملاحظات الميدانية والمذكرات الموجزة في النظرية الموثقة

يُناقش مونتجومري وبيلى (2007) استخدام الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجزة في دراسة قائمة على النظرية الموثقة تتناول الأمهات المصابات بمرض عقلى حاد. وقد انتهى الباحثان إلى أن هذه العملية ذات أهمية حيوية لطريقة النظرية الموثقة، وإلى أنها أيضا ذات قيمة أساسية في الدراسات المشابهة التى تستخدم طرقاً كيفية أخرى. ميز الباحثان، بصفة خاصة، بين طبيعة وغرض الملاحظات الميدانية من جهة، والملاحظات السريعة الموجزة من جهة أخرى، مشيرين إلى أن الأولى عبارة عن تسجيلات للخبرات الفعلية للباحث، وأن الثانية معنية بتطور النظرية الموثقة.

قدم الباحثان عدداً من الأمثلة عن الاختلافات بين الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجزة، ونحن ننقل فيما يلى وجهين من أوجه الاختلاف حتى تكون قادران فيما بعد على فهم هذه الاختلافات فهما متكملاً.

الملاحظات الميدانية

فى ردها على ما قدمنه من توضيح بجهودها فى «حماية» أطفالها، تقاطعني بروك Brooke برد فيه إصرار قائلة : «لاريб فى ذلك». ثم تبكي وتتظر فى شرود. وتضيف بصوت ذى نبرة منخفضة قائلة إن أطفالها أسواء ، ثم تحدد معنى قولها هذا قائلة: «إنهم أسواء إلى الحد الذى يمكن أن تكون عليه الحالة السوية فى هذه اللحظة». المرض «يسبب كارثة». يحدث شيء من التوقف. أشعر بالقلق يساورنا كلينا . تقوم بروك بعد ذلك بتغيير مجرى الحوار باستخدام ألفاظ تصف بها أطفالها مثل أنهم «محبون للمرح»، و«حسنو التربية للغاية»، و«متوازنون بصورة جيدة».

الملاحظات السريعة الموجزة

يبدو على إحدى الأمهات (وهي بروك) أمارات الحذر حين ينتابها الخوف من أن يكون مرضها قد آذى أطفالها عن غير قصد منها . (هذه ملاحظة ميدانية كتبت فى شهر ينایير ، فى السطور رقم 143-140 من النص المنسوخ). قد يظهر هذا الحذر حمايتها «لنفسها كأم» (سطور رقم 254-258 من النص المنسوخ). إن جهود الأم «لحماية» صغارها تكتشف حقيقتها فى حالة المرض . (سطور 17-15 من النص المنسوخ). فى نظر بروك والأخريات من المشاركات السابقات ، يجب ألا يتسبب

مرضهن في الإضرار بصغارهن. تبدي الأمهات انفعالات الحزن والشعور بالذنب لأنهن عاجزات عن حماية أطفالهن من المرض. وهن يسعين للحصول على التوجيه فيما يتصل بكيفية حماية صغارهن عندما يكون مرضهن شديداً. وهن يعرفن عدداً قليلاً من النماذج الإيجابية للأدوار (سطر 69).

التصنيف والكتابة

عملية التصنيف واضحة تماماً: فالآمور التي اكتشفناها، بجانب المذكرات السريعة الموجزة والملحوظات الميدانية يتم تصنيفها في تتابعات منطقية تجعل النظرية البازغة جلية واضحة. وتمثل الطريقة التي بها يتم تصنيف تلك المكونات الإطار العام للتقرير النهائي للبحث. وأياً ما كان الأمر، فإن واضعى النظرية الموثقة يذهبون إلى أنه لا توجد طريقة وحيدة لابد منها لتصنيف مكونات البحث في سياق متتابع لتحقيق أفضل النتائج. كما يرون بأنه من الممكن القيام بهذا العمل باستخدام طرق مختلفة مع نفس البيانات. ونحن نرى، من حيث المبدأ، أن هذه فكرة جيدة. ومع ذلك، فإنه، عملياً، لا يوجد في العادة وقت كاف لاستعمال أكثر من سياق تتابع واحد في التحليل.

البحث الواقعي

طرق بحث النظرية الموثقة والبحوث الكيفية عن الأسرة

قام رالف لاروسا (2005) بإمعان النظر في استخدام النظرية الموثقة في بحوث الأسرة. يقول في المستخلص الذي كتبه عن ورقه هذه:

«من بين الطرق الكيفية المختلفة التي يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى نظريات في مجال الأسرة، تعد طرق بحث النظرية الموثقة، والتي طورها بارني جلاسر وأنسلم شتراوس، هي الطرق الأكثر شيوعاً... وهدفي هنا أن أقدم تفسيراً مركزاً للطرق البحث في النظرية الموثقة، ولكنه رغم ذلك تفسير شامل، وهو تفسير أرجو أن يجد الباحثون أن من السهل فهمه وتوظيفه».

وقد قام لاروسا في هذا البحث بدراسة الجوانب المختلفة لإجراءات النظرية الموثقة، كما أنه، ورغم حكمه عليها بأنها مفيدة، يشعر بأنها بلغت من التعقيد والصعوبة حدا يجعل من غير الممكن فهمها فيما حققها من قبل جميع الباحثين. وهو يشارك غيره الفلق من أن طرق بحث النظرية الموثقة قد لا تنتج النظرية فعلاً، كما يرى أن هذه العملية يمكن تبسيطها إلى درجة كبيرة.

وفي ختام بحثه يقرر قائلًا: « تعد طرق بحث النظرية الموثقة مجموعة قيمة من الإجراءات الخاصة بالتفكير نظريًا في المواد المكتوبة ، إلا أنه قد يكون من الصعب فك شفرتها (أى : كشف غموضها ، وتوضيحها) ». وهو يلاحظ أيضًا أهمية طرق بحث النظرية الموثقة لأنها: « تؤكد على محورية اللغة في الحياة الاجتماعية ، وأهمية الكلمات بوصفها مؤشرات ، ودلالة المقارنات الإمبريالية والنظرية ، وقيمة التفكير في كيفية ربط المتغيرات بعضها ، وأدوات وجماليات الصياغة التي تأخذ في الاعتبار أحداث وحيكتها ».

الملاخص

تدعى النظرية الموثقة أنها نظرية متميزة ، إلا أن هذا الادعاء محل خلاف لأن الخبراء لا يوافقون على ذلك . ونحن نتخذ موقفاً مفاده أن بعض ملامح هذه النظرية مفيدة وبعضها الآخر غير مفيد ، وذلك على النحو المبين أدناه :

- ✗ الفكرة التي تذهب إلى أن النظرية تنبئ من (أو يتم توليدها بواسطة) البحث غير المنطاق من نظرية معينة . الواقع أنه لا يوجد اتفاق على نوع مثل هذه النظرية .
- ✗ طبيعة ما تتتصف به النظرية الموثقة من سند حقيقي صادق .
- ✓ يمكن لهذه التقنية أن تكون مفيدة جداً ، خاصة بسبب ما فيها من :

 - عمليات ومفاهيم المقارنة المستمرة .
 - التكويذ .
 - المذكرات السريعة الموجزة / الملاحظات الميدانية .
 - البناء الواضح .

بحث

إلى أي مدى تعد النظرية الموثقة مفيدة؟

تعد كثيرة من العمليات المستخدمة في النظرية الموثقة قابلة للاستعمال وعظيمة الفائدة ، في الأنظمة الأخرى لجمع البيانات وتحليلها . وتشتمل هذه العمليات ، بصفة خاصة ، على ما يلى :

- المقارنة المستمرة : مقارنة البيانات المستمدة من مصادر مختلفة ومن أماكن وأوقات مختلفة لدعم التحليل ، وذلك جنباً إلى جنب البحث عن الحالات السلبية .

- التكويذ: العملية (المشهورة) «بوضع علامات» على، أو تمييز البيانات لإعدادها للتحليل فيما بعد، إلا أن هذه العملية تتشعب في هذه الحالة إلى ثلاثة أبعاد مفيدة (التكويذ المفتوح، والمحوري، والانتقائي). يمكن اعتبار هذه الطريقة طريقة تابعية في التكويذ.
- المذكرات السريعة الموجزة: هي طرق لتسجيل البيانات، والتفكير فيها وتحليلها (وهذه المذكرات تشبه دفتر يوميات البحث الذي تناولناه في موضع آخر من هذا الكتاب).
- التشبع بالبيانات: وهو مفهوم مهم يذهب إلى أنه توجد طرق بها يمكن للباحث أن يتأكد من أنه قد تم إنجاز القدر الكافي من البحث. (الحقيقة، أن ما يقوله هذا المفهوم هو أنك إذا ظللت تجد نفس البيانات، وإذا كنت لا تكتشف أى شيء جديد، فقد وصلت إذا إلى حالة التشبع، كما أن عملية جمع بيانات بحثك تكون قد اكتملت).
- البناء الواضح: هو هذا الأسلوب شديد التدقير في بناء البحث، وتنفيذة، وتسجيله – وهو مصدر إلهام نافع لنا جميعاً.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Charmaz, K. (2006) *Constructing Grounded Theory: A Practical Guide Through Qualitative Analysis*, London: Sage.
- Dey, I. (1999) *Grounding Grounded Theory: Guidelines for Qualitative Inquiry*, San Diego, CA: Academic Press.
- Glaser, B. G. (1994) *More Grounded Theory Methodology*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- Glaser, B. G. (1998) *Doing Grounded Theory: Issues and Discussions*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- Glaser, B. G., and Strauss, A. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- LaRossa, R. (2005) Grounded theory methods and qualitative family research, *Journal of Marriage and Family*, 67: 837–57.
- Montgomery, P. and Bailey, P. H. (2007) Field notes and theoretical memos in grounded theory, *Western Journal of Nursing Research*, 29: 65–79.
- Scott, K. W. (2004) Relating categories in grounded theory analysis: using a conditional relationship guide and reflective coding matrix, *The Qualitative Report*, 9(1) (March): 113–26.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (eds) (1997) *Grounded Theory in Practice*, London: Sage.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1998) *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*, London: Sage.
- Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.

الفصل التاسع

استخدام الحواسب في تحليل البيانات

محتويات الفصل

- ما الذي يمكنك عمله بالحواسب؟
- التحليل الإحصائي.
- تحديد التغيرات وإدخال بياناتك باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).
- إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال (SPSS).
- استخدام (SPSS) في عرض النتائج في قوالب وأشكال مختلفة.
- برامج التحليل الكيفي.
- مصادر البيانات وبرنامج «إن فيفو» NVivo.
- التكويد وبرنامج «إن فيفو» NVivo.
- استخدام المذكرات الموجزة في برنامج NVivo.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

سواءً أكانت بياناتك مقتنة أو شبه مقتنة، وسواءً كانت مكتوبة أو منطقية أو مرئية، فإن تحليلها عبارة عن عملية لمعالجة هذه البيانات والاشغال بها بغرض تقديم نتائجك والإجابة عن أسئلة بحثك واختبار فرضسك. ونلاحظ أنه حتى بالنسبة للمشروعات البحثية الصغيرة تتراكم كميات وفيرة من المادة العلمية وأعني بها البيانات نفسها، وملحوظات الباحث، والملحوظات على التراث المنشور عن الموضوع والأبحاث الأخرى وما شابه ذلك. ولابد أن يكون من السهل الوصول إلى هذه النماذج كلها في كل وقت والاعتماد عليها أثناء القيام بالتحليل، وتستطيع الحواسب أن تكون مفيدة في عمليات معالجة البيانات وفي

التحليل نفسه أيضاً.

وتناول في هذا الفصل البرامج الحاسوبية التي صممت خصوصاً لمساعدة الباحثين الاجتماعيين في تحليل بياناتهم، كما نسلط الضوء على برامج أخرى قد تكون مستعملاً لها يومياً، ذلك أنها تتسم بإمكانيات مميزة، قد تكون مفيدة في تحليل بياناتك.

ما الذي يمكنك عمله بالحواسيب؟

المعروف أن معظم برامج الحاسوب مصممة لتمكينك من الاشتغال بأصناف معينة من المادة البحثية - كالنصوص المكتوبة أو أفلام الفيديو، أو الصور الفوتوغرافية أو المسموعات (الحوارات، وال مقابلات مثلاً) - باستعمال مجموعة من الطرق المحددة بدقة. معنى ذلك - بتعبير آخر - أن طبيعة البرامج أن تكون مصممة لاستعمالها مع أنماط معينة من المادة ولتمكينك من تنفيذ مجموعة موحدة قياسياً من إجراءات التعامل مع تلك المادة. وهناك برامج حاسوبية تساعدك في كل جزء من أجزاء العملية التحليلية، بعض هذه البرامج مصمم خصوصاً لتحليل بيانات البحث الاجتماعي وبعضها الآخر لها استعمالات أوسع نطاقاً ولكنها تشمل على وظائف وإمكانيات تعتبر مفيدة للباحث الاجتماعي.

والخلاصة أن برامج الحاسوب يمكن أن تساعدك في:

- تنظيم مادتك كلها.
- الحفاظ على بياناتك وغيرها من المادة البحثية في قوالب وأشكال معنونة بشكل موحد.
- تساعدك في حفظ البيانات في شكل يسهل الوصول إليه والاستفادة منه.
- تنفيذ تشكيله متعددة من الإجراءات التحليلية الخاصة بنوع بياناتك.
- تمكينك من تطوير تحليلك بطرق مناسبة.
- عرض نتائجك في قوالب أو أشكال تكون واضحة وقابلة لأن يفهمها الآخرون.
- بالإضافة لهذه المقومات والإمكانيات الأساسية، يمكن لاستعمال برامج الحاسوب أن :
- تساعدك في إمعان النظر في تحليلك وفي تدوين الملاحظات عليه.
- تحفظ بدقير تسجيل / سجل لنشاطك التحليلي كله.
- نتيح للأخرين الاطلاع على العمليات التحليلية التي أتممتها من أولها لآخرها.

ملحوظة : لا تستطيع برامج الحاسوب أن تقوم بالتحليل نيابة عنك – أنت وحدك الذي تستطيع تطوير التحليل ، وتفسير نتائجك وعرض ما توصلت إليه من نتائج .

التحليل الإحصائي

حزم برامج الحاسوب الخاصة بتحليل بيانات البحث الاجتماعي

توجد حزم برامج حاسوبية عديدة من شأنها أن تساعدك في تنظيم ، وتحليل وعرض البيانات العددية ، والحزم الأكثر استعمالاً من جانب الباحثين الاجتماعيين هي «الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية» SPSS ، والتي أنتجتها شركة IBM .^(*) تستعمل أقسام علمية جامعية كثيرة هذا البرنامج ، وتتيحه بعض الأقسام لطلبها مجاناً . وتشتمل بعض مقررات طرق البحث الاجتماعي على تعليم لاستعمال هذه الحزمة ، وقد يتوافر لك إمكانية الحصول على دورات تدريبية على هذه الحزمة داخل جامعتك ، أو كلبك ، أو مكان عملك . من الأمور المشتركة في معظم البرمجيات التي من هذا النمط ، أن بالإمكان تحميل نسخ تجريبية منها على حاسبك والاستفادة بدوروس خصوصية فيها على موقع الشركة على الشبكة (www.spss.com/uk/statistics) . كما أن هناك عدداً من الكتب عن التقنيات الإحصائية تُبين تفاصيل استخدام برنامج SPSS ، وبعضها مناسب خصوصاً للعلماء الاجتماعيين ، وهي مدرجة ضمن قائمة المراجع بنهاية هذا الفصل .

ستتمكنك هذه الحزمة من أن :

- تنشئ المتغيرات (وأسماء المتغيرات وأوصافها التفصيلية) .
- تدخل بياناتك في صورة أو قالب كشف حساب كمبيوترى .
- تراجع بياناتك للتحقق من القيم المفقودة ، أو البيانات المتعارضة مثلاً .
- تنشئ متغيرات جديدة مستعملاً لمتغير أو اثنين أو أكثر من متغيراتك الأصلية .
- تنشئ إحصائيات تبين معدلات التكرار وإحصائيات وصفية (المتوسط ، والوسط ، والمنوال ، والانحراف المعياري ، والنسبة المئوية ، إلى آخره) لكل متغير من متغيراتك .
- تصمم الجداول المزدوجة .

(*) أصبحت شركة IBM مالكة لحزمة SPSS منذ أكتوبر 2009 .

- تطور تحليلات معقدة مستعملاً لمجموعة شاملة من التقنيات الإحصائية التي منها كاي تربع، والارتباطات، والتحليلات المتعددة المتغيرات، وغيرها من التقنيات.
- تعرض نتائجك في رسوم وأشكال بيانية يمكن إدراجها في وثيقتك النهائية، أو تقرير بحثك، أو رسالتك الجامعية.

سوف نبين هنا بعض السمات الأساسية بإطلاقك على لقطات لشاشة الحاسب - مأخوذة من برنامج SPSS - لمساعدتك في تقرير ما إذا كان ينبغي عليك استعمال هذه الحزمة في دعم تحليل بياناتك، أم لا . لاحظ أن لقطات الشاشة مأخوذة من SPSS 017.0.^(*)

تحديد المتغيرات وإدخال بياناتك

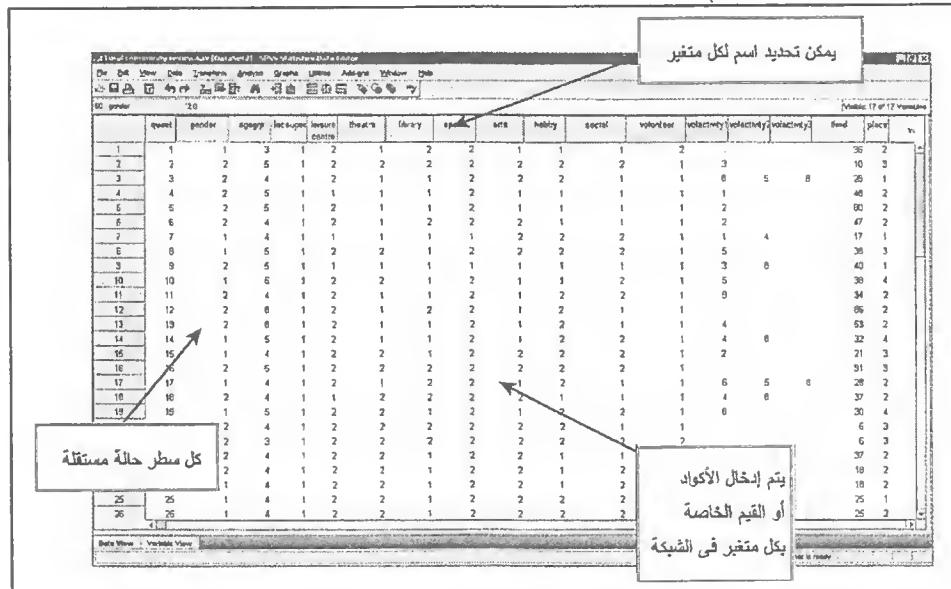
باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS

فى الفصل 2 باب 4، أوضحنا كيف أن كل مجموعة من الإجابات التى أجبت بها على سؤال ما أو كل نشاط تم تسجيله يسمى «متغيراً» كما يمكن إعطاؤه «اسم متغير». فى برنامج SPSS يتم إنشاء قائمة بكل المتغيرات فى الصفحة المسماة «مشهد المتغيرات» (انظر لقطة الشاشة رقم «9-2»). وتجد كل متغير مكتوباً فى القائمة مع معلومات عن نمطه، وعما إذا كان متغيراً اسمياً، أم خاصاً بالرتبة، أم النسبة، وما إلى ذلك، وأسمه (أى: العنوان الدال عليه) والقيم (أو الأكواد) المرتبطة به. كما يتم إعطاء كل قيمة عنواناً أو اسمًا. يمكن استعمال العناوين في الجداول أو الرسوم البيانية المستخرجة من البيانات، مما يجعل من السهل فهمها. في هذا المثال، يعطى الكود (1) العنوان «نعم». بعد ذلك يتم إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة من حالات بياناتك في الصفحة المسماة «مشهد البيانات» (لقطة الشاشة رقم «9-1»). هنا يمثل كل سطر حالة مختلفة، ويمثل كل عمود متغيراً أعلىه اسم المتغير الخاص به. يتم إدخال الأكواد أو القيم الخاصة بكل متغير لكل حالة في هذه الشبكة.

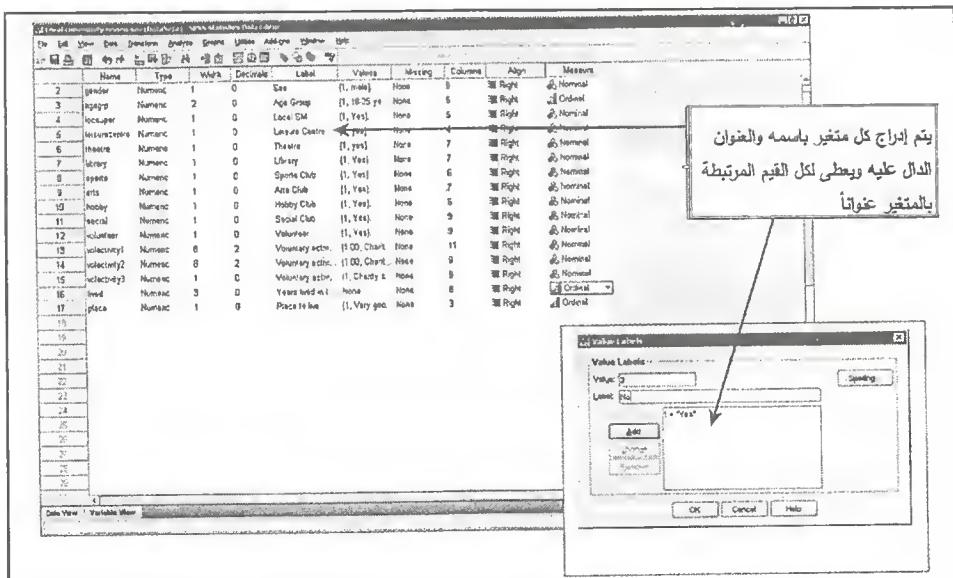
يمكن إنشاء المتغيرات التي تجمع عدداً من قيم المتغيرات أو قيم المجموعات أو الفئات باستخدام برنامج SPSS. في هذا المثال (لقطة الشاشة رقم «9-3») يتم تصنيف المتغير المسمى «الإقامة» (أى: مدة إقامة المستجيب في المدينة التي جرى بها البحث بالسنوات) والذي قد تكون له قيمة تقع بين 1 و 100؛ يتم تصنيف هذا المتغير إلى مجموعات، مدى

(*) لقطات الشاشة المأخوذة من برنامج SPSS منقولة بتصریح من شركة SPSS المحدودة (المملکة المتحدة).

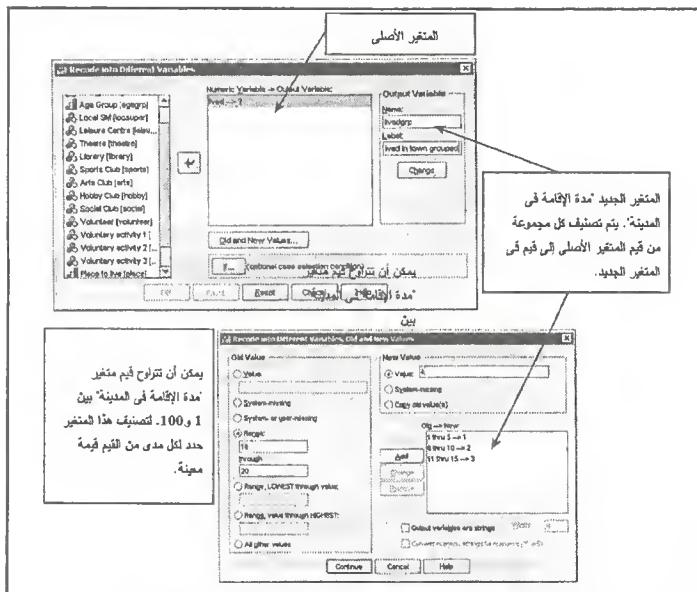
كل منها خمس سنوات . يتم اختيار المتغير الأصلى المسمى «الإقامة» ثم تخصص له مجموعة قيم جديدة (رقم واحد من سنة حتى نهاية 5 سنوات ، ورقم (2) من 6 حتى آخر 10 سنوات وهكذا) منشئين بذلك .



لقطة الشاشة رقم (1-9) : إدخال بياناتك باستخدام برنامج SPSS .



لقطة الشاشة رقم (2-9) : إنشاء قائمة بالمتغيرات في برنامج SPSS



لقطة الشاشة رقم (9-3): إنشاء متغيرات جديدة عن طريق التقسيم إلى مجموعات داخل أحد المتغيرات باستخدام برنامج SPSS

متغيراً جديداً اسمه «فترة مدة الإقامة». وباستعمال طريقة مشابهة لذلك، يمكن الجمع بين بيانات مأخوذة من متغيرين اثنين (كأن يكونا متغير «السن» ومتغير «الجنس» gender، مثلاً) لإنشاء متغير جديد نسميه «سن الجنس» (فصل 2 باب 4).

إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال SPSS

عندما يتم إدخال البيانات الخاصة بكل حالة على حدة ويتم إنشاء أي متغير جديد، يمكن تنفيذ مجموعة كبيرة من العمليات الحسابية. وتكون المرحلة الأولى لمعظم التحليلات الإحصائية هي إنتاج إحصائيات معدلات التكرار وإحصائيات وصفية، والتي منها مثلاً المتوسط، والوسيط، والمنوال، والانحراف المعياري (فصل 3 باب 4) الخاص بالمتغيرات الأساسية. في لقطة الشاشة رقم (9-4)، اختار الباحث قائمة بمتغيرات مطلوب عنها إحصائيات معينة. ويشير مخرج هذه العملية – أو النتيجة – في شكل جدول تكراري لكل متغير على حدة.

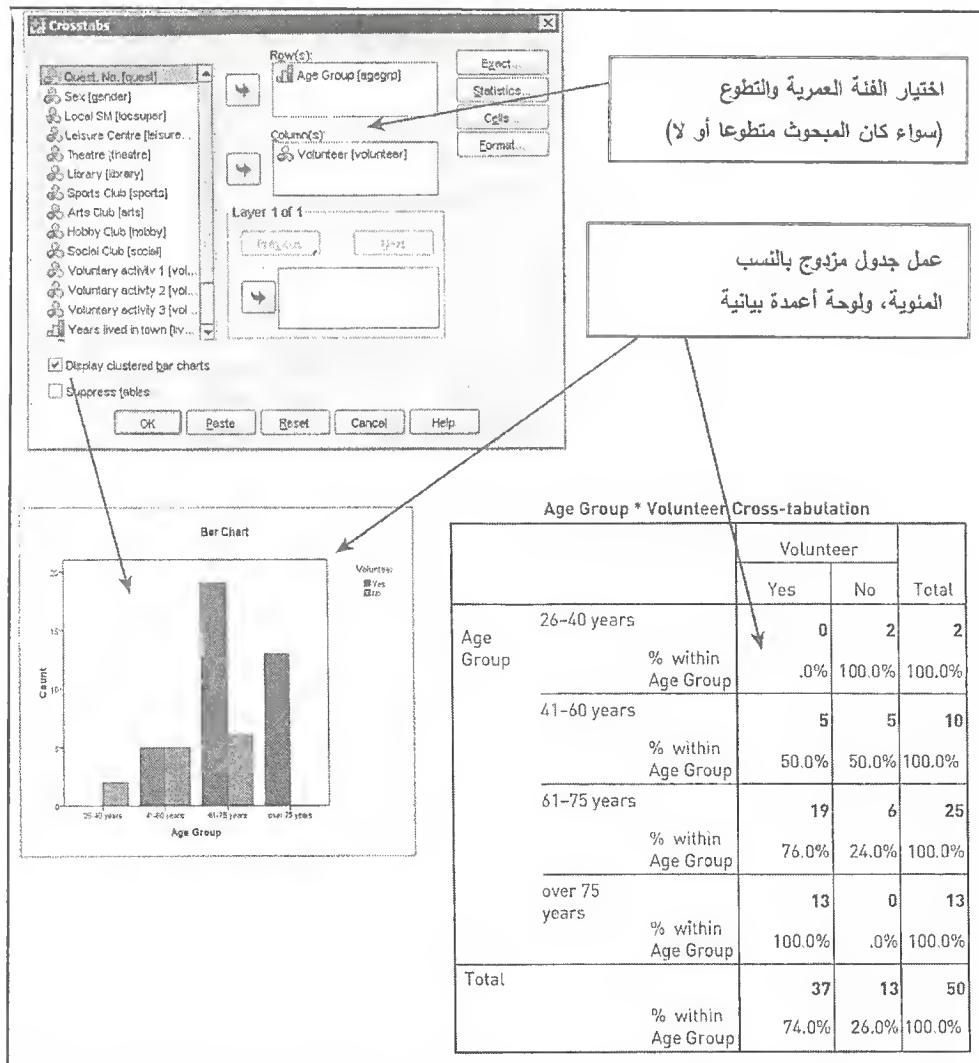
يتم إنتاج الجداول المزدوجة (فصل 3 باب 4) عن طريق اختيار المتغيرين وتحديد المتغير الذي يكون في صفوف الجدول والمتغير الذي يكون في الأعمدة. يمكن عمل إحصائيات إضافية باستعمال الزر الخاص بالإحصائيات، كما أن بالإمكان عرض الجدول الناتج عن ذلك في عدد من القوالب أو الأشكال التي تشتمل – كما هو مبين في لقطة الشاشة رقم (9-5) – على شكل لوحة الأعمدة البيانية.

وتوضح لقطة الشاشة رقم (9-6) مجموعة كبيرة من التحليلات الإحصائية التي يمكن عملها، بدءاً من إعداد قائمة تنازلية. بعد اختيارك لتقنية إحصائية معينة، فإن مجموعة من الصناديق (التي تظهر لك على الشاشة) تمكنك من إدخال المتغيرات والمعلومات الأخرى المطلوبة لتنفيذ التحليل.

النتائج

اختر المتغيرات التي تريدها.
اختر الإحصائيات التي تريدها.

لقطة الشاشة رقم (9-4): إنتاج إحصائيات لمعدلات التكرار وإحصائيات وصفية لمجموعة مختارة من المتغيرات باستخدام SPSS.



لقطة الشاشة رقم (5-9) : إنتاج جداول مزدوجة باستخراجها من اثنين أو أكثر من المتغيرات باستخدام SPSS .

استخدام SPSS في عرض النتائج في قوالب وأشكال مختلفة

يمكن عرض نتائج التحليلات الإحصائية بمجموعة من الطرق مستعملين ، مثلاً، برنامج «صانع الأشكال البيانية» Chart Builder كما هو موضح في لقطة الشاشة رقم (9-7). بعد أن يتم اختيار المتغيرات المطلوب إدراجها في التحليل ، يمكن عرض النتائج في مجموعة مختلفة من القوالب والألوان التي يختارها الباحث من برنامج «جالييرى» (الخاص

تتضمن قائمة التحليلات مجموعة
كبيرة من التقنيات الإحصائية

The screenshot shows the SPSS interface. The menu bar at the top has 'File', 'Edit', 'View', 'Data', 'Transform', 'Analyze', 'Graphs', 'Utilities', 'Assign', and 'Window'. The 'Analyze' menu is expanded, showing 'Descriptive Statistics' as the first option. A sub-menu under 'Descriptive Statistics' includes 'Custom Tables...', 'Multiple Response Sets...', 'Crosstabs...', and 'Bivariate...'. The main workspace displays a dataset with 26 rows and 13 columns. The columns are labeled 'sites', 'hobby', 'social', 'volunteer', 'volactivity1', 'volactivity2', 'volactivity3', 'lived', 'place', 'yearsp', 'age', 'gender', and 'quest'. The data consists of numerical values ranging from 1 to 5.

لقطة الشاشة رقم (9-6) مجموعة كبيرة من التقنيات البسيطة والمعقدة يمكن استخدامها في SPSS .

بالإخراج الفنى أو الجمالى لهذه القوالب والأشكال البيانية. يمكن وضع لاقفات أو بطاقات ترميز وعناوين للشكل البيانى الناتج بحيث يكون جاهزاً للعرض فى وثيقة. يمكن للصورة النهائية هذه أن تخزن بهدف إدراجها فى وثيقة إلكترونية (تكتب باستعمال معالج الكلمات) أو فى شريحة عرض .

يمكن استعمال حزمة SPSS على مستويات كثيرة. فقد يستعملها بعض الباحثين مجرد إدخال ومعالجة بياناتهم المأخوذة من أحد الاستبيانات، مثلاً، وإنتاج المعدلات التكرارية، والإحصائيات الوصفية والجدول المزدوجة لمساعدتهم على تطوير تحليلهم وعرض نتائجهم. وبوسع غيرهم استخدام ما توفره هذه الحزم من تقنيات إحصائية معقدة التي لو لاها لكان العد اليدوى للبيانات والأرقام أمراً يستغرق وقتاً طويلاً، إن لم

يكن مستحيلاً أصلاً. وكما هو واضح من لقطات الشاشة هذه، فإن حزمة SPSS تعتبر سهلة الاستخدام تماماً للمستفيد، ولكن إن لم تكن قد استخدمت هذا النمط من البرامج فينبع أن تتوقع قضاء بعض الوقت قبل أن تُصبح على دراية وألفة بهذه العمليات الأساسية بحيث تكون قادراً على معالجة بياناتك الخاصة بكفاءة .

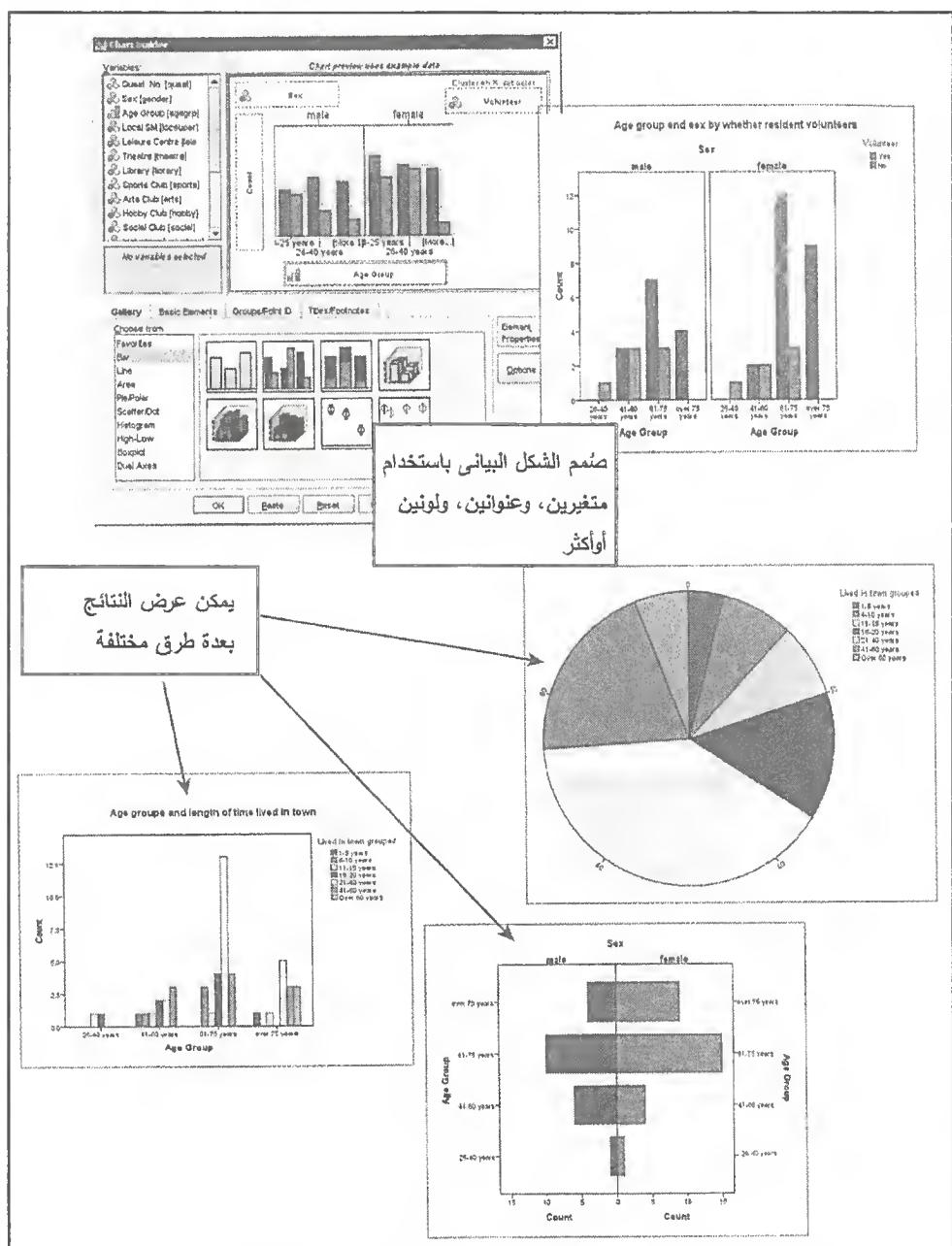
بدائل حزمة البرامج الإحصائية

إذا لم يكن:

- متاحاً لك الوصول إلى حزمة برامج إحصائية . . .
- لديك وقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة . . .
- لديك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات . . .

فإن كان بإمكانك أن تقوم بأداء بعض الأشياء المطلوبة باستخدام حزمة إحصائية اعتماداً على حزمة برامج محاسبية مثل مايكروسوفت إكسيل Microsoft Excel . ونظرًا لأن هذه البرامج غير مصممة للتحليل الإحصائي خصوصاً، فإنه لا يتوافر فيها بعض ما ذكرناه من إمكانيات عظيمة الفائد يتسم بها برنامج SPSS - كالقدرة على تعريف المتغيرات ووضع علامات مميزة أو بطاقات ترميز لها مثلاً - كما أنها بالذات ليست سهلة كل السهولة في اكتشاف معدل تكرار القيم بشأن متغير ما أو إنتاج الجداول المزدوجة. وأياً ما كان الأمر، فإن حزمة البرامج المحاسبية يمكن أن تفيتك في :

- إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة في أعمدة المتغيرات التي تم تسميتها .
- إجراء العمليات الحسابية لقييم الإحصائية الوصفية لكل متغير ، كالمتوسطات مثلاً.
- إجراء العمليات الحسابية لقييم الإحصائية الأكثر تعقيداً، مثل كاي تربيع، والارتباطات وكثير غيرها من القيم الإحصائية المستخرجة من متغيرين أو أكثر .
- عرض البيانات في أشكال ورسوم بيانية داخل وثيقتك النهائية (رسالتك الجامعية أو تقريرك البحثي) .



ستري من واقع لقطة الشاشة رقم «8-9» إن بالإمكان إنتاج صفحة بيانات أو كشف بيانات مشابهه «لشهد البيانات» (Data View) الذى ينتجه برنامج SPSS حيث يخصص صف لكل صفحة وعمود لكل متغير . وأيا ما كان الأمر ، فإن أسماء المتغيرات مجرد أسماء - إذ ليس لها أي قيم مرتبطة بها

يمكن إدخال البيانات في
كتف يخصص صفا لكل حالة
و عمودا لكل متغير

	place	age	gender
1	1	1	1
2	2	2	3
3	3	1	1
4	4	2	4
5	5	2	3
6	6	2	4
7	7	1	3
8	8	1	5
9	9	2	5
10	10	2	1
11	11	3	1
12	12	2	4
13	13	5	1
14	14	1	5
15	15	3	4
16	16	2	3
17	17	3	4
18	18	4	1
19	19	1	2
20	20	2	1
21	21	3	1
22	22	3	2
23	23	4	1
24	24	2	4
25	25	4	1
26	26	1	2
27	27	4	1

مجموعة كبيرة متنوعة من التقييمات
الإحصائية التي يمكن استخدامها
من واقع جدول الصيغ وقائمة المهام

هنا يتم حساب عدد الناس في
كل فئة عمرية من واقع متغير
الفئة العمرية في العمود

OK Cancel

هنا يتم حساب عدد
سنوات الإقامة في المدينة
من واقع القيم في العمود

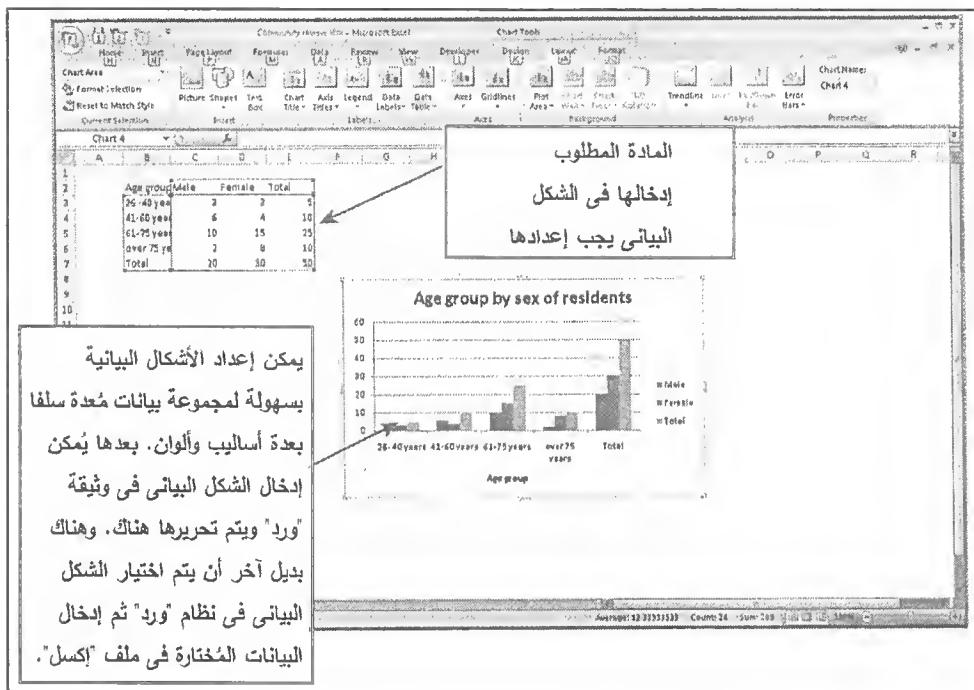
OK Cancel

لقطة الشاشة رقم (8-9) : كشف البيانات في برنامج إكسل

كما أن برنامج إكسل ليس لديه الإمكانيات لإنشاء متغيرات جديدة. وتحتوى قائمة «الوظيفة الإحصائية» (الموجودة في إكسل) على مجموعة من التقنيات الإحصائية التي يمكن تطبيقها على هذه البيانات. لاحظ أنه في إكسل يتم تعريف كل خانة في شاشة البيانات ببعض الحروف التي يسمى بها العمود، ورقم السطر، كما أن كل تقنية إحصائية، يتم تطبيقها على الخانات التي يضمها صندوق «خلاصات الوظائف» Function Arguments على النحو المبين في الشكل. وكما هو واضح في أمثلة لقطات الشاشات هذه، يتم حساب متوسط عدد سنوات إقامة المستجبيين في هذه المدينة باستعمال القيم المأخوذة من العمود (أ) (وهو عمود المتغير – الإقامة). ويشتمل العمود المذكور على الحالات التي تبدأ من الخانة رقم (2) من العمود (أ) حتى الخانة رقم (26) من العمود (أ) – أي : القيم الموجودة في العمود أ .

بالإمكان استخدام إكسل في إنتاج الأشكال البيانية والجدالات التي تكون جاهزة لأن تدرجها في وثيتك. ومع هذا، وخلافاً لبرنامج SPSS، فإنك عندما تستعمل إكسل ستحتاج عادة إلى أن تعد هذه البيانات بنفسك. ففي المثال الموجود في لقطة الشاشة رقم (9-9)، تم – قبل ذلك – إعداد البيانات المقرر إدخالها في هذا الشكل البياني، كما أن القيم التكرارية الموجودة في كل خانة قد سبق عدها وإدخالها في هذا الجدول قبل أن يكون بالإمكان إنشاء شكل بياني من واقع هذه البيانات. تتوافر تشكيلة مختلفة من أنواع الأشكال البيانية والألوان، كما يسهل وضع لافتات أو بطاقات ترميز على الشكل البياني وعنونته وربطه بوثيقة من وثائق «مايكروسوفت ورد» Microsoft Word، أو بشرحة عرض من شرائح «مايكروسوفت باور بوينت» Microsoft PowerPoint .

رغم أن إكسل لا يتوافر فيها ما هو موجود في برنامج SPSS والحزام الإحصائية الأخرى من الوظائف وسهولة الاستخدام، فإن بإمكانها أن تساعدك في معالجة بياناتك وفي إنشاء الأشكال والرسوم البيانية، وهو الأمر الذي من شأنه أن يساعدك (وقراءك) في فهم البيانات . فإن كنت على دراية ومعرفة بإكسل من خبرة سابقة، فمن الراجح حينئذ أن تكون قادراً على تكييف إمكانياتها ووظائفها لتناسب مع متطلباتك كباحث اجتماعى . فإن لم تكن على دراية ومعرفة بإكسل فلا بد حينئذ من أن تمعن التفكير فيما إذا كنت راغباً في قضاء بعض الوقت في تعلم استعمال هذه الحزمة . ونظرًا لأن البرامج المحاسبية (التي منها إكسل) تستخدم في كثير من مجالات الحياة، فقد يكون إنفاق بعض الوقت في تعلم هذه المهارة القابلة للنقل أمراً جديراً بالاهتمام به إلى حد كبير .



لقطة الشاشة رقم (9-9) : إنشاء الأشكال والرسوم البيانية

برامج التحليل الكيفي

في الأيام الأولى للبحث الاجتماعي الذي كان يقوم بجمع ومعالجة البيانات الكيفية أو البيانات الخام، كانت عملية التحليل تستغرق وقتاً طويلاً. وكان المأثور حينها أن تكتب النصوص المنسوخة والملحوظات (التي يدونها الباحث) على الآلة الكاتبة وأن يكون لها عدد من الصور الكربونية. وكان يتم تكوييد هذه النصوص المنسوخة، باستخدام أقلام مختلفة الألوان مثلاً، ثم كان يتم تقطيع هذه الصفحات (بالمعنى الحرفي للكلمة) إلى «تف من البيانات». بعد ذلك يمكن لتنفس البيانات المجموعة من تتبع الحالات الم Kovida بنفس الطريقة أن تلصق فوق صفحة جديدة من الورق أو فوق صفحة رسم بياني لتمكين الباحث من البحث عن أوجه التشابه، وعن العلاقات الممكنة وما إلى ذلك. ومن الطرق الأخرى للتحليل قدماً الاحتفاظ بنظام فهرسة قائم على استعمال البطاقات حيث يكتب الكود على كل بطاقة. وكانت الإحالات التي تشير إلى القساط أو المسائل الموجدة في حالة معينة أو في وثيقة معينة استعمل فيها هذا الكود؛ كانت هذه الإحالات تسجل على هذه البطاقة حتى يستطيع الباحث أن يعثر بسهولة على البيانات الم Kovida ذات الصلة. كان من الممكن أيضاً أن تشتمل البطاقة على مقتبسات (أى

جمل وعبارات مكتوبة بنفس الصيغة التي نطقها بها المستجيبون) مأخوذة من البيانات المرتبطة بهذا الكود. وكان المؤلف استخدام أفرخ الورق الكبيرة الحجم لإنتاج أشكال بيانية أو رسوم بيانية توضح العلاقات القائمة بين الأكوا德 والبيانات.

ويمكن القول من نواح كثيرة أن ما هو متاح حالياً من برامج المساعدة في تحليل البيانات الخام أو شبه المقتننة أو غير المقتننة لا تقوم إلا بما يزيد قليلاً عما كان الباحثون يقومون به في الماضي بطريقة يدوية. ومع ذلك ، فإن استعمال البرامج العامة مثل مايكروسوفت ورد أو استعمال حزمة مصممة لأغراض خاصة مثل إن فيفو NVivo بمقدروه أن يجعل هذه العملية أكثر فعالية وكفاءة ، كما يمكن الباحث من معالجة البيانات بصورة دقيقة وإبداعية.

حزم الحاسيبات المصممة خصوصاً لتحليل البيانات الكيفية

على امتداد السنوات العشرين الماضية تم تصميم عدد من حزم البرامج المخصصة للمساعدة في تحليل البيانات الكيفية. تطورت هذه البرامج تطوراً كبيراً بالتوالي مع نمو الطرق المختلفة في تحليل البيانات الكيفية ومع تزايد نطاق مصادر البيانات التي يجري إدراجها في البحث الاجتماعي في وقتنا الحاضر. والبرامج التي تحظى بأوسع قدر من الاستعمال هي «إن فيفو» NVivo (www.qsrinternational.com/products_nvivo.aspx)، وقد تم آخر دخول على الموقع في 30 أغسطس 2009). وسنحاول فيما يلى أن تتأمل بعض الأمثلة المستمدة من هذه الحزمة. من نماذج الحزم الأخرى حزمة برماج «أطلس تي» ATLASTi ، وموقعها هو www.atlasti.com، وقد تم آخر دخول على الموقع في 29 أغسطس 2009) وحزمة إثنوجراف Ethnograph (www.qualisresearch.com). وقد تم آخر دخول على الموقع في 29 أغسطس 2009).

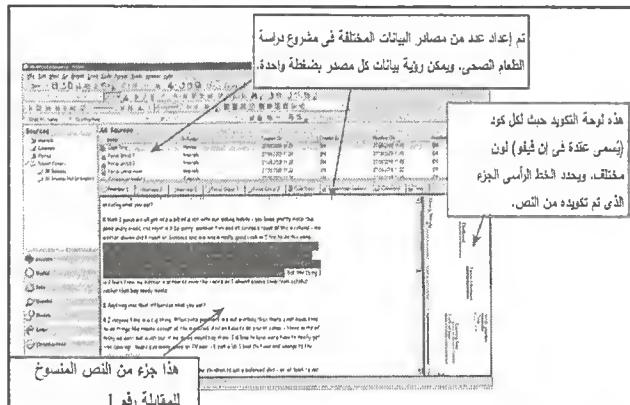
إن معظم حزم البرامج هذه :

- تتيح لك أن تستجلب مصادر بياناتك أو تنشئها - وهذه المصادر قد تكون نصوصاً منسوبة من تسجيلات المقابلات ، أو وثائق ، أو تسجيلات صوتية أو بالفيديو ، أو من مذكرات ميدانية.
- تتيح لك أن تقصص (نفسم) بياناتك إلى نتف أو وحدات صغيرة بأساليب متنوعة؛
- تشمل على أنظمة تكويذ أو فهرسة.
- تبحث عن وتسترجع وحدات البيانات باستعمال كود معين.
- تيسر على عمليات البحث المعقدة إنشاء روابط بين وحدات البيانات.
- تبحث عما في النص من خيوط رابطة بين مكوناته ؛ وأنماط متكررة ، وكلمات ، وعبارات.
- لديها القدرة على ربط المذكرات الموجزة بالوثائق أو الأكواد.

- يمكنها إحصاء عدد مرات ورود الأكواط، والكلمات . . . إلخ، في مصدر البيانات؛
- لديها القدرة على إنتاج الخرائط، والشبكات، والأشكال البيانية التي تصور الروابط القائمة بين الأكواط والبيانات .

إن مشروع «تحليل البيانات الكيفية بمساعدة الحاسب» (أو مشروع «كاكداس»^(*)) بجامعة صرى Surry المكلاة المتحدة) يقوم بانتظام بتقديم المشورة والتوجيه فى شأن اختيار واستعمال مجموعة الحزم المتاحة، كما أنه إن كنت تفكير فى استعمال أى من هذه الحزم، فمن المستصوب أن تراجع موقع تلك الحزم على الشبكة <http://caqdas.soc.surrey.ac.uk>، وقد تم آخر دخول على الموقع فى (26 أغسطس 2009)، وأن تراجع كذلك المراجع والقراءات المقترحة فى نهاية هذا الفصل.

كما هو الحال مع البرامج الإحصائية، فإن النسخ التجريبية لمعظم الحزم الحاسوبية المصممة خصوصاً لتحليل البيانات الكيفية، قابلة للتحميل على حاسبك، كما أن معظمها يحتوى على دروس خصوصية وعلى بعض النماذج لمساعدتك على تعلم طريقة الاستخدام الأمثل لهذا المنتج (www.qsrinternational.com/products/nvivo.aspx)، وقد تم آخر دخول عليه فى 30 أغسطس 2009. ونلاحظ مجدداً، أنه يمكن - كما هو الحال بالنسبة للبرامج الإحصائية - استخدام برامج الحاسب المصممة لتحليل البيانات الكيفية على مستويات مختلفة، فالبعض قد يستخدمون برامج تحليل البيانات الكيفية أساساً كوسيلة لإدارة وفهرسة كميات كبيرة من البيانات الخام أو لتكييفها؛ بينما يتبع بعض الباحثين هذا النهج فيحرصون على الانقطاع بالزائد من تقنيات البحث، والتوكيد ورسم الخرائط المعقّدة والأكثر تقدماً لمساعدتهم في البحث عن التفسيرات المتضمنة في ثنايا البيانات أو في تطوير رؤية نظرية .



نقطة الشاشة (9-10) : مصادر البيانات في مشروع إن فيفو

(*) CAQDAS = Computer Assisted Qualitative Data Analysis .

وستحاول الصفحات التالية إلقاء الضوء على الخطوات الأولى لاستخدام برنامج إن فيفو NVivo في بدء تحليل البيانات الخاصة بالطعام الصحي، والمستخدمة في الفصل الرابع من هذا الباب . لاحظ: أن لقطات الشاشات مأخوذة من برنامج «إن فيفو 8 NVivo8»(*).

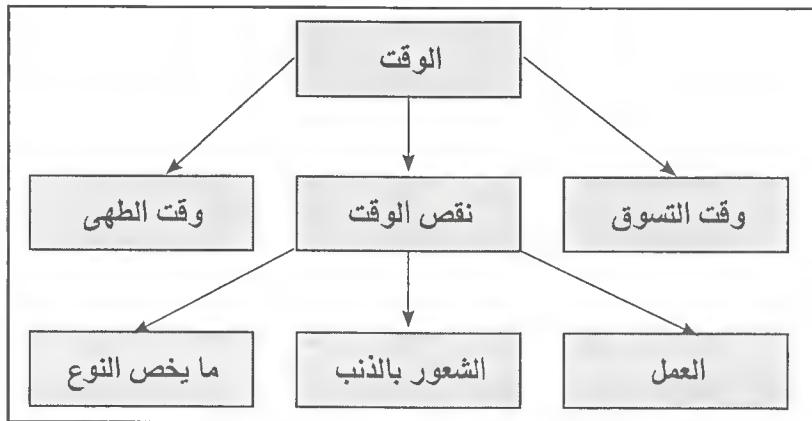
مصادر البيانات وبرنامج إن فيفو NVivo

يمكن إدخال مجموعة من الأنماط المختلفة لمصادر البيانات في برنامج إن فيفو كما يمكن الاشتغال بها داخل هذه البرمجية . ومن هذه المصادر: النصوص المكتوبة لل مقابلات وجماعات المناقشة (فصل 2 من هذا الباب) والصور الفوتوغرافية، والمادة المرئية والسمعية . وبالإمكان أيضاً ضم بعض الوثائق من خارج الشبكة (في هذا المثال وفي لقطة الشاشة رقم (10-9) ، تم ضم كتيب حكومي) . ونلاحظ هنا أنه على الرغم من أن نص الوثيقة لم ينقل ، فإن بالإمكان إدراج الأكواد والمذكرات السريعة الموجزة المطبقة على نص الوثيقة ، ومن ثم يصبح من الممكن إدراجها في التحليل . ومن بذائل ذلك ، أن تصور الوثيقة وتنقل بصورة فوتوغرافية . بعد ذلك يتم عمل قائمة بجميع مصادر البيانات المرتبطة بالمشروع البحثي ، بحيث يكون من السهل الوصول إليها بالضغط على الأزرار التي تم تسميتها . في الجزء الأوسط من الشاشة يوجد النص المنسوخ لمصدر البيانات الجارى معالجتها .

التكويد وبرنامج إن فيفو NVivo

يبين الجانب الأيمن من الشاشة التكوييد الذى تم تطبيقه على مصدر البيانات هذا . ويكون لكل كود (فصل 2 وفصل 4 من هذا الباب) أو كل نقطة التقاء كما يسمى في برنامج إن فيفو) لون مختلف ، كما أن كل سطر من السطور الملونة في جزء الشاشة الخاص بالتكوييد تقابل ذلك المقطع من النص الموجود في مصدر البيانات والذى تم تكويده . بعد ذلك يتم عمل قائمة للأكواد ، حيث يرافق بكل كود التعريف المرتبط به . يمكن برنامج إن فيفو من إنشاء الأكواد والاشغال بها بطرق مختلفين . أولهما طريقة نقط اللاقاء الحرة التي كثيراً ما تستخدم في مبدأ الأمر كأسلوب لتمييز جميع البيانات التي قد تكون مرتبطة بفكرة معينة أو مفهوم معين . وبعد أن يتتطور التحليل ويتم تقسيم الأكواد أو ضمها معاً بطرق مختلفة ، وتبدأ العلاقات التي بين الأكواد في الظهور ، يكون من المفيد ترتيب نقط اللاقاء تلك في نسق واحد متدرج . حينئذ يتم تنظيم الأكواد أو نقط اللاقاء في بنية شجرة متدرجة انتلاقاً من الجذر ، ولها عدد من المستويات المتدرجة ، كما هو مبين في الشكل (1) من هذا الفصل .

(*) تم نشر لقطات الشاشات الخاصة ببرنامجه إن فيفو NVivo بتصریح من شركة QSR International Pty Limited . وإن فيفو علامه تجاري ومسجلة ، صممته وطورتها شركة كيو إس آر إنترناشونال (www.qsrinternarional.com)



الشكل رقم (9-1) تنظيم الأكواود في هيئة شجرة.

يتم تعريف الأكواود ثم تستخدم في تكويد مختلف أقسام البيانات. وفي برنامج إن فيفو أنواع مختلفة من الأكواود، منها العقدة الحرة، والعقدة الشجرية (المتردة).

Name	Type	References	Created On	Created By	Modified On	Modified By
Cooked	EM	0	27/06/2009 11:33	EM	27/06/2009 11:34	EM
Cooking time	EM	0	27/06/2009 11:34	EM	27/06/2009 11:34	EM
Family influences	EM	1	27/06/2009 11:35	EM	27/06/2009 11:45	EM
Lack of time	EM	0	27/06/2009 11:35	EM	27/06/2009 11:47	EM
Marketing influences	EM	0	27/06/2009 11:37	EM	27/06/2009 11:51	EM

العقدة الشجرية (المتردة) هي عبارة عن عقدة متردة تمتلك فروع متعددة، مثل العقدة 'Food Type' التي تحتوي على فروع مثل 'Cooked', 'Cooking time', 'Family influences', 'Lack of time', و 'Marketing influences'. هذه الفروع يمكنها أن تحتوي على فروع إضافية، مما يجعل الهيكل شجرياً متدرجاً.

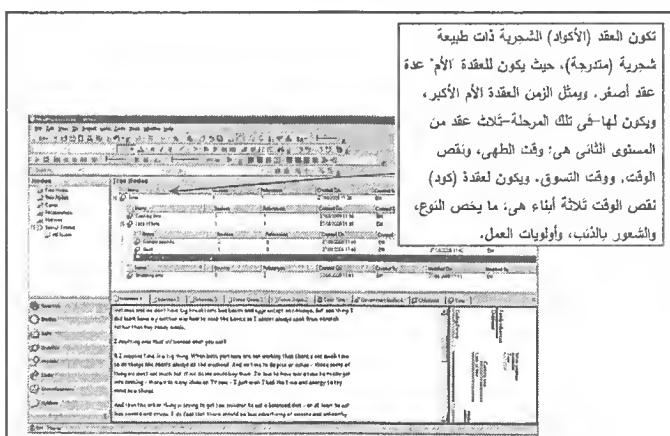
لقطة الشاشة رقم (9-11): استخدام الأكواود (نقاط الالقاء) في برنامج إن فيفو.

في المثال المذكور في لقطة الشاشة رقم (11) و (12) من هذا الفصل يتم تمييز ثلاثة جوانب مختلفة أو ثلاثة أفكار مختلفة تتعلق بكون «نقص الوقت» وردت في البيانات، ولهذا السبب يتم تخصيص أكواود مختلفة لها عند المستوى التالي - في برنامج إن فيفو تسمى هذه الأكواود نقاط الالقاء «الأبناء» (أى الأكواود الفرعية أو الصغيرة) ل نقطة الالقاء «الأم» (أى الكود الرئيسي): «نقص الوقت».

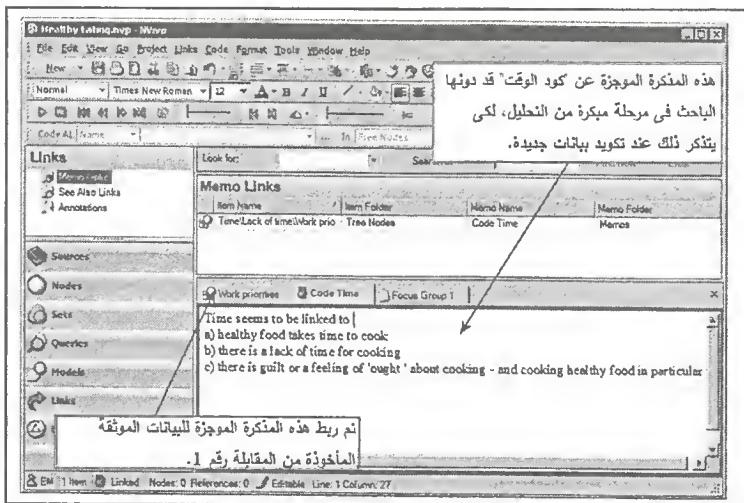
استخدام المذكرات الموجزة في برنامج إن فيفو NVivo

تتيح معظم برامج التحليل الكيفي - بما فيها برنامج إن فيفو - إرفاق الملاحظات أو المذكرات الموجزة (فصل 4) بالبيانات الجارى معالجتها، وذلك بعدة طرق . يمكن لهذه المذكرات أن تحتوى على تذكيرات للباحث ، وملحوظات على الطريقة التى تم بها تعريف كود معين ، وبعض الأفكار اللافتة للنظر التى انبثقت من خلال البيانات ، وما إلى ذلك. فى برنامج إن فيفو تعطى كل مذكرة موجزة علامة مميزة أو عنوانا كما يمكن أن ترافق بأحد الأكواب ، أو بقطع معين من النص موجود في مصدر أو أكثر من مصادر البيانات ، أو بمصدر محدد من مصادر البيانات . بعد ذلك يمكن تنفيج كل مذكرة موجزة أو الإضافة إليها مع اضطراد التحليل ، وبخاصة فى استكشاف بعض الحقائق والعلاقات . كما يمكن أيضا توكيد تلك المذكرات باستخدام نفس هذه الأكواب بوصفها مصادر البيانات .

أصبحت الطبعات الأحدث صدوراً للبرامج ، مثل إن فيفو ، تركز على جعل واجهة المستخدم (أى : شاشة الحاسب التي تظهر عليها البيانات في صور مختلفة) واضحة وسهلة الاستخدام . ورغم أن لقطات الشاشة تبدو معقدة ، ورغم أن بعض المصطلحات غريبة نوعا ما ، فإن المؤكد أن عملية إدخال مصادر البيانات وتطوير التوكيد الأساسي واضحة تمام الوضوح . ويتوقف استخدام هذه البرامج بمستوى أكثر تعقيداً على درجة تعدد بياناتك وعلى قدرتك على التعامل مع الأفكار وال العلاقات المعقدة ، وهي عملية تعتبر شاقة إذا نفذت على الورق كما هو حالها إذا نفذت بمساعدة هذا النوع من البرامج . فإن لم تكن استخدمت برامج من هذا النوع قبل ذلك ، فإنه ينبغي عليك أن تقضى بعض الوقت لتجعل نفسك على دراية وألفه بهذه البرامج وللعمل من خلال بعض الأمثلة السابق تنفيذها بهذه البرامج قبل معالجة بياناتك الخاصة .



لقطة الشاشة رقم (9-12) نقاط الالقاء الشجرية في برنامج إن فيفو .



لقطة الشاشة (9-13) استخدام المذكارات الموجزة في برنامج إن فيفو

بدائل برامج تحليل البيانات الكيفية

إن لم:

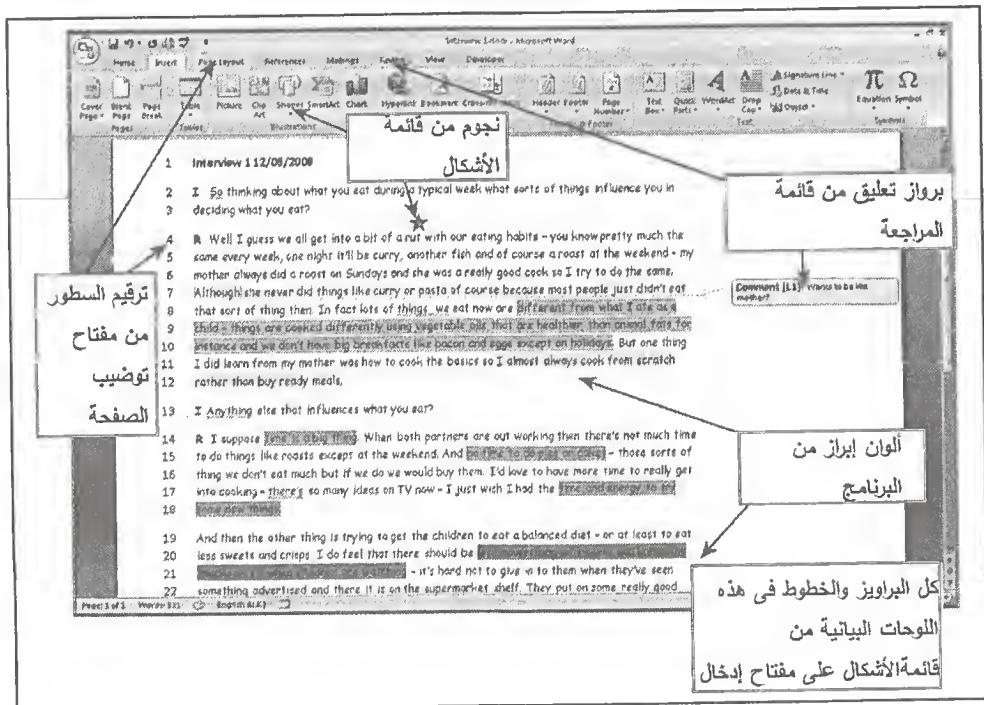
- يتوافر لك الوصول إلى حزمة لتحليل البيانات الكيفية...
- يتوافر لك الوقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة...
- يتوافر لك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات...

فقد يتعين عليك التفكير في الطريقة التي بها تستطيع استخدام إحدى الحزم؛ كحزمة «مايكروسوفت ورد»، والتي تكون على دراية ومعرفة بها، وذلك لمساعدتك في إدارة عملية معالجة البيانات الكيفية.

باستعمال حزمة «مايكروسوفت» تستطيع:

- أن تنقل أو تلخص كل بياناتك المكتوبة.
- وأن تستعمل ما في هذه الحزمة من خاصية «أرقام السطور» في ترتيب كل سطور مادتك المكتوبة.
- وأن تنظم بياناتك بتقسيمها إلى نتف من البيانات؛ باستخدام الوظيفة المسماة «جدول» Table وما تتوفره من أشكال.
- وأن تبرز أجزاء من النص المكود مستخدماً ما هو مختلف ألوانه من حروف الطباعة، أو الأشكال الطباعية الخاصة بإبراز النص، أو الرموز، أو أحجام الحروف.

- وأن تضيف الملاحظات أو المذكرات الموجزة مستعملاً ما في هذه الحزمة من وظيفة إسمها: «التعليق» Comment.
- وأن تنشئ أشكالاً بيانية مستخدماً الوظيفة المسماة «جدول» Table.
- وأن تقص نصف البيانات المكودة وتلصقها معاً داخل صفحة جديدة أو داخل لوحة بيانية.
- وأن تتفق بالإمكانية المسماة «اعثر على» Find في العثور على الكلمات أو العبارات الموجودة في وثيقتك.
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «أشكال» Shapes في إنشاء العروض البيانية للروابط الموجودة بين الأكواذ (انظر فصل 4 من هذا الباب، على سبيل المثال).
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «التأشير» Book-marking للإشارة إلى بعض الملامح المميزة الموجودة في النص، والإمكانية المسماة الإحالة Cross-reference لربط الفقرات الموجودة في أجزاء مختلفة من الوثيقة.



لقطة الشاشة (9-14) استخدام برنامج مايكروسوفت ورد في تسليط الضوء على إحدى المقابلات وتقويدتها.

فکر فی هذا الموضوع . . .

البيانات البصرية (أو المرئية)

معظم حزم البرامج التي تساعدك في إنتاج صور فوتوغرافية أو لقطات مرئية (فيديوهات) مزودة في داخلها بإمكانيات يمكن أن تكون مفيدة لباحث اجتماعي يشتغل بالبيانات البصرية الرقمية ، بما فيها إمكانية أن :

- ترتيب أو تنظم الصور الفوتوغرافية.
- وتغير الألوان أو تضيف بعض المؤشرات إلى مقاطع صغيرة من إحدى الصور الفوتوغرافية .
- وتقسم المادة الفيديوية إلى قطاعات صغيرة ، وأن تضع لها بطاقات تميز وأن تعيد تنظيمها .
- وتلحق أو تضيف إحدى المذكرات الموجزة لصورة فوتوغرافية أو صورة فيديوية . كما أن بالإمكان إضافة بطاقات التمييز للصور الفوتوغرافية ، وذلك كما فعلنا مع لقطات الشاشات التي في هذا الفصل .

ستكون قدرتك على استعمال هذه المجموعة الكبيرة من الإمكانيات المتاحة على معظم حزم برامج معالجة الكلمات أمراً ذا قيمة عظيمة بالنسبة لك ، ولا يقتصر ذلك على نطاق مشروعك البحثي الاجتماعي فقط ، بل إنه سوف يشمل جوانب كثيرة من دراستك ومن حياتك اليومية . فلا أقل من أنك ستكون قادراً على استعمال هذه الإمكانيات في عرض تقريرك البحثي ورسالتك العلمية (باب 5) وفي إنتاج التكليفات الدراسية الأخرى .

بحثك

✓	هل ينبغي أن تستعمل برامج الحاسوب لمساعدتك في تحليلك؟	هل تستعمل حاسباً بصفة يومية؟ هل تستعمل أياً من أنواع البرامج التالية بانتظام؟
	هل تستعمل حاسباً بصفة يومية؟	
	معالج كلمات ، مثل ورد .	
	الكشف المحاسبي ، مثل إكسيل .	
	قاعدة البيانات ، مثل أكسس .	

	برامـج التحليل الإحصائـي ، مثل برامـج PASW (SPSS) Minitab الإحصائي و مينـتاب	هل أتيـحت لك فرصة التعـامل المنتـظم مع أي واحد من أنماـط البرامـج التـالـية؟
	برامـج تحلـيل البيانات الكـيفـية ، مثل إنـ فيـفو ، إـنـوـجـرافـ ، أـطـلسـ تـيـ.	
		هل تـعـتـبر نفسـك مـسـتـخـدـمـا كـفـوا لـلـحـاسـبـ ؟
		هل تـسـتـمـتـ بالـعـلـمـ عـلـىـ الـحـاسـبـ ؟
		هل عندـكـ وقتـ لـتـعـلـمـ كـيفـيـةـ اـسـتـخـدـامـ الـبـراـمـجـ الـجـديـدـةـ ؟

فـكـرـ فـيـ بـيـانـاتـكـ :

- ما أنماـطـ الـبـيـانـاتـ الـتـىـ سـوـفـ تـعـالـجـهاـ ؟
 - ما القـالـبـ الـذـىـ تـظـهـرـ فـيـ بـيـانـاتـكـ — استـبـيـانـاتـ ، نـصـوصـ مـنـسـوـخـةـ ، فـيـديـوـ ، مـذـكـراتـ ؟
 - كـمـ عـدـدـ مـاـ لـدـيـكـ مـنـ حـالـاتـ الـبـيـانـاتـ (ـكـالـقـابـلـاتـ ، وـالـاستـبـيـانـاتـ وـمـاـ أـشـبـهـ ذـلـكـ)ـ ؟
 - ما نـمـطـ وـمـسـتـوـيـ التـحـلـيلـ الـذـىـ تـخـطـطـ لـلـقـيـامـ بـهـ ؟
- اقرأـ عنـ تقـنيـاتـ تـحـلـيلـ الـبـيـانـاتـ ذاتـ الـصـلـةـ (ـمـنـ فـصـلـ 3ـ إـلـىـ فـصـلـ 8ـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ)ـ .
- وـاقـرأـ هـذـاـ الفـصـلـ قـبـلـ أـنـ تـتـخـذـ قـرـارـكـ .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bazeley, P. (2007) *Qualitative Data Analysis with NVivo*, 2nd edn, London: Sage.
- Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS 14, 15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.
- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Lewins, A. and Silver, C. (2007) *Using Software for Qualitative Data Analysis: A Step-by-Step Guide*, London: Sage.
- Lewins, A. and Silver, C. (2009) Choosing a CAQDAS package. University of Surrey, CAQDAS, available from <http://caqdas.soc.surrey.ac.uk/PDF/2009> (accessed 29 August 2009).
- Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.

الفصل العاشر

ثم ماذا بعد؟ استخلاص النتائج

محتويات الفصل

- محتويات الخاتمة.

عن السياق

أيا ما كان الفرع الذي تنتهي إليه من فروع العلم الاجتماعي أو أيًا ما كان نمط المشروع الذي قمت بتنفيذه، فإن استخلاص النتائج من بحثك هو أهم جزء في هذه العملية، كما يعد - من بعض التوافر - أصعب الأجزاء.

إن كتابة خاتمة بحث أمر يزيد كثيراً عن مجرد تلخيص عملك ونتائجك، كما أنها خطوة حاسمة في تأكيد أن عملك قد تم تنفيذه بجدية.

أشرنا في الفصل (1) من هذا الباب، إلى أن التحليل هو العملية التي بها يتم وصف بياناتك، ومناقشتها، وتفسيرها، وتقيمها، وشرحها، وبها يتم الوصول إلى نتيجة ما. وحتى هذه اللحظة، فإنك ستكون قد قمت بالتمعن في بياناتك بتفصيل دقيق، وناقشت وشرحـت ما كان يحدث عندما كنت تجمع هذه البيانات، وسلطـت الضوء على الأمور التـي :

(أ) تعد لافتة للنظر، (ب) والتـى تجـيب عـلى أسـئـلة بـحـثـكـ. وـفـى هـذـا الفـصـلـ نـأـتـى إـلـىـ
الـجزـءـ النـهـائـىـ مـنـ التـحـلـيلـ وـهـوـ: كـتـابـةـ الـخـاتـمـةـ.

الهدف الإجمالي لأى خاتمة هو الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك، بجانب أنها تقدم تأملاً نقدياً لهذا المشروع البحثي وللإسهام الذي يضيفه إلى القضية التي تم بحثها واستقصاؤها. إذ لا بد أن تجيب خاتمة البحث على السؤال القائل : «ثم ماذا بعد؟» والذى من الراجح توجيهه بهدف تقـيـيمـ عـملـكـ، وـمـنـ الـراـجـحـ كـذـلـكـ أـنـ يـشـيرـ إـلـىـ مـاـ فـيـ عـملـكـ مـنـ أـوـجـهـ الـقـوـةـ وـأـوـجـهـ الـقـصـورـ، كـمـاـ أـنـهـ قـدـ يـزوـدـنـاـ بـرـؤـيـةـ نقـديـةـ لـدـورـكـ كـباحثـ (انظر بـابـ 5ـ، وـبـخـاصـةـ فـصـلـ 4ـ).

فکر فی هذا الموضوع ...

السؤال : « ثم ماذا بعد؟ »

تخيل أنك تقرأ عملك للمرة الأولى ، وأن مهمتك هي أن تحكم على قيمته . عندما تصل إلى النهاية ، وتكون قد فرغت من قراءة النتيجة ، ينبغي أن تسأل نفسك : « ثم ماذا بعد؟ »

• ما الذي حققه هذا البحث؟

• هل أجاب على الأسئلة التي طرحتها لجذب عليها؟

• هل هو بحث « جيد»؟

• هل قصر هذا البحث في الإجابة على بعض أسئلتك؟

المسألة ببساطة ، هي أنه يتعين عليك أن تكتب بما تعنيه النتائج التي انتهيت إليها وعن مدى انطباقها على العالم الاجتماعي . وبوصفك دارسا ، يمكن للنتيجة التي تكتبهما في تقرير بحثك أن تكون أيضا فرصة لإظهار أنك قد أدركت طبيعة البحث الاجتماعي ، كما يمكنها أن تبين مدى انطباق نتائجك على العالم الاجتماعي الكبير ، ومدى تأثيرها عليه .

في كثير من الأحيان ، يبدو أن من العسير كتابة نتائج البحث ، وربما يرجع ذلك إلى شعورك بأنك قلت بالفعل كل شيء في الفصل الخاص بالنتائج والفصل الخاص بمناقشة البيانات . ومع ذلك فإن هذين الفصلين لا يعدان نتائج ، بل مجرد خطوتين على هذا الطريق .

ويمكن القول - بصورة عامة - إن الخاتمة ينبغي أن تكون موجزة بقدر الإمكاني (ولكن لا تختصرها إلى الحد الذي يتذرع عنده فهمها بوضوح) ، وذلك في نفس الوقت الذي تستمر فيه في أداء المهام الضرورية التي سبق أن بيناها فيما سبق . ولعل أهم شيء هنا أن تذكر أنه لا ينبغي أبدا أن تدخل مادة جديدة في صلب الخاتمة التي تكتبهما . وكقاعدة عامة ، فإن كل ما تناقشه هنا ينبغي أن يكون قد سبق ذكره قبل ذلك ، كما ينبغي أن تكون الاقتباسات المقلولة عن الآخرين والموجودة في الخاتمة قليلة جدا ، إن لم تكن منعدمه . توصى بعض المصادر أن تختم عملك بذكر قول مقتبس مناسب تنقله عن كاتب من الرواد في مجالك : ونحن نشدد في التوصية بعدم فعل ذلك ، على أساس أن هذا العمل هو عملك أنت وينبغي ألا يحتاج - في هذه المرحلة - إلى الدعم من الآخرين . والأهم من كل هذا : ألم يكن ذاك هو الأمر الذي كانت تدور حوله مراجعة التراث المنشور عن الموضوع (فصل 2 باب 2) .

نحن نرى أنه يوجد شرك خطير يقع فيه كثير من الدارسين غير الحذرين . وهو ميلهم ، وهم يكتبون خاتمة البحث ، إلى التعميم انطلاقاً من نتائج غير قابلة للتعميم (انظر خصوصاً فصل 5 باب 2). وهذا أمر يمكن فهمه ، فقد قمت بعمل شاق وطويل في مشروعك هذا وتريد أن تعظم من أهميته بالنسبة للعالم (وربما للشخص الذي يعطى الدرجات للتكليف الدراسي الذي تقوم به) . ولكن المعروف أن معظم مشروعات الطلاب تكون عيناتها صغيرة الحجم (فصل 5 باب 2) بحيث يكون من المحتمل ألا تعكس خواص هذه العينة الصغيرة خواص مجتمع البحث بصدق وأمانة . وهذه ، بطبيعة الأمر ، ليست مشكلة في حد ذاتها ، فالصعبيات لا تظهر إلا عندما يفهم ضمناً أن النتائج التي تم التوصل إليها من خلال مقابلة خمسة من المدرسين الذين يعملون بمدارس وسط مدينة برمنجهام ، مثلاً ، قابلة للتعميم على كافة المعلمين الذين يعملون بمدارس المملكة المتحدة (وأنت ستكون قد أدركـتـ في هذه المرحلة من البحث أنه ليس صحيحاً من نواحـ كثيرة القول بأنـ خبرـاتـ المـدرـسـينـ الـذـيـنـ يـعـمـلـونـ فـيـ مـدـيـنـةـ كـبـيرـةـ مـتـوـعـةـ السـكـانـ تـمـاـئـلـ خـبـرـاتـ المـدـرـسـينـ الـذـيـنـ يـعـمـلـونـ ، مـثـلاـ ، فـىـ إـحـدىـ الـجـزـرـ النـازـيـةـ(*)). وـمعـ ذـلـكـ ، فإنـناـ نـرـىـ بـالـفـعـلـ أـنـ مـنـ الـمـهـمـ منـاقـشـةـ هـذـهـ القـضاـيـاـ فـيـ خـاتـمـةـ بـحـثـكـ حتىـ يـسـتـطـعـ الـبـاحـثـوـنـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ (وكـذـلـكـ الشـخـصـ الـذـيـ يـقـوـمـ بـتـقـدـيرـ عـمـلـكـ)ـ أـنـ يـتـبـيـنـواـ حـقـيقـةـ مـاـ أـنـجـزـتـهـ مـنـ عـمـلـ .

بحث الختامة

- أمعن النظر في السؤال الذي يقول: «ثم ماذا بعد؟» وفي خاتمة بحثك:
- ما الذي فعلته؟
 - ما مدى جودته في أداء مهمته؟
 - ما الذي اكتشفت أنه :
 - مهم؟
 - جديد؟ - مماثل لما توصلت إليه نتائج البحث الأخرى في هذا المجال؟
 - أضاف جديداً إلى فهمنا للطريقة التي يعمل بها العالم الاجتماعي؟
 - ما مدى احتمال أن ينتفع الآخرون بعملك أو أن يتسعوا فيه؟

(*) وردت في المتن الإشارة إلى جزيرة مول Mull إحدى جزر الهايدز Hebrides الواقعة في المحيط الأطلسي غربي اسكتلندا . (المترجم)

محتويات الخاتمة

ينبغي لمحتويات خاتمتك، بطبيعة الأمر، أن تعكس مشروع بحثك، كما أن كل خاتمة هي عمل فريد منقطع النظير. ومع ذلك، فإننا نقترح فيما يلى محتويات تقرير بحثي نموذجي أو محتويات خاتمة رسالة جامعية.

1 - لخص عملك : يعد هذا الجزء من خاتمة بحثك عاماً تماماً (البند رقم 3 فيما بعد أكثر تحديداً) كما ينبغي أن يكون موجزاً قدر الإمكان . وكل ما عليك في الخاتمة هو أن تذكر القارئ بما سبق لك أن قمت به من عمل وبالطريقة التي أجزته بها.

2 - ما الذي تعلمت؟ هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك؟

3 - من الطبيعي أن تقوم الخاتمة بتلخيص ما تعلمنه من البحث ، أو اكتشافه في أثناء قيامك به. فإن كنت تختبر فرضاً، فسيكون محتملاً أن تحاول تقييم مدى نجاحك في ذلك. تذكر أنه حتى لو لم يكتشف شيء جديد في مشروعك، فإن ذلك يعد في نفس الوقت نتيجة بحث قيمة محتملة (فالآمور غير الموجودة قد تكون بنفس أهمية الآمور الموجودة!).

4 - ما أوجه القوة ونواحي الضعف في بحثك؟ بافتراض تكرار القيام بهذا المشروع، فما التغييرات التي كنت ستجريها؟ من حسن التصرف دائمًا أن يقوم الباحث بتقييم مشروعه بكل تقييمًا نقديًا ، وأن يناقش ما يخص هذا المشروع من أوجه قوة ونواحي ضعف . فقد يؤدي ذلك إلى الدخول في مناقشة عن الطريقة التي قد يتبعها الباحثون مستقبلاً في إعادة تصميم وإعادة تعریف هذه العملية .

5 - ما فوائد بحثك؟ (هذا البند مرتبط بالنقطة التالية كذلك) هذه فكرة مفيدة أن تشير إلى ما (ومن) سينتفع بهذا البحث ولماذا؟

6 - ما الاقتراحات التي يمكن طرحها (بشأن التغييرات في السياسة أو الممارسة، مثلًا؟)؟ فإن كان للبحث تطبيق عملي، فقد يحتاج الباحث إلى طرح بعض الاقتراحات الخاصة بالسياسات أو بالتطبيق مستقبلاً . مثال ذلك ، أنه إن كان هذا مشروعًا بحثياً يتم عقده في دراسة أوقات انتظار الركاب الجالسين في مكتب قطع التذاكر لركوب القطار ، فقد تُطرح اقتراحات تدور حول نظام معدل للانتظار .

7 - ما الذي يجب عمله في المستقبل؟ يكاد يكون لكل المشروعات البحثية بعض الأسئلة التي تركتها بلا إجابة (أو قد تجيب ، في الواقع ، على أسئلة جديدة). لذلك تعد

الإشارة إلى الاتجاهات التي سلكها البحث التي قد تجري في المستقبل عملاً مفيدة للباحثين الآخرين، كما أنها تدل على أنك أصبحت قادراً على التفكير وراء نطاق الحد النهائي الواضح لمشروع بحثي معين (انظر فصل 4 باب 5).

8 - التأمل النقدي في المشروع البحثي ككل: رغم أن بعض هذا التأمل قد مورس في البند رقم 3 أعلاه، فلا يزال من المفيد تقييم إجمالي المشروع وأن تمعن النظر في الأمور التي تحققت بشكل جيد وفي تلك الأمور التي تحققت بشكل أقل جودة. ويمكن لهذا التأمل النقدي أيضاً أن يكون هو المجال الذي فيه تمعن النظر في بعض الأسئلة الأوسع نطاقاً، مثل ذلك: أيمكنك أن تستخرج أحكاماً عامة من عملك هذا؟ هل يمكن أن تحصل على نتائج مطابقة (أو مشابهة) في منطقة جغرافية مختلفة؟ هل كان الوصول إلى المعلومات والبيانات عسيراً أم يسيراً؟

9 - التأمل الشخصي: (ليس هذا على الدوام أمر سليماً، إلا أنه يمكن أن يكون مفيدة في بعض المواقف، كالتأمل، مثلاً، في الأثر الذي تكون قد أحدثه كفرد ذي صفات خاصة على البحث). ينافس كثير من الباحثين الاجتماعيين تأملاً لهم الشخصية في المشروعات التي يضطلعون بها. وقد يتخذ هذا الأمر أشكالاً كثيرة، كما قد لا يكون مناسباً لكل الظروف. تشمل الأسئلة المشتركة التي يتبعين على الباحث أن يأخذها في اعتباره ما يلى :

(أ) ما الأثر الذي أحدثه كشخص ذي شخصية مميزة على هذا البحث؟

(ب) ماذا كانت خبراتي الشخصية كباحث وما الذي تعلمت منه؟

(ج) ماذا كانت إحساساتي وأنا أنفذ هذا المشروع ، وإلى أي مدى قد يؤثر ذلك على الطريقة التي أقيم بها النتائج؟

كما قلنا قبل ذلك، لا توجد صيغة واحدة لكتابية نتائج البحث. الواقع أن نقطة نهاية كل مشروع بحثي تتسم دائماً بأنها فردية ولا نظير لها. فإن من شأن بعض جوانب البحث أن تكون مهمة في بعض الظروف المختلفة، ويتوقف ذلك، عادة، على نوع قضايا البحث أو أسئلته التي تجرى معالجتها. وأياً ما كان الأمر ، فإنك إن استحضرت في ذهنك تلك النقاط التي ذكرناها قبل ذلك واستعملت قائمة المراجعة المبنية أدناه، فإمكانك أن تكون واثقاً من أن نتائجك ستتشتمل على كل المعلومات المناسبة (انظر الباب الخامس).

بحثك

قائمة مراجعة الخاتمة

<input checked="" type="checkbox"/>	هل أجبت على السؤال الفائق «ثم ماذا بعد؟»
<input checked="" type="checkbox"/>	هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك / أو بينت أنك قد اختبرت فرضك؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل ذكرت ما تعلمته من مشروعك؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل شرحت نتائجك وطريقة تفكيرك واستدلالك؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل شرحت كيف يساهم مشروعك في إثراء المعرفة / أو الفهم الأكاديمي؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل ناقشت أوجه القوة ونقاط الضعف؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل ناقشت كيف تؤثر نتائجك على العالم الاجتماعي؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل ذكرت فوائد بحثك (أو التي يمكن الاستفادة بها في رسم السياسة وفي التطبيق العملي مثلاً)؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل فكرت في البحوث المستقبلية (باب ٥ ، فصل ٤)؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل تأملت مدى نجاح مشروعك بطريقة نقدية؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل تأملت في دورك كباحث؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل فسرت أسباب وجود نتائج غير متوقعة؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل فكرت فيمن سيقرأون نتيجة بحثك (الباب الخامس)؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل أدرجت معلومات جديدة في هذه الخاتمة؟
<input checked="" type="checkbox"/>	هل أصدرت أحكاماً عامة بطريقة غير مناسبة؟

لا يمكن لقائمة المراجعة هذه، والقدمة كمثال، أن تدخل في حسابها جميع التغيرات التي قد تكون موجودة في مشروع بحثك. ومع هذا، فإن استطعت أن تعلم بعلامة «صح» أو بعلامة «خطأ» أمام سائر الصناديق المناسبة، فمن المحتمل حينئذ أن تكون في وضع جيد لكتابة خاتمة بحثك.

الباب الخامس

عرض البيانات والتقارير

الفصل الأول : أهمية الجمهور المتلقى للبحث.

الفصل الثاني : كتابة البحث : التقارير والرسائل العلمية.

الفصل الثالث : عرض البيانات.

الفصل الرابع : النشر والبحوث المستقبلية.

الفصل الأول

أهمية الجمهور المتناثر للبحث

محتويات الفصل

- الجمهور والموضوع .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

على امتداد هذا الباب ، وهو أقصر أبواب الكتاب ، نحاول جاهدين تزويدك بالأدوات المطلوبة لاستيفاء مهمة بحثك ، إذ لا يكفي أن تنفذ بحثاً جيداً فحسب . بل حتى لا يكفي أن تكتشف شيئاً جديداً تماماً أو تفسر أمراً لم يكن مفهوماً قبل ذلك . وسبب هذا واضح: إذ يتوجب عليك أن تعرف العالم ببحثك . وعلى امتداد هذا الباب الخامس ستناقش كلا من قضية «كيف تكتب موضوعاً عن عملك» ، وقضية «لماذا تكتب» ، كما نناقش ما قد يكون أشد أهمية من ذلك ، وهي قضية: «لن تكتب هذا الكلام»؟

ورغم أنه من الواضح أن محتوى عملك هو العنصر الأكثر أهمية ، فمن الضروري أيضاً أن تفكر في الطريقة التي ستبعها في تقديمها للناس . ويناقش هذا الباب المختصر ما يتعلق بأهمية «جمهورك» ويقدم بعض الأمثلة البسيطة . نبدأ بأهمية الجمهور ، ثم نواصل النقاش بالعرض لاستراتيجيات كتابة البحث ، وعرض البيانات ، وأخيراً النشر بحثك .

إن عرض بياناتك ، وكتابه تقريرك ، أو إعداد رسالتك الجامعية هو الخطوة الأخيرة في مشروعك البحثي . فقد بلغت المرحلة التي فيها يتم اختتام عملك كله و«نشره» (قد يكون ذلك من أجل إنجاز رسالتك العلمية للخروج ، ولكن العملية تظل هي نفسها بصرف النظر عن المستوى العلمي الجامعي الذي تعمل فيه) . لهذا ، فإن من الأهمية أن تفكّر في سبب كون هذه المرحلة من البحث مهمة للغاية .

إن لم تعرِف العالم، فواضح إذن أن عملك سيظل مجهولاً. وقد حدث ذلك تقريباً لشارلز داروين ونظريته عن التطور (انظر المثال 1-1). كما حدثت وقائع مماثلة أحدث، من أمثلتها نشر «التقرير الأسود عن المظالم في مجال الصحة» في سنة 1980 (انظر برواز «فَكْرٌ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ . . . » فيما يلى). تصور مدى ما قد يكون عليه عالك من اختلاف لو أن بحثك لم ينشر.

من المهم، إذن، أن تكتب عملك في صورته النهائية وأن «تنشره» (فإن كنت طالباً فقد يكون مهماً جداً لمستقبلك أن تستوفى تكليفاتك الدراسية وتقدمها لأستاذك). وسوف نتناول عملية الكتابة في الفصل 2 من هذا الباب، ولكننا هنا نحاول أن نطرح مسألة خاصة التي مفادها أن «الجمهور مهم».

إننا لا نبالغ في تأكيد أهمية منظور الجمهور. فهم الأفراد الذين سيحكمون على قيمة عملك (وقد يكونون الأفراد الذين يتحكمون في مستقبلك!). اعرف جمهورك؛ وحاول أن تكتشف كيف يفكرون، وكيف ينظرون إلى موضوع بحثك، وما خبرتهم المتعلقة بالقضايا ذات الصلة وكيف سيستجيبون على الأرجح. فإن استطعت وقتها أن تأخذ كل هذه الجوانب في الاعتبار عند كتابتك، فسوف تتفادى الوثائق المزعجة ذات اللغة الطنانة التي ربما يكون بعضنا معناداً عليها.

إن التركيز على احتياجات قراء بحثك واتجاهاتهم لن يساعدك فقط في إيصال ما تبحثه من نقاط، بل سيمكنك أيضاً من أن تفهم مادتك فيما أفضل؛ فلا توجد طريقة لفهم عملك الشخصي أفضل من أن تحاول جعله مفهوماً للأخرين.

المثال (1-1)

شارلز داروين وكتابه «عن أصل الأنواع» الخلفية

قام شارلز داروين ببحوثه الميدانية عن التطور بين سنة 1831 وسنة 1836 في رحلته البحثية الثانية على السفينة الملكية بيجل Beagle، وهي الرحلة التي اشتملت على الجزء الأكبر من ساحل أمريكا الجنوبية، وجزائر الفوكلاند وجزائر جالاباجوس. واستكمل بحثه النظري عن التطور في سنة 1845 تقريباً وكتب مسودة الكتاب النهائي في نفس الوقت تقريباً. ومع ذلك فإن الكتاب لم ينشر إلا سنة 1859.

لماذا إذن أمضى داروين 28 سنة من غير أن يعرف العالم باكتشافاته؟

اتضح أن السبب الرئيسي كان يرجع إلى أن نفوذ الكنيسة المسيحية في بريطانيا في ذلك الزمن كان قويا جدا، وأنه كان من الخطورة أن ينظر إلى نظرية كنظيرية داروين على أنها تحد للنظام الاجتماعي، وعلى أنها هرطقة بسبب ما فيها من إنكار دور الإله كمقدار و خالق.

إذا لما نشر الكتاب أصلًا؟

الواقع أن داروين كان يرغب في الحصول على الاعتراف بعمله. فقد أصبح على وعي بأن علماء آخرين كانوا يعملون بأفكار مماثلة (خاصة الفرد والاس الذى كان يعمل فى جزيرة بورنيو بأرخبيل الملابيوا ، جنوب شرق آسيا) كما كان داروين يتعرض لخطر لا يحصل على الاعتراف بأنه صاحب السبق العلمي الأصلى .

وهكذا، نشر الكتاب - فما القضية في هذه القصة؟

القضية الأولى واضحة:

- لو أن داروين لم ينشر عمله، لما كانا علمنا شيئاً عن النظريات التطورية ما لم يقوم شخص آخر بنفس الاكتشاف.

القضية الثانية أشد صعوبة:

كتب داروين كتابه لنقرأه «الجهات العلمية» المسؤولة آنذاك -أى مشاهير علماء ذلك العصر . فالكتاب لم يلق الترحيب من الجميع (خاصة العلماء ذوى الآراء المختلفة و ذوى الخبرة البحثية الضئيلة). كما أن الكتاب ، وبسعره الأصلى الذى كان يساوى 15 شلنًا (أى : 0.75 يورو)، كان فوق قدرة معظم الناس على شرائه . وقد وردت تقارير عن أفراد من الطبقة العمالية جمعوا من بعضهم مالا ليشتروا نسخاً من الكتاب . وقد استاء داروين حينئذ من ارتفاع سعر الكتاب ، ولكنه تمكן في نهاية الأمر ، من خفض سعر الطبعة السادسة الأكثر تنفيضاً إلى 7 شلنات و 6 بنسات (أى : 0.38 يورو) مما جعله في متناول أكثر السكان . ونتيجة لذلك ، تم نشر هذه المعلومات على نطاق واسع ، وبدأ الناس العاديون في التعبير عن رأيهم والإعراب عن تقبيلهم لهذه النظرية.

وهكذا يتبيّن أن القضية المحورية تنصب على اختيار «الجمهور». اختار داروين أن يجري تعديلات كثيرة على الطبعة السادسة مما أدى إلى جعلها مفهوماً بدرجة أكبر عند الناس . وبإضافة هذه الميزة إلى ميزة سعرها الرخيص ، استطاع عدد أكبر من الأفراد أن يصبحوا على دراية وعلم بهذا العمل.

فکر فی هذا الموضوع . . .

التقریر الأسود

كان «التقریر الأسود» (تاونسند ودافيدسون ، 1982) قد صدر تکلیف بإعداده من قبیل حکومة حزب العمال فی سنة 1977 ، إلا أنه لم یعطن رسميا حتى شهر ابریل 1980 عندما كانت إحدى حکومات حزب المحافظین فی سدة الحکم. لم تلق النتائج التي انتهى إليها التقریر ترحیبا من أعضاء حزب المحافظین. كان هذا التقریر مشروعاً بحثاً كبيراً یتعمق فی بحث مظاهر وأثار عدم المساواة فی مجال الصحة ، فقد كان من شأن نشر مثل هذا التقریر ، فی العادة ، أن یكتسب قدراً كبيراً من الشهرة والذیوع ، وأن یترتب علیه ظهور کتابات محركة لمشاعر الناس. وإزاء هذه الحاله لم یؤذن إلا بنشر 260 نسخة مصورة من الأصل المکتوب بالآلة الكاتبة ، وذلك فی لیلة عطلة البنوك فی شهر أغسطس ، وهو ما یحتمل أن يكون محاولة (من حکومة المحافظین) للتأكد من أن التقریر لن ینتشر إلا فی أضيق نطاق ممكن.

فی نهاية الأمر ، اتخد المؤلفان الإجراءات لنشر التقریر فی سنة 1982 من قبل دار نشر بإنجیولن. لا يزال التقریر یبع نسخاً كثيرة سنویاً لمدة 30 عاماً تقريباً بعد صدوره ، كما أثر تأثیراً كبيراً علی عملية إعادة تنظیم وزارة الصحة البریطانية.

- 1 - ما - فی رأيك - سبب اختيار حکومه المحافظین لمثل هذه الطریقة المتسمة بالتفیید الواضح فی نشر هذا التقریر المهم؟
- 2 - ما - فی رأيك - سبب اختيار المؤلفین دار نشر متخصصة فی إصدار الكتب الشعوبیة ذات الطبعات الرخیصة؟
- 3 - كيف أثرت فكرة «الجمهور» علی هذین القرارین؟

الجمهور والوضوح

لهذه الأسباب يكون من المهم جداً أن نقدم لجمهورنا شيئاً يمكن أن یفهمه. علينا أن نتأكد إلى حد ما (وبدون أن نكون متفضلين بالإحسان علی جمهورنا) من أننا كتبنا شيئاً بلغة یفهمونها ، وله بنية واضحة وجلية (وهو الشيء الذي سنقوم ، فی العادة ، بشرحه فی مقدمة و بتزویده «بلافقات إرشادية» علی امتداد النص من أوله لآخره حتى یعرف القارئ - أو المستمع - أین هو من الموضوع) وأن هذا العمل له معنی واضح.

إن فكرة «الوضوح» هذه فكرة مهمة كما أنها دليل جيد يوجه أسلوبنا. فلا بد للمعنى الذي يحمله عملنا أن يكون واضحاً لجمهورنا، وهذا يعني أننا لا بد أن نقدر جمهورنا تقديرًا سليماً فيما يتصل بما لهم من:

• مستوى قرائى: لذلك جعلنا اللغة الإنجليزية التي نكتب بها فى المستوى الذى يفهمونه - فقد سبق لمعظم القراء أن عانوا من ذلك الإحساس المزعج بالكتابية «البارعة» التي يتوجب فيها على القارئ أن يضع القاموس فى متناول يده فى أثناء محاولته لفهم الاستعمال الملغز أو البالغ التعقيد للكلمات.

• افتراض المعرفة السابقة لدى الجمهور: لذلك قمنا بشرح كل شيء يتعين علينا شرحه، إلا أننا سلمنا بتوفر مستوى أساسى للفهم لدى القارئ. وتتضمن هذه الفكرة المتعلقة بالمعرفة السابقة أيضاً مسألة: ما إذا كانا نضمن ما نكتبه صوراً وأشكالاً بيانية أو أعمدة لعرض البيانات الرقمية أم لا (ويتوقف هذا الأمر على مجال موضوع البحث أيضاً)، ومسألة: ما إذا كانت الصور - مثلاً - تحسن مستوى النص الذى نقدمه أم لا.

إن الوضوح أمر مهم. فإن كان علمنا غير واضح، حينئذ سيصاب فارؤنا بالضجر سريعاً. وهذا الوضع له نتائجتان هامتان، خاصة فيما يتصل بالعمل المكتوب، وهما:
1 - إن كان جمهورنا يقرؤون طلباً للمتعة أو يحاولون الحصول على معلومات، فسوف يتوقفون عن القراءة في هذه الحالة.

2 - إن كان جمهورنا يقوم، فوق ذلك، بالحكم على علمنا (كما هو الحال غالباً في مجال التعليم)، فمن المستبعد حينئذ أن يحصل العمل غير الواضح على درجات مرتفعة. ولا شك أن هذا الوضوح يمكن أن ينسحب على ما هو أكثر من مجرد الكلمة المكتوبة والمنظوقة (فصل 3 باب 5). كما أن اختيارك لطرق عرض البيانات الأخرى ينبغي أيضاً، أن يكون قائماً على معرفتك بهذا الجمهور.

بحث

الجمهور

قبل أن تبدأ كتابة تقرير بحثك، أو تحضير ملصق (عرض مختلف جوانب بحثك) أو كتابة رسالتك العلمية، اسأل نفسك بعض الأسئلة القليلة:

• ماذا أعرف عن جمهوري؟

- ماذا يعرفون هم عن موضوع بحثي؟
- هل لديهم الخبرة المباشرة بهذه القضية؟
- ما تصورى لما قد تكون عليه استجابتهم لنتائج بحثى / أو لخاتمتها؟
- هل أرى أنهم سيفهمون الكلمات / أو الرسوم البيانية المعقدة؟ (ربما يفضلون قراءة موجز للبيانات أكثر من قراءتهم لصفحات من الأرقام؟)
- فمن المحتمل أن يفضلوا الرسوم البيانية على الكلمات؟

المراجع وقراءات للاستزاده

- Crosswaite, C. and Curtice, L. (1994) *Disseminating Research Results: The Challenge of Bridging the Gap between Health Research and Health Action*, Oxford University Press.
- Marriott, S. and Palmer, C. (2000) Disseminating healthcare information: getting the message across, *Quality in Health Care*, 9: 58–62.
- Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثاني

كتابة البحث:

التقارير والرسائل العلمية

محتويات الفصل

- لماذا نكتب؟
- ما الذي تفعله الكتابة؟
- عملية الكتابة.
- التخطيط والبنية.
- بعض «قواعد» الكتابة.
- حدود الكلمات.
- كتابة المسؤدة.
- عندما تكون الكتابة عسيرة.
- التقارير.
- الرسائل العلمية الجامعية.
- تحذير آخر: الاتتحال.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل عملية كتابة البحث . وهو موجه لطلاب الدراسات العليا ، كما أن هدفه الرئيسي هو مناقشة كيف تختلف كتابة البحث عن غيرها من أنشطة الدارس وكيفية مباشرتها على أفضل وجه . ينبغي أن تقرأ هذا الفصل مع فصل (1) و (3) من هذا الباب ، وذلك لأن بعض قضاياها متشابهة .

إننا لا ننوي أن نقول لك هنا كيف تكتب «مقالات»، رغم أنه توجد بعض المعلومات المفيدة التي يمكن أن تساعدك في هذا الصدد، وذلك لأن من شأن هذه المحاولة أن تستغرق كتاباً بأكمله. ولهذا يقتصر هذا الفصل على الحديث حول قيامك بالكتابة النهائية لشروعك البحثي في صورة تقرير، أو مقال مطول أو رسالة علمية جامعية. (توجد بعض الكتب المفيدة في مجال الكتابة الأكاديمية «العامة» أدرجناها ضمن قائمة المراجع في نهاية هذا الفصل).

نرجو أن ينجح هذا الفصل في توضيح حقيقة أنه يوجد اختلاف بين «التقرير» و«الرسالة الجامعية». ويتبع عليك أن تذكر أنهما ليسا شيئاً واحداً، حتى بالرغم من أنهما قد يبدوان مشابهين.

إذا قرأت هذا الفصل كما لو كان فصلاً في رواية طويلة، فستجد أنه يتسم بدرجة طفيفة من التكرار، ونحن نرى أن أفضل طريقة لفهمه هي أن تقرأ الفقرة التي تتناول المهمة التي تقوم بأدائها وأن تتابع الروابط التي تصلك بأى شيء آخر تحتاج إليه.

لماذا نكتب؟

إننا نكتب لأسباب مختلفة. والهدف الأساسي للكتابة هو الاتصال، كما أن الكتابة في مجال التعليم العالي، تنتمي بشكل تخصصي من أشكال الاتصال يحقق بعض الأهداف التخصصية. وهذه هي أهم هذه الأهداف:

- اقسام المعلومات وتبادلها: وهو الهدف الأساسي للاتصال.
- قياساً للتقدم: يستخدم معلومك المادّة التي تكتبها في الحكم على مدى التقدم الذي تحقق في مجال محدد.
- تحسين مستوى فهمك وقدرتك على التعبير: الكتابة عملية تعلم تحدثك على التعبير عن الأفكار والمفاهيم بكلماتك الشخصية.
- التقدير: يتم تقدير مقالاتك وتقدير ما سواها من عملك المكتوب من جانب أعضاء هيئة التدريس، بهدف النظر فيما إذا كانت ترقى بك للنجاح في مقرر دراسي معين.

ما الذي تفعله الكتابة؟

الكتابه شكل متخصص من أشكال الاتصال. والمقصود من هذا الشكل التأكيد من أن شخصاً آخر (بفهم «الكود» الأساسي الذي نستعمله - أي : لغتنا التي نكتب بها) يستطيع أن يفهم ما نريد أن نخبره به. للكتابه بعض السمات المهمة :

- فهى ثابتة : أى إنه بمجرد استكمال الكتابة و خروجها من يدى المؤلف ، يصبح من غير الممكن تغييرها .
- وهى باقية نسبيا : وهذا معناه أن القارئ يستطيع أن يراجع المحتوى فى أكثر من مناسبة .
- ومع ذلك ، فإنها بعيدة عن المؤلف : فلا يستطيع القارئ أن يطرح أسئلة إن صادفه شيء غير واضح .
- تتيح الكتابة للكاتب إدراج المعلومات التى لا يمكن إدراجها دائمًا بطرق عرض أخرى (مثال ذلك ، أنك تستطيع إدراج الجداول ، والأشكال البيانية ، والصور ، والمراجع) .
- من الممكن للعمل المكتوب أن يكون ذا طبيعة ثقافية خاصة : فحتى لو استطاع شخص ما أن يفهم لغتك ، فإن هذا لا يعني أنه يتقبل رؤيتك وتصورك للطريقة التي يسير عليها العالم .

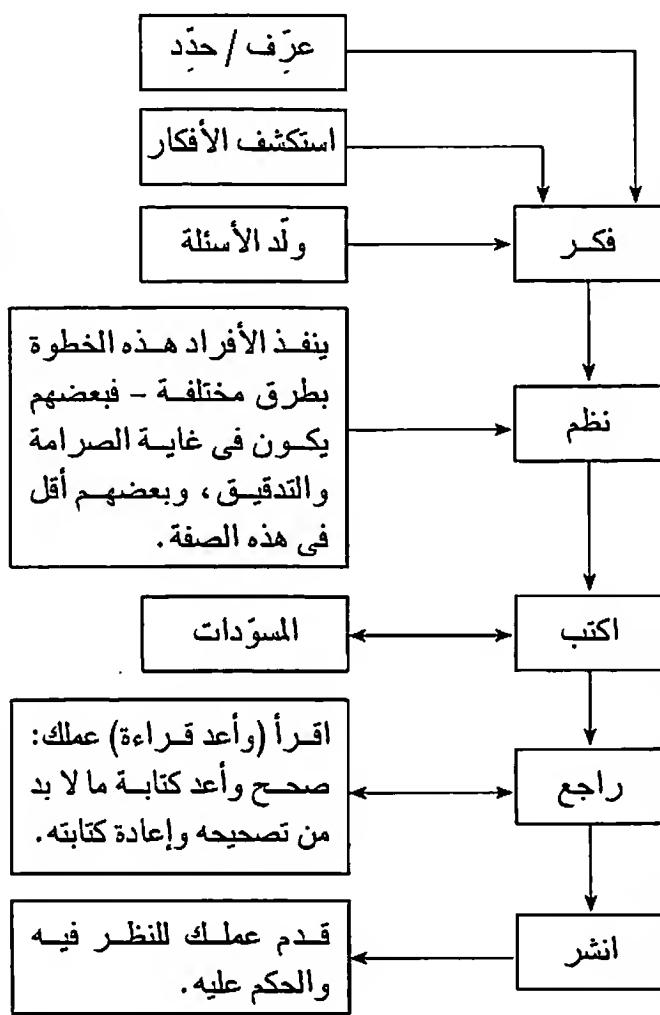
عملية الكتابة

عادة ما تكون الكتابة الأكاديمية عملية معقدة تضم عدداً من الأبعاد المختلفة . فمن النادر أن تجلس إلى حاسبك وتكتب تقريرك أو تكتب وثيقة أخرى دفعة واحدة . ثمة أسباب كثيرة لهذا الوضع تتوقف على طبيعة مشروعك ، وقد حاولنا بسطها على نحو منظم في موضع لاحق .

التخطيط والبنية

تبدأ الكتابة الأكاديمية كلها بنفس الشيء : التخطيط . ونحن لا نبالغ أبداً في التأكيد على مدى أهمية التخطيط . فكل إنسان يعمل في مجال التعليم ، ومن يضعون تقديرات لأعمال الطلبة ، سوف يعرف متعدة قراءة وثيقة خططها كاتبها ، وسوف يعرف الغم والكرب من قراءته لوثيقة كتب بدون تخطيط .

يؤدي التخطيط عدداً من الوظائف المختلفة : مثال ذلك أنه بذلك على ما تعرفه عن الموضوع (ويذلك ضمناً على ما لا تعرفه) . وقد يبين لك مثلاً ، مدى اكتمال مراجعتك للكتابات السابقة ، أو يبين لك ما إذا كان بحثك قد نجح في توليد المعلومات التي تحتاج إليها لتصل إلى نتيجة معينة ، أم لا .



الشكل رقم (1-2) : عملية الكتابة

المعتاد أن يخطط كل امرئ بطريقة مختلفة عن غيره؛ لذلك لم نحاول أن نحدد لك الطريقة التي ينبغي أن ينفذ بها التخطيط (فلا بد أن تقرر أنت الطريقة التي تحقق لك أفضل النتائج، بيد أننا حاولنا أن نقدم بعض الاقتراحات ونوضح الأمور التي تمثل عناصر أساسية لمعظم الخطط).

تقوم الخطة - في جوهرها - على محاولة الكشف عن هدف التقرير وتقسيمه إلى مجالات مختلفة. وقد تبدأ خطتك بالتنويه إلى أن عملاك يشتمل على ثلاثة أقسام رئيسية: المقدمة، والمادة الأساسية للدراسة، والخاتمة. والحق أن هذا التقسيم يمثل تبسيطًا مفرطًا لمعظم الكتابات البحثية، كما أن من الأرجح والأنسب كثيرًا أن تكون خطتك مفصلة تماماً، كما ينبغي أن تتضمن قائمة برؤوس الموضوعات على النحو التالي:

- المقدمة.
- استعراض التراث العلمي المنشور عن الموضوع.
- منهج البحث.
- النتائج.
- المناقشة.
- الخاتمة.
- الملحق.
- المراجع.
- الجدول الزمني الشخصي (في حالة احتياجك إليه، وذلك حتى تستطيع أن تظل «ماضيا على الطريق السليم»).

بعد تقسيم عملية التخطيط لتقرير البحث أمرًا شبيهًا جداً بالتخطيط لأى مقال علمي، بحيث إنه ينبغي عليك أن تستوثق من أن خطتك تمكك بتفاصيل كافية لكتابه العمل النهائي، وأنك لا تنسي الأمور الواضحة الأهمية، من قبيل العناصر التالية:

- هل فكرت في جمهورك؟
- هل لبحثك مقدمة مناسبة وخاتمة مناسبة؟
- هل أوضحت بجلاء ما قمت بإنجازه من عمل؟
- هل عرفت المصطلحات الأساسية؟
- هل أدرجت لافتات (أو : علامات إرشادية) للإشارة إلى ما هو موجود في الأقسام المختلفة؟
- هل جاء استعراضك للتراث العلمي شاملًا بما فيه الكفاية وذا طابع نقدى (انظر فصل 2 باب 2)؟
- هل أرسيت خطا فكريًا محدداً؟ وهل تتسم وجهة نظرك بأساس منطقى؟
- هل ضمنت تقريرك قدراً كافياً من المعلومات؟

بعض قواعد الكتابة

بالرغم من أن هذا الفصل ليس مقصوراً على تقنية الكتابة فحسب، فإننا نرى أنه توجد بعض الأمور التي يتوجب التأكيد عليها لأنها مهمة من جوانب مختلفة. وهذه الأمور، إذا نفذت بصورة جيدة، تجعل قراءة تقرير البحث أو الرسالة العلمية شيئاً ممتعاً، وإذا نفذت بصورة رديئة، فإنها تحط من شأن العمل وتجعل من العسير قراءته.

قواعد اللغة (النحو الصرف)

ينبغي أن نهدف للكتابة بشكل يتفق مع قواعد اللغة (انظر قائمة المصطلحات) وأن نستعمل أدوات الترقيم السليمة. لن تقدم لك هذه الفقرة درساً تعليمياً عن استعمال علامات الترقيم^(*) السليمة. ولن تقدم لك هذه الفقرة درساً تعليمياً عن استعمال علامات الترقيم أو البناء السليم للجملة لأن هذه أمور تحتاج إلى كتب بأكملها. ويجد القارئ عدداً من الكتب مذكورة في قائمة المراجع والقراءات الإضافية الموجودة في آخر الفصل، والتي تتناول هذه الأمور بشكل ممتاز، ومعظمها ليست مملة — وبعضاً مما يسر المرء قراءتها فعلاً! ومع ذلك، فإننا نحتاج — بالفعل — لأن نبين عدداً قليلاً من الأمور التي تعد مهمة في كتابة البحث. وقد أسمينا هذه الأمور «قواعد»، ولكننا لا نعني في الواقع أنها ليست مرنة وأنه لا بد من تطبيقها دائمًا بطريقة محددة؛ وربما كان الأفضل تسميتها «إرشادات» (انظر أدناه).

استعمال اللغة

اختيار الكلمات

يتوجب عليك أن تختار الكلمات التي تستعملها بعناية. وبالتحديد، لا تستعمل كلمات طويلة مجرد أنها طويلة — فاستعمالك لها لا يجعلك تبدو بارعاً ويمكن أن يفضي بك إلى معاناة المصاعب. فالأساس هنا الالتزام بنوع من أنواع رعاية التوازن اللغوي: إذ يتوجب عليك أن تستعمل مفردات اللغة الملائمة والمصطلحات الفنية الصحيحة التي تناسب موضوعك، إلا أنه لا بد من أن تناضل كي لا تشوش فكر قارئك (أو فكرك أنت) بلا ضرورة.

وبنفس الطريقة ينبغي عليك الا تستعمل «الرطانة» Jargon، وهو المصطلح الذي يعرفه قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية بأسلوب رائع بأنه مصطلح:

«ينطبق، بشكل يشى بالازدراء، على أي نمط من أنماط الكلام التي تشيع فيها الألفاظ غير المألوفة، أو الألفاظ المقصورة على مجموعة معينة من الأشخاص، وذلك

(*) أي استعمال النقط والفاصل ... إلخ لتوضيح المعنى. (المترجم)

كلغة العلماء أو الفلسفه، أو هي المصطلحات الفنية لعلم ما أو لفن ما، أو هي الل肯ة أو اللغة الخاصة لطبقة، أو طائفه، أو حرفة أو مهنة معينة». (قاموس أكسفورد للإنجليزية).
كما يحسن ألا تستخدم المصطلحات الفنية التي لن تكون مفهومة عند قرائك.

ينبغي عليك أيضاً أن تتجنب، إلى حد ما، استخدام الاختصارات. والأسلوب الصحيح - من الناحية الفنية - أن تعرف هذه الاختصارات في المرة الأولى لاستعمالها في وثيقة ما، ثم استعمل الاختصارات بعد ذلك، فمثلاً «وزارة الصحة» National Health Service تختصر إلى NHS، ولكن إن لم تكن حذراً فإن بالإمكان أن تكون النتيجة النهائية صفحة مليئة بالألغاز لدرجة تستعصي على الفهم. وبالمثل، فإنه ينبغي تفادى أن تكون الجمل والعبارات طويلة إلى حد الإملال، أو أن تكون ذات وقع طنان.

المفروض عادةً ألا يمثل استعمال الرموز (والتي منها مثلاً : % ، € ، ₩) أية مشكلة. فالقضية هنا، كما هو عليه الأمر في أغلب الأحيان، أن يكون هذا الاستعمال منسقاً وثابتاً، على مبدأ واحد من حيث دلالة كل رمز على معنى واحد على الدوام.

الأعداد

يمكن لاستعمال الأعداد في الكتابة الأكاديمية أن يسبب شيئاً من الارتباك؛ إذ يجد بعض العلماء الثقة استعمال الأرقام (أى : 1، 2، 3، إلى آخره) لكل الأعداد ما لم يكن العدد هو الكلمة الأولى في الجملة. بينما ينصح آخرون باستعمال الكلمات(*) عندما يكون العدد أقل من 10 واستعمال الأرقام بعد ذلك؛ ومع هذا يفضل علماء آخرون استعمال الكلمات (أو الأرقام) في سائر الأوقات. ونحن نقترح أن:

- 1 - تتحقق من أنه لا توجد قواعد خاصة يتبعها في العمل الذي تقوم به - فإن كان له قواعده فالالتزام بها.
- 2 - تختار نظاماً ثابتاً تميل أنت إليه، ثم تلتزم به التزاماً تاماً.

التهجى (الرسم الإملائى للكلمات)

في أيامنا هذه التي يتم فيها تزويد الحاسوبات ببرامج لمراجعة تهجئة الكلمات، قد تتصور أن الأخطاء الإملائية أصبحت من الأمور التي عفا عليها الزمن. مما يؤسف له، أن ذلك ليس صحيحاً. ومع ذلك، فإن هذا معناه بالفعل أن الأخطاء الإملائية التي تظهر في بحث مكتوب نفذ باستعمال برنامج لمعالجة الكلمات أصبحت أمراً غير مقبول تماماً، لأن هذا يعني (أو كما سيفترض ذلك كثير من سيقيمون هذا البحث على الأقل) يعني أنك ربما لم تكلف نفسك عناء الاهتمام بمراجعة عملك (انظر الفقرة الخاصة بكتابة المسودات أدناه).

(*) أى واحد، اثنان، ثلاثة ... إلخ. (الترجم)

من الفخاخ الشائع الخفية التي يقع فيها الكاتب أن برامج المراجعة الإملائية لا يمكنها - بالطبع - أن تكتشف إذا كنت استعملت الكلمة الخطأ أم لا ، وذلك بشرط أن تكون تلك الكلمة^(*) مكتوبة بصورة صحيحة إملائياً . هذا الأمر يقودنا أيضاً إلى إلقاء نظرة مختصرة على الكلمات التي تتطابق بنفس الصوت ، إلا أنها تعني معنى مختلفاً (وتسمى : المتجانسات homophones ، أي الكلمات ذات الصوت المتجانس) . لذلك عليك التزام الحرص وإلقاء نظرة على البرواز التالي «فكر في هذا الموضوع ...».

فكـر فـي هـذـا الـمـوـضـوـع . . .

بعض الكلمات التي لها نطق متماثل (المتجانسات homophones) وتسبب
الخلط والتشويش بصورة شائعة

accept	except	
affect	effect	
cite	sight	site
compere	compare	
draft	draught	
heat	here	
guest	guessed	
knot	not	
passed	past	
principal	principle	
pole	poll	
right	rite	write
their	there	they're
wales	wails	whales
where	wear	were
whether	weather	
who's	whose	
your	you're	

(*) الواقع أن إصدار سنة 2007 من العلامة التجارية المسجلة لبرنامج «مايكروسوفت ورد» تحاول أن تقوم بهذا العمل . فعندما تتم مراجعة الرسم الإملائي للكلمات وقواعد اللغة يقوم هذا البرنامج ، في غالب الأحيان ، بإعطاء إشارة عندما تستعمل كلمة ما استعمالاً خاطئاً (حتى وإن كانت تهجئتها صحيحة).

وضوح الكتابة والعرض

نعود فنكرر القول: إنك قد تظن أن المشكلات المتعلقة بوضوح الكتابة قد انقضت بانقضاء عهد الأقلام والحبر. ليس الأمر كذلك، فبعض الآلات الطابعة - خاصة إذا لم تحسن صيانتها - قد تنتج صورة طباعية باهنة أو صفحات ملوثة. وبالمثل، فإن بعض أنواع الورق ليست صالحة للآلات الطابعة الملحقة بالحواسيب.

ينبغي أن تكون فخوراً بالطريقة التي بها يعرض عملك وأن تبذل جهداً في إنجاز ذلك بصورة ممتازة. ويبداً هذا الأمر بقراءة الشروط الخاصة بتقديمك للرسالة العلمية الجامعية (فبعض الجامعات تشرط، مثلاً، أن تكون الرسالة العلمية مجلدة بخلاف مقوى)، وهو أمر توفره لك إحدى الإدارات التابعة لهذه الجامعات والتي من المعتاد أن تدفع أنت ثمنها! وهناك جامعات أخرى لا تحدد الطريقة التي ينبغي تقديم العمل وفقاً لها). وقد توجد قواعد لاستعمال أحجام الحروف الكبيرة (التي تظهر في العناوين مثلًا) والحروف الصغيرة (التي تظهر في الحواشى والهوامش مثلاً) أيضاً. إن قدراً يسيراً من التفكير والجهد سيكون له ثمرة الطيبة في أغلب الأحيان. مثال ذلك:

- حدد أي أطقم الحروف الطابعية (الفونط) الذي يجعل عملك أوضح في كتابته وتمسك به (ونذكر أن بعض المؤسسات العلمية تشرط استعمال أطقم حروف طباعية خاصة).
- انظر إلى كل صفحة في «صورة إخراجها الطبيعي» على شاشة حاسبك قبل أن تطبعها. هل تبدو مناسبة؟ هل الرسوم البيانية معروضة في أحجام صحيحة؟ هل توجد حول المادة المطبوعة مساحة بيضاء أكثر من اللازم أو أقل من اللازم؟ هل الأشياء موجودة في الأماكن التي تتوقع وجودها فيه؟ (فالجداول لها سمعة غير طيبة إذ تبدو أنها تحول بمفرداتها). هل استقرت العناوين فوق الفقرات الخاصة بها؟
- إن كان عندك آلة طابعة بالألوان، فهل أحسنت الاستفادة من إمكانياتها؟ هل تبدو الصفحات وقورة وأكاديمية (إن كان هذا هو ما تهدف إليه) أم أنها تذكرك بكتب الرسوم الهزلية؟
- تأكد من أن الصفحات مرقمة وأن صفحات عملك متسلسلة في الترتيب الصحيح لها - قد تندesh من كثرة المرات التي لا يحدث فيها هذا الأمر.
- تأكد من أنك التزمت بقواعد مؤسستك العلمية المتصلة بالإحالة إلى المراجع.

أزمنة الفعل، وضمير المتكلم، وصيغة الفعل

حافظ على تلاؤم الأزمنة فلا تخلط الزمن الماضي، والحاضر والمستقبل في نفس الجملة أو الفقرة. قد يكون ذلك شديد الصعوبة عند الكتابة عن البحث، لأن المشروع

يستغرق تنفيذه في العادة مدة طويلة فعلاً من الزمن، كما أن الأمور التي كتبناها في «زمن المستقبل» في مقترن مشروع البحث (فصل 6 باب 2) والتي كان خطط للقيام بها قد أنجزت كلها، وهي الآن في زمان «الماضي» فجأة.

ما ضمير الفاعل الذي سنستخدمه في الكتابة؟ في الأوساط الجامعية، تقادى في العادة الكتابة باستخدام ضمير المتكلم (أنا، ونحن)، وتجنب كذلك استخدام ضمير المخاطب (أنت، أو أنتم) وبدلاً من ذلك نستعمل كلمة «المرء» One. ومن الناحية الفنية، يعتبر هذا هو «الشخص الثالث المفرد» (أى: ضمير الغائب)، ولكن الواقع أنه يستخدم ليحل محل الشخص الأول (المتكلم).

في بعض الحالات يكون من المفید استخدام ضمير المتكلم، مثل ذلك، عندما تتأمل دورك كباحث، إلا أنه من المحتمل أن تكون هذه الحالات قليلة ومتفرقة في ثنايا تقرير البحث. لذلك يتبعين في مثل هذا الموقف أن تستمع إلى توجيهات المشرف عليك.

أخيراً، لدينا اختيار لأن نكتب إما بصيغة الفعل المبني للمعلوم، أو الفعل المبني للمجهول. مثال ذلك:

- كان من مصلحة الأفراد العاجزين بدنياً أن سُن هذا القانون (مبني للمجهول).
- استحدث البرلمان هذا القانون لمساعدة الأفراد العاجزين بدنياً. (مبني للمعلوم).

ويتوقف اختيارك لإحدى هاتين الصيغتين على عوامل متعددة: فقد يتوقع منك أهل التخصص الذي تنتهي إليه أن تكتب باستعمال صيغة المبني للمجهول، أو قد ترغب لعملك أن يدوّ أكثر دينامية فتخار لهذا السبب صيغة المبني للمعلوم. لا توجد في هذا الخصوص قاعدة مؤكدة، إلا أنها تزيد منك أن تكون مدركاً لوجود اختيار يتبعين اتخاذه.

اللغة التي تستوعب التنوع

ينبغي لكتابتك أن تراعي التقسيمات الاجتماعية، وذلك لكي لا تكون كتابة متعصبة لجنس معين أو ذات طابع كاره للبشر، مثلاً. يوجد عدد من الأدلة الإرشادية وضعتها جمعيات علمية راقية يمكنها مساعدتك. من ذلك: الدليل الإرشادي للغة المضادة للعنصرية الذي وضعته الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع (1992) والذي ستجده مفيداً جداً.

إن الطريقة التي كان الكتاب في العلوم الاجتماعية يتبعونها في الإشارة إلى الأفراد قد تغيرت بمرور الزمن. يلاحظ كوبا وكوكينج Cuba and Cocking (1997، ص 121) أن معظم الأعمال القديمة في العلم الاجتماعي تتسم بالاستعمال العام لكلمة

«الإنسان» man. ويشتبه ذلك في صعوبات عند القراء المعاصرین. فتأكد، وأنت تكتب رسالتک العلمية، من أنك لا تضع عبئاً مشابهاً على قرائك. انظر «فکر في هذا الموضوع ...» في موضع لاحق من هذا الفصل.

فکر في هذا الموضوع ...

استیعاب التنوع في الكتابة

تتحقق جميع الكلمات أو العبارات المذكورة أدناه في استیعاب التنوع والمساواة. حاول إعادة كتابتها حتى تكون أكثر دقة (وسوف تجد اقتراحاتنا بهذا الشأن مذكورة في آخر هذا الفصل).

1 - the man in the street	1 - رجل الشارع
2 - Masterful	2 - المستبد / أو المسيطر
3 - Policeman	3 - رجل الشرطة
4 - American	4 - الأمريكي
5 - Forefathers	5 - الأسلاف
6 - Indian	6 - الهندي
7 - Man-made	7 - من صنع البشر / مصنوع

حدود الكلمات

الكتابة الأكاديمية في كل مستوياتها محكومة - عادة - بحدود الكلمات. وهذا المعنى يصدق على كتابة المقالات للمجلات العلمية الدولية كما يصدق على كتابة المقالات الصغيرة الأولى لطالب الجامعة. سيترتب على التقصير في رعاية حد الكلمة، في أغلب الأحيان، توقع عقوبة ما على عملك، وعادة ما تكون تخفيفاً في الدرجة النهائية. في هذه الأيام التي ينتشر فيها استخدام برامج معالجات الكلمات، لم يعد من المقبول كسر المألف أو «الابداع» فيما يتعلق بحدود الكلمات أو استعمال التقدير «النقربي» لمعاني الكلمات، كما أصبحت الأمانة هي القاعدة. وهذا يعني أن بعض الأمور التي قد تعدد ذات صلة أو دلالة بالنسبة لما نكتبه قد يتغير حذفها، وغالباً ما يعني هذا أننا لا نستطيع أن نروي «القصة بأكملها»، بل لا بد من تنفيتها بطريقة ما. وهذا الأمر حاصل

بالمشكلات المحتملة، إلا أنه يعني ، عادة أن علينا أن نسلم بأن القارئ لديه بعض المعرفة الأساسية عن موضوعنا. وبصفتك المؤلف ، يتوجب عليك أن تتحمل مسؤولية ما تدرجه في كتابتك وما تستبعده. كما أن هذا يعني أنه ينبغي عليك تعلم الكتابة «بإجاز».

كتاب المسودة

كتاب المسودة هي المرحلة التالية في كتابة أطروحتك الجامعية أو تقريرك البحثي . ومن المحتمل أن تقوم بكتابة مجموعة من المسودات ، لكن ينبغي عليك ، في الحد الأدنى ، أن تحرص على عمل مسودة أولى ومسودة نهائية . ومن المهم أن تذكر أن الوقت الذي تنفقه في كتابة المسودة (والذي يشبه إلى حد ما الوقت الذي ينفق في عملية التخطيط للبحث) لا يذهب سدى أبدا . لأن محصلة ذلك ستكون تقديم وثيقة أفضل ليس بها سوى عدد قليل من الأخطاء «السخيفة» .

المسودة الأولى

المفروض أن ينظر إلى المسودة الأولى باعتبارها المخطط التمهيدي الفصل للتقدير الذي لا بد أن تقدمه . ينبغي على المسودة الأولى أن تشتمل على :

- مقدمة : ذلك أن هذه المقدمة في هذه المرحلة قد تكون أساسية جدا ، إذ إنه من حسن التصرف غالبا أن تكتب مقدمتك النهائية بعد أن تفرغ من كتابة التقرير برمه ، حتى تستطيع وقتها أن تتأكد من أن عملك يقدم للقارئ ما وعد بتقادمه .
- وخاتمة : ذلك أن هذه الخاتمة - ونقول ذلك للمرة الثانية - قد تكون أساسية تماما .
- بنية التقرير : (بالنسبة للتقرير البحثي أو الرسالة الجامعية ، تتمثل هذه البنية في صورة قائمة بعناوين الفصول) .
- وجميع القضايا التي يتبعين أن تطرحها إن أمكن ، فاطرحها بالترتيب الذي يتبعين عليك أن تطرحها وفقا له .

ولكن ليس المقصود أن تكون المسودة الأولى هي الصياغة النهائية . فقد تكون لغتك غير مفهومة في تلك المرحلة ، أو قد تكون كتابتك مقصورة على مجموعة من الملاحظات التي يتبعين تنفيذها لظهورها بصورة دعوى لها حجة وبرهان ، ومناقشة ، وفقرات .

بحث

قواعد كتابة المسودات

افعل ما يلى:

- ابدأ كل قسم بجملة تقرر هدفه.
- عالج قضية أساسية واحدة في كل قسم.
- عالج القضايا الفرعية في فقرات مستقلة.
- وضع عملك باستعمال الأمثلة والمقتبسات والإحالة إلى المراجع بصورة ملائمة.
- احذر انتقال أفكار وأعمال الآخرين.
- كن متنبهاً لحدود الكلمات.

لا تفعل:

- لا تجعل أقسام التقرير بالغة التعقيد، التزم في كل مرة بقضية واحدة.
- انتقل بسلسلة من فكرة لأخرى: مستعملاً في ذلك الجمل والفقرات الرابطة.
- لا تصر على أفكار معينة بدون دليل.
- لا تدخل مادة جديدة للمرة الأولى في خاتمة البحث.

راجع المسودة

مع تقدم عملك وتطوره، ستصبح المسودة الأولى أكثر تفصيلاً وستصبح الفصول أو أقسام التقرير مستوفاة. لا تتردد في قراءة عملك عدة مرات (وإن استطعت، فاقع الآخرين بأن يقرؤوه أيضاً) ولا تتردد في إعادة الكتابة عند الضرورة.

يعمل الأفراد المختلفون خلال هذه المرحلة بطريق متباعدة، كما أن بالإمكان إلا توجد قاعدة ثابتة بشأن الطريقة «المثلث» للقيام بهذا العمل: فحاول أن تطور لنفسك أسلوباً في العمل يعود بالفائدة عليك. بجانب ذلك، إن حاولت أن تضع نصب عينيك أن هدفك هو الوصول لكتابه نص موجز (تذكر حدود الكلمات) يروى - مع إيجازه - أكبر قدر من القصة التي تريده روايتها، فستكون حينئذ ماضياً على المسار الصحيح.

حاول دائمًا أن تتيح لنفسك قدرًا كبيراً من الوقت لهذه المرحلة الخاصة بإعادة كتابة المسودة. إنه ليس كثيراً أن تستهلك الكتابة نفسها وقتاً طويلاً، بل الآخرى أنك تحتاج

لوقت تقضيه بعيداً عن نصك المكتوب لكي يبدو لك «جديداً» حين تنظر إليه مرة ثانية. وثمة مخاطرة هنا - والتي يبدو أنها أصبحت أخطر من ذي قبل مع استعمال الموسوب - وهى أننا نرى أمامنا على شاشة الحاسب ما نتوقع أن نراه، وليس ما هو موجود في الواقع. فاقض، إذن، بعض الوقت بعيداً عن عملك، وربما يكون لديك مهام أخرى يتبعين عليك أداؤها على أية حال. ثم عدوأنت منتعش وأعد تسويد التقرير مرة ثانية! ينبغي أن تحاول التفكير في أسلوب كتابتك طوال الوقت، وأن تقارنه بالأعمال الأخرى التي كتبها والأعمال التي سبق لك قراءتها. هل يتمسّك أسلوب كتابتك بنفس الوضوح؟ وهل هو ذو طابع أكاديمي مثلها؟ وهل إخراجك للعمل تم في أفضل صورة يمكن أن يكون عليها؟ إن هذه العملية الخاصة بمراجعة مسودتك تُفضي إلى المرحلة النهائية التي نسميها مرحلة «النشر». ولكن المرحلة النهائية، بالنسبة لمعظم الطلبة، هي في الواقع تقديم العمل لأساتذتك لتقييمه والحكم عليه.

عندما تكون الكتابة عسيرة

أحياناً ما تكون الكتابة شاقة فعلاً، كما قد ترى أحياناً أن إتمامها أمر عسير. وهو أمر يحدث للكتاب المحترفين الذين يسمونه «عثرة الكاتب»، لذلك ليس من العجيب جداً أن يكون هذا الأمر مشكلة واسعة الانتشار. ولكل امرئ طريقته الشخصية في القيام بعمله، ولهذا السبب تجود الاستراتيجيات المختلفة للأفراد المختلفين. يمكن لبعض القضايا التي تظهر أن تعالج بطريقة سهلة تماماً - في حين يتذرع ذلك بالنسبة لقضايا أخرى.

الجدول رقم (2-1): عندما تكون الكتابة عسيرة - مشكلات وحلول مقترنة

عندما تكون الكتابة عسيرة		
المشكلة	السبب المحتمل	الحل
لا يوجد وقت كاف	الحياة الدراسية كثيرة المتطلبات، وتوجد أمور كثيرة يتبعن القيام بها؛ تحقيق التوازن بين الجامعة/والمنزل / ووقت الفراغ أمر عسير.	<ul style="list-style-type: none"> ● إدارة الوقت. ● استخدم بعض وقت فراغك في الكتابة. ● اشرح للعائلة والأصدقاء أن هذا المشروع مهم بالنسبة لك، وعودهم أن يتفهموا الأمر على حقيقته وألا يطالبوك بأشياء عندما تكون غير قادر على تلبيتها.

<ul style="list-style-type: none"> • أقرأ كميات كبيرة من الأساليب المختلفة. • فكر في الأسلوب عندما تقرأ بحيث يمكنك أن تبدأ في فهم كل من هذا الأسلوب والاصطلاحات المرتبطة به. 	<p>أنت لتألف إلا نوع الكتابة المستخدم في الدراسة أو العمل.</p>	<p>وجود صعوبة في الأساليب المختلفة في الكتابة (وفي الكتابة الأكاديمية عادة)</p>
<ul style="list-style-type: none"> • أقرأ وتعلم. • اكتب فقرات قصيرة وطور تقنيات لربطها معاً لتكون منها فقرات طويلة. • قسم العمل إلى وحدات ذات أحجام تسمح لك بالتعامل مع بصورة أيسر. 	<ul style="list-style-type: none"> • قد تكون أكثر تعوداً على التواصل الفردي أو المباشر وجهاً لوجه. • لم تتح لك فرص كثيرة لكتابتك من أجل مناقشة رأي أو تبريره. • عدم الألفة والاعتياض على الكتابة بلغة فصيحة. 	<p>أنت غير معتاد على كتابة الأعمال الطويلة.</p>

إن كنت قد اتبعت «القواعد» التي بناها بعالیه، فستكون معظم مشكلاتك - حينئذ - قد تبددت. ستكون مهيناً للكتابة بشكل جيد، كما أنه ستكون قد وضع خطرك بطريقة ملائمة. ومع ذلك، فإننا نرى أن أشد مصاعب الكتابة لم يظهر بعد. فعندما تواجه بشاشة حاسب فارغة (أو بقطعة ورق فارغة) فقد يبدو هذا الأمر مثبطاً للهمة تماماً.

ليس مما الالتزام بترتيب كمرين في كتابة الأجزاء المختلفة لعملك (مادام أن بإمكانك الربط بينها في كيان كلٍ مترابط منطقياً في النهاية) وبالتالي تكون إحدى الاستراتيجيات أن تكتفى باستخراج «عنوانين» الأقسام المختلفة من خطرك (الملقدمة، والخاتمة، وما إلى ذلك) وأن تكتبهما أعلى مجموعة من الصفحات البيضاء. بعد هذا، لن يزيد الأمر عن «ملء الفراغات»، بأن تقوم بكتابة ملاحظاتك وأفكارك داخل هذه الفراغات ومع ذلك قد لا تكون هذه الاستراتيجية بالأمر اليسير فإنها تؤتى ثمرتها لكثير من الأفراد. فإن لم تنجح معك هذه الاستراتيجية، فلا بد إذاً أن تعثر على الشيء الذي يعمل لصالحك. تحدث مع المشرف على بحثك ومع أقرانك ومع من تعرف عن ما هي استراتيجية الكتابة التي نجحت معهم، لعلك تستطيع تتعديلها بحيث تصلح لاستخدامك أنت.

أيا ما كان العمل الذي تقوم به، فحاول التحكم في وقتك. فإن لم تفعل فستظل تحاول دائمًا الظفر بنتيجة ليست موقفة أو مثمرة.

التقارير

من المحتمل أنك ستكتب قدرًا كبيرا من التقارير أثناء حياتك المهنية. وتدور كل التقارير، بشكل ما ، حول البحث (أو ، على الأقل ، حول نتائج البحث).

ولعل أول شيء يتعين تحديده هو سبب إعداد أي تقرير. فالتقارير مختلفة قليلا عن الأنواع الأخرى من الكتابة التي قد تقوم بها وأنت تدرس في الجامعة أو الكلية. ورغم أن لها بناء شديد الوضوح يعد ، في الظاهر على الأقل ، شبها للغاية ببناء المقالة ، فإن هدفها ذو طابع تخصصي تماما . ذلك أن أهم هدف للتقرير هو أنه من المفترض أن ينقل المعلومات إلى قارئك بأسرع ما يمكن بالشكل أو القالب الأكثر تناسبا .

ولماذا نعد التقرير؟

يمكن أن تتعدد الأسباب الدافعة إلى إعداد التقارير . فقد يراد بها ، مثلا:

- التزويد بالمعلومات .
- الإقناع .
- تقديم التوصيات .
- التحفيز .
- إحداث التأثير .
- إثارة النقاش (أو الإسهام فيه) .
- التسجيل .
- التعليم والتوجيه .

وقد تحاول التقارير أيضا القيام بأمور أشد تعقيدا من ذلك ، كتغيير الاتجاهات مثلا . (هذه العوامل لا ينافي بعضها بعض ، فقد يكون التقرير متعدد الوظائف).

ما أهم ما يراعى عند كتابة التقرير؟

إنه الجمهور دائمًا . قد تبدو هذه الإجابة كما لو كان محتوى التقرير لا أهمية له ، ولكنه بطبيعة الأمر ، له أهميته . على أنه إن لم يدرك القارئ محتوى التقرير ، أو إن لم تكن الرسالة موجهة توجيها ملائما ، فسيكون الأمر مجرد مضيعة للوقت !

ما الذى يصنع تقريراً جيداً؟
ينبغي أن يكون التقرير:

- موجزاً: إن شيئاً يبدو من السهل قراءته سوف يلقى قبولاً حسناً. ولكن الإسهاب - إن حدث - فيجب أن يكون ملائماً. المهم أن يجعل تقريرك محكماً.
- واضحاً: فلا بد أن يكون الجمهور قادرًا على فهمه (ولابد للتقرير أن يستعمل لغة ملائمة وأن تكون بنيته واضحة - أي يكون تقريراً لا يجعلك تشعر بالغباء).
- دقيقاً: ينبغي للتقرير أن يقول ما لا بد من قوله - ولازيد عليه.
- بسيطاً: ينبغي للتقرير أن يتتجنب التعقيد الذي لا ضرورة له؟
- ذاتية جيدة: بحيث يتقدم بصورة منطقية خلال تابع واضح، وبأسلوب مقبول في التعامل مع هذه الرسالة.
- وصفياً: إن كان من اللازم أن ترسم صورة (وكم من التقارير يفعل ذلك)، فيجب أن يكون ذلك بأسلوب قادر على نقل هذه «الصور» إلى جمهورك.
- مختطاً: (ومسوداً، ومعاد تسويده).

كل هذه العوامل تتضافر لتجعل التقرير أسهل في قراءته - إن استطعت أن تثبت أنك بذلت وقتاً وجهداً في جعل القارئ أسهل ، فما أحسن ذلك.

بحث

تخطيط تقريرك

- 1 - وضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يترجح أن يقرؤوا تقريرك .
- 2 - وضع قائمة بما يمكن أن يتوقعه كل واحد منهم من هذا التقرير .
- 3 - هل تستطيع أن تنجز هذه المهمة في وثيقة واحدة؟

المنظور الفكري للقراء

نحن لا نغالى في التوكيد على أهمية مراعاة المنظور الفكري للقراء . فهم الأفراد الذين سيحكمون على قيمة تقريرك (وربما يكونون أيضاً الأفراد الذين يتحكمون في تمويل بحوثك أو في مستقبلك!). حاول أن تكتشف كيف يفكرون ، وكيف يرون موضوع هذا التقرير ، وما هي خبرتهم بالقضايا ذات الصلة وكيف سيكون رد فعلهم

المحتمل. إن استطعت وقتها أن تراعي هذه الاعتبارات عند كتابة تقريرك فستفادى كتابة تقرير مثير للضجر ومكتوب بلغة طنانة، لدينا جميعاً فكرة كافية عنها.

إن تركيزك على احتياجاتك واتجاهات القراء لن يقتصر أثره على توضيح قضيائاك للأخرين، بل سيمكنك أيضاً من إثراز فهم أفضل لمادتك؛ فلا توجد طريقة تفهم بها عملك الشخصي، أفضل من جعله مفهوماً للآخرين؟

حشيش

أسئلة تتعلق بـ تقريرك

املاً الفراغات التي في هذا التمرين واستخدم المعلومات المذكورة فيه لمساعدتك على هيكلة بنية تقريرك.

- ١- من أي نوع من الناس يتكون جمهورك؟ (مثال ذلك: هل هم ذكور/أم أناث، شباب/أم مسنون ، مدیرون أم أصحاب مهن - كالاطباء والمحامين آخره).

2 - ما مدى جودة معرفتك بهم؟

3 - هل هم من يعملون بالعد والحساب بصفة خاصة (كالمحاسبين مثلا) أم أنهم يفضلون الكلمات والصور (فقد يكونون مدرسين)؟

٤- ما الذي يعرفونه عن القضية التي تقدم تقريراً عنها؟

5 - هل من المرجح أن يرحبوا بتقريرك؟

6 - هل لهم ارتباط شخصى بتقريرك (وهل من المحتمل أن يكون لديهم هدف شخصى حملهم على الاهتمام به)؟

7 - ما مدى أهمية هذا التقرير ؟

8 - هل من الرا�ح أن يتسبب تقريرك فى جعلهم يشروعون فى عمل أو يتذذلون قرارات معينة؟

إن استطعت أن تقدم إجابات على تلك الأسئلة، فأنت إذن تعرف الكثير عن أهم جزء في بحثك - وهو جمهورك!

من هم جمهور تقريرك؟

نقدم فيما بعد تصوّراً لقائمة موجزة بأسئلة نوجّهها إليك لنفكّر فيها عند كتابة تقريرك:

1 - لم يوجه هذا التقرير (من هم جمهورك)؟ في العادة، تكون الإجابة عن هذا السؤال هي : «هم الأفراد الذين كلفوني (أو دفعوا إلى أجرى) لأعد هذا التقرير»، أو، في حالة تقديمها في الجامعة فإن الجمهور هو «الفرد الذي أُسند إلى هذا التكليف الدراسي»، وهو الذي سيتولى إعطاء الدرجة التي يستحقها عملي». وأيا ما كان الأمر، فإننا نأمل أن تبذل قدرًا من التفكير الدقيق فيما يتصل بالجمهور من قضايا، قدمناها في هذا الفصل وفي أماكن أخرى من هذا الكتاب.

2 - هل هذا الجمهور جماعة متاجنة أم أنه من الضروري أن تفي باحتياجات متعددة؟ نادرًا ما يتألف أي جمهور من جماعات من الأفراد الذين سيستجيبون بطريقة ينمّي فيها كل واحد مع الآخرين . فحاول أن تأخذ هذا الاعتبار في حسابك عند تحديد الطريقة التي سوف تتبعها في تصميم تقريرك . من ذلك مثلاً: هل سيسجيب جمهورك بصورة طيبة للأشكال والرسوم البيانية، أم أنهم يفضلون جداول الأرقام؟ لعلك ستحتاج إلى الطريقيتين معاً.

3 - لماذا يحتاج هذا الجمهور إلى تقريرك؟ لو أنه طلب منك أن تقدم تقريراً، فمن الرا�ح جداً، في هذه الحالة، أن من طلب منك تقديمها، أيها من كان هو، يحتاج إلى هذه المعلومات من أجل غرض محدد . حاول التأكد من أنك تدرك حقيقة تلك الحاجة ومن أنك تفهم تماماً أي تعليمات أو أي توجيه أساسى مطلوب مراعاته.

4 - ما نوع الأمور التي يرغبون في سمعها؟ وما الذي سوف لن يرغيبا في سمعه؟ لا يحب أحد سمع الأخبار السيئة. ولكن للأسف الشديد، قد تكون هذه الأخبار هي ما يعرضه تقريرك. سيلزمك أن تفكر بحرص في معالجة عيوب تقريرك لكي يكون مقبولاً (إذا يمكنك، مثلاً، أن تعطي انطباعاً بأن رئيس جامعتك سيلومك على النتائج السيئة إن كان من المستبعد أن تلقى قبولاً حسناً، حتى لو كانت صحيحة!).

5 - ما مقدار التفصيل المطلوب؟ التقارير خلاصات أو مختصرات (رغم أنها تحتوى أحياناً على كل البيانات). يلزمك أن تقرر مدى التفصيل الذي سيكون مفيداً لجمهورك عندما يتذمرون قرارهم بالنسبة للمستقبل أو أي شيء يرغبون في القيام به (انظر البند 3 أعلاه).

بنية التقرير

لتقرير، شأنه شأن كثير من موضوعات الكتابة، ثلاثة أقسام فقط:

- 1 - البداية
- 2 - الوسط
- 3 - النهاية

لا ريب أن هذا إفراط في تبسيط الأمور، ولكنه يمكن أن يكون دليلاً للبنية الأساسية للتقرير.

المثال (1-2)

كيف تخطط بنية التقرير

البداية	أين نحن الآن.
الوسط	1 - الكتابات السابقة ، طرق البحث ، النتائج ، إلخ.
النهاية	2 - الاحتمالات المختلفة بالنسبة للمستقبل.
	الخاتمة / التوصيات .

الشكل رقم (2-2): بنية التقرير

تدور «البداية» حول تقديم وصف دقيق للخلفية / أو السياق الخاص بهذا التقرير. قد يلزمك أن تفسر سبب قيامك بإعداد هذا التقرير الآن، أو سبب كون هذه القضية مهمة بما يكفي لمناقشتها. من المؤكد أنه يتعين عليك أن تبين من هي الجهة أو الشخص الذي

أSEND إليك إعداد هذا التقرير ولأى غرض . وأخيرا ، يتعين عليك أن تصف الوضع الحالى الذى تقدم تقريرا عنه.

ويعني قسم «الوسط» بالحاضر وينتسب من الوضع الراهن . من ذلك مثلاً أن تقريرك قد يقول : «إذا استمر هذا الوضع على ما هو عليه ، فإن الشركة ستفلس بحلول شهر ديسمبر وستكون جميعاً متعطلين». من شأن «الوسط» ، بطبيعة الأمر ، أن يكون مبنياً على نوع ما من استعراض الوضع الراهن . فقد يكون مبنياً على كتابات سابقة أو بحوث عن الواقع الحالى . من شأن «الوسط» أن يتبع ليشرح كيف خططت لجمع المعلومات بباقي أجزاء التقرير .

كما يعني «الوسط» بالمستقبل أيضا . فهو يقدم ما يترتب على بحثك وتحليلك من نتائج تؤثر على المستقبل ، كما أنه يصف ويناقش المسارات المحتملة للممارسات المتبقية (ويضع قائمة بما لهذه الممارسات من سمات جيدة أو سيئة) .

ينبغي أن تطرح «النهاية» الاختيار «الأمثل» المتأخر وتقدم أسباب تفضيله . سيعين على بعض التقارير أن تطرح عدداً من الاختيارات أو سلسلة متابعة من الاختيارات . ينبع على قسم «النهاية» أيضاً أن يعالج مسألة ما الذي يجب عمله ، ومن الذي يتعين عليه أن يضطلع بهذا العمل ، وما الذي يتطلبه العمل فيما يتصل بالموارد (المالية والبشرية مثلاً) .

كما قلنا سابقاً ، بعد التقرير - على نحو ما - ذا بنية تشبه بنية أي عمل آخر من أعمال الكتابة الرسمية . ومع ذلك ، يوجد نوعان من الاختلافات يستحقان تسليط الضوء عليهم .

المستخلص

تببدأ التقارير ، وبصفة تكاد تكون دائمة ، بمستخلص يمكن النظر إليه كمختصر موجز للتقرير بأكمله . في بعض الأحيان ، خاصة فيما يتصل بالتقارير الحكومية ، يعرف هذا المستخلص بأنه «مختصر تنفيذى» . يقوم المستخلص باختصار التقرير في حوالي 200 كلمة وينبغي أن يعطى القارئ ما يكفى من التفاصيل ليعرف ما الذي قام به التقرير من عمل وما الذي يوصى به .

الخاتمة

ستكون خاتمة التقرير ، وبصفة تكاد تكون دائمة ، أكبر حجماً من المختصر الذي نجده عادة في نهاية أي مقال . فالأرجح ، أنه سيوجد بالخاتمة توصية ما (قد تتعلق بالعمل المستقبلي ، أو التغييرات في السياسة ، أو بتثبيط زيادات في الإنفاق ، إلى آخره) وبعض مبررات اختيار هذه التوصية . يمكن النظر إلى هذا الأمر على أن يؤدى ثلاثة وظائف مستقلة :

- 1 - بلوغ الخاتمة وتقديمها و / أو التوصيات .
- 2 - اختصار المحتوى (وليس تقديم مادة جديدة) .
- 3 - الانتهاء بصورة إيجابية (إن استطعت ذلك) ، أو على الأقل الانتهاء المستند إلى حجة ، وليس مجرد الانسحاب بعيدا برفق .

عند كتابتك لخاتمة تقريرك ، يوجد فخان قد تقع فيهما ، ومن الممكن تحاشيهم بسهولة :

- الانتهاء الخادع : عندما تقول «في النهاية» أو «في الختام» فلا بد أن تعنى فعلًا ما تقول ! فلعلما توجد أشياء هي أكثر إحباطا للقارئ من التقارير التي لا تكون على بينة من هذا الأمر .
- توسيع نطاق بنية التقرير : لا تتجاوز نطاق ما قلت في المقدمة أنه سوف يحدث - فسيكون هذا التجاوز في كثير من الأحيان تكرارا أو انحرافا عن الموضوع الرئيسي .

الملحق

تحتوي معظم التقارير على ملحق . والملحق مستودعات للمعلومات التي تعد مهمة ، ولكنها ليست مهمة بما يكفي لأن تكون موجودة في صلب التقرير . مثال ذلك ، إذا كانت البيانات معروضة في صورة رسوم وأشكال بيانية ، فمن الملائم أن تدرج البيانات الرقمية الأصلية كملحق . ستوجد في بعض الأحيان أشياء أخرى ، ربما تكون استبيانات أو وثائق تفسيرية . أيًا ما كان الأمر ، فإن الملحق ليست الأوعية التي تضع فيها كل المعلومات التي تحب إدراجها في تقريرك إن لم يكن يوجد قيد على عدد كلماته . ومع ذلك ، فإنه ينبغي أن يكون تقريرك مفهوما بدون هذه الملحق .

إن كنت تستعمل الملحق بالفعل ، فتأكد من أنه يوجد في نص التقرير إحالات مناسبة تشير إليها .

عرضك للتقرير

قد يتوجب عليك أن تقدم عرضا لتقريرك ، وأحيانا يكون ذلك في نفس الوقت الذي سلمه فيه ، وأحيانا في وقت لاحق . إن قدر لتقريرك أن يحظى بالقبول (وهو أمر يمكن النظر إليه باعتباره فوزا بتقدير جيد) ، فإنه يلزمك أن تضع في ذهنك أمرين اثنين . عندما تقوم بقراءة تقريريك من أوله لآخره ، ولكن قبل أن ترسله لأى شخص سيقرؤه ، تأكد أولا من أنك :

- تقدم الدليل على ما تقول : اشرح كيف وصلت إلى نتائجك وكيف تبرر أي توصيات أو اقتراحات تقومك بطرحها . لن يكفى أن تبين أنك تعتقد أمرا ما أو تعطي ما يفيد ضمنا أن رأيك فيه الكفاية . لا تنس أنه ستوجد في أحيان كثيرة إحصائيات أو نتائج مستمدۃ من مصادر أخرى قد تعزز عملك .

- تتوعد الاعتراضات: لكتير من التقارير (وربما لمعظمها) نتائج سلبية بمثلك ما لها من نتائج إيجابية، تأكيد من أنك أوليت هذه النتائج كلها الاهتمام المناسب وأنك مستعد للإجابة على الأسئلة التي تطرح بشأنها عندما تظهر الحاجة لذلك. إن استعطفت (وكان قالب تقريرك يسمح بذلك) فحاول إدراج الإجابات على هذه الأسئلة في التقرير الأصلي.

بحثك

كيف تبني تقريرك؟

- حاول التأكيد من أن لتقريريك بناء منطقياً. حاول أن تحافظ على بساطة تقريرك بقدر ما تستطيع (وأضعاً في اعتبارك تعقد الموضوع وطبيعة الجمهور). كن على بينة من هيكل هذا التقرير. واتبع في كتابته تسلسلاً زمنياً إن كان ذلك مناسباً.
- استخدم أسلوب تحديد معالم الطريق (أو: أسلوب خريطة الطريق): تأكيد من أنك تعرف قراءك بمسار التقرير وهدفه (وماذا).
- استخدم العناوين: يعد استخدام العناوين (والعناوين الفرعية) في التقارير أمراً لا غنى عنه. فهي تعرف القارئ بالموضع الذي هو فيه وتساعد على تقسيم التقرير إلى أقسام يسهل استيعابها، وهو الأمر الذي من شأنه أن يجعل التقرير أكثر وضوحاً وأيسر فهماً.
- استخدم اللغة الملائمة – وهذا أمر مهم في كل مراحل العمل.
- استخدم فنون العرض البصري (الجرافiks) : فاستخدام الصور/ الجداول/ الأشكال الإيضاحية/ البراويز (وكذلك استخدام أطقم الحروف المطبوعة الغامقة اللون Bold ، والكبيرة الحجم ، ... إلخ) يرفع مستوى الوضوح ، كما أنه يقسم نص التقرير إلى أجزاء صغيرة و يجعله أيسر فهماً.

الرسائل العلمية الجامعية

ما الرسالة الجامعية؟

عندما نتكلم عن رسالة جامعية في هذا الكتاب ، فإننا نعني بصفة محددة رسالة جامعية قائمة على أساس البحث . ونحن لم يسبق لنا أن تناولنا بالدراسة موضوع «المقالة المطولة/ أو المسهبة» بصورة مستقلة ، وذلك لأن كلاً من الرسالة الجامعية والمقالة المطولة متشابهان تشابهاً كبيراً.

أيا ما كان العمل الذي تقوم به (أو الذي يطلب منك القيام به) فتأكد أنك تعرف وتفهم القواعد التي تفرضها كلية أو جامعتك قبل أن تبدأ العمل.

قد يكون من الأفضل أن تفك في الرسالة الجامعية كدراسة متعمقة لأى قضية أو موضوع من قضايا ومواضيعات العلم الاجتماعي (لك كل الحرية في إدخال تخصصك الشخصي هنا). غير أن اختيار الطالب للقضية التي يدرسها يمكن أن يمثل مشكلة له. ولكنك - مع ذلك - لن تكون مستقلًا بعملك، فسوف تفترض عليك كلية أو جامعتك أو الأستاذ الذي سيتولى الإشراف عليك (سوف تتحدث عن ذلك لاحقًا). ونحن نوصي - فعلاً - أن تختار قضية يكون لديك القدرة على دراستها ويكون من الراجح أن تستثير باهتمامك بشكل مستمر على امتداد العام.

كيفية اختيار موضوع الرسالة الجامعية؟

ليس بإمكاننا وضع قائمة بكل الموضوعات التي يمكن لطلبة العلوم الاجتماعية أن يختاروا منها ما يدرسوه في رسائلهم الجامعية. على أية حال، فإن من شأن هذه القائمة أن تتغير من عام لآخر نظراً لأن ثمة قضايا مختلفة قد تفرض نفسها على الساحة. نريد أن نشير إلى أن الرسائل الجامعية تدرج في عدد من التصنيفات المختلفة، وذلك بصرف النظر عن «فرع التخصص العلمي» الذي تتنمي إليه (هل هو: علم الاجتماع، أم العلم السياسي، أم السياسة الاجتماعية، إلى آخره)، ومن أمثلة هذه التصنيفات:

- التصنيف التاريخي.
- التصنيف النظري (المتعلق بالنظريات الفكرية).
- التصنيف السياسي (معنى السياسة القومية / أو الدولية وليس بمعنى العلم السياسي الذي من شأنه أن يكون مجال التخصص العلمي).
- التصنيف القرمي.
- التصنيف الدولي / المقارن / العالمي.
- التصنيف تبعاً لقضايا الفكر المعاصر محل الاختلاف.
- التصنيف المحلي.

والواقع أن هذا التصنيف يعد مفرطاً في التبسيط قليلاً، إذ إن بالإمكان أن تتنمي رسالة جامعية إلى أكثر من فئة من فئات هذا التصنيف: ونحن نرى أن هذا أمر مفيد، رغم ذلك. كما يمكن أن يكون الحديث مع الآخرين مفيداً في هذه المرحلة. فبإمكانه أن يكون عملية مفيدة في تعريف الآخرين بما يشير اهتمامك في مشروعك - فإن أثار هذا الأمر اهتمامهم، فلعله سيكون اختياراً سليماً حينئذ! وعلى أية حال، فإن قيامك بتوسيع

عملياتك الفكرية بطريقة يستطيع شخص آخر أن يفهمها يعد شيئاً مفيداً في كل الأحوال.

«تنفيذ» رسالتك الجامعية

من العسير دائمًا أن تبدأ أي مشروع . المرحلة الأولى هي أن يكون لديك فكرة ، ولكن لا بد بعد ذلك أن تقرر أفضل طريقة للمضي قدماً في العمل.

يبدأ معظم طلاب الدراسات العليا في هذه المرحلة بالقراءة عن موضوعهم (فصل 2 باب 2) ، وهذه القراءة مفيدة في كثير من الأحيان كذلك ، ولكنك في الواقع لا بد أن تكون على وعي بتوجهك الأساسي . وإنك قد لا تنتفع بوجهك أفضل انتفاع .

ومن الطرق الأخرى للبدء في العمل أن تشرع في صياغة سؤال بحثك . فتوافر سؤال للبحث يعد أمراً حيوياً لا غنى عنه للرسالة الجامعية الناجحة . وبطبيعة الأمر ، قد يكون هذا السؤال - في بداية العمل - ذا طابع عام إلى حد ما ، بل قد يكون غامضاً . فربما تريده أن تقدم بحثاً عن «نساء الطبقة العاملة في مجال التعليم» . إنه موضوع لافت للنظر ، ولكنك لا بد أن تكون قادراً على أن تطرح سؤالاً أكثر تفصيلاً وصراحة عن هذا الموضوع (وأضعافاً في اعتبارك أن الرسالة الجامعية التي يقدمها الطالب للحصول على الدرجة لا بد أن تكون ذات نطاق محدد ، وأن الوقت المتاح لك لإنجاز كل هذا العمل قصير نسبياً) وهكذا ، سيلزمك أن تبلور سؤال بحثك (فصل 4 باب 1) بحيث يكون :

1 - ذا صلة بما تريده أن تكتشفه .

2 - وأن يكون بالإمكان معالجته: أعني بذلك أنك تستطيع الوصول إلى مجتمع بحثك ، وتتوافر لك كتابات سابقة يمكن الوصول إليها ، ولا توجد مشكلات أخلاقية تستعصى على الحل ، كما أنك تكون على علم ومعرفة كافية بمناهج البحث المناسبة ، إلى آخره (الأبواب: الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع).

3 - وألا يكون مفرطاً في التحدى . إنك تكتب رسالة جامعية ، ولا تكتب رسالة دكتوراة فلسفية . ومهما بذلت من جهد شاق ، فلن تكون قادراً على رواية القصة كاملة (انظر فقرة «حدود الكلمات» أعلاه) لموضوع رسالتك (الواقع أن معظم رسائل دكتوراة الفلسفة لا تتمكن هي الأخرى من تحقيق ذلك الهدف).

4 - وأن يكون بالإمكان الإجابة عليه (في نطاق الوقت المتاح وباستعمال الموارد المتاحة). فكن حذراً من أن تستخف بشأن الوقت الذي سيستغرقه منك أداء هذا العمل؛ ونقترح هنا أن تضع جدولًا زمنياً (يبدأ بتاريخ تقديم الرسالة ثم يعود راجعاً إلى يومك هذا) وابذل أقصى جهدك في الالتزام به . لا تنس أنه سيكون لديك عمل آخر يتبع عليك أداؤه !

اختيار منهجية البحث / طرق البحث

لابد أن تسترشد عملية اختيار منهجية البحث وطرق جمع البيانات بطبيعة سؤال بحثك (فصل 4، باب 2).

الإشراف

تقوم معظم الجامعات والكليات بتحديد مشرفين على الرسائل الجامعية. ويكون هذا المشرف ، في العادة ، أحد أعضاء هيئة التدريس الأكاديمية وله اهتمام أو خبرة بمجال البحث الذي اخترته . ينبغي عليك أن تستفيد بشرفك بأكبر قدر يتاح لك ، لأن المشرفين يمثلون مصدرًا نافعاً من مصادر الخبرة.

ويتلخص دور المشرفين في أن :

- ينصحوك فيما يتصل بجدوى مشروعك ويساعدوك في اختيار منهجية بحث مناسبة ،
- يوجهوك نحو الدراسات السابقة المناسبة لموضوعك .
- ويبذلون لك النصائح فيما يتعلق بتصميم عملية جمع بيانات بحثك ، وباستراتيجيات التحليل .
- ويناقشوا معك بنية الرسالة ونظام عرض المادة .
- ويعلقو على مسودات فصولك وأنت تكتبها (الطريقة التي يتم بها ستعتمد على القواعد المتبعة في مؤسستك التعليمية ، في بعض المشرفين لا يطعون إلا على مسودة مستوفاة ، وغيرهم لا يطعون إلا على فصول مختارة ، فراجع القواعد المتبعة في مؤسستك العلمية).

بنية الرسالة الجامعية

- إجراءات تمهيدية
- صفحة العنوان : والتى ينبغي أن تحتوى على :
 - عنوان الرسالة .
- بيان عن شخصية الطالب (قد يكون رقمك الطالبى أو اسمك ، راجع الضوابط الخاصة بالرسائل فى كليةك).
- البرنامج الدراسي لدرجتك العلمية (إن كان لازماً).
- قسمك العلمي / مدرستك العالية / الكلية التي تدرس فيها .
- السنة .
- المستخلص : والذى يكون في العادة في حدود 250 كلمة (ولكن راجع القواعد الخاصة بالرسائل في كليةك) وينبغي أن يشمل:
 - معلومات عن الموضوع .
 - معلومات عما قمت بعمله لبحث هذا الموضوع .

- النتائج الأساسية والخاتمة.
- الشكر والتقدير : (وهو إجراء اختياري عادة)؛ فرصة لكتابه جمل شخصية، قد تشكر فيها من يساعدوك ووقفوا بجانبك ، أو تقول فيها لماذا قررت الاضطلاع بهذا العمل.
- المحتويات: ينبغي أن تكون المحتويات في صورة قائمة تفصيلية بالمحتويات (أى : بالفصول والأبواب) تبين أمام كل منها أرقام الصفحات. من المعتمد أن يتضمن فهرس المحتويات صفحات مستقلة لبيان صفحات ورود الأشكال والجداول.
- المتن الرئيسي للرسالة: سوف تعتمد الطريقة التي يتم بها تنظيم هذا المتن - تحديداً - على نوع المشروع الذي قمت به ، وتعتمد بصفة خاصة على أنواع الكتابات السابقة التي انتفع بها والبيانات التي جمعتها وحلتها. وقد قدمنا أدناه قائمة «نطبية» بالعناوين الرئيسية للفصول.
- المقدمة: تحتوى هذه المقدمة على تفصيلات عن طبيعة رسالتك ، والقضايا التي تقوم بمعالجتها وتحتوى على «إرشادات» تعرف القارئ بما هو موجود في كل فصل.
- استعراض التراث العلمي في الموضوع : (انظر فصل 2 باب 2).

بحث

لاتنس سؤال (أو أسئلة) البحث

في مرحلة ما ، يلزمك أن تورد أسئلة بحثك بوضوح . أما التحديد الدقيق للمكان الذي تذكر فيه هذه الأسئلة فليس واضحاً على الدوام ، كما يمكن أن يختلف باختلاف الرسائل . وأياً ما كان الأمر ، فإننا نوصي بقوة أن ينفذ هذا الأمر قبل أن تجاوز هذه المرحلة .

- منهجية البحث وطرق جمع البيانات: نوع من مناقشة ووصف (وتبرير اختيار) منهجية البحث هذه وطرق جمع البيانات ، وتفاصيل عن مجتمع بحثك وعينتك ، ومناقشة لاستراتيجية التحليل التي ستستخدمها في معالجة بياناتك؛ ومناقشة للقضايا الأخلاقية.
- النتائج : هي أساساً ما قمت بإنجازه في البحث وما اكتشفته. يمكن أن تكون النتائج مجرد عرض للبيانات إلا أنها ينبغي أن تحتوى على قدر من المناقشة. ويمكن أن تحتوى على رسوم وصور بيانية ، كما قد تحتوى على صور فوتوغرافية أو حتى ملفات سمعية ومقاطع فيديو .
- المناقشة: ما تعنيه نتائجك ودلائلها.
- الخاتمة: هذه فرصة لك لتقديم الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك . ربما ينبغي عليك

أيضاً، على سبيل المثال، أن تذكر كيف يمكن الاستفادة من هذه الإجابة في تقدم مقتراحات لرسم سياسة جديدة أو، ربما يستفاد من الإجابة في الحث على إحداث تغييرات في الممارسة أو في صياغة النظرية. أيا ما كان الأمر ، فسيعتمد كل هذا على طبيعة مشروعك.

- الملحق : مجموعة من المواد التي تعد ذات صلة بمشروعك ، ولكنها تكون في شكل غير ملائم لإدراجها في المتن الرئيسي للرسالة (وعادة ما يكون سبب ذلك أنها مفرطة في الطول أو مفرطة في التفاصيل) ليست الملحق مكاناً لوضع المادة التي لم يوجد لها مكان في المتن الرئيسي . والمفترض - نموذجياً - أن تكون الملحق عبارة عن :
 - عينة من الاستبيانات.
- هيئة من نماذج أو استمرارات الموافقة على الاشتراك في البحث.
- جداول بيانات تفصيلية (خاصة إذا كنت قد عرضت مثل هذه البيانات في شكل رسوم بيانية في مكان آخر).
- مقططفات من الوثائق المتعلقة ببعض السياسات الاجتماعية.
- مثلاً لبيانات تم جمعها (قد تكون صورة مدونة لأحدى المقابلات وما جرى فيها من حوار ، أو قد تكون استبياناً استوفى المستجيب ملء بياناته).
- أي شيء آخر لا بد من إدراجه ولكن لم يكن مناسباً وضعه في المتن الرئيسي.
- المراجع : قائمة كاملة بكل مراجع المادة التي ذكرتها وكذلك مراجع المواد الأخرى التي استفدت بأفكارها ، وليس بشواهدها (أى: وليس بما أخذته منها من جمل أو فقرات على سبيل الاستشهاد بها). س يوجد لدى مؤسستك العلمية قواعد تحدد أي الأنظمة المختلفة للإحالات إلى المراجع يجب استعمالها ، تأكيد من أنك تفهم هذه القواعد على وجه صحيح . (تفرق بعض المؤسسات العلمية بين «المراجع» references و«الببليوغرافيا» bibliography ، وبعضها لا يفعل ذلك . ومن الناحية الفنية تعد «المراجع» references هي الشواهد المقتبسة وغيرها من المادة التي ورد ذكرها فعلًا في عملك . أما الببليوغرافيا فيمكن النظر إليها على أنها كل الأعمال الأخرى التي أثرت تفكيرك ، ولكنك لم تذكرها بالاسم).

ما الإحالة (إلى المراجع)؟

الإحالة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة:

- 1 - فهى تبين من أين حصلت على أفكارك وشوأهذك المقتبسة، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت، أى إنك لم تتحل عمل غيرك.
- 2 - وهى نتيج للقارئ أن يتابع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب في ذلك) وأن يتتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة.
- 3 - وهى تظهر أنك تعلمت كيف تتفق بأعمال غيرك في بلورة أفكارك وإجاباتك.

المثال (2-2)

الإحالة (إلى المراجع)

تقوم كل المراجع بـأداء نفس العمل: فهى تقدم معلومات مفصلة عن مصدر المادة الأصلية؛ وتشتمل بيانات كل مرجع على: اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان العمل، ومكان النشر، وجهة النشر (أحياناً، وكما يحدث مثلاً عند الإحالة إلى المجلات العلمية، فإن أرقام الصفحات يتبعن إدراجها).

يوجد عدد كبير من النظم المختلفة للإحالة للمراجع، ويتعين عليك استخدام النظام المعتمد من مؤسستك العلمية. ويلاحظ - على سبيل المثال - أن الإحالة إلى أحد المراجع في النظام المعتمد في جامعة هارفارد (وهو المفضل لدينا) ستبدو على النحو التالي: ديكين . إن . فاينر . - جونز ، سى . وماتيوز ، بي (2004) الرعاية الاجتماعية والدولة ، مفاهيم نقدية في علم السياسة ، لندن ، روتلوج .

التقدير

لكل جامعة ولكل كلية طريقة مختلفة في تقدير الرسائل الجامعية، إلا أن هذه المعلومات ينبغي أن تكون متاحة لك بسهولة. تأكد من أنك قرأت هذه المعلومات قبل أن تشرع في الكتابة حتى لا تستبعد بسبب وجود متطلبات غير معتادة. إن قراءة الإرشادات الخاصة بتقدير الرسائل هي أيضاً طريقة جيدة لمعرفة ما هو متوقع منك.

تحذير آخر : الاتتحال

الاتتحال (انظر قائمة المصطلحات) ، ببساطة ، هو استخدام عمل شخص آخر وتقديمه كما لو كان عملك أنت (أى بدون الإحاله إليه ، أو ذكره صراحة) وهو ، في أقل تقدير ، ترفضه بشدة كل المؤسسات الجامعية ، كما أنه يجلب عليك في أحيان كثيرة عقوبات جسيمة إن اكتشف أمرك . (إن الاستعمال المتزايد لبرامج الحاسوب ذات المستوى الرفيع في اكتشاف الاتتحال يجعل اكتشافه وفضحه أكثر وأكثر رجحانًا) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن الاتتحال لا يقتصر على استخدام عبارات شخص آخر بدون الاعتراف بالمصدر ، ولكنه يشمل كذلك على الأمور الآتية (ما أوردناه مجرد نماذج ، فهذه ليست قائمة كاملة) :

- استخدام نص سبق نشره استخداما حرفيا (كلمة كلمة).
- الإعادة الدقيقة لصياغة كلمات أحد النصوص (وعادة ما يكون كتابا ، أو مجلة علمية ، أو ملاحظات على إحدى المحاضرات) .
- قص ولصق النص من مواضع متفرقة مما ينشر على الإنترنت .
- نسخ عمل طالب آخر .
- استعمال أفكار قرأت عنها ، ولكنك لا تورد ذكر الم الدرها الأصلى .
- استخدام عبارة أو اقتباس جميل اكتشفته أو تعلمتها في مكان ما ، ولكنك لا تقول أين اكتشفته أو علمت به .
- استخدام الصور الفوتوغرافية ، والرسوم والأشكال البيانية ، إلى آخره ، التي وجدتها (أو حملتها على حاسبك) بدون تصريح يسمح لك بذلك أو بدون الاعتراف بمصدر هذه المادة.

بحث

نقط أساسية للتقرير

- لكل تقرير جيد أهداف واضحة .
- المنظور الفكرى للقارئ أهم من المنظور الفكرى للكاتب .
- لا بد من وجود بداية ، ووسط ، ونهاية .
- لا بد من وجود بناء واضح ومنطقى للحجج المستخدمة أو المناقشات المعروضة .
- لا بد أن يكون من السهل قراءته وفهمه .

- الاتصال أمر خطير بحكم طبيعته التي لا تنفك عنه ، لذلك عليك أن تفكر في تحقيق التواصل بوضوح .
- لن يحقق تقريرك غايته إلا إذا كنت أنت على بينة من هدفه .
- الجمهور هو أهم شيء !
- لا تكتب شيئاً مما لا ينتمي إلى نوعية التقارير العلمية .

فكرة في هذا الموضوع

اللغة الموجزة

اكتب شيئاً معقداً و مطيناً ثم أعد تحريره في صورة بسيطة و مختصرة تقول نفس الشيء .

المثال رقم (2-2)

هل الكتابة المعقدة هي الأفضل دائمًا؟

[الترجمات إلى لغة سهلة بين الأقواس]

- 1 - إنني لأرغب في أن أهندكم جميعاً على مهمة أنجذت بنجاح [أحسنت صنعاً].
- 2 - إن تشغيل هذه المعدة يمكن إحداثه عن طريق الضغط الرقمي على زر الضغط المناسب [اضغط لبدء التشغيل].
- 3 - أرجوكم أن تكون منتبهاً إلى أنه محفوف بالمخاطر أن تقترب من الحدود الخارجية للحفرة [خطر! ارجع!]

فكرة في هذا الموضوع . . .

استيعاب التنوع في الكتابة (الإجابات المقترحة)

- 1 - الناس بصورة عامة .
- 2 - السيطرة .
- 3 - ضابط الشرطة .

- 4 - تذكر أنه توجد أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .
- 5 - الأسلاف .
- 6 - يصلح لخاطبة الأفراد القادمين من الهند : أما بالنسبة لأمريكا الشمالية ادخل في اعتبارك الأمريكيين الأصليين الموجودين قبل اكتشاف أمريكا (في الولايات المتحدة) والشعوب الأولى والأقدم (في كندا) .
- 7 - المصنوع ، والصناعي .

بحث

اختبار جودة البحث : الكتابة الموجزة الموقفة

- هل عالجت القضايا بطريقة ملائمة (أو أجبت على السؤال)؟
- هل بنية تقريرك واضحة ومتراقبة منطقياً؟
- هل استخدمت علامات إرشادية لإيضاح أجزاء التقرير؟
- هل كتابتك واضحة؟
- هل قواعد النحو والتهجئة عندك سليمة؟
- هل أسلوبك مناسب؟
- هل تذكرةت جمهورك؟
- هل تفاصيل الرطانة؟
- هل كنت موجزاً؟
- هل حررت تقريرك وراجعت كتابه مسودتك؟
- هل اعتنيت بعرض تقريرك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bell, J. and Opie, C. (2002) *Learning from Research: Getting More from your Data – A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.
- Crème, P. and Lea, M.R. (2003) *Writing at University: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.
- Cuba, L. and Cocking, J. (1997) *How to Write about the Social Sciences*, Harlow: Longman.
- Cutts, M. (1995) *The Plain English Guide: How to Write Clearly and Communicate Better*, London: QPD.
- Doherty, P. (2006) Problems with apostrophes, available online at www.eng-lang.co.uk/apostrophes.htm (accessed on 21 August 2009)
- Fairburn, G.J. and Winch, C. (2000) *Reading, Writing and Reasoning: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.
- Forsyth, P. (1997) *How to Be Better at Writing Reports and Proposals*, London: The Industrial Society.
- Hartley, P. and Bruckman, C. G. (2002) *Business Communication*, London: Routledge.
- Joseph, A. (1998) *Put It In Writing: Learn How to Write Clearly, Quickly and Persuasively*, New York: McGraw-Hill.
- Lauchman, R. (1998) *Write for Results*, New York: Amacom New Media.
- Marsen, S. (2003) *Professional Writing: The Complete Guide for Business, Industry & IT*, Basingstoke: Palgrave.
- Murray, R. (2002) *How to Write a Thesis: A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.
- Peck, J. and Coyle, M. (2005) *Write It Right: A Handbook for Students*, Basingstoke: Palgrave.
- Shelton, J. H. (1994) *Handbook for Technical Writing*, Chicago: NTC Business Books.
- Truss, L. (2003) *Eats, Shoots & Leaves: The Zero Tolerance Approach to Punctuation*, London: Profile Books.
- Wade, S. (1996) *Studying for a Degree: How to Succeed as a Mature Student in Higher Education*, Plymouth: How To Books.

الفصل الثالث

عرض البيانات

محتويات الفصل

- ما عرض البيانات؟
- لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟
- تجهيز البيانات للعرض.
- الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات.
- اعتبارات عامة.
- طرق أخرى للعرض.
- أشكال عرض المصفقات (أو البوستر).
- أشكال العرض الشفاهية.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تقنيات عرض البيانات أمر مهم. ففي الوقت الذي يكون فيه من المهم «إنجاز» بحثك، يلزمك أن تفك في الطريقة التي توصل بها نتائجك إلى بقية الناس.

يتناول الجزء الأول من هذا الفصل عرض البيانات باستعمال الرسوم والأشكال البيانية، ولو أنك سوف تجد أمثلة أخرى على امتداد الكتاب (انظر فصل 3 و 9 باب 4)، كما أنه إن نظرت حولك، فستجد أمثلة في كل مكان ابتداءً من الإعلانات وانتهاءً بالأفلام التسجيلية والوثائقية. ويناقش الجزء الثاني من هذا الفصل بعض الطرق «الأخرى» لعرض البيانات. وقد ركزنا في هذا الجزء على أشكال عرض المصفقات (البوستر) وأشكال العرض الشفاهية، وهو أنواعاً عرض اللذان يحظيان كلاهما بالشعبية المتزايدة داخل الأوساط الجامعية وخارجها معاً.

ما عرض البيانات؟

قد يبدو هذا الأمر واضحًا، ولكن بعد أن تكون قد نفذنا البحث، فإنه يلزمنا أن تتأكد من أن تكون نتائج بحثنا متاحة لكافة الأطراف المعنية. (وقد يكون السؤال عنم بمثابة الأطراف المعنية سؤالاً مستقلًا يعتمد على عدد من القضايا التي عرضنا لها في موضع سابق – انظر فصل 1، من هذا الباب).

يمكن للبيانات أن تُعرض بكثير من الطرق المختلفة، والتي استعرضنا عدداً منها في هذا الفصل. ومع ذلك، وقبل المضي قدماً إلى الاعتبارات العملية، يوجد سؤال يتعين أن نجيب عليه.

لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟

طبعاً أنت حينما تقوم بإنجاز البحث، فإننا نفهم حقيقة ما توصلنا إليه من نتائج. فقد كنا منهمكين في العمل منذ البداية، كما أن ما نقوله في تقريرنا النهائي يكون – بالنسبة لنا – واضحاً وضوح الشمس! ولكن مما يؤسف له أن ذلك قد لا يكون حال الأفراد الذين يتوجب عليهم أن يقرأوا نتائج بحثنا والذين قد يطبقونها على الحياة الواقعية. ونحن نرى أن من واجب الباحث أن يتأكد من أن تكون نتائج بحثه واضحة لمن يحتاجون إليها، وهذا هو الأساس في مسألة عرض البيانات و اختيار طريقة عرضها.

ونرى كذلك أن أهم أمر يجب التفكير فيه عند عرض بياناتك هو أن تحسب حساب «جمهورك». ونعني «بالجمهور» الأفراد الذين تحرص على أن يفهموا عملك: ربما لأنهم يقومون بتقدير بحثك وإعطاء درجات له، أو ربما لأنهم هم الذين كلفوك بإنجازه. إذ توجد أسباب ممكنة كثيرة. يقول كومار (1996: ص 226):

«الهدف الرئيسي من استخدام تقنيات عرض البيانات هو جعل النتائج واضحة ميسورة الفهم. توجد طرق كثيرة لعرض المعلومات. ينبغي أن يكون اختيارك لطريقة معينة خاضعاً أساساً لانطباعاتك / أو معرفتك بما لدى مجموع قرائك من دراسة محتملة بالموضوع وبالبحث والإحصائيات. فإن كان من المحتمل أن قراءك على دراية «بفهم» البيانات، فإنك تستطيع أن تستخدم الطرق العقدة في عرض البيانات، وإنما يكون من الحكمة أن تتلزم بالتقنيات البسيطة».

لذا، يلزم منا أن نفكر في الطريقة التي بها ستكون بياناتنا مفهومة بأسهل وأوضع ما يمكن (انظر برواز «فكرة في هذا الموضوع . . . أدناه). من المحتمل أن كشوف الحسابات وجداول الأرقام ستكون أكثر من مقبولة من جانب الإحصائيين وعلماء الاقتصاد والمحاسبين – فهي رصيدهم الذي يتاجرون به، في آخر الأمر. إلا أن الأمر

الأقل احتمالاً أن تكون تلك الكشوف وجداول الأرقام مفهوماً بسهولة من جانب مديرى إدارات الخدمة الاجتماعية ، وعلماء الاجتماع ، وخبراء الدراسات الثقافية . والمعتاد أن الطريقة التي نختارها لعرض بياناتنا يتبع أن يكون لها هدف محدد : ومن أكثر الأهداف شيوعاً أن تتيح لنا هذه الطريقة مقارنة المجموعات السكانية ذات الأحجام المختلفة .

هنا ينبغي أن نحذر من أمر؛ فجانب ما ذكرنا: لا تقع تحت إغراء التضحيه بالدقة في مقابل أن يكون عرضك ملائماً لجمهورك أو في مقابل الإفراط في تبسيط البيانات . والمعتاد أن ما نقوم بعمله عند عرض البيانات هو التأكد من أن جمهورنا يفهم ما توصلنا إليه من نتائج . وستستفيد بعض الجماعات أعظم فائدة من نفس أشكال العرض البيانية (انظر المثال رقم «3-4») ، أما غيرها من الجماعات (وبطبيعة الأمر ، قد تكون هي الأخرى من الجماعات التي تحب الصور) فسوف ترحب في رؤية البيانات الأصلية التي استمدت منها هذه الصورة . وكثيراً ما تكون أفضل طريقة لعمل ذلك هي أن تدرج البيانات العددية في صورة ملحق ، ولكن لا بد من معالجة كل حالة بناء على خصائصها الموضوعية .

تجهيز البيانات للعرض

عادة ما تكون البيانات «ال الخام » التي نجمعها في بحثنا غير مناسبة للعرض . لذلك فإن طريقة جمع البيانات وتسجيلها يجب أن تكون قد سبق تحديدها قبل ذلك في مرحلة تصميم البحث ، كما أنه ، وبالرغم من أننا ربما نكون قد بذلك شيئاً من التفكير في الطريقة التي ستعرض بها البيانات في صورتها النهائية ، فإن الأرجح ألا يكون قد سبق اتخاذ قرارات نهائية تحدد هذه الطريقة .

تبين هذه الفقرة بعض الطرق الأساسية في معالجة البيانات العددية لإعدادها للعرض . والأمثلة المستخدمة هنا في غاية البساطة ، حيث إننا تناولنا تحليل البيانات الإحصائية في فصل 3 باب 4 .

الجدوال

استعمالك لجدول (أو مصفوفة ، إذا أردت أن تبدو في مستوى راق) في عرض البيانات فكرة ممتازة في كثير من الأحيان . في حالة إنشاء الجدول بحرص وعناء ، فإنه سيساعد جمهورك على فهم نتائجك ، و(ربما) يساعدهم على مقارنة الأجزاء المختلفة من هذه النتائج .

وإليك بعض القواعد البسيطة للجدوال:

- تحتاج الجداول على عنوان مناسب.
- ينبغي أن تكون العناوين واضحة.
- اختر تصميمات مناسبة لمشروعك.
- ينبغي في العادة أن يوجد تنويع بمصدر البيانات، خاصة إذا كنت قد أعددت معالجة نتائج بحث قام به شخص غيرك.

المثال رقم (1-3)

جدول لمقارنة النسب المئوية

جدول رقم (1-3): الجانحون من الذكور والإإناث (النسب المئوية)

مكان الإقامة	الإناث %	الذكور %
برمنجهام	٢٧	٧٣
نوتينجهام	١١	٨٩
الإجمالي	١٠٠	١٠٠

المصدر : جداول تخيلية.

إلا أن بالإمكان استخدام الجداول لعرض البيانات غير العددية أيضاً، كما يمكن أن تكون بسيطة أو معقدة، وذلك بناء على الغرض من تلك (الجدول) مثال ذلك، أن المثال رقم (3-2) يظهر طريقة لعرض البيانات المعقدة لتحليل الروايات الشفاهية بأسلوب يتيح للجمهور أن يقارن بعض محتويات القصص المختلفة.

المثال رقم (2-3)

ما في الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوى، ونبرة صوته، وبناء الرواية.

جدول 2-3 ما في الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوى، ونبرة صوته، وبناء الرواية.

نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	نبرة صوته	
وصلية / مقاومة																١
مفترضة / جازمة																٢
جازمة / غاضبة																٣
وصلية / مقاومة																٤
وصلية / دالة على الخشوع / قمعة																٥
مقاومة / جازمة / غاضبة																٦
غاضبة / عنصرية / مشوّشة																٧
وصلية / جازمة																٨
وصلية / دالة على الخشوع																٩
غاضبة / مشوّشة																١٠
وصلية / دالة على الخشوع / غاضبة																١١
سيطرة / مقاومة / جازمة																١٢
مفترضة / قمعة / عنصرية																١٣
وصلية / مقاومة / جازمة																١٤
مفترضة / غاضبة																١٥
جازمة / قمعة																١٦
سيطرة / انتيمية																١٧
قمعة / عنصرية																١٨
وصلية /سيطرة / مفترضة																١٩
جازمة / انتيمية																٢٠
سيطرة / جازمة / انتيمية																٢١
وصلية / مفترضة																٢٢
	٢	٦	٢	٤	٣	١٢	٣	٥	٤	٤	٩	٣	٣	٣	٣	٣

المصدر : جداول تخيلية

المتوسطات

المتوسطات أداة مفيدة في تلخيص البيانات العددية ببساطة ، وهناك عدة طرق مختلفة لحساب المتوسطات ، ولكننا نقول من باب التبسيط إن المتوسط الذي نستعمله هنا هو الوسط الحسابي (انظر قائمة المصطلحات) . وهذا الوسط الحسابي هو ما يشير إليه الأفراد عادة عندما يقولون كلمة «متوسط» (انظر فصل 3 باب 4 لمزيد من التفصيل) .

الواقع أن المتوسطات مفيدة في عرض البيانات لأنها تتيح لنا مقارنة الجماعات (أو الأحداث، أو ما سوى ذلك) على أساس كمية سمة معينة منسوبة إلى حجم هذه الجماعات). يمكننا حساب الوسط الحسابي عن طريق جمع كل قيم «الملاحظات» (وهي الصفحات التي نختبرها) ثم قسمتها على «عدد» هذه الملاحظات.

المثال رقم (3-3)

حساب متوسط (الوسط الحسابي)

- 1 - خذ جماعة من خمسة أفراد أعمارهم هي : 21 ، 25 ، 19 ، 15 ، 22 سنة.
- 2 - اجمع هذه الأعمار ($= 102$ سنة).
- 3 - اقسم الناتج الإجمالي (102) على عدد الأفراد ($= 5$ أفراد).
- 4 - المتوسط (أى: الوسط الحسابي) $= 20.4$ سنة.

تحذير!

من السهل تشويه الوسط الحسابي بسبب وجود «قيم متطرفة». أعني بذلك، أن رقماً كبيراً بشكل غير معتمد أو صغيراً بشكل غير معتمد سيكون له تأثير غير مناسب على النتيجة. فلو غيرنا مثالنا المذكور بعاليه إلى 21 ، 25 ، 19 ، 15 ، 69 سنة؛ فإن المتوسط ، في هذه الحالة ، سوف يرتفع بشكل حاد إلى 29.8 سنة. لا يجب أن يمثل هذا الوضع مشكلة ، ولكنه وبين فعلاً أنه توجد قضايا يجب إدخالها في الاعتبار عند معالجة أو تجهيز أبسط البيانات للعرض!

النسبة والنسب المئوية

النسبة هي الحالات أو الملاحظات أو الأمثلة مقسومة على العدد الإجمالي للأمثلة . مثال ذلك ، إن كان أخصائي اجتماعي مسؤولاً عن 70 شخصاً من الجانحين ، منهم 55 من الذكور ، فإن نسبة الجناحين الذكور تساوى :

$$0.785 = 70/55$$

النسبة المئوية هي النسبة مضروبة في 100 . باستعمال المثال أعلاه:

$$\% 78.5 = 100 \times 0.785 = 70/55$$

وتعتبر النسبة المئوية والنسبة مفيدة بصفة خاصة لأنها تتيح مقارنة الجماعات المختلفة الأحجام.

الأشكال واللوحات البيانية

يمكن للأشكال واللوحات البيانية أن تكون طريقة ممتازة لعرض البيانات . ولكن

ما يؤسف له أن بعض قواعد الرياضيات وعلم الإحصاء التي تعلمنا طريقة إعداد اللوحات والأشكال البيانية قد تكون معقدة تعقيداً شديداً (فصل 3 باب 4).

ولكن لأننا نعيش الآن في القرن الواحد والعشرين ، فإن معظم الأشكال واللوحات البيانية التي سنتعملها فيما بعد (ومع جميع الأشكال واللوحات البيانية المستخدمة في هذا الفصل) أصبح من الممكن إنتاجها بسهولة باستعمال حاسب شخصي . وقد تناولنا في الفصل 9 باب 4 موضوع برامج الحاسوب التي يمكن استخدامها لهذا الغرض . ومع ذلك ، فإن على معظم الطلبة أن يكونوا قادرين على الوصول إلى برنامج مايكروسوف特 إكسل الذي يعد برنامجاً ذا استعمالات متعددة جداً ، كما يمكن استخدامه لإنتاج معظم الإحصائيات واللوحات البيانية . وقد يلزمك ، تبعاً لطبيعة دراستك ، أن تستخدم حزمة برامج إحصائية متخصصة مثل حزمة إس. بي. إس. إس. SPSS.

عندما تُستعمل اللوحات البيانية ، فإن مساحة سطح الأعمدة أو القطاعات (أو أي شكل من أشكال العرض البياني) قررت أن تُستعمله) ينبغي أن تكون متناسبة تناصياً مباشراً مع قيمة البيانات الأصلية . عندما تنشئ لوحة بيانية ذات بعدين ، تكون قد أنجزت عملاً ممتازاً . لكن إن قررت أن تُستعمل الإمكانيات التي تتيح لك إنتاج الأشكال البيانية ثلاثية الأبعاد والتي تزودنا بها بوفرة معظم برامج الحاسوب ، فسوف يؤدي ذلك إلى تدمير العلاقة ، كما أن لوحتك البيانية ، من الناحية الفنية على أقل تقدير ، لن تعود معبرة عن الحقيقة ». ورغم ذلك ، يمكن للوحات البيانية ثلاثية الأبعاد أن تكون ، أحياناً ، مذهلة الجمال حتى إنك قد تقرر استخدامها بأية حال - كن حذراً فحسب!

الأشكال البيانية (أو التوضيحية) الدائرية

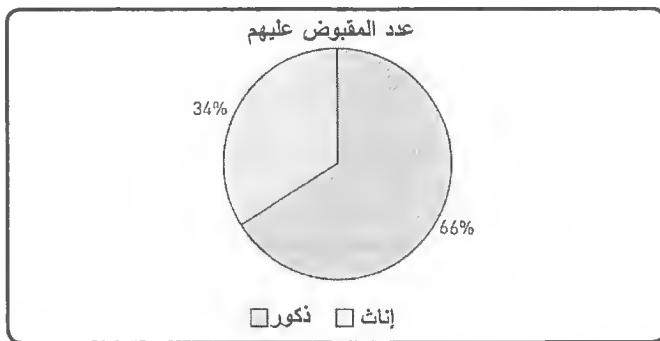
تعتبر الأشكال التوضيحية الدائرية طريقة رئيسية لعرض البيانات ، خاصة عند مقارنة المجموعات المختلفة من البيانات ، وتُستخدم تحديداً لإيضاح النسب المئوية (تخيل «كِيكَة» مقسمة إلى شرائح).

قد يكون من الأمثلة البسيطة للأشكال التوضيحية الدائرية أن تقارن عدد المقبوض عليهم من الرجال والنساء . فإن أدخل في برنامج إكسل ، فسيبدو في هذه الصورة:

إناث	ذكور	عدد المقبوض عليهم
١٤	٢٧	

هذا مثال بسيط ، لذلك يكون من السهلة البالغة أن يدرك معظم الأفراد أن عدد المقبوض عليهم من الذكور أكبر بكثير من عدد المقبوض عليهم من الإناث . ومع ذلك ، وبناء على

نوعية جمهورك، قد يكون من الأفضل أن تعرض هذه البيانات في صورة شكل بياني .
في هذه الحالة، إن أنشأنا شكلاً بيانياً دائرياً ، فإن البيانات ستبدو هكذا :



الشكل (3-1) : البيانات معروضة في صورة شكل بياني دائري

يمكننا حينئذ أن نتحكم في هذا الشكل البياني بعدد من الطرق ، مثل ذلك ، أن نغير لون «الشرائح» أو أوضاعها . ويمكن أيضاً تغيير العنوان و«الفتح» المستعمل في تفسير مصطلحات الشكل البياني .

من الأمور التي يمكن أن تكون مفيدة جداً «تفصيص» الشكل الدائري بفصل بعض أجزائه عن بعض بغرض التأكيد على أهمية مسألة معينة ، مثل ذلك:



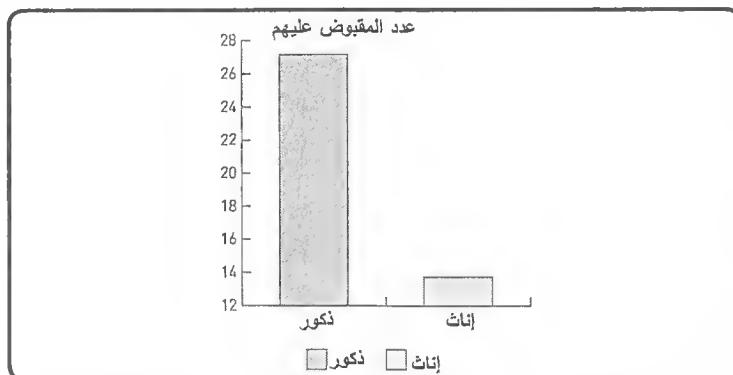
الشكل رقم (3-2): البيانات معروضة في شكل بياني دائري مفصص .

الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات

هذا النوع من الأشكال البيانية ينتمي إلى نفس النمط في الواقع ، إلا أن توجه كل منها مختلف من الآخر . ومن الناحية الفنية تتتألف الأشكال البيانية التي تستعمل

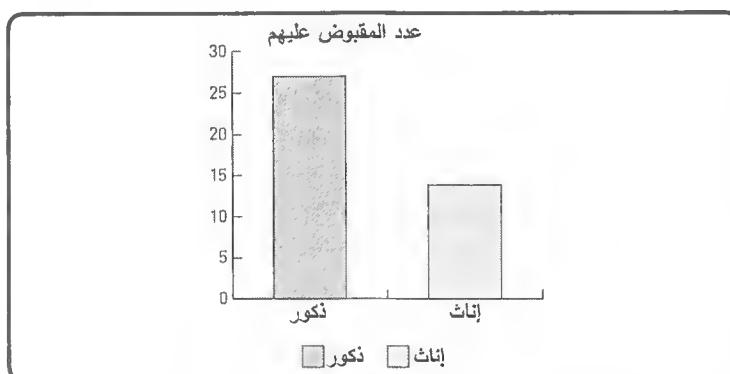
المستطيلات من مستطيلات أفقية، وتتألف الأشكال الأخرى التي تستعمل الأعمدة من أعمدة رأسية، وتمثل مساحة سطح المستطيلات ومساحة سطح الأعمدة البيانات الأصلية. وهذا التفريق غير مهم، وسوف يشار إليهما هنا باعتبارهما أشكالاً بيانية تستعمل المستطيلات .

باستعمال نفس البيانات المأخوذة من جدول إكسل المذكور قبل ذلك ، نستطيع أن ننتج — بسهولة — شكلاً بيانيًا بسيطاً قائماً على استعمال المستطيلات ، وهو الأمر الذي سيتيح لنا مقارنة مجموعات البيانات والحصول على انطباع بصري واضح عن الفرق بينهما.



الشكل رقم (3-3): البيانات معروضة في شكل بياني يستعمل المستطيلات

مما يستلطف النظر أننا نستطيع أيضاً أن نعرض هذه البيانات بطريقة تجعلها تبدو مختلفة تماماً ، ولكنها مع ذلك تكون دقيقة .

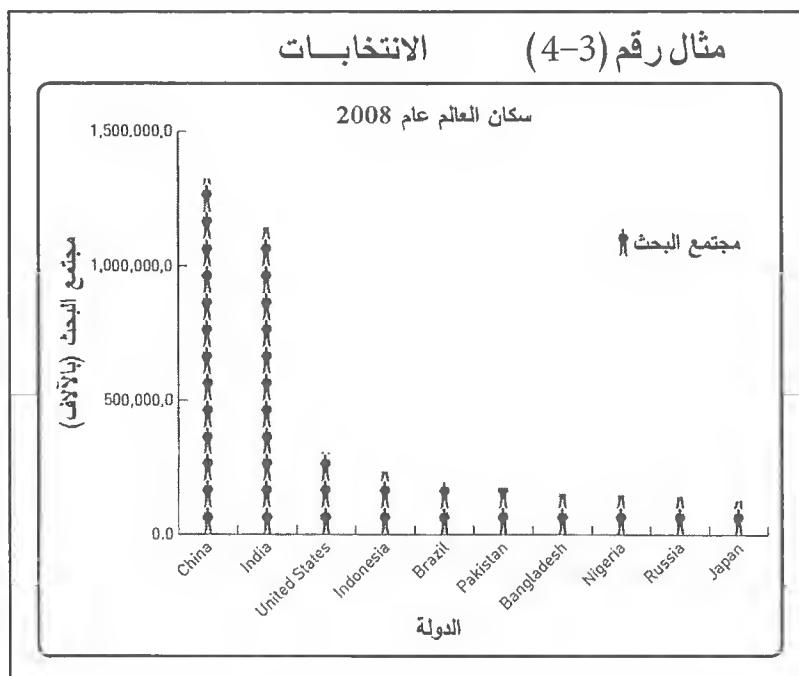


الشكل رقم (3-4): البيانات معروضة في شكل بياني يستعمل المستطيلات ، مع استعمال مقياس رأسى معدل

هذا القالب (والذى هو فى الواقع نوع من الغش ، والذى تفضله جدًا صحف التابلويد ذات القطع المتوسط ، والمشهورة باهتمامها بالإثارة والفضائح)؛ هذا القالب يعطى الانطباع البصري بأن الفارق بين مجموعتى البيانات هائل ، وذلك بالرغم من أن البيانات الأصلية متماثلة. وقد حققنا هذا بسهولة باللغة: كل ما فى الأمر أننا تلاعبنا فى المقياس الرأسى للشكل البيانية حتى لم يعد يبدأ عند القيمة صفر.

هذا النوع من التلاعب غير ممكن تنفيذه مع الأشكال البيانية الدائرية التى تبين دائمًا المجموع الكلى للبيانات.

وليس من اللازم بالطبع أن تكون الأشكال البيانية التى تستعمل المستطيلات بنفس الصورة الشكلية المذكورة أعلاه. فقد ترغب - حسب هدف بحثك - في عرض بياناتك على هيئة صور رمزية - انظر المثال رقم (3-4).

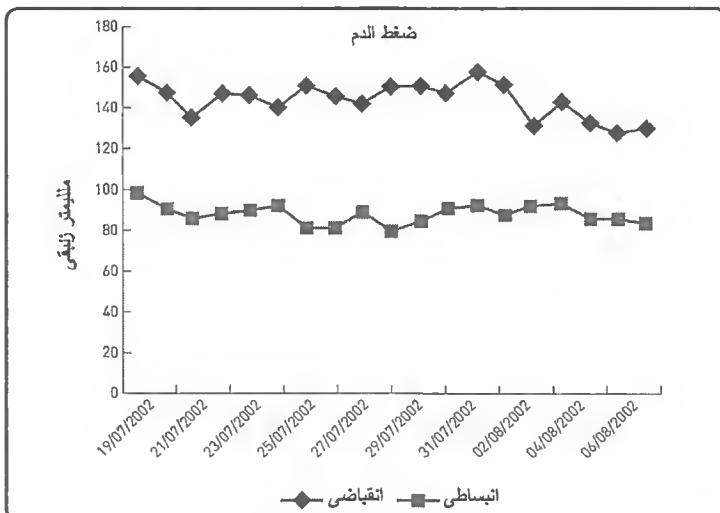


الشكل رقم (5-3): البيانات معروضة على هيئة صور رمزية

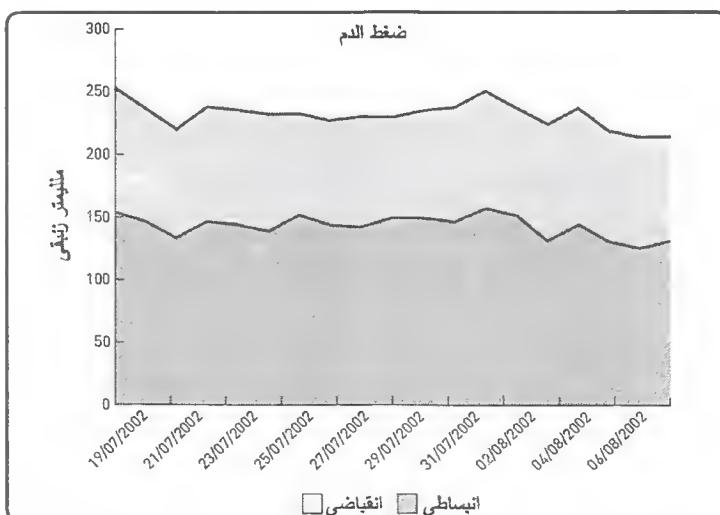
إن فرص التجريب لا حدود لها. الأمر المهم ، بلا ريب ، أن تذكر استعمال الصور الرمزية المناسبة .

أشكال بيانية أخرى

إن الشكلين البيانيين الأعظم فائدة للاستخدام العام هما: الخطوط البيانية البسيطة، واللوحات البيانية التي تستعمل المساحة (انظر الشكلين (3-6) و (7-3)).



الشكل رقم (3-6) البيانات معروضة في خطوط بيانية



الشكل رقم (7-3) : البيانات معروضة في لوحات بيانية تستعمل المساحة

اعتبارات عامة

يوجد عدد من الأمور التي ينبغي علينا إدخالها في الاعتبار حينما نقوم بعرض البيانات التي قد لا تكون واضحة عند التفكير فيها في أول مرة. كما قلنا قبل ذلك، فلعل أهم شيء يتعين التفكير فيه هو الرسالة التي تريد أن يخرج بها جمهورك. وهذا يعني أنه لا بد أن تقرر أي نوع من التأكيد تضفيه على نتائجك.

من طرق القيام بهذا الأمر استخدام أطقم حروف طباعية مختلفة، وألوان مختلفة، وخلفيات مختلفة بالصورة التي نبينها في الجداول التالية:

سود	بياض	عدد المقبوض عليهم	سود	بياض	عدد المقبوض عليهم
٨	٥	٠	٨	٥	٠
١	٦	١	١	٦	١
٤	١٦	٢	٤	١٦	٢
١	٩	٣	١	٩	٣
٤	٣	٤	٤	٣	٤
٩	١	٥	٩	١	٥
١	٠	٦	١	٠	٦
١	٠	١٩	١	٠	١٩
٢٩	٤٠	الإجمالي	٢٩	٤٠	الإجمالي
سود	بياض	عدد المقبوض عليهم	سود	بياض	عدد المقبوض عليهم
٨	٥	٠	٨	٥	٠
١	٦	١	١	٦	١
٤	١٦	٢	٤	١٦	٢
١	٩	٣	١	٩	٣
٤	٣	٤	٤	٣	٤
٩	١	٥	٩	١	٥
١	٠	٦	١	٠	٦
١	٠	١٩	١	٠	١٩
٢٩	٤٠	الإجمالي	٢٩	٤٠	الإجمالي

بحث

أمر مهم!

لا تستخدم اللوحات البيانية ثلاثة الأبعاد كالأشكال الدائرية، ولوحات الأعمدة والمستويات، إلى آخره) إذا أردت أن يكون عرضك للبيانات دقيقاً من الناحية الإحصائية. فالصياغة ثلاثة الأبعاد للبيانات تدمر العلاقة الهامة التي بين البيانات الأصلية والمساحة المعروضة في اللوحة البيانية.

فکر فی هذا الموضوع . . .

هناك ثلاثة أنواع من الأكاذيب :

الأكاذيب ، والأكاذيب اللعينة ، والإحصائيات

(بنيامين دزرائيلي ، كما تنسن أيضًا مارك توبين)

إننا نفترض ، كباحثين أكاديميين ، أنك ترغب في أن يكون لدى جمهورك فهم تام لنتائج بحثك . ومع ذلك ، فليس الأمر هكذا ، كما أنه ليس مستحيلاً أن تقدم بياناتك «بأمانة» في نفس الوقت الذي تتمكن فيه من إعطاء انطباع زائف عن أهمية هذه البيانات . وقد سبق أن تناولنا هذه النقطة في موضع سابق.

إننا لا ندافع عن هذا السلوك ، والذي يبدو أنه الطابع الغالب لصحف التابلوي ، ولكننا نرى أن من الأهمية أن تفهم كيف إن بالإمكان تقديم النتائج الدقيقة بأسلوب مضلل ! لذا ، فإن القاعدة الأساسية أن تتأكد من أن الرسوم واللوحات البيانية تبدأ من النقطة صفر (هذا ما لم تكن تحاول عادةً أن تؤكد أو تقلل من التأكيد على أهمية نتائجك).

تذكر أن أهم ما تقوم به هو التأكيد من أنك عرضت بياناتك بطريقة:

- ملائمة لجمهورك .
- دقيقة .
- واضحة .

طرق أخرى للعرض

يتعرض الباحثون ، بصورة متزايدة ، للمطالبة بتقديم أعمالهم بطريق مبتكرة . ويعكس هذا الوضع – في جانب منه – طبيعة المجتمع في القرن الواحد والعشرين ، حيث أصبح الورق «موضوعة قديمة» وأصبح لوسائل الاتصال الإلكترونية القدر الأعظم من الأهمية . فمعظم المؤتمرات تحت المشترين على عرض نتائجهم وتقاريرهم بطريق بصريّة ، وأشهر هذه الطرق العرض باستعمال المصفقات (البوستر). إن الكلمة المنطقية لا تزال موجودة ، رغم كل شيء ، وربما يرجع ذلك إلى أنها ما زالت وسيلة اتصال مألوفة ومرنة ، كما أن العرض الشفاهي ما زال محتفظاً بأهميته . وتقدم هذه الفقرة بعض التوصيات الواضحة المتعلقة بهذه الأنواع من العروض .

أشكال عرض الملصقات (البوسترات) (*)

يمكن للملصقات أن تكون وسيلة رائعة لعرض نتائجك ، وذلك رغم أنها لا تخلو من المشكلات؛ إذ توجد على وجه التحديد ثلاثة عناصر سلبية ينبغي إمعان النظر فيها عند إنتاج أحد الملصقات:

1 - فالملصقات ليست تفاعلية.

2 - لا تستطيع الملصقات إلا أن تعرض عملك في لحظة زمنية واحدة محددة.

3 - لا تستطيع الملصقات أن تنقل إلا مقداراً محدوداً من المعلومات.

وبإدخال هذه الاعتبارات في الحسبان ، نطرح فيما يلى بعض القضايا للفكر عن تصميم وإنتاج الملصقات:

• لا بد أن تكون الملصقات مصممة على نحو يشد الانتباه ، لذا يتبعن عليك أن تفكّر في التوليفة التي يتكون منها جمهورك (انظر فصل 1 باب 5) وأن تتعثر على طريقة ما تجعل ملصقك جذاباً في نظرهم.

• لا يمكن للملصقات أن تحتوى إلا على كمية محدودة من المعلومات . من الأخطاء الشائعة محاولة حشر معلومات أكثر مما يجب في الملصق ، مما يؤدي إلى صورة طباعية ذات حروف أصغر من أن تقرأ من مسافة بعيدة . فنادراً ما تبدو الملصقات المليئة بالنصوص المكتوبة مثيرة للاهتمام ، لذا فلنحرص قدر إمكانك على أن يكون عدد الكلمات في حدود الأدنى .

• تأكد من أنك تستعمل أطقم حروف طباعية سهلة القراءة (تعتبر أطقم الحروف الطباعية القياسية ذات المقاس غير الصغير ، مثل حروف إيريكال Arial وحروف فردانا Verdana ، اختياراً مناسباً). فكر في مقدار المسافة التي سيقفونها الأفراد (ليررؤوا ملصقك) وتتأكد من أن حجم الحرف الظباعي كبير بما يكفي لقراءته من مسافة متراً واحداً على الأقل (ربما لا يكون أقل من «فونت» 18 «مقاس»).

• فكر في الألوان . تخير بعناية لون الخلفية الذي ستكون عليه اللوحة التي سيثبتت عليها

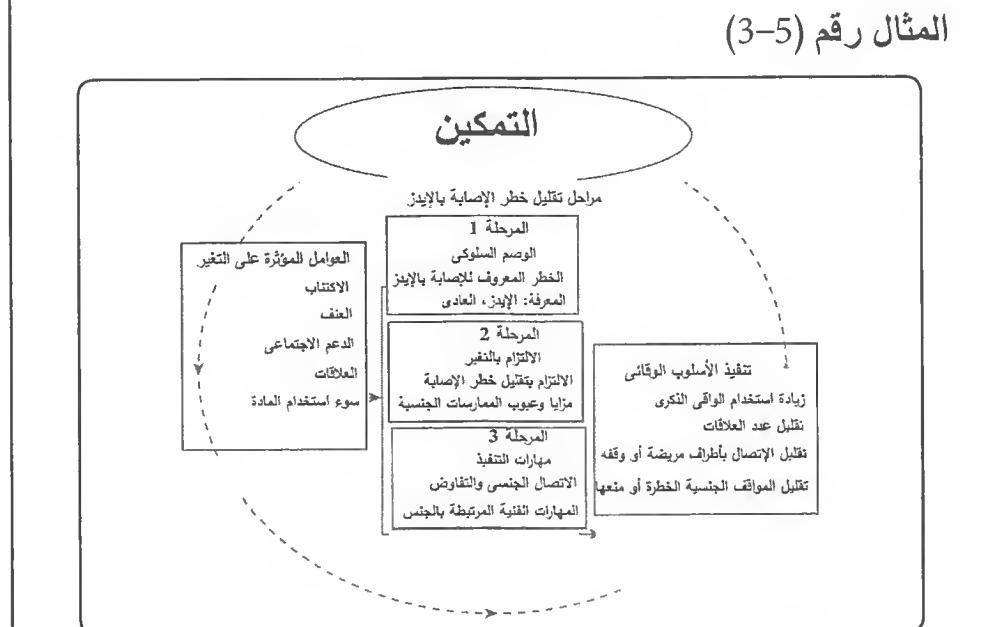
(*) تقوم المؤتمرات العلمية العالمية اليوم على شاطئين رئيسين وعدة أنشطة ثانوية . النشاط الأول هو إلقاء البحوث والمحاضرات ، والثاني هو الملصقات (أو البوسترات) . والملصق لوحة من ورق (بأنواعه) أو قماش بلاستيك ... إلخ . ويحتوى البوستر على عرض مختصر لموضوع البحث ، وأقسامه ، وأهم النتائج ، وصور توضيحية ... إلخ . وقد يشارك البعض بإلقاء بحث أو محاضرة ، أو تقديم ملصق (بوستر) ، أو كلديهما . والعادة أن يخصص لمشاهدة الملصقات ومناقشة أصحابها جلسة أو أكثر من جلسات المؤتمر . ولم تعرف مؤتمرات العلوم الإنسانية والاجتماعية في بلادنا تقليد الملصقات بعد ، ولكن المؤتمرات في ميدان العلوم الطبيعية والتطبيقية تعرفه جيداً . (المترجم)

ملصقك أو اللافتة التي سيوضع عليها ، وهو اللون الذي سيكون عنصرا أساسيا في ملصقك ، واستعمل الألوان الأخرى بحرص وحذر .

- إن كنت ت تعرض -في هذا الملصق- تقريرا عن البحث ، فمن الأفكار الجيدة ، عادة ، أن تستعمل نفس نوع البنية الذي يجب أن تستعمله في أي تقرير (أعني بذلك عرض: المقدمة ، وطرق البحث ، والنتائج ، والخاتمة). إن تأكيدت أن ملصقك يروى قصة (لها بداية ، ووسط ، ونهاية) فمعنى ذلك - على الأرجح - أنك تسير على الطريق الصحيح.
- فكر بعناية في الصور التي سوف تستخدمها ، وكن حريصا بصفة خاصة على التأكد من أنها ذات صلة وثيقة بعملك.
- لا تنس الأمور الواضحة مثل ذكر اسمك (أو أسمائكم) وإعطاء التفاصيل الخاصة بالاتصال بك.
- تأكد من أن العنوان ظاهر (كبير في حروفه وقائم في لونه!).

ونقدم فيما يلى بعض أمثلة ملصقات عرض قدمت «فعلا» في مؤتمرات: أسأل نفسك عن مدى جودة أداء هذه الملصقات لمهنتها .

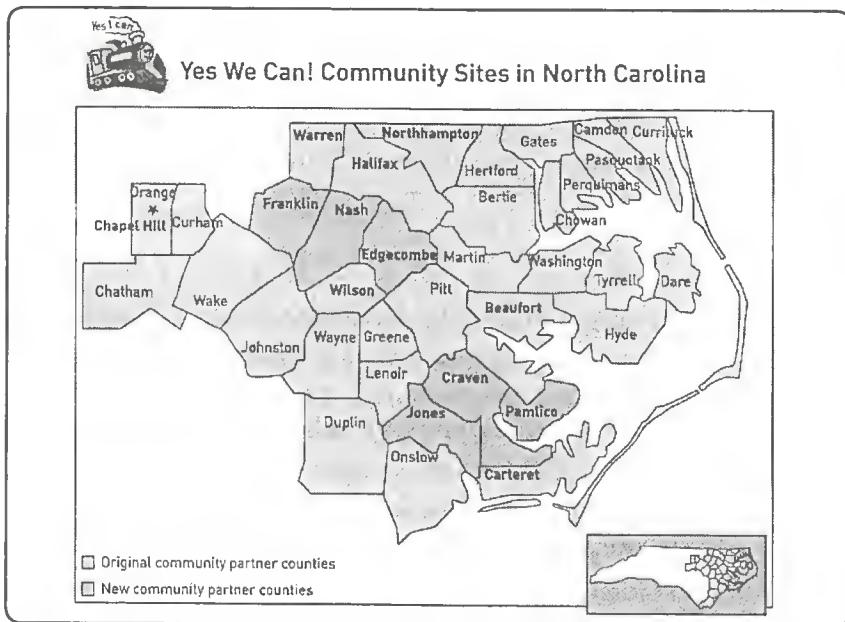
المثال رقم (3-5)



الشكل رقم (3-8): الملصق (أ).

المصدر : المركز التعليمي للدعم التكنولوجي والتربوي [CITES] (http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example_graphic.jpg) جامعة نورث كارولينا ، تشابل هيل ، معهد التمريض ، تم التصريح بالنشر .

المثال رقم (6-3)



الشكل رقم (3-9): الملصق (ب).

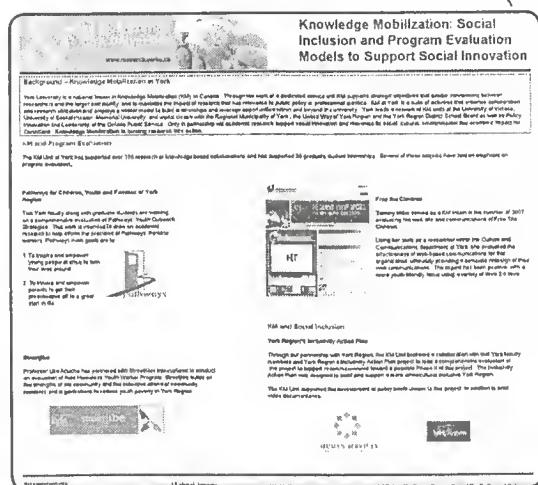
المصدر: المركز التعليمي للدعم التكنولوجي والتربوى [.] CITES] (http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example_graphic.jpg) جامعة نورث كارولينا، تشابل هيل ، معهد التمريض ، تم التصريح بالنشر من الدكتور جين جوبنجر .

أشكال العرض الشفاهية

عندما يطالب الدارسون بتقديم عروض شفاهية ، فإنهم يكونون في العادة قلقين . ورغم أن الأفراد يتباينون في قدراتهم وفي ثقفهم بأنفسهم ، فمن النادر أن يحب أى امرئ فكرة أن يكون معرضًا لجمهور يتحمل أن يكون ميالاً للانتقاد ، كما أن الكثير منهم يكونون خجولين . وبطبيعة الأمر ، تكون المرة الأولى هي الأسوأ ، كما أن كثير من المتحدثين (والممثلين) يعتقدون أن درجة ما من درجات الشعور «برهبة المسرح» أمر جوهري لا بد منه للأداء الجيد .

يتمثل الاختلاف الأكبر بين العرض الشفاهي وغيره من أنواع العروض في كونه عملية دينامية . إذ توجد غالبا حاجة للتفاعل مع الجمهور - ويرى كثير من المتحدثين المتمرسين أن هذا التفاعل أمر جوهري - كما تتوافق لك دائمًا الفرصة للتغيير ما تقوله .

المثال رقم (7-3)



الشكل رقم (10-3) : الملصق (ج).

المصدر : موقع تأثير البحث (http://researchimpact.files.wordpress.com/2009/05/com/2009-april-30-poster-v3mj.jpg) تم التصريح بالنشر .

المثال رقم (8-3)

الشكل رقم (11-3) الملصق (د).

المصدر: قسم الوبائيات والصحة العامة ، جامعة مينيسوتا (www.epi.umn.edu/)
Poster.jpg (research/macc/2008_macc_ppt/EricksonSPR08). حقوق النشر مسجلة 2009 لجامعة مينيسوتا. تم التصريح بالنشر.

الإعداد

من الحال أن تتجاوز عن تأكيد أهمية التحضير والإعداد الملائم للعرض الشفاهي، إذ يلزمك أن تعرف موضوعك معرفة تامة وأن تكون على بصيرة بالترتيب الذي ستقدم أفكارك وفلاه. بجانب ذلك، يتعمّن أيضًا أن تدرك ما عليه حال المعدات المتوفّرة لك، وهذا يقتضي منك في العادة القيام برحلة سريعة للقاعة التي سوف تعرّض فيها، وذلك للتأكد من الإمكانيات الموجودة. ونحن نوصيك بأن تكون حذراً فيما يتصل بالاعتماد على التكنولوجيا (خاصة الأشياء التي تشبه التوصيلات الخاصة بالإنترنت) لأنها لا تكون مما يعتمد عليه دائمًا.

هل تكتب نص الكلمة أم لا؟

يميل معظم الأفراد، على الأقل في أول مرة يعرضون فيها، إلى أن يكتبو نص الكلمة التي سليقونها. ومن الراجح أن يكون ذلك التصرف أمراً جيداً تقرّم به حينما تشرع في هذا العمل، وذلك لأنّه يوفر لك «شبكة أمان» فيما يتصل بما تريد أن تقوله. تتمثل الصعوبة الرئيسية في استخدام النصوص المكتوبة في أنها تميل إلى تقييد المتحدث بالكلمات المكتوبة على الورق مما يعني أن يكون المتحدث غالباً أقل ديناميكية مما كان يمكن أن يكون عليه. ومع هذا فإنها طريقة حسنة للتحضير.

عندما تزداد خبرتك وثقتك بنفسك فسيكون من المحتوم أن تتخلّى عن استعمال الكلمات المكتوبة وتتجه لاستخدام المذكرات المفصلة. وهذه طريقة حسنة أيضاً.

بنية التحدث

لعل أهم أجزاء أي عرض هو بنيته. فلا بد من التأكيد من أن له بداية ووسطاً ونهاية. يقول بعض المحدثين إنه توجد ثلاثة قواعد لمحنوي العروض:

- 1 - عرف الجمهور بما سوف تخبرهم به (المقدمة).
- 2 - عرفهم (الوسط / المتن الرئيسي).
- 3 - عرفهم بما قد أخبرتهم به (الخاتمة).

فإن اتبعت هذه «القواعد» على سبيل الاسترشاد، فسيكون عرضك - على الأقل - ذات بنية واضحة.

التدريب المسبق (المران أو «البروفة»)

لابد أن تتدرب على تقديم عرضك. فلن يقتصر أمر هذا التدريب على أنه يجعلك متأنّكاً من العلم والإحاطة بمحتوى العرض ، بل سيمكّنك كذلك من الالتزام بحدود وقتك وعدم تجاوزها ، كما سيجعلك أكثر ثقة بنفسك . الواقع أنه لا بديل عن التدريب والمران .

العرض

الأمر كله تمثيل . . .

يطلب الحديث الموجه للجمهور من أي متحدث أن يقدم نفسه بأسلوب معين يجعله جذاباً في نظر الجمهور. ونحن نرى أن هذا الأمر شبيه جداً ببراعة فن التمثيل (كما أشرنا من قبل إلى «رعب المسرح»). يختار المتحدثون تبني شخصية ما من شأنها أن تسهل عليهم أداء دورهم (مثال ذلك، أنك قد تختار أن تقدم نفسك بوصفك مضيفاً لجمهورك أو بصفتك خبيراً). اختار الدور الذي ستؤديه بعناديه، وذلك بجانب إعطاء الاهتمام اللازم للمهمة التي لا بد أن تضطلع بها وللوسط الذي ستقدم فيه عرضك.

إمكانية السمعاء بوضوح

إن لم يستطع جمهورك أن يسمعوك، فقد أخفقت إذن. فإن توافرت الأدوات المساعدة (كمسماعات الإذاعة مثلاً)، فتأكد مسبقاً من أنها تعمل ومن أنك على دراية وعلم باستخدامها. تحقق في بداية عرضك من أن الأفراد الموجودين في الصف الخلفي يستطيعون أن يسمعوك.

الوضوح

لا يكفي، بطبيعة الأمر، أن تكون جهير الصوت فحسب: إذ يلزمك أن تتأكد من أن حديثك مفهوم كذلك. واللاحظ أن أغلبنا، عندما يشعرون بالقلق يميلون للحديث بسرعة باللغة—لذلك حاول أن تحدث توازناً في هذا الشأن. ونكرر من جديد أنه لا بدil عن التدريب المسبق على أداء الدور.

الألفة والتجاوب مع جمهورك

يتوقع المستمعون إليك أن تكون مهتماً بهم، وهم يستحقون ذلك—فهم في النهاية، منصتون إليك. سيحتاج أفرادها هذا الجمهور إلى أن يتصوروا أنك مهتم بهم، كما أنهم سيصدقون أن هذا هو الواقع إن نظرت إليهم والتقت عيناك بأعينهم.

تلاقي العيون وكيفية النظاهر به

يمكن أن يكون نظر المتحدث إلى أعين أفراد الجمهور بمثابة مشكلة له. إذ إنه مما يبلي بهمة أن ترى أحدهم يرسل رسائل على هاتفه المحمول أو يقرأ جريدة (رغم أن هذا يقع لجميع المتحدثين في لحظة ما). فإن كنت شخصية قوية بما فيه الكفاية ، فانظر إلى الأفراد في أعينهم مهما كلف الأمر (ولكن احذر فقد بسبب نظرك هذا الارتباط لبعض الأفراد). وفيما يتعلق بنا ، فإننا نقترح استراتجيتين:

- استراتيجية الحواجب: لا تنظر إلى جمهورك في أعينهم مباشرة : بدلا من ذلك ، انظر إلى حواجبهم؛ فهذا التصرف له مفعوله؛ ولن يدرك جمهورك هذا الفارق .
- استراتيجية الثنائي الثلاثة: تستطيع أن تحافظ على الاتصال «الفعلي» بالعيون ، ولكنك في حالة استراتيجية الثنائي الثلاثة تقتصر على النظر إلى أحد الأفراد في عينيه لمدة ثلاثة ثوان ، ثم تنتقل لن فعل نفس الشيء مع شخص آخر . فإن تدرست على هذه الاستراتيجية ، فستكون تقنية سهلة إلى درجة معقوله ليس فيها ما يشتت ذهنك كما يبدو عليها في أول الأمر .

(من المستصوب ، بطبيعة الأمر ، أن تنظر إلى الجمهور كله من وقت لآخر).

الفكاهة والحيل الأخرى

لا نقترح عليك أن تروي الفكاهات لغرض الفكاهات (ولكن في حالة وقوعك في مأزق طاري ، يمكنك أن تقول مثلا: «كم عدد مشجعى النادى الفلامى (واذكر هنا اسم أى فريق كرة قدم) اللازدين لتغيير مصباح كهربائى؟ كلاما»). إلى جانب ذلك ، فإن الأفراد يتذكرون الأمور على وجه أفضل حين يكونون مشاركين فيها ، لذلك فإن إضحاکهم (أو إغضابهم ، كبديل لإضحاکهم) أرجح في جعل عرضك أشد لفتا لانتباهم . إننا نود أن ننبهك إلى أن تتأكد من أنك لا تدخل في الموضوعات الجادة شيئا لا لزوم له من الخفة والطيش.

إدماج الجمهور في العرض

سلفت الإشارة إلى أن الأفراد الذين يكونون إيجابيين يزداد احتمال تذكرهم لمضمون عرضك ، لذا أدخلهم كشركاء فيه . اجعلهم يشاركون في أحد أشكال التصويت أو اطرح الأسئلة عليهم . فالغالب الأعم أن أى نوع من أنواع المشاركة سيكون له تأثير إيجابي .

تكلم - لا تقرأ!

يؤول أمر المتحدثين الذين يقرؤون من مذكراتهم أو نصوصهم المكتوبة إلى أن يصيروا جمهورهم بالليل كثيرا ، ويرجع سبب ذلك في جانب منه إلى أنهم بهذا التصرف لا يظهرون أنهم مدركون لوجود جمهورهم (أو مستمعيهم) وعادة ما يقوم المتحدثون المحنكون بعملهم مستعملين عددا قليلا من المذكرات (أو بدون مذكرات مطلقا!) ، إلا أن اكتساب هذه الخبرة يحتاج لوقت طويل ، كما تحتاج إلى الثقة بالنفس التي تظهر كما ازدادت الخبرة . بالنسبة لنا ، لا خطأ في استعمال المذكرات ، ولكن حاول لا تقتصر على القراءة منها .

(*) تعتمد هذه الفكاهة على النلاعب بمعنى لفظ *supporter* لحداث الفكاهة الفكاهية هنا . (المترجم)

كيف تظاهر بالحديث وبأنك لا تقرأ

- توجد استراتيجيات يمكنها المساعدة في هذا الشأن (وإن كانت الممارسة هي الأفضل في العادة).
 - إن كنت مضطراً إلى استعمال المذكرات التفصيلية أو استعمال نص مكتوب؛ فحاول إذن طباعتها واستعمال طاقم حروف طباعية كبيرة وتركها على المنصة أمامك بحيث تستطيع قراءتها بدون الاضطرار إلى رفعها والإمساك بها أمامك وجهك.
 - ضع في ذكر آنك علامات تذكيرية في موقع منتظمة تذكرك بالنظر إلى جمهور المستمعين.

المعينات البصرية

يمكن أن تكون الوسائل البصرية المساعدة مفيدة. وفي أيامنا هذه، يعتبر معظم الأفراد على دراية ومعرفة ببرامج الحاسوب المرنة في العرض «باور بوينت» التي من إنتاج شركة مايكروسوفت، بجانب معرفتهم بالسبورات البيضاء والسبورات الورقية. وهذه الوسائل يمكن أن تكون مفيدة، لكن من اللازم استعمالها في نطاق ضيق، وذلك لكي لا تشتبه انتباه المستمعين عن الجزء الشفاهي من العرض.

المظهر

نورد في النهاية ملحوظة سريعة عن «أصول ارتداء الملابس». مع أن من المستبعد أن تهم كثيراً بالطريقة التي تقدم بها نفسك لأداء عرض لبحثك جامعي قبل التخرج، فإنه يجدر بك أن تفكّر ملياً في «الرسائل» التي تحملها ملابسك. يرى البعض أنه، في حالة عرض موضوع جاد، يكون من المفيد ارتداء الملابس الدالة على المحافظة والاعتدال. ليست مهمتنا أن نعطيك تعليمات في كيفية ارتدائك لأحسن الملابس. لكننا نرى فعلاً أنه ينبغي عليك أن تدخل هذا الأمر في الحسبان وأن تضع خطة حديثك أمام الجمهور.

فكرة في هذا الموضوع . . .

مبادئ : «إنجلبرج» السبعة (للحديث إلى الجمهور)

- الهدف: لماذا تتحدث؟ ما الذي ت يريد إطلاع أفراد الجمهور عليه، أو تريدهم أن يتصوروه، أو يؤمنوا به أو يعملوه كنتيجة لحديثك؟
- الأفراد: من هم جمهورك؟ كيف تؤثر السمات الشخصية، والمهارات، والآراء، والسلوكيات الخاصة بجمهورك على تحقيق هدفك؟

- المكان: لماذا تتحدث إلى هذه الجماعة في هذا الوقت وفي هذا المكان؟ إلى أي مدى يمكنك التخطيط والتكييف مع الاعتبارات اللوجستية (الاعتبارات الخاصة بالنقل والإمداد) لهذا المكان؟ إلى أي مدى يمكنك استخدام المعيendas البصرية في مساعدتك على تحقيق هدفك؟
 - الإعداد (أو التحضير): أين وكيف يمكنك العثور على الأفكار والمعلومات الجيدة المناسبة لحديثك؟ ما مقدار، وما أنواع المواد المساعدة التي تحتاج إليها؟
 - التخطيط: هل يوجد ترتيب طبيعي للأفكار والمعلومات ستأخذ به؟ ما أشد الطريق تأثيرا في تنظيم حديثك لكي تكيفه وفقاً للهدف، والأفراد، والمكان، إلى آخره؟
 - الشخصية: كيف تصبح مرتبطة برسالتاك بطريقة إيجابية؟ ما الذي يمكنك عمله لإظهار كفاءتك، وجاذبيتك وشخصيتك للجمهور؟
 - الأداء: ما شكل الإلقاء الذي يكون ملائماً بصورة أفضل لهدفك؟ ما أساليب الإلقاء التي ستجعل عرضك أكثر تأثيراً؟ كيف ينبغي لك أن تتدرب على الإلقاء؟
- (دالي وإنجلبرج، 1994)

المراجع وقراءات للاستزادة

- Daly, J. and Engleberg, I. (1994) *Presentations in Everyday Life: Strategies for Effective Speaking*, New York: Houghton Mifflin.
- Flinn, C. (1999) Developing a poster presentation, George Mason University Writing Center, available at www.gmu.edu/departments/writingcenter/ppt/
- Kumar, R. (1996) *Research Methodology*, London: Sage.
- Murray, R., Thow, M. and Strachan, R. (1998) Visual literacy: designing and presenting a poster, *Physiotherapy*, 84(7): 319-27.
- Tham, M. T. (1997) Poster presentation of research work, University of Newcastle upon Tyne, School of Chemical Engineering and Advanced Materials, available at <http://lorien.ncl.ac.uk/ming/Dept/Tips/present/posters.htm>

الفصل الرابع

النشر والبحوث المستقبلية

محتويات الفصل

- ما النشر؟
- لماذا ننشر؟
- القضايا الأخلاقية.
- اتخاذ القرار في عملية النشر.
- البحوث المستقبلية.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يناقش هذا الفصل الطرق التي بها يمكنك أن تعرف الناس بما أجزه مشروعك. فهو يلقي نظرة فاحصة على موضوع النشر كجزء من تصميم البحث (انظر فصل 3 باب 2) وكقضية أخلاقية (انظر فصل 5 باب 1). بالإضافة إلى ذلك، فإن ما ورد هنا من الجوانب المتعددة للكتابة قد تمت معالجته بمزيد من التفصيل في الفصول 1، 2، 3 من هذا الباب. ويلقى هذا الفصل نظرة فاحصة على طرق النشر ووسائله، كما يناقش الحاجة الدائمة لإجراء المزيد من البحوث. ومع أن هذا الفصل موجه إلى الباحثين الذين أنهوا مرحلة البكالوريوس، فإنه يقدم أيضاً معلومات مفيدة لكل إنسان.

ما النشر؟

تقدم معظم البحوث إسهاماً يضاف إلى جملة المعرفة المتوافرة، كما أن من الأهميةala تضييع ما تكتشفه البحوث من حقائق وما تنتهي إليه من نتائج، بل يجب أن تكون متاحة للغير. في بعض الحالات، يكون على الباحثين واجب (ويمكن في الغالب نوعاً من الالتزام التعاقدى) بتقديم تقرير عن بحوثهم لأفراد أو جماعات معينة. وهذا هو الحال غالباً حينما يكون البحث ممولاً من جانب منظمة خارجية. وفي بعض الحالات، لا يسمح للباحث بنشر تقرير بحثه على نطاق أوسع، وينسحب ذلك غالباً على البحث الذي يجرى لحساب الإدارات الحكومية أو على البحث الذي يكون حساساً من الناحية التجارية.

فالنشر (انظر قائمة المصطلحات) يذيع أخبار نتائج بحثك لتصل إلى جمهورك المختار (انظر فيما بعد) أو ربما تصل إلى الجمهور عموماً.

لماذا ننشر؟

أكدنا من قبل أن النشر جزء لا يتجزأ من العملية البحثية ، وليس مجرد فكرة تخطر في البال متأخرة ، لهذا يمكن اعتباره المرحلة النهائية في مشروعنا.

ويستهدف النشر - ببساطة - التأكيد من أن نتائج بحثنا متاحة لهؤلاء الأفراد الذين يحتاجون لمعرفتها (أو من ترى أنهم ينبغي أن يعرفوها). وهناك أيضاً أهداف أخرى للنشر؛ فالنسبة للطلبة، عادة ما يتمثل النشر في عملية تقديم المشروع الكامل للأستاذ المشرف الذي يتولى تقييم العمل وإعطائه تقديرًا. وبالنسبة للأساتذة الجامعيين، عادة ما يتمثل هدف نشر البحث بينهم في طرح المعلومات داخل هذا المجال العام حتى يكون بالإمكان نقد وتقديمه من جانب الأقران والزملاء (جزء من عملية النشر غالباً).

وهكذا لا يخلو نشر البحث من المخاطر. فمن الممكن أن:

- لا يحصل عملك على الدرجة التي كنت ترجوها.
 - لا يكون بحثك بنفس درجة الجدة والأصالة التي كنت تأمل فيها.
 - لا يرى أقرانك أن نتائج بحثك صالحة للنشر.
- ولا ريب أن النتائج المعاكسة ممكنة أيضاً!

القضايا الأخلاقية

سبق أن تأملنا بعمق العلاقة العامة بين الأخلاقيات والبحث الاجتماعي في فصل 5 باب 1. بجانب ذلك، يتعين أن تتأمل بنفس العمق مفهوم النشر والأخلاقيات.

وجوهر الأمر أن هذا الوضع ينطوى على قضية خلافية محتملة: هل ينبغي على الباحث أن يكشف عما يعتقد أن من شأنه أن يؤثر على الجمهور العام؟ وما الخطوات التي ينبغي اتخاذها للتأكد من إذاعة هذه المعلومات ونشرها بصورة ناجحة؟ أحياناً ما تكون الإجابة سهلة واضحة: إن كان عملك مقيداً بالالتزامات التعاقدية، فليس أمامك حيئنة سوى الالتزام بها. وإن كان الأمر خلاف ذلك، فإن الموقف سيصبح ساعتها أشد تعقيداً كما أنه سيتطلب المزيد من التفكير. ونحن لا نملك الأهلية لنصيحة الأفراد في هذا المقام حيث إن كل حالة سوف تختلف عن غيرها. بجانب ذلك، فإننا نلح عليك في التأكيد من أنك أدخلت في حسابك هذه القضية (المحتملة) في مرحلة مبكرة من مراحل تصميم بحثك (فصل 3 باب 2) حتى لا تحول إلى مفاجأة.

اتخاذ القرار في عملية النشر

هناك - في الحقيقة - مرحلتان رئيسيتان للنشر (مادام أنك لست ملزمًا باستخدام عمليات معينة تتعين بها التعليمات الخاصة بما عليك من تكليف دراسي، أو يقتضي بها عدك البحثي). وهاتان المرحلتان هما : مرحلة تقرير من هم جمهورك؟ ومرحلة تقرير كيف وأين تنشر؟

اتخاذ القرار بشأن تحديد الجمهور

تناولنا موضوع أهمية الجمهور في فصل 1 باب 5 . والقرار الأولى الذي يتبعه اتخاذ هو الإجابة على هذين السؤالين : من الذي يحتاج للمعرفة؟ ومن هم الذين تعتبر نفسك ملزتاً بأخبارهم؟ بالنسبة للطالب الذي يقدم العمل لتقديره، يكون اتخاذ هذا القرار سهلاً إذ سيكون لديك تعليمات تتفاها من جامعتك أو كليةك تحدد لك الطريقة التي تقدم بها عملك.

الجدول رقم (٤-١) : وسائل النشر وطرقه

الطريقة	وسائل الاتصال
التكليف الدراسي الرسالة العلمية الجامعية تقرير البحث مقال في مجلة علمية كتاب	وسائل الاتصال الورقية
المجلة العلمية الإلكترونية المدونة موقع على الشبكة مقابلة إذاعية / أو تليفزيونية	وسائل الاتصال الإلكترونية
مؤتمر (وغالباً ما يكون مرتبطاً بالورق) seminar (أى حلقة دراسية)	الكلمة المنطوقة

وأياً ما كان الأمر ، فإن كنت تخطط لجعل نطاقاً أوسع من الناس يتعرفون على بحثك ، فإليك قائمة بالأفراد الذين قد ترغب في (أو تحتاج إلى ، أو تكون ملزماً تجاههم) بأن تعرفهم ببحثك :

- راعي البحث / أو مموله .
- المدير / رئيس العمل .

- واضعو السياسات.
- الجمهور.
- صاحب العمل المتوقع.
- الأقران/ الزملاء.

هناك جماعة لم يرد لها ذكر من قبل في هذه الفقرة، قد تكون ملزماً بأن تقدم لها تقريراً عن نتائج بحثك، هذه الجماعة هي: شركاء بحثك (المبحوثين). قد تكون اتفقت معهم على إطلاعهم على نتائج بحثك بطريقة ما، أو قد تكون راغباً فحسب في إشراكهم في الإطلاع على هذه النتائج. فإن تكن هذه هي حالتك، فتأكد من أنك قد أدخلت في حساباتك القضايا الأخلاقية التي أوجزنا القول فيها في فصل 5 باب 1، خاصة القضايا المتعلقة بالسرية/ أو مجهولة الاسم وبالحاجة لحماية شركائك من الضرر.

كيف وأين «تنشر»

إن كنت تخطط لتعريف الناس ببحثك، فإليك بعض القرارات التي لا بد من اتخاذها. أول هذه القرارات يتعلق بنطاق النشر. فهل ستنشر نتائجك على نطاق محلى، أم قومى، أم دولى (وربما - بالطبع - على نطاق يجمع بين توسيفه من هذه النطاقات)؟

إن كنت طالباً جامعياً ما زلت تدرس في مرحلة البكالوريوس، فقد يكون احتمال صلاحية بحثك للنشر على نطاق دولي احتمالاً ضعيفاً (إلا أنه لا يمكنك أبداً أن تكون متأكداً من هذا الأمر: فخذ المشورة دائماً من الأستاذ المشرف عليك) كما أن من المستحسن ألا تشغل هذه القضية بالك كثيراً. فإن كنت مهتماً بالأمر، فإننا نوصيك حينئذ بأن تمعن التفكير في طري ووسائل الاتصال المبينة في الجدول رقم (4 - 1) أعلاه.

البحوث المستقبلية

هناك دائماً حاجة لإجراء المزيد من البحوث عن أي موضوع ما. فلا شيء في العلوم الاجتماعية، حتى الآن، تم وصفه أو تفسيره بصورة كاملة، كما أن كل مشروع بحثي سيكون له بعض أوجه العجز أو القصور.

لهذا السبب، ينبغي أن بين نشرك لك أنه، ورغم أنك قد استوفيت أداء ما سبق أن أعلنت أنك ستقوم به، ما زال يوجد المزيد الذي ينبغي القيام به (بواسطةك أو بواسطة الآخرين).

المراجع وقراءات للاستزادة

Nursing and Health Sciences, 8 (1) (March), 2006.

Walker, D. (2001) *Heroes of Dissemination*, Swindon: ESRC.

ملحق الكتاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية الواردة في الكتاب مرتبة أبجدياً ومشروحة

الإبستمولوجيا Epistemology : الإبستمولوجيا نظرية للمعرفة، وهي تطرح رؤية ما وتبين ما يمكن اعتباره معرفة، أي ما الذي يمكن معرفته، وما المعايير التي لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيها لكي تستحق أن تسمى معرفة وليس اعتقدات.

الاتجاه الاستقرائي Inductive Approach : اتجاه في جمع البيانات وتحليلها يعالجها بالشكل الذي تم به ملاحظتها، وسماعها، وتسجيلها.

الاتجاه التأويلي Interpretivist Approach : يعني الاتجاه التأويلي في البحث الاجتماعي عادة ما يلى: جمع البيانات الكيفية (أى الغزيرة في التفاصيل وفي الوصف الدقيق)، كشف النقاب عن المعانى الذاتية، واستخدامها مادة البحث، تأويل المعنى في إطار سياق محدد، الفهم المتعاطف، أي: «وضع الباحث نفسه في موضع الشخص الآخر» (المبحث). (انظر الفصل 3 من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

الاتجاه النقدي Critical Approach : هو طريقة حكمنا (من واقع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظاتنا) على قيمة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلخ مما يتضمنه العمل موضوع التقييم. وعندما نصف تقديرنا بأنه «نقدي» فإننا لا نعني أي معنى سلبي؛ وإنما نقصد «التقييم» وحسب. وطبعاً أن نتأمل أحد أشكال هذا التراث المنشور - الذي سبق أن عرضنا له - وعندها سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التي يتوجب عليك أن تفحصها وتأملها.

الاتجاه الواقعي النقدي Critical Realist Approach : جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعي النقدي في البحث الاجتماعي على أنه : الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية، كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة، البحث الذي يؤدي إلى الفعل (أى التدخل)، جمع البيانات الكيفية و/ أو البيانات الكمية. (انظر الفصل 3 من الباب 1، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

الاتجاه الوضعي Positivist Approach : يعني «الاتجاه الوضعي» في البحث الاجتماعي عادة ما يلى : جمع البيانات الكمية ، قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعي ، أي الظواهر الاجتماعية ، البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعي ، غالباً ما تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات ، كما تستخدم الإحصاءات . (انظر الفصل الأول من هذا الباب ، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه).

الاتجاهات الاجتماعية Social Trends : ينشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعية» كل عام يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية ، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية . وتقدم البيانات في تشكيله من القوالب - كالجدول ، والخرائط والرسوم البيانية - ويوفر موجز للنقاط الرئيسية ذات الأهمية في هذه البيانات الأساسية التي تقوم عليه المناقشة . من خلال قراءتك لمثل تلك التقارير تستطيع اكتساب فهم للبيانات الإحصائية وللطريقة التي يمكن أن تعرض بها في أفضل صورة .

الاتصال عبر الحاسوب Computer-mediated Communication : أي استخدام الحواسب والإنترنت في الاتصال بين الأفراد .

الاتصال اللامتزامن Asynchronous Communication : هو الاتصال بين الأفراد الذين لا يكونون بالضرورة على اتصال شخصي ببعضهم البعض في نفس اللحظة .

الاتصال المتزامن Synchronous Communication : هو اتصال بين أفراد يشتركون فيه جميع المتكلمين في ذات الوقت ، حيث يستطيعون الدردشة . ويعرف هذا الاتصال أيضا باسم : «الاتصال الآني أو الفوري» .

الإثنوغرافيا Ethnography : يصف هذا المصطلح الاستراتيجية البحثية التي تقتضى من الباحث أن ينفق وقتا طويلا (قد يبلغ عددا من السنين أحيانا) منفما انغمسا تماما في مجتمع بحثه ، يرى البيانات ويسمعها من أصحابها مباشرة .

الإحالـة (إلى المراجع) Referncing : الإحالـة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة :
1- تبين من أين حصلت على أفكارك وشوأهلك المقتبسة ، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت ، أي إنك لم تتحل عمل غيرك . 2- وهي نتيجة للقارئ أن يتبع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب في ذلك) وأن يتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة . 3- وهي تظهر أنك تعلمـت كيف تتنـفع باعمال غيرك في بلورة أفكارك وإجاباتك .

الإحصائيات - 1 : Statistics هي «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية) وفي البحث الاجتماعي ينطوي مفهوم الإحصائيات على البيانات المقننة القابلة للعد والحساب أو المعبر عنها فعلا بعبارات عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمار، 2 «هي أي سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)، وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائي من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما بوصف هذه التقنيات الأساس الذي يقوم عليه جمع البيانات في كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هي سمات العينة التي يمكن عدها، مثل ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التي يقرؤون جريدة дилиلى ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «متاز»، كلا التعرفيين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير في إجراء تحليل إحصائي.

الاختبار الاستطلاعى Pilot Test: محاولة أو فرصة لتطبيق إحدى طرق جمع البيانات على عينة صغيرة من الحالات قبل القيام بالعملية الرئيسية لجمع بيانات البحث. ومن الممكن كذلك تجريب صياغة عبارات الأسئلة واختبار فهم المبحوثين وإجراءات جمع البيانات؛ من الممكن تجربة هذه الأمور كلها وتعديلها إن لزم الأمر قبل المرحلة الرئيسية للبحث.

اختبار كای تربيع Chi-Squared Test : يعني الاختبار الذى يمكن استخدامه للحكم على ما إذا كان الفرق بين متوسطى عينتين دال إحصائيا (ويقصد بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة). ويمكن استخدامه لمقارنة المتغيرات الاسمية أو متغيرات الرتب، كمتغير الذكر والأنثى مثلا.

الاختبار النظري للعينة (أو المعاينة النظرية) Theoretical Sampling: إحدى طرق اختيار العينة التي يتم فيها انتقاء الحالات الأولية عادة على أساس غير مقتن نسبياً: فعندما تبدأ النظرية في الظهور من داخل البيانات الأولية، يتم اختيار حالات إضافية بغرض استكشاف واختبار تلك النظرية الأذنة في الظهور. ويستمر هذا العمل إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويتم الوصول إلى التشبع النظري.

أخلاقيات البحث الاجتماعي Ethics : يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التي بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية في حياتها. ويعرفها ماكولى على النحو التالي: تعنى أخلاقيات البحث الاجتماعي خلق علاقة احترام متبادل بين الباحث والمبحوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المبحوثون — بكل رضا — على الإجابة عن الأسئلة بصرامة، وتؤدي إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة. ويعرفها مجلس بحوث العلوم

الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالي: يشير مصطلح «أخلاقيات البحث» إلى المبادئ والأسس الأخلاقية التي توجه البحث منذ بدايته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله.

أداة البحث Research Tool : هي الشيء الذي يستخدم لجمع البيانات، كالاستبيان، أو الباحث نفسه، أو دليل المقابلة.

الإدلة بالبيانات Data Production : هو طريقة التعبير عن الخبرات الاجتماعية والأفكار، والمشاعر، والسلوك وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية، وذلك باستخدام الكلمات. وهذا تصبح هذه الظواهر متاحة كبيانات اجتماعية. ويستطيع الأفراد والجماعات الإدلاء بالبيانات بواسطة الكلام، والكتابة، والتفكير—باستعمال اللغة. وبهذا يمكن تقسيم هذه البيانات مع الآخرين باستعمال لغة مشتركة.

الارتباط أو العلاقة الارتباطية Association or Associative Relationship : انظر: العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط.

الاستبيان Questionnaire : هو قائمة من الأسئلة يكون لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات. أو هو استماراة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسياً، والمفنة نسبياً، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة.

الاستبيان الإلكتروني Electronic Questionnaire : استبيان يصممه الباحث، ويستوفيه المشاركون (المبحوث)، وذلك عبر الاتصال بالكمبيوتر.

أسلوب تاريخ الحياة Life History Approach : طريقة في جمع البيانات يطلب فيها من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المشتركة.

الأسئلة البحثية المساعدة Subsidiary Research Questions : هي أسئلة من شأنها أن تساعدك على تحديد مجالات بحثك – التي ستركز عليها عملك – بصورة أكثر دقة.

أسئلة التصفية Filter Questions : هي أسئلة تستخدم لمساعدة الأفراد على الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطراد، وتبعاً لاختيار المبحوثين وفقاً لما إذا كان أحد الأسئلة ذات صلة بهم، أم لا.

أسئلة تفتح الموضوع (أو الأسئلة النابضة) Probes : هي أسئلة استكشاف عامة تعطي المبحوث الفرصة للإدلاء بالمزيد عن الأحداث والوقائع ذات الطبيعة الحساسة أو الشخصية دون اللجوء إلى طرح كثير من الأسئلة التفصيلية.

الأسئلة المحفزة Prompts : أسئلة تتعلق بأى حوار يجرى بين الباحث والمحبوث ولكنها ترتبط أساساً بنموذج المقابلة شبه المقتننة. فهي أسئلة تستهدف حث المبحوث على تغطية كل الجوانب أو العناصر المتعلقة بموضوع الدراسة (أى موضوع المقابلة). والهدف من هذه النوعية من الأسئلة تذكر الباحث بأن يطرح أسئلة عن هذه الجوانب إن لم يتعرض الباحث في إجابته لهذه المعلومات.

الأسئلة المفتوحة Open Questions : هي الأسئلة التي تتبع للمبحوث أن يجب على الأسئلة بطريقته الشخصية.

إطار المعاينة Sampling Frame : قائمة حصرية تضم كافة أفراد مجتمع البحث التي سوف تسحب منها العينة.

الإطار النظري Theoretical Framework : هو الأفكار والاتجاهات المتعلقة بالنظرية إلى المعرفة، وجمعها، وهي التي توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع بحث ما.
الاعتمادية Dependability : هي أحد مقاييس جودة البحث. وتعنى - مثلاً - أن كل البيانات قد تم إدراجهما، وأنه لم تفقد أي بيانات بسبب عيب في أجهزة التسجيل الصوتية أو بسبب قصور في أجهزة النسخ.

إنتاج البيانات Data Production : انظر : الإدلاء بالبيانات.

الانتحال Plagiarism : هو تقديم عمل شخص آخر كما لو كان هو عملك أنت؛ أو نسخه؛ أو عدم الإحالة إلى العمل الأصلي، أو بيان فضل صاحب هذا العمل بطريقة أو بأخرى.

الانحراف المعياري Standard Deviation : الانحراف المعياري مقياس لتشتت الحالات حول المتوسط (الوسط الحسابي) حين تتوزع البيانات في توزيع اعتمالي، حيث يقع ما يقرب من ثلثي قيم البيانات الموجودة داخل نطاق انحراف معياري واحد موجود على كل جانب من جانبي المتوسط، ويقع 95% من القيم داخل انحرافين معياريين من المتوسط.

الأنطولوجيا Ontology : هي علم أو دراسة «الوجود». وتعنى الأنطولوجيا في البحث الاجتماعي طريقة النظر إلى وجود العالم الاجتماعي، كما تعنى ما يمكن افتراضه بشأن طبيعة وحقيقة الظواهر الاجتماعية التي تشكل العالم الاجتماعي.

أيقونات التعبير عن الانفعالات Emoticons : وهي أشكال استحدثها مستخدمو الشبكة للتعبير عن الانفعال أو الرأي أو الحالة المزاجية. وهي تختلف عن التعبيرات النصية المكتوبة. وهي توليفه من كلمتي emotion (عاطفة / انفعال) و icons (أيقونات).

البحث - 1 Research: ... هو الاستقصاء المنظم، والمنضبط والإمبريقي، والنقدي للفرضيات التي توضع بشأن بعض العلاقات التي يفترض وجودها بين الظواهر، - 2 «البحث» في مفهوم اللانحة التي تنظم عملية «تقييم البحوث الجامعية في المملكة المتحدة» هو: عملية استقصاء أصيل (مبتكر) يتم القيام به من أجل تحصيل المعرفة وبلوغ الفهم. ويغطي مثل هذا البحث أموراً تتصل مباشرةً باحتياجات التجارة، والصناعة، وبأعمال كل من القطاع العام والقطاع التنموي، وبقضايا الدرس العلمي، وباحتراز وتوليد الأفكار، والصور الذهنية، وفنون الأداء، والأعمال الفنية التي تقوم على التصميم الفني؛ وهي الأمور التي تؤدي للوصول إلى رؤى جديدة تتسم بالعمق والإتقان الفائق. كما يشمل هذا الاستقصاء الانفصال بالمعرفة المتوفرة فعلاً في عمليات التطوير التجريبي التي تستهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسنة تحسيناً فائقاً وإنتاج معدات ومنتجات وعمليات جديدة، بما تتطوّر عليه من تصميم وتنفيذ. ومن شأن هذا الاستقصاء أن يستبعد من نطاق اهتمامه مجال الاختبار الروتيني والتحليل الروتيني لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليات الخاصة بالالتزام بالمعايير القومية (الجودة مثلاً)، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة. كما يستبعد هذا الاستقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التي لا تتطوّر على أي بحث مبتكر، - 3 البحث عملية تدريجية تتضمن جمع المعلومات وفحصها ونحو ذلك. نقوم بالبحث كي نحسن معرفتنا بالعالم الذي نعيش فيه وفهمنا له. ويتضمن البحث - في الغالب - اكتشاف شيء جديد، - 4 البحث هو تقبّل أو استقصاء موجّه لاكتشاف حقيقة ما عن طريق التأمل الدقيق أو الدراسة الدقيقة لموضوع ما. فهو مسار للدرس النقدي أو العلمي. وهو يعني التتفّق (أو التفتّيش) عن مادة أو موضوع معين : أي استقصاء أو دراسته على نحو دقيق.

البحث الاجتماعي الإلكتروني Online Social Research : هو جمع البيانات بواسطة الحاسوب، كما يقوم - بالطبع - بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات، والتي منها مثلاً الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة ... إلخ، بحيث تكون صالحة للاستخدام في بيئة افتراضية إلكترونية.

البحث الاستكشافي Exploratory Research : ويسمى كذلك البحث الاستطلاعي، ويقصد به البحث الذي يهدف إلى الكشف عما يعده المبحوثون مهمّاً في موضوع البحث، وكذلك للتعرف على الطريقة التي يستخدم الأفراد بها اللغة في الحديث عن موضوع البحث.

البحث التفسيري Explanatory : هو البحث الذي يهدف إلى تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة.

البحث الشفاف Transparent Research : يعني هذا الوصف - في سياق البحث - أن العملية البحثية والقرارات التي اتخذها الباحث مسجلة ومتاحة للأخرين لتمحصها والتدقير فيها.

البحث المقارن Comparative Research : استراتيجية بحثية تتبع في دراسة موضوعي بحث أو أكثر، غالباً ما تكون دولاً أو ثقافات.

البيانات Data : هي مجموعة من الحقائق (أو المعلومات الأخرى، كالآراء والقيم مثلاً) التي يمكن تحليلها، كما يمكن استخراج النتائج منها (مع أن كلمة data هي جمع كلمة datum في ابن «قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية» يقر أن صيغة الجمع هذه - وهي كلمة data - تستعمل عادة بوصفها مفرداً، كما هو الحال في هذا الكتاب).

البيانات الأولية Primary Data: هي البيانات التي يجمعها الباحث خصيصاً للبحث الذي يقوم بإجرائه.

البيانات التأملية (النقدية) Reflexive Data : هي البيانات التي يقدمها الأفراد بأنفسهم عندما يفكرون فيما يقومون به من أعمال، وفيما يعايشونه من خبرات ومشاعر، وعندما يحاولون فهم واقعهم الاجتماعي.

البيانات الثانوية Secondary Data : هي البيانات التي يستعملها الباحث ويكون قد سبق أن قدمها باحثون آخرون.

البيانات الخام Raw Data : هي البيانات التي لم يجري تحليلها بأى طريقة من الطرق، وتقدم بنفس الصورة التي جمعت فيها.

البيانات الموحدة Harmonized Data : بيانات تم جمعها من عدد من المصادر المختلفة، ولكنها تأخذ في الاعتبار اختلاف طرق جمع تلك البيانات، فهـي بذلك تتيح للباحثين الحصول على بيانات مقارنة.

بيانات المؤسسات Organisational Data هي البيانات التي توفرها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية : كالشركات الكبرى، والمعاهد التعليمية، والجمعيات الخيرية، والمنظمات الشبابية ... الخ.

التحليل Analysis : عملية معالجة البيانات بهدف رسم صورة لها، ومناقشتها وتفسيرها وتقييمها وشرحها في ضوء أسلمة البحث أو فرض المشروع البحثي.

تحليل الخطاب Discourse Analysis : إحدى طرق التحليل الكيفي التي تعتمد على اللغة أو علم الألسنية.

التحليل المتعدد المتغيرات Multivariate Analysis : هو تحليل ثلاثة متغيرات أو أكثر معاً.

تحليل المتغيرين Bivariate Analysis : هو تحليل متغيرين معاً في عملية واحدة.

تحليل المضمون Content Analysis : أسلوب للكشف عن الفئات والمفاهيم التي تتطوّر عليها البيانات وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية، وتركيزها بعد ذلك في عدد أقل حتى يصبح من السهل فهمها.

تحليل الموضوعات Thematic Analysis : هو عملية معالجة البيانات الخام لتحديد وتفسير الأفكار أو الموضوعات الأساسية.

التحيز Bias : التحيز لصالح - أو ضد - جماعة، أو فرد، أو توجّه نظري معين ... إلخ.

التخطيط Planning : أي الترتيب مقدماً (ال فعل أو العملية يراد تنفيذها)، وتخيل المراحل، ووضع تصور أو صياغة محددة لمشروع أو أسلوب في التنفيذ.

الترج الطبقى Stratification : طريقة لتنظيم مجتمع البحث لتحسين درجة تمثيل العينة لهذا المجتمع.

تدوين الملاحظات السريعة النظرية Theoretical Memoing : «في تحليل البيانات القائم على النظرية المؤتقة، يكون تدوين الملاحظات السريعة النظرية هي التدوين التنظيري للأفكار المتعلقة بالأكواود الأساسية، وعلاقتها المكونة تكويناً نظرياً، وذلك عندما تظهر هذه الأكواود وال العلاقات أثناء تكويد، وجمع وتحليل البيانات، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة» (جلاسر).

التراث العلمي Literature : التراث العلمي مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسوف يكون ذلك : (أ) وضع قائمة باللغة الطول، و(ب) سر عان ما ستتصبح مثل هذه القائمة شيئاً باليها عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلى قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث: الكتب، المجلات العلمية المحكمة، المجلات العلمية غير المحكمة، الرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات، الصحف والمجلات، التلفزيون والراديو، تقارير المؤسسات والهيئات، الوثائق الرسمية، تقارير البحث، شبكة الإنترنت.

الترميز (الكتويد) Coding : عملية «وضع رموز» أو علامات مميزة على المادة للانتفاع بها لاحقاً عند التحليل.

التشبع بالبيانات Data Saturation : هي الفكرة القائلة بأن هناك سبلًا يستطيع الباحث من خلالها أن يتأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافي» من البحث.

التصميم البحثي التجاربي Experimental Research Design : يفترض هذا النمط من أنماط البحث أن المادة أو الحالات التي تجري دراستها يمكن للباحث أن يتحكم فيها على نحو ما، بحيث يمكنه في النهاية قياس ما طرأ من تغير أو اختلاف عن الوضع الذي كان قائماً قبل البحث.

التصميم البحثي شبه التجاربي Quasi-experimental Research Design : التصميم البحثي الذي يستخدم في الظروف التي يمكن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التي تختلف «بشكل طبيعي»، حيث تستخدم إحداها كجامعة ضاغطة والأخرى كجامعة تجريبية.

التصميم البحثي المقارن (القطاعي) Cross-Sectional Research Design : هو التصميم البحثي الذي يستعمل على دراسة أكثر من حالة واحدة، ويتم فيه جمع البيانات في توقيت معين. كما يشمل مبحثه مجموعات من الناس أو الحالات التي يمكن عقد مقارنات بينها.

تعدد أدوات البحث Triangulation : مقياس للوقوف على مدى جودة البحث يعني أنه إذا جمعت أنواع مختلفة من البيانات للإجابة على نفس السؤال البحثي، فإنه يمكن استخدام كل فن من البيانات لاختبار نتائجها في ضوء نتائج فنات البيانات الأخرى.

التعدد المنهجي Triangulation: انظر: المادة السابقة.

التعريف التقريبي Proxy Definition : هو تعريف مستمد من التجارب والخبرات يستخدم كدليل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف شيء ما.

التعريفات الإجرائية Operational Definitions : تعريفات يمكن أن يعتمد عليها الباحث وأن يعدل منها لكي تساعده في التركيز على أسلمة البحث وعلى أن يحدد نوعية البيانات التي سيجمعها لكي يجيب عن تلك الأسئلة.

تقارير المؤسسات والهيئات Grey Literature : هي عبارة عن وثائق تعدّها بعض المنظمات أو الشركات، أو يتم إعدادها لحسابها.

التقييم Evaluation : هو استراتيجية بحثية ترتبط عادة بنوع من التدخل أو التغيير الذي تم إحداثه، وبما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغيير أو حقق النتائج المستهدفة أم لا.

النكرار Frequency : هو عدد مرات إعطاء كل إجابة على حدة ، أو قل: عدد مرات حدوث نتيجة معينة.

التكويد Coding : انظر الترميز.

التكويد الانتقائى Selective Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة، يكون التكويد الانتقائى هو المرحلة الثالثة والأخيرة فى تكويد البيانات، وهو عملية اختيار فئة مركزية أو أساسية، ثم ربط كل ما سواها من الأكواب، والموضوعات والفنانين الأخرى بها.

التكويد المحورى Axial Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة يكون التكويد المحورى هو المرحلة الثانية من تكويد البيانات، كما أنه يتضمن ربط الأكواب بعضها ببعض.

التكويد المفتوح Open Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة، يكون التكويد المفتوح هو المرحلة الأولى من تكويد البيانات، وتحديد ووصف ظواهر البحث، وإعطائها أسماء مناسبة.

التنميط Typology : هو النمط الشائع لارتباط بعض المتغيرات بعضها.

التوزيع Distribution : هو نوع من ترتيب قيم أحد المتغيرات الذى يبين تكرار حدوثها الملحوظ.

التوزيع الاعتدالى Normal Distribution : يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». وقد نوقش موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون فى خصائص العينات المسحوبة من مجتمع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا). ويلاحظ فى البحث الاجتماعى الفعلى، أنه نادراً ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماماً، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

التوزيع التكرارى المجتمع Cumulative Frequency : هو ترتيب البيانات التكرارية فى فئات يصل مجموعها الكلى إلى 100 %.

الثبات Reliability: معيار من معايير جودة البحث، يعني أن يوسع الباحثين الآخرين أن يتوقعوا التوصل إلى نفس النتائج إذا نفذوا البحث بنفس الطريقة. أو يعني المفهوم أن الباحث الأصلي سوف يحصل على نفس النتائج إذا كرر نفس البحث مرة أخرى.

الثقافة Culture : الثقافة هي مجمل الأفكار والسلوكيات الاجتماعية، والعادات، والمعايير التي تشكل مجتمعة أسلوب حياة الناس في مجتمع معين.

جدال الأرقام العشوائية Random Number Tables : هي قوائم أرقام تم اختيارها عشوائياً بواسطة الحاسوب الآلي.

الجدولة المزدوجة Cross Tabulation : عرض البيانات الخاصة بمتغيرين اثنين في جدول واحد، بحيث يمكن للباحث أن يتعرف على أوجه الشبه وأوجه الاختلاف اللافتة داخل هذه البيانات.

الجماعة التجريبية Experimental Group: هي في التصميم البحثي مجموعة الأفراد أو المواد التي يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما.

الجماعة الضابطة Control Group: هي في التصميم البحثي مجموعة من الأفراد أو المواد تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحي فيما عدا نقطة إحداث تدخل أو تغيير فيها.

جماعة المناقشة المركزية (البوريية) Focus Group : هي طريقة لجمع البيانات تقسم عادة بأنها: تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شخصاً، ومن يشتراكون في أمر معين، يكون مرتبطاً بموضوع البحث، وذلك للمشاركة في نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته.

جودة البحث Research Quality : الثبات والصدق، ودرجة الثقة، والممارسة الأخلاقية للعمل البحثي.

الحالات السلبية Negative Cases: هي حالات تبدو متعارضة مع النظرية الأخذة في الظهور أو تندها.

الحالة التبعية Longitudinal Case : في طريقة دراسة الحالة تتبع كثير من دراسات الحالة فرصة دراستها عند نقاط زمنية مختلفة، ولذلك تختار دراسات الحالة التبعية على أساس إمكانية إجراء دراسات متتابعة لها عبر فترة زمنية معينة.

الحالة الكاشفة Revelatory Case : في طريقة دراسة الحالة تتتوفر في الحالة الكاشفة إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث. وهذه الحالة تحقق للباحث منفذاً أو تفتح أمامه سبيلاً لفهم موقف كان خافياً عليه.

الحالة المتطرفة أو الفريدة Extreme or Unique Case : في طريقة دراسة الحالة تكون هي الحالة التي يتم فيها التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تد مختلف عن مثيلاتها، ولذلك يكون هذا التفرد هو موضوع الاهتمام. وقد تكون الحالة الوحيدة التي حدث فيها ارتباط خاص متميز بين الناس والأحداث.

الحالة الممثلة أو النمطية Representative or Typical Case : في طريقة دراسة الحالات لا تكون هذه الحالة في الحقيقة سوى عكس الحالات الفريدة تماماً. فهذه الحالة تختار لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة، فيبي معنى ما إحدى الحالات اليومية، أو المعتادة، التي تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى، ويكون هذا هو مبرر اختيارها.

الحالة النقدية Critical Case : يقصد بها في طريقة دراسة الحالات اختيار الحالة التي ستتيح للباحث اختبار نظرية معينة أو فرضياً معيناً. فهذه الحالة تملك الإمكانيات التي توفر صحة تلك النظرية أم لا. ويمكن أن تكون هذه حالة وقوع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتتيح للباحث فرصة دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغيير من نتائج.

الخطاب Discourse : هو نص، سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً، موجود في أي وسيلة اتصال. **خطأ المعاينة Sampling Error :** التباين المحتمل ظهوره بين متواسطات العينة ومتواسطات مجتمع البحث (أي المتواسطات الإحصائية لمختلف السمات والعناصر).

الخميس Quintile : هو جزء من خمسة أجزاء من عينة ما أو من مجموعات بيانات. **دراسات الأفواج/ دراسات الفجوج Cohort Studies :** نوع من الدراسات التبعية التي تتناول مجموعة من الأفراد من نفس السن، وتقوم بجمع معلومات عن كل منهم في مواجهة محددة طوال حياتهم.

الدراسة الاستطلاعية Pilot Test : تجربة يتم تنفيذها أو فرصة يجري الاستفادة منها لتجربة إحدى طرق جمع البيانات من عينة صغيرة تضم عدداً محدوداً من الحالات، وذلك قبل الشروع في جمع بيانات البحث الرئيسي. وفي هذه الدراسة يتم تجربة صياغات الأسئلة وفهم المبحوثين لأسئلة البحث، وإجراءات جمع البيانات. كما يتم تعديل كل ذلك إذا استدعت الظروف، وذلك قبل البدء في البحث الرئيسي.

الدراسة التبعية (الطولية) Longitudinal Study : التصميم البحثي الذي يتتيح للباحث الالتقاء بنفس الناس أو الموافق في توقيتات حاسمة محددة، لكي يتبيّن - من واقع هذه المتابعة - كيف أثرت التغيرات عبر تلك الفترات على مختلف جماعات الناس.

الدراسة التبعية Prospective Longitudinal Study: هي دراسات بحثية تصمم منذ البداية كى تكون دراسات تبعية.

الدراسة التبعية الاسترجاعية Retrospective Longitudinal Study: نوع الدراسة التبعية التى تجمع فيها بيانات عن ماضى أفراد العينة، وذلك - مثلاً - عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم الماضية، أو جمعها من السجلات إن كانت متاحة.

دراسة الحال Case Study: تشمل دراسة الحالة إما حالة واحدة أو عدداً قليلاً من الحالات، التي تدرس كل واحدة منها دراسة مفصلة ومتعمقة. ويتعين جمع عدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراسة، وقد تتم الاستعانة في دراسة الحالة بالبيانات المسحية والتبعية. وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصاً، أو منظمة، أو موقفاً معيناً، أو دولة، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشير سؤال البحث. والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة، يكون من الواضح معها ما ينتمي إلى الحالة وما لا ينتمي إليها. فدراسة الحالة - بهذا المعنى - تتبنى توجهاً كلياً، حيث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بين مختلف الأجزاء المكونة للحالة من ناحية والحالة في مجملها، أي السياق الاجتماعي الذي توجد فيه من ناحية أخرى. على أن دراسة الحالة ليست مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلى، أو منظمة ما، أو جماعة معينة. ذلك أن الحالة ذاتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث. من هنا تكون عملية اختيار الحال أمرًا مهمًا، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التي ستتمكنك من معالجة تسؤالك البحثي.

الدراسة المنضطبة عشوائيا Random Controlled Study : هي عبارة عن تصميم بحثي يقسم فيه المبحوثون إلى مجموعات رئيسية على أساس العمر، أو النوع، أو الانتماء الإثنى أو غيرها من الخصائص المرتبطة بموضوع البحث، وبعد ذلك يتم تقسيم المبحوثين عشوائياً إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية.

درجات الحرية Degrees of Freedom : مقياس إحصائى يستخدم مع اختبارات كاي تربع لحساب الدلالة الإحصائية.

الدلالة الإحصائية (أو المعنوية الإحصائية) Statistical Significance : الدلالة الإحصائية أو المعنوية الإحصائية هي حكم يتعلق بمدى رجحان النتيجة الملوحظة، ليس إلا. وهي لا تضمن أن شيئاً مهماً أو حتى شيئاً له معناه قد عثر عليه.

١ - ويتم تصميم اختبارات الدلالة الإحصائية لاستعمالها مع البيانات التي تجمع من عينة مأخوذة من مجتمع بحث ما. وعادة ما يتم اختيار هذه العينة لتمثل مجتمع بحث محدوداً تمثيلاً إحصائياً. والهدف الرئيسي لاختبار الدلالة الإحصائية هو توفير مقياس يقيس مدى احتمال أن العلاقات الموجودة في البيانات المستمدة من هذه العينة سوف توجد أيضاً في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً. ومن شأن هذا الاختبار أيضاً أن يبين مدى الاحتمال الإحصائي لأن تكون العلاقات القائمة بين البيانات الموجودة في العينة غير موجودة في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً.

ويجب على الباحث أن يحدد ما هو مستعد لقبوله من مستوى الخطير المائل في كون بيانات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع في مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطير الذي يشيع استعماله أكثر من غيره هو: احتمال < 0.05 ، أو 5% احتمال أن العلاقات الموجودة في بيانات العينة لن توجد في مجتمع البحث الكبير. ولا ريب أننا لا نستطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر، أو لا تعتبر، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5%， إلا أننا نستطيع بواسطة إمعان النظر في مستوى الاختبار الإحصائي أن نتوصل إلى شيء من الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التي من شأنها أن توجد في مجتمع البحث الأكبر.

٢ - تستعمل الدلالة الإحصائية كذلك لبيان احتمال أن تكون نتيجة معينة مثل كاي تربيع، قد حدثت مصادفة. ففي المثال الخاص بكى تربيع، طرحنا فرض صفرية بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين. فإن وجدنا أن هذه النتائج ذات دلالة إحصائية أمكننا حينئذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى. والمستوى المقبول للدلالة الإحصائية، والذي يستعمله معظم الباحثين الاجتماعيين هو ح (احتمال). > 5.0 . أي: احتمال 5% لعدم وجود علاقة بين المتغيرين.

دليل المقابلة Interview Guide : هو برنامج المقابلة، فضلاً عما يحتوى عليه من الملاحظات والفرات الإضافية لمساعدة الباحث.

دليل الموضوع Topic Guide : مجموعة من الأسئلة العامة أو النقاط الرئيسية، أو الأسئلة المحفزة المقرر أن يعطيها الحوار داخل جماعة المناقشة، أو أثناء المقابلة. وأهم وظائفها: ١ - أنها تساعد المنسق (أو الباحث) على تذكر القضايا أو الأسئلة التي تطرح. ٢ - يقترح طرق لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسئلة. ٣ - وينظر المنسق بأن يطرح أسئلة تفتح الموضوع ويتبع التعلقات. ٤ - يشتمل على نوع من التقديم وعلى طريقة لإنتهاء اللقاء. ٥ - يكفل تغطية نفس الموضوعات في كل جماعة (في حالة ما إذا

كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك في إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين).

الرُّبع Quartile: جزء من أربعة أجزاء من مجموعة بيانات.

السرد Narrative : هو الوصف الذي يتناول تسلسلاً لأحداث ماضية كما تبدو للراوى في الوقت الحاضر، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هذه الأحداث، وحلها، وصاغها في صورة حكايات.

سؤال البحث Research Question: التساؤل المبدئي الذي انبعث منه مشروع البحث بأكمله.

السؤال متعدد الأكواد Multi-Coded Question : هو السؤال الذي يتطلب أكثر من إجابة واحدة، ولذلك يرتبط به أكثر من متغير.

شبه التجربة Quasi-experiment: تعنى حرفياً «التجربة التي تكاد تكون تجربة حقيقة»، ولكنها تفتقر إلى بعض الخصائص المميزة للتجربة.

شبه المقتنة Semi-Structured : مصطلح يصف البيانات، أو إحدى طرق جمع البيانات (المقابلة أو الاستبيان)، التي قد تختلف فيها الأسئلة والإجابات سواء من حيث صياغتها أو من حيث تفصيلها، كما أن الإجابات التي يرد بها على الأسئلة تكون — غالباً — مصاغة بنفس الكلمات التي نطق بها المبحوث.

شفاف Transparent : انظر : البحث الشفاف.

الشكل البياني Diagram : هو عرض للبيانات أو للنتائج في قالب من الجداول والرسوم البيانية.

الشكل البياني للشتت Scattergram : هو رسم بياني يحدد موقع متغيرين ليبين في صورة واضحة ما إذا كان من الممكن أن يكون هذان المتغيران مرتبطين ببعضهما، ومدى ذلك الارتباط.

الصدق Validity : مقياس لجودة البحث، يعني أن البيانات التي تنوى جمعها ومعالجتها لكي نجيب على الأسئلة المطروحة في بحثنا هي تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعي الذي نقوم بدراسته.

صناديق الإجابة Check Boxes : توجد في الاستبيان الإلكتروني، وهي صناديق (أو براويز) يمكن للمستجيبين أن يوقعوا في داخلها علامات يجيبون بها على أحد الأسئلة.

صناديق الكتابة Text Boxes : توجد في الاستبيان الإلكتروني، وهي صناديق (أو براوizer) يمكن للمستجيبين أن يكتبوا في داخلها إجاباتهم.

طرق البحث الظاهرة Overt Methods: هي طرق البحث الصريحة التي فيها يدرك المبحوثون أنهم جزء من البحث الذي تجريه.

طرق البحث الكمية Quantitative Research Methods : تقوم طرق البحث الكمية أساسا على جمع البيانات المقننة ومعالجتها، وهي بيانات يمكن عرضها في شكل رقمي. ويتم جمع البيانات الكمية عادة - على نحو ما عرضه الفصل 2 من باب 1 - في الحالات التي يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفيا (ابستمولوجيا) وضعيما، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصانيا.

طرق البحث الكيفية Qualitative Research Methods : أما طرق البحث الكيفية فتقوم أساسا على الاهتمام بالقصص والروايات التي يقدمها المبحوثون وتحتوي على مفاهيم، ومشاعر، وأراء، ومعتقدات ذاتية. ويتم جمع البيانات الكيفية عادة - على نحو ما أوضح الفصل 2 من باب 1 - في الحالات التي يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفيا تأويليا ، وتكون البيانات المجموعة هي كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم.

طرق البحث المباشرة Face to Face Research Methods : هي طرق البحث التي تتطلب أن يلتقي الباحث بالمشاركين باشخاصهم مباشرة.

طرق البحث المستترة Covert Methods : هي طرق البحث التي لا يدرك فيها المبحوثون أنهم جزء من مشروع البحث، أو التي يتم فيها ملاحظتهم بطريقة خفية غير ظاهرة.

الطرق المختلطة Mixed Methods : هي تلك الطرق التي تجمع بين الطرق الكيفية والكمية على نحو يكون هو الأنسب لمشروع بحثي معين.

طريقة العينة الحصبة (بالحصة) Quota Sampling : طريقة من طرق اختيار العينة تختار عددا معينا من الحالات - أو حصة (كونا) - وفقا لتتوفر عدد من المعايير فيها.

طريقة كرة اللحج Snowball Sampling : طريقة من طرق اختيار العينة يقوم فيها الباحث بسؤال أفراد العينة المبدئية أن يحددوه، أو يعرفوه، على أشخاص آخرين يتسمون بنفس خصائصهم. وبعدها يشرع الباحث في الاتصال بهؤلاء لإجراء بحثه.

الظاهرة الاجتماعية Social Phenomenon : هي أي شيء يؤثر في البشر أو يتأثر بهم، في ثابيا تفاعلهم مع بعضهم وتجاوبيهم مع البعض.

العالم الاجتماعي Social World : هو الإطار أو الظروف الثقافية التي يتم إجراء البحث الاجتماعي في داخلها.

العبارات أو الأحكام التقييمية Value Statements : هي الجمل التي تصدر عادة من شخص ما، وتعتبر مؤشرات دالة على رأى كل شخص عندما يستعمل حكمه ومعاييره الشخصية.

عدم الاستجابة Non-Response : تحدث عدم الاستجابة عندما يسحب أحد المبحوثين المختارين موافقته على الاشتراك في مشروع البحث. وقد يرجع ذلك إلى رفضهم لفكرة البحث، أو بسبب مرضهم، أو لأنهم لا يصلحون أصلاً لإجراء البحث عليهم.

العشواني Random : يعني أنه لا يمكن التنبؤ به، ولا يأخذ في الاعتبار سمات أو خصائص محددة. ففي حالة المعاينة الإحصائية - مثلاً - يتم اختيار العينة العشوائية من بين أفراد مجتمع البحث بحيث يتاح لكل حالة فرصه متساوية لإدراجهما في العينة التي يجرى اختيارها، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة.

العشير Decile : جزء من عشرة أجزاء من عينة أو مجموعات بيانات.

العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط Association or Associative Relationship : هي الاعتقاد بوجود علاقة إحصائية بين مفهومين أو ظاهرتين، دون أن تكون إحداثها بالضرورة سبباً للأخرى.

العلاقة السببية Causal Relationship : هي التأكيد على أن تغيراً في الظاهر (أ) ينتج عنه تغيراً في الظاهر (ب).

العلاقة العلية : انظر : المادة السابقة.

العلوم الطبيعية Natural Sciences : هي دراسة العالم المادي والظواهر المرتبطة به، وهي الدراسة التي تشمل - مثلاً - مبحث الكيمياء ومبحث الفيزياء... الخ.

العملية Process : سلسلة متواصلة وغالباً ما تكون مستمرة من الأفعال، التي يقصد منها تحقيق نتيجة محددة. ويتطلب هذا الوضع - في أغلب الأحيان - من هذا الأمر من الباحث أن يتبع مجموعة معتمدة عادة من الإجراءات الروتينية.

العينة الاحتمالية Probability Sample : العينة التي يمكن القول بأنها ممثلة أشد التمثيل لمجتمع البحث كله - أو لكافة الحالات المحتمل دراستها - وذلك وفقاً للمعايير المرتبطة بالموضوع.

عينة الحالات الحرجية Critical Case Sampling : تختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها «الحادي أو الشديد» في مسار ظواهر اجتماعية معينة.

عينة الحالات المتطرفة Extreme Case Sampling : في هذه العينة تختار الحالات بسبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها.

عينة الحالات النموذجية (المعتادة) Typical Samling : هنا تختار الحالات التي تعد نموذجية أو «معتادة».

العينة الحصبية (بالحصة) Quota Sampling : انظر: طريقة العينة الحصبية.

العينة العشوائية Random Sample : هي العينة التي تختار من مجتمع بحث يكون لكل حالة من أفراده فرصة متكافئة للدخول في هذه العينة، ومن سماتها أنه لا يمكن التنبؤ سلفاً بطبيعة تكوين العينة.

العينة العمدية Puposive Sample: العينة المكونة من حالات مختارة، التي تتبع للباحث أفضل فرصة لدراسة أسلمة بحثه والإجابة عليها بشكل متعمق.

العينة العمدية الطبقية Stratified Purposive Sampling : لعل أشهر طرق اختيار العينة العمدية أن يتم اختيار أفرادها من بين مجموعات من الأفراد أو الحالات التي يوجد بها قدر من التباين بينها، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات. ويتم تحديد تلك المجموعات - التي ستختار منها العينة - من واقع بيانات متوفرة سلفاً من مسح أو بيانات إحصائية سكانية.

العينة العنقودية Cluster Sample : هي عينة تتكون من حالات وقع عليها الاختيار بسبب قربها من بعضها البعض.

عينة كرة الثلج Snowball Sample: انظر: طريقة كرة الثلج (في المعاينة).

العينة المتتجانسة Homogeneous Sample : وفيها تنتهي كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة أو تقسم جميعها بنفس الخصائص. وتتيح لنا مثل هذه العينة أن ندرس بشكل تفصيلي متعمق ظاهرة اجتماعية معينة.

العينة المكثفة Intensity Sampling : هنا تختار الحالات لأنها «تمثل بقعة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث».

العينة الممثلة Representative Sample : هي العينة التي يتم اختيارها لكي تكون ممثلة لمجتمع بحث أكبر حجماً.

العينة النظرية Theoretical Sample : العينة المكونة من حالات مختاراة، التي تمكن الباحث - على أفضل نحو - من بلوغه بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها.

العينة غير المتتجانسة أو البالغة التباين Heterogeneous or Maximum Variation Sample : في هذه العينة يعني التأكيد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين .

غرف الدردشة Chat Rooms : هي منتديات نقاش إلكتروني يسمح بالاتصال المتزامن، وكذلك الاتصال اللامتزامن.

غير المقنن Unstructured : مصطلح لوصف البيانات، أو طريقة جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان)، حيث لا تنظم الأسئلة والإجابات وفق دليل أو قالب محدد.

فائد للنظرية Athetheoretical : يعني غياب النظرية الأساسية أو مجموعة الأفكار التي تفسر ما يجري من أمور.

الفرض Hypothesis : هو اقتراح أو حكم يقصد به شرح الملاحظات أو الواقع؛ ويمكن النظر إليه باعتباره «تخمينا قائما على المعلومات» يتعلق بالعالم الاجتماعي، والذي من شأنه - إن كان حقا - أن يفسر الظاهرات الجارية دراستها.

الفهم Understanding : أي فهم معاني ودلائل المعلومات.

القابلية للتعميم والقابلية للتحويل Generalisability/ Transferability : وهما مقياسان لقياس جودة البحث، بهما يتساءل الباحث: إلى أي مدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثي تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟

القابلية للتكرار Replicability : أحد مقاييس جودة البحث، ويعني أن لأى باحث آخر أن يتوقع الوصول إلى نفس النتائج إذا نفذ هذا البحث نفسه بذات الطريقة التي أجرى بها.

قواعد اللغة (النحو والصرف) Grammar : هي «القواعد» التي تحكم الطريقة التي تصاغ بها اللغة، وتحدد - في حالة الكتابة - استعمال الترقيم وبناء الجملة حتى يكون المعنى الذي يقصده الكاتب واضحًا عند القاريء.

قوائم الإجابات المحتملة Drop-down Lists : توجد في الاستبيان الإلكتروني، وهي مجموعة من الإجابات المحتملة تقدم في صورة قائمة يختار منها المستجيبون إجابة واحدة أو أكثر من إجابة يرونها ملائمة.

القوائم المعلقة Drop-down Lists: مصطلح يتعلّق بتصميم الجداول في برامج «مايكروسوفت ورد» مثلاً، يشير إلى القوائم والجداول ... الخ الموجّل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها.

كاي تربيع Chi-Squared Test : اخبار كاي تربيع.

الكلمة المفتاح (الكلمة المرشدة Keyword): الكلمات المفتاحية هي المصطلحات التي توجه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبات العامة، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه. ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عناء، وأن ترتبط بين أكثر من كلمة لكي تضيق نطاق البحث. ونتيجة لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: «&» أو «+» أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية. كما تسمح لك باستخدام OR أو «/» للاختيار بين كلمتين مطلوبتين) ولذلك يجب أن تتأكد مقدماً ما الأدوات (أو العلامات) التي تصلح للنظام الإلكتروني الذي تستخدمه؟

الكود أو الرمز Code : هي طريقة لتمييز جواب معين أو سمة معينة. وقد يكون الكود رقمياً أو أبجدياً.

المباشر (وجهها لوجه Face to Face) : توصف بال المباشرة طرق البحث التي تعتمد على التقاء الباحث والمبحوث وجهها لوجه.

المتغير Variable : هو صفة أو خاصية للحالات المدرسبة (والتي قد تكون مثلاً: أفراداً، أو منظمات أو أشياء، أو مواقف) والتي يمكن أن تتباين (أو تتغير) في حالة إلى حالة.

المتغير التابع Dependant Variable : المتغيرات التابعة يمكن أن تتباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات - المستقلة - الأخرى، كما أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات، مثل ذلك، أن إحساس المستجيب بصفاته الشخصية قد يكون مرتبطاً بسنّه.

المتغير المستقل Independant Variable : المتغيرات المستقلة هي متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها، مثل ذلك، أن سن المستجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة.

المتوسط (الوسط الحسابي Mean) : هو متوسط إحصائي يحسب عن طريق جمع إجمالي كل القيم ثم قسمته على عدد الحالات.

مجتمع البحث Population : يشير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التي يمكن اعتبارها مفردات لدراسة في البحث. وهكذا يمكن أن يكون مجتمع

البحث مثلاً: جميع الناس الذين يعيشون في دولة معينة، جميع الطلاب الذين يدرسون في جامعة معينة، جميع الطلاب المقيدين بقسم الاجتماع في إحدى جامعات المملكة المتحدة في وقت معين، جميع المقالات الصحفية التي نشرت في المملكة المتحدة التي تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين.

مجتمع البحث الخفي أو غير المنظور **Hidden or Invisible Population** : هي جماعات يراد بحثها، ولكن يتذرّع تحديد هويات أفرادها لأسباب شتى. ومن تلك الجماعات تجار المخدرات مثلاً.

المجتمعات الافتراضية **Virtual Communities** : هي جماعات من الأفراد يتشاركون في خبرة ما، ولكنهم يتلاقون افتراضياً على الشبكة وليس لقاء مباشرًا وجهاً لوجه.

الدرج التكراري **Histogram** : المدرج التكراري هو رسم بياني يظهر معدل تكرار متغير النسبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة. يتركز كل عمود في المدرج التكراري حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التي يمثلها.

المذكرات الميدانية السريعة (الموجزة) **Memos** : هي مذكرات يدونها الباحث تتعلق بتسجيل، وتأمل، وتحليل البيانات التي يجري جمعها. وهي كذلك طريقة لوضع علامات تشير إلى معلومة ما تمهيداً للفحص والاستقصاء بعد ذلك.

مراجعة الزملاء **Peer Review**: عملية معروفة في الدوائر الأكademية يتم بمقتضاهما إحالة المقالات العلمية إلى زملاء المؤلف في التخصص لمراجعتها وتقدير صلاحيتها للنشر.

المصداقية **Credibility**: يتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة في) تفسيرات الباحث للبيانات التي قام بجمعها عن طريق تحليلها وتفسيرها باسلوب يتسم بالشفافية. ويتحقق ذلك - مثلاً - باختبار تفسيرات البيانات بعرضها على المبحوثين، أو بالمقابلة بين تفسيراته وبين ما انتهت إليه النظريات القائمة.

معامل الارتباط **Correlation Coefficient** : قيمة إحصائية توفر لنا مقاييساً لقوة واتجاه علاقة ما بين متغيرى نسبة.

المعاينة الإحصائية **Statistical Sampling** : هي عملية اختيار العينة الاحتمالية. انظر: العينة الاحتمالية.

المعاينة الحصبية **Quota Sampling**: انظر: طريقة العينة الحصبية.

المعاينة النظرية Theoretical Sampling : إحدى طرق المعاينة التي يتم فيها اختيار الحالات المبدئية - عادة - بطريقة غير مفنة نسبياً. وعندما تبدأ «النظرية» في البروغ من واقع البيانات المبدئية، يقرر الباحث اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشاف واختبار تلك النظرية البارزة. كما يهتم الباحث بتحديد «الحالات السالبة»، وهي الحالات التي لا تتوافق والنظرية الأخذة في التكوين، لأنها يمكن الإفادة من مثل هذه الحالات في تعديل النظرية الجديدة وتطويرها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من «التشبع» النظري.

المعرفة 1 Knowledge : هي المعلومات المتعلقة بشيء ما، أو قضية ما، أو واقع معين، أو الوعي بذلك، 2 - هي فهم حقيقة، أو واقع معين، أو قضية معينة.

المعلومات Information : هي المعرفة التي يتم تحصيلها من خلال الدراسة، أو الخبرة، أو التعليم : أي ما يتم إحاطتنا به.

المفهوم Concept : المفهوم فكرة مجردة تشمل على طريقة في وصف ظاهرة اجتماعية ما، كظاهرة الأسرة ، أو ظاهرة الفقر ، أو القوة، أو الصحة، أو التفكير فيها أو التعبير عنها. (انظر الفصل الرابع من هذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باستخدام المفاهيم).

مقابلات الإخبارى Informant Interviews : نمط من المقابلات يكون المبحوث (أى الإخبارى) فيه متحكما في المقابلة، ويكون قادرا على رواية قصته الشخصية بطريقته الخاصة (كما هو الحال في البحث السردى مثلاً).

مقابلات الباحث Researcher Interviews : نوع من المقابلات يكون الباحث فيه متحكما في المقابلة، حيث يطرح مجموعة من الأسئلة لكي يجيب عليها المبحوث.

مقابلات المبحوث Participant Interviews : طريقة في جمع البيانات يستطيع فيها الباحث/ الملاحظ أن يتوصل إلى معرفة حميمة بمجموعة البشر الذين يتناولهم البحث، وهم في وسط البيئية الطبيعية التي يعيشون فيها.

المقابلات المشتركة Collaborative Interviews : هي نوع من المقابلة يشتراك فيه الباحث مع الإخبارى (المبحوث) في خلق البيانات. وهي بذلك مقابلة لم يسبق للباحث تفتيتها، ولكنه يتدخل تدخلاً إيجابياً في خلق البيانات.

المقابلة Interview : هي طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على : تيسير الاتصال المباشر بين فردين ، إما وجهاً لوجه، وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت، وتمكن

القائم بال مقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والأراء من المبحوث باستعمال الأسئلة وال الحوار التفاعلي.

المقابلة السردية Narrative Interview : مسمى بديل لجذبة جمع البيانات السردية، ولكنها ليست تسمية دقيقة تماماً.

المقارنة المستمرة Constant Comparison : هي مقارنة البيانات التي جمعت من مصادر مختلفة ، ومن أماكن وفي أوقات مختلفة لدعم عملية التحليل، وذلك في نفس الوقت الذي يفتش فيه الباحث عن الحالات السلبية.

مقترح مشروع البحث Research Proposal : وثيقة تحدد الإطار العام لموضوع البحث، وكيف سيتم تنفيذه ، وما مبررات القيام به؟ ولماذا يجب تمويله؟

المقنق Structured : المقنق لفظ يصف البيانات، أو يصف طريقة جمع البيانات (المقابلة أو الاستبيان) التي تحوى أسئلة موحدة توجه هي نفسها لكل مشارك. كما أن من المعهود أن توجد مجموعة محددة من الإجابات لكل سؤال.

الملحوظة Observation : تعنى جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية الخمس. وهى بمعنى محدد فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية فى العالم الواقعى، وتسجيل الأحداث لحظة وقوتها وبالكيفية التى تحدث بها، والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعى للملحوظة إلى : الملاحظة المشاركة والملحوظة البسيطة.

الملحوظة البسيطة Simple Observation : هي طريقة لجمع البيانات لا يكون فيها الباحث (القائم بالملحوظة) جزءاً من العملية التى يجري بحثها، بل يكون شخصاً موضوعياً غرياً.

الملحوظة المشاركة Participant Observation : هي طريقة لجمع البيانات يكتسب فيها الباحث (القائم بالملحوظة) معرفة وثيقة وعميقة بجماعة الأفراد الذين يكونون المبحوثين الذين تتناولهم الدراسة، وذلك في داخل المكان الطبيعي لهذه الجماعة.

المنوال Mode : متوسط إحصائى يحسب بملحوظة القيمة الأكثر شيوعاً فى هذا التوزيع.

الموافقة عن علم Informed Consent : التأكيد من أن الأشخاص الذين سيشاركون في البحث يفهمون جيداً ما يوافقون عليه.

النزعية التأويلية Interpretivism : وجهة نظر معرفية تعطى الأولوية للتفسيرات الذاتية التي يقدمها الأفراد وللتصورات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التي خبروها، وما يقومون به من أعمال وتصيرفات شخصية.

النزعه التصورية Constructivism : هي وجهه نظر أنطولوجية تؤكد أن الظواهر الاجتماعية التي تشكل عالمنا الاجتماعي لا تعد ظواهر حقيقة إلا بمعنى أنها أفكار متصورة، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها بمراجعتها وإعادة تشكيلها باستمرار، وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي والتأمل (النقد).

النزعه المركزية Central Tendency : هي مقياس إحصائي يلخص البيانات المتعلقة بمتغير واحد في قيمة واحدة كالمتوسطات (الوسيط الحسابي)، أو الوسيط، أو المنوال.

النزعه الموضوعية Objectivism : هو موقف فكري أنطولوجي يؤكّد أن الظواهر الاجتماعية التي يتكون منها عالمنا الاجتماعي لها وجودها المستقل الخاص بها - بمعزل عن، وبالاستقلال عن - الفاعلين الاجتماعيين (أى البشر) المشاركين في هذه الظواهر.

النشر Dissemination : هو عملية نشر أخبار نتائج البحث بحيث تكون معلومة لدى جمهور أوسع (من الجمهور الأكاديمي).

النظريات الصغرى (الميكرو) Micro Theories : هي النظريات ذات النطاق المحدود، والمرتبطة بمنطقة محددة، أو بجماعة معينة من الناس، أو بجانب معين من جوانب العالم الاجتماعي.

النظريات الكبرى (الماكرو) Macro Theories : هي النظريات التي تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعي وفق مصطلحات ومفاهيم عامة. (وتسمى عادة النظريات الواسعة النطاق) ..

النظريات الوسطى Meso Theories : هي النظريات ذات المستوى المتوسط والمتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعتادة، كظاهرة: المنظمات، والمؤسسات، والمجتمع المحلي، والأسرة).

النظرية Theory : النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم متراقبة يمكن استخدامها لشرح وفهم حدث، أو موقف، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية.

النظرية المؤثقة Grounded Theory : اتجاه منظم في إجراء البحث يقوم على تطوير - أو توليد - النظرية من البيانات التي يتم جمعها.

نقطة الانقاء Node : يستخدم هذا المصطلح في برنامج «إن فيفو» NVivo للدلالة على الأكواذ، انظر : الأكواذ.

النماذج السالبة Negative Cases : هي الشواهد أو الحالات التي تتناقض مع النظرية البازغة (الجارى بدورتها) أو لا تزدها.

النموذج النظري 1 Paradigm : هو مجمل الاعتقادات، والقيم، والأساليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التي يتوافق عليها أعضاء جماعة علمية معينة، 2 - هو مجموعة متربطة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التي يعتبرها العلماء المشتغلون بتخصص معين أو بفرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراسته، وكيف ينبغي إجراء البحث؟ وكيف يجب تفسير النتائج؟ وما إلى ذلك.

الواقعية 1 Realism : وجهة نظر أنطولوجية تؤكد أن للعالم الاجتماعي حقيقته المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركين فيه، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس وكذلك من خلال الأبنية الخفية والآليات الخفية. 2 - اتجاه معرفي يؤكد على أن معرفة ظاهرة اجتماعية ما تقوم على أساس كل ما يمكن ملاحظته وتسجيله من جهة، وعلى الأبنية والأساليب الخفية التي يمكن ملاحظة نتائجها من جهة أخرى.

الواقعية النقدية Critical Realism : الرأى الذي يعطى أولوية في البحث للتعرف على البنى (جمع بنية أو بناء) والآليات التي تؤدى إلى مظاهر عدم المساواة، وبذلك تهيئة الفرصة لإحداث التغير الاجتماعي عن طريق رفض الآليات البنائية التي تبين أنها السبب في هذه الامساواة.

الوثيقة Document : من العسير تعريف الوثائق، إلا أننا نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها سجلات مكتوبة عن أفراد وأمور تولد من خلال الممارسات الحياتية. ووفقاً لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل : الفيلم السينمائي، وشريط التسجيل الصوتي، وفيلم الفيديو ... إلخ. ولكن يستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهي.

وحدة الدراسة Unit : المبحث الفرد أو الموضوع الذي يجمع الباحث بيانات عنه، كالدول، أو الجامعات، أو الأسر أو الأفراد على سبيل المثال.

الوسط الحسابي Mean: متوسط إحصائي يتم حسابه عن طريق تجميع إجمالي كل القيم ثم قسمة هذا الإجمالي على عدد الحالات.

الوسط Median : هو متوسط إحصائي يحسب عن طريق ترتيب جميع القيم الموجودة في عينة ما في ترتيب رقمي ثم ملاحظة القيمة الوسطى لهذا التوزيع.

الوضعية Positivism: وجهة نظر إيستمولوجية تؤكد على أن معرفة الظاهرة الاجتماعية تقوم على أساس ما يمكن ملاحظته وتسجيله، وليس على التصورات الذاتية.

المؤلفان في سطور:

1 - بوب ماتيوز Bob Matthews

التحق بالسلك الجامعي في سن متأخرة. إذ كان قد ترك المدرسة بعد أن اجتاز عدداً من مواد شهادة إتمام الدراسة الثانوية الإنجليزية (GCE) المستوى العادي، وعمل لمدة خمسة وعشرين عاماً في صناعة مد شبكات الطاقة الكهربائية، في وظيفة مسح الأراضي. بعدها اكتشف أن هناك أشياء أكثر أهمية يجدر بالإنسان أن يسعى لتحقيقها. بعد أن اتخذ هذا القرار شرع في الالتحاق بالدراسات العليا عن طريق برنامج تمهدى يؤهله لذلك (الأمر الذي حفظه بمساعدة ودعم من زميله أليسون، الذي يدين له بالفضل إلى الأبد).

وفي العام 1994 بدأ يعد نفسه للحصول على مرتبة الشرف في تخصص السياسة الاجتماعية في جامعة برمنجهام (ولعله من الطريف أن نذكر أن زميلته في تأليف هذا الكتاب «ليز روس» هي التي أجرت له امتحان القبول وقررت قبوله للالتحاق بتلك الدراسة). ونجح في الحصول على الدرجة بامتياز في العام 1997. وبينما كان يعمل خلال تلك الفترة بدوام جزئي في مكتب المراقبة نال جائزتي الدراسات الاجتماعية وفرنسا ولافيت. وقد دعمه مركز البحث الاقتصادية والاجتماعية ESRC بمنحة دراسية، حصل من خلالها على درجة الدكتوراه في العام 2001. بعدها عمل محاضراً في معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية (الذي أصبح الآن جزءاً من معهد السياسة الاجتماعية في كلية العلوم الاجتماعية) جامعة برمنجهام. وقد شغل في تلك الجامعة منصب مدير برنامج السياسة الاجتماعية (على مستوى البكالوريوس) حتى عام 2008. وقد قادت أعماله الأكademie إلى بعض الأماكن المهمة، التي شملت إستونيا، وسيبيريا، وكوريا، والصين، حيث عمل أستاذًا زائراً في جامعة نانكاي، تيانجين.

واليوم يقوم بالتدريس والبحث في ميادين: السياسة الاجتماعية المقارنة، والدمج الاجتماعي، وطرق البحث، والسياسة الصحية، ويعزف على الجيتار كلما سمح له الوقت.

2 - ليز روس Liz Ross

درست علم الاجتماع في جامعة لندن، ثم عملت فيما كان يعرف وقتها باسم «المسح الاجتماعي الحكومي» (الذى أصبح الآن «إدارة الإحصائيات القومية»). وفي تلك المؤسسة تعلمت أساسيات البحث الاجتماعي في الوقت الذي كان فيه الكمبيوتر في بدايات استخدامه

المعالجة كميات ضخمة من البيانات المسحية. ثم تفرغت فترة لرعاية طفليها الصغارين، اتجهت بعدها لتعلم الخدمة الاجتماعية، حيث عملت اختصاصية تنمية مجتمع محلى لمدة سنوات طويلة قبل أن تعود إلى البحث الاجتماعي. وقد تحصلت على درجة الماجستير في البحث الاجتماعي والتربوى المتقدم من الجامعة البريطانية المفتوحة. ثم حصلت على منحة بحث قادتها إلى جامعة برمنجهام، حيث تابعت الاشتغال فى البحث والتدريس فى معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية.

و عملت لمدة عشرة أعوام مديرية لبرامج الدراسات العليا، وتابعت العمل فى تنسيق وإدارة برنامج دراسات عليا بالتعاون بين الجامعة وحكومة كوريا (الجنوبية). وتعكس اهتماماتها فى البحث والتدريس خبرتها بوصفها اختصاصية تنمية محلية، وعملها مع القطاع التطوعى، وعلاقتها الواسعة مع كوريا الجنوبية.

وظلت لستين طويلاً تدرس تخصص طرق البحث الاجتماعي على مستوى البكالوريوس وعلى مستوى الدراسات العليا، حيث دربت كثيراً من طلاب الماجستير والدكتوراه على طرق البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية. كما استطاعت أن تدرب بعض موظفي الإدارات المحلية وبعض جمعيات المجتمع المحلى على استخدام أساليب البحث الاجتماعي في عملهم وفي المجتمعات التي يخدمونها وسيلة لدمج السكان المحليين في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم وبأوضاع مجتمعاتهم، وفي إسماع أصواتهم للمسؤولين.

المترجم في سطور:

محمد الجوهرى

- أستاذ علم الاجتماع في جامعة القاهرة.
- عميد كلية الآداب، جامعة القاهرة ورئيس جامعة حلوان الأسبق.
- أشرف وشارك في عدد كبير من البحوث والندوات العلمية والمؤتمرات الدولية والعربية في ميادين: علم الاجتماع، دراسات التراث الشعبي، التنمية الاجتماعية، الدراسات الثقافية.
- مثل مصر، على امتداد أربعة عشر عاماً، في المؤتمر العام لليونسكو - باريس.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية (1994).
- رأس «المجلس الدولي لدراسة التحولات الاجتماعية» التابع لليونسكو (1995-1997).
- ألف ونشر 121 بحثاً ودراسة.
- ترجم وشارك في ترجمة 38 عملاً.
- أشرف على 55 رسالة دكتوراه، و52 رسالة ماجستير.
- حصل على جائزة النيل في العلوم الاجتماعية (2012).

التصحيح اللغوي : عبير محمد

الإشراف الفني : حسن كامل